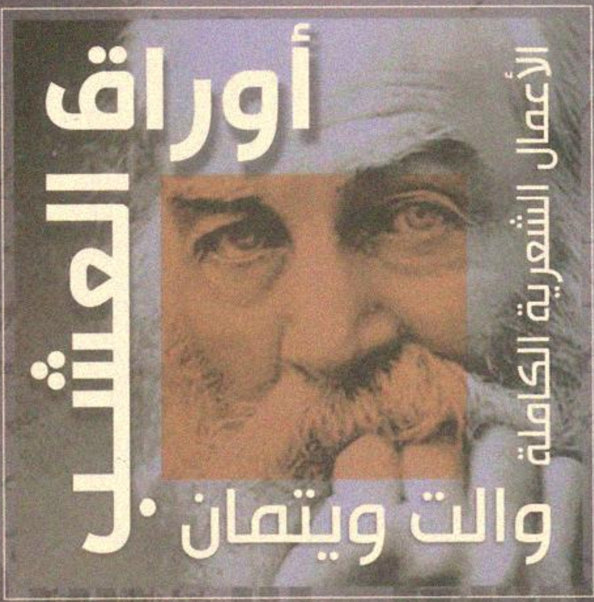


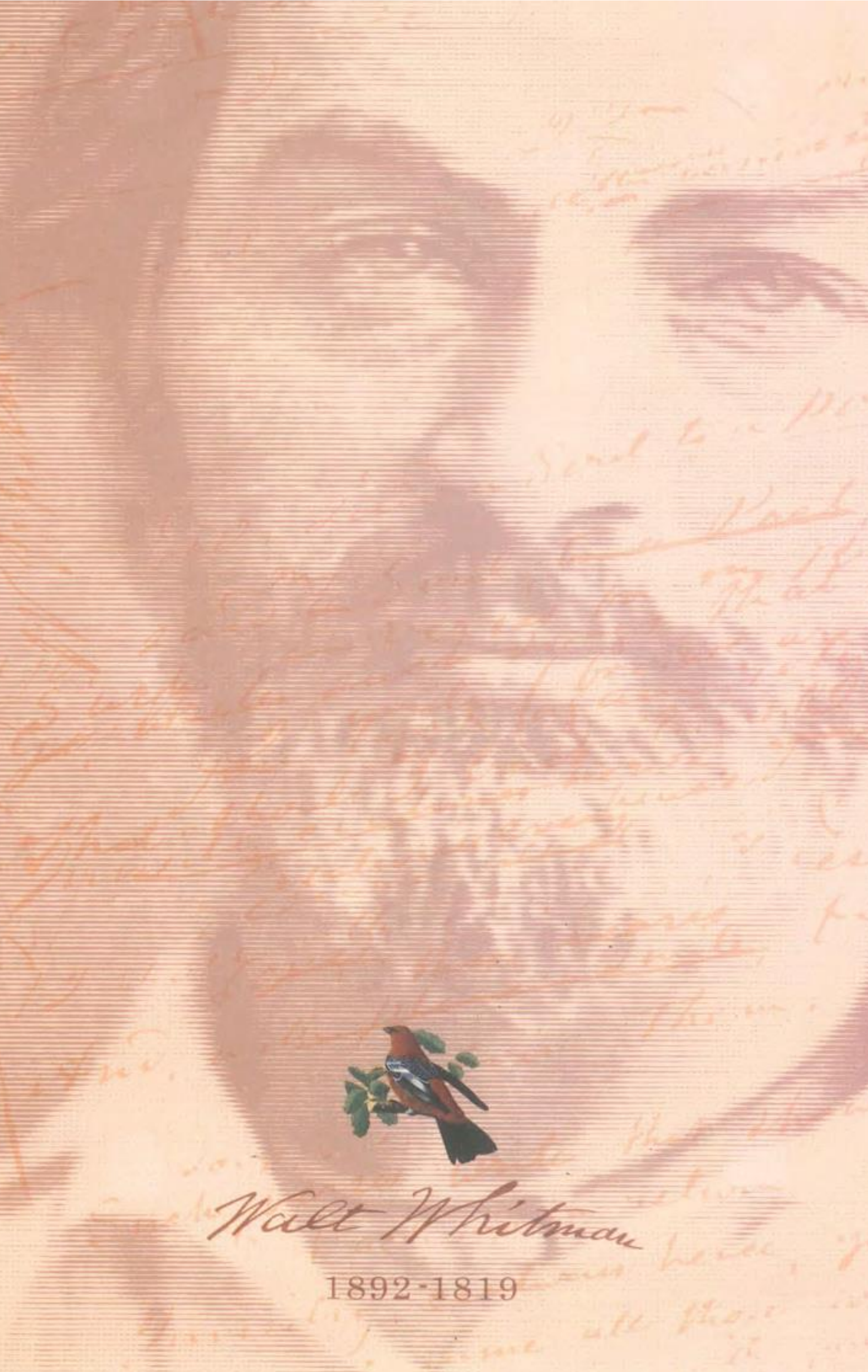
أوراق العشب

الأعمال الشعرية الكاملة

والت ويتمان

ترجمة وتقديم: رفعت سلّام

الهيئة المصرية العامة للكتاب


Walt Whitman
1892-1819

وَالـت ويتمَـــان

أوراق العُشـــب

[الأعمَـال الشِّـعريَّة الكَاملـة]

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج على

رئيس الإدارة المركزية للنشر

د. سهير المصادفة

وَالت ويتمَان

أورَاق العُشب (الأعمال الشعرية الكاملة)

ترجمة وتقديم / رفعت سلاَّم

طبعة - ٢٠١٧

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي : ١١٧٩٤
تليفون : ٢٥٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلى ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

GENERAL EGYPTIAN BOOK ORGANIZATION
P.O.Box: 235 Ramses.
1194 Cornich El Nil - Boulac - Cairo
P.C. : 11794
Tel.: +(202) 25775109 Ext. 149
Fax: +(202) 25764276

website: www.egyptianbook.org.eg
E-mail: ketabgebo@gmail.com
www.gebo.gov.eg

الطباعة والتنفيذ

وَالت ويتمَـان

أوراق العُشــب

[الأعمَـال الشِّـعريَّة الكَاملـة]

ترجمة وتقديم : رفعت سلَّام

الهيئة المصرية العامة للكتاب

2017

بحثًا عن والت ويتمان

رفعت سلام

"**والت ويتمان**" (31 مايو 1819- 26 مارس 1892) ليس شاعرًا، بل ظاهرة شعرية فريدة، تلقي بظلالها الكثيفة على شعرية القرن العشرين، الأميريكية والإنجليزية، بل العالمية؛ قادمةً من قرنها التاسع عشر. هو مؤسس لشعرية أخرى، شعرية قادمة دائمًا، لم تكن ابنة القرن التاسع عشر (قرنه الحياتي)- بل ابنة القادم في القرن التالي وكل قرن، ليصبح بوصلة مؤكدة، ويتلقى العرفان الشعري والثقافي اللائق به، بعد أن حُرم منه طوال حياته (شأن جميع الكبار والمؤسسين، من قبيل بودلير ورامبو، المعاصرَين له في ثقافة ولغة أخرى، على الضفة الأخرى من الأطلنطي).

و"**أوراق العشب**"- سِفره الشعري الكامل- ليس ديوانًا منفردًا، بل هو صرح شعري؛ استغرق نحو نصف قرن من حياة شاعره، النصف الثاني من القرن التاسع عشر بكامله. هو قارة شعرية بكاملها- لم يسبق أن عرفها الأدب الأميريكي، ولا المكتوب بالإنجليزية عامةً- تضم بلدانًا وأنهارًا وجبالًا وبحارًا، مما لا عينٌ من قبل رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب شاعر من قبل.

ليس ديوانًا، بل أعماله الشعرية الكاملة؛ وإن كان قُراء ودارسو "والت ويتمان" ومحبوه لا يعرفون مصطلح "**الأعمال الشعرية الكاملة**" لشاعرهم الأثير، بل "**أوراق العُشب**" فحسب. فـ"**أوراق العُشب**" هو مجموع شعره الذي كتبه خلال حياته. فلم يصدر ديوانًا منفردًا، إثر

ديوان، على عادة الشعراء المحدثين؛ لم يصدر سوى "**أوراق العشب**"، في طبعات متتالية. وكل طبعة جديدة تحمل ما استجد من قصائد مضافة إلى ما سبق.

هكذا، لا تشبه طبعةٌ من "**أوراق العشب**" سابقتها، لا تكررها؛ بل تنطوي كل طبعة "جديدة" على ما هو "جديد" بالفعل، من إضافات شعرية، وتغييرات متفاوتة في البنية، وتغييرات في بعض الألفاظ والسطور.

والفارق- بالتالي- شاسع بين الطبعة الأولى (1855) وطبعته الأخيرة (1892)، المعروفة بـ"طبعة فراش الموت"، كآخر طبعة أشرف على إصدارها وضبطها بنفسه، التي تمثل "الأعمال الشعرية الكاملة" له. هو الفارق بين عمل شعري من اثنتَي عشرة قصيدة، وعمل شعري يتجاوز الأربعمائة قصيدة، مُنقحةً، معدَّلَة، مضبوطة.

❖

هل كانت مقالة "**الشاعر**" لإيمرسون (1844) جذرًا ما لـ"**أوراق العشب**"؟ في مقالته، أعرب إيمرسون عن حاجة الولايات المتحدة إلى شاعر جديد فريد لها، ليكتب فضائل ورذائل البلد الجديد. فيما بعد، كتب ويتمان عن ذلك: "كنت أهتاج، وأهتاج، وأهتاج. لقد دفعني إيمرسون إلى الغليان".

فهل اعتبر ويتمان نفسه ذلك الشاعر "الجديد، الفريد" للولايات المتحدة، الذي يلبي نداء إيمرسون؟ هل ألهمته الفكرة بالاتجاه إلى الشعر، بعد الانغماس في الكتابة والتحرير الصحفيين، وصياغة قصص وحكايات موجهة للذوق العام، عدا تلك الأشغال الثانوية التي لا تستهدف سوى سد الرمق؟

❖

بدأ ويتمان قصائد ما سيعرف بـ"**أوراق العُشب**" عام 1850، بعد مروره على عدة أجناس كتابية أخرى. وعلى نفقته الخاصة، طُبع "**أوراق العشب**" في مطبعة محلية صغيرة في بروكلين، يملكها اثنان من المهاجرين الاسكتلنديين، خلال أوقات الراحة من العمل، بقيام ويتمان بغالبية أعمال صف الكتاب بنفسه. ديوان صغير في 95 صفحة، مطبوع في 795 نسخة، بلا اسم للمؤلف، مع الاكتفاء برسم شخصي له بالحفر للفنان صامويل هوليَر. والقصائد الاثنتا عشرة تضم 2315 سطرًا، من بينها 1336 سطرًا تضمها قصيدة "**أغنية**

نفسي" وحدها. كانت المبيعات قليلة، لكن الشاعر لم يصبه الإحباط.

وتلقى الديوان الصغير أول تشجيع من **رالف والدو إيمرسون**- القامة الأدبية والفكرية الشامخة آنذاك- الذي كتب رسالة تقريظية من خمس صفحات إلى ويتمان، ولم يخف حماسه للديوان عن الوسط الثقافي: "إنني أعتبره العمل الأكثر استثنائية في اللماحية والحكمة فيما قدمته أميريكا حتى الآن. إنني سعيدٌ بقراءته، مثلما تجعلنا قوة عظيمة سعداء".

[ذلك يُذكِّر بما فعله فيكتور هوجو مع بودلير، لدى ظهور "**أزهار الشر**" في مناخ معادٍ ومتحفز: "لقد تلقيتُ، يا سيدي، رسالتك وكتابك الجميل. إن الفن مثل زرقة السماء، ذلك المجال اللامحدود: لقد برهنتم على ذلك. **وأزهار شركم** تشع وتتألق كالنجوم. فاستمروا. إنني أهتف براڤو لعقلكم النشط! بكل ما أوتيت من قوة". وفي رسالة أخرى: "أنت تمضي إلى الأمام. وأنت تهب سماء الفن ما لاَ أدري من شعاع جنائزي. إنك تخلق رعشة جديدة"].

لكن الشهور القليلة التالية لصدور "**أوراق العشب**"، شهدت التهجم على الديوان، بدعاوى منافاته للأخلاق القويمة والإباحية، فيما شجعت كلمات إيمرسون ويتمان على المسارعة إلى الطبعة الثانية الموسعة. لكن الناشر أوقف إصدار الطبعة الثانية، التي كانت قد أُنجزت، وتضم 20 قصيدة إضافية، بفعل الدعاوى الساخطة على انتهاك الأخلاق العامة. لكن الطبعة- في النهاية- بيعت بالتجزئة في أغسطس 1856، بسعر دولار واحد للنسخة، التي أصبحت تضم 384 صفحة.

❖

ومنذ صدور الطبعة الأولى، تصاعدت تحرشات "المحافظين" التي وصلت- في إحدى ذراها- إلى فصل ويتمان من عمله كموظف صغير بوزارة الداخلية، لأن الوزير جيمس هارلان قرأ الديوان واعتبره مزعجًا. وقيل إن الشاعر جون جرينليف ويتيَار قد ألقى بنسخته في النار. وكتب توماس وينتوورث هيجينسون: "إنه أمر لا يصدَّق أن يكون ويتمان قد كتب "**أوراق العشب**"، ولم يُحرقه بعد ذلك". أما الناقد روفوس ويلموت جريزوُولد، فقدم قراءة نقدية في الطبعة الأولى، واعتبرها "كتلة من الهراء الأحمق"، فيما

اعتبر ويتمان مذنبًا بهذه الخطيئة المريعة التي لا ينبغي ذكرها وسط المسيحيين (تلميحًا إلى "المثلية").

وفي الأول من مارس 1882، كتب النائب العام لمقاطعة بوسطن أوليفر ستيفنس إلى الناشر جيمس أوزجُود أن "**أوراق العشب**" تشكل "أدبًا إباحيًا". ومدفوعًا بجماعة نيو إنجلند لمحاربة الرذيلة، كتب في رسالته: "نحن نرى أن هذا الكتاب يخضع لأحكام النظام الأساسي العام المتعلق بالأدب الإباحي، ونقترح على المالك سحبه من التوزيع، ومنع طبعه بالتالي". وطالب ستيفنس بحذف قصائد "امرأة تنتظرني"، "إلى عاهرة عادية"، وأيضًا القيام بتغييرات في "أغنية نفسي"، "من أنهار حبيسة أليمة"، "أغني الجسد المثير"، "عفوي أنا"، "لحظات حميمة"، "مزاح النسور"، "على شاطئ أونتاريو الأزرق"، "متفتحًا خارج القطعان"، "النائمون"، "وجوه".

[على الضفة المقابلة من الأطلنطي، وفي توقيت مقارب، تعرض "**أزهار الشر**" لبودلير لتهجمات مشابهة، وتحريض صحفي، وصل إلى حد محاكمة الشاعر وناشريه. وطالب وكيل النائب العام الامبراطوري- في عريضة الاتهام، خلال المحاكمة- بحذف 10 قصائد من الديوان، باعتبارها منافيةً للأخلاق، وللعقيدة المسيحية. لكن القاضي حكم بحذف 6 قصائد فحسب].

اعترض ويتمان على الرقابة، وكتب إلى الناشر: "إن القائمة مرفوضة مني كليًا وجزئيًا، ولن يتم التفكير فيها تحت أية ظروف". ورفض أوزجُود إعادة نشر الكتاب. وعثر الشاعر على ناشر جديد أصدر طبعة جديدة عام 1882. واعتبر ويتمان أن اللغط سيؤدي إلى زيادة المبيعات، وهو ما كان صحيحًا. وصدرت خمس طبعات متوالية من هذه الطبعة الأخيرة، وكل منها ألف نسخة. ونفدت الطبعة الأولى من الخمس طبعات خلال يوم واحد.

❖

وتشق "**أوراق العشب**" طريقها، طبعةً طبعةً، في مسيرة عسيرة متخبّطة بين الحفاوة والعداوة. ويختلف الدارسون في عدد طبعات "**أوراق العشب**". فالمدققون يستبعدون كل طبعة لم تُضف جديدًا في مجموع القصائد، ولم تتم بناءً على "صف" جديد للكتاب، وبالتالي

يحتسبون طبعات 1855 و1856، و1860، و1867، و1871-1872، و1881 فحسب؛ فيما يضيف آخرون طبعات 1876، و1888-1889، و1891-1892 (طبعة "فراش الموت").

❖

لا التزام بالنمط الشعري السائد؛ معتمدًا نمط "الشعر الحر"، وإيقاعًا أقرب إلى إيقاع الإنجيل. ولا قافية. لا قواعد معيارية للوزن، ولا طول الأبيات.

ولغة لا تعرف الذهنية والتأملية، لا تعرف التعالي والرطانة الثقافية الأدبية؛ بل تخرج مباشرةً من الحياة اليومية العادية للإنسان، جليةً نافذة، إلى جسد القصيدة. هي أقرب إلى لغة اليومي، لا اللغة الأدبية القاموسية المعيارية، بحكم تركيباتها شبه "الشفاهية"، والتناثر الواسع للألفاظ القادمة من الأصول الثقافية للمهاجرين.

كتابة شعرية عابرة للحدود والأشكال، غير مسبوقة، مستخدمة صورًا ورموزًا غير مألوفة، صورًا ورموزًا "**أرضية**": أوراق الشجر المتعفنة، حِزَم القَش، الأنقاض؛ متخطيةً التوجهات السائدة نحو آفاق مفتوحة في الكتابة عن الجنس، والحب، والأخوة الإنسانية المطلقة. "**أنـا**" من لحم ودم، بلا تصورات ذهنية مجردة؛ "**أنـا**" الإنسان العادي، البسيط، العابر للطبقات والفئات والمستويات الاجتماعية والثقافية؛ العامل، الفلاح، المراكبي، الراعي؛ بأحلامه البسيطة، وحياته المتقشفة الصعبة، ومجاهداته اليومية للبقاء على قيد الحياة العسيرة، لكن الكريمة.

❖

"**أوراق العشب**" احتفالٌ رفيع بالحياة، بالحب، بتفتح الطاقات الإنسانية عن آخرها، بلا حدود ولا أسلاك شائكة. هي "**أنـا**" الإنسان الفرِح بالشمس، والأرض، والنجوم، وزرقة السماء، والرياح، وموج البحار؛ المبتهج برفقته الإنسانية، بأخوته ومحبته الكاملة والعميقة للآخر، امرأةً أو رجلاً أو فتاةً، طفلاً أو عجوزًا، أبيض أو أسود، بلا تمييز أو تمايز. إنه مطلَق الإنسان، مطلق الجمال الإنساني، في جميع أشكاله وتحولاته. عشقٌ وحدَبٌ على كل ما هو إنساني أو طبيعي، حُنُو وشغف، حُب واحتفاء.

سَبرٌ لأغوار الوجود الإنساني في ذاته، في إنسانيته المرئية والخفية، في طاقاته الكامنة

القادرة على اجتراح المستحيل كالآلهة، في عنفوانه اللانهائي، المطلق؛ بلا ميتافيزيقا أو أوهام أو خرافة. فالمطلق الوحيد في الوجود هو الإنسان الفيزيقي، المكتنز- حتى في بؤسه وضعفه وتهميشه- لطاقات حيوية، قادرة على أن "يخرق بها الأرض، ويبلغ الجبال طولًا".

❖

و"الأنا"- المهيمنة على صوت الأوراق- هي أنا الشاعر، الإنسان العادي، اليومي، صاخبةً وهامسة، فرحة وأليمة، مبشرة بالملكوت والفردوس على الأرض، لا في السماء، وبقدرة الإنسان العادي (الضعيف، القوي) على صنعه وامتلاكه. والحضور الإنساني باهر، في تجلياته التي لا تنفد، وتفاصيله التي لا تتكرر، وأصواته التي لا تتشابه؛ حضور مهيمن على العالم، كأنه افتتاح العالم، أو بداية الكينونة المطلقة.

"أنـا" شاهقة، شامخة، تطلق غناءها الذي لا ينفد في وجه الزمن وعوامل التعرية، في وجه المطلق والمجرد والميتافيزيقي، في وجه ما يعتور الحياة من نقصان ومثالب. غناءٌ بأعلى درجات الصوت الممكنة، يلملم الأطراف الجغرافية، والكيانات الإنسانية المبعثرة، في "أُمة" متآخية مع نفسها ومع "أُمم" العالم، لا تعرف الظلم والتعالي، لا العسف ولا الاضطهاد؛ لا في داخلها كـ"ولايات أميريكية"، ولا فيما بينها وبين البلدان الأخرى.

هو الحلم بالحرية الإنسانية الكاملة، بتحقق الإنسان على أرضه، برفقة "أخيه" الساعي بدوره إلى التحقق الممكن، بلا منافسة أو تناحر (كأنه حلم بيوتوبيا تتحقق فعلًا في التاريخ وعلى الأرض، على يد الإنسان الأميريكي، من أجل ذاته وأجل الآخرين، شركائه في الحياة على الكوكب نفسه).

❖

لكن هذا الصوت، المغني بأعلى ما في طاقته وطاقة أي صوت من عنفوان، تفاجئه الحرب على غير انتظار؛ الحرب التي تقسم ما كان موحدًا، وتفصل ما كان مندمجًا، وتطيح بالجثث والأشلاء، والصرخات والحشرجات، في الشمال والجنوب. ما بين 750 إلى 850 ألف جندي قتيل (غير 50 ألف قتيل من المدنيين، فضلًا عن 60 ألف مُعَاق) في حرب أهلية أقرب إلى "الإبادة" أو "المجزرة" المتبادلة بين جيشَي الشمال الحكومي والجنوب المتمرد الساعي إلى الانفصال (مليونا جندي حكومي في مواجهة مليون جنوبي). لم يَسمع أو يقرأ عن

أهوالها، بل رآها بأم عينيه في المستشفيات الميدانية التي سارع إليها، أولًا للبحث عن مصير أخيه المجنَّد، وثانيًا للمساعدة في التمريض.

وما إن تتوقف الحرب، حتى يُقتَل أبراهام لنكولن، الرئيس الذي حمَّله ويتمان أحلامه، وأسقط عليه عذاباته وجراحه، بما يشبه "المخلِّص" الذي يحمل سيفًا.

فلماذا تنهار الأحلام معًا؟ دفعةً واحدة؟

وبعد أن كان قد استقبل الحرب بقصيدة حماسية، تحريضية: "اقرعي، اقرعي، يا طبول"، تكشفت أمامه المأساة، وانكسرت وحدة العالم الخيالي، والأخوة الإنسانية، والتراحم والمودة، والحب والتعاطف، بفعل أنهار الدماء المتفجرة بين الطرفين. فهو شاهد العيان الفعلي الذي راح يلملم الأشلاء، ويداوي الجرحى، ويواسي المحتضرين، وسط التأوهات والصرخات والحشرجات التي لا تنتهي؛ كأنها القيامة.

لا يوتوبيا، ولا فراديس؛

لا أناشيد ولا أغنيات بهيجة، بعد اليوم.

قصائد يمشي فيها شاعرها مُثقلًا بالزمن، مثخنًا بالجراح والطعنات، على كاهله جُثث القتلى وأجساد المصابين، وتحتل سمعَه الصرخات والنشيج. كأنه الموكَّل بالألم الإنساني، العجوز المهدهد للمصابين والمحتضرين، المبشِّر منكسرًا بسلامٍ قادمٍ- بلا يقين، كأمل نظري غائم- يرأب الصدوع والانكسارات، ويرمم الأنقاض؛ دون أن يدري متى، ولا كيف.

يتكشف الزمن عن ماهيته- الخفية في الماضي- كعبءٍ ووطأة، بعد أن كان ساحةً للبهجة والفرح. زمنٌ حط دفعةً واحدةً بكل ثقله وعوراته في قرار الروح والجسد.

فمن أين يأتي كل هذا الحزن؟ إلى أين طارت كل المباهج القديمة؟ والذاكرة لا تكفي لاستعادة نيران ما انطفأ.

❖

ثمة سمة أسلوبية مهيمنة لدى ويتمان، هي "التكرار"؛ تكرار تركيبة لغوية معينة في البيت الشعري نفسه، أو بناء المقطع على تركيبة متكررة من سطر إلى سطر؛ وربما تكررت في السطر الشعري الواحد ثلاث مرات، على نحو ما يرد- على سبيل المثال- في قصيدة "النائمون **Sleepers**":

The Dutchman **voyages home**, and the Scotchman and Welshman **voyage home**, and the native of the Mediterranean **voyages home**,

وثمة نماذج أخرى كثيرة يتجلى فيها التكرار بصورة أكثر كثافة. وقد حافظت- في الترجمة- على هذه "**السمة الأسلوبية**"- وغيرها- كما هي، بدون محاولة للقفز عليها بنفي التكرار منها، على نحو أو آخر؛ على نحو ما يفعل غالبية المترجمين. فالمحافظة على "**السمات الأسلوبية**" للمبدع الأجنبي إحدى مهام المترجم "المسكوت عنها"، والمهملة في ترجماتنا العربية من اللغات المختلفة.

كما حافظتُ على نسق السطور الشعرية كما وردت بالأصل، باعتبارها "**سمة أسلوبية**" أخرى؛ فلم أقم بتجزيء السطر الشعري الطويل، وإعادة توزيعه متتاليًا بالصفحة، مهما كان طول السطر. وهو ما أعتبره (التجزيء) تدخلًا في طريقة الكتابة الشعرية لهذا الشاعر أو ذاك، من جانب المترجم، بما يشبه الوصاية، أو "التصحيح"، أو المشاركة في إنتاج النص الشعري.

وهو ما ينطبق على بقية "السمات الأسلوبية" لويتمان، سواء في صياغاته اللغوية، أو التشكيلية/الطباعية.

❖

كتب الناقد الأدبي هارولد بلوم- كمقدمة لطبعة "**أوراق العشب**"، بمناسبة مرور 150 عامًا على صدورها لأول مرة: "لو كنتَ أميريكيًّا، فإن والت ويتمان هو أبوك وأمك الخياليان، حتى لو لَم تكتب سطرًا شعريًا واحدًا، مثلي. يمكنك أن ترصد عددًا معقولًا من الأعمال الأدبية المرشحة لأن تكون الكتب المقدسة العلمانية للولايات المتحدة. وقد تتضمن "**موبي ديك**" لملفيل، و"**مغامرات هَاكلبيري فِن**" لمارك توين، وسلسلتَي مقالات إيمرسون و"**سيرة الحياة**". لكن لا شيء من هؤلاء، ولا حتى لإيمرسون، بمركزية الطبعة الأولى من **أوراق العشب**".

❖

لكن حضور ويتمان المغروس في الوعي الثقافي الأمريكي يتجاوز شعريته الحداثية؛ فقصائد ويتمان ترسم ملامح الحلم الأميريكي الرفيع في القرن التاسع عشر: الحرية والمساواة المطلقتين، والتحقق الإنساني المزدهر، والكرامة الإنسانية للجميع؛ داخل الولايات،

وفيما بينها، وخارجها مع الشعوب الأخري.

هو الحلم العصي، الذي أتت التطورات الأميريكية بنقيضه تمامًا، بالداخل والخارج، إلى حد الإبادة؛ ابتداءً بإبادة الهنود الحمر، إلى إبادة الملايين من شعوب آسيا، واختراع سياسة "الأرض المحروقة"، في كل الصراعات؛ فلم يندثر الحُلم أو يتلاشَى، بل ظل مغروسًا في عمق الوعي العام الأميريكي.

كأنه حُلمٌ مستحيل. لكنه الحُلم الإنساني الجدير بالتشبث به، في جميع الظروف والملابسات.

ربما لهذا، يتمسك المواطن الأميريكي العادي بويتمان (طبعات مختلفة متعددة من "**أوراق العشب**" تصدر كل عام)، بقدر تمسكه الواعي واللاواعي بذلك الحلم العصِي الكامن في "**أوراق العُشب**".

❖

في الإبداع الأدبي، وبخاصةٍ في الشعر، لا ترجمة نهائية أخيرة؛ لأسباب موضوعية، وربما علمية.

فالنص الإبداعي "حمَّال أوجه"، بالصيغة التراثية. و"التأويل" هو سيد القراءة والترجمة.. بلا يقين (وهل ثمة "يقين" فيما يتعلق بالإبداع، وتلقيه؟). فكل قراءة/ترجمة احتمال، ووجه لا ينفي احتمالية وجود وجوه أخرى، كامنة.

ذلك يعني أن كل ترجمة لا يمكنها- بحكم طبيعة العمل الإبداعي ذاته، وطبيعة "التلقي"- أن تستنفد النص، وتصادر احتمالاته الكامنة الأخرى، الافتراضية. فكل ترجمة تظل أحد الاحتمالات المتعلقة بالنص، حتى لو كانت الاحتمال الراجح.

وإذا كان الحضور "الموضوعي" للنص الشعري، بطبيعته الفريدة، يؤسس لذلك؛ فإن ترجمة النص الشعري- من ناحية أخرى- لَترتكز على السمات "الذاتية" الخاصة بالمترجم؛ لا معرفته وثقافته الخاصة باللغتين، والمؤلف، وتياره الإبداعي، إلخ.. فحسب؛ بل وصولًا إلى ذائقته وحساسيته اللغوية، ومدى ثراء قاموسه، وقدرات خياله اللغوي؛ ابتداءً بمفهومه للترجمة ودور المترجم، في العلاقة بالنص الأجنبي.

ذلك ما يفضي- في اللغات العالمية الرئيسية- إلى "تعدد" ترجمات العمل الواحد، بما

وصل- ذات يوم، حسب رصد العلامة حسن عثمان- إلى ترجمة "**الكوميديا الإلهية**" إلى الإنجليزية **47** ترجمة مكتملة، فيما تُرجمت إلى الفرنسية أكثر من **22** ترجمة مكتملة، وتُرجمت إلى الألمانية أكثر من **22** ترجمة مكتملة[*].

❖

بهذا العمل، تكتمل **رباعية** "الأعمال الشعرية الكاملة" التي أنجزتها في ربع القرن الأخير: **كڤافيس**، بودلير، رامبو، ويتمان؛ والتي بدأتُها مع **كڤافيس**، لتغطي سنوات من الكّد والعناء والمتعة الشاقة، في آن. هُم سادة الحداثة الشعرية ومؤسسوها في ثلاث شعريَّات عريقة، باذخة، من شعريات العالم.

والمفارقة أن فكرة ترجمة أعمال ويتمان الكاملة كانت الأسبق؛ حيث بدأتُ الإعداد المادي لها أوائل التسعينيات (فيما قبل العمل على أشعار **كڤافيس**)، بتجميع المراجع، وتصوير نسخة العمل، والقيام بترجمة استكشافية لقصائد أولى، إلخ. لكن الفكرة لا تتحقق إلا بعد نحو ربع قرن..

❖

عرف القارئ العربي شعر ويتمان مترجمًا إلى العربية، في شكل **مختارات** متفاوتة المساحة ومنهج الترجمة. لكن أول ترجمة عربية قرأتُها لأشعار ويتمان، هي ترجمة سعدي يوسف، التي طُبعت مرارًا، وآخر مرة - قبيل كتابة هذه السطور- في القاهرة، ضمن سلسلة "المائة كتاب"، التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، بعنوان "**أوراق العشب**". وآخر ترجمة جادة تسبق ترجمتنا هذه- حسب علمي- هي ترجمة الدكتور ماهر البطوطي، "**ذكرى الرئيس لنكولن وقصائد أخرى، من ديوان** "**أوراق العشب**" **1855**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.

وفيما ركز سعدي يوسف- في مختاراته- على القصائد الأولى لويتمان، اتجه الدكتور ماهر البطوطي إلى اختيار أعمال تنتمي إلى المرحلة "الوسطى" من إبداع ويتمان.

---

[*] د. حسن عثمان: دانتي في اللغة العربية، مجلة "**الكتاب العربي**"، القاهرة، أكتوبر 1969. والرصد يتوقف عند لحظة كتابة المقال، فحسب؛ بما يعني أن الأرقام الواردة يمكن أن تكون قد ارتفعت الآن.

وجميع الملاحظات الهامشية التالية من إعداد المترجم، عدا ما يشار إلى غير ذلك.

وللاثنين- وسواهما ممن عكفوا على أعمال ويتمان عربيًّا- أفضال مؤكدة؛ من بينها فضل الاكتشاف، وكرم التقديم؛ والمحافظة على حضور اسم وشعر ويتمان في الثقافة العربية راسخًا، ومغويًا، وملهمًا لأجيال تالية، تقرأ عنه- بحكم الضرورة- بأكثر مما تقرأ له.

❖

وضع ويتمان بنفسه كلمة النهاية في طبعته الأخيرة، المسماة "طبعة فراش الموت"، التي قام بمراجعتها وإعدادها في لحظات حياته الأخيرة (دون أن يمتلك أحد اليقين بأنه قد رآها مطبوعةً قبل رحيله عن العالم):

"نظرًا لوجود طبعات متعددة، ونصوص وتواريخ مختلفة، لـ"**أوراق العُشب**"، فأود قول إنني أفضل وأوصي بهذه الطبعة، الكاملة، للنشر المستقبلي، فيما لو كان ثمة طبعات قادمة؛ كنسخة أو صورة طبق الأصل- حقًّا- من نصوص هذه الـ438 صفحة. لقد انتهت فترة التعديل اللاحقة، بالغة الضرورية للعمل المصوغ المنشور، وبخاصةٍ بالنسبة للكتب؛ وفي انتظار ما بعد ذلك تمامًا، فقد قدمت (في 438 صفحة) كلماتي الختامية".

وقد اعتمدت في ترجمتي هذه على نوعين من الطبعات: الورقية والإلكترونية. ومن الورقية، اعتمدتُ على نسختين:

1- Walt Whitman, **LEAVES OF GRASS**, Everyman's Library, London-New York [n. d.].

وهي طبعة اكتشفت- عند الاستعداد للعمل الفعلي- أنها لا تضم القصائد الكاملة لـ"**أوراق العشب**"، فتتوقف عند نهاية قصائد "ذكرى الرئيس لنكولن".

2- Walt Whitman, **LEAVES OF GRASS**, Mentor Books, New York, 1954.

وهي طبعة كاملة، تعيد إنتاج الطبعة "الأخيرة" التي أعدها الشاعر على فراش الموت، وتضم كامل القصائد التي كتبها ويتمان؛ وبالتالي، فقد اعتبرتُها المصدر الأساسي.

أما الطبعات الإلكترونية، فتتصدرها "طبعة فراش الموت" الواردة بـ"**أرشيف ويتمان**"، الذي يتضمن جميع الطبعات السابقة، طبعةً طبعة، في نصوصها الكاملة، وصولًا إلى الطبعة الأخيرة، التي اعتمدناها في الترجمة:

"http://www.whitmanarchive.org/published/LG/1891/whole.html"

ويحتوي الأرشيف الإلكتروني على مواد كثيرة بالغة الأهمية تتعلق بويتمان، سواء كانت من نصوصه أو نصوص الآخرين عنه، فضلًا عن ملف كامل للصور الفوتوغرافية، والمخطوطات، وغيرها..

كما أن هناك نسخة مماثلة تمامًا- من الطبعة الأخيرة من "أوراق العشب"- في موقع جوتنبرج الشهير:

http://www.gutenberg.org/files/1322/1322-h/1322-h.htm

وبالطبع، فثمة مواقع كثيرة أخرى- على شبكة الانترنيت- تضم "**أوراق العشب**"، في طبعات متفاوتة.

كما أنني استفدتُ في استيضاح بعض الصور الشعرية، والألفاظ الغريبة، من

Donald D. Kummings , A Companion to Walt Whitman, WILEY-BLACKWELL, USA, 2009.

رفعت سـلَّام

القاهرة: 27 يونيو 2016

سيرة ذاتية لـ"أوراق العُشـب"

إد فولسـوم [جامعة أيوا]
كينيث م. برايس [كلية ويليام وماري]

وُلد والت ويتمان لأسرة من الطبقة العاملة في وست هيلز بـ لونج أيلاند، في 31 مارس 1819، بعد ثلاثين عامًا من تنصيب جورج واشنطن كأول رئيس للولايات المتحدة، المتشكلة مؤخرًا. وقد أُسمي على اسم أبيه، النجار والمزارع، الذي كان عمره 34 عامًا عند ولادة الشاعر القادم. لكن حين كان والت يوشك على بلوغ الرابعة من عمره، انتقلت الأسرة إلى المدينة الصاعدة بروكلين، أو مانهاتن، التي سيعتبرها ويتمان- في كتاباته- المدينة الصاعدة كمركز حضري رئيسي. وإحدى قصص والت الأثيرة عن طفولته تتعلق بالوقت الذي زار فيها الجنرال لافاييت نيويورك، واختاره من بين الجموع- وهو في السادسة من عمره- ورفعه وحمله. وفيما بعد، كان ويتمان ينظر إلى هذا الحدث كنوع من مَد اليدين، من تكريس شاعر الديموقراطية المستقبلي في المدينة الحيوية للمهاجرين؛ حيث كانت أمةٌ جديدةٌ يتم اختراعها يومًا بعد يوم.

هكذا، ينتمي والت ويتمان إلى الجيل الأول من الأميريكيين الذي وُلدوا في الولايات المتحدة المتشكلة مؤخرًا، وكبروا مفترضين الوجود الراسخ للبلد الجديد. كان الزهو بالأمة الناشئة مفرطًا، واستمد السيد والتر- والد الشاعر- أسماء ثلاثة أبناء من أبطال الثورة

وحرب 1812: أندرو جاكسون، وجورج واشنطن، وتوماس جيفرسون. وحده الإبن الأصغر، إدوارد، الذي كان مُعاقًا ذهنيًّا وجسديًّا، كان يحمل اسمًا لا يرتبط بأسماء العائلة، ولا بالتاريخ.

كان السيد والتر ويتمان من سلالة إنجليزية، وأدى زواجه (1816) من لويزا ڤان ڤيلسور، وهي من أصول ألمانية، إلى ما كان ويتمان يعتبره دائمًا توترًا خصبًا لدى أبناء ويتمان بين مزاج إنجليزي أكثر تطهرية، وكبتًا، وتأملية، ونزعة ألمانية أكثر انفتاحًا، وتفاؤلية. كان والد ويتمان رجلًا صارمًا، وأحيانًا متوقد المزاج، وربما كان مدمنًا للكحوليات، واحترمه ويتمان دون أن يحس أبدًا بعاطفة قوية تجاهه. لكن أمه- في المقابل- كانت، خلال حياته، المعيار العاطفي. والمراسلات الطويلة بينهما تسجل نوعًا من المشاركة في التعامل مع أزمات الأسرة التي كانت تبرز على مر الأعوام.

الطفولة في بروكلين، وفواصل لونج أيلاند

خلال طفولة والت، تنقلت عائلة ويتمان كثيرًا في محيط بروكلين؛ إذ كان السيد والتر يحاول- بلا جدوى، في الغالب- أن يستفيد ماليًّا من التنامي السريع للمدينة، من خلال المضاربة في العقارات. وقد أحب والت العيش بجوار "إيست ريفر" (النهر الشرقي)، حيث كان يقطع المعابر ذهابًا وإيابًا من مدينة نيويورك، متمثلًا لخبرة ستبقى هامة له طوال حياته: فقد أحب المعابر والعاملين بها، وقصيدته- التي تحمل عنوان **"عابرًا معبر بروكلين"** (1856)- تستكشف الصدى الكامل لهذه التجربة. لقد أصبح فعل العبور- بالنسبة له- أحد الأحداث الأكثر إلهامًا في حياته، كحدث عملي، ومبهج، وباطني في آن. وكان الارتحال اليومي يوحي بالعبور من الحياة إلى الموت إلى الحياة من جديد، ويوحي أيضًا بالعبور من الشاعر إلى القارئ إلى الشاعر، عبر أداة القصيدة. وبعبور معبر بروكلين، اكتشف ويتمان- مبكرًا- الارتحالات السحرية التي سيحققها، في النهاية، في شعره.

ارتاد ويتمان- في بروكلين- المدارس العامة المؤسسة حديثًا، مشاركًا- في الفصول- تلاميذ من خلفيات مختلفة، كان معظمهم فقراء؛ حيث كان أطفال العائلات الثرية يرتادون مدارس خاصة. وفي مدرسة ويتمان، كان جميع التلاميذ في الغرفة نفسها، عدا الأميركيين

الزنوج، الذين كان عليهم أن يرتادوا فصولًا منفصلة، تقع في الطابق العلوي.

لكن تعليم ويتمان الأكثر أهمية تحقق خارج المدرسة، حين كان يقوم بزيارة المتاحف، ويذهب إلى المكتبات، ويرتاد المحاضرات. ودائمًا ما كان يتذكر أول محاضرة عظيمة سمعها، حين كان في العاشرة، ألقاها إلياس هيكس- زعيم الكويكر الإصلاحي- وهو أحد معارف والد ويتمان، وصديق مقرب من جَده، دون أن يكون والداه عضوين بأية طائفة دينية.

وزيارة جَديه في لونج أيلاند كانت أحد أنشطة ويتمان المفضلة في صباه. وخلال هذه الزيارات، تعمق حُب حياته لشاطئ لونج ايلاند، مستشعرًا غموض هذه المنطقة، حيث تلتقي المياه بالأرض، والسائل يمتزج بالصَّلد. وإحدى قصائد ويتمان العظيمة- "**خارج المهد الذي يهتز أبدًا**"- هي أحد مستويات ذكرياته في الصبَا على شاطئ لونج ايلاند، وكيف انبثقت رغبته في أن يصبح شاعرًا في ذلك المشهد الطبيعي. وقد شكل ريف لونج ايلاند الرعوي مقابلًا حادًّا للطاقة المحتشدة في المركز الحضري المتنامي بسرعة في بروكلين ونيويورك. وخبرات ويتمان- كشاب- تتنوع فيما بين المدينة وريف لونج ايلاند، وكان مشدودًا إلى نمطَي الحياة معًا. وهذا الولاء الثنائي يمكن تتبعه في شعره، الذي كثيرًا ما يتحول بين الزراعي والحضري.

التعليم الذاتي والمهنة الأولى

في عمر الحادية عشرة، انتهى ويتمان من تعليمه الرسمي (في ذلك الحين، كان قد تلقى بالمدرسة أكثر بكثير مما تلقاه والداه)، وبدأ حياته كعامل، في وظيفة "ساعي" لدى أحد محاميِّ بروكلين البارزين، الذي منحه اشتراكًا في مكتبة متنقلة، حيث بدأ تعليمه الذاتي. وكشخص عصامي، تشرَّب ويتمان تعليمًا انتقائيًّا، لكنه واسع الأفق، خلال زياراته للمتاحف، وقراءاته التي لا تتوقف، ونزوعه للدخول مع كل مَن التقى به في محادثة وجدَل. وفيما تمتع غالبية الكتاب الكبار الآخرين في زمنه بتعليم عالٍ، تعليم كلاسيكي في معاهد خاصة، فقد صاغ ويتمان سيرته الأدبية بصورة غير نظامية وخام، انطلاقًا من الأدب، والمسرح، والتاريخ، والجغرافيا، والموسيقى، والآثار، بالاعتماد على المصادر العامة للمدينة الأمريكية المتنامية بسرعة قصوى.

عام 1831، أصبح ويتمان متدربًا في "باتريوت Patriot"، وهي صحيفة ليبرالية للطبقة العاملة، حيث تعلم الطباعة، ومر بمتعة تحويل الكلمات إلى مطبوع، ملاحظًا كيف يمكن للفكرة والحدث أن يتحولا بسرعة إلى لغة، ويتم توصيلهما في الحال إلى آلاف القراء. وفي سن الثانية عشرة، كان يساهم بالفعل في الصحيفة، ويعرف بهجة نشر كلماته. وأول مقال موقَّع له، في صحيفة "ميرور Mirror" بنيويورك، كان يعبر عن اندهاشه من أن هناك أناسًا ما يزالون على قيد الحياة ممن يمكن أن يتذكروا "المدينة الحضرية الكبيرة الراهنة، باعتبارها نجمًا صغيرًا أو قرية؛ خضراء ومنتعشة كلها مثلما كانت، في بدئها"؛ وكتب عن أحد العبيد، "الزنجي هاري"، المتوفى عام 1758، عن عُمر 120 عامًا، وكان يتذكر نيويورك "حين لم يكن فيها سوى ثلاثة منازل". وحتى في أواخر حياته، كان يتذكر متعة رؤيته هذا المقال الأول مطبوعًا: "كيف جعل قلبي يدق بصورة مزدوجة أن أرى مقطوعتي على الورق الأبيض الجميل، في نمط لطيف". وطوال حياته كلها، سيحتفظ بهذه الافتتان بمادية المواد المطبوعة، بالطريقة التي يمكن بها لصوته وهويته أن يكمُنا في الطباعة والورق.

انتقلت الأسرة عائدةً إلى منطقة "وست هيلز" عام 1833، تاركة والتر- وهو في الرابعة عشرة من عمره- وحيدًا في المدينة، عاكفًا على صف الحروف تحت إشراف معلِّم الطباعة بجريدة "باتريوت". وخلال حياته بعيدًا عن الأسرة، كان وليام يكتسب مهارات، ويعرف استقلالًا سيصبغ عمله ومهنته كلها: فسيحمل دائمًا اهتمامًا بصف الحروف، وكيف ستبدو كلماته على الصفحة، وأي شكل طباعي ستتخذه، وأية تأثيرات ستكون للترتيبات الفراغية المختلفة. وسيحمل دائمًا استقلاله العنيد، فلا يتزوج أبدًا، ويعيش وحيدًا طوال غالبية حياته. وظل لهذه السنوات المبكرة له في بروكلين ونيويورك تأثير فاعل على كتابته؛ ذلك أنه- خلال هذا الوقت- طوَّر لديه عادة الملاحظة الوثيقة للبانوراما المتحولة أبدًا للمدينة.

ظل والت منفصلًا عن أسرته، وتقدم في دراسته بتشرُّب قوة اللغة من مصادر متنوعة: مكتبات متنقلة مختلفة (حيث قرأ أعمال السير والتر سكوت، وجيمس فينيمور كوبر، وروائيين رومانسيين آخرين)، والمسرح (حيث وقع في غرام مسرحيات شيكسبير، وشاهد جونيوس بوث، ووالد جون ويلكس بوث، وهما يلعبان دورًا رئيسيًّا في "ريتشارد الثالث"، مسرحية ويتمان المفضلة دائمًا)، والمحاضرات (حيث استمع- من بين آخرين- إلى فرانسيس رايت، المحرر الاسكتلندي الراديكالي والمدافع عن حقوق المرأة). ولدى بلوغه

السادسة عشرة، كان والت طابعًا متنقلًا وصفَّاف حروف بمدينة نيويورك. وكان يبدو أن مهنته المستقبلية ستكون في عالم الصحافة والطباعة. لكن حريقين من أسوأ حرائق نيويورك آنئذٍ أبادا المراكز الرئيسية العاملة في مجال الأعمال والطباعة. ووسط المناخ المالي المشئوم، لجأ ويتمان إلى لونج ايلاند الريفية، ملتحقًا بأسرته في هامبستيد عام 1836.

سنوات التعليم المدرسي

ومهنته التالية غير المتوقعة كانت التدريس. فبالرغم من أن تعليمه الرسمي كان- بمعايير اليوم- في حده الأدنى، فإنه اكتسب- كمتدرب بالصحف- مهارات القراءة والكتابة، بما يزيد عن حاجة نوع التدريس الذي سيجد نفسه يعمل به على مدى السنوات القليلة التالية. كان يعرف أنه لا يريد أن يصبح مزارعًا، وتمرد على محاولات أبيه لأن يعمل في مزرعة الأسرة الجديدة. ولهذا كان التدريس مهربًا، لكنه- في الوقت نفسه- وظيفة كان مجبرًا على القيام بها في أوقات اقتصادية رديئة، في ما لا يقل عن عشرة مدن مختلفة بلونج ايلاند، مقيمًا في منازل تلامذته، معلمًا لدورات الشهور الثلاثة في فصول ضخمة ومتباينة (بعضها كان يضم ما يزيد عن ثمانين تلميذًا، من عمر خمسة إلى خمسة عشر عامًا، لما يصل إلى تسع ساعات يوميًّا)، ليحصل على أجر بالغ الضآلة، مُضطرًّا للتعامل مع أناس بالغي الجهل والجهالة. وبعد متعة بروكلين ونيويورك، فإن هذه المدن المعزولة بلونج ايلاند غالبًا ما كانت تصيبه بالاكتئاب. كتب إلى صديق يُدعَى أبراهام ليش: "لم أرَ أبدًا الإنسانية في مثل هذا الشكل المنحط، مثلما هنا"، فيما كتب من وُودبيري عام 1840: "الجهل، والفظاظة، والفجاجة، والخداع، والبلادة هي الآلهة الحاكمة لبؤرة اليأس الفاسدة هذه".

وتوحي بعض المؤشرات بأن ويتمان قد استخدم ما كان يعتبر تقنيات تقدمية آنذاك- تشجيع التلاميذ على التفكير علنًا بدلًا من التلاوة ببساطة، رافضًا العقاب بالضرب، دافعًا تلاميذه إلى مباريات تعليمية، وملحقَهم بمباريات البيسبول. ولم يتردد في استخدام قصائده الشخصية- التي كان يكتبها آنذاك بغزارة نسبية، برغم أنها كانت أبياتًا مقفاة، تقليدية، لا تُنبئ بالشعر الخلاق القادم- كنصوص في فصوله. وفيما كان يواصل الكتابة بغزارة عن المسائل التعليمية، ويتوفر على اهتمام حميم بكيفية اكتساب المعرفة، فقد كان من الواضح

أنه ليس ملائمًا ليكون مدرس قرية.. وقد أبقى على نفسه حيًّا بصورة ثقافية بمشاركته الفعالة في جمعيات المناظرات والحملات السياسية: فمستلهمًا المصلح الاسكتلندي فرانسيس رايت، الذي جاء إلى الولايات المتحدة لدعم مارتن فان بورين في الانتخابات الرئاسية عام 1836، أصبح ويتمان عاملًا فعالًا في الحزب الديموقراطي.

وبحلول 1841، انتهت مهنة ويتمان الثانية. فقد قطع عمله بالتدريس عام 1838، ليجرب حظه في بدء صحيفته "ذا لونج ايسلندَر"، المخصصة لشؤون المدن المحيطة بهانتنجتون. وأحضر مطبعة وعيَّن شقيقه الأصغر جورج مساعدًا له، لكنها- برغم جهوده الحيوية في التحرير، والنشر، والكتابة- لم تستمر سوى عام، ليعود على مضض إلى فصول الدراسة. وبعد عامين، ترك فجأةً عمله كمدرس. وكتب بعض المواد الصحفية في أواخر الأربعينيات. ويبدو أنه قد هجر التدريس لأن مزاجه لم يتوافق معه. وفضلًا عن ذلك، فقد كانت لديه مهنة جديدة متاحة له: لقد قرر الآن أن يصبح قصَّاصًا. ومن أجلها، فسيكون بحاجة إلى العودة إلى نيويورك، وإعادة تأسيس نفسه في عالم الصحافة.

ويتمـان، القصَّـاص

كم كان ويتمان طموحًا كقصَّاص؟ توحي الشواهد بأنه كان أكثر من هاوٍ، وأنه انغمس بصورة محمومة في تأليف القصص. وقد نشرت حوالي عشرين صحيفة ومجلة مختلفة قصص ويتمان وقصائده الأولى. وأفضل أعوامه القصصية كانت بين 1840 و1845، حين نشر قصصه في مجلات من قبيل "أميريكان ريڤيو" و"ديموقراطيك ريڤيو"، أهم المجلات الأدبية الأميريكية.

وقصصه المبكرة آسرة في معظمها، لأنها تتناول- بصورة غير مباشرة- أمورًا مهنية ونفسية هامة. وقصته الأولى المنشورة "**الموت في الفصل الدراسي**"، مستمدة من خبرته التعليمية، حيث يأمل الراوي في أن يتم اعتبار "الكثير من المناهج البارعة في تعذيب الطفل تذكارًا مُحتقَرًا لعقيدة جاهلة، قاسية، سفيهة".

وفي عدد خاص من "نيو وورلد New World"، نشر ويتمان قصته "**فرانكلين إيفانز؛ أو السِّكِّير**"، التي تنتهي بطريقة أخلاقية تقليدية، تتعلقبالسماح بالحسية في الأدب تحت

قناع أخلاقي. والقصة- مع ذلك- تمثل أحد الاستكشافات المبكرة في الأدب الأميركي لموضوع تمازج الأجناس العرقية، ومعالجتها لشخص مُستعبَد (أبيض)، أسير للتُّرب، ملفتة.

وللغرابة، فقد باعت "فرانكلين إيفانز" نسخًا أكثر من أي عمل آخر لويتمان خلال حياته (نحو 20 ألف نسخة). لقد نجح العمل رغم أنه تلفيق مُرقَّع من كتابة جديدة وقصص مؤلفة من قبل.

الصحفي الجـوَّال


1848

ومع مرور الزمن الذي كان يكتب خلاله القصص، ظل ويتمان صحفيًّا ناجحًا بشكل عام. وقد حافظ على مظهر عصري: كان عادةً ما يرتدي معطفًا وقبعة عالية، ويحمل عصًا صغيرة، وطية صدر معطفه كان مزينة تقريبًا بلا تغيير بزهرة العُروة. وخلال عامي 1842 و1843، كان يتنقل بسهولة بين المواقع (حيث كان ذلك شائعًا وسط الصحفيين). وكان يكتب في موضوعات تمتد من نقد كيفية مطاردة البوليس للعاهرات، إلى استنكار جون هيوز على محاولته استخدام الأموال العامة في دعم مدارس الأبرشية.

ترك ويتمان نيويورك في 1845، ربما بسبب الاهتزاز المالي الناجم عن دخله المتذبذب. وعاد إلى بروكلين، وإلى عمل أكثر انتظامًا في مناخ صحفي أقل تنافسية إلى حدٍّ ما. وكثيرًا ما اعتُبر كاتب مدينة نيويورك، وقد انتهت بالفعل آنذاك إقامته وعمله الوظيفي بالمدينة، قبل عقد كامل من الظهور الأول لـ"أوراق العُشب". وعلى أية حال، فحتى بعد انتقاله إلى بروكلين، إلا أنه ظل مرتبطًا بنيويورك.

عاشق الأوبرا

كانت الأوبرا إحدى المفاتن الكثيرة التي شجعت ويتمان على العودة المتكررة إلى نيويورك. في عام 1846، بدأ ويتمان حضور العروض، بانتظام لم يقطعه سوى نشوب الحرب الأهلية (وحتى خلال الحرب، نجح في حضور عروض الأوبرا حينما كان يعود إلى نيويورك). كان ويتمان يحب فكرة الجسد الإنساني باعتباره أداته الموسيقية. وسيتجلى افتتانه بالصوت- فيما بعد- في رغبته في أن يصبح خطيبًا، وفي إدراجه المتكرر للعناصر الخطابية في شعره. وبالنسبة لويتمان، فإن الاستماع إلى الأوبرا له كثافة "قبضة الحب". وبصورة خاصة، كانت السوبرانو العظيمة ماربيتا ألبوني تبعث فيه النشوة: وطوال حياته ستبقى معياره للأداء الأوبرالي العظيم. وقصيدته "**إلى مغنيةٍ معينة**" موجهةٌ إليها باعتبارها ندًّا لأي بطل. وذات يوم، قال ويتمان، بعد حضوره إحدى الأوبرات، إن التجربة كانت من القوة بحيث تفتتح حقبة جديدة في تطور المرء. وحين ألَّف فيما بعد قصيدة تصف الإحساس البازغ للإصاتة ("**خارج المهد الذي يهتز أبدًا**")، فقد منحته الأوبرا مفاتيح المعنى البنائية والسياقية.

الصحفي النَّاضج

وسط أربعينيات القرن، كان لدى ويتمان وعي وثيق بالمنابع الثقافية لمدينة نيويورك، وربما معرفة داخلية أكبر بالحياة الصحفية بنيويورك. وقد اعترفت "لونج ايلاند ستار Long Island Star" بقيمته كصحفي، ورتبت على عجل- ما إن عاد للاستقرار في بروكلين- لأن يكتب لها سلسلة من الافتتاحيات، اثنتين أو ثلاثًا كل أسبوع، من سبتمبر 1845 إلى مارس 1846. ومع وفاة وليام مارش، رئيس تحرير جريدة "إيجِل Eagle" ببروكلين، أصبح ويتمان المحرر الرئيسي لهذه الصحيفة (عمل فيها من 5 مارس 1846 إلى 18 يناير 1848). لقد كرس نفسه للصحافة هذه الأعوام الثلاثة، ولم ينشر سوى القليل من شعره وقصصه. وعلى أية حال، فقد قدم مراجعات أدبية إلى "إيجِل"، وقدم تعليقات- حتى لو كانت غالبًا سطحية- على كُتاب من قبيل كارلايل وإمرسون، الذي سيكون له- في العقد التالي- تأثير هام على "**أوراق العُشب**". ومنح دور المحرر لويتمان أرضية يعلق منها على

قضايا مختلفة، من إضاءة الشارع إلى السياسة، ومن البنوك إلى الشعر. لكن ويتمان يدعي أن ما كان يثمنه أكثر من غيره لا القدرة على نشر أفكاره، بل بالأحرى ما هو أكثر حميمية، "النمط الغريب من التعاطف... الذي انبثق في عقل موجِّه جريدة مع الجمهور الذي يخدمه. فقد كان يحبهم".

وبالنسبة لويتمان، فأن تخدم الجمهور يعني أن تؤطر القضايا بالتوافق مع مصالح الطبقة العاملة- وهو ما يعني عادةً لدى ويتمان مصالح الطبقة العاملة البيضاء. وبين الحين والحين، كان ويتمان يعبر عن غضبه البالغ إزاء الممارسات التي تدعم العبودية نفسها. ومثل لنكولن، كان يعارض باستقامة العبودية، وامتداداتها الأبعد.

الإقامـة في نيو أورليـانز

لحسن الحظ، في 9 فبراير 1848، التقى ويتمان- فيما بين فصول أحد عروض مسرح برودواي بنيويورك- مع ج. إ. مَكلُور، الذي كان ينتوي إصدار صحيفة بنيو أورليانز، باسم "كريسنت Crescent"، مع أحد الشركاء. وفي وقت قصير بشكل مذهل- يُقال خمسة عشر دقيقة- أنهى مكلُور اتفاقًا مع ويتمان، ومنحة دفعة مقدمة ليغطي مصروفات رحلته إلى نيو أورليانز. وأدت الرحلة- بالقطار، والقارب البخاري، والحنطور- إلى توسيع إحساس ويتمان بجغرافيا البلد وتنوعه، حيث ترك مدينة نيويورك ومنطقة لونج ايلاند للمرة الأولى.

في نيوأورليانز، واجه مدينة مفعمة بالحيوية والإثارة. تجول في الحي الفرنسي والسوق الفرنسية القديمة، مأخوذًا بـ"الباعة الجائلين الهنود والزنوج مع بضائعهم"، و"المرأة الخلاسية الضخمة" التي باعت له أفضل قهوة ذاقها في حياته. استمتع بـ"الجانات الرائعة والفسيحة"، "بنبيذها الفاتن والبراندي الفرنسي اللطيف والرائع" الذي أتى به الجنود العائدون مؤخرًا من الحرب مع المكسيك، ولقاءاته الأولى مع شبان شهدوا المعركة، والكثيرون منهم يتعافون من جراح الحرب التي وقعت في نيو أورليانز، كنذير بتجاربه في الحرب الأهلية. لقد فُتن بالمزيج المُسكر للغات- الفرنسية والأسبانية والإنجليزية- في هذه المدينة الحضرية، وبدأ في رؤية إمكانيات ثقافة أميريكية متميزة تنبثق من تمازج الأعراق والخلفيات (ربما كان غرامه باستخدام الكلمات الفرنسية مستمدًّا من إقامته بنيو أورليانز).

لكن الطبيعة الغرائبية للمدينة الجنوبية لم تخل من فظائع: فالعبيد تُقام عليهم المزادات بالقرب من مسكن أشقاء ويتمان. ولم ينس ويتمان أبدًا رؤيته لكائنات بشرية ضمن المزاد، واحتفظ بإعلان عن مزاد للعبيد معلقًا بغرفته لأعوام طوال، تذكيرًا بأن مثل هذه الوقائع اللاإنسانية كانت تقع بانتظام في الولايات المتحدة. كان مزاد العبيد تجربة ستندمج فيما بعد في قصيدته "**أغني الجسد المثير**".

أحس والت بالعافية بصورة مدهشة في نيو أورليانز، منتهيًا إلى أنها قد توافقت معه بأكثر من نيويورك. لكن- بالرغم من ذلك- فقد أبدى مُلاك "كريسنت" ما أسماه ويتمان بـ"نوع فريد من البرود" تجاه محررهم الجديد. وربما خشوا من أفكاره غير المحافظة، وبخاصةٍ فيما يتعلق بالعبودية. ولم تستمر إقامة ويتمان في نيو أورليانز سوى ثلاثة شهور.

الشـاعر الناشـئ

وقد أنتجت رحلته الجنوبية بعض التخطيطات المفعمة بالحيوية عن حياة نيو أورليانز، وقصيدة واحدة على الأقل، "**مبحرًا في المسيسيبي في منتصف الليل**"، التي تصبح فيها رحلة القارب البخاري رحلة رمزية للحياة.

شَاسعٌ وَبِلا نُجُوم، حجَابُ السَّمَاء
يَلُف الحِجَابَ المنتَشِرَ فِي الأَسفَل؛
وَقُدُمًا، قُدُمًا، فِي ظُلمَةٍ مهِيبَة،
كَأَنَّنَا نَمضِي فِي بَحرِ الضَّيَاع.

وخلال غالبية الأربعينيات، كان ويتمان يكتب قصائد تقليدية من هذا القبيل، تحمل غالبًا أصداء بريانت و- أحيانًا- شيللي وكيتس. وربما كان لـ بريانت و"مدرسة المقبرة" بالشعر الإنجليزي التأثير الأهم على حساسيته، كما يمكن رؤيته في قصائده السابقة على "**أوراق العُشب**". كان شعر تلك السنوات مفتعَلًا في الأسلوب ووعظيًّا في الغاية؛ ونادرًا ما كان يبدو مُلهَمًا أو مبدعًا. وعلى العكس، فاللغة المستهلكة عادةً ما كانت تجعل القصيدة خامدة. ومع نهاية العِقد، على أية حال، قام ويتمان بتعليم ذاتي جاد في فن الشعر، متخذًا

طريقة متحررةً تمامًا- جمَّع المقالات والمراجعات المتعلقة بكبار الكتاب البريطانيين والأميركيين، وفيما كان يقوم بدراستهم جميعًا، بدأ في أن يكون قارئًا أكثر عدوانيَّة ومستجيبًا مقاومًا. وملاحظاته على هوامش على هذه المقالات توضح أنه كان يتعلم الكتابة لا على طريقة أسلافه، بل على النقيض منهم.

واللغز المتعلق بويتمان- في أواخر الأربعينيات- هو سرعة تحوله من شاعر غير أصيل وتقليدي إلى شاعر تخلى فجأةً عن الوزن والقافية التقليديين. وفي تدويناته الموجزة آنذاك، قام باستغلال الجمال الغريب للتصوير المألوف، ليعثر على الجمال فيما هو عادي، لكن مُعبرًا عنه بطريقة غير عادية. وما عُرف بكراسة ويتمان المبكرة ربما تكون قد كُتبت في نحو عام 1847، بالرغم من أن معظم كتاباتها قد تكون مستمدة من أوائل الخمسينيات. وتضم الوثيقة الاستثنائية المفاصل المبكرة لبعض أفكار ويتمان الأكثر إلحاحًا. وثمة مقطوعات فيها- عن "الشخصية الأمريكية المتوسعة النبيلة حقًّا"، وعن "أفلاك الروح"- هي عبارات نثرية بارزة تعبر عن الإحساس المتوسع بالذات الذي كان ويتمان يكتشفه في ذاته العميقة، ليخلق الظروف- مُرسيًا نبرة وتركيبة الأفكار- التي ستسمح له بكتابة "**أوراق العُشب**" القادم.

وفي 16 يوليو 1849، أكد الناشر لورنزو فاولر- المرشد الروحي، والمصلح الاجتماعي- على الإحساس المتنامي لويتمان بالقدرة الذاتية. وارتباط ويتمان بلورنزو فاولر سثبت أنه ذو أهمية متواصلة إلى الخمسينيات. فأبناء فاولر هُم مَن قاموا بتوزيع الطبعة الأولى من "**أوراق العُشب**"، ونشروا الطبعة الثانية مُجهَّلة.

التوجهات العِرقيـة وجذور "أوراق العُشب"

وقد طرأ تحول محوري ومتنامٍ لدى ويتمان في فترة تحوله الشعري هذه. فتوجهاته- وبخاصةٍ ميوله العرقية- قد تعرضت لتبدل عميق. فقد كان ويتمان الصحفي ينطق باهتمامات الراهن، من منظور طبقي خاص، حين وضع في المقدمة مصالح العمال البيض، غير مَعني فيما يبدو- في ذلك الحين- بأزمة السود. وربما حفزت تجربة نيو أورليانز على تغير

في ميله، ازداد كثافة بفعل عدد متزايد من الصداقات مع مفكرين وكُتاب إصلاحيين قادوا ويتمان- بلا وعي- إلى إعادة التفكير في توجهاته إزاء قضية العِرق والمساواة. وأيًّا ما كان السبب، ففي شعر ويتمان المستقبلي، سيتخذ السود مكانةً مركزية في مشروعه الأدبي الجديد، ولفهمه الجذري للديموقراطية. وتؤكد مقطوعات الكراسة على أن الشاعر لديه "النحو السماوي لجميع الألسنة (اللغات)، ويقول بلامبالاة، وبالطريقة نفسها، كيف حالك يا صديقي؟ إلى الرئيس وسط اجتماع وزارته، وصباح الخير يا أخي، إلى سامبو وسط عَزق حقل القصب".

ويبدو أن إحباطات ويتمان المتزايدة من المعالجات الوسطية للحزب الديموقراطي لأزمة العبودية قادته إلى مواصلة جهوده السياسية من خلال أدوات الشعر التجريبي، الأكثر رهافة ولا مباشرة؛ شعر كان يأمل في أن تقرأه حشود من الأمريكيين المتوسطين، ليلعب دورًا في تحويل طريقتهم في التفكير. وعلى أية حال، فالسطور الأولى من كراسته تركز مباشرة- على طريقة "أوراق العُشب"- على المسألة الجوهرية التي تقسم الولايات المتحدة. وتنطلق كراسته في الشعر الحر- للمرة الأولى- في سطور تسعى إلى الربط بين مقولات متعارضة، إلى تواصل السود والبيض، إلى الجمع بين السيد والعبد:

أنَا شَاعِرُ الجَسَد
وأَنَا شَاعِرُ الرُّوح
أَمضِي مَع عَبِيدِ الأَرضِ مِثلَمَا مَع السَّادَة
وَسَأقِفُ بَينَ السَّادَةِ وَالعَبِيد،
أَتَدَاخَلُ فِي كِلَيهِمَا حَتَّى يُمكِن لَهُمَا أَن يَفهَمَانِي عَلَى السَّوَاء.

واجتراء ذلك السطر الأخير يظل صادمًا. ففيما كان معظم الناس يميلون إلى جانبٍ أو آخر، وضع ويتمان نفسه في تلك المسافة- العنيفة أحيانًا، الإيروتيكية أحيانًا، المتفجرة دائمًا- فيما بين السيد والعبد. وقاده يأسه السياسي الأقصى إلى أن يحل شخصه محل ما يسميه الآن "حثالة" السياسة الأميريكية الفاسدة في الخمسينيات- باعتباره "شامان"[*]، أو "موجهًا ثقافيًّا"، كـ"أنَـا" شمولية.

---

[*] كاهن يستخدم السحر في مداواة المرضى، ولكشف المخبوء، والسيطرة على الأحداث.

تلك "**الأنا**" أصبحت السمة الأساسية في "**أوراق العُشب**"، ذلك الكتاب المتفجر من اثنتَي عشرة قصيدة بلا عنوان، كتبها في أوائل الخمسينيات، ومن أجلها قام ببعض صف الحروف، وصمم الغلاف، وأشرف بعناية على جميع التفاصيل. وحين كتب ويتمان "**أنَا، وعُمري الآنَ السَّادِسَةُ والثَّلاَثُون، بِكَامِلِ صِحَّتِي، أَبدَاً**"، كان يعلن عن هوية جديدة لنفسه، وإن جاءت في سن متأخرة بالنسبة لشاعر. ففي مثل هذه السن، كان كيتس قد مات منذ عشر سنوات؛ ومات بايرون في مثل هذه السن بالتحديد؛ وقدم ووردزوورث وكولريدج "أناشيد غنائية Lyrical Ballads" والاثنان في عشرينياتهما، وكتب بريانت أهم قصائده في عمر السادسة عشرة؛ وقدم غالبية الشعراء الرومانتيكيين العظام- الذين كان ويتمان معجبًا بهم- معظم عملهم اللامع مبكرًا في مراهقتهم. وكان ويتمان على النقيض؛ ففي الوقت الذي بلغ فيه منتصف الثلاثينيات، بدا محكومًا، إذا ما أراد تحقيق شهرة في أي مجال، بأن يكون صحفيًّا، أو ربما كاتبًا للرواية. لكن لم يكن بمقدور أحد أن يخمن أن هذا الكاتب للروايات الحسية والشعر العاطفي، وهو في منتصف العمر، سيبدأ في إنتاج عمل سيقود- في النهاية- الكثيرين إلى أن يعتبروه الشاعر الأعظم والأكثر ثورية في أميريكا.

والسر الذي أربك كُتاب السيرة والنقاد- على مدى الأعوام- هو الحافز على التحول: فهل تعرض ويتمان لإضاءة روحية من نوعٍ ما فتحت بوابات فيضان نوع جذري جديد من الشعر، أم أن ذلك الشعر هو نتيجة ستراتيجية أصيلة ومحسوبة بعناية، تمزج الصحافة، والخطابة، والموسيقى الشعبية، والقوى الثقافية الأخرى في صوت أميريكي إبداعي، كالصوت الذي طالب به رالف والدو إيمرسون في مقالته "الشاعر"[*]. كتب إيمرسون أن ".. أميريكا قصيدةٌ في نظرنا؛ جغرافيتها الشاسعة تُبهر الخيال، ولن تنتظر طويلًا الشعر". وقد بدأ ويتمان كتابة الشعر الذي بدا- بكل عنفوان ومنهجية مع ذلك- أنه يرصد كل شيء مُفرد نادى به إيمرسون. وبدأ مقدمته لطبعة 1855 من "**الأوراق**"، باقتباس إيمرسون: "إن الولايات المتحدة في ذاتها هي- بصورة جوهرية- القصيدة الأعظم". والنظرة الرومانتيكية تجاه ويتمان تكمن في أنه قد أُلهم فجأةً- وبصورة مندفعة- كتابة قصائد حولت الشعر

[*] **رالف والدو إيمرسون** Ralph Waldo Emerson: شاعر وكاتب ومفكر أميريكي مرموق (1803-1882). رائد حركة التعالي Transcendentalist في منتصف القرن التاسع عشر.

الأمريكي؛ والنظرة الأكثر واقعية ترى أن ويتمان قد كرس نفسه- خلال السنوات الخمس السابقة على الطبعة الأولى من "**الأوراق**"- لسلسلة منضبطة من التجارب التي قادت إلى التأسيس التدريجي والمعقد لأسلوبه الفريد. أكان هو حقًّا الشاعر الثَّمِل الذي تخيله إيمرسون، أم كان المهندس المعماري لذات شعرية تحاكي بسخرية وذكاء وصف إيمرسون؟

وثمة شاهد يدعم كلا النظريتين. ونحن لا نعرف سوى القليل للغاية من تفاصيل حياة ويتمان في بدايات الخمسينيات من القرن التاسع عشر؛ كأنه قد انسحب من العالم الخارجي ليتلقى الوحي. وثمة مخطوطات باقية، معدودة نسبيًّا، لقصائد الطبعة الأولى من "**الأوراق**"، تقود الكثيرين إلى الاعتقاد بأنها قد انبثقت في سَورة إلهام. ومن الناحية الأخرى، فإن المخطوطات الباقية تشير إلى أن ويتمان قد اشتغل وراجع مقطوعات من قصائده بصورة موسوسة، مراجعًا بتدقيق مسودات كاملة للقصائد، وأنه أصدر تعليمات تفصيلية إلى مَن كانُوا يَصُفُّون كتابه، مشرفًا بعناية على كل مظهر من إنتاج كتابه.

ويبدو ويتمان، آنذاك، كشاعر مُلهَم وحرَفي بارع في آن، في سحر أسلوبه المكتشف حديثًا والفاتن في الشعر الحر، فيما يبقى أيضًا مسيطرًا تمامًا عليه، مُحكِمًا ومُبدلًا ومعيدًا للترتيب. أما باقي حياته، فسيضيف، ويمحو، ويصهر، ويفصل، ويعيد ترتيب القصائد التي أصدرها في ست طبعات بالغة التمايز من "**أوراق العشب**". وقد وصف إيمرسون- ذات مرة- شعر ويتمان بأنه "مزيج رفيع من البهاجڤاد جيتا[*]Bhagvat Ghita وصحيفة نيويورك هيرالد"، وأن التركيب الغريب للغة الكتابة والعامية، السامي والدنيوي، يمثل خصوصية عمل ويتمان، عمل يتلقاه غالبية القراء باعتباره ساحرًا وعاديًّا، رفيعًا ونثريًّا، في آن. كان عملًا أنتجه شاعر حكيم وبائع جوال، لامس الآلهة بأصابع ملوثة بالحبر، ومهموم كثيرًا بمبيعات كتابه وبالمتابعات الصحفية له مثلما بحالة الروح الإنسانية.

الطبعة الأولى من "أوراق العُشب"

أنفق ويتمان من جيبه الخاص على إصدار الطبعة الأولى من كتابه، التي بلغت 795

[*] **البهاجافاد جيتا** Bhagavad Gita: نقش هندوسي باللغة السنسكريتية يتألف من 700 سطر شعري، يمثل جزءًا من الملحمة الهندوسية "**المهابهاراتا**".

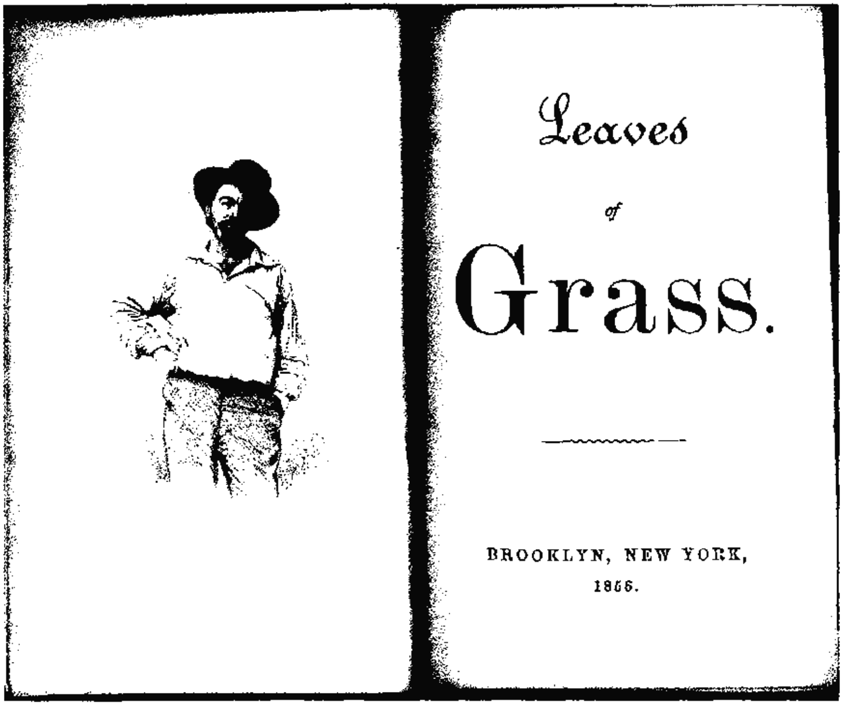
نسخة، قام بتجليدها في أوقات مختلفة، كلما سمحت أوضاعه المالية. ورغم أن النقاد وكُتاب السيرة كثيرًا ما خمنوا أن الكتاب قد ظهر في الرابع من يوليو، ليصبح بذلك شارةً مناسبة على الاستقلال الأدبي الأميركي، فإن إعلانات جريدة "بروكلين ديلي إيجل" تؤكد على أن "**الأوراق**" قد صدر بالفعل أواخر يونيو. وسرعان ما تقلصت فرحته بصدور الكتاب بفعل وفاة والده، بعد عدة أسابيع من صدوره. والآن، فإن وفاة والده، مع غياب شقيقه الأكبر جيسي كبحار تجاري (والعنف المتزايد- فيما بعد- لجيسي واهتزازه العقلي)، كل ذلك كان يعني أن والت سيصبح الأب البديل للعائلة، الذي ستعتمد عليه الأم والأخوة في المساعدة والإرشاد.

كان يمتلك بالفعل بعض الخبرة ليلعب هذا الدور حتى خلال حياة والده؛ ربما بفعل عادات والده في السُّكر والإحباط المتزايد العام. والآن، أصبح الشخص الوحيد الذي يمكن للأم والأشقاء الاعتماد عليه. لكنه- حتى مع تحمله لهذه الأعباء الأسرية المتزايدة- نجح في التركيز على كتابه الجديد؛ فأشرف على تفاصيل صفِّه وطباعته، وتوزيعه، وحاول ضبط عملية استقباله.

وبالرغم من أن ويتمان قد أعلن أن الطبعة الأولى قد نفدت، فإن الكتاب عانى- في الحقيقة- من ضعف المبيعات. وقد أرسل عددًا من النسخ إلى الكتاب المشهورين (من بينهم جون جرينليف ويتيار، الذي رمَى بنسخته في النار)، لكن الوحيد الذي تجاوب- بصورة معقولة- كان إيمرسون، الذي تعرف في عمل ويتمان على الروح والنبرة والأسلوب الذي كان يطالب به. "**إنني أحييك في مستهل عمل عظيم**"، كتب له إيمرسون في خطاب شخصي، مشيرًا إلى أن "**أوراق العشب**" "يتجاوب والمطالبة التي دائمًا ما كنت أقوم بها لما كان يبدو أنه الطبيعة العقيم والبخيلة، كأن العمل اليدوي الزائد، أو السائل الليمفاوي الزائد في المزاج، كانا يجعلان من حواسنا الغربية بدينة ووضيعة". أما عمل ويتمان فكان يضع البلد شعريًّا في شكلٍ ما، أو- كما كان يعتقد إيمرسون- يمنحـها شكلًا.

كان كتاب ويتمان مُنجزًا إستثنائيًّا: فبعد محاولة- لما يزيد على عقد كامل- لتناول المسائل الاجتماعية في الصحافة والرواية (من قبيل التعليم، العبودية، الدعارة، الهجرة، التمثيل الديموقراطي)، التي كانت تتحدى الأمة الجديدة، تحول الآن ويتمان إلى شكل غير مسبوق، نوعٍ من القصائد التجريبية القائمة على سطور طويلة غير مقفاة، بدون وزن

معروف؛ والصوت مزيجٌ خارقٌ من الخطابة والصحافة والإنجيل- مخاطبًا، دنيويًّا، نبويًّا- في خدمة تحقيق نزوع ديموقراطي أميريكي جديد؛ صوتٌ يرصد التنوع في البلد، وينجح في أن يراه في هوية شاسعة، فريدة، موحدة. "هل أناقض نفسي؟" سأل ويتمان بحميمية قُرب نهاية القصيدة الطويلة التي سيعنونها بـ"**أغنية نفسي**": "**حسنًا إذن... إنَّنِي أُنَاقِضُ نَفسِي؛/ أَنَا شَاسِع... أَحتَوِي العَدِيد**". صوتٌ جديد يتحدث عن الوحدة في زمن التقسيم الاستثنائي والتوتر في الثقافة، بيقين شخص يمكن له الاحتفال بكل شيء- أيًّا ما كان مدى



انحطاطه- باعتباره جزءًا من نفسه. "فما هو الأكثر ابتذالًا، الأرخص، الأقرب، الأسهل، هو أنـا". ودوّى صدى عمله مع اللغة الغريبة للطبقة العاملة المدينية، ووصل عميقًا إلى الأركان المختلفة من ثقافة القرن التاسع عشر المزعجة، وتردد صداه مع السياسات العاصفة للأمة، وموسيقاها المتعددة، وتكنولوجياتها الجديدة، وافتتانها بالعلم، وفخرها المتزايد بلغة أميريكية كانت تتشكل كلسان لغوي منفصل عن الإنجليزية البريطانية.

وبالرغم من أن هوية مؤلف "**أوراق العشب**" لم تكن سرية، فإن حقيقة أن ويتمان لم يضع اسمه على الغلاف كانت غير تقليدية، وفعلًا موحيًا (لن يظهر اسمه- في الواقع- على

غلاف "**الأوراق**" حتى "طبعة المؤلف" من الكتاب عام 1876). وغياب اسم المؤلف كان يشير، ربما، إلى أن مؤلف هذا الكتاب يعتقد أنه لم يكن يتكلم إلى نفسه بقدر ما يتكلم إلى أميركا. لكن- في مواجهة صفحة العنوان- كان ثمة بورتريه مرسوم لويتمان، حفر عن صورة فوتوغرافية للمصور جابرييل هاريسون، التقطها في صيف 1854؛ حيث والت بملابس عامل، والقميص مفتوح، واضعًا القبعة مائلة إلى الجانب، وهو يقف خلي البال، ويحدق في القارئ بنظرة متحدية.

وضعٌ بكامل الجسم يشير إلى إعادة تقويم ويتمان لدور الشاعر باعتباره الناطق باسم الديموقراطية، الذي لم يعد يتحدث بوازع من الذهن، وبشكلانية التراث والتعليم: فالشاعر الجديد الذي يتم تصويره في كتاب ويتمان هو شاعر يتحدث من وبكامل الجسد، ويكتب بالخارج، في الطبيعية، لا في المكتبة. وهو ما أسماه ويتمان شعر "الفريسكو"؛ شعر يُكتب خارج الجدران، والحدود، والتقليد والتراث.

"أوراق" 1856

خلال بضعة شهور من صدور الطبعة الأولى من "**الأوراق**"، كان ويتمان يعكف بالفعل- بأقصى ما يستطيع- على الطبعة الثانية. وفيما منح سطوره الطويلة مساحة لتمتد عبر الصفحة- في الطبعة الأولى- من خلال طباعة الكتاب على صفحات كبيرة القَطع، فقد ضحَّى- في الطبعة الثانية- بالصفحات الواسعة، وأصدر ما أسماه فيما بعد "الكتاب المكتنز السمين"، محاولته المبكرة لخلق طبعة "كتاب جيب" تمنح القارئ ما فكَّر فيه ويتمان باعتباره "متعة مثالية"- "أن تضع الكتاب في جيبك وتمضي إلى شاطئ البحر أو الغابة". وعلى غلاف هذه الطبعة، التي نشرها ووزعها فاولر وويلز (رغم أن المؤسسة باعدت بينها بعناية وبين الكتاب، بإعلان أن "المؤلف ما يزال هو ناشر الكتاب")، زين ويتمان الكتاب بأول "نبذة" في تاريخ النشر الأميركي: فبدون استئذان إيمرسون، طبع بالذهب على واجهة الكتاب الكلمات الافتتاحية لخطاب إيمرسون إليه: "**إنني أحييك في مستهل عمل عظيم**"، مقرونةً باسم إيمرسون. وليحقق الدعاية لكتابه، ألحق بالكتاب مجموعة من المتابعات الصحفية للطبعة الأولى- تشمل ثلاثًا كتبها هو بنفسه مع بضع متابعات سلبية أخرى-

وأسمى هذاالمجموع "تساقط الأوراق". كان ويتمان رائدًا لاستراتيجية "أية دعاية أفضل من عدم الدعاية". وعلى ظَهر الكتاب، قام بطبع رسالة إيمرسون كاملة (مرةً أخرى، بدون إذنه)، وكتب رسالة مفتوحة طويلة- كنوع من الدفاع عن شعره- موجهة إلى "السيد". ورغم أنه فيما بعد سينفي تأثير إيمرسون على شعره، في ذلك الحين، فإنه تذكر فيما بعد أن "إيمرسون على الرأس".

وقد أضافت طبعة 1856 من "**الأوراق**" عشرين قصيدة جديدة إلى الاثنتَي عشرة التي ضمتها طبعة 1855. ولم تكن قصائد الطبعة الأولى معنونةً عام 1855، لكن ويتمان كان يبذل قصارى جهده ليجعل الطبعة الجديدة تبدو وتدفع إلى الإحساس بأنها مختلفة: صفحات صغيرة بدلًا من الكبيرة، كتاب سمين بدلًا من كتاب نحيل، وعناوين طويلة لقصائده بدلًا من لا شيء إطلاقًا. وكأنما لمواجهة بعض الانتقادات المبكرة، بأنه لا يكتب في الواقع شعرًا بالمرة- فالمتابعة التي قدمتها "لايف اللستريتيد"، على سبيل المثال، أسمت عمل ويتمان "سطور من النثر الإيقاعي، أو سلسلة من الملفوظات (لا ندري ما نسميها سوى ذلك)"- وضع ويتمان كلمة "**قصيدة**" في عنوان كل الأعمال الاثنين والثلاثين في طبعة 1856 من "**الأوراق**". وكأنما أراد ويتمان أن يقول إنها قصائد، شاء مَن شاء وأبَى مَن أبَى. لكن، رغم جهوده في إعادة صياغة كتابه، فإن النتائج كانت نفسها بصورة محبطة: فمبيعات الألف نسخة المطبوعة كانت أكثر سوءًا مما حدث مع الطبعة الأولى.

سـنوات البوهيميَّـة

في هذه السنوات، كان ويتمان يعمل بجد على أن يتم إشهاره شاعرًا، من خلال الاتصالات الأدبية الخارجية: لقد دخل إلى العالم الأدبي بطريقة لم تحدث معه كروائي أو صحفي، ملتقيًا ببعض من أشهر كُتاب الأمة، مبتدئًا التكيف مع الوسط الأدبي والفني، ومؤسسًا صورةً له كفنان. جاء إيمرسون ليزوره في نهاية 1855 (عادا معًا إلى غرفة إيمرسون في فندق "أستور" الجميل، حيث لم يُسمح لويتمان بالدخول، لارتدائه ملابس غير رسمية، شأن ملابسه التي تبدو في الصورة المطبوعة بمواجهة صفحة العنوان في "أوراق العُشب")؛ وهو أول لقاء من لقاءات كثيرة جمعت الاثنين على مدى ربع القرن التالي، حيث تحولت



علاقتهما إلى علاقة احترام ممزوجة بتشكك متبادل.

وفي العام التالي، زار كل من هنري ديفيد ثورو وبرونسون ألكوت بيت ويتمان (وصف ألكوت ثورو وويتمان بـ"تفحص كل منهما الآخر بفضول، كحيوانين، وكل منهما يتساءل عما يمكن أن يفعله الآخر"). وأصبح ويتمان أيضًا صديقًا لعدد من الفنانين التشكيليين، وتعرف على عدد من الناشطات الحقوقيات والكتاب، وبعضهم أصبح من القراء المتحمسين والداعمين لـ"أوراق العشب" فيما بعد. وقد أصبح وثيق الصلة خصوصًا بـ أبي برايس، باولينا رايت ديفيز، ساره تيندال، وساره بايسون ويليس. وكان لأفكار هؤلاء النساء الإصلاحية- فيما يتعلق بالمساواة عامة، والجنسية بشكل خاص- تأثير متزايد على شعر ويتمان. كما عرف عددًا من الكتاب المناهضين للرِّق في ذلك الحين، من بينهم مونكير كونواي، وكتب ويتمان هجمات لاذعة على قانون العبد الهارب، والإفلاس الأخلاقي للسياسة الأميريكية؛ لكن هذه المقطوعات لم تُنشر.

وبدأ ويتمان أيضًا- في أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر- في التردد على صالون "بفاف"، المكان المفضل للفنانين والمثقفين البوهيميين في نيويورك. وعمل لعامين في جريدة "ديلي تايمز Daily Times" ببروكلين، حتى منتصف 1859، حين اختلف مع مالك الصحيفة فتم طرده. وفي "بفاف"، بدأ ويتمان عامين من البطالة المخمورة البوهيمية. وفي "بفاف"، اختلط بأشخاص من قبيل هنري كلاب، المحرر النافذ في "ساترداي برس"، الذي سيساعد في نشر عمل ويتمان بطرائق مختلفة، بما فيها نشر نسخة مبكرة عام 1859 من قصيدته "خارج المهد الذي يهتز أبدًا". وهنا أيضًا التقى بالشاب ويليام دين هاولز؛ وتذكر هاولز هذا اللقاء بعد سنوات عديدة، عندما أوضح أن ويتمان كان قد أصبح مشهورًا إلى

حدٍّ ما، آنذاك، حتى لو كانت شهرته شائنة بدرجة كبيرة، نتيجة كتابته التي اعتبرها الكثيرون إباحية ("عمل أحمق" مليء بـ"الشهوانية"، كما وصمته "ذا كريستيان إكزامينَر ."The Christian Examiner).

طبعة 1860 من "الأوراق"

وإعادة تشكيل الصورة الذاتية لويتمان واضحة على الصفحة المقابلة لصفحة العنوان، في الطبعة الجديدة من "الأوراق" التي ظهرت عام 1860؛ صورة لحفر مستمد من لوحة رسمها له صديقه تشارلز هاين. كان هاين يسميها "صورة بايرونية"، ويبدو فيها ويتمان أقرب إلى الصورة التقليدية للشاعر- بشعر مصفف وربطة عنق- مما كان من قبل أو بعد. هي صورة فنان كرس وقتًا طويلًا لصورته، وشخص يستمتع بوضوح بشهرته ضمن الوسط الثقافي في بفاف. ومنذ أن ظهرت طبعة 1856، كان ويتمان يكتب قصائد بسرعة مخيفة. فخلال عام من صدور هذه الطبعة، كتب ما يقارب سبع عشرة قصيدة جديدة. وواصل صف القصائد في مطبعة "الأخوة روم" وبعض الأصدقاء الطابعين، تحسبًا لطباعتها بنفسه، طالما أن أحدًا من الناشرين التجاريين لم يُبد أي اهتمام بكتابه.

لكن ثمة سببًا آخر لصف ويتمان لقصائده: لقد كان يفضل التعامل مع قصائده في شكل مطبوع لا مخطوط. وكان كثيرًا ما يقوم بالمراجعة مباشرةً على نسخ مطبوعة من شعره؛ فبالنسبة له، كان الشعر فعلًا عامًّا إلى حدٍّ بعيد. وإلى أن تتم طباعة القصيدة، لم يكن ليعتبرها قصيدةً حقًّا. فالمخطوطات الشعرية لم تكن أبدًا مقدسةً بالنسبة لويتمان، الذي كان كثيرًا ما يتخلص منها؛ فالقيام بصف القصيدة هو الخطوة الأهم في بدء قيامها بوظيفتها الثقافية.

وفي عام 1860، فيما كانت الأمة تبدو متجهةً بلا مفر نحو أزمة كبرى بين الولايات المتمسكة بالعبودية والأخرى الحرة، اتخذت أقدار ويتمان الشعرية انعطافة إيجابية. ففي فبراير، تلقى رسالة من الناشرين وليام ثاير وتشارلز إلدردج ببوسطن، اللذين تخصصت دارهما الجديدة في الأدب المناهض للعبودية؛ كانا يريدان أن يصبحا ناشري الطبعة الجديدة من "أوراق العشب". وافق ويتمان بترحيب، وهو يشعر برسوخه كشاعر أصيل الآن، إلى حد

منحه حقوق نشر فعلية. وقام الناشرون بالصرف ببذخ على ألواح الطباعة الخاصة بالكتاب ذي البنية الخصوصية- ما يزيد عن 450 صفحة مطبوعة، وعناصر زخرفية غريبة، في كتاب فوضوي بصريًا، أشرف عليه بعناية ويتمان، الذي سافر إلى بوسطن ليراقب عملية الطباعة.

كانت تلك هي الرحلة الأولى لويتمان إلى بوسطن، التي كانت تعتبر آنذاك العاصمة الأدبية للأمة. وويتمان سبب رئيسي لانتقال المركز الأدبي لأميريكا من بوسطن إلى نيويورك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لكن- في عام 1860- كانت القوة العظمَى لبوسطن ما تزال واضحة في دور نشرها الرئيسية، وصحفها الهامة، ومؤلفيها الأجلاء (ومن بينهم هنري وادزوورث لونجفلو، الذي التقى به ويتمان لقاء قصيرًا حين كان بالمدينة). وبالطبع، فقد كانت بوسطن مدينة إيمرسون، الذي جاء لمقابلة ويتمان بعد وقت قصير من وصوله إلى المدينة في مارس. وقد حاول إيمرسون إقناع ويتمان بحذف مجموعة القصائد الجديدة "**أبناء آدم** Enfans d'Adam" من طبعة بوسطن (فيما بعد 1860، غير ويتمان العنوان الفرنسي واستبدله بعنوان إنجليزي Children of Adam)، وهو عمل يصور الجسد الإنساني بصورة أكثر تحديدًا، وبكلمات جنسية مباشرة، بأكثر مما في أية قصائد أميريكية سابقة.

وقد جادل ويتمان- مثلما تذكر فيما بعد- بـ"أن العاطفة الجنسية في ذاتها، طالما أنها طبيعية وغير منحرفة، هي مشروعة بصورة فطرية، وجديرة بالإكبار، وليست بالضرورة فكرة غير لائقة بالشاعر". وألح ويتمان على أن "ذلك ما أحسستُ به في عمق عقلي وقلبي، حين أجبتُ بالصمت على آراء إيمرسون الحادة". وعلى الرغم من ذلك، فالجسد- كامل الجسد- سيكون موضوع ويتمان، دون أن يخجل من أي عضو فيه، ودون أن ينبذ أو يهمش أو يشكل تراتبًا لأعضاء الجسد، شأن ما يفعل مع الشعب المتنوع الذي يكوِّن الأمة. فمعتقده الديموقراطي- بأهمية جميع أجزاء أي كُل- كان مركزيًّا في رؤيته: فالأعضاء الجنسية جوهرية لتحقيق اكتمال الكينونة، شأن العقل والروح، مثلما- في الديموقراطية- يمثل المواطنون الأفقر والأكثر تهميشًا نفس أهمية الأغنياء والمشاهير. وتلك هي نظرية الاتحاد الجذري والمساواة التي حفزت كتاب ويتمان.

لهذا، تجاهل نصيحة إيمرسون، ونشر قصائد "أبناء آدم" في طبعة 1860 مع مجموعة

"كالاموس"؛ حيث تحتفي المجموعة الأولى بالعلاقات الجنسية بين الجنسين، وتحتفي الثانية بالعلاقات المثلية بين الرجال[*]. لقد ظل الجسد الموضوع الأثير لويتمان، لكنه لم ينفصل أبدًا عن جسد النص، وكان ينطلق لا للكتابة عن العناق الحسي فحسب، لكن أيضًا ليُحدث عناقًا جنسيًّا بين الشاعر والقارئ. لقد أصبح ويتمان سيدًا لـ **السياسة الجنسية**، لكن سياسته الجنسية كانت دائمًا مضفورة بسياسته النصية. فلم يكن "**أوراق العشب**" كتابًا صدر ليصدم القارئ بقدر ما ليندمج في القارئ ويجعله- أو يجعلها- أكثر وعيًا بالجسد، ليقنعنا بأن الجسد والروح متوحدان وغير قابلين للانفصال، مثلما تتجسد أفكار ويتمان في كلمات ذات جسد فيزيقي من حبر وورق، يمسكه القراء فيزيقيًّا في أيديهم. فالأفكار- كما تُلح قصائد ويتمان- تمر من شخص إلى آخر، لا في عملية أثيرية، بل من خلال أجساد النصوص، خلال العمليات العضلية للألسنة والأيدي والعيون، خلال العناصر المادية للكتب.

كان ويتمان بالفعل متسقًا في تصوره الجذري لتوصيف ما تستلزمه العاطفة الديموقراطية. ويرى أن "المعنى الخاص لمجموعة **كالاموس** يكمن بصورة أساسية في دلالته السياسية"- حيث دمج في هذه القصائد نمطًا جديدًا من العاطفة المكثفة فيما بين الذكور، بالدعوة إلى الحب والعناق والعاطفة الرجولية. وفي التعبير عن هذه الرفقة الجديدة، تصبح قصائد "**كالاموس**" قصائد بالغة التأثير في تطور أدب المثلية. وفي القرن التاسع عشر، مع ذلك، لم تسبب قصائد "**كالاموس**" حساسية ذات بال، مثلما فعلت "**أبناء آدم**"، بالرغم من تصويرهما نفس العاطفة الجنسية؛ لأن قصائد "**كالاموس**" كانت ذات حسية معتدلة، فيما كانت قصائد "**أبناء آدم**" ذات حسية جنسية. ويبدو أن إيمرسون وآخرين لم يكونوا منزعجين من "**كالاموس**"، وركزوا اشمئناطهم على "**أبناء آدم**". وفي أواخر القرن فحسب، حينما بدأت المثلية الجنسية تتبلور في دوائر طبية وعلم-نفسية، باعتبارها نمطًا لشخصية منحرفة، بدأ البعض يقرأون قصائد **كالاموس** باعتبارها خطرة و"غير طبيعية"، والبعض الآخر باعتبارها تعبيرات مبكرة شجاعة عن الهوية المثلية.

ومع طبعة 1860 من "**الأوراق**"، بدأ ويتمان إعادة الترتيب التي لا تنتهي لقصائده في وحدات ومجموعات. واستقر ويتمان على ترتيب للوحدات هو الأكثر فاعلية؛ لكن فكرته

---

[*] نوع من التأويل الزائد، المبالِغ، لقصائد المجموعة؛ في رأينا، من جانب الكاتبَين.

عن "وحدات خاصة" قد تغيرت من طبعة إلى أخرى، حيث كان يضيف، ويزيل، ويعيد ترتيب قصائده في أنماط كانت كثيرًا ما تُبدل معناها وتُغير سياق دلالتها. وبالإضافة إلى "كالاموس" و"أبناء آدم"، فقد احتوت هذه الطبعة على وحدات تحمل عناوين "أناشيد ديموقراطية و"أميريكي أصيل"، و"أوراق شجر المبعوث"، وأخرى بنفس عنوان الكتاب "أوراق العشب". كما احتوت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة الأولى من "منطلقًا من بومانوك" (هنا أُسميت "ورقة الشجر الأولى") و"خارج المهد الذي يهتز أبدًا" (هنا أُسميت "كلمة خارجةً من البحر")، مع ما يزيد عن 120 قصيدة جديدة أخرى. كما قام بمراجعة الكثير من قصائده السابقة، بما فيها "أغنية نفسي" (هنا أُسميت ببساطة "والت ويتمان"). وعبر الكتاب، قام بترقيم قصائده الشعرية، خالقًا بذلك تأثيرًا إنجيليًّا. لم يكن ذلك مصادفةً، حيث تصوَّر ويتمان الآن مشروعه كـ"إنجيل جديد"، كتوأُم جديد سيحول أميريكا إلى ديموقراطية حقيقية.

بيعت طبعة 1860 بصورة جيدة، بطبعة أولى تضم ألف نسخة سرعان ما نفدت، وطبعة إضافية طلبها ثاير وإلدريدج. وتناولت هذه الطبعة مراجعات صحفية كثيرة، معظمها إيجابي، وبخاصةٍ تلك التي كتبتها قارئات، كُن أكثر ابتهاجًا- لا غضبًا- بصور ويتمان الحميمة للجنس والجسد، ورحبن بلغته عن المساواة بين الجنسين، ومحاولاته غناء "الأنثى مساويةً للذكر".

كان الوقت الذي قضاه ويتمان في بوسطن تجربة مُحوِّلة. وقد اندهش من الطريقة التي كان يُعامَل بها الزنوج بعدالة ومساواة أكبر مما في نيويورك، حيث يشاركون البيض الموائد في المطاعم، ويعملون إلى جانب البيض في المطابع، ويعملون في لجان المحلفين. كما قابل عددًا من الكتاب مناهضي الرق، الذين سرعان ما أصبحوا أصدقاء حميمين ومؤيدين، ومن بينهم وليام دوجلاس وجون تاونسيند تراوبريدج، وسيكتب الاثنان كثيرًا فيما بعد عن ويتمان.

وعندما عاد إلى نيويورك في نهاية مايو، كانت حالته المزاجية متوقدة. فقد كان الآن مؤلفًا معترفًا به؛ وقامت صحف بوسطون بنشر موضوعات عن زيارته إلى المدينة، والمصورون يطلبون تصويره. وعلى مدى الصيف كله، كان يقرأ متابعات لكتابه في صحف مرموقة. وفي نوفمبر، أعلن ناشرو ويتمان الشبان عن أن مشروع ويتمان الجديد، ديوان شعري يُدعَى "**بيرق في مطلع النهار**"، سيصدر قريبًا.

بداية الحرب الأهليّـة[*]

ولكن مثلما انقلبت حظوظ ويتمان فجأةً- على غير انتظار- بصورة إيجابية، في مطلع 1860، فقد انقلبت الآن- على غير انتظار- إلى السوء. فقد جعل الوضع الوطني المتدهور من أية أعمال استثمارية مخاطرة، وفاقم ثاير وإلدريدج الناشران المشكلة باتخاذ عدد من القرارات السيئة. وفي بداية 1861، أعلنوا الإفلاس، وقاموا ببيع ألواح طباعة "الأوراق" إلى ناشر بوسطن ريتشارد ويرثنجتون، الذي سيواصل إصدار نسخ مُقرصنة من هذه الطبعة لعقود تالية، متسببًا في مشكلة حقيقية لويتمان كل مرة يريد فيها تسويق طبعة جديدة. وبسبب كثرة النسخ التي كان قد طبعها ثاير وإلدريدج من قبل، مع القرصنة المتواصلة التي كان يقوم بها ويرثنجتون، أصبحت طبعة 1860 أكثر طبعة متاحة عامةً طوال العشرين عامًا التالية، وأضعفت الإحساس بالطبعات الجديدة، بقدر ما أحبطت مبيعاتها.

قام ويتمان بتأريخ صفحة العنوان في "أوراق" 1860 بـ"1860-61"، كأنه قد توقع الطبيعة الشعورية لتلك اللحظة في التاريخ الأميريكي- اللحظة الهشة بين عام سلام وعام

---

[*]نشبت الحرب حين أعلنت إحدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب- تحت قيادة "جيفرسون ديفيس"- الانفصال عن الولايات المتحدة، وأسست "الولايات الأمريكية الكونفدرالية"، وأعلنت الحرب على "الولايات المتحدة الأمريكية"، التي كانت تساندها كل الولايات الحرة، وولايات الرقيق الخمسة التي تقع على الحدود.

فأثناء الانتخابات الرئاسية لعام 1860، شن الحزب الجمهوري- بقيادة الرئيس الأمريكي أبراهام لينكولن- حملة ضد توسيع نطاق العبودية خارج الولايات التي توجد بها بالفعل. وأسفر فوز الجمهوريين في الانتخابات عن إعلان سبعة من ولايات الجنوب الانفصال عن الاتحاد، حتى قبل تولي لينكولن منصبه يوم 4 مارس1861. رفضت كل من الإدارة السابقة والجديدة هذا الانفصال، واعتبرته حركة تمرد. وبدأ القتال في 12 أبريل 1861.

وفي سبتمبر 1862، أطلق لنكولن إعلان تحرير العبيد، مما حقق هدف الحرب من إنهاء الرق في الجنوب، وأثنى بريطانيا عن التدخل في شؤون البلاد الداخلية.

وقد انهارت المقاومة الكونفدرالية بعد استسلام الجنرال "روبرت إدوارد لي" في معركة محكمة أبوماتوكس، في 9 أبريل1865.

وتعتبر هذه الحرب الأكثر دموية في التاريخ الأمريكي، حيث أدت إلى مقتل 620 ألف جندي، وعدد غير معروف من الضحايا المدنيين. وترتب على هذه الحرب إنهاء "الرق" في الولايات المتحدة، واستعادة الاتحاد، وتعزيز دور "الحكومة الفيدرالية للولايات المتحدة".

حرب. وفي فبراير 1861، رأى أبراهام لنكولن يمر في نيويورك في الطريق إلى تنصيبه. وفي أبريل كان عائدًا إلى بيته من حفل للأوبرا حيث اشترى جريدة، وقرأ العناوين عن قوات جنوبية تطلق النار على قوات شمالية. ورغم أن أحدًا لم يكن مدركًا للمدى الحقيقي لما يمكن أن يحدث، فقد اعتقد ويتمان، شأن كثيرين آخرين، أن الصراع سيتم حسمه خلال ستين يومًا أو نحو ذلك- كانت الأمة تنزلق في الواقع إلى قتال دموي لم تعرفه من قبل لأربع سنوات قادمة. وبعد عدة أيام من إطلاق النار على القوات الشمالية، كتب ويتمان في مذكراته تصميمه "على أن أفتتح لنفسي جسدًا فتيًا نقيًا وكامل الجمال، نقي الدم، بتجاهل جميع المشروبات عدا الماء واللبن الخالص- وجميع اللحوم الدهنية في العشاء المتأخر- جسد عظيم- جسد طاهر، نظيف، نشيط له طبيعة روحية". كان كأنه أحس- في مستوًى ما- بالحاجة لاختراق رضائه الذاتي الجديد، وإيقاف عادات قاعة البيرة والبوهيمية في بفاف، وإعداد نفسه للتحديات التي كانت تواجه الآن الأمة المنقسمة. لكن ويتمان سيستغرق وقتًا قبل أن يكون قادرًا على تحديد الشكل الذي ستتخذه تضحيته للحرب.

في الحال، تم تسجيل جورج- شقيق ويتمان- في الجيش الاتحادي. وسيظل في الخدمة طوال مدة الحرب، ليقاتل في عدد من المعارك الرئيسية؛ وقد سجن في النهاية كأسير حرب في دانڤيل، بڤرجينيا. كان خدمة جورج كجندي متميزة، وترك الخدمة وهو برتبة "مقدم"؛ ومنحت حكاياته عن تجاربه الحربية ويتمان الكثير من الرؤى عن طبيعة الحرب ومشاعر الجنود. وتم أيضًا تسجيل أندرو- شقيق ويتمان المريض- لكنه لن يخدم سوى ثلاثة شهور خلال عام 1862 قبل وفاته، ربما بالسل، في 1863.

وإحدى الفترات الأكثر ضبابيةً في حياة ويتمان هي السنة الأولى ونصف الثانية من الحرب. فقد أقام في نيويورك وبروكلين، يكتب مقطوعات صحفية مطولة عن تاريخ مدينة بروكلين لجريدة "ديلي ستاندارد Daily Standard" التي تصدر بالمدينة. وخلال هذه الفترة، واجه ويتمان كوارث الحرب التي كانت مستمرة لمدة أطول مما توقع أحد. وبدأ في زيارة الجنود الجرحى الذي نُقلوا إلى مستشفيات نيويورك، وكتب عنهم سلسلةً بعنوان "صور فوتوغرافية للمدينة" قام بنشرها في "ليدر Leader" التي تصدر في نيويورك، عام 1862.

وفي الواقع، فقد كان ويتمان يزور مستشفى برودواي لأعوام عديدة، مواسيًا سائقي المحطات الجرحَى وعمال القوارب (كانت الجروح الخطيرة في صناعة النقل الفوضوية في

نيويورك في ذلك الحين شائعة). وفيما كان عاشقًا لفكرة الصداقة مع شخصيات أدبية، كانت أفضليته الحقيقية دائمًا هي رجال الطبقة العاملة، وبخاصةٍ مَن يعملون في خطوط الأتوبيسات وقوارب النقل ("جميعهم أصدقائي"، كما كان يقول عنهم)، فيما كان يستمتع بالإيقاع اللانهائي للحركة، بالطريق المفتوح، والرحلات جيئةً وذهابًا، مع رفاق جيدين. كان يبتهج بطاقة ولذة الترحال دون أن يزعج نفسه بالمسارات: "لقد عبرت وعبرت من جديد، تقريبًا من أجل اللذة"، كما كتب عن إحدى رحلاته بالقارب. وكان له أن يسافر "بطول برودواي"، مستمعًا إلى حكايات السائق والمحصل، أو "مرتلًا بعض المقطوعات العاصفة" من إحدى مسرحيات شيكسبير المفضلة.

هكذا بدأت زيارات المستشفى بنوع من واجب الصداقة لعمال النقل المصابين، وبعدها- إذ بدأت الحرب الأهلية في الاشتعال- انضم الجنود الجرحى إلى عمال النقل، كهدف لجولات ويتمان المتكررة. كان هؤلاء الجنود يجيئون من جميع أنحاء البلاد، وذكرياتهم عن موطنهم علَّمت ويتمان اتساع وتنوع الأمة الصاعدة. وقد طور أسلوبًا خصوصيًّا للتمريض الشخصي غير الرسمي، بتدوين القصص التي يحكيها له المرضى، ومنحهم هدايا صغيرة، وكتابة رسائل لهم، والتربيت عليهم، ومواساتهم، وتقبيلهم. وغايته- كما كتب- كانت "فحسب المساعدة على البهجة، والتغيير قليلًا من رتابة مرضهم"، رغم أنه اكتشف أن تأثيرهم عليه كان بنفس قدر تأثيره عليهم؛ ذلك أن الشبان الجرحى والمقعدين قد استثاروا فيه "الاهتمام والتعاطف بين الأصدقاء". وقال إن بعض "أكثر أمسيات حياتي بهجة" قُضيت في المستشفيات.

وبحلول عام 1861، كانت زياراته لمستشفيات نيويورك قد أهلته للمحنة المستنزفة التي كان على وشك مواجهتها، حين ذهب إلى واشنطن، حيث سيقوم بتمريض آلاف الجنود الجرحى في المستشفيات المتنقلة هناك. وذات مرة، قال ويتمان إنه لو لم يصبح كاتبًا، لأصبح طبيبًا. وفي مستشفى برودواي، أقام صداقات وثيقة مع الكثيرين من الأطباء، بل ساعدهم أحيانًا في الجراحات. وافتتانه بالجسد، الواضح للغاية في شعره، كان مربوطًا- بصورة معقدة- بانجذابه نحو الطب والمستشفيات، حيث تعلم أن يواجه بشجاعة التشوهات، ويكتسب القدرة على رؤية ما وراء الجراح والأمراض؛ تلك الشخصيات الإنسانية التي تقاوم الألم والمهانة. كانت مهارةً سيحتاج إليها كثيرًا على مدى السنوات الثلاث التالية.

مع الأمة، التي انحبست الآن في حرب ممتدة، تعرضت للهجوم جميع معتقدات واهتمامات ويتمان العميقة. لقد بُني "**أوراق العشب**" على إيمان بالوحدة، بالكلية، بقدرة ذات وأمة على احتواء التناقضات وامتصاص التنوعات؛ والآن، فالولايات المتحدة تنفصل، والمشروع العميق لويتمان كان الآن في خطر أن يصبح مفارقة تاريخية، والولايات الجنوبية تسعى إلى تقسيم البلد إلى اثنين. كما انبنى "**الأوراق**" على إيمانٍ بقدرة المحبة على هزيمة التقسيم والمنافسة؛ وتكمن رؤية "كالاموس" في "قارة غير قابلة للانحلال" مع "مدن غير قابلة للانفصال"، يرتبطون معًا بـ"حُب رفقةٍ مدى الحياة". لكن شبان أميريكا كانوا الآن يقتلون بعضهم بعضًا في معارك دموية؛ كان الآباء يقتلون الأبناء، والأبناء يقتلون الآباء، والأخوة يقتلون الأخوة. ومنظور ويتمان لما يقدمه من "إنجيل جديد" يربط أُمة، ويبني ديموقراطية محبة، ويقود المواطنين إلى الاحتفال بتنوعها المتحد، قد تهشم في صراع الأخوة الأعداء الذي عم البلاد.

وشأن الكثيرين من الأميريكيين، كان ويتمان وأسرته يراجعون يوميًّا قوائم الجرحى في الصحف. وذات يوم من ديسمبر 1862، تجمدت الأسرة إزاء ظهور اسم "ج. و. ويتمور". وخوفًا من أن يكون الإسم نسخة محرفة من جورج واشنطن ويتمان، توجه والت مباشرة إلى ڤرجينيا للبحث عن شقيقه. وفيما كان يقوم بتبديل القطارات في فيلادلفيا، سُرقت محفظته على الرصيف المزدحم. وبلا بنس واحد، واصل رحلته إلى واشنطن، حيث هُرع إلى وليام دوجلاس أوكونور[*]، الكاتب المناهض للرق الذي التقى به في بوسطن، الذي أقرضه نقودًا. وبعد بحث بلا جدوى عن شقيقه، فيما يقارب الأربعين مستشفى بواشنطن، قرر في النهاية أن يركب قاربًا حكوميًّا وقطارًا يديره الجيش إلى ميدان المعركة في فريدريكسبرج، ليرى ما إذا كان جورج ما يزال هناك. وبعد العثور على الوحدة العسكرية لجورج، واكتشاف أن شقيقه قد تلقى جرحًا سطحيًّا في الوجه لا أكثر، انقلب ارتياح ويتمان إلى الذعر حين قابل منظرًا لن ينساه أبدًا: خارج قلعة تم تحويلها إلى مستشفى ميداني، وصل إلى "كومة من

---

[*] **وليام دوجلاس أوكونور** William Douglas O'Connor: كاتب مرموق؛ من أهم أعماله روايتا "هارنجتون"، و"الشبح"؛ و"الشاعر الأشيب الطيب" (عن والت ويتمان).

الأقدام، والسيقان، والأذرع، والأيدي المقطوعة، إلخ؛ شحنة كاملة لعربة يجرها حصان". كانوا- كما كتب في مذكراته- "أشلاء إنسانية، مقطوعة، دامية، سوداء زرقاء، منتفخة ومتعفنة". وبالقرب، كان هناك "عدة أجساد ميتة.. وكل منها مغطًّى ببطانيته الصوفية البنية". وسيواصل المنظر مطاردة شاعره الذي كان يحتفل بكل ثقة بالجسد الفيزيقي، والذي كان يقول إن الروح لا تكمن إلا في الجسد، وأن الأذرع والسيقان هي امتدادات الروح، والسيقان تنقل الروح عبر العالم، والأيدي تسمح للروح بالتعبير عن نفسها. والآن، ها هو جيل من الشبان الأميريكيين، الذكور، الذين رهن عليهم مستقبل الديموقراطية، كانوا حرفيًّا بلا أذرع، معاقين، مقتولين. ذلك البتر، ذلك التشظي للاتحاد- بالمعنى الحرفي والمجازي- هو ما سيتناوله ويتمان على مدى السنوات القليلة التالية، حيث كرس نفسه لأن يصبح أذرع وسيقان الجنود المجروحين والمعاقين في مستشفيات الحرب الأهلية. وبالركض في مشاوير من أجلهم، بكتابة رسائل لهم، بإحاطتهم بذراعيه، كان ويتمان يحاول أن يجعلهم كُلاًّ من جديد.

لقد بدأت- خلال بحثه عن شقيقه- هذه الخدمة التمريضية الاستثنائية، التي دفع ويتمان ضريبتها غاليًا من صحته، حيث كان يقضي ليالي طويلة بلا حصر في أجنحة المستشفيات الفقيرة. وتوقع أنه سيعود إلى نيويورك بعد تأكده من سلامة جورج، لكنه- بعد إرساله بتلغرافات إلى أمه وبقية أسرته بأنه قد عثر على شقيقه- قرر البقاء معه لبضعة أيام. وخلال هذا الوقت، تعرف على الجنود الشبان، من الطرفين المتقاتلين (تحدث مع عدد من أسرى الحرب الجنوبيين). وحضر دفن القتلى من ميدان المعركة الدامي، حيث قُتل وأصيب- في 13 ديسمبر- 18 ألفًا من القوات الشمالية والجنوبية.

وبالرغم من أن ويتمان كان قد كتب بالفعل بعض القصائد التي سينشرها- في النهاية- في كتابه عن الحرب الأهلية "قَرع الطُبول Drum-Taps" (وبخاصةٍ قصائد "التجنيد"، من قبيل "اقرعي! اقرعي! يا طبول!"، التي كانت تستثير الطاقة المخيفة، بل المحفزة على تجنيد المدن من أجل المعركة)، فإنه من الآن فحسب- بعد مواجهته التأثيرات المرعبة للمعارك الحقيقية- بدأت في الظهور القصائد القوية للحرب الأهلية. وفي اليوميات التي سجلها خلال وجوده بمعسكر جورج، كتب ويتمان "منظر في الفجر- في معسكر أمام خيمة المستشفى (ثلاثة قتلى ممددون) على محفات، وفوق كل منهم بطانية مفرودة- رفعت واحدةً

ونظرت إلى وجه الشاب، هادئًا مُصفرًّا.- ذلك غريب! (أيها الشاب: أظن أن وجهك هذا هو وجه مسيحي الميت!"). ومثلما هو حال الكثير من قصائد "قَرع الطبول"، تحولت تخطيطات هذه المذكرات تدريجيًا إلى قصائد:

مَنظَرٌ في مُعَسكَرٍ فِي الفَجرِ الرَّمَادِي والكَابِي
وَأَنَا أَخرُجُ مِن خَيمَتِي مُبَكِّرًا بِلاَ نَوم،
وَأَنَا أَتَمَشَّى فِي الهَوَاءِ البَارِدِ المُنعِشِ فِي المَمَر المُجَاوِرِ لِخَيمَةِ المُستَشفَى،
أَرَى ثَلاَثَةَ أَشكَالٍ عَلَى مِحَفَّةٍ مُمَدَّدِين، بِالخَارِجِ هُنَاكَ بِلا عِنَايَة مُمَدَّدِين،
وَفَوقِ كُلٍّ مِنهم بَطَّانِيَّةٌ مَفرُودَةٌ، بَطَّانِيَّةٌ رَثَّةٌ مِن صُوفٍ بُنِّي،
وَبَطَّانِيَّةٌ رَمَادِيَّةٌ ثَقِيلَةٌ، مَفرُودَةٌ، تُغَطِّي الجَمِيع.

ثُم الثَّالِث- وَجهٌ لاَ لِطِفلٍ ولاَ لِعَجُوز، هَادِئًا تَمَامًا، كَعَاجٍ أَبيَض مُصفَر جَمِيل؛
أَيُّهَا الشَّاب أَظُنُّ أَنِّي أَعرِفُك- أَظُنُّ أَن هَذَا الوَجهَ هُو وَجهُ المَسِيحِ ذَاتِه،
مَيِّتًا وَإِلَهِيًّا وَشَقِيقًا لِلجَمِيع، وَهَا هُنَا مِن جَدِيدٍ يَستَلقِي.

ومدخلُ المذكرَات والقصيدة يقدم لمحة لكيفية بناء ويتمان لمشروعه الشعري، عقب بدء الحرب الأهلية. كان ما يزال يكتب "إنجيلًا جديدًا" هنا، وهو يخوض مرةً أخرى تجربة الصَّلب في فريديريكسبرج. لكن هذا الصَّلب لا يفتدي الخطاة، ويحقق تكفيرًا لدى الإله، بقدر ما يبث الألوهية في كل واحد، ويبكي الخسارة الوحشية: فموت هذا الشاب وسط الآلاف دال، كأي موت في التاريخ. وبالنسبة لويتمان، فذبح الجندي- المسيح الشاب سيخلق لمن نجوا من الحرب جميعًا واجب بناء أمة جديرة بتضحيتهم العظيمة. فأميريكا- التي سيكتب عنها ويتمان بعد الحرب الأهلية- ستكون أمة أكثر طهارة، أقل براءة، وقد خاضت تعميدها بالدم، وتم اختبارها- من الآن فصاعدًا- وفق المعيار الصارم لسفك الدماء هذا.

وخلال الأيام التي قضاها مع جورج في وحدته العسكرية، كان ويتمان كثيرًا ما يذهب إلى المستشفى المتنقل الذي رأى خارجه كومة الأعضاء المبتورة. "لا أرى أنني أقدم فائدة ذات بال لهؤلاء الجرحى والموتى"، كتب؛ "لكنني لا أستطيع مفارقتهم". وكأنما ليقلل من قيمة محاولاته للحفاظ على وحدة الاتحاد، للمصالحة لا للعقاب، لمساعدة انتصار الحب على

الانتقام، وجد ويتمان نفسه منجذبًا بشكل خاص إلى جندي اتحادي في التاسعة عشرة من عمره من الميسيسيبي، ساقه مبتورة. كان ويتمان يزوره بانتظام في المستشفى الميداني، ثم واصل زيارته بعد أن تم نقل الجندي إلى مستشفى بواشنطن. "محبتنا هي علاقة رومانتيكية تمامًا"، كتب. ولن تكون العلاقة الحميمة الأخيرة التي سيمر بها مع جندي اتحادي؛ ففي نهاية الحرب، سيدخل ويتمان أطول علاقة عاطفية في حياته مع جندي اتحادي سابق يُدعَى بيتر دُويل. والمدهش- وربما غير المنتظر حتى لويتمان- ما كان يحدث لعواطف "كالاموس" التي وصفها عام 1860؛ فقد أصبحت التعبيرات الحميمة للصداقة الرجولية مُعمَّمة، وربما متسامية، في علاقات الشاعر الوثيقة العديدة مع جنود جرحى طوال الأعوام الثلاثة التالية. وتشير رسائل بعض هؤلاء الجنود بوضوح إلى عمق الحب الذي أحس به هؤلاء الشبان تجاه ويتمان، وتكشف رسائل ويتمان إليهم أن المحبة كانت متبادلة. ولغة هذه المراسلات صعبة على التصنيف- فهي جزئيًّا لغة محبين، وجزئيًّا لغة أصدقاء، وجزئيًّا لغة ابن إلى أبيه وأب إلى ابنه (والكثير من الرسائل الموجهة إلى ويتمان موجهة إلى "أبي العزيز")، وجزئيًّا لغة ناصح عجوز، حكيم، هادئ، إلى شاب مشوش التفكير، خائف، شبه أمي.

إلى واشـــنطن

لا نستطيع التأكد من توقيت اتخاذ ويتمان قراره بالبقاء في واشنطن. وشأن جميع التغيرات المفاجئة فعليًّا في حياته، فهذا التغير قد أتى بلا تخطيط، بلا ملاحظة مسبقة، بلا استعداد. فقد ذهب إلى نيو أورليانز بقرار لحظي مشابه، تمامًا مثلما ترك التدريس فجأة، تمامًا مثلما حزم حقائبه وذهب إلى بوسطن، وتمامًا مثلما سيقرر- بعد سنوات، ذات ليلة- الاستقرار في كامدِن، بنيوجيرسي. كان في أعماقه شخصًا غير جامد، يبدو قادرًا على التخلص من واجبات متوقعة، وحتى علاقات، بلا أسًى كبير: كان موجودًا، كما قال، على نوع من "طريق مفتوح": الطريق الداكن الطويل أمامي يفضي بي حيثما أريد.. سأبعثر نفسي وسط الرجال والنساء وأنا أمضي:

هيَّــا! لاَ يَنبَغِي أَن نَتوَقَّفَ هَا هُنَا،

مَهمَا كَانَت جَمِيلَةً هَذِهِ المحلاَّتُ المدَّخَرَة،
مَهمَا كَانَ مُرِيحًا هَذَا المقَامُ لاَ يُمكِنُنَا البَقَاءُ هَا هُنَا،

مَهمَا كَانَ مَلاَذًا آمِنًا هَذَا المِينَاءُ وَمَهمَا كَانَت هَادِئَةً
هَذِه الميَاه فَلاَ يَنبَغِي أَن نَرسُو هُنَا،

مَهمَا كَانَت مُرَحِّبَةً الضِّيَافَةُ التِي تُحِيطُ بِنَا
فَنَحنُ مَسمُوحٌ لَنَا بِأَن نَتَلَقَّاهَا لَكِن لِبُرهَةٍ قَصِيرَة.

(أغنية الطريق المفتوح)

وذات يوم، غادر ويتمان ببساطة بروكلين ونيويورك وبيت أسرته ليبحث عن شقيقه، ولم يعد بعدها أبدًا.

ربما كان القرار قد اتخذ حينما كان في المستشفى الميداني، يمرِّض المصابين؛ آنذاك كتب إلى أمه، وأخبرها أن عليه البحث عن وظيفة في واشنطن لبعض الوقت. وآنذاك كتب إلى إيمرسون ليطلب منه خطاب توصية إلى وزير الدولة ووزير الخزانة، اللذين كانا من معارف إيمرسون. لكن ربما كان قراره قد اتخذ حصريًّا خلال رحلة عودته من فريدريكسبرج إلى واشنطن، عقب يوم رأس سنة كئيب في 1863، حين كان مسئولًا- بعد أن اكتسب بسرعة ثقة واحترام أطباء الميدان- عن حمولة قطار من ضحايا الحرب، الواجب نقلهم إلى مستشفيات العاصمة. وفيما كان الجرحى يُنقلون من قطار إلى قارب بخاري للقيام برحلة في أعالي بوتوماك، كان ويتمان يتجول بينهم، مدونًا رسائلهم إلى ذويهم، واعدًا بإرسالها، مواسيًا الجنود بهدوئه واهتمامه. ربما- في ذلك الحين- ذهب إلى واشنطن، مقررًا أن يقيم بضعة أيام من أجل زيارة الجنود الجرحى من بروكلين، بعد أن أدرك- على نحوٍ ما- أن عليه أن يبقى هناك طوال مدة الحرب.

كانت علاقاته في بوسطن تخدمه جيدًا الآن؛ فلم يحصل فقط على خطابات توصية من إيمرسون، بل حصل على غرفة في منزل الاستضافة الذي يملكه وليام دوجلاس أوكونور. وبفعل جهود تشارلز إلدريدج- ناشر طبعة 1860 من "**الأوراق**"، الذي كان الآن مساعدًا لصرَّاف الجيش- حصل على عمل مؤقت كناسخ في مكتب الصرَّاف. وقد أمد أوكونور وزوجته نيللي ويتمان بالوجبات، وبدأ الشاعر يتلقى مساهمات من شقيقه جيف وآخرين في

بروكلين، ممن سمعوا بعمله في المستشفيات. واستخدم ويتمان أية أرصدة كان يملكها ليشتري هدايا صغيرة للجنود الجرحى- حلوى وطباق ومشروبات عذبة وكتب- وسرعان ما أصبح شخصية مألوفة في المستشفيات. بشعر رمادي قبل الأوان، وهيئة أكبر بعِقد أو عِقدين عن أعوامه الثلاثة والأربعين، لابد أن ويتمان كان يبدو بالنسبة للجنود- والكثيرون منهم كانوا ما يزالون فيما قبل العشرين- نوعًا ما من "سانت نيك Saint Nick"[*] في الأسمال، يقدم لهم الطعام والشراب، ويأتي لهم بالبهجة. وكان حضوره بالنسبة لبعض الشبان عموميًّا (نسبةً إلى العَم)، وللبعض الآخر أبويًّا، وللجميع تقريبًا سحريًّا. ورغم أنه أعجب بالإرسالية المسيحية، وهي وكالة نظمتها كنائس عديدة قامت بتجنيد متطوعين لمساعدة المستشفيات، فإن ويتمان كان يعمل بشكل مستقل، ويُكن ازدراءً للهيئة الحكومية المسئولة عن تمريض الجنود وتأهيلهم للعودة إلى القتال: فبالنسبة له، كان هؤلاء الموظفون يحتفظون بمسافة بعيدًا عن الجنود، ويعملون بالأساس من أجل الراتب. وكانت مهمة ويتمان مختلفة، غريبة شأن شعره: كان يقوم بتمريض الجرحى، محاولًا تحديد وإبداء نوع جديد من المحبة، رفقة ديموقراطية. وكان دائمًا ما يلح على أنه اكتسب الكثير من الجنود بأكثر مما تلقوا منه؛ واعتبر سنوات الخدمة التمريضية هذه "المزية والإشباع الأعظم.. و- بالطبع- الدرس الأعمق لحياتي".

سنوات واشنطن

لتدعيم عمله بالمستشفيات بصورة أفضل، بدأ ويتمان في البحث عن وظيفة مربحة، وأبلى أرصفة واشنطن، محاولًا استغلال كل علاقة له ليعثر على وظيفة جيدة. كانت عاصمة البلاد في حالة فوضوية- بل سيريالية- عام 1863، بشوارع غير مرصوفة، طينية، ومكاتب حكومية كثيرة نصف مبنية، بما فيها مبنى الكابيتول نفسه، بقبته الجديدة الشاسعة المطلة على المدينة؛ لكنها لم تكن سوى في شكل تخطيطي. وقد أصر الرئيس لنكولن على استكمال بناء مباني العاصمة بأسرع ما يمكن؛ لهذا، ففيما كانت الأمة تمزق نفسها أشلاءً في حرب

[*] سانت نيك، أو سانت نيكولا Saint Nicholas: قديس مسيحي ينتمي إلى القرن الرابع، في "ميرا" اليونانية، بآسيا الصغرى، وتُنسب إليه الكثير من المعجزات.

أهلية، كانت عاصمة البلاد تواصل انتصابها كمركز حكومي جميل وموحد، من تصميم المعماري الفرنسي بيير لونفان. كانت العاصمة قد أصبحت مجازًا للأمة ذاتها، نصف مبنية، وفي حالة صراع لتحديد ما إذا كانت ستنتهي إلى الاكتمال أو الدمار. وبعض المباني حديثة التشييد كانت تتحول إلى مستشفيات. ووصف الحرب الأهلية باعتبارها تحويلًا للأمة إلى جناح مستشفى من المعاقين. لقد أصبح مكتب براءات الاختراع بالولايات المتحدة مستشفى في 1863، ورصد ويتمان مفارقة "طوابير الجنود المرضى، وذوي الجروح الخطرة والمحتضرين"، وهم يحيطون بـ"الخزانات الزجاجية" التي تعرض الاختراعات الأميريكية- بنادق وآلات ودلائل أخرى على التقدم. كانت الأجساد المهشمة المتناثرة وسط المعروضات هي ما جلبه "التقدم"، نتيجة الاختراعات الجديدة التي خلقت أدوات حربية حديثة.

كانت واشنطن مدينة صاخبة آنذاك: كان صخب المدينة هو صخب البناء، وصخب خارج المدينة هو صخب الدمار؛ وتداخل الصخبان في عشرات من مستشفيات واشنطن التي كانت تضم الأجساد المتناثرة لشبان أميريكا.

كانت تلك الأوقات محمومة ومكثفة بالنسبة لويتمان. وبالإضافة إلى جولاته اليومية المستنزفة على المستشفيات، فقد واصل عمله الوظيفي في مكتب الصرَّاف. ولم يكن هذا العمل ليستغرق منه سوى بضع ساعات يوميًّا، بالرغم من أنه- أحيانًا- كان عليه أن يقوم برحلات ليزور القوات، مثلما حين سافر إلى جزيرة أنالوستان في يوليو 1863 ليساعد في إصدار شيكات مالية إلى الفيلق الأول من قوات الولايات المتحدة الزنجية، وقد "سُر كثيرًا" بسلوكهم المهني وعزيمتهم القوية، بقدر ما صدمته أسماء الجنود الزنوج: جورج واشنطن، جون كوينسي آدامز، دانييل ويبستر، جيمس ماديسون، جون براون. فتراث الأمة- كما أدرك ويتمان- كان يمضي قُدمًا، ويتم القتال من أجله، على يد مجموعات من المواطنين بالغة التنوع؛ وكان الجنود الأمريكيون الزنوج يحملون أسماء ماضي الأمة المجيد. وكانت الحرب- بكل دمارها- تنظف المكان من أجل صعود هوية أميريكية فسيحة.

وفي نفس الوقت، فلم تكن الأخبار القادمة من عائلة ويتمان طيبة. كانت المشاكل المتكاثرة للأسرة مصدر إزعاج عميق له، لكنه- مع ذلك- أحس بأنه مجبر على العودة إلى واشنطن وأصدقائه الجنود هناك، الذين كان يكتب إليهم بانتظام خلال الأسابيع التي يقضيها في نيويورك.

في واشنطن، تعرف ويتمان على الكثيرين ممن سيصبحون مهمين لديه في المستقبل: في منزل آل أوكونور، التقى بشخصيات واشنطن القوية من الأوساط السياسية، والأدبية، والاجتماعية. وذات يوم، فيما كان متوجهًا إلى المستشفيات، التقى ويتمان بجون بوروز، كاتب شاب طموح، كان قد بدأ التردد- منذ عامين- على قاعة البيرة في بفاف بنيويورك، على أمل الالتقاء بويتمان، حيث كان شديد الإعجاب بإبداعه. والآن، قاد لقاء المصادفة هذا إلى إحدى صداقات عمر ويتمان الأكثر استمرارية؛ فقد كان يقضي معظم أيام الأحد في بيت بوروز وزوجته أورسولا، التي أصبحت هي أيضًا من أصدقاء ويتمان المقربين. وسيكمل كل من بوروز وأوكونور (بمساعدة كبيرة من ويتمان نفسه) كتابة بعض المعالجات المبكرة المطولة عن الشاعر. ورغم بعض الجدالات مع ويتمان على مر الأعوام، فإن الاثنين سيبقيان داعمين ثابتين له.

كما قابل ويتمان الفنانين في واشنطن، مثل المصور الفوتوغرافي الكسندر جاردنر، الذي أعجب بـ"**أوراق العشب**"، وقام بتصوير ويتمان كثيرًا خلال سنوات الحرب، مسجلًا الضرائب الصادمة للحرب على ملامح ويتمان. تقدم صور جاردنر ويتمان متعبًا، كئيبًا، لكن بالغ التصميم. وكانت الحرب تقتضي دفع ضريبة مشابهة على كثير من الوجوه: كثيرًا ما كان ويتمان يشاهد عربة لنكولن تمر، ورصد كم أن الرئيس "يبدو مغمومًا حتى بأكثر من المعتاد- وبوجهه خطوط محفورة عميقة". وذات يوم، ذهب ويتمان إلى أحد معارفه ببوسطن، الناشر جيمس رِدباث، الذي كان معجبًا بالعمل الذي كان يقوم به ويتمان، وقام بتنظيم حملة لجمع التبرعات لأعمال التمريض التي كان يقوم بها الشاعر. وكان رِدباث يفكر أيضًا (لكنه تراجع في النهاية عن ذلك) في نشر المسودات التي كان يكتبها ويتمان عن تجاربه ومشاهداته في الحرب، وهو كتاب أسماه ويتمان "مذكرات خلال الحرب". وقام رِدباث بنشر تقرير لويزا ماي ألكوت عن التمريض بالحرب الأهلية، "تخطيطات مستشفى"، وكان ويتمان قلقًا من تقديم نسخته المقابلة للتمريض خلال الحرب. كان كتاب ويتمان يتألف من مقالات قصيرة كثيرة، نُشر الكثير منها في صحف بروكلين وفي "نيويورك تايمز"، التي عمل لها مراسلًا من نوعٍ ما بواشنطن، بين الحين والحين. وستشكل هذه المقالات- في النهاية- قلب كتاب ويتمان في السيرة الذاتية "**أيام شخصٍ ما**".

وليس ممكنًا معرفة عدد الجنود الذين قام ويتمان بتمريضهم فعلًا خلال سنواته

بواشنطن، لكن العدد يصل بالتأكيد إلى عشرات الآلاف (قدَّر ويتمان أنه قام بزيارة "ما بين ثمانين ألف إلى مائة ألف من الجرحى والمرضى). والسير في أجنحة مستشفى كان- بالنسبة له- شبيهًا بالسير في أميريكا: كان كل سرير يحتوي ممثلًا لإقليم مختلف، مدينة مختلفة، طريقة مختلفة للحياة. كان يحب النبرات المتنوعة وأشكال الوجوه المختلفة. "فيما أكون بين الجرحى والمرضى في آلاف الحالات من ولايات نيو انجلند، ونيويورك، ونيو جيرسي، وبنسلفانيا، وميتشجان، ويسكونسن، أوهيو، انديانا، الينوي، وجميع الولايات الغربية، أكون مع جميع الولايات- إلى هذا الحد أو ذاك، الشمال والجنوب، بلا استثناء". فهناك كان يعبر الحدود التي يصعب عبورها: "كنت مع كثير من الضباط والمتمردين وسط الجرحى، وأعطيهم دائمًا ما لدَيَّ، وأحاول أن أسري عنهم كالآخرين... وسط الجنود الزنوج، جرحى أو مرضى، وفي معسكرات التهريب، كنت أتخذ طريقي أيضًا حين أكون في منطقة قريبة، وأقوم بما أستطيع من أجلهم". ومع كل هؤلاء، كان يبحث عن الحب ويقدمه: "أية رابطة نمت بيننا، إنما بدأت من أسِرة مستشفى، حيث تستلقي وجوه شابة شاحبة، وأجساد مريضة أو جريحة"، كما كتب؛ "كان الأطباء يقولون لي إنني أعطي المرضى دواءً لا تضارعه عقاقيرهم وقواريرهم". وفي النهاية، أصبح فيزيائيًّا يوزع دواء الأمل والمحبة، نفس الدواء الذي كان يأمل أن يشفي وطنًا بكامله، يداوي الجراح، ويرأب الصدوع. وكان يسعى إلى أن يوزع دواءه لا على الجنود في زياراته للمستشفيات فحسب، بل على جميع الأميريكيين من خلال كتبه.

"قَرع الطبول" ونهاية الحرب

طوال وقت خدمته التمريضية، كان ويتمان يكتب نمطًا جديدًا من القصائد بالنسبة له؛ قصائد عن تجربة الحرب، لكنها ليست أبدًا في الغالب عن المعارك- أقرب إلى أن تكون عن تأثيرات ما بعد الحرب: ضوء القمر الذي يضيء الموتى بميادين المعارك، الكنائس التي تحولت إلى مستشفيات، تجربة إلباس الجرحى، مقابلة عدو ميت في كفن، صدمة كوابيس المعركة لدى الجنود الذين عادوا إلى بيوتهم. وقام بتجميع هذه القصائد مع القصائد التي كان قد كتبها قبل الحرب مباشرةً (القصائد التي كان ثاير وإلدريدج قد خططوا في الأصل لنشرها

بعنوان "بيرق في الفجر")، وانكب على دمجهم معًا في كتاب بعنوان "**قَرع الطبول**"؛ العنوان الذي يوحي بقرع الطبول الذي كان يصاحب الجنود إلى المعركة، وأيضًا قرع الطبول في الجنازات العسكرية (في الأصل كانت الطبول هي المستخدمة، لا الأبواق). وبعد انفجار الإبداع وسط وأواخر الخمسينيات من القرن التاسع عشر، الذي أنتج طبعة "**الأوراق**" الموسعة عام 1860، لم يكتب ويتمان قصائد كثيرة إلى أن ذهب إلى واشنطن، حيث فتحت اللقاءات اليومية مع الجنود شريانًا جديدًا من الإبداع، نجم عنه شعر أكثر تواضعًا في طموحه، وأكثر خفوتًا في نبرته؛ شعر لم يعد فيه الموت شيئًا غير قابل للانفصال عن الحياة ("هَل مِن أحَدٍ يَفتَرِضُ أنَّه محظوظٌ بأنَّه وُلِد؟" كتب ويتمان في "**أغنية نفسي**"؛ "أُسرِعُ لأُخبِرَكَ أو أُخبِرَكِ إنَّه مِن حُسنِ الحَظّ تَمَامًا شَأنه شَأنَ أَن يَموت، وَأَنَا أَعرِفُ ذَلِك")؛ لكنه الآن قد كشف عن نفسه (الموت) كشيء مُرعب، مفزع، وكُلي القُدرة. كانت القصائد بالغة الاختلاف عن أيٍّ مما ظهر من قبل في "**الأوراق**"، إلى حد أن قال ويتمان- في البداية- إنها لا يمكن أن تلحق بنفس الكتاب مع تلك القصائد الأولى. وستكون عملية طويلة، بطيئة، تلك التي ستسمح في النهاية بدمج "قَرع الطبول" في "**أوراق العشب**".

وإذ دخلت الحرب عامها الأخير، كان ويتمان يواجه استنزافًا جسديًّا وعاطفيًّا. بدأ عام 1864 بأحد أقرب أصدقائه الجنود، لويس براون (الذي تخيل ويتمان أن يعيش معه بعد انتهاء الحرب)، وقد بُترت ساقه؛ شاهد ويتمان العملية من خلال نافذة المستشفى. وفي فبراير ومارس، سافر إلى جبهة قتال ڤرجينيا ليُمرض الجنود في المستشفيات الميدانية؛ ثم وقف- في أبريل- لثلاث ساعات ليشاهد استعراض قوات الجنرال بيرنسايد في واشنطن، لعله يستطيع أن يلمح شقيقه جورج. سار معه، وأخبره بأحوال الأسرة. وستكون المرة الأخيرة التي يرى فيها ويتمان شقيقه قبل أن يتم أسره على يد القوات الكونفدرالية بعد معركة في الخريف. وخلال بدايات الصيف، بدأ ويتمان في الشكوى من التهاب الحنجرة، وتشوش الرؤية، و"إحساس مزعج" في رأسه. استحثه أصدقاؤه الأطباء على أن يتم الكشف عليه في إحدى المستشفيات التي يقوم بزيارتها، وأقنعوه- في النهاية- بأن يعود إلى نيويورك للراحة. أخذ ويتمان مخطوط "قَرع الطبول" معه إلى بروكلين، على أمل نشره بنفسه وهو هناك. وما أن غادر واشنطن، حتى قام الكونفدراليون بمهاجمة العاصمة، واعتقد كثيرون أنها على وشك السقوط.

وفي بروكلين، لم يستطع ويتمان التوقف عن القيام بما أصبح الآن بمثابة روتين وسبب لوجوده في آن: القيام بزيارة الجنود الجرحى في مستشفيات منطقة نيويورك. لكنه أيضًا أعاد تأسيس العلاقات مع أصدقائه القدامى من أيام قاعة البيرة بـ بفاف، واستكشف بعض قاعات البيرة الجديدة معهم. كتب مقالات أكثر لـ نيويورك تايمز وبعض الصحف الأخرى، واعتنى بضبط الأمور العائلية، ومن بينها إيداع شقيقه جيسي- بحالته المتدهورة- مصحة الأمراض العقلية (حيث سيتوفى بعد ست سنوات). وانتهى العام بوصول متعلقات جورج الشخصية إلى بيت آل ويتمان، بما فيها يومياته عن الحرب، التي يُعتقد أن ويتمان قام بقراءتها آنذاك. أما جورج، فقد أُرسل إلى سجن ريشموند بڤرجينيا، وسيقضي وقتًا في سجون عسكرية في سالسبيري، ونورث كارولينا، وفي دانفيل بڤرجينيا في النهاية. وعلى أمل التأثير للإفراج عن جورج، بدأ ويتمان حملة، في مقالات الجرائد والرسائل الموجهة إلى مسئولي الحكومة، لدعم تبادل عام للأسرى بين الكونفدراليين والاتحاديين، وهو ما كان يرفضه جنرالات الاتحاديين عمومًا، لأنهم كانوا يعتقدون أن مثل هذا التبادل سيفيد الجنوبيين باستعادة قوات إلى جيشهم، الذي كان بحاجة ماسة إلى المزيد من الجنود.

ومع بداية 1865، كان ويتمان ملهوفًا للغاية على العودة إلى واشنطن، التي كان يعتبرها الآن بيته. فالأصدقاء هناك كانوا يعملون على أن يحصل على وظيفة حكومية أفضل، وساعد أوكونور في التحاقه بـ المكتب الهندي بوزارة الداخلية. حمل ويتمان مخطوطته "قَرع الطبول" عائدًا بها إلى واشنطن، على أمل أن يسمح دخله المتزايد له بنشر الكتاب. انتقل إلى شقة جديدة، وبدأ العمل في المكتب الهندي؛ كان مكتبه في مبنى مكتب براءات الاختراع بالولايات المتحدة، الذي كان يقوم بزيارته حين كان يُستخدم كمستشفى مؤقتة. وكموظف هناك، التقى بوفود من مختلف القبائل الهندية من الغرب. ومثلما أدرك المدى الجغرافي الواسع لأميريكا من خلال زياراته للمستشفيات، تعرف على "الأميريكيين الأصليين". وقد ضمَّن الهنود في قصائده عن أميريكا، راصدًا "الأرومات الحمراء" في "**منطلقًا من بومانوك**" على سبيل المثال، محتفيًا بالطريقة التي يُحمِّلون بها "المَاءَ وَالأَرضَ بِالأَسمَاء" (هكذا كان ويتمان دائمًا ما يفضل اسم "بومانوك" على "لونج ايلاند"، وكثيرًا ما جادل في أن أسماء الأرومات الأصلية للأماكن الأميريكية كانت دائمًا أرقى من الأسماء المستوردة من أوروبا). والانطباعات التي خلفتها خبرات ويتمان في المكتب الهندي واضحة في القصائد

الأخيرة، من قبيل "أوسكيولا" و"يونُّونديو"، مضفيًا الطابع الأخلاقي على ما كان يبدو له خسارةً حتمية للثقافات المحلية.

أُطلق سراح جورج ويتمان من سجن دانفيل في فبراير، وعاد إلى البيت في بروكلين في مارس. وحصل ويتمان على إجازة من المكتب الهندي ليتمكن من رؤية جورج، فيما قام- في بروكلين- بترتيب نشر "قرع الطبول" مع ناشر من نيويورك. وقع عقدًا في الأول من أبريل، وبعدها بثمانية أيام، فيما كان ما يزال في بروكلين، انتهت الحرب الأهلية، باستسلام الجنرال "لي" في أبُوماتُوكس؛ وبعد خمسة أيام، تم اغتيال الرئيس لنكولن في مسرح فورد بواشنطن.

إنها لمفارقة أن ويتمان، الذي قضى معظم عاميه الأخيرين من الحرب في العاصمة، كان غائبًا عنها في أكثر أحداثها تاريخيةً وصدمة: عاد إلى نيويورك خلال الهجوم الرئيسي الكونفيدرالي على واشنطن، وكان في نيويورك من جديد عندما احتفلت العاصمة بانتهاء الحرب، ثم أعلنت الحداد على خسارة الرئيس.

لكن حقيقة أن ويتمان كان في بيت عائلته في بروكلين أدى إلى إحدى أعظم قصائده، لأنه سمع بالأخبار عن لنكولن في صباح أبريلي، عندما كان أجمات الزنبق تُزهر في باحة منزل أمه، حيث ذهب ليواسي نفسه وحيث استنشق عبير الزنبق، الذي أصبح بالنسبة له مرتبطًا بصورة وثيقة بذكرى وفاة لنكولن. بدأ في كتابة مرثيته للنكولن، **"عندما أزهر الزنبق في الباحة"**، بعد أن تم تسليم "قرع الطبول" بالفعل إلى الطابع. لم يكن قادرًا على أن يضيف إلى "قَرع الطبول"- قبل أن يتم صف الكتاب بالحروف الرصاص- إلا قصيدة قصيرة عن "موت لنكولن". ولهذا، فقد جمَّع ويتمان ملحقًا لـ"قرع الطبول" وقام بطبعه حين عاد إلى واشنطن. وفي أكتوبر، عاد إلى بروكلين ليشرف على لصق وتجليد "الملحق" مع "قَرع الطبول". أعطى "الملحق" عنوانًا فرعيًّا "عندما يزهر الزنبق في الباحة ومقطوعات أخرى". وعبَّر العنوان عن التشظي الذي يميز الآن شعره وأمته، المبعثرة تمامًا إلى أجزاء. قام بتأريخ الملحق بـ1865-66، مقدمًا لحظة أخرى فاصلة بصورة هامة. ومثلما كانت طبعة **"الأوراق"** (1860-61) علامة فاصلة بين أمة في حالة سلام وأمة هيمنت عليها الحرب، هكذا كان "الملحق" الآن يؤشر على إعادة التوحيد، على بلد تنتقل من عام حرب إلى العام الأول الصعب من سلامها الموحد، من رُعب التشرذم إلى تحدي إعادة البناء.

بضم "قَرع الطبول" و"الملحق" معًا، خلق ويتمان كتابًا يردد شكله الفيزيقي صدى

التحديات التي كانت تواجهها الأمة ما بعد الحرب، حيث دخلت المرحلة العاصفة من إعادة البناء. وكان ويتمان أيضًا يدخل مرحلة من إعادة البناء الشعرية، بحثًا عن طرق لتمثل صدمة الحرب الأهلية الوطنية والشخصية في "**أوراق العشب**". ومع انتهاء الحرب، بدأ ويتمان في إدراك أن آمال وتاريخ الأمة عليها أن تتوحد، وأن أهدافه الأصيلة لـ"**أوراق العشب**"- أن يقدم مستقبلًا ديموقراطيًا متفائلًا لأميريكا- لا ينبغي هجرانها، بل تكاملها مع صدمة الحرب الأهلية. لقد واجه المهمة الصعبة الآن لإعادة فتح "**أوراق العشب**"، كي يكتشف طريقة لدمج رعب الحرب بين الأخوة الأعداء في الكتاب المتنامي.

بيتر دُويل

كانت حياة ويتمان معرضة لتغيرات كثيرة في الأسابيع والشهور التالية لنهاية الحرب. وقد وقع أحد الأحداث الرئيسية بصورة غير متوقعة: ففي ليلة عاصفة، فيما كان يستقل عربة إلى البيت، بعد العشاء في شقة جون وأورسولا بوروز، بدأ ويتمان الحديث مع السائق؛ مهاجر أيرلندي في الحادية والعشرين من عمره، وجندي سابق بالقوات الكونفدرالية، يُدعَى بيتر دويل. وقد تذكر دويل- فيما بعد- أن ويتمان كان الراكب الوحيد، و"قد تآلفنا معًا في الحال. ومنذ ذلك الحين أصبحنا أكثر الأصدقاء حميمية". وستكون صداقة ستدوم لبقية حياة ويتمان، وكانت الصداقة الأكثر عمقًا ورومانتيكية لدى الشاعر. وشأن ويتمان، كان دويل قد أتى من أسرة كبيرة، وتعرف ويتمان على أم دويل الأرملة وأيضًا على أخوته؛ لقد تحولوا إلى أسرة ثانية له.

وقد واصل ويتمان زياراته للجنود في مستشفيات واشنطن، خلال الأعوام الأولى التالية للحرب، حيث تناقص تدريجيًا عدد المستشفيات، ولم تبق بها سوى الحالات الحرجة؛ لكنه الآن كان يركز انتباهه بصورة متزايدة على جندي المدفعية السابق الشاب، الأعزب، القادم من الجنوب. وشأن الكثيرين من أصدقائه الحميمين، لم يكن دويل قد توفر إلا على تعليم بدائي، وكان ينتمي إلى الطبقة العاملة. هؤلاء الشبان كانوا انعكاسات لشباب ويتمان نفسه، وكان يرى شِعره ينطق من أجلهم، فيصوغ في كلماتٍ ما لا يستطيعونه، ليصبح صوت الرجل العادي، بلا سيماء أرستقراطية، بلا دراسة نخبوية، بلا شكليات بالية للتراث. وبالنسبة

لويتمان، آنذاك، كان دويل يمثل مستقبل أميريكا: العفي، اللماح، الوسيم، ذي الروح المرحة، الشغّيل، المحب للأوقات الطيبة، فيما منح حياة ويتمان بعض الطاقة والأمل خلال الزمن الكابي. كانا يستقلان العربات معًا، يشربان في حانة "يونيو أوتيل"، يتمشيان طويلًا خارج المدينة، ويقتبسان الشعر لبعضهما البعض (كان ويتمان يتلو شيكسبير، ودويل يتلو قصائد فكاهية). وإذ واصلت صحة ويتمان التدهور في أواخر ستينيات القرن وبداية السبعينيات، قام الجندي السابق الشاب بتمريض الممرض السابق العجوز، ومنح الشاعر الراحة مثلما فعل والت للكثيرين من الجنود المرضى. ومثلما التقط ويتمان بذور الكثير من قصائده من حكايات الجنود له، كان يلتقط الآن من دويل- الذي كان في مسرح فورد في الليلة التي أطلق فيها جون ويلكيس بوث النار على الرئيس- حكاية اغتيال لنكولن، التي سيستخدمها في محاضراته عن لنكولن، وسيقدمها بانتظام في سنواته الأخيرة.

الشاعر الأشيب الطيب

ما إن أحس ويتمان بالأمان في وظيفته الحكومية، حتى انفرط كل شيء. ففي مايو 1865، تم تعيين وزير جديد للداخلية، جيمس هارلان، الذي بدأ حملة لتطهير وزارته، مُصدرًا قرارًا بإلغاء الوظائف غير الأساسية، وطرد أي موظف تمثل "أخلاقياته" موضع سؤال. كان هارلان برلمانيًّا سابقًا، ووزيرًا ميثوديًّا[*]. وحينما رأى ويتمان يقوم بنسخ طبعة عام 1860 من "**أوراق العشب**" (التي كان الشاعر يحتفظ بها في مكتبه ليتمكن من مراجعه قصائده، خلال أوقات فراغ العمل بالمكتب)- تم استدعاؤه. وفي 20 يونيو، تلقى ويتمان (مع عدد من موظفي وزارة الداخلية) قرارًا بالطرد. لجأ ويتمان بسرعة إلى صديقه المتوقد أوكونور، الذي كان يعمل في ذلك الحين في وزارة الخزانة. وقام أوكونور- ببعض المخاطرة بوظيفته- بفعل مباشر: اتصل بمساعد النائب العام، ج. هوبلي أشتون، الذي تحدث بدوره مع هارلان، لا ليكتشف فحسب أن هارلان أصم إزاء سحب قرار الطرد، بل إنه على استعداد أيضًا لمنع ويتمان من العمل في أية وكالة حكومية أخرى. وتحدث أشتون مع

[*] **الميثودية**: حركة دينية إصلاحية لإحياء كنيسة انجلترا.

هارلان على ألا يتدخل في تعيين ويتمان خارج الداخلية، ثم قام بإقناع النائب العام جيمس سبيد بتعيين ويتمان في مكتبه. وأصبح ويتمان موظفًا في مكتب النائب العام في اليوم التالي. وقد أحب هذا العمل (ساعد في إعداد التماسات العفو عن الكونفدراليين، ليقوم- فيما بعد- بنسخ الوثائق لتوصيلها إلى الرئيس وأعضاء الوزارة)، وظل بالوظيفة حتى 1874، حين تركها بسبب اعتلال صحته.

بدا أن ضربة طرد ويتمان قد انتهت خلال يوم واحد، لكن أوكونور- وهو محرر مرموق، وروائي، وصحفي، بالإضافة إلى كونه موظفًا حكوميًّا- لم يستطع أن يقمع غضبه على هارلان، وبدأ في كتابة نقد ساخر عنيف ضد وزير الداخلية ذي النزوع الأخلاقي. وانطلق في حملة شجب قوي لهارلان وتكريس لويتمان، مقدمًا مصادقة مدوية على عمل الشاعر وحياته، مشددًا على عمله بالمستشفيات وعشقه لوطنه، وملصقًا أية فظاظة بـ"تفاهة الاحتشام الفظيعة" لهارلان، لا بالشعر ذاته. وقدم ويتمان النصيحة وبعض المقترحات على المادة، التي عنونها أوكونور بـ"**الشاعر الأشيب الطيب**"، وهو اللقب الذي سيلتصق بويتمان من الآن فصاعدًا. نُشر الكتيب في بداية 1866، وكان له تأثير كبير على تغيير الاستقبال الجماهيري لويتمان.

نحو ذلك الحين، قام ويتمان بزيارة بيت جورج واشنطن في ماونت فيرنون، ربما للبحث عن مرتكز مستقر في تاريخ وطني كان يبدو الآن أنه يخرج عن السيطرة. وفي كل مكان، كانت أميركا يتم تحديدها من جديد، وكان ويتمان الآن يبحث عن إيماءات، وأجوبة، واقتراحات، فيما يتعلق بمستقبل أميركا. وحضر بعض مناقشات الكونجرس عن إعادة البناء، لكنه ظل غامضًا بشأن مواقفه من الأسئلة الحارقة المتعلقة بالمواطنة، والاقتراع على العبيد المتحررين حديثًا؛ وإذ كان معارضًا لامتداد العبودية قبل الحرب، كان الآن مشوشًا بدور العبيد المتحررين في أميركا المعاد تأسيسها بعد الحرب. كان يحضر مباريات البيسبول؛ الرياضة الجديدة التي سرعان ما أصبحت اللعبة الوطنية بعد عودة جنود الحرب الأهلية، الذين تعلموا كيف يلعبونها في المعسكرات الحربية، وبدأوا في تشكيل فرق في مناطق مختلفة من البلاد. وكان ويتمان أول من أسماها "لعبة أميركا". فربما يمكن لهذه اللعبة الموحِّدة أن تساعد في منح البلاد هوية واحدة من جديد: قال إن اللعبة كانت مهمة لـ"المجموع الكلي لحياتنا التاريخية" شأن قوانيننا ودستورنا. وعمل على "**أوراق العشب**"،

مراجعًا طبعة 1860 بلا توقف (كانت ما تزال لديه النسخة التي عثر عليها عليها هارلان في مكتبه)، متطلعًا إلى طريقة يمكن بها لكتابه أن يستمر في التطور كقوة منظمة للهوية الأميريكية.

إعادة بناء "أوراق العُشب"

في أغسطس وسبتمبر 1866، أخذ إجازة من عمله ليذهب إلى نيويورك، ويرتب لإصدار طبعة جديدة من "**أوراق العشب**". وفيما كان هناك، خاض في التغير السريع والامتداد الشاسع لمدينة نيويورك- تجول في سنترال بارك، وقام بنزهات بالقارب، وعقد صداقات مع السائقين والعاملين بالعربات والقوارب، وأشرف على صف "**الأوراق**"، الذي ظهر في النهاية قرب نهاية العام، رغم أن صفحة العنوان تحمل تاريخ 1867.

وطبعة 1867 هي أكثر الطبعات إهمالًا في الطباعة، والأكثر فوضوية من بين كل الطبعات. كان لدى ويتمان مشاكل مع عمال صف الحروف، الذين كان عملهم مليئًا بالأخطاء. وقام بتجليد الكتاب في خمس نسخ منفصلة، البعض يحتوي فحسب على الطبعة الجديدة من "**أوراق العشب**"، والبعض على "**الأوراق**" و"**قرع الطبول**"، والبعض على "**الأوراق**" و"**قرع الطبول**" و"**الملحق**"، والبعض- مع كل ذلك- على وحدة جديدة أخرى بعنوان "**أغنيات قبل الرحيل**"، والبعض على "**الأوراق**" و"**أغنيات قبل الرحيل**". كان من الواضح أنه مشوشٌ بخصوص الشكل الذي ينبغي لكتابه أن يتخذه. وكان دائمًا ما يعتقد أن تاريخ "**الأوراق**" يتوازى مع تاريخه هو نفسه، وأن التاريخين ينطويان على تاريخ أميريكا في القرن التاسع عشر. لهذا، فيمكننا قراءة طبعة 1867 باعتبارها أولى محاولات ويتمان لتضمين الحرب الأهلية في كتابه. وحياكة الصفحات المطبوعة من "قرع الطبول" و"ملحق" في ظهر بعض الطبعات، كان يخلق تأثيرًا نصيًا مزعجًا، شأن الترقيم وتكسر الخط؛ فيما كان يضيف قصائده المكتوبة عن الحرب والتقسيم إلى قصائده عن الاندماج وعدم التمييز. لقد تم الإبقاء على الاتحاد، لكن هذا الكتاب العاري غير المزين- وهو الطبعة الوحيدة من "**الأوراق**" حتى الآن، التي لا تضم صورة للشاعر- يكشف عن نوع من المصالحة الإجبارية، اعتراف بأن كل شيء الآن عليه أن يخضع لإعادة التشكيل. كان "أوراق

العشب"، شأن الأمة، يدخل الآن مرحلة طويلة من إعادة البناء.

وسيظل ويتمان يعيد ترتيب، وتشذيب، والإضافة إلى "**الأوراق**"، ليحاول حل المشاكل البنيوية الواضحة في طبعة 1867. وبحلول 1870، اتخذت "الأوراق" شكلًا جديدًا جذريًا، حين ظهرت الطبعة الخامسة (المعروفة بطبعة 1871-72، لكن المطبوعة بالفعل في 1870). وهذه الطبعة المركبة، التي ظهرت- شأن طبعة 1867- في نسخ مختلفة، تكشف محاولة ويتمان لإدماج الحرب الأهلية تمامًا وما تلاها في الكتاب؛ إذ اتخذت قصائد "قَرع الطبول" وحدتها الخاصة، لكنها أيضًا تبعثرت في أجزاء مختلفة من "**الأوراق**"؛ حيث تستنزف تجربة الحرب في بقية القصائد، في بعض الإضافات والتغيرات الصغيرة الدقيقة. وتحتوي هذه الطبعة على بعض الوحدات الموحية للقصائد التي تبدو هنا وهناك، ثم تختفي في الترتيب الأفضل بكثير، المعروف بترتيب 1881؛ ففي طبعة 1871-72، تمثل "المسيرات الآن فالحرب انتهت" و"أغنيات العصيان المسلح" وحدتين تنطويان على اللحظة التاريخية المشحونة لإعادة البناء، التي تستجيب لها هذه الطبعة.

وفي التطور من "أوراق" 1867 إلى "أوراق" 1871-72 الأفضل تكاملًا، تلقى ويتمان مساعدة الكاتب الإنجليزي وليام مايكيل روزيتّي، الذي نشر "قصائد والت ويتمان" (1868)، أول طبعة بريطانية لأعمال ويتمان. وترتيب روزيتّي للقصائد ساعد ويتمان على أن يرى احتمالات جديدة في عمله، وبخاصةٍ كيف تتكامل "قَرع الطبول" في مشروع أكبر لـ"أوراق **العشب**". ومع ذلك، فقد كان روزيتّي يعتقد أن عمل ويتمان عليه أن يتم تشذيبه من أجل حساسيات القارئ الإنجليزي. وإذ تقدمت عملية إصدار الطبعة الإنجليزية، اتخذ ويتمان مواقف متنوعة من اقتراحات روزيتّي الرقابية، ليبدو- ذات مرة- كأنه يمنح موافقته على استبدال بعض الكلمات، لكنه فيما بعد يخبر روزيتي "**إنني لا أستطيع ولن أوافق، بإرادتي، على القيام بتشذيب طبعة نصوصي**". وكان مدخل روزيتي الدبلوماسي يقوم على استبعاد القصيدة بكاملها، إذا ما كان لها أن تغضب قراءً كثيرين أو تستثير الرقباء. كان روزيتّي يعتبر ويتمان واحدًا من أعظم شعراء اللغة الإنجليزية، وكان يأمل في أن تحفز هذه المختارات على طباعة أعماله كاملة في انجلترا. وكانت "قصائد والت ويتمان"- التي ضمت نصف "أوراق **العشب**" (1867)- حاسمة لصالح ويتمان، حيث منحته أصدقاء بريطانيين سيساعدون فيما بعد في دعمه ماليًا، وسيدفعون بشهرته على جانبي الأطلنطي.

"آفاق ديموقراطية" ومشروعات جديدة أخرى

في عام 1870، نشر ويتمان "آفاق ديموقراطية" و"ممر إلى الهند" (وكل منهما يحمل تاريخ 1871 على صفحة العنوان). و"ممر إلى الهند" ديوان يتألف من خمس وسبعين قصيدة، ثلثها جديد، كان مخططًا له أن يكون متابعةً لـ"أوراق العشب". وهو ديوان يفتتح مرحلة جديدة في شعر ويتمان عن "الروح اللامرئية"، ويستكمل بالتالي أغنياته المبكرة عن "الجسد والوجود" (اعتلال صحة ويتمان دفعته في النهاية إلى إلغاء الخطة). وقصيدة العنوان تتحرك من المادي إلى الروحي. وغالبية "ممر إلى الهند" تحتفي بعمل المهندسين الرفيع، وبخاصةٍ الربط الكوني الملهِم المتحقق بطرق السكك الحديدية العابرة للقارات، وقناة السويس، والكابل الأطلنطي (تضاعف حماس ويتمان لمنجزات الهندسة بسبب فخره بأخيه جيف، الذي أصبح آنذاك كبير المهندسين المشرف على أعمال المياه في سانت لويس- "عمل عظيم- موقف نبيل"، صاح والت). وبالنسبة لويتمان، فالمنجزات المادية الحديثة أكثر أهمية كأدوات لفهم أفضل لـ"اللغز الشرس القديم" في قلب الأسئلة الروحية. و"ممر إلى الهند" عظيم في التصميم، وكان له معجبون كثيرون، لكن الإفراط الخطابي في القصائد- الواضح حتى في تعويله الثقيل على علامات التعجب- يكشف عن شاعر ليس في خصام ذي بال مع موضوعه.

ولا شك في أن احتفاء ويتمان بالمهندسين، والمعماريين، والميكانيكيين، في "ممر إلى الهند"، قد حفز منظمي معرض 1871 للمعهد الأميريكي (معرض صناعي ضخم) ليدعوه لتقديم القصيدة الافتتاحية. وقبل ويتمان، سعيدًا بمبلغ الـ100 دولار، والدعاية التي ستنجم عن توزيع نشرة المعرض من خلال أحد ناشري بوسطن. والدعاية المؤكدة كانت موضع ترحيب، لأن عمله الأخير لم يلق سوى القليل من المتابعات الصحفية. وجهز نسخًا من قصيدته "ألا تُبدع فحسب في نهاية المطاف" (أسميت بعد ذلك "أغنية المعرض")، لتوزيعها على الجرائد اليومية بنيويورك. والتقارير عن تأثير قراءة ويتمان مختلطة: أشار البعض إلى أن الشاعر لم يكن مسموعًا لدى العمال الذين كانوا يجهزون المعروضات، فيما قال آخرون إنه لقي تصفيقًا طويلًا. وعلى أية حال، فثمة ما يكفي من السخرية في التقارير الصحفية بما يجعل الحدث أقل من نجاح كامل.

وإذا ما كانت نصوص "ممر إلى الهند" و" ألا تُبدع فحسب في نهاية المطاف" احتفالية، فإن "آفاق ديموقراطية" قد حشدت نقدًا قويًا لأشكال فشل حقبة إعادة البناء. وإذ ارتكزت- في جانب منها- على مقالات نشرها عامي 1867-68، فإنها تتجاوب بصورة أكثر مباشرة مع خطبة عنصرية لتوماس كارلايل "إطلاق الرصاص على نياجارا: وبعد؟". فبالنسبة لكارلايل، فحماقة منح السود حق التصويت مماثلة للقيام برحلة إلى شلالات نياجارا في برميل. وقد وافق ويتمان كارلايل في بعض النقاط العامة، معترفًا- على سبيل المثال- بـ"المخاطر المروعة للاقتراع العام في الولايات المتحدة" بسبب "فجاجة، ومثالب، ونزوات الناس". وفي الواقع، فقد كان ويتمان يحدق بنفاذ في مجتمع "خام فاسد، متعفن ومفعم بالخرافات". ومع ذلك، فقد قابل بين هذه المشاكل الراهنة و"التقاليد والتطلعات الديموقراطية"، ليقدم في النهاية مصادقته على الديموقراطية، باعتبارها المسار الآمن والشرعي الوحيد للولايات المتحدة. لقد سبق جون ديوي في الرأي بأن الولايات المتحدة لم تتشكل بعد، ولهذا فلا يمكن تحديدها تصنيفيًّا، شأن تاريخ الديموقراطية الذي ما يزال يُكتب حتى الآن؛ لأن هذا التاريخ يتم تفعيله الآن. وبرنامج ويتمان لتدعيم الديموقراطية هو ما يسميه "الشخصانية" (أحد أشكال الفردانية)، وتنشئة "أدب عالمي جديد" مناسب.

سكتة ويتمان والانتقال إلى كامدِن

كان الروتين المنتظم لحياة ويتمان- بمزجه العمل كموظف بواشنطن مع مشروعاته الأدبية المنطلقة- قد تغير بصورة جوهرية، حينما حولت سلسلة من الضربات عام 1873 إلى واحد من أسوأ الأعوام في حياته. ففي 23 يناير، عانَى من سكتة دماغية؛ وفي فبراير توفيت "ماتي" زوجة أخيه جيف بالسرطان؛ وفي مايو، بدأت أمه الحبيبة في الاحتضار. ونجح ويتمان- شبه المشلول، الذي يعاني من وهن في ساقه وذراعه اليسرى- في السفر إلى كامدِن، بنيو جيرسي، ليصل قبل ثلاثة أيام من وفاة أمه. وعاد إلى واشنطن في بداية يونيو، على أمل البقاء، منتقلًا إلى منطقة الطبقة العاملة مع شقيقه جورج وزوجته "لُو".

ويمكن للمرء أن يلمح حالة ويتمان الشعورية في قصيدة "صلاة إلى كولومبس" (مارس 1874)، التي تصور كولومبس- كقناع لويتمان نفسه- كعجوز مهشم، محطم،

مشلول، يُساء فهمه في زمنه. ومع ذلك، فبالتدريج، تحسنت روح الشاعر المعنوية حين انتقل إلى كامدِن، ووجد طُرقًا ليحول مدينة مكافحة إلى بيئة اجتماعية داعمة. ومن بين مزايا كامدِن قربها من فيلادلفيا، مدينة تمتلك جماعة فنية وثقافية مزدهرة. وقد جعل توماس إيكِنز- من مقره بأكاديمية الفنون الجميلة ببنسلفانيا- من ويتمان موضوعًا لصورة شخصية تاريخية وعديد من الصور الفوتوغرافية، وأنتج أعمالًا أخرى بإيحاء من ويتمان. وقد وجد اهتمام ويتمان بالتصوير الفوتوغرافي وسطًا داعمًا في فيلادلفيا، موطن أقدم جمعية فوتوغرافية أميريكية. وتمثَّل ويتمان مناخ هذه الإثارة، إذ كان يُعد تجربته الذاتية في الدمج الفوتوغرافي مباشرة في مشروعه الأدبي بتضمين صوره الشخصية في طبعاته الجديدة من "أوراق العشب".

أفعــال الذاكـرة

وخلال سنوات كامدِن، ورغم تدهور حالته الصحية، فقد قام بالنشر بانتظام. فبعد وقت غير طويل من سكتته الدماغية، على سبيل المثال، توسع وأعاد العمل على مواده الصحفية وكراسات مذكراته، ليؤلف منها "مذكرة خلال الحرب" (1875-76). نُشر الكتاب في نهاية إعادة البناء، حين استنزفت زيادة الهجرة والصراع العنصري التماسك الوطني، وأضفت- بالنسبة لويتمان- الأهمية على رأيه بأن الروابط العاطفية بين الناس تشكل العصَب الحيوي للديموقراطية الأميريكية. والنثر- في هذا الكتاب- محكم، مكثف، دقيق، بلا تردد. ورغم أن الحرب الأهلية قد تمتعت بتغطية صحفية أكبر من أية حرب سابقة، فقد قلق ويتمان من أن عائدها الحقيقي مُعرض للضياع، وأن ما كان يسميه "الحرب الحقيقية" لن يتذكرها أحدٌ أبدًا.

وتشكل "مذكرة" ومطبوعات أخرى حالة نقاهة ملحوظة في أقصى حالة معنوية متدهورة لويتمان. كان ويتمان يأمل في أن يطلبوا منه كتابة النشيد الوطني (طلبوا ذلك من خمسة آخرين، قبل أن يقبل بذلك بايارد تايلور)، لكن مئوية الأمة مرت دون اعتراف ذي بال به. ولم يضيع وقتًا طويلًا في المعرض المئوي المقام في فيلادلفيا عبر النهر من كامدِن. لكن ويتمان احتفل بالمئوية عن طريق سك مصطلحات متنوعة "طبعة المؤلف" أو "الطبعة

المئوية" من "**أوراق العشب**" (كانت طبعة 1876 هي- تقنيًّا- إعادة إصدار لطبعة 1871-72، مع بعض ما يتخللها من إضافات صغيرة؛ ألصق أربع قصائد جديدة في أجزاء خالية من الصفحات، وأدرج "صورتين شخصيتين"، مع الحفر القديم لـ هوليار الذي استخدمه في طبعة 1855، ولوحة حفر جديدة لوليام لينتُون لصورة فوتوغرافية حديثة). والكتاب المرافق لهذه الطبعة من "**أوراق العشب**"- كتاب "**غديران**" (1876)، يجمع كتاباته عن إعادة البناء، ويقدمها بطريقة تجريبية رفيعة: في أحد الأقسام، قام بطباعة الشعر والنثر في أعلى وأسفل الصفحة. والمطبوعات الثلاثة لويتمان- "مذكرة" و"أوراق العشب" و"غديران"- شكلوا قربانًا مئويًّا متعدد الوجوه، ومركبًا، يمثل تعليقًا لاذعًا على البلد ذي المائة عام من العمر، مازجًا بين الإطراء والهجاء، واليأس من وجوه الفشل مع الأمل في المستقبل.

نقاش دولي

كانت مطبوعات ويتمان المئوية أكثر نجاحًا ماليًّا من أعماله السابقة، جزئيًّا بسبب النقاش عبر الأطلنطي الذي زاد من رؤيته بصورة درامية. وقد ساعد ويتمان على اشتعال الجدال حين كتب مقالة "الموقف الأميريكي الفعلي لوالت ويتمان"، التي قدم فيها وصفًا مبالغًا فيه لتجاهله، وبرهن على أنه كان يتم استبعاده- بصورة منهجية- من المجلات الأميريكية، فيما كان الشعراء الكبار يزدرونه لدى تجميعهم لمختارات شعرية. وقد أرسل ويتمان مقالته إلى وليام مايكيل روزيتّي بانجلترا، ورادولف شميت بالدانمرك، وإدوارد داودِن بأيرلندا، من بين آخرين. واستعرت حُمى الجدال حين دخل إلى الحلبة روبرت بوكانان (الذي اشتهر بمقالته عن الشعراء السابقين على الروفائيليين بعنوان "المدرسة الجسدية في الشعر")، منتقدًا بحدة طريقة التعامل مع ويتمان على الجانب الأميريكي من الأطلنطي. وقاد بايارد تايلور الجانب الآخر، مدافعًا عن التعامل الأدبي الأميريكي لويتمان. وقام محرر "أبيلتون" بالتعليق بذكاء بأن الأمر كله قد دوَّى بفعل "حيلة دعائية" من ويتمان وأنصاره لتسويق أعماله. وفي الواقع، فإن هذا الجدال كانت له فوائده العملية في زيادة المبيعات (قال ويتمان إن المشتركين البريطانيين في طبعة 1876 من "أوراق العشب" و"غديران" قد "أنقذوني كغصن من الحريق، وأعادوني إلى الحياة من جديد").

آن جيلكريست وهاري ستافُورد

كان الدعم الإنجليزي شارةً على ذروة الاهتمام الذي كان يتصاعد منذ نشر روزيتّي "قصائد والت ويتمان". ومن بين القراء الكثيرين الذين انجذبوا إلى ويتمان، من خلال هذا الكتاب، كانت آن بورروز جيلكريست من بين أكثرهم أهمية. كانت قد أكملت كتاب زوجها عن السيرة الذاتية لوليام بليك. وكتبت سلسلة من الرسائل إلى روزيتّي ساهمت- في النهاية- في مقالتها النافذة "تقييم امرأة لوالت ويتمان" (1870). وتراسلت السيدة جيلكريست وويتمان طوال ست سنوات بصورة مشبوبة من جانبها وحذرة من جانبه. ثم إذا بالشاعر- على نحو مدهش- يرسل خاتمًا لها. لم تكن هدية ويتمان عرَضية، ولا كانت تقليدية. وقد استخدم ويتمان رمزًا تكريميًا في ذلك الحين، مشيرًا لا إلى الحب الرومانتيكي، بل إلى الصداقة المحبة التي كان على استعداد لمشاركة السيدة جيلكريست فيها.



وفي النهاية، عبرت السيدة جيلكريست الأطلنطي، مقتنعةً بأنها مقدورٌ عليها أن تنجب أطفالًا من "أكثر المحبين حنانًا". بعد وصولها إلى فيلادلفيا في سبتمبر 1876، استطاعا التغلب على التحفظ الأوّلي، وأسسا صداقة دافئة. وظلت في الولايات المتحدة لثمانية عشر شهرًا، كان ويتمان خلالها يزورها يوميًا تقريبًا، وأحيانًا ما يقيم عندها، حيثِ أصبح فردًا من الأسرة، وأسس علاقات وثيقة مع أبنائها، وبخاصةٍ ابنها هيربرت، وهو رسام رسم عدة بورتريهات لويتمان.

وفضلًا عن أصدقائه الأدباء، حافظ ويتمان على روابطه بأبناء الطبقة العاملة، وغالبيتهم من الشبان. وتدريجيًّا، تقلصت علاقة ويتمان بدُويل، حيث كان يرى كل منهما الآخر بصورة متناقصة. وحل هاري ستافُّورد محل دُويل كابنه، "الإبن العزيز". وستافُّورد، وهو شاب مهزوزٌ عاطفيًّا في الثامنة عشرة من عمره حين التقى به ويتمان للمرة الأولى عام 1876، كان يعمل في صحيفة "نيو ريبَبليك" بكامدِن. وكانت أسرة ستافورد تعتبر ويتمان نوعًا من المرشد، وسُرت باهتمام الشاعر بالشاب. وكانت والدة ستافُّورد قلقة بصورة خاصة على ويتمان وهو يمرِّض نفسه ليستعيد صحته بعد السكتة، من خلال القوى الشافية للمشهد الطبيعي في مزرعة ستافُّورد، التي تبعد نحو عشرة أميال عن كامدِن.

معجبُـون إنجليـز

كانت هناك مجموعة من الإنجليز- كتاب، مثقفون، وبائعون، وعمال- يعتبرون ويتمان أيضًا بمثابة شخصية ذات أهمية حيوية. وكان هؤلاء الرجال يكافحون لتأسيس هوية إيجابية مرتكزة على حُب نفس الجنس (وهو ما كان بداية لما يُسمَّى "المثلية") في ثقافة كانت تجنح إلى تصنيف مثل هذا الحب- بصورة متزايدة- كحب مرَضي وإجرامي. وجاء إدوارد كاربنتر- وهو أحد أشياع ويتمان الرئيسيين في انجلترا- إلى كامدِن للمرة الأولى ليزور ويتمان عام 1877، وعاد مرةً أخرى في 1884. قام كاربنتر بالتأثير على فنانين، ومثقفين، وناشطين في الجنس مختلفين، في زيادة انتشار أشعار وأفكار ويتمان في أوساط الحركة العمالية ببريطانيا، حيث تم توظيف لغة الشاعر عن "الرفقة" من قِبل الشغوفين بتحقيق تقدم أكبر في مجتمع المساواة، من خلال كتاباته، بما فيها شعره المستلهم من ويتمان، ومقالاته العديدة؛ وكتابه الأخير "أيام مع والت ويتمان" (1906)، مذكرات عن ارتباطه بويتمان وتحليل لأعمال ويتمان وتأثيرها.

وكان آخرون يقومون بالحج- في تلك الأعوام- إلى كامدِن، مع أوسكار وايلد من بين أكثرهم شهرة. وفي عام 1882، شرب وايلد نبيذ البَلسَان مع الشاعر، معلنًا أنه "ليس هناك في عالم أميريكا الشاسع العظيم هذا مَن أحبه وأحترمه أكثر" من ويتمان.

طبعة 1881-1882

وقد تلقى عمل ويتمان، الذي شهد مصادقة القراء الإنجليز ومعجبين أوروبيين آخرين، وبخاصةٍ في فرنسا والمانيا، دَفعة إضافية عام 1881، حين قرر ناشر كبير من بوسطن- جيمس ر. أوزجود وشركاه- أن يصدر "**أوراق العشب**" بنفسه. ومثلما كانت حاله منذ ما يزيد عن عشرين عامًا، حين عرض ثاير وألدريدج إنجاز طبعة جديدة بالاحترام في بوسطن، كان بمقدور ويتمان الآن أن ينتظر مكاسب انتشار واسع، وتوزيع جيد، ومصداقية مؤسساتية (فكرة مفارقة، بالطبع، لشاعر مارق). ومرةً أخرى من جديد، رغم ذلك، سرعان ما مضت الأشياء بصورة منحرفة. فقد كتب أوليفر ستيفنز- النائب العام لمقاطعة بوسطن- في الأول من مارس 1882: "**نحن نتبنى الرأي بأن هذا الكتاب هو كتاب يفرض اتخاذ احتياطات من قِبل القوانين العامة، فيما يتعلق بالأدب الإباحي**"؛ **ويقترح ملاءمة سحبه أمثاله من التوزيع وحظر طبعاته**. وشجعت جماعة إنجلند الجديدة لحظر الرذيلة هذا الإجراء، لكن العديد من الكتابات الصحفية تنبأت بوقوع مشاكل للكتاب.

حاول أوزجُود الوصول إلى حل وسط، وعمل ويتمان أيضًا- معتقدًا أن التغييرات قد تتعلق فحسب بعشرة سطور "نصف دستة من الكلمات أو العبارات"- على العثور على مخرج من المنع. لكن موقف ويتمان تصلَّب ما إن أدرك مدى كثافة التغييرات الواجب إجراؤها. فالمقطوعات المزعجة واردة في "**أغنية نفسي**"، "**من الأنهار الموجعة الحبيسة**"، "**أغني الجسد المثير**"، "**امرأة في انتظاري**"، "**تلقائيٌّ أنا**"، "**لحظات فطرية**"، "**مزاح النسور**"، "**على شاطئ أونتاريو الأزرق**"، "**إلى عاهرة عادية**"، "**متفتحًا خارج القطعان**"، "**النائمون**" و"**وجوه**". وبالنسبة لغالبية القصائد، فثمة مقطوعات أو كلمات اعتُبرت مستفزة، لكن النائب العام للمقاطعة أصر على أن "**امرأة في انتظاري**" و"**إلى عاهرة عادية**" ينبغي حذفهما بكاملهما. وبصورة ماكرة، فإن قسم "**كالامُوس**" والقصائد الأخرى التي تتناول المثلية الذكورية لم يُثر أي اهتمام، ربما لأن قصائد الحب الذكوري تغامر بعيدًا عن متناول اليد، فيما قصائد الحب الذكوري-الأنثوي صريحة فيما يتعلق بالجِماع. وكتب ويتمان إلى أوزجُود: "**القائمة كلها مرفوضة من جانبي، ولن يتم التفكير فيها تحت أي ظرف**". وتوقف أوزجُود عن بيع "**الأوراق**"، وأعطى ألواح الطباعة إلى ويتمان، الذي أخذها إلى ناشر فيلادلفيا ريز ويلش.

وطبع ريز ويلش نحو 6 آلاف نسخة من الكتاب، وكانت المبيعات- على الأقل- نشطة. وداخل شركة ريز ويلش، كان ديفيد ماكاي- على وجه الخصوص- داعمًا لويتمان؛ وسرعان ما بدأ ماكاي في نشر أعمال ويتمان من خلال مؤسسته. وكان للجدل حول الحظر فائدة أخرى أيضًا: لقد ساعد على استعادة صداقة مهمة مع أوكونور، الذي عاد إلى الدفاع عن ويتمان بعد فترة من التباعد بينهما.

وفي العام الذي حُظر فيه "**أوراق العشب**" في بوسطن، كتب ويتمان "مذكرة عن مغامرة"، التي يعلن فيها أن "التناول الشهواني، التقليدي للجنس هو العقبة الفادحة الكبرى" أمام تقدم النساء في المجال السياسي، والأعمال، والحياة الاجتماعية. وقد تلقى تصوير ويتمان للنساء قدرًا كبيرًا من الانتقاد (قال د. هـ. لورنس- على سبيل المثال- إن ويتمان قد قلص النساء إلى أرحام). كان "**أوراق العشب**" يؤكد بوضوح على الأمومة، لكن ويتمان كان يقدر الأدوار الأخرى للنساء أيضًا. وفي الواقع، فإن النساء اللائي احتفي بهن أكثر كُن أولئك اللائي تحدين الأساليب التقليدية، بمَن فيهن مارجريت فوللر، فرانسيز رايت، جورج صاند، ديليا باكون، وأخريات. وانتقدت بعض نساء القرن التاسع عشر ويتمان: فقد انزعجت إليزابيث كادي ستانتون- على سبيل المثال- بصورة مفهومة من الفهم المنحرف للجنس عند النساء، كما طرحته قصيدة "امرأة في انتظاري"، حتى وهي تُقر بالحرية والتوكيد اللذين يلح عليهما ويتمان حين كتب- في نفس القصيدة- أن على النساء أن "يعرفن كيف يسبحن، ويجدفن، ويركبن الخيل، ويصارعن، ويطلقن الرصاص، ويجرين، ويضربن، ويتراجعن، ويتقدمن، ويقاومن، ويدافعن عن أنفسهن". ومعظم نساء زمنه كن ينظرن إلى ما هو أبعد من الزلات العابرة. وكتبت الكثيرات رسائل تقدير إليه، للقيمة التحريرية لشعره. وفضلًا عن ذلك، أعجب بعمله كُتاب مرموقون من كيت شوبان إلى شارلوت بيركنز جيلمان إلى إيديث وارتون، بسبب ما قاله عن المرأة، وبسبب رؤيته للرفقة- المرتكزة بصورة مثالية على المشاركة والمساواة.

قصص الحياة

صدر كتاب "**أيام إنسانٍ ما**" كنظير نثري لـ"**أوراق العُشب**" طبعة 1881-1882. وقد

وصفه ويتمان باعتباره "الكتاب الأكثر مشاكسةً، وعفوية، وتشظيًّا في تاريخ الطباعة". و- كسيرة ذاتية- فالكتاب غير سوي. وقد ألقى ويتمان القليل من الضوء على ما يظل لغزًا مركزيًّا: تطور الطبعة الأولى من "**أوراق العشب**". فبعد قسم قصير عن الخلفية الأسرية، ينتقل ويتمان بسرعة ليركز على الحرب. ومدركًا أن ما من كاتب كبير آخر يمكن أن يضارعه في علاقته المباشرة والمكثفة بالحرب، يواصل إعلان أن المستشفيات كانت مسألة مركزية في الحرب، مثلما كانت الحرب حاسمةً بالنسبة للتجربة الأميريكية. وعقب هذا القسم، ينتقل ويتمان إلى الانعكاسات الطبيعية التي استثارتها مزرعة ستافُّورد، حيث خضع ويتمان لنظام جسدي علاجي مفروض ذاتيًّا، مرهف الحساسية، لكنه فعال، ليستعيد جسده من آثار السكتة الدماغية. كما يصف رحلته عام 1879 لحضور الاحتفال ربع المئوي باستيطان كانساس، وزيارة شقيقه جيف في سانت لويس. سافر ويتمان حتى دينفر وروكيس، مكتشفًا في الطبيعة عظمةً تضارع خيالاته المبكرة عنها. وقد واصل ويتمان وقوفه في البانثيون الوطني ذهنيًّا. ففي أقسام من قبيل "إجلالي لأربعة شعراء" ووفاة إيمرسون، لونجفيلو، وكارلايل، يسعى ويتمان إلى مكانة رحبة الصدر بصورة جديدة في العلاقة بأسلافه العظام. وإذ يبدي كرمًا نادرًا ما تبدى في نقده من قبل، فإنه يمتدح رفاقه الشعراء الذين سبق أن استهزأ بهم، باعتبارهم "صُنجًا وبكائين ومتغندرين". وفيما بعد، أخذ "**أيام إنسانٍ ما**" يلقى انتباهًا نقديًّا، وهو يُقرأ الآن كعمل تجريبي وبلا مركز، نظير نثري لشعر ويتمان الجديد بصورة جذرية.

وقد انتهز ويتمان فرصة أخرى ليصوغ قصة حياته، حين بدأ الكندي ريتشارد موريس بيوك في التخطيط لأول سيرة ذاتية كاملة للشاعر، نُشرت في النهاية بعنوان "**والت ويتمان**" عام 1883. كان بيوك قد قرأ ويتمان للمرة الأولى عام 1867، وسرعان ما افتُتن به. وذات مرة، التقى الرجلان أواخر سبعينيات القرن، وبدأ صداقة هامة وعلاقة أدبية. كانت حياة بيوك تمزج بين العلم والصوفية: كان مديرًا لأكبر مصحة عقلية في أميريكا الشمالية، ومؤلف "الطبيعة الأخلاقية للإنسان" و"الوعي الكوني". وبالنسبة لبيوك، كان إنجاز ويتمان الإشراقي يضعه قرب قمة مجموعة تضم بوذا، وموسى، وسقراط، والمسيح، ووردزوورث. وقام ويتمان بزيارة بيوك في أونتاريو لأربعة شهور في صيف 1880، مقدمًا له المعلومات اللازمة للسيرة الذاتية. ومع ذلك- فحتى بعد أن وضع مسودة أجزاء من هذه الدراسة، وحرر الكثير

مما كتبه بيوك- لم يعتقد أن الكتاب قد قدم صورة شخصية صادقة.

كان قصة حياة ويتمان مرتبطة أيضًا بحياة لنكولن. فابتداءً بأواخر سبعينيات القرن، ولمد عِقد كامل، قدم ويتمان محاضرات بانتظام عن لنكولن. وقد أتت له هذه المحاضرات، ومراثيه الشهيرة "**عندما أزهر الزنبق في الباحة**"، و"**أيها القائد! يا قائدي!**" بدخلٍ كان بأمس الحاجة إليه، فيما كان يشدد من جديد على ارتباطه بالحرب، وبالرئيس الشهيد. ومحاضرات لنكولن كانت الأقرب إلى تحقيق أحلام ويتمان المبكرة في أن يكون محاضرًا متجولًا. وكان عادةً ما يختتمها بـ"آه **يا قائدي!**" مشيرًا إلى رغبته في أن يلعب دور الرائي الشعبي، برغم شكوكه الشخصية فيما يتعلق بتقليدية القصيدة.

328 شارع مايكل

في ثمانينيات القرن، فيما كان ويتمان يجمع نسخًا موثوقة من كتاباته، ويشرف على صياغات مختلفة لسيرته الذاتية، كان أيضًا يقوم بترتيبات منزلية أفضل. كان يعيش مع أسرة شقيقه جورج؛ لكن عندما تقاعد جورج، وانتقل بالأسرة إلى مزرعة خارج المدينة، رفض ويتمان أن يغادر كامدِن. وبنقود ادخرها من حقوق نشر طبعة 1881-1882 من "**الأوراق**"، مضافةً إلى قرض من الناشر جورج و. تشايلدز، اشترى الشاعر "كوخًا صغيرًا قديمًا". وفي مارس 1884، انتقل إلى المنزل الوحيد الذي امتلكه. كان المنزل ذو الطابقين- بـ328 شارع مايكل، المفتقر إلى موقد، وبحاجة إلى ترميمات- يناسب ويتمان تمامًا، كما قال. وغرفته الشخصية سرعان ما اتخذت هالة مميزة: لاحظ كثير من الزائرين أن الشاعر كان يقيم في بحر من الأوراق الفوضوية.

ومع تناقص حركة ويتمان بصورة متزايدة، وضع توماس دونالدسون- محامٍ من فيلادلفيا- خطة عام 1885 لاقتناء حصان وعربة من أجل الشاعر، بمطالبة خمسة وثلاثين شخصًا بتبرع كل منهم بعشر دولارات. وغالبًا ما كان بيل دوكيت (وهو فتى لم يبلغ العشرين من عمره) يصحب ويتمان في خرجاته، كسائق للعربة ورفيق، قبل أن يترك العمل.

الملاحـــق

احتفظ ويتمان ببنية "**أوراق العشب**"، محيلًا الشعر المكتوب فيما بعد 1881 إلى ملاحق- أو، كما أسماها "تذييلات"- للكتاب الرئيسي. وبصورة نمطية، كانت المادة الجديدة قد ظهرت أولًا في طبعات منفصلة، مثلما- على سبيل المثال- كانت حالة "أغصان نوفمبر" (1888)، وهو كتاب يضم أربعًا وستين قصيدة جديدة، تم تجميعها تحت عنوان "**رمال السبعين**"، وأعمال نثرية متنوعة سبق نشرها في دوريات. وهذه الكتابات النثرية مهمة، وبخاصةٍ "الأب تايلور (والمُصلِّي)"، "روبرت بيرنز كشاعر وإنسان"، و"اللهجة في أميريكا". وقد نُشر "**وداعًا يا خيالي**" (1891)- في البداية- كمزيج من النثر والشعر. وفيما بعد، طبع ويتمان إحدى وثلاثين قصيدة من كتاب "وداعًا يا خيالي.. التذييل الثاني" بـ"**أوراق العشب**" (1891-1892). كان ويتمان يفتقر إلى القوة الشعرية لسنواته الأولى، لكنه ما يزال قادرًا على كتابة قصائد لافتة من قبيل "أوسكيولا" و"أغنية شفق" و"إلى نسيم الغروب".

الحَواريُّـــون

حدث تطور حاسم في سنوات ويتمان الأخيرة هو تنامي صداقته مع هوراس تروبيل. كان تروبيل قد تعرف على ويتمان حين انتقل الشاعر في البداية إلى كامدِن، لكنه- ابتداءً من أواخر ثمانينيات القرن- أصبح زائرًا يوميًّا ومسجلًا لأحاديث ويتمان. وفيما بعد، سيصبح أحد ثلاثة أوصياء على تركته، ومدافعًا قويًّا عن سمعة الشاعر. كان تروبيل بلا نظير في تكريس نفسه للشاعر، وفي اعتقاده أن كل ما قاله ويتمان واجب التسجيل: احتفظ بمذكرات بالغة التدقيق لمحادثاته اليومية مع ويتمان، ونشر ثلاثة كتب ضخمة منها تحت عنوان "**مع والت ويتمان في كامدِن**" (نُشرت ستة كتب أخرى بعد وفاة تروبيل). كان يشعر أن هويته الهجين- كان أحد أبويه يهوديًّا، والآخر مسيحيًّا- قد جعلته بشكلٍ خاص مناسبًا لتفسير ويتمان، كشاعر الشمولية. وكثيرًا ما كان تروبيل- الذي عمل في أحد البنوك إلى أن اضطر إلى الاستقالة بسبب آرائه الاشتراكية- يستحث ويتمان على تأكيد الإيمان

بالاشتراكية. وبعد وفاة ويتمان، أصبح تروبيل محررًا لـ"كونسرفيتور"، وهي جريدة مكرسة لاستمرارية رسالة ويتمان. كان تروبيل الشخصية الرئيسية وسط حواريي ويتمان الأميركيين. لكنه كان متميزًا ضمنهم بمحاولته حماية سمعة ويتمان، بمقاومة محاولات ربط الشاعر بالمثلية الجنسية.

وكان للحواريين الأميركيين نظراؤهم في انجلترا. كان ج. و. والاس هو القائد الذي لا يكِل لمجموعة من الاشتراكيين في لانكشاير، بانجلترا، ممن كانوا شغوفين بويتمان. جاء والاس إلى كامدِن في خريف 1891، ليرى "نبي" دين الاشتراكية الجديد. كانت جماعة والاس واثقة من مكانتها في التاريخ: "نحن نقف في علاقة أوثق مع والت ويتمان- لقد ألهمت الألوهية نبي ديموقراطية العالم". وأحد الأعضاء المرموقين بالجماعة هو د. جون جونستون، طبيب عام، تراسل مع الشاعر، وقام بتصويره؛ ومع والاس، كتبا عنه في "زيارات إلى والت ويتمان في 1890-1891 من صديقين من لانكشاير".

كان ويتمان يتطلع إلى أن يأتي أكثر قرائه حماسًا من الولايات المتحدة، بالرغم من ترحيبه بالدعم غير المتوقع والمتواصل الذي تلقاه من قراء انجلترا.

واصل ويتمان الكتابة، "مهذارًا" حتى النهاية، لكنه كان منزعجًا من "الكآبات، والأوجاع، والكسل، والإمساك، والضجر المتذمر، الكريه". وطبعة سرير الموت هي- تقنيًا- إعادة إصدار لطبعة 1881-1882 من "الأوراق"، مع مادة إضافية، ظهرت خلال العام الأخير من حياة ويتمان. وفي هذه الطبعة، اتخذت "الأوراق" شكلها الأخير، الموثوق، على يد الشاعر. كانت الطبعة الأولى منها نسخةً بغلاف ورقي لابد أنها وصلت إلى يد الشاعر قبيل وفاته. واختُتم الكتاب بنسخة موسعة من "نظرة إلى الوراء على طرق الترحال"، وهي مقالة ظهرت مبكرًا، على أجزاء، في "ذا كريتيك The Critic" و"ذا نيويورك ستار The New York Star".

المرض الأخيـــر والوفاة

بدا ويتمان محتملًا لشهوره الأخيرة بقوة إرادة حادة. كان في الواقع شديد المرض، يعاني من مجموعة من الاعتلالات الجسدية. ولبعض الوقت، كان يقوم باستعدادات للنهاية. كان

لديه ضريح كبير مبني في مقبرة هارلي بكامدِن. وقد تم شراؤه جزئيًّا من النقود التي تبرعوا بها إليه ليتمكن من شراء منزل في القرية، وجزئيًّا من توماس هارنِد، أحد أوصيائه الأدبيين.

وقد توفي الشاعر في 26 مارس 1892. كان سبب الوفاة السُّل، مع عوامل أخرى مساعدة. وكشف التشريح أن إحدى الرئتين قد انهارت تمامًا، وأن الأخرى كانت تعمل بثُمن قدرتها العادية. وكتب دانييل لونجميكر، طبيب ويتمان في السنوات الأخيرة، أن التشريح أظهر خلو ويتمان من الكحوليات والسفلس. واعترض بشدة على "الاتهامات المفترية بأن الانحلال الجنسي والإفراط في أنواع مختلفة قد تسبب أو ساهم في انهياره".

في تذكر ويتمـان

في قصيدته "**شعراء المستقبل**"، كتب ويتمان: "إِنَّنِي رَجُلٌ، فِيمَا أَمشِي الهُوَينَى قُدُمًا بِلاَ تَوَقُّف، يَلتَفِتُ بِنَظرَةٍ عَابِرَةٍ إِلَيكُم ثُم يُشِيحُ بِوَجهِه،/ تَارِكَه لَكُم لِتَكتَشِفُوه وَتُحَدِّدُوه،/ مُنتَظِرًا الأَشيَاءَ الرَّئِيسِيَّةَ مِنكُم". وهذه النظرة العابرة كان لها تأثير خارق، حيث سعى كُتاب بلا حصر لاستكمال مشروع ويتمان، وبالتالي لمعرفة أنفسهم بشكل أفضل. كانت الاستجابة متنوعة، وأحيانًا ما تسقط الاستجابات الشعرية لويتمان في شِراكه الإيقاعية أو الأسلوبية، لكن شعراء كثيرين أدركوا- مع وليام كارلوس وليامز- أن الطريقة الوحيدة للكتابة مثل ويتمان هي الكتابة بما لا تشبه ويتمان. وإلى درجة غير معهودة، فلم ينحصر تراثه في النوع الذي صنع شهرته. ففيما وراء الشعر، كان لويتمان تأثير قوي وغير متوقع على الرواية والفيلم والعمارة والموسيقى والرسم والرقص، وفنون أخرى.

وقد نال ويتمان شهرة عالمية هائلة. فما مِن كاتب أميريكي- حتى فوكنر- كان له تأثير مشابه على أجزاء كثيرة من العالم. لقد تُرجمت "أوراق العشب" في طبعات كاملة في أسبانيا، فرنسا، المانيا، إيطاليا، الصين، واليابان، وترجمات جزئية في جميع اللغات الرئيسية عدا العربية[*]. وتنبع أهمية ويتمان لا من خصائصه الأدبية، بل أيضًا من موقفه كنبي للحرية

[*] من الواضح أن الكاتبين لم يطلعا- أو يعرفا- بالترجمات العربيه لمختارات من ويتمان.

والثورة: لقد كان أيقونة كبرى للاشتراكيين والشيوعيين. ومن ناحية أخرى، فإن كتاب وسياسيي اليمين أحيانًا ما يستلهمونه، من قبيل الاشتراكيين الوطنيين في المانيا. وعمومًا، فإن تأثير ويتمان عالميًّا محسوسٌ أكثر في الدوائر الليبرالية، باعتباره كاتبًا يدمج الجمال والقوة، والوعد المتحقق- بصورة غير مكتملة- للديموقراطية.

"كتابي والحرب واحد"، قال ويتمان ذات يوم. ويمكن أن يكون قد قال أيضًا أن كتابه والولايات المتحدة واحد. وأحيانًا ما ينتقد بعض النقاد بقسوة أوجه القصور والمثالب العارضة لدى ويتمان. لكن كُتاب الأقلية- من لانجستون هيوز إلى جون جوردان ويوسف كومونياكا- قد تمتعوا بنظرة استثنائية إلى تعاطفه، وكرمه، ورحابته. وتمثُّل ويتمان من قِبل أناس من مختلف دروب الحياة يبرر دعواه الجريئة عام 1855 أن "برهان شاعر هو أن يتمثله بلده بصورة مشبوبة مثلما تمثل هو بلده". وبعد قرن من وفاته، فلويتمان حضور حيوي في الذاكرة الثقافية الأميريكية. فالعروض التليفزيونية تقدمه. والموسيقيون يستلهمونه. المدارس والجسور أسميت باسمه. محطات الشاحنات، مجمعات المساكن، المنتزهات، معسكرات الصيف، المراكز المندمجة، ومراكز التسوق تحمل اسمه. فابحث عنه- تمامًا مثلما قال- تحت نعال حذائك.

غنائية إلى والت ويتمان

فيدريكو جارثيا لوركا

عَلَى نَهرَي إِيست وَبرُونكِس
كَانَ صِبيَانٌ يُغَنُّون، وَيُعَرُّون خُصُورَهُم
مَعَ العَجلَةِ، وَالزَّيت، وَالجِلدِ، وَالمِطرَقة.
تِسعُون أَلف عَامِلِ مَنَاجِم يَستَخرِجُون الفِضَّةَ مِن الصُّخُور
وَالأَطفَالُ يَرسُمُون سَلَالِمَ وآفَاقًا مُستَقبَلِيَّة.

لَكِن أَحَدًا مِنهُم لَا يُمكِنُه النَّوم،
لاَ أَحَدَ مِنهُم أَرَادَ أَن يَكُونَ النَّهر،
لاَ أَحَدَ مِنهُم أَحَبَّ أَورَاقَ الشَّجَرِ الكَبِيرَة
أَو اللِّسَانَ الأَزرَقَ لِلشَّاطِئ.

عَلَى نَهرَي إِيست وَكوِينزبُورُو
كَانَ الأَولَادُ يُعَارِكُون الصِّنَاعَة
وَيَبِيعُ اليَهُودُ إِلَى إِلَهِ النَّهر
وَردَةَ البَكَارَة،
وَفَوقَ الجسُورِ وَالسُّطُوحِ، أَفرَغَ فَمُ السَّمَاء
قُطعَانَ الجَامُوسِ التِي جَرَفَتهَا الرِّيح.

لَكِن لَا أَحَدَ مِنهُم تَوَقَّف،
لَا أَحَدَ أَرَادَ أَن يُصبِحَ غَيمَة،
لَا أَحَدَ بَحَثَ عَن السَّرخَس
أَو الطَّوقِ الأَصفَر لِدُفٍّ صَغِير.

وَمَا إِن يَبزُغ القَمَر
حَتَّى تَدُورَ البَكَرَاتُ لِتُغَيِّرَ السَّمَاوَات؛
وَيُسَيِّجَ الذَّاكِرَةَ حَدٌّ مِن إِبَـر
وَالتَّوَابِيتُ سَتَحمِلُ بَعِيدًا مَن لَا يَعمَلُون.

نيُويُورك، مُستَنقَع،
نيُويُورك، مُستَنقَعٌ وَمَوت.
فَأَيُّ مَلاَكٍ اختَبَأَ فِي فَظَاظَتِك؟
أَيُّ صَوتٍ رَائِعٍ سَيُغَنِّي حَقَائِقَ القَمح؟
مَن، والحُلمَ الرَّهِيبَ لِوُرُودِكِ المُلَطَّخَة؟

وَلَو لِلَحظَةٍ وَاحِدَةٍ، يَا وَالت وِيتمَان، أَيُّهَا العَجُوزُ الجَمِيل،
غَابَت عَن بَصَرِي لِحيَتُكَ المُفعَمَةُ بِالفَرَاشَات،
وَلاَ كَتِفَاكَ المُشعِرَانِ اللَّذان أَنهَكَهُمَا القَمَر،
وَلاَ فَخذَاكَ التَّاصِعَان كَفَخذَي أَبُولُّلو،
وَلاَ صَوتُك الشَّبِيهُ بَعَامُودٍ مِن رَمَاد،
أَيُّهَا العَجُوزُ، الجَمِيلُ كَالضَّبَاب،
تَتَأَوَّه كَطَائِر
وَقَد وَخَزَت عُضوَه إِبـرَه.
يَا عَدُوَّ العَربَدَة،

يَا عَدُوَّ الخَمر،
وَعَاشِقَ الأَجسَادِ تَحتَ الثِّيَابِ الخَشِنَة..

وَلَو لِلَحظَةٍ وَاحِدَةٍ، أَيُّهَا الجَمَالُ الرُّجُولِي،
الَّذِي حَلُمتَ- وَسطَ جِبَالِ الفَحمِ، وَلَوحَاتِ الإِعلَانَاتِ، وَالسِّكَكِ الحَدِيدِيَّة-
بِأَن تُصبِحَ نَهرًا وَتَنَامَ كَنَهر
مَعَ ذَلِكَ الرَّفِيقِ الذِي سَيَضَع فِي صَدرِك
بَعضَ أَوجَاعِ فَهدٍ جَاهِل.

وَلَو لِلَحظَةٍ وَاحِدَةٍ، يَا آدَمَ الدَّم، أَيُّهَا الرُّجُولِي،
أَيُّهَا الرَّجُلُ الوَحِيدُ فِي البَحر، يَا وَالت وِيتمَان، العَجُوزَ الجَمِيل،
لأَنَّ عَلَى أَسطُحِ السَّقِيفَة،
تَجَمَّعَت العُصبَةُ عِندَ القُضبَان،
مُنبَثِقِين فِي بَاقَاتٍ مِنَ الخَمَّارَات،
مُرتَعِشِين بَينِ أَرجُلِ السَّائِقِين،
أَو يَدُورُون فِي قَاعَاتِ الرَّقصِ المُبلُولَةِ بِالأَبسِنت[*]،
يَا وَالت وِيتمَان، وَيُشِيرُون إِلَيك.

وَهَا هُوَ وَاحِدٌ، أَيضًا! ذَلِكَ صَحِيح! وَيَحُطُّون
عَلَى لِحيَتِكَ الوَضِيئَةِ الطَّاهِرَة،
شُقرُ الشَّمَالِ، وَسُودُ الرِّمَال،
حُشُودُ عُوَاءٍ وَإِيمَاءَات،
كَالقِطَطِ أَو الأَفَاعِي،
العُصبَة، يَا وَالت وِيتمَان، العُصبَة،

[*] مشروب كحولي، كان سائدًا في القرن التاسع عشر.

مُضَبَّبِينَ بِالدُّمُوعِ، يُغرُون بِالجِلْدِ بِالسِّيَاط،
بِالحِذَاء، أَو أَسنَان مُرَوِّضِي الأُسُود.

وَهَا هُوَ وَاحِدٌ، أَيضًا! ذَلِكَ صَحِيح! أَصَابِعُ مُلَطَّخَة
تُشِيرُ إِلَى شَاطِئِ أَحلاَمِك
حِينَ يَأكُلُ صَدِيقٌ مَا تُفَّاحَتَك
مَع نُكهَةٍ طَفِيفَةٍ لِلجَازُولِين
وَتُغَنِّي الشَّمسُ فِي سُرَّةِ
أَولاَدٍ يَلعَبُون تَحتَ الجُسُور.

لَكِنَّكَ لَم تَسعَ إِلَى العُيُونِ المَخدُوشَة،
وَلاَ المُستَنقَع الدَّاكِنِ حَيثُ يَغمُرُون الأَطفَال،
وَلاَ اللُّعَابِ المُتَجَمِّد،
وَلاَ شقُوقِ الانحِنَاءَاتِ المَفتُوحَةِ كَبَطنِ ضُفدَع
التِي تَتقَمَّصُهَا العُصبَةُ فِي السَّيَّارَات وَعَلَى الشُّرفَات
فِيمَا القَمَرُ يَسُوطُهُم فِي أَركَانِ الرُّعبِ بِالشَّارِع.

كُنتَ تَبحَثُ عَن جَسَدٍ عَارٍ كَنَهر.
عَن ثَورٍ وَحُلمٍ يربَطَانِ عَجَلَةً بِالطَّحَالِبِ البَحرِيَّة،
يَا أَبَ عَذَابِك، يَا زَهرَةَ كَامِيلِيَا مَوتِك،
الذِي تَئِن فِي لَهِيبِ خَطِّ استِوَائِكِ الخَفِي.

ذَلِكَ أَنَّه لاَ بَأسَ إِن لَم يَبحَث رَجُلٌ مَا عَن مُتعَتِه
فِي الدَّغلِ الدَّمَوِيِّ لِصَبَاحِ الغَد.
فَلِلسَّمَاءِ شُطآنٌ بِلاَ حَيَاة
وَثَمَّةَ أَجسَادٌ لَيسَ لَهَا أَن تُكَرِّرَ نَفسَهَا فِي الفَجر.

عَذَابٌ، عَذَابٌ، حُلمٌ، قَلَقٌ، وَحُلم.
ذَلِكَ هُوَ العَالَمُ، يَا صَدِيقِي، عَذَابٌ، عَذَاب.
أَجسَادٌ تَتَحَلَّلُ تَحتَ سَاعَاتِ المَدِينَة،
حَربٌ تعبُرُ بَاكِيَةً، يَتبَعُهَا مِليُونُ فَأرٍ رَمَادِي،
وَالأَغنِيَاءُ يَمنَحُونَ عَشِيقَاتِهِم
أَشيَاءَ صَغِيرَةً مُشرِقَةً وَمَيِّتَة،
وَالحَيَاةُ لَيسَت نَبِيلَةً، وَلاَ طَيِّبَةً، وَلاَ مُقَدَّسَة.

الإنسَانُ قَادِرٌ، لَو شَاء، أَن يَقُودَ رَغبَتَه
عَبرَ شُريَانٍ مِنَ المرجَانِ أَو جَسَدٍ أُلُوهِي عَارٍ.
وَفِي الغَد، سَتَتَحَوَّلُ الغَرَامِيَّاتُ إِلَى أَحجَار، وَالزَّمَن
يُصبِحُ نَسمَةً تَنعَسُ فِي الأَغصَان.

ذَلَكَ هُوَ السَّبَبُ فِي عَدَمِ رَفعِ صَوتِي، يَا وَالت وِيتمَان العَجُوز،
فِي وَجهِ الوَلَدِ الصَّغِيرِ الذِي يَكتُب
اسمَ فَتَاةٍ عَلَى وِسَادَتِه،
وَلاَ فِي وَجهِ الوَلَدِ الذِي يَرتَدِي ثَوبَ عَرُوس
فِي ظَلاَمِ خِزَانَةِ المَلاَبِس،
وَلاَ فِي وَجهِ الرِّجَالِ الوَحِيدِين فِي الكَازِينُوهَات
الذِين يَحتَسُون مَاءَ العُهرِ بِاشمِئزَاز،
وَلاَ فِي وَجهِ الرِّجَالِ ذَوِي النَّظرَةِ الخَضرَاء فِي عُيُونِهِم
الذِين يُحِبُّون رِجَالاً آخَرِين وَيُحرِقُون شِفَاهَهم فِي صَمت.
بَل حَقًّا فِي وَجهِك، أَيَّتُهَا العُصبَةُ المدِينِيَّة،
أَيَّتُهَا الأَجسَادُ المُنتَفِخَةُ وَالأَفكَارُ القَذِرَة.
يَا أُمَّهَاتِ الأَوحَال. أَيُّهَا الطُّفَيلِيُّون. الأَعدَاءُ السَّاهِرُون

لِلحُبِّ الذِي يَمنَحُ تِيجَانًا مِن فَرَح.
دَائِمًا فِي وُجُوهِكُم، يَا مَن تَمنَحُون الأَولاَد
قَطَرَاتِ مَوتٍ عَفِنٍ بِسُمٍّ مَرِير.
دَائِمًا فِي وُجُوهِكُم،
يَا كُلّ فِيرِي بِأَمرِيكَا الشَّمَالِيَّة،
يَا كُلَّ بَاخَارُو بِـهَافَانَا،
يَا كُلَّ خُوتُو بِالمِكسِيك،
يا كُلَّ سَارَاسَا بِقَادِش،
يَا كُلَّ أبيُو بِـسِيڤِيل،
يَا كُلَّ كَانسُو بِمَدرِيد،
يَا كُلَّ فلُورَا بِأَلِيكَانتِي،
يَا كُلَّ أَدِيلَايدَا بِالبُرتُغَال.

يَا عصَابَاتِ العَالَم، قَتَلَةَ الحَمَام!
يَا عَبِيدَ النِّسَاء. يَا عَوَاهِرَ أَسِرَّتِهِن.
مَن تَستَعرِضُون فِي المَيَادِينِ العَامَّةِ كَمُشَجِّعِين مُتَحَمِّسِين
أَو كَامِنِين فِي مَشَاهِدِ الشُّوكرَانِ الفَظ.
مَا مِن مَفَر! فَالمَوت
يَنسَكِبُ مِن عَيُونِكُم
وَيُلَملِمُ زُهُورًا رَمَادِيَّةً مِن حَافَّةِ المُستَنقَع.
مَا مِن مَفَر! انتَبِهُوا!
فَليُوصِدِ الحَائِرُون، الطَّاهِرُون،
الكلاَسِيكِيُّون، المَعرُوفُون، المُتَوَسِّلُون
أَبوَابَ العَربَدَةِ فِي وُجُوهِكُم.

وَأَنت، يَا وَالت وِيتمَان الجَمِيل، فَلتَبقَ نَائِمًا عَلَى ضِفَافِ هَدسُون

وَلِحيَتُك تَتَّجِه إِلَى القُطب، مَفتُوحَ اليَدَين.
وَلِسَانُكَ، المَجبُولُ مِن طِينٍ طَرِيٍّ أَو ثَلج،
يَدعُو الرِّفَاقَ إِلَى السَّهَرِ عَلَى غَزَالِكَ اللَّاجَسَدِي.

فَلتَنَم، لاَ شَيءَ يَبقَى.
الجُدرَانُ الرَّاقِصَةُ تَستَثِيرُ البَرَارِي
وَأَمرِيكَا تُغرِقُ نَفسَهَا فِي المَيكَنَةِ وَالنُّوَاح.
وَأَنَا أُرِيدُ لِلهَوَاءَ العَارِمَ مِن أعمَاقِ اللَّيل
أَن يَجرِفَ الزُّهُورَ وَالنُّقُوشَ مِن القَنطَرَةِ التِي تَنَامُ فِيهَا،
وَأَن يُخبِرَ طِفلٌ أَسوَدُ البِيضَ المَلهُوفِينَ عَلَى الذَّهَب
أَنَّ مَملَكَةَ السَّنَابِل قَد حَلَّت.

أورَاق العُشـب

[1892-1891]

"نظرًا لوجود طبعات عديدة، ونصوصٍ وتواريخَ مختلفةٍ، لـ"**أوراق العُشب**"، فأود قول: إنني أُفضل وأوصي بهذه الطبعة، الكاملة، للنشر المستقبلي، فيما لو كان ثمة طبعات قادمة؛ كنسخة أو صورة طبق الأصل- حقًا - من نصوص هذه الـ438 صفحة. لقد انتهت فترة التعديل اللاحقة، بالغة الضرورية للعمل المصاغ المنشور، وبخاصةٍ بالنسبة للكتب؛ وفي انتظار ما بعد ذلك تمامًا، فقد قدمت (في 423-438 صفحة) كلماتي الختامية".

و. و.

هَيَّا، قَالَت رُوحِي،
فَلنَكتُب هَذِه القَصَائِدَ لِجَسَدِي، (فَنَحنُ وَاحِد،)
لأَنِّي بَعدَهَا عَلَيَّ أَن أَعُود،
أَو، بَعِيدًا، بَعِيدًا عَن هُنَا، فِي كَوَاكِبَ أُخرَى،
سَتَتَوَاصَلُ الأَنَاشِيدُ إِلَى جَمَاعَةٍ مَا مِن الرِّفَاق،
(مُفعَمَةً تَمَامًا بِتُربَةِ الأَرضِ، وَالأَشجَارِ، وَالرِّيَاحِ،
وَالأَموَاجِ الهَائِجَة)،
بِابتِسَامَةٍ سَعِيدَةٍ دَائِمًا عَلَى شَفَتَيَّ،
دَائِمًا وَأَبَدًا لَكِنِّي، فِي البَدءِ، هُنَا وَالآن، مُمتَلِكًا القَصَائِدَ-
فِيمَا أُغَنِّي الرُّوحَ وَالجَسَد، أُطلِقُ فِيهِم اسمِي
وَالت وِيتمَان.

نقُــوش

أغنِّي ذَات المرء

أُغنِّي ذَات المرءِ، كَشَخصٍ بَسِيطٍ، مُستَقِل،
لَكِنِّي أَنطِقُ بِالكَلِمَةِ **الدِّيمُوقرَاطِيَّة**، الكَلِمَة الجَمعيَّة.

أُغنِّي الأعضَاءَ مِن الرَّأسِ إِلَى إِصبَعِ القَدَم،
لَا الوَجهَ وَحدَه وَلَا العَقلَ وَحدَه هُو الجَدِيرُ بِرَبَّةِ الشِّعر، أَقُول إِنَّ **القَوَامَ** الكَامِلَ أَجدَرُ بِكَثِير،
وَأُغَنِّي **الأُنثَى** بِالتَّسَاوِي مَعَ **الذَّكَر**.

أُغنِّي الحَيَاةَ الهَائِلَةَ فِي الشَّغَفِ، وَالنَّبضِ، وَالعُنفُوَان،
البَهِيجَةَ، مِن أَجلِ أَقصَى فِعلٍ مُتَحَرِّرٍ تَشَكَّل فِي ظِلِّ القَوَانِينِ السَّمَاوِيَّة،
أُغَنِّي **الإِنسَانَ الحَدِيث**.

فيمَا كُنتُ أهيـمُ في صمت

فِيمَا كُنتُ أهِيمُ فِي صَمتٍ،
مُستَعِيدًا قَصَائِدِي، مُفَكِّرًا، مُتَوَانِيًا طَوِيلًا،
انبَثَقَ أَمَامِي شَبَحٌ بِسِيمَاء مُرتَابَة
رَهِيبًا فِي الجَمَالِ، وَالعُمرِ، وَالعُنفوَان،
يَحمِلُ عَبقَرِيَّةَ شُعَرَاءِ البُلدَانِ العَرِيقَة،
وَفِيمَا كَانَ يُوجِّه نَحوِي عَينَيه الشَّبِيهَتَين بِاللَّهِيب،
مُشِيرًا بِإصبَعِه إِلَى أُغنِيَاتٍ كَثِيرَةٍ خَالِدَة،
قَالَ بِصَوتٍ مُهَدِّدٍ، *مَاذَا تُغَنِّي؟*
أَتَعرِفُ أَنَّ هُنَاكَ مَوضُوعًا وَحِيدًا هُو مَا يَشغَلُ دَائِمًا المُغَنِّين؟
وَهوَ مَوضُوعُ الحَرب، مَصِير المَعَارِك،
تَشكِيلُ الجُنُودِ المِثَالِيِّين.

فَليَكُن ذَلِكَ كَذَلِك، آنَئِذٍ أَجبَتُ،
أَنَا أَيضًا- أَيُّهَا الشَّبَحُ السَّامِي أُغَنِّي الحَرب، حَربًا أَطوَلَ وَأعظَمَ مِن أَيِّ حَرب،
تَدُورُ فِي كِتَابِي مَعَ مَصِيرٍ مُختَلِفٍ، مَعَ الانطِلَاقِ، وَالتَّقَدُّم وَالتَّقَهقُر، وَالنَّصرِ المُؤَجَّلِ وَالمُتَرَدِّد،
(لَكِنَّه يَبدُو لِي مُؤَكَّدًا، أَو جَيِّدًا بِقَدرِ مَا هُو مُؤَكَّد، فِي النِّهَايَة)، وَالمَيدَانُ هُو العَالَم،

مِن أَجلِ الحَياةِ وَالموتِ، مِن أَجلِ الجَسَدِ وَالرُّوحِ الأَبدِيَّة،
انظُر، أَنَا أَيضًا قَادِم، مُنشِدًا أُنشُودَةَ المَعارِك،
فَأنَا- قَبلَ كُلِّ شَيءٍ- أُشَجِّعُ الجُنُودَ الشُّجعَان.

فِي سُفُـن مُبحرةٍ ذاتِ كَبائِن

فِي سُفُنٍ مُبحِرَةٍ ذَاتِ كَبَائِن،
وَعَلَى كُلِّ جَانِبٍ تَمتَد الزُّرقَةُ اللَانِهَائِيَّة،
مَع الرِّيح الصَّافِرَةِ وَمُوسِيقَى الأموَاج، الأموَاجِ الشَّاسِعَةِ المهِيبَة،
أَو قَارِبٍ مَا يَطفُو وَحِيدًا عَلَى البَحرِ الكَثِيف،
حَيثُ أشرِعَةٌ بيضَاءُ مَفرُودَةٌ، بَهِيجَةٌ مُفعَمَةٌ بالإيمَان،
تَشُقُّ الأثِيرَ وَسطَ وَمِيضِ وَزَبَدِ النَّهَارِ، أَو تَحتَ نُجُومٍ كَثِيرَةٍ فِي الليل،
سَيَقرَأُنِي بَحَّارَةٌ شُبَّانٌ وَكِبَارٌ بِسَعَادَةٍ، كَتَذكَارٍ لِلأرض،
فِي أُلفَةٍ كَامِلَةٍ فِي النِّهَايَة.

هَا هِيَ أَفكَارُنَا، أَفكَارُ مُسَافِرِين،
وَهَا هُنَا لَيسَت الأرضُ، الأرض الصَّلدَة، مَا تَتَبَدَّى وَحدَهَا، قَد يَقُولُون ذَلِكَ آنذَاك،
فَالسَّمَاءُ مُقَبَّبَةٌ فِي الأعَالِي هُنَا، وَنُحِس بِالأرضِيَّةِ المُتمَوِّجَةِ تَحتَ أَقدَامِنَا،
نُحِس بِالنَّبضِ المدِيدِ، بِمَدٍّ وَجَزرِ حَرَكَةٍ لا نِهَائِيَّة،
بِنَبَراتِ سِرٍّ لا مَرئِي، وَالإيحَاءَاتِ الغَامِضَةِ الشَّاسِعَةِ لِلعَالَمِ المِلحِي، وَالمَقَاطِعِ اللَّفظِيَّةِ السَّائِلَةِ المُنسَابَة،
وَالأرِيج، وَالصَّرِيرِ الوَاهِي لِلحِبَالِ، وَإِيقَاعِ الكَآبَة،
وَالمَشهَدِ اللَانِهَائِي وَالأُفقِ البَعِيدِ القَاتِم جَمِيعًا هُنَا،

وَتِلكَ هِيَ قَصِيدَةُ المُحِيط.

آنَئِذٍ لَا تَتَلَعثَم أَيُّهَا الكِتَاب، فَلتُحَقِّق مَصِيرَك،
فَأنتَ لَستَ تَذكَارًا مِن الأَرضِ فَحَسب،
أَنتَ أَيضًا تُشبِه قَارِبًا وَحِيدًا يَشُقُّ الأثِير، لَا أدرِي إِلَى أَين، لَكِنَّه مُفعَمٌ أَبَدًا بِالإِيمَان،
مُتَنَاغِمًا مَعَ كُلِّ سَفِينَةٍ مُبحِرَة، فَلتُبحِر!
فَلتَحمِل إِلَيهِم حُبِّي مَكنُونًا، (أَيُّهَا البَحَّارَةُ الأعِزَّاءُ، مِن أَجلِكُم طَوَيتُ عَلَيهِ كُلَّ صَفحَةٍ هُنَا)؛
أَسرِع يَا كِتَابِي! انشُر أَشرِعَتَكَ البَيضَاءَ يَا قَارِبِي الصَّغِير عَبرَ الأموَاجِ المهِيبَة،
أَنشِد، أَبحِر، وَاحمِل فَوقَ الزُّرقَةِ اللَانِهَائِيَّةِ مِنِّي إِلَى كُلِّ بَحر،
هَذِهِ الأُغنِيَةَ إِلَى البَحَّارَةِ وَسُفُنِهِم جَمِيعًا.

إِلَى البُلدان الأجنبيَّة

سَمِعتُ أَنَّكِ طَلَبتِ شَيئًا مَا كَي تَكتَشِفِي هَذَا العَالَمَ الجَدِيدَ، اللُّغز،
وَكَي تَتَبَيَّنِي أَمِيرِيكَا، وَدِيمُوقرَاطِيَّتَهَا القَوِيَّة،
لِهَذَا أُرسِلُ إِلَيكِ قَصَائِدِي لِتَرَي فِيهَا مَا تُرِيدِين.

إلى مُــؤرِّخ

أَنتَ يَا مَن تَحتَفِي بالرَّاحِلِين،

مَن استَكشَفتَ الخَارِجِيَّ، وَسُطُوحَ الأجنَاس، وَالحَيَاةَ التِي كشَفَت عَن نَفسِهَا،

مَن تَعَامَلتَ مَعَ الإنسَانِ بِاعتِبَارِهِ كَائِنَ السِّيَاسَةِ، وَالتَّجَمُّعَاتِ، وَالحُكَّامِ وَالكَهَنَة،

أَنَا، سَاكِنُ جِبَالِ أللِّيغَانِي[*] ، الذِي أتَعَامَلُ مَعَه كَمَا هُو فِي ذَاتِه وِفقَ حُقُوقِه الذَّاتِيَّة،

مُعتَصِرًا نَبضَ الحَيَاةِ الذِي نَادِرًا مَا كَشَفَ عَن نَفسِه، (الكِبرِيَاءَ العَظِيمَ لِلإِنسَانِ فِي ذَاتِه)،

مُنشِدَ الشَّخصِيَّة، رَاسِمًا مَا لَم يَتَكَوَّن بَعد،

إِنَّنِي أَعرِضُ تَارِيخَ المُستَقبَل.

---

[*] سلسلة جبال بشرق الولايات المتحدة.

إليكِ أيتها القضيَّةُ القديمَة

إلَيكِ أَيَّتُهَا القَضِيَّةُ القَدِيمَة!
أَنتِ القَضِيَّةُ الصَّائِبَةُ، المَشبُوبَةُ، بِلَا نَظِير،
أَنتِ الفِكرَةُ العَذبَةُ، الصَّارِمَةُ، بِلَا شَفَقَة،
الخَالِدَةُ عَبرَ العُصُورِ، وَالأَجنَاسِ، وَالبُلدَان،
بَعدَ حَربٍ غَرِيبَةٍ مُحزِنَةٍ، حَربٍ عَظِيمَةٍ بِالنِّسبَةِ لَكِ،
(أَعتَقِدُ أَنَّ كُلَّ حَربٍ عَبرَ الزَّمَنِ قَد نَشَبَت حَقًّا، وَسَتَنشبُ دَائِمًا حَقًّا، مِن أَجلِكِ)،
أُقَدِّم هَذِهِ الأَنَاشِيدَ لَكِ، لِمَسِيرَتِكِ الأَبَدِيَّةِ.

(أَيُّهَا الجُنُودُ، لَا حَربَ مِن أَجلِ الحَربِ فَحَسب،
فَهِيَ انتَصَبَت بَعِيدًا، أبعَدَ بِكَثِيرٍ صَامِتَةً مُنتَظِرَةً فِي الوَرَاءِ، لِتَتَقَدَّمَ الآنَ في هَذَا الكِتَاب).
أَنتِ فَلَكُ الأَفلَاك!
أَنتِ المَبدَأُ الذِي يَفُور! أنتِ البِذرَةُ المَصُونَةُ، الكَامِنَة! أَنتِ المركَز!
حَولَ فِكرَتِك تَنشُبُ الحَرب،
بِكُلِّ مُنَاوَرَاتِ قَضَايَاهَا المشتَعِلَةِ وَالغَاضِبَة،
(مَعَ نَتَائِجَ شَاسِعَةٍ سَتَأتِي بَعدَ آلَافِ الأَعوَام)،
هَذِهِ التَّرَاتِيلُ مِن أَجلِكِ،- فَكِتَابِي وَالحَربُ شَيءٌ وَاحِد،

فِي رُوحِهَا انبَثَقَت رُوحِي وَأَنَا، حَيثُ يَتَوَقَّفُ الصِّرَاعُ عَلَيكِ، كَعَجلَةٍ تَدُورُ حَولَ مِحوَرِهَا، لَا يَستَهدِفُ هَذَا الكِتَابُ ذَاتَه، بَل يَدُورُ حَولَ فِكرَتِك.

مثـل عُليَـا

قَابَلتُ عَرَّافًا،
يَتَأَمَّلُ مَظَاهِرَ العَالَم وَأشيَاءَه ،
مَجَالَاتِ الفَنِّ وَالتَّعلِيم، اللّذَّة، وَالإحسَاس،
لِيَكتَشِفَ المُثُلَ العُليَا.

فَلتَضَع فِي أَنَاشِيدِك، قَال:
لَا تَضَع فِيهَا السَّاعَةَ المُحَيِّرَةَ أَو النَّهَار، لَا كِسرَةً، أو قِطعةً،
بَل ضَع أَوَّلًا وَقَبلَ كُلِّ شَيء كَالضَّوءِ بالنِّسبَة لِلجَمِيع وأُغنِيَةِ افتِتَاحِ الكُل،
أُغنِيَةَ المُثُلِ العُليَا.

البِدَايَةُ القَاتِمَةُ أَبَدًا،
النُّمُو، وَاستِدَارَةُ الدَّائِرَةِ أَبَدًا،
الذُّروَةُ وَالاندِمَاجُ فِي النِّهَايَةِ أَبَدًا (لِيَتِم البَدءُ مِن جَدِيدٍ بِالتَّأكِيد)،
مُثُلٌ عُليَا! مُثُلٌ عُليَا!

الصَّامِتُ أَبَدًا،
المَادِّيَّاتُ، وَالتَّغَيُّر، وَالتَّهَشُّم، وَإِعَادَةُ الالتِحَام، أَبَدًا،

الوِرَشُ، وَالمصَانِعُ الفَاتِنَة، أَبَدًا،
التِي تُصدِرُ مثُلًا عُليَا.

انظُر، أَنَا أَو أَنت،
أَو امرَأةٌ، رَجُلٌ، أَو وِلَايَة، مَعرُوفَةٌ أَو مَجهُولَة،
نَبدُو كَأَنَّنَا نَبنِي ثَروةً مَكِينَةً، وَقُوَّةً، وَجَمَالًا،
لَكِنَّنَا نَبنِي حَقًّا مُثُلًا عُليَا.

التَّبَاهِي الزَّائِل،
مَادَّةُ مِزَاجِ فَنَّانٍ مَا أَو أَبحَاثٌ طَوِيلَةٌ لِعَالِمٍ مَا،
أَو مُكَابَدَاتِ مُقَاتِلٍ، أَو شَهِيدٍ، أَو بَطَل،
فِي صِيَاغَة مَثَلِه الأعلَى.

مِن كُلِّ حَيَاةٍ إنسَانِيَّة،
(تَلَملَمَت الأجزَاءُ، أُدرِجَت، وَمَا مِن فِكرَةٍ، أَو عَاطِفَةٍ، أَو فِعلٍ استُبعِد)،
جُمِعَ الكُلُّ أَو الأغلَبُ أَو الأقَل، أُضِيفَ إِلَى بَعضِه،
فِي مَثَلِهَا الأعلَى.

الدَّافِعُ القَدِيم، القَدِيم،
المَبنِي عَلَى الذُّرَى القَدِيمَةِ، انظُر، الذُّرَى الأحدَثِ، وَالأعلَى،
المدفُوعَةِ مَا تَزَالُ بِالعِلمِ وَبِمَا هُو حَدِيث،
الدَّافِعُ القَدِيم، القَدِيم، مُثُلٌ عُليَا.

الآنُ وَالهُنَا الرَّاهِنَان،

دوَّامَةُ أَمِيرِيكَا المشغُولَةُ، المُحتَشِدَةُ، المُعَقَّدَة،
لِلتَّجَمُّعَات وَالانعِزَالَات مِن أَجلِ الانعِتَاق بِالتَّالِي فَحَسب،
هِيَ مُثُلُ اليَوم العُليَا.

تِلكَ مَعَ المَاضِي،
مَاضِي البُلدَانِ الغَابِرَةِ، وَكُل سُلطَانِ المُلُوكِ عَبرَ البَحر،
وَالغُزَاةِ القدَامَى، وَالحملَاتِ القَدِيمَةِ، وَرحلَاتِ البَحَّارَةِ القدَامَى،
مُثُلٌ مُلتَحِمَة.

كُلُّ كَثَافَةٍ، وَنَمَاءٍ، وَوَاجِهَة،
طَبَقَاتُ الجِبَالِ، وَالتُّربَةِ، وَالصُّخُورِ، وَالأشجَارِ العِملَاقَة،
مَا وُلِدَ بَعِيدًا، مَا يَمُوتَ بَعِيدًا، وَمَا عَاشَ طَوِيلًا، لِيَرحَل،
مُثُلٌ عُليَا دَائِمَة.

العُنفُوَانُ، وَالغِبطَةُ، وَالنَّشوَة،
مَا لَا يُرَى مِنهم سِوَى رَحِمِ المِيلَاد،
لِنزعَاتٍ كَامِلَةٍ لِلتَّشكِيلِ وَالتَّشكِيلِ وَالتَّشكِيل،
هُم المَثَلُ الأعلَى الأرضِي الرَّائِع.

كُلُّ مَكَانٍ، وَكُلُّ زَمَان،
(النُّجُومُ، الاضطِرَابَاتُ المُرِيعَةُ لِلشُّمُوس،
التِي تَتَضَخَّم، وَتَنهَارُ، وَتَقُومُ بِدَورِهَا طَوِيلِ وَقَصِيرِ الأَمَد)،
مُفعَمَةٌ فَحَسب بِالمُثُل العُليَا:

عَشَرَاتُ الآلَافِ الصَّامِتَة،
المُحِيطَاتُ اللَّانِهَائِيَّةُ التِي تَصَبُّ فِيهَا الأنهَار،
الكَينُونَاتُ المُنفَرِدَةُ الحُرَّةُ التِي لَا تُحصَى، كَالبَصَر،
وَالوَقَائِعُ الحَقِيقِيَّة، مُثُلٌ عُليَا.

لَيسَ هَذَا بِالعَالَم،
وَلَا تِلكَ بِالأكوَان، فَالأكوَان،
المعنَى وَالغَايَة، عَلَى طُولِ حَيَاةِ الحَيَاةِ أَبدًا،
هِي مُثُل عُليَا، مُثُـلٌ عُليَا.

وَفِيمَا وَرَاءَ دُرُوسِكَ أَيُّهَا الأُستَاذُ العَلِيم،
فِيمَا وَرَاءَ تِلِسكُوبِكَ أَو مِنظَارِكَ، أَيُّهَا المُلاحِظُ المتَوَقِّد، فِيمَا وَرَاءَ كُلِّ الحِسَابَات،
فِيمَا وَرَاءَ جِرَاحَةِ وَتَشرِيح الطَّبِيبِ، فِيمَا وَرَاءَ الكِيميَائِي بِكِيميَائِه،
فَإِن وُجُود المَوجُودَاتِ، مُثُلٌ عُليَا.

بِلَا تَحدِيدٍ لَكِنَّه مُحَدَّد،
أَبَدًا سَيَكُون، أَبَدًا كَانَ وَيَكُون،
جَارِفًا الحَاضِرَ إِلَى المُستَقبَل اللَانِهَائِي،
مُثُلًا عُليَا، مُثُلًا عُليَا، مُثُلًا عُليَا.

النَّبِيُّ وَالمُنشِد،
سَيَصُونَان مَعَ ذَلِكَ نَفسَيهِمَا، فِي مَكَانَةٍ أَعلَى مَعَ ذَلِك،
سَيَكُونَان وَسِيطًا إِلَى الحَدِيث، إِلَى الدِّيمُوقرَاطِيَّة، سَيُفَسِّرَانِ لَهُمَا مَعَ ذَلِك،
الرَّبَّ وَالمُثُلَ العُليَا.

وَأَنتِ، يَا رُوحِي،

المَبَاهِجُ، وَالمَمَارَسَاتُ الَّتِي لَا تَنتَهِي، وَالعُنفُوَان،

وَلَهَفَتُكِ الَّتِي أُشبِعَت فِي النِّهَايَةِ حَدَّ التُّخمَةِ، مُتَأَهِّبَةٌ لِلِّقَاء،

بِأَقرَانِك، مُثُلٌ عُليَا.

جَسَدُك الدَّائِم،

الجَسَدُ الكَامِنُ هُنَاك فِي جَسَدِك،

المعنَى الوَحِيدُ لِلشَّكلِ الذِي تَكُونُه، الـ أَنَا نَفسِي الحَقِيقِية،

صُورَةٌ، مَثَلٌ أَعلَى.

أُغنِيَاتُك الحَمِيمَةُ لَيسَت فِي أُغنِيَاتِك،

لَا أَوتَارَ خَاصَّةً لِتُغَنِّي، لَا شَيءَ لِذَاتِه،

لَكِن مِن النِّتَاجِ الكُلِّي، المنبَثِقِ وَالطَّافِي فِي النِّهَايَة،

هُنَاكَ مَثَلٌ أَعلَى بَالِغَ الاكتِمَال.

إليــه أُغـنِّي

إِلَيهِ أُغَنِّي،
أُعلِي الحَاضِرَ فَوقَ المَاضِي،
(كَشَجَرَةٍ أَبَدِيَّةٍ تَنبثِقُ مِن جُذُورِهَا، يَنبَثِقُ الحَاضِرُ مِن المَاضِي)،
أُوسِّعُه بِالزَّمَانِ وَالمكَانِ وَأَبُثُّ القَوَانِينَ الخَالِدَة،
لأجعَلَ مِنه- بِالنِّسبَةِ لَهَا- قَانُونَ ذَاتِه.

حينَ أقــرأُ الكتَاب

حِينَ كُنتُ أَقرَأُ الكِتَاب، السِّيرَةَ الذَّاتِيَّةَ الشَّهِيرَة،
أَفَهَذِهِ إِذَن (قُلتُ) مَا يُسَمِّيهَا المُؤَلِّفُ حَيَاةَ إِنسَان؟
وَهَكَذَا حِينَ أَمُوتُ وَأَرحَلُ سَيَكتُبُ شَخصٌ مَا حَيَاتِي؟
(كَأَنَّ هُنَاكَ مَن يَدرِي شَيئًا عَن حَيَاتِي،
فَحتَّى أنَا كَثِيرًا مَا أَظُن أَنِّي لَا أَعرِفُ إِلَّا القَلِيلَ أَو لَا شَيءَ مِن حَيَاتِي الحَقِيقِيَّة،
فَأَنَا لَا أَبحَثُ إِلَّا عَن بَعضِ اللَّمحَاتِ، بَعضِ المَوَارَبَاتِ والمَفَاتِيح الوَاهِيَةِ المُتنَاثِرَة
مِن أَجلِ استِخدَامِي الشَّخصِي لأَرصُدَهَا هُنَا).

في بَدءِ دراسَـاتي

فِي بَدءِ دِرَاسَاتِي أَسعَدَتنِي كَثِيرًا الخُطوَةُ الأُولَى،
الوَعيُ المُجرَّدُ بِالحَقِيقَةِ، تِلكَ الأشكَالُ، عُنفُوَانُ الحَرَكَة،
أَدنَى حَشَرَةٍ أَو حَيَوَان، الحَوَاس، البَصَرُ، الحُب،
الخُطوَةُ الأُولَى- أَقُولُ- أَرعَبَتنِي وَأَسعَدَتنِي كَثِيرًا،
بِالكَادِ مَضَيتُ وَبِالكَادِ تَمَنَّيتُ أَن أَمضِي إِلَى الأَبعَد،
لَكِنِّي أَتَوَقَّفُ وَأَتَوَانَى طُوَالَ الوَقتِ لأُغَنِّيهَا فِي أُغنِيَاتٍ مَشبُوبَة.

المُبتدئُـون

كَم يَنهَضُون بالأعبَاءِ عَلَى الأرضِ، (ظَاهِرِين بَينَ الحِين وَالحِين)،
كَم هُم مَحبُوبُون وَمُرعِبُون لِلأَرض،
كَم يَتَمَرَّسُون عَلَى أَنفُسِهِم كَمَا عَلَى أَيِّ آخَر - أَيَّة مُفَارَقَة يَكشِفُهَا عُمرُهُم،
كَم يَستَجِيبُ النَّاسُ لَهُم، دُونَ أَن يَعرفُوهُم،
كَم يَنطَوِي قَدَرُهُم- فِي كُلِّ الأوقَاتِ- عَلَى شَيءٍ مَا قَاسٍ،
كَم يُخطِئُون - فِي كُلِّ مَرَّة - اختِيَارَ أَهدَافِ مُدَاهَنَتِهِم ومُكَافأتِهِم،
وَكَم مَا يَزَالُ عَلَيهِم دَفعُ نَفس الثَّمَنِ القَاسِي لِنَفسِ الصَّفقَة العَظِيمَة.

إلى الولايـات

إِلَى الولَايَاتِ أَو أيٍّ مِنهَا، أَو أيَّةِ مَدِينَةٍ مِن الولَايَاتِ، ***قَاوِمِي كَثِيرًا، وَأَطِيعِي قَلِيلًا***،
فَطَاعَتُكِ العَميَاءُ لِمَرَّةٍ وَاحِدَة، وَاستِعبَادُكِ الكَامِلُ لِمَرَّةٍ وَاحِدَة،
إِن استُعبِدتِ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَن تَستَعِيدَ أُمَّةٌ، أَو وِلَايَةٌ، أَو مَدِينَةٌ عَلَى هَذِهِ الأرض، أَبَدًا بَعدَ ذَلِكَ، حُرِّيَّتَهَا.

في الرحلات خلال الولايات

فِي الرِّحلَاتِ خِلَالَ الوِلَايَاتِ نَنطَلِق،
(آهِ خِلَالَ العَالَم، تَحفِزُنَا هَذِه الأَغَانِي،
مُبحِرِين مِن الآنَ فَصَاعِدًا إِلَى كُلِّ أَرضٍ، إِلَى كُلِّ بَحر)،
نَحنُ المُتَعَلِّمِين الشَّغُوفِين بِكُلِّ شَيءٍ، المُعَلِّمِين لِكُلِّ شَيءٍ، عُشَّاقَ كُلِّ شَيء.

شَهِدنَا الفُصُولَ تُهَيِّئُ نَفسَهَا وَتَمضِي،
وَقُلنَا، لِمَ لَا يَعمَل الرَّجُلِ أَو المَرأَةِ بِقَدر الفُصُول، وَيَندَفِقَا مِثلَهَا؟

نُقِيمُ بُرهَةً فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَبَلدَة،
نَمُر خِلَالَ كَندَا، وَالشَّمَالِ الشَّرقِي، وَالوَادِي الشَّاسِعِ لِلمِيسِيسِبِّي، وَالوِلَايَاتِ الجَنُوبِيَّة،
نَتَشَاوَر نِدًّا لِنِدٍّ مَعَ كُلِّ وِلَايَة،
نَعقِدُ مُحَاكَمَةً لأَنفُسِنَا وَنَدعُو الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ لِلاستِمَاع،
نَقُولُ لأنفُسِنَا، تَذَكَّرِي، لَا تَخَافِي، كُونِي نَزِيهَةً، وَأَشهِرِي الجَسَدَ وَالرُّوح،
أَقِيمِي لِبُرهَةٍ وامضي، كُونِي خِصبَةً، مُعتَدِلَةً، طَاهِرَةً، فَاتِنَة،
وَمَا تَنشَرِينَه قَد يَعودُ آنَئِذٍ حِينَ تَعُودُ الفُصُول،
وَقَد يَكُون تَمَامًا عَلَى قَدر الفُصُول.

إلى مُغنيـةٍ معينَة

هَيَّا، خُذِي هَذِهِ الهَدِيَّة،
كُنتُ أَحتَفِظُ بِهَا لِبَطَلٍ، أَو خَطِيبٍ، أَو قَائِدٍ مَا،
لِوَاحِدٍ لَابُد أَنَّه يَخدِمُ القَضِيَّةَ القَدِيمَةَ الرَّفِيعَةَ، الفِكرَةَ العَظِيمَة، تَقَدُّمَ وَحُرِّيَّةَ الجِنسِ البَشَرِي،
إِلَى مُتَحَدٍّ شُجَاعٍ لِلطُّغَاةِ، إِلَى مُتَمَرِّدٍ جَرِيء؛
لَكِنِّي أَرَى أَنَّ مَا كُنتُ أَحتَفِظُ بِه هُو لَكِ بِقَدرِ مَا هُو لأَيٍّ مِنهُم.

هادئًا

هَادِئًا، أَقِفُ مُرتَاحًا وَسطَ الطَّبِيعَة،
سَيِّدًا أَو سَيِّدَةً لِلجَمِيع، رَابِطَ الجَأشِ وَسطَ الأَشيَاءِ اللَاعَقلَانِيَّة،
مُشبَعًا مثلَهَا، مُتَكَاسِلًا، مُتَفَتِّحًا، صَامِتًا مثلَهَا،
مُكتَشِفًا أَن هَمِّي، وَفَقرِي، وَسُوءَ سُمعَتِي، وَنِقَاطَ ضَعفِي، وَجَرَائِمِي، أَقَلَّ أَهَمِّيَّةً مِمَّا كُنتُ أَظُن،
مُتَّجِهًا نَحوَ البَحرِ المكسِيكِي، أَو في المَانهَاتِن أو التِّينِيسِي، أَو أَبعَد شَمَالًا أو إِلَى الدَّاخِل،
رَجُلَ أَنهَارٍ، أَو رَجُلَ غَابَاتٍ أَو أَيَّة حَيَاةٍ زِرَاعِيَّة فِي هَذِهِ الوِلَايَاتِ أَو الشَّاطِئ، أَو البُحَيرَاتِ أَو كَنَدَا،
أَينَمَا انقضَت حَيَاتِي، آه لأَكُون مُتَوَازِنًا إِزَاءَ الاحتِمَالَات،
لأُوَاجِهَ اللَّيلَ، وَالعَوَاصِفَ، وَالجُوعَ، وَالحَمَاقَة، وَالحَوَادِثَ، وَالصُّدُود، مِثلَمَا تَفعَلُ الأَشجَارُ وَالحَيَوَانَات.

معرفــة

هُنَاكَ إِذ أَنظُر أَرَى كُل نَتِيجَةٍ أَو مَجدٍ يَعُودُ مِن حَيثُ أَتَى وَيَستَكِن عَن كَثَبٍ، مُسَيَّرًا
دَائِمًا،
هُنَاكَ السَّاعَاتُ، وَالشُّهُورُ، وَالأعوَام - هُنَاك التِّجَارَاتُ، الاتِّفَاقَاتُ، المُؤَسَّسَاتُ، حتَّى
أصغرُها ،
هُنَاكَ الحَيَاةُ اليَومِيَّةُ، وَالكَلَامُ، وَالأدوَاتُ، وَالسِيَاسَاتُ، وَالأشخَاصُ، وَالولَايَات؛
هُنَاكَ نَحنُ أَيضًا، أَنَا مَعَ أَورَاقِ عُشبِي وَأُغنِيَاتِي، وَاثِقًا، مُعجَبًا،
مِثلَ أَبٍ إِذ يَمضِي إِلَى أَبِيهِ يَأخُذَ أَطفَالَه قُدُمًا مَعَه.

السَّـفينة تنطلـق

عَجَبًا، البَحرُ اللَانِهَائِي،
عَلَى صَدرِهِ تَنطَلِقُ سَفِينَةٌ، نَاشِرَةً كُلَّ الأشرِعَة، حَامِلَةً حَتَّى أَشرِعَةَ القَمَر،
العَلَمُ يُحَلِّقُ عَالِيًا إِذ تُسرِعُ تُسرِعُ بِجَلَال - وَفِي الأسفَل أَموَاجُ مُتَنَافِسَةٌ تَدفَعُ إِلَى الأمَام،
تَحِيطُ بالسَّفِينَةِ بِحَرَكَاتٍ مُنعَطِفَةٍ مُشرِقَةٍ وَزَبَد.

أسمعُ أميريكا تغنِّي

أَسمَعُ أَمِيرِيكَا تُغَنِّي، أَسمَعُ الأُغنِيَاتِ المَرِحَةَ المُختَلِفَة،
أُغنِيَاتِ الميكَانِيكِيِّين، وَكُلٌّ مِنهُم يُغَنِّي أَغنِيَته كَمَا يَنبَغِي أَن تَكُون مُبتَهِجَةً وَقَوِيَّة،
وَالنَّجَّارُ يُغَنِّي أُغنِيَتَه وَهوَ يَقِيسُ لَوحَه الخَشَبِيَّ أَو عَارِضَتَه،
وَالبَنَّاءُ يُغَنِّي أُغنِيَته وَهوَ يَستَعِدُّ لِلعَمَل، أَو يُغَادِرُ العَمَل،
وَالمرَاكِبِي يُغَنِّي مَا يَنتَمِي إِلَيه فِي قَارِبِه، وَالنُّوتِي يُغَنِّي عَلَى سَطحِ القَارِبِ البُخَارِي،
وَالاسكَافِي يُغَنِّي وَهوَ يَجلِسُ عَلَى دِكَّتِه، وَصَانِعُ القُبَّعَاتِ يُغَنِّي وَهوَ وَاقِف،
أُغنِيَةُ الحَطَّاب، وَأُغنِيَةُ صَبِيِّ المِحرَاثِ فِي طَرِيقِه فِي الصَّبَاح، أَو فِي استِرَاحَةِ الظَّهِيرَةِ
أَو فِي الغُرُوب،
الغِنَاءُ العَذبُ لِلأُم، أَو لِلزَّوجَةِ الشَّابَّةِ فِي العَمَل، أَو لِلفَتَاةِ وَهيَ تَحِيكُ أَو تَغسِل،
كُلٌّ مِنهُم يُغَنِّي مَا يَنتَمِي إِلَيه أَو إِلَيهَا لَا مَا يَنتَمِي إِلَى أَحدٍ آخَر،
لِلنَّهَارِ مَا يَنتَمِي لِلنَّهَار؛-
وَفِي اللَّيلِ تُغَنِّي مَجمُوعَةُ الرِّفَاقِ الشُّبَّانِ، الأَشِدَّاء، فِي مَوَدَّة،
بِأَفوَاهٍ مَفتُوحَةٍ أُغنِيَاتِهِم القَوِيَّةَ العَذبَة.

أي مَكانٍ مُحاصَــر؟

أيُّ مَكَانٍ مُحَاصَر، وَيُحَاوِلُ عَبَثًا أَن يَفُكَّ الحِصَار؟
انظُرُوا، إِنَّنِي أُرسِلُ إِلَى ذَلِكَ المَكَانِ قَائِدًا، رَشِيقًا، شُجَاعًا، خَالِدًا،
وَمَعَه خَيَّالَةٌ وَمُشَاةٌ، وَمَوَاقِعُ لِلمدفَعِيَّة،
وَرِجَالُ مَدفَعِيَّةٍ، أَبرَعُ مَن أَطلقُوا النَّارَ أَبدًا.

ومع ذلك فما أزال أغنِّي المرء

وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا أَزَالُ أُغَنِّي المَرء،
(المرءَ، المجبُولَ معَ ذَلِكَ مِن التَّنَاقُضَات)، أُكرِّسُه لِلقَومِيَّة،
أَبُث فِيه التَّمَرُّد، (أَيُّهَا الحَقُّ الكَامِنُ فِي العِصيَانِ! أَيَّتُهَا النَّارُ الحَتمِيَّةُ، التِي لَا تَنطَفِئُ!)

لَا تُوصدي أبوابَـك

لَا تُوصِدِي أَبوَابَكِ فِي وَجهِي أَيَّتُهَا المَكتَبَاتُ المُتَكَبِّرَة،
فَمَا تَفتَقِرُ إِلَيه كُلُّ أَرفُفِكِ العَامِرَةُ، بَل أَكثَرُ مَا تَحتَاجُه، آتِي بِه،
مِن الحَربِ البَازِغَةِ، كتابٌ أَلَّفتُه،
وَكَلِمَاتُ كِتَابِي لَا شَيء، مَغزَاه هُو كُلُّ شَيء،
كِتَابٌ مُستَقِل، لَا يَرتَبِطُ بِالبَاقِي وَلَا يُحَس بِالعَقل،
لَكِنَّكِ أَيَّتُهَا الكَوَامِنُ غيرُ المحكِيَّة سَتَرتَعِشِين فِي كُلِّ صَفحَة.

شُعـراء المسـتقبل

يَا شُعَرَاءَ المُستَقبَل! أَيُّهَا الخُطَبَاءُ، المُغَنُّون، المُوسِيقِيُّون القَادِمُون!
لَيسَ اليَومُ هُو مَا يُبَرِّرُنِي وَيَكشِفُ عَن دَورِي،
بَل أَنتُم، كَسُلَالَةٍ جَدِيدَةٍ، مَحَلِّيَّـةٍ، قَوِيَّة، قَارِّيَّة، أعظمُ مِمَّا عُرِفَ مِن قَبل،
فَانهَضُوا! فَلَابُد أَن تُبَرِّرُونِي.

أَنَا نَفسِي لَا أَكتُبُ سِوَى كَلِمَةٍ أَو كَلِمَتَين تُوحِيَان بِالمُستَقبَل،
لَا أَتَقَدَّمُ إِلَّا لِلَحظَةٍ فَحَسب لأَدُورَ عَلَى عَقِبَيَّ مُسرِعًا فِي الظَّلَام.

إِنَّنِي رَجُلٌ، فِيمَا يَمشِي الهُوَينَى قُدُمًا بِلَا تَوَقُّف، يَلتَفِتُ بِنَظرَةٍ عَابِرَةٍ إِلَيكُم ثُم يُشِيحُ بِوَجهِه،
تَارِكَه لَكُم لِتَكتَشِفُوه وَتُحَدِّدُوه،
مُنتَظِرًا الأَشيَاءَ الرَّئِيسِيَّةَ مِنكُم.

إليـك

أَيُّهَا الغَرِيب، إِذَا مَا قَابَلتَنِي فِي مُرُورِك وَرَغبتَ فِي الكَلَامِ مَعِي، فَلِمَ لَا تُكَلِّمنِي؟ وَلِمَ لَا أُكَلِّمك؟

أنتَ القَـارئ

أَنتَ قَارِئُ الحَيَاةِ النَّابِضَةِ وَالكِبرِيَاءِ وَالحُب مِثلِي،
لِهَذَا أُقدِّمُ لَكَ الأناشِيدَ التَّالِيَة.

مُنطلقًا من بُومَانُـوك

[1]

مُنطَلِقًا مِن بُومَانُوك التِي تَأخُذُ شَكلَ السَّمَكَةِ حَيثُ وُلِدت،
وَنَشَأتُ جَيِّدًا، وَكَبُرتُ عَلَى يَدِ أُمٍّ مِثَالِيَّة،
بَعدَ الطَّوَافِ بِبُلدَانٍ كَثِيرَةٍ، عَاشِقًا للأرصِفَةِ المُزدَحِمَة،
مُقِيمًا بِمَانهَاتِن مَدِينَتِي، أو فِي السَّافَانَا الجَنُوبِيَّة،
أَو جُندِيًّا يُعَسكِر أَو يَحمِلُ مِخلَاةً وَبُندُقِيَّة، أَو عَامِلَ منجَمٍ فِي كَالِيفُورنِيَا،
أَو شَخصًا بَسِيطًا فِي مَوطِنِي بِغَابَاتِ دَاكُوتَا، غِذَائِي اللَّحمُ، وَشَرَابِي مِن النَّبع،
أَو مُنسَحِبًا إِلَى رَبَّةِ شِعرِي أَتَأَمَّلُ فِي خُلوَةٍ مَا عَمِيقَة،
بَعِيدًا عَن قَعقَعَةِ الجُمُوعِ التِي تَمُر بَينَ الحِينِ وَالحِين مُنتَشِيَةً وَسَعِيدَة،
وَاعِيًا بِالمنعِمِ الحُر العَذبِ المِيسُورِي المُنسَاب، وَاعِيًا بِنِيَاجَارَا الجَبَّار،
وَاعِيًا بِقُطعَانِ الجَامُوسِ التِي تَرعَى فِي السُّهُولِ، وَالثَّورِ قَاسِي الشَّعرِ قَوِيِّ الصَّدر،
خَبِيرًا بِالأرضِ، وَالصُّخُورِ، وَزُهُورِ الشَّهرِ الخَامِس، بِالنُّجُومِ، وَالمَطَرِ، وَالثُّلُوجِ، مَذهولًا،
دَرَستُ نَغمَاتِ الطَّائِرِ المُحَاكِي وَطَيَرَانَ صَقرِ الجِبَال،
وَسَمِعتُ فِي الفَجرِ الرَّفرَفَةَ السِّرِّيَّةَ، بِلَا نَظِير، لأُوزِ المُستَنقَعَات،
وَحِيدًا، مُغَنِّيًا فِي الغَربِ، أَفتَتِحُ الغِنَاءَ مِن أَجلِ عَالَمٍ جَدِيد.

[2]

النَّصرُ، الاتِّحَادُ، الإِيمَانُ، الهوِيَّة، الزَّمَن،
الموَاثِيقُ الأَبَدِيَّةُ، الثَّروَاتُ، الأسرَارُ،
التَّقَدُّمُ الأَبَدِي، الأكوَانُ، وَالبَرَاهِينُ الحَدِيثَة.

تِلكَ إِذَن هِيَ الحَيَاة،
ذَلِك مَا ظَهَرَ إِلَى السَّطحِ بَعدَ الكَثِيرِ الكَثِيرِ مِن المخَاضَاتِ وَالتَّشَنُّجَات.

كَم هُو عَجِيب! كَم هُو وَاقِعِي!
فَتَحتَ أَقدَامِنَا الأَرضُ الإلَهِيَّة، وَفَوقَ رُؤُوسِنَا الشَّمس.

انظُرُوا إِلَى الأرض تَدُور،
وَالقَارَّاتُ- الأسلَافُ تجَمَّعَت بَعِيدًا مَعًا،
وَقَارَّاتُ الحَاضِرِ وَالمستَقبَلِ شَمَالًا وَجَنُوبًا، وَبَينَهُم البَرزَخ.

انظُرُوا، فَضَاءَاتٌ شَاسِعَةٌ لَم تَطأهَا قَدَم،
تَتَغَيَّر كَمَا فِي الحُلم، تمتَلِئُ سَرِيعًا،
وَحُشُودٌ بِلَا حَصرٍ تَلهُو فِيهَا،
هِيَ الآنَ مُغَطَّاةٌ بِأفضَلِ نَاسٍ، وَفُنُونٍ، وَمَعَاهِدَ مَعرُوفَة.

انظُرُوا، مَا يَتَرَاءَى عَبرَ الزَّمَن، لِي،
جُمهُورٌ لَا نِهَائِي.

بِخُطوَةٍ صَارِمَةٍ مُنتَظِمَةٍ يَنطَلِقُون، أَبَدًا لَا يَتَوَقَّفُون،

مَوَاكِبُ رِجَالٍ، أَمرِيكِيِّين، مِئَةُ مِليُون،
جِيلٌ يُؤَدِّي دَورَه وَيَمضِي،
وَجِيلٌ آخَر يُؤَدِّي دَورَه وَبِدَورِهِ يمضِي،
بِوُجُوهٍ مُلتَفِتَةٍ إِلَى الجَانِبِ أَو الوَرَاءِ نَحوِي لِيُصغِي إِلَيَّ،
بِعُيُونٍ مُلتَفِتَةٍ إِلَى الورَاءِ نَحوِي.

[3]

أَيُّهَا الأمرِيكِيُّون! الظَّافِرُون! أَيَّتُهَا المسِيرَاتُ الإِنسَانِيَّة!
أَيُّهَا الأَوَائِل! يَا مَسِيرَاتِ القَرن! أَيَّتُهَا الحرِّيَّة! أَيَّتُهَا الجُمُوع!
لَكُم برنَامِج مِن أَنَاشِيد.

أَنَاشِيدُ البَرَارِي،
أَنَاشِيدُ المِيسِيسِيبِّي المنسَابِ طَوِيلًا، مُنصَبًّا فِي بَحرِ المكسِيك،
أَنَاشِيدُ أُوهيُو، اندِيَانَا، الِينُوي، ايوَا، وِيسكُونسِن وَمِينِيسُوتَا،
أَنَاشِيدُ مُندَفِعَةٌ مِن الوَسَطِ مِن كَانسَاس، وَمِن هُنَاكَ عَن بُعدٍ مُمَاثِل،
مُنطَلِقَةٌ بِلَا انتِهَاءٍ فِي نَبضَاتٍ نَارِيَّةٍ تُفعِمُ الجَمِيعَ بِالحَيَوِيَّة.

[4]

خُذِي أَورَاقَ عُشبِي يَا أَمِيرِيكَا، خُذِيهَا إِلَى الجَنُوبِ وَخُذِيهَا إِلَى الشَّمَال،
رَحِّبِي بِهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَهِيَ ذُرِّيَّتُك،
احتَضِنِيهَا شَرقًا وَغَربًا، فَهِيَ تَحتَضِنُك،
وَأَنتُم أَيُّهَا السَّابِقُون، ارتَبِطُوا بِهَا بِحُب، لأَنَّهَا تَرتَبِطُ بِكُم بِحُب.

لَقَد تَمَعَّنتُ فِي الأَزمَانِ القَدِيمَة،

جَلَستُ أَدرِسُ عِندَ أَقدَامِ الأَسَاتِذَةِ العِظَام،
وَالآن كَم أَتَمَنَّى لَو كُنتُ جَدِيرًا بَأن يَعُودَ الأَسَاتِذَةُ العِظَامُ وَيَدرِسُونِي.

أَبِاسِمِ هَذِه الوِلَايَاتِ سَأحتَقِرُ مَا هُو عَتِيق؟
عَجَبًا، فهَؤُلَاء الأَبنَاءُ لمَا هُو عَتِيق يُبَرِّرُونَه.

[5]

أَيُّهَا الشُّعَرَاءُ، الفَلَاسِفَةُ، الكَهَنَةُ المَوتَى،
أَيُّهَا الشُّهَدَاءُ، الفَنَّانُون، المُختَرِعُون، الحُكُومَاتُ الغَابِرَة،
يَا صَائِغِي اللُّغَاتِ عَلَى ضِفَافٍ أُخرَى،
أَيَّتُهَا الأُمَمُ التِي كَانَت قَوِيَّةً ذَاتَ يَومٍ، وَالآنَ ضَعِيفَةٌ، مُنسَحِبَةٌ، أَو مَعزُولَة،
لَا أَجرُؤُ عَلَى التَّقَدُّمِ إِلَى أَن أَرصُدَ بِاحتِرَامٍ مَا خَلَّفتُمُوه مَنقُولًا إِلَى هُنَا،
لَقَد تَتَبَّعتُه، وَرَأَيتُه مُثِيرًا لِلإعجَاب (وَأَنَا أَتَحَرَّكُ لِبُرهَةٍ خِلَالَه)،
وَأَظُن أَلَّا شَيءَ أَبَدًا يُمكِنُ أَن يَكُون أَعظَم، لَا شَيءَ أَبَدًا يَستَحِقُّ أَكثَرَ مِمَّا يَستَحِق،
وَإِذ أَنظُرُ إِلَيهِ كُلِّه بِإِمعَانٍ طَوِيلًا، ثُم أُنَحِّيه جَانِبًا،
فَإِنَّنِي أَقِفُ فِي مَكَانِي مَعَ يَومِي هُنَا.

هُنَا أَرَاضِي المَرأَةِ وَالرَّجُل،
هُنَا وارِثُو العَالَمِ وَوَرِيثَاتُه، هُنَا لَهَبُ المَادَّة،
هُنَا تُرجمَانُ القِيَم الرُّوحِيَّة، المعتَرَفِ بِهَا عَلَنًا،
آخِرُ الأَشكَالِ المَرئِيَّة، بِكُل حَدَب،
المُشبِعَة، بَعدَ طُولِ انتِظَارٍ مَفرُوضٍ تَتَقَدَّمُ الآن،
حَقًّا هُنَا تَأتِي سَيِّدَتِي الرُّوح.

[6]

الرُّوح،
أَبَدًا إِلَى الأَبَد- أَبعَدُ فِي الزَّمَنِ مِن سُمرَةِ الأرضِ وَصَلَادَتِهَا- أَبعَد فِي الزَّمَنِ مِن مَد وَجَزرِ المَاء.

سَأكتُبُ القَصَائِدَ عَن المَادَّةِ، لأَنَّنِي أَعتَقِدُ أَنَّهَا سَتكُونُ القَصَائِدَ الأكثَر رُوحَانِيَّة،
وَسَأكتُبُ القَصَائِدَ عَن جَسَدِي وَفَنَائِي،
لأَنَّنِي أَعتَقِدُ أَنِّي آنَئِذٍ سَأمنَحُ نَفسِي قَصَائِدَ رُوحِي وَخُلُودِي.

سَأكتُبُ أُغنِيَةً لِتِلكَ الوِلَايَاتِ بِأَلَّا تَخضَعَ أَيَّةُ وِلَايَةٍ - تَحتَ أَيَّةِ ظُرُوفٍ- لِوِلَايَةٍ أُخرَى،
وَسَأكتُبُ أُغنِيَةً بِأَن تَسُودَ المَوَدَّةُ لَيلَ نَهَارٍ بَينَ كُلِّ الوِلَايَاتِ، وَبَين كُلٍّ مِنهَا وَالأُخرَى،
وَسَأكتُبُ أُغنِيَةً مِن أَجلِ مَسَامِعِ الرَّئِيسِ، مُدَجَّجَةً بِالأسلِحَةِ ذَاتِ الأَسِنَّةِ المُهَدِّدَة،
وَوَرَاءَ الأَسلِحَةِ مَا لَا يُحصَى مِن الوُجُوهِ الغَاضِبَة؛
وأَكتُبُ أُغنِيَةً عَن الوَاحِدِ المَجبُولِ مِن الكُل،
الوَاحِدِ المُشرِقِ ذِي الأَنيَابِ مَن رَأسُه فَوقَ الجَمِيع،
وَاحِدٍ مُحَارِبٍ حَازِمٍ يَشمَلُ وَيَعلُو الجَمِيع،
(وَأَيًّا مَا كَانَت عَالِيَةً رَأسُ أَيِّ آخَر فَرَأسُه أَعلَى مِن الجَمِيع).

سَأَعتَرِفُ بِالبُلدَانِ المُعَاصِرَة،
سَأَطُوفُ بِجُغرَافِيَّةِ الكَوكَبِ كُلِّهَا، وَأُحَيِّي بِمَوَدَّةٍ كُلَّ مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَة،
وَأَيَّتُهَا الأعمَال! سَأَضَعُ فِي قَصَائِدِي أَن البُطُولَةَ تَكمُن فِيكِ عَلَى البَحرِ واليَابِسَة،
وسَأَتَحَدَّثُ عَن كُلِّ بُطُولَةٍ مِن وِجهَةِ نَظَرٍ أَمِيرِيكِيَّة.

سَأُغَنِّي أُغنِيَةَ الرِّفقَة،

سَأَعرِضُ فَحَسب مَا لَابُد أَن يُوَحِّد ذَلِك كُلَّه فِي النِّهَايَة،
فَأَنَا أُؤمِنُ أَن هَؤلَاء سَيَجِدُون مِثَالَهُم عَن الحُبِّ القَوِي، مُشِيرِين إِلَيه فِيَّ،
وَلِهَذَا سَأُشعِلُ اللَّهَبَ مِن النِّيرَانِ المُتَّقِدَةِ التِي كَانَت تُهَدِّدُ بِالتِهَامِي،
سَأَكشِفُ مَا تَم كَبتُه طَوِيلًا طَوِيلًا تَحتَ هَذِهِ النِّيرَانِ المُستَعِرَة،
سَأمنَحُه الحُرِّيَّةَ الكَامِلَة،
سَأَكتُب القَصِيدَةَ البِشَارَةَ عَن الرِّفَاقِ وَالحُب،
فَمَن سِوَايَ سَيَفهَم الحُبَّ بِكُلِّ أَحزَانِه وَمَبَاهِجِه؟
وَمَن سِوَايَ سَيَكُونُ شَاعِرَ الرِّفَاق؟

[7]

أَنَا المصَدِّقُ لِلخَصَائِصِ، وَالعُصُورِ، وَالأجنَاس،
أَنطَلِقُ مِن الشَّعبِ بِرُوحِهِ ذَاتِهَا،
وَهو مَا يُغَنِّي الإِيمَانَ المُطلَق.

أَبشِرُوا! أَبشِرُوا! فَليَتَجَاهَل الآخَرُون مَا يَتَجَاهَلُون،
فَأَنَا أَكتُبُ أَيضًا قَصِيدَةَ الشَّر، أَحتَفِلُ بِهَذَا الجَانِبِ أَيضًا،
فَأَنَا نَفسِي شِرِّيرٌ تَمَامًا بِقَدرِ مَا أَنَا طَيِّب، وَأُمَّتِي كَذَلِك- وَأَقُولُ إِنَّه لَا وُجُودَ فِي الوَاقِعِ لِلشَّر،
(أَو إِن كَانَ مَوجُودًا فَإِنَّنِي أَقُول إِنَّه مُهِمٌّ بِالنِّسبَةِ لَكُم تَمَامًا، وَلِلأَرضِ أَو لِي، شَأنَ أَيِّ شَيءٍ آخَر).

أَنَا أَيضًا، تَابِعًا لِلكَثِيرِين وَمَتبُوعًا بِالكَثِيرِين، أُعلِنُ دِينًا، وَأَتَنَزَّلُ إِلَى السَّاحَة،
(رُبَّمَا كَانَ مُقَدَّرًا لِي أَن أُطلِقَ أَعلَى الصَّرخَاتِ هُنَاك، صَيَحَاتِ المنتَصِرِ المجلجِلَة،
فَمَن يَدرِي؟ فَرُبَّمَا تَنطَلِقُ مِنِّي مَعَ ذَلِك، وَتُحَلِّقُ فَوقَ كُلِّ شَيء).

لَا شَيءَ لِذَاتِه،
أَقُولُ إِن الأَرض كُلَّهَا وَجَمِيعَ النُّجُوم فِي السَّمَاءِ هِيَ مِن أَجلِ الدِّين.

أَقُولُ مَا مِن إِنسَانٍ أَبَدًا كَانَ – مَعَ ذَلِك – نِصف مُؤمِنٍ كَمَا يَنبَغِي،
مَا مِن أَحَدٍ أَبَدًا قَد عَشِقَ أَو تَعَبَّدَ – مَعَ ذَلِك – نِصفَ مَا يَنبَغِي،
مَا مِن أَحَدٍ بَدَأ التَّفكِيرَ فِي كَم هُو نَفسه إِلَهِي، وَكَم يَقِينِيٌّ هُو المَستَقبَل.

أَقُولُ إِن العَظَمَةَ الحَقِيقِيَّةَ وَالدَّائِمَةَ لِهَذِهِ الوِلَايَاتِ لَابُد أَن تَكُونَ دِينَهَا،
وَإِلَّا فَلَن تَكُونَ هُنَاكَ أَبَدًا عَظَمَةٌ حَقِيقِيَّةٌ وَدَائِمَة؛
(فَلَا شَخصِيَّةَ وَلَا حَيَاةَ جَدِيرَةً بِاسمِهَا بِلَا دِين،
لَا بَلَدَ وَلَا رَجُل وَلَا امرَأة بِلَا دِين).

[8]

فَمَاذَا تَفعَلُ أَيُّهَا الشَّاب؟
هَل أَنتَ جَاد، شَغُوفٌ بِالأَدَب، بِالعِلمِ، بِالفَنِّ، بِالحُب؟
بِهَذِهِ الوَقَائِعِ، وَالسِّيَاسَةِ، وَالغَايَات الظَّاهِرِيَّة؟
بِطُمُوحِكَ أَو عَمَلِك أَيًّا مَا كَان؟

حَسَنًا- لَن أَنطِقَ بِكَلِمَةٍ ضِدَّ أَيٍّ مِن ذَلِك، فَأَنَا شَاعِرُهُم أَيضًا،
لَكِن انظُر! فَهَذِهِ العَوَارِضُ العَابِرَةُ قَد احتَرَقَت مِن أَجلِ الدِّين،
فَلَيسَت كُلُّ المَوَاد وَقُودًا لِلنَّار، شُعلَةً غَير مَحسُوسَة، الحَيَاةَ الضَّرُورِيَّةَ لِلأَرض،
وَلَا هِيَ بِأَكثَرَ مِن ذَلِكَ بِالنِّسبَةِ لِلدِّين.

[9]

فَعَم تَبحَثُ بِهَذَا الاستِغرَاقِ وَالصَّمت؟

مَا الذِي تَحتَاجُ إِلَيه أَيُّهَا الرَّفِيق؟
أَتعتَقِدُ- يَا ابنِي العَزِيز- أَنَّه الحُب؟

أَنصِت، يَا ابنِي العَزِيز- أَنصِتِي، يَا أَمِيرِيكَا، ابنًا أَو ابنَة،
فَمِن المُؤلِم أَن نُحِبَّ رَجُلًا أَو امرَأَةً بِإِفرَاط، وَمَعَ ذَلِكَ فَهوَ مُشبِعٌ، وَعَظِيم،
لَكِنَّ هُنَاكَ شَيئًا آخَرَ عَظِيمًا لِلغَايَةِ، يَجعَلُ الجَمِيعَ يَتَوَافَقُون،
إِنَّه، فِي رَوعَةٍ، أَبعَد مِنَ المَادِّيَّات، بِيَدَين سَخِيَّتَين يَحصُدُ وَيَمنَحُ الجَمِيع.

[10]

فَلتَعلَمُوا، مَا إِن تُسقِطُوا فِي الأَرض بُذُورَ دِيَانَةٍ أَعظَم،
فَسَأُغَنِّي كُل أُغنِيَةٍ قَادِمَةٍ لِنَوعِهَا.

يَا رِفِيـقِي!
فَلتُشَارِكنِي عَظَمَتَين، وَثَالِثَةً تُشرِقُ شَامِلَةً وَأَكثَرَ رَوعَة،
عَظَمَةَ **الحُب** وَ**الدِّيمُوقرَاطِيَّةِ**، وَعَظَمَةَ **الدِّين**.

إِنَّنِي أَمزِجُ مَا لَدَيَّ، اللَّامَرئِيَّ وَالمَرئِي،
المُحِيطَ الغَامِضَ حَيثُ تَصُبُّ الجَدَاوِل،
وَالرُّوحَ النَّبَوِيَّةَ لِلمَوَادِ المُتَحَوِّلَةِ وَالمضطَرِبَةِ حَولِي،
وَالكَائِنَاتِ الحَيَّةَ، وَالنُّفُوسَ القَرِيبَةَ بِلَا شَكٍّ مِنَّا الآنَ فِي الفَضَاءِ بِلَا وَعيٍ مِنَّا،
وَالتَّمَاسَّ كُلَّ يَومٍ وَكُلَّ سَاعَةٍ الذِي لَن يُفلِتَنِي،
هؤلاء يَنتَقُون، وَهَؤلاء يَطلُبُونَ مِنِّي بِالإِيمَاءَات.
لَيسَ هُو مَن يُقَبِّلُنِي مُنذُ الطُّفُولَةِ وَمَا بَعدَهَا قُبلَةً يَومِيَّةً،
ظَلَّت تَلُفُّ وَتَدُورُ حَولِي فَتَشُدَّنِي إِلَيه،

بِأَكثَرَ مِمَّا أَنَا مَشدُودٌ إِلَى السَّمَاوَاتِ وكُلِّ العَالَمِ الرُّوحَانِي،
بَعدَ مَا أَسدُوه لِي، مُوحِين بِالأفكَار.

يَا لَهَا مِن أَفكَار - مُسَاوَاة! يَا لَلمِعيَارِ الإِلَهِي!
أَيَّتُهَا التَّغرِيدَاتُ تَحتَ الشَّمس، المنطَلِقَةُ كَمَا الآن، أَو فِي الظَّهِيرَة، أَو فِي الغُرُوب،
أَيَّتُهَا المَقطُوعَاتُ المُوسِيقِيَّةُ المنسَابَةُ عَبرَ العُصُورِ، وُصُولًا إِلَى هُنَا الآن،
إِنَّنِي آخُذُ أَوتَارَكِ المرَكَّبَةَ العشوَائِيَّةَ، أُضِيفُ إِلَيهَا، وَأُسلِمُهَا بِابتِهَاجٍ إِلَى القَادِمِين.

[11]

فِيمَا كُنتُ أَمشِي فِي أَلَابَامَا تَمشِيَتِي الصَّبَاحِيَّة،
رَأَيتُ أُنثَى الطَّائِرِ المُحَاكِي تَجلِسُ فِي عُشِّهَا وَسطَ الوَردِ البَرِّي تَحتَضِنُ صِغَارَهَا.

رَأَيتُ الطَّائِرَ الذَّكَرَ أَيضًا،
تَوَقَّفتُ لأَسمَعَه عَن كَثَبٍ وَهوَ يَنفُخُ عُنُقَه وَيُغَنِّي بِابتِهَاج.

وَفِيمَا تَوَقَّفتُ خَطَرَ بِبَالِي أَنَّ مَا كَانَ يُغَنِّي لَه حَقًّا لَم يَكُن مَوجُودًا هُنَاك،
وَلَا كَانَ يُغَنِّي مِن أَجلِ رَفِيقَتِه وَلَا نَفسِه، وَلَا كَانَ كُلُّه رَجعَ صَدًى،
بَل هُو رَهِيفٌ، خَفِي، بَعِيدٌ بِلَا انتِهَاء،
رِسَالَةٌ مَنقُولَةٌ وَهِبَةٌ سِرِّيَّةٌ إِلَى مَن يُولَدُون.

[12]

أَيَّتُهَا الدِّيمُوقرَاطِيَّة! فِي مُتَنَاوَلِ يَدِك عُنُقٌ يَنتَفِخُ الآنَ وَيُغَنِّي بِابتِهَاج.
يَا امرَأَتِي! مِن أَجلِ صِغَارِنَا والصِّغَارِ فِيمَا بَعدَنَا،
مِن أَجلِ هَؤلَاءِ المَوجُودِين هُنَا وَهَؤلَاء القَادِمِين،

مُبتَهِجًا بِأَن أَتَهَيَّأ لَهُم، سَأَرفَعُ عَقِيرَتِي بالأغَارِيدِ بِأَقوَى وَأعلَى مِن كُلِّ مَا سُمِعَ عَلَى الأرض حَتَّى الآن.

سَأكتُبُ أُغنِيَاتِ الشَّغَفِ لأفتَحَ لَهُم الطَّرِيق،
وَسَتُطِيحُ أُغنِيَاتُكِ بِالمُزعِجِين، فَأَنَا أَرصُدُكِ بِعَينَين أَخَوِيَّتَين، وَأحمِلُكِ مَعِي مِثلَ أَيِّ آخَر.

سَأكتُبُ القَصِيدَةَ الحَقِيقِيَّةَ عَن الثَّرَاء،
لِأكسَبَ لِلجَسَدِ وَالعَقلِ مَا يُخلِصُ الوَلَاءَ وَيَتَوَاصَل وَلَا يُسقِطُه المَوت؛
سَأنشُرُ الذَّاتِيَّةَ وَأَجعَلُهَا أَسَاسًا لِلكُل، وَسَأكُون مُغَنِّي الشَّخصِيَّة،
وَسَأُبَيِّن أَن كُلًّا مِن الذَّكَرِ وَالأُنثَى لَيسَ إِلَّا مُسَاوِيًا لِلآخَر،
وَأَيَّتُهَا الأعضَاءُ وَالمُمَارَسَاتُ الجِنسِيَّة! فَلتَحتَشِدِي فِيَّ، فَأَنَا مُصَمِّمٌ عَلَى أَن أُعلِنَ عَنكِ بِصَوتٍ شُجَاعٍ وَاضِحٍ لأجعَلَكِ شَهِيرَة،
وَسَأُبَيِّن أَنَّ مَا مِن نَقصٍ فِي الحَاضِر، وَلَا يُمكِن أَن يَكُونَ فِي المستَقبَل،
وَسَأُبَيِّن أَنَّ أَيًّا مَا يَحدُثُ لأَيِّ شَخصٍ فَيُمكِن أَن يَستَحِيلَ إِلَى نَتَائِجَ جَمِيلَة،
وَسَأُبَيِّن أَنَّ مَا مِن شَيءٍ يُمكِن أَن يَحدُثَ أَجمَلَ مِن المَوت،
وَسَأُسلِكُ خَيطًا خِلَالَ قَصَائِدِي لِتَلتَحِمَ الأحدَاثُ وَالزَّمَن،
وَأَنَّ أَشيَاءَ الكَونِ كُلَّهَا مُعجِزَاتٌ مُكتَمِلَةٌ، وَكُلًّا مِنهَا عَمِيقٌ كَالآخَر.

لَن أَكتُبَ قَصَائِدَ بِخُصُوصِ أَجزَاء،
لَكِنِّي سَأَكتُبُ قَصَائِدَ، وَأُغنِيَاتٍ، وَأَفكَارًا، بِخُصُوصِ الكُل،
وَلَن أُغَنِّي بِخُصُوصِ يَومٍ مَا، بَل بِخُصُوصِ كُلِّ الأَيَّام،
وَلَن أَكتُبَ قَصِيدَةً وَلَا أَدنَى جُزءٍ مِن قَصِيدَة إِلَّا وَكَانَت بِخُصُوصِ الرُّوح،
لأَنِّي إِذ مَا نَظَرتُ فِي أَشيَاءِ الكَونِ، أَجِدُ أَلَّا شَيءَ أَو أَدنَى جُزءٍ مِنه إِلَّا وَيُحِيلُ إِلَى الرُّوح.

[13]

أَكَانَ هُنَاكَ مَن يُرِيدُ أَن يَرَى الرُّوح؟
فَانظُرُوا إِلَى هيئَتِكُم، وَسِيمَائِكُم، وَشخُوصِكُم، وَجَوهَرِكُم، وَحَيَوَانَاتِكُم، وَالأَشجَارِ، وَالأَنهَارِ الجَارِيَة، وَالصُّخُورِ وَالرِّمَال.

فَكُلُّهَا تَحمِلُ مَبَاهِجَ رُوحِيَّةً وَبَعدَ ذَلِكَ تُطلِقُهَا؛
فَكَيفَ يُمكِن لِلجَسَدِ الحَقِيقِي أَن يَمُوتَ أَبَدًا وَيُدفَن؟

مِن جَسَدِكَ الحَقِيقِي وَكُلِّ جَسَدٍ حَقِيقِي لِرَجُلٍ أَو امرَأَة،
سَيَتَمَلَّص عُضوٌ فَعُضوٌ مِن أَيدِي الغَاسِلِين وَيَعبُرُ إِلَى المَدَارَاتِ اللَّائِقَة،
حَامِلًا مَا تَرَاكَمَ بِه مُنذُ لَحَظَةِ المِيلَادِ إِلَى لَحَظَةِ المَوت.

لَا تَستَعِيدُ الحُرُوفُ التِي يَصُفُّهَا الطَّابِعُ بَصمَتَهَا، وَمَعنَاهَا، وَغَايَتَهَا الأَسَاسِيَّة،
بِأَكثَرَ مِمَّا يُستَعَادُ جَوهَرُ وَحَيَاةُ الرَّجُلِ أَو جَوهَرُ وَحَيَاةُ المَرأَةِ فِي الجَسَدِ وَالرُّوح،
بِلَا تَميِيزٍ قَبلَ المَوتِ وَبَعدَ المَوت.
فَانظُرُوا، فَالجَسَدُ يَحتَوِي المَعنَى وَهوَ المعنَى، الغَايَةُ الأُولَى، وَيَحتَوِي الرُّوحَ وَهوَ الرُّوح؛
وَأَيًّا مَن تَكُون، فَكَم هُو رَائِعٌ وَسَمَاوِيٌّ جَسَدُك، أَو أَيُّ جُزءٍ مِنه!

[14]

أَيًّا مَن تَكُون، إِلَيكَ نِدَاءَاتٍ بِلَا انتِهَاء!

فَيَا ابنَةَ الأَرَاضِي، أَكُنتِ تَنتَظِرِين شَاعِرَك؟
أَكُنتِ تَنتَظِرِين شَاعِرًا ذَا فَمٍ مُفَوَّهٍ وَيَدٍ مُوحِيَة؟
فَإِلَى رِجَالِ الوِلَايَاتِ، وَإِلَى نِسَاء الوِلَايَات،

كَلِمَاتٍ مُتَهَلِّلَةً، كَلِمَاتٍ إِلَى أَرَاضِي الدِّيمُوقرَاطِيَّة.

الأرَاضِي المُتَوَاشِجَة، وَاهِبَةُ الغِذَاء!
أَرضُ الفَحمِ وَالحَدِيد! أَرضُ الذَّهَب! أَرضُ القُطنِ، وَالسُّكَّر، وَالأُرز!
أَرضُ القَمحِ، وَالبَقَرِ، وَالخِنزِير! أَرضُ الصُّوفِ وَالقِنب! أَرضُ التُّفَّاحِ وَالأعنَاب!
أَرضُ سُهُولِ الرَّعي، حُقُولُ أعشَابِ العَالَم! أَرضُ تِلكَ الهِضَابِ اللَانِهَائِيَّةِ ذَات الهَوَاءِ العَذب!
أَرضُ القُطعَانِ، وَالحدَائِقِ، وَالمَنزِلِ الصَّحِّي اللَّبِن!
الأرَاضِي التِي تَهُبُّ عَلَيهَا رِيَاحُ كُولُومبيَا الشَّمَالِيَّةُ الغَربِيَّةُ، وَرِيَاحُ كُولُورَادُو الغَربِيَّةُ الجَنُوبِيَّة!
أَرضُ شِيسَابِيك الشَّرقِيَّة! أَرضُ دِيلَاوِير!
أَرضُ أُونتَارِيُو، وَإِيرِي، وَهُورُون، وَميتشِيجَان!
أَرضُ ڤِيرتِين القَدِيمَة! أرضُ مَاسَاتشُوسِيتس! أَرضُ ڤِيرمُونت وَكُونِّيكتِيكَت!
أَرضُ ضِفَافِ المُحِيط! أَرضُ سَلَاسِلِ وَقِمَم الجِبَال!
أَرضُ المرَاكِبِيَّةِ وَالبَحَّارَة! أَرضُ صَيَّادِي الأسمَاك!
أَرضٌ لَا فِكَاكَ مِنهَا! المُندَمِجَةُ مَعًا! الأَرَاضِي المَشبُوبَة!
أَرضُ السَّائِرِين جَنبًا إِلَى جَنب! وَالأشِقَّاءِ الكِبَارِ وَالصِّغَار! وَالمُعَاقِين!
أَرضُ النِّسَاءِ العَظِيمَات! النِّسَوِيَّات! وَالشَّقِيقَاتِ المُحَنَّكَاتِ وَالشَّقِيقَاتِ السَّاذِجَات!
الأَرضُ التِي نَشَرَت أَرِيجَهَا بَعِيدًا! وَيَحتَضِنُهَا القُطبُ الشَّمَالِي! وَيَهُبُّ عَلَيهَا نَسِيمُ المكسِيك! المتَنَوِّعَةُ! المُلتَحِمَة!
البِنسِلڤَانِيَّة! الڤِيرجِينِيَّة! مُزدَوَجَةُ الكَارُولَينِيَّة!
آهِ كَم أُحِبُّهَا كَكُلٍّ وَوَاحِدَةً وَاحِدَة! أُمِّي الجَسُورَة! آهِ إِنِّي أحتَوِيكِ بِكُلِّ شَكلٍ بِحُبٍّ كَامِل!
لَا يُمكِنُنِي أَن أَتَحَرَّرَ مِنكِ! وَلَا مِن أَيَّةِ وَاحِدَة!

فَأَيُّهَا المَوت! آهٍ لِهَذَا كُلّه، فَأَنَا حَتَّى الآنَ خَفِيٌّ عَلَيكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ بِحُبٍّ لَا يُكبَح،
أجُوبُ نيُو إنجِلَند، صَدِيقًا، رَحَّالَةً،
تَنثُر قَدمَاي الحَافِيَتَانِ الرَّذَاذَ عَلَى حَافَّةِ أَموَاجِ الصَّيفِ عَلَى رِمَالِ بُومَانُوك،
عَابِرًا البَرَارِي، مُقِيمًا مِن جَدِيدٍ فِي شِيكَاجُو، مُقِيمًا فِي كُلِّ بَلَدَة،
مُرَاقِبًا لِلعُرُوضِ، وَالوِلَادَاتِ، وَالتَّرمِيمَاتِ، وَالأَبنِيَةِ، وَالفُنُون،
مُنصِتًا لِلخُطَبَاءِ وَالخَطِيبَاتِ فِي القَاعَاتِ العَامَّة،
مِن الوِلَايَاتِ وَخِلَالَهَا كَمَا خِلَالَ الحَيَاةِ، وَكُلُّ رَجُلٍ وَامرَأَةٍ جَارٌ لِي،
فَمَن هُو- أَو هِيَ- لويزيَانِي وَجُورجِي قَرِيبٌ لِي، مِثلَمَا أَنَا قَرِيبٌ مِنه وَمِنهَا،
وَمَعَ ذَلِكَ فَالمِيسِيسِيبِّيُّ وَالأَركَانسَاسِي مَعِي، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ مَعَ كُلٍّ مِنهُمَا،
وَسَوَاءٌ كُنتُ فِي السُّهُولِ غَربَ النَّهرِ الشَّوكِي، أَو فِي مَنزِلِي اللَّبِن،
سَوَاءٌ كُنتُ عَائِدًا إِلَى الشَّرقِ، أَو إِلَى ولَايَةِ السَّاحِلِ أَو مِيرِيلَاند،
سَوَاءٌ كُنتُ كَنَدِيًّا أَتَحَدَّى الشِّتَاءَ بِمَرَحٍ، وَالجَلِيدُ وَالثُّلُوجُ يُرَحِّبُون بِي،
سَوَاءٌ كُنتُ ابنًا حَقِيقِيًّا لِـمِين أَو لِلولَايَةِ **الجرَانِيتِيَّة**، أَو ولَايَةِ خَلِيجِ نَارَّاجَانسِيت، أَو ولَايَةِ امبَايَر[*]،
سَوَاءٌ كُنتُ مُبحِرًا إِلَى ضِفَافٍ أُخرَى لأَضُمَّ كُلَّ شَقِيقٍ جَدِيدٍ، مُرَحِّبٍ بِي،
فَبِذَلِكَ أُخَصِّصُ أَورَاقَ العُشبِ هَذِهِ لِلأَورَاقِ الجَدِيدَةِ مُنذُ سَاعَةِ اتِّحَادِهَا بِالأَورَاقِ القَدِيمَة،
وَإِذ أَجِيءُ بِنَفسِي وَسطَ الأَورَاقِ الجَدِيدَةِ رَفِيقًا وَنِدًّا لَهَا، أَجِيءُ بِنَفسِي إِلَيكُم الآن،
لأَحُثَّكُم عَلَى أَدَاءِ الأَدوَارِ، وَالشَّخصِيَّاتِ، وَالعُرُوضِ، مَعِي.

[15]

لَكِن، بِتَشَبُّثٍ وَثِيقٍ بِي، هَيَّا، أَسرِعُوا.
فَحَيَاتُكُم مُرتَبِطَةٌ بِي،

[*] الولاية الجرانيتية: نيوهامبشاير؛ ولاية امباير Empire State: لقب نيويورك.

(رُبَّمَا كَانَ لِي أَن تُقنِعُونِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةً قبلَ أَن أَقبَلَ بِأَن أَمنَحَ نَفسِي حَقًّا لَكُم، لَكِن
مَاذَا فِي ذَلِك؟
أَلَيسَ عَلَى الطَّبِيعَةِ أَن تَقتَنِعَ مَرَّاتٍ كَثِيرَة؟)

أَنَا لَستُ رَقِيقًا حَنُونًا عَذبًا،
فَقَد أَتَيتُ مُلتَحِيًا، مَسفُوعًا بِالشَّمسِ، مُسوَدَّ العُنُقِ، كَرِيهًا،
مِن أَجلِ المُصَارَعةِ لِلوصُولِ إِلَى جَوَائِزِ الكَونِ الحَقِيقِيَّة،
كَي أَمنَحَهَا أَيًّا مَن يَستَطِيعُ المُثَابَرَةَ لِلفَوزِ بِهَا.

[16]

فِي طَرِيقِي تَوَقَّفتُ لِبُرهَـة،
هَذَا لَك! وَهَذَا لأَمِيرِيكَا!
وَمَا أَزَالُ أُعلِي الحَاضِرَ سَامِقًا، مَا أَزَالُ أُبَشِّرُ بِمُستَقبَلٍ لِلولَايَاتِ سَعِيدٍ ورَفِيع،
أَمَا المَاضِي فَإِنَّنِي أَنطِقُ بِمَا يَحمِلُه الهَوَاءُ مِن الهُنُودِ الحُمر.

الهُنُودُ الحُمر،
الذِين خَلَّفُوا أَنفَاسَ الطَّبِيعَةِ، وَأَصوَات المَطَرِ وَالرِّيَاح، وَنِدَاءَاتٍ كَأَنَّهَا لِلطُّيُورِ
وَالحَيوَانَاتِ فِي الغَابَةِ، مَلفُوظَةً لَنَا كَأَسمَاء،
أُوكُونِي، كُوسَا، أُوتَاوَا، مُونُوجَاهِيلَا، سُوك، نَاتشِيز، شَاتَّاهُوشِي، كَاكِيتَا، أُورُونُوكُو،
وَابَاش، مِيَامِي، سَاجِينَاو، شِيبِّيوَا، أُوشكُوش، وَالَّا-وَالَّا،
وَإِذ خَلَّفُوا ذَلِكَ لِلوِلَايَاتِ ذَابُو، ارتَحَلُوا، مُحَمِّلِين المَاءَ وَالأَرضَ بِالأَسمَاء.

[17]

مُنتَشِرَة وَخَاطِفَةً، مِن الآنَ فَصَاعِدًا،

العَنَاصِرُ، وَالسُّلَالَاتُ، وَالأدَوَاتُ، الهَائِجَةُ، السَّرِيعَةُ وَالطَّائِشَة،
عَالَمٌ بِدَائِيٌّ مِن جَدِيد، آفَاقٌ لِلمَجدِ تَتَفَرَّعُ وَلَا تَنقَطِع،
جِنسٌ جَدِيدٌ أَعظَمُ بِكَثِيرٍ يُهَيمِنُ عَلَى الأجنَاسِ السَّابِقَةِ، مَعَ صِرَاعَاتٍ جَدِيدَة،
وَسِيَاسَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَآدَابٍ وَأَديَانٍ جَدِيدَةٍ، وَاختِرَاعَاتٍ وَفُنُونٍ جَدِيدَة.

تِلك، يُعلِنُهَا صَوتِي- لَن أَنَامَ بَعدَ الآن بَل أَنهَض،
فَأَيَّتُهَا المُحِيطَاتُ التِي كَانَت هَادِئَةً بِدَاخِلِي! كَم أُحِسُّكِ بِلَا أَغوَار، مُهتَاجَةً، تُهَيِّئِين أَموَاجًا وَعَوَاصِفَ غَيرَ مَسبُوقَة.

[18]

انظُرُوا، فَالبَوَاخِرُ تَمخُرُ قَصَائِدِي،
انظُرُوا، فِي قَصَائِدِي يَأتِي المُهَاجِرُون دَائِمًا وَيَحُطُّون الرِّحَال،
انظُرُوا، فِي الوَرَاءِ، الكُوخَ البَيضَوِي، المَمَرَّ الوَعِرَ، كُوخَ الصَّيَّاد، القَارِبَ المُسَطَّحَ، وَرَقَةَ الذُّرَة، الأرضَ المُتَنَازَعَ عَلَيهَا، السِّيَاجَ البِدَائِي، وَالقَريَةَ فِيمَا وَرَاءَ الغَابَة،
انظُرُوا، عَلَى جَانِبٍ البَحرَ الغَربِي وَعَلَى الآخَر البَحرَ الشَّرقِيَّ، كَيفَ يَتَقَدَّمَان وَيَتَقَهقَرَان إِزَاءَ قَصَائِدِي كَمَا إِزَاءَ شَوَاطِئِهِمَا،
انظُرُوا، المَرَاعِي وَالغَابَاتِ فِي قَصَائِدِي - انظُرُوا، الحَيَوَانَات البَرِّيَّةَ وَالأَلِيفَة - انظُرُوا، فِيمَا وَرَاءَ قَبِيلَةِ الـكَاو، قُطعَانٌ بِلَا حَصرٍ مِن الجَامُوسِ البَرِّي تَرعَى العُشبَ القَصِيرَ المُلتَوِي،
انظُرُوا، فِي قَصَائِدِي، المُدُنَ، صَلدَةً، شَاسِعَةً، دَاخِلَ البِلَاد، بِشَوَارِعَ مَرصُوفَةٍ، بِصُرُوحٍ مِن حَدِيدٍ وَحَجَر، وَمَركَبَاتٍ وَتِجَارَةٍ لَا تَتَوَقَّف،
انظُرُوا، المَطبَعَةَ البُخَارِيَّةَ ذَاتِ الاسطُوَانَاتِ المتَعَدِّدَة- انظُرُوا، التِّلِغرَافَ الكَهرَبَائِي يَمتَدُّ عَبرَ القَارَّة،

انظُروا، عَبرَ أَعمَاقِ أَطلَانطِيكَا تَبلُغُ النَّبضَاتُ الأمِيرِيكِيَّة أُورُوبَّا، وَتَعُود نَبضَاتُ أُورُوبَّا فِي حِينِهَا،
انظُروا، القَاطِرَات القَوِيَّةَ السَّرِيعَةَ وَهيَ تَرحَل، لَاهِثَةً، مُطلِقَةً صَفِيرَهَا البُخَارِي،
انظُروا، الحَرَّاثِين يَحرُثُون المَزَارِع - انظُروا، عُمَّالَ المَنَاجِم يَحفُرُون المَنَاجِم -
انظُروا، المَصَانِعَ التِي لَا تُحصَى،
انظُروا، المِيكَانِيكِيِّين عَاكِفِين عَلَى دِكَكِهِم بِالآلَات - انظُروا مِن بَينِهِم القُضَاةَ، وَالفَلَاسِفَةَ، وَالرُّؤَسَاءَ رَفِيعِي المَقَام، يَنبَثِقُون، مُرتَدِين مَلَابِسَ العَمَل،
انظُروا إِلَيَّ، مُتَسَكِّعًا خِلَالَ دَكَاكِين وَحقُولِ الوِلَايَات، أَنَا المَحبُوب، المُحتَضَن لَيلَ نَهَار،
أَسمَعُ الأَصدَاءَ العَالِيَةَ لأُغنِيَاتِي هُنَاكَ - أَقرَأُ الإِيمَاءَاتِ تَأتِي فِي النِّهَايَة.

[19]

أَيُّهَا الرَّفِيقُ الحَمِيم! هَا أَنتَ وَأَنَا أخِيرًا، وَنَحنُ الاثنَين فَحَسب.
أَيَّتُهَا الكَلِمَةُ التِي تُضِيءُ دَربَ المَرءِ قُدُمًا بِلا انتِهَاء!

يَا لَه مِن شَيءٍ مَا مُنتَشٍ وَعَصِي! يَا لَهَا مِن مُوسِيقَى وَحشِيَّة!
هَا أَنَذَا الآنَ أنتَصِر- وَلَسَوفَ تَنتَصِر أَنتَ أَيضًا؛
آه لِليَدِ فِي اليَد- آهٍ لِلَّذَّةِ المَأمُونَة –آهٍ لِعَاشِقٍ آخَر وَمُحِب!
آهِ لَو نُسرِع مُتَعَانِقِين بِقُوَّةٍ - نُسرِع، فَأَسرِعُوا مَعِي.

أغنيـة نفسـي

[1]

أَحتَفِلُ بِنَفسِي، وَأُغَنِّي نَفسِي،
وَمَا أَقُومُ بِه سَتَقُومُون بِه،
فَكُلُّ ذَرَّةٍ تَنتَمِي إِلَيَّ بِقَدرِ مَا تَنتَمِي إِلَيكُم.

أَتَسَكَّع وَأَدعُو رُوحِي،
أَتَسَكَّعُ وَأَتَّكِئُ عَلَى رَاحَتِي مُرَاقِبًا رُمحَ عُشبَةِ صَيف.

لِسَانِي، وَكُلُّ ذَرَّةٍ مِن دَمِي، تَشَكَّلَت مِن هَذَا التُّرَاب، هَذَا الهَوَاء،
وَوُلِدتُ هُنَا مِن أَبَوَين وُلِدَا هُنَا مِن أَبَوَين وُلِدَا هُنَا، وَأَبوَاهُمَا نَفسُ الشَّيء،
وَأَنَا، فِي السَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِين الآن مِن عُمرِي، أَبدَأُ فِي تَمَامِ العَافِيَة،
آمِلاً أَلَّا أَتَوَقَّف حَتَّى المَوت.
العَقَائِدُ وَالمَدَارِسُ مُعَطَّلَةٌ مُؤَقَّتًا،
مُتَرَاجِعَةً لِبُرهَةٍ مُكتَفِيَةً بِمَا هِيَ عَلَيه، لَكِنَّهَا أَبدًا لَا تُنسَى،
إِنَّنِي أَلجَأُ إِلَى الطَّيِّبِ وَالرَّدِيء، وَأَسمَحُ بِالكَلَامِ لَدَى كُلِّ مُخَاطَرَة،
طَبِيعَة بِلَا ضَابِطٍ فِي عُنفُوَانِهَا الأَصلِي.

[2]

المَنَازِلُ وَالغُرَفُ عَبِقَةٌ بِالعُطُور، وَالأَدرَاجُ مُتخَمَةٌ بِالعُطُور،

أَتَنَفَّسُ الأرِيجَ بِنَفسِي وَأَعرِفُه وَأُحِبُّه،
وَالتَّقطِيرُ يُسكِرُنِي أَيضًا، لَكِنِّي لَن أَسمَحَ بِذَلِك.

الجَوُّ لَيسَ عِطرًا، لَا مَذَاقَ لِلتَّقطِيرِ بِه، بِلَا رَائِحَة،
إِنَّه مِن أَجلِ فَمِي أَبَدًا، وَأَنَا أَعشَقُه،
وَسَأمضِي إِلَى الشَّاطِئِ عِندَ الغَابَةِ، وَأُصبِحُ عَارِيًا بِلَا قِنَاع،
إِنَّنِي مَلهُوفٌ عَلَى التَّوَاصُلِ مَعِي.

دُخَانُ أَنفَاسِي،
الأصدَاءُ، وَالتَّمَوُّجَاتُ، وَالهَمَسَاتُ التِي تَئِز، وَجِذرُ الحُب، وَخَيطُ الحَرِير، وَمُنفَرَجُ الفخذين وَالنَّبِيذ،
شَهِيقِي وَزَفِيرِي، خَفَقَانُ قَلبِي، انسِيَابُ الدَّم وَالهَوَاءِ فِي رِئَتَيَّ،
تَشَمُّمُ الأورَاقِ الخَضرَاءِ وَالأوراقِ الجَافَّة، وَرَائِحَةِ الشَّاطِئِ وَصُخُورِ البَحرِ الدَّاكِنَةِ، وَالتِّبن فِي الحَظِيرَة،
صَخَبُ الكَلِمَاتِ المُنطَلِقَةِ مِن صَوتِي إِلَى دَوَّامَاتِ الرِّيح،
بِضع قُبلَاتٍ عَابِرَة، بِضعُ عِنَاقَاتٍ، التِفَافُ الأذرُع،
لُعبَةُ الشُّرُوقِ وَالظِّل عَلَى الأشجَار حَيثُ تَتَمَايَلُ الأغصَانُ الطَّرِيَّة،
الفَرحَة المَعزُولَةُ أَو فِي زِحَامِ الشَّوَارِع، أَو بِامتِدَادِ الحُقُولِ وسُفُوحِ التِّلَال،
الشُّعُورُ بِالعَافِيَةِ، ارتِعَاشَةُ الظَّهِيرَة، أُغنِيَةٌ لِي تَصَّاعَدُ مِن السَّرِير وتُلَاقِي الشَّمس.

هَل رَصَدتَ أَلفَ "أكر"[*] جَيِّدًا؟ هَل رَصَدتَ الأرض جَيِّدًا؟
هَل مَارَستَ طَوِيلًا تَعَلُّم القِرَاءَة؟
هَل أَحسَستَ بِالفَخرِ لِإِدرَاكِكَ مَعنَى القَصَائِد؟

---

[*] الأكر: مقياسٌ للمساحة يساوي 4 آلاف متر مربع.

فَلتَبقَ مَعِي هَذَا اليَومَ وَاللَّيلَةَ وَستَمتَلِكُ أَصلَ كُلِّ القَصَائِد،
سَتَمتَلِكُ خَيرَ الأرضِ وَالشَّمسِ (مَا تَزَال هُنَاكَ مَلَايِينُ الشُّمُوسِ)،
لَن تَأْخُذَ بَعدَ الآن الأشيَاءَ المُستَخدَمَةَ مَرَّتَين أَو ثَلَاثًا، وَلَن تَنظُر مِن خِلَالِ عُيُونِ المَوتَى، وَلَن تَغتَذِي عَلَى الأشبَاحِ فِي الكُتُب،
كَمَا أَنَّكَ لَن تَنظُرَ مِن خِلَالِ عُيُونِي، وَلَن تَأْخُذَ مِنِّي الأشيَاء،
سَوفَ تُنصِتُ إِلَى كُلِّ الجِهَاتِ وَتَصطَفِي مِنهَا بِنَفسِك.

[3]

سَمِعتُ مَا كَان يَتَكَلَّمُه المُتَكَلِّمُون، كَلَام البَدءِ وَالانتِهَاء،
لَكِنَّنِي لَا أَتَكَلَّم عَن البَدءِ أَو الانتِهَاء.

لَم يَكُن هُنَاك أَبَدًا استِهلَالٌ مِثلَ مَا هُو مَوجُودٌ الآن،
وَلَا شَبَابٌ أَو عَصرٌ مِثل مَا هُو مَوجُودٌ الآن،
وَلَن يَكُون هُنَاكَ كَمَالٌ أَبدًا مِثلَ مَا هُو مَوجُودٌ الآن،
ولَا سَمَاءٌ أَو جَحِيمٌ مِثلَ مَا هُو مَوجُودٌ الآن.

فَاندَفِعُوا، اندَفِعُوا، اندَفِعُوا،
فَهِي دَائِمًا اندِفَاعَةُ العَالَم المتَوَالِدَة.
مِن خَارِجِ العَتمَةِ يَتَقَدَّمُ الأندَادُ المتنَافِسُون، وَدَائِمًا هُو الجَوهَرُ وَالتَّكَاثُر، دَائِمًا هُو الجِنس،
دَائِمًا التِحَامُ الهوِيَّة، دَائِمًا التَّمَايُز، دَائِمًا ذُرِّيَّةُ الحَيَاة.

التَّفصِيلُ بِلَا طَائِل، وَالعَارِفُون وَغَير العَارِفِين يَشعُرُون أَنَّه كَذَلِك.

وَاثِقًا مِثلَ ثِقَةِ الأكثَر يَقِينِيَّةً، مُكتَمِلًا فِي الاستِقَامَة، مَرغُوبًا تمَامًا، قَوِيًّا لَدَى

العَرَاقِيل،
جَرِيئًا كَحصَان، مَشبُوبًا، مُتَرَفِّعًا، مُثِيرًا،
هَا أَنَذَا مَع هَذَا السِّرِّ نَنتَصِبُ هُنَا.

صَافِيَةٌ وَعَذبَةٌ رُوحِي، وَصَافٍ وَعَذبٌ كُلُّ مَا لَيسَ بِرُوحِي.

الاحتِيَاجُ إِلَى أَحَدٍ احتِيَاجٌ إِلَى كِلَيهِمَا، وَاللَامَرئِيُّ يُثبِتُه المَرئِي،
إِلَى أَن يُصبِحُ الأَخِيرُ لَامَرئِيًّا وَيَتَلَقَّى بِدَورِهِ الإِثبَات.

بِعَرضِ الأفضَل وَفَصلِهِ عَن الأَسوَأ يغِيظُ كُلُّ عَصرٍ عَصرًا،
فَأَلتَزِم الصَّمتَ فِيمَا يَتَنَاقَشُون، مُدرِكًا المُلَاءَمَةَ التَّامَّةَ وَاتِّزَانَ الأَشيَاءِ، وَأمضِي فَأَستَحِم وَأَزهُو بِنَفسِي.

مَرحَبًا بِكُلِّ عُضوٍ وَصِفَةٍ فِيَّ، وَفِي كُلِّ إِنسَانٍ نَظِيفٍ وَدَافِئِ القَلب،
وَمَا مِن بُوصَةٍ أَو جُزءٍ مِن بُوصَة وَضِيع، وَمَا مِن شَيءٍ سَيَكُون أَقَلَّ أُلفَةً مِن البَاقِي.

أَنَا رَاضٍ- أَرَى، أَرقُص، أَضحَكُ، أُغَنِّي؛
فَرَفِيقُ فِرَاشِي المعَانِقُ وَالمُحِبُّ يَنَامُ إِلَى جَانِبِي طُوَالَ اللَّيلِ، وَيَنسَحِبُ عِندَ انبِلَاجِ الفَجرِ بِخُطًى مُتَسَلِّلَة،
تَارِكًا لِي سِلَالًا مُغَطَّاةً بِمَنَاشِفَ بَيضَاءَ تَملأُ بِكَثرَتِهَا المَنزِل،
فَهَل لِي أَن أُؤَجِّلَ قَبُولِي وَإِدرَاكِي وَأَصرُخَ بِعَينَيَّ،
بِأَنَّهُم يُشِيحُون عَن التَّحدِيقِ فِي نِهَايَةِ وَانحِدَارِ الطَّرِيق،
وَيَرصُدُونَنِي فَورًا وَيَعتَبِرُونَنِي بِقِيمَةِ سِنتٍ وَاحد،
تَمَامًا بِقِيمَةِ وَاحِدٍ، وَتَمَامًا بِقِيمَةِ اثنَين، وَمَا إِلَى ذَلِك؟

[4]

يُحِيطُ بِي الجَوَّالُون وَالسَّائِلُون،
النَّاسُ الذِي أَلْقَاهُم، التَّأثِيرُ الذِي تَلَقيتُه مِن حَيَاتِي المُبَكِّرَةِ أَو الحَيِّ وَالمَدِينَةِ اللذَين أعِيشُ فِيهِمَا، أَو الأُمَّة،
وَالغَرَامِيَّاتُ، وَالاكتِشَافَاتُ، وَالاختِرَاعَاتُ، وَالتَّجَمُّعَاتُ الأَخِيرَةُ، وَالكُتَّابُ القدَامَى وَالجُدُد،
عَشَائِي، وَمَلبَسِي، وَعِلَاقَاتِي، وَسِيمَائِي، وَمُجَامَلَاتِي، وَوَاجِبَاتِي،
اللَامُبَالَاةُ الحَقِيقِيَّةُ أَو المتَخَيَّلَةُ لِرَجُلٍ أَو امرَأَةٍ مَا أُحِبُّهَا،
مَرَضُ أَحَد أَقرِبَائِي أَو أَنا نَفسِي، أَو سُوءُ التَّصَرُّف، أَو الخَسَارَةُ أَو الافتِقَارُ إِلَى المَال، أَو الإِحبَاطَاتُ، أَو النَّشوَات،
المَعَارِكُ، وَفَظَائِعُ حَربِ الأُخوَة، وَحُمَّى الأنبَاءِ المُرِيبَة، وَالأَحدَاثُ المُتَقَطِّعَة؛
يَأتِينِي كُلُّ ذَلِك طُوَالَ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَيَمضِي عَنِّي مِن جَدِيد،
لَكِنَّه لَيسَ الـ أَنَـا نَفسِي.

بَعِيدًا عَن الشَّدِّ وَالجَذبِ يَقِفُ مَا هُو أَنَـا،
يَقِفُ مُستَمتِعًا، رَاضِيًا، شَفُوقًا، مُتَبَطِّلًا، مُتَكَامِلًا،
يَنظُرُ إِلَى أَسفَل، ينتَصِب، أَو يَثنِي ذِرَاعَه فِي استِرخَاءٍ مَا غَيرِ محسُوس،
مُتَطَلِّعًا بِرَأسٍ مَائِلَةٍ جَانِبًا فِي فُضُولٍ لِمَا سَيَأتِي مِن بَعد،
مِن دَاخِلِ اللُّعبَةِ وَخَارِجِهَا مَعًا، وَمُتَفَرِّجًا وَمُندَهِشًا مِنهَا.

فِي الوَرَاءِ أَرَى أَيَّامِي حَيثُ كُنتُ أَكدَحُ خِلَالَ الضَّبَابِ مَعَ اللُّغَوِيِّين وَالمُجَادِلِين،
بِلَا حِيلَةٍ وَلَا حُجَّة، أَشهَدُ وَأَنتَظِر.

[5]

إِنَّنِي أُؤمِنُ بِكِ يَا رُوحِي، وَعَلَيَّ أَلَّا أَحتَقِرَ الآخَرَ مِن أَجلِك،

وَعَلَيكِ أَلَّا تُحتَقِري مِن أَجلِ الآخَر.

تَسَكَّعِي مَعِي عَلَى العُشبِ، حلِّي عُقدَةَ حنجرَتِك،
لَيسَت كَلِمَاتٍ، لَيسَت مُوسِيقَى أَو إِيقَاعًا مَا أُرِيد، لَيست عَادَةً أَو مُحَاضَرَة، وَلَا حَتَّى مَا هُو أفضَل،
فَقَط الهَدهَدَة مَا أُحِب، هَمهَمَة صَوتِكِ الموقَّع.

أَذكُر كَيفَ استَلقَينَا ذَات مَرَّةٍ فِي صَبَاحٍ صَيفِيٍّ شَفَّاف،
كَيفَ وَضَعتِ رَأسَكِ بِانحِرَافٍ عَلَى رِدفَيَّ وَتَقَلَّبتِ بِرِقَّةٍ فَوقِي،
وَفَتَحتِ القَمِيصَ عَن عَظمَةِ صَّدرِي، وَغُصتِ بِلِسَانِك فِي قَلبِي العَارِي،
وَأَكمَلتِ إِلَى أَن أَحسَستِ بِلِحيَتِي، فَأَكمَلتِ إِلَى أَن أَمسَكتِ بِقَدَمَيْ.

بِسَلَاسَةٍ نَهَضتِ وَنَشَرتِ حَولِي السَّكِينَةَ وَالمعرِفَةَ التِي تَتَجَاوَز كُلَّ جِدَالِ الأَرض،
وَأَعرِفُ أَن يَدَ الرَّب هِي وَعدُ يَدِي،
وَأَعرِفُ أَن رُوحَ الرَّب هِي شَقِيقَةُ رُوحِي،
وَأَن جَمِيعَ الرِّجَالِ قَاطِبَةً هُم أَيضًا أَشِقَّائِي، وَأَن النِّسَاءَ شَقِيقَاتِي وَحَبِيبَاتِي،
وَأَن أَسَاسَ الخَلقِ هُو الحُب،
وَبِلَا حُدُودٍ الأَورَاقُ اليَابِسَةُ أَو المُتَسَاقِطَةُ فِي الحُقُول،
وَتَحتَهَا نِمَالٌ بُنِّيَّةٌ فِي الآبَارِ الصَّغِيرَة،
وَقُشُورٌ طُحلُبِيَّةٌ لِدُودِ السِّيَاج، وَأَحجَارٌ مُكَوَّمَةٌ، وَبَلسَانٌ، ونَبَاتُ آذانِ الذِّئب، وَعِنَبِ الثَّعلَب.

[6]

قَالَ طِفلٌ ***مَا العُشب؟*** وَهوَ يُقَدِّمُه لِي بِمِلءِ يَدَيه؛
كَيفَ يُمكِنُنِي أَن أُجِيبَ الطِّفل؟ لَا أَدرِي مَا هُو بِأَكثَر مِمَّا يَدرِي.

أَظُنُّ أَنَّه لَابُد رَايَةُ مِزَاجِي، مَنسُوجَةٌ مِن مَادَّةٍ خَضرَاءَ مُتَفَائِلَة.

أَو أَظُن أَنَّه مِندِيلُ الرَّب،
هَدِيَّةٌ وَتَذكَارٌ عَطِرٌ سَقَط عَن عَمد،
حَامِلًا اسمَ صَاحِبِه- عَلَى نَحوٍ مَا- فِي الأَركَان، بِحَيثُ نَرَاه وَنَلحَظُه، وَنَقُول لِمَن؟

أَو فِيمَا أَظُن فَالعُشبُ- فِي ذَاتِه- طِفل، وَلِيدَ الحَيَاةِ النَّبَاتِيَّة.

أَو أَظُن أَنَّه نَسَقٌ هِيرُوغلِيفِي،
يَعنِي، التَّبرعُم سَوَاء فِي مَنَاطِقَ وَاسِعَةٍ أَو مَنَاطِق ضَيِّقَة،
النَّمُو وَسطَ السُّودِ مِثلَمَا وَسطَ البِيض،
وَعَلَى السَّوَاءِ أَمنَحُ كَانُوك، وَتُوكَاهُو، وَعُضوَ الكُونجرِس، وَكَف، وَعَلَى السَّوَاء أَتَقَبَّل مِنهُم.

وَالآن يَبدُو لِي أَنَّه شَعرُ المَقَابِر الطَّوِيلُ الجَمِيل.

بِرِقَّةٍ سَأَستَخدِمُكَ أَيُّهَا العُشبُ المُجَعَّد،
فَرُبَّمَا تَشَبَّعتَ مِن صُدُورِ شُبَّان،
رُبَّمَا لَو كُنتُ قَد عَرَفتُهُم لأَحبَبتُهُم،
وَرُبَّمَا كُنتَ مِن أُنَاسٍ عَجَائِز، أَو مِن حَدِيثِي وِلَادَةٍ مَأخُوذِين لِلتَّو مِن حِجرِ أُمَّهَاتِهِم،
وَهَا أَنتَ حِجرُ الأُمَّهَات.
هَذَا العُشبُ أَكثَرُ سَوَادًا مِن أَن يَكُون مِن الرُّؤُوس البَيضَاءِ لِلأُمَّهَاتِ العَجَائِز،
أَكثَرُ سَوَادًا مِن لِحَى الشُّيُوخِ التِي بِلَا لَون،
أَكثَرُ سَوَادًا مِن أَن يَكُونَ مِن تَحتِ السُّقُوفِ بَاهِتَةِ الحُمرَةِ لِلأَفوَاه.

آهِ إِنَّنِي أُحِس- فِي النِّهَايَةِ- بِأَلسِنَةٍ كَثِيرَةٍ مُتَمتِمَة،

وَأُحِسُّ بِأَنَّهَا لَا تَأْتِي عَبَثًا مِن سُقُوفِ الأفوَاه.

أَتَمَنَّى لَو استَطَعتُ تَرجَمَةَ تَمتَمَاتِ الموتَى مِن الفِتيَانِ وَالفَتيَات،
وَتَمتَمَاتِ الرِّجَالِ وَالأُمَّهَات العَجَائِزِ، وَالمَوَالِيدِ المَأخُوذِين لِلتَّو مِن حِجرِهِن.

فَمَا الذِي تَظُنه قَد حَلَّ بِالشُّبَّانِ وَالشُّيُوخ؟
وَمَا الذِي تَظُنُّه قَد حَلَّ بِالنِّسَاءِ وَالأطفَال؟

إِنَّهُم أَحيَاءٌ عَلَى مَا يُرَامُ فِي مَكَانٍ مَا،
وَأَصغَرُ بُرعُم يُوَضِّحُ أَنَّه مَا مِن مَوتٍ حَقًّا،
وَحَتَّى إِذَا مَا كَان فَهوَ يَمضِي قُدُمًا بِالحَيَاةِ، وَلَا يَنتَظِرُ فِي النِّهَايَةِ لِيَقبِضَ عَلَيهَا،
وَيَتَوَقَّفُ لَحَظَةَ تَجَلِّي الحَيَاة.
كُلُّ شَيءٍ يَمضِي إِلَى الدَّاخِلِ وَالخَارِج، لَا شَيءَ يَنهَار،
وَالموتُ مُختَلِفٌ وَأَسعَدُ حَظًّا عَمَّا يَفتَرِضُه أَيُّ شَخص.

[7]

هَل افتَرَضَ أَيُّ شَخصٍ أَنَّه مَحظُوظٌ بِأن وُلِد؟
إِنَّنِي أُسَارِعُ لأُخبِرَه أَو أُخبِرَهَا أَنَّ مِن حُسنِ حَظِّ المرءِ أَيضًا أَن يَمُوت، وَأَنَا أَعرِفُ ذَلِك.

إِنَّنِي أَترُكُ المَوتَ لِلمَوتَى وَالمِيلَادَ لِلرَّضِيعِ المُغتَسِلِ لِتَوِّه، وَلَستُ قَابِلًا لِلقِسمَةِ فِيمَا بَينَ قُبَّعَتِي وَحِذَائِي،
وَمَشغُولٌ بِغَايَاتٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لَا تَتَشَابَه مِنهَا اثنَتَان، وَكُلٌّ مِنهَا جَيِّدَة،
الأَرض جَيِّدَةٌ وَالنُّجُومُ جَيِّدَة، وَتَوَابِعُهَا جَيِّدَةٌ جَمِيعًا.

لَستُ أَرضًا وَلَا تَابِعًا لأَرض،
أَنَا زَمِيلُ وَرَفِيقُ النَّاس، الخَالِدِين بِلَا أَغوَارٍ جَمِيعًا مِثلِي،
(إِنَّهُم لَا يَعرِفُون كَم هُم خَالِدُون، لَكِنِّي أَعرِف).
فَكُلُّ جِنسٍ مِن أَجلِ ذَاتِه وَجِنسِه، وَلِي الذَّكَرُ وَالأُنثَى،
لِي هَؤُلَاء الذِين كَانُوا أَولَادًا وَمَن يُحِبُّون النِّسَاء،
لِي الرَّجُلُ ذُو الكِبرِيَاءِ الذِي يُحِس كَم تَلدَغُ الإِهَانَة،
لِي الحَبِيبَةُ وَالعَانِسُ، لِي الأُمَّهَاتُ وَأُمَّهَاتُ الأُمَّهَات،
لِي الشِّفَاهُ التِي ابتَسَمَت، وَالعُيُونُ التِي ذَرَفَت الدُّمُوع،
لِي الأَطفَالُ وَمُنجِبُو الأَطفَال.

فَتَعَرَّوْا! فَلَستُم مُذنِبِين بِحَقِّي، وَلَا مُبتَذَلِين وَلَا مَنبُوذِين،
فَأَنَا أَرَى مَا وَرَاءَ المَلَابِس وَالأَقمِشَة،
وَأَنَا هُنَا وَهُنَاك، عَنِيدٌ، لَا أَكِلُّ، وَلَا يُمكِن إِزَاحَتِي.

[8]

الرَّضِيعُ يَنَامُ فِي مَهدِه،
أَرفَعُ الغُلَالَةَ وَأَتَمَلَّاه طَوِيلًا، وَفِي صَمتٍ أَهِشُّ الذُّبَابَ بِيَدِي.

الصَّبِيُّ وَالفَتَاةُ حَمرَاءُ الوَجهِ يَنعَطِفَان جَانِبًا صَاعِدَين التَّلَّ الشَّجرِي،
أَتَمعَّنُ مُحَدِّقًا فِيهِمَا مِن القِمَّة.

المُنتَحِرُ يَتَمَدَّدُ عَلَى الأَرضِيَّةِ الدَّامِيَةِ لِغُرفَةِ النَّوم،
أَرَى الجُثَّةَ بِشَعرِهَا المُلَبَّد، وَأَلمَح مَكَانَ سُقُوطِ المُسَدَّس.
ثَرثَرَةُ رَاصِفِ الطَّرِيق، إِطَارَاتُ المَركَبَات، صَرِيفُ نِعَالِ الأَحذِيَة، حَدِيثُ المُتَنَزِّهِين،

الحَافِلَةُ الكَبِيرَةُ، السَّائِقُ بِإِبهَامِه الاستِفهَامِي، قَعقَعَةُ حِدوَاتِ الأحصِنَة عَلَى الأرض الجرَانِيتِيَّة،
مَركَبَاتُ الجَلِيد، الصَّلصَلَةُ، المِزَاحُ الصَّاخِبُ، التَّرَاشُقُ بِكُرَاتِ الثَّلج،
صَيحَاتُ الابتِهَاجِ بِالأبطَالِ الشَّعبِيِّين، عُنفُ الجَمَاهِيرِ الغَاضِبَة،
خَفقَةُ المِحَفَّةِ ذَات السَّتَائِر، وَفِيهَا مَرِيضٌ مَنقُولٌ إِلَى المستَشفَى،
لِقَاءُ الأعدَاءِ، التَّجدِيفُ المُفَاجِئ، الضَّرَبَاتُ وَالسُّقُوط،
الحَشدُ الهَائِجُ، رَجُلُ البُولِيس ذُو النَّجمَةِ يَشُقُّ بِسُرعَةٍ طَرِيقَه وَسطِ الحَشد،
الصُّخُورُ الصَّمَّاءُ التِي تتَلَقَّى وَتُعِيدُ أَصدَاءً كَثِيرَة،
أَنَّاتُ المُتخَمِين أَو نِصفِ الجوعَى الذِين يَسقُطُون بِضَربَةِ شَمسٍ أَو فِي نَوبَةِ مَرَض،
صَرخَاتُ نِسَاءٍ فَاجَأَهُن المَخَاضُ وَيُسرِعنَ إِلَى البَيتِ لِيَلِدن،
أَيُّ حَدِيثٍ حَيٍّ وَدَفِينٍ يَنبِضُ دَائِمًا هُنَا، وَأَيُّ عُوَاءٍ تَكبَحُه اللَّيَاقَة،
وَالقَبضُ عَلَى المجرِمِين، وَالمبتَذَلُون، وَعُرُوضُ الخِيَانَةِ الزَّوجِيَّةِ، وَالقَبُول، وَالاعتِرَاضَاتُ بِشِفَاهٍ مَزمُومَة،
أَهتَم بِهِم أَو بِظَاهِرِهِم أَو بِصَدَاهُم – أَجِيءُ وَأَمضِي.

[9]

الأبوَابُ الكَبِيرَةُ لِمَخَازِنِ الغِلَالِ الرِّيفِيَّةِ تَنتَصِبُ مَفتُوحَةً مُتَأَهِّبَة،
وَالعُشبُ الجَافُّ لِزَمَن الحَصَادِ مُحَمَّلٌ عَلَى العَرَبَةِ البَطِيئَة،
وَالضَّوءُ الصَّافِي يَلعَبُ عَلَى الرَّمَادِي الدَّاكِن وَالأخضَرِ المُتَمَازِجَين،
وَالحِزَمُ مَحمُولَةٌ إِلَى المخزَنِ الخَفِيض.
وَأَنَا هُنَا، أُسَاعِد، وَقَد أَتيتُ مُمَدَّدًا فَوقَ الحُمُولَة،
أُحِسُّ بِارتِجَاجَاتِهَا النَّاعِمَة، وَسَاقٌ تَتَّكِئُ عَلَى الأُخرَى،
أَقفِزُ مِن العَوَارِضِ المُتَقَاطِعَة وَأُمسِكُ بِالبرسِيم وَالعُشب،
وَأَتَدَحرَجُ رَأسًا عَلَى عَقِب وَيَتَشَوَّشُ شَعرِي مَلِيئًا بِالقَش.

بَعِيدًا، وحِيدًا، أَمضِي إِلَى الصَّيدِ فِي البَرِّيَّةِ وَالجِبَال،
هَائِمًا مَدهُوشًا مِن خِفَّتِي وَمَرَحِي،
مُختَارًا - آخِرَ النَّهَار- مَكَانًا آمِنًا لِقَضَاء اللَّيل،
مُشعِلًا نَارًا وَأَشوِي مَا اقتنَصتُه لِتَوِّي،
لِيَغلِبَنِي النَّومُ عَلَى أَورَاقِ العُشبِ المُلتَمَّةِ مَعَ كَلبِي وَبُندُقِيَّتِي إِلَى جِوَارِي.

السَّفِينَةُ الشِّرَاعِيَّةُ **اليَانكِي** تَحتَ سَمَاءِ أَشرِعَتِهَا، تَقطَعُ البَرقَ وَالرِّيح،
وَعَينَايَ تَرصُدَانِ الأرض، فِيمَا أَنحَنِي عَلَى مُقدِّمَتِهَا أَو أَصِيح مُبتَهِجًا مِن السَّطح.
المَرَاكِبِيَّةُ وَصَيَّادو البَطلِينُوس نَهَضُوا مُبَكِّرًا وَتَوَقَّفُوا فِي انتِظَارِي،
أَدخَلتُ نِهَايَتَي سِروَالِي فِي عُنُقِ حِذَائِي ومَضَيتُ وَاستَمتَعتُ بِوَقتٍ طَيِّب؛
كَانَ لَابُد أَن تَكُونُوا مَعَنَا ذَلِكَ اليَوم حَولَ إِنَاءِ الحِسَاء.

شَهِدتُ زَوَاجَ نَاصِبِ الفِخَاخ فِي الهَوَاءِ الطَّلقِ فِي أَقصَى الغَرب، وَالعَرُوسُ كَانَت فَتَاةً حَمرَاء،
جَلَسَ أَبُوهَا وَأَصدِقَاؤُه عَن كَثَبٍ سَاقًا عَلَى سَاقٍ، يُدَخِّنُون فِي صَمت، وَهُم يَرتَدُون أَحذِيَةَ المُوكَاسَان[*]، وَبَطَّانِيَّاتٌ عَرِيضَةٌ كَثِيفَةٌ تَتَدَلَّى مِن أَكتَافِهِم،
عَلَى دِكَّةٍ استرخَى نَاصِبُ الفِخَاخ، كَانَ مُعظَمُ مَلَابِسِه مِن الجِلد، ولِحيَتُه وَجدَائِلُه الفَخِيمَةُ تَحمِي عُنُقَه، وَهوَ يُمسِك عَرُوسَه بِيَدِه.
كَانَت رُمُوشُهَا طَوِيلَةً، وَعَارِيَةَ الرَّأس، وَخُصلَاتُهَا الخَشِنَةُ المستَقِيمَةُ تَنحَدِرُ عَلَى أَعضَائِهَا الشَّهوَانِيَّةِ وَتبلُغُ قَدَمَيهَا.

أَتَى العَبدُ الهَارِبُ إِلَى مَنزِلِي وَتَوَقَّفَ بِالخَارِج.

---

[*] هو حذاء الهنود الحمر؛ حذاء بلا كعب، مصنوع من جلد ناعم.

سَمِعتُ أَغصَانَ كَومَةِ الحَطَبِ تُقَرقِعُ مِن حَرَكَاتِه،
وَمِن خِلَالِ بَابِ المطبَخِ الدَّوَّار رَأيتُه مُنهَكًا وَضَعِيفًا،
فَذَهَبتُ إِلَى حَيثُ جَلَس عَلَى جِذعِ شَجَرَةٍ وَأَدخَلتُه وَطَمأَنتُه،
وَجِئتُ بِالمَاءِ وَمَلأتُ حَوضًا لِجَسَدِه العَرقَانِ وَقَدَمَيه المرضُوضَتَين،
وَأَعطَيتُه غُرفَةً تَنفَتِحُ مِن غُرفَتِي، وَأَعطَيتُه بَعضَ المَلَابِس النَّظِيفَةِ الخَشِنَة،
وَأَتَذَكَّرُ جَيِّدًا تَمَامًا عَينَيه الدَّوَّارَتَين وَخَرَاقَتَه،
وَأَتَذَكَّرُ وَضعِي لِلضِّمَادَاتِ عَلَى قُرُوحِ رَقَبَتِه وَكَاحِلِه؛
بَقِي مَعِي أُسبُوعًا قَبلَ أن يَتَعَافَى وَيَمضِي إِلَى الشَّمَال،
وَكُنتُ أُجلِسُه إِلَى جِوَارِي إِلَى المَائِدَة، وَبُندُقِيَّتِي مُسنَدَةٌ فِي الرُّكن.

[11]

ثَمَانِيَةٌ وَعِشرُون شَابًّا يَستَحِمُّون عِندَ الشَّاطِئ،
ثَمَانِيَةٌ وَعِشرُون شَابًّا وَكُلُّهُم أَصدِقَاء؛
وَثَمَانِيَةٌ وَعِشرُون عَامًا مِن حَيَاةٍ نِسوِيَّة، حَيَاةِ وِحدَةٍ تَمَامًا.

هِي تَملِكُ المَنزِلَ الجَمِيلَ عِند مُرتَفَعِ الشَّاطِئ،
وَتَتَخَفَّى جميلةً بَاذِخَةَ الملَابِس خَلفَ سَتَائِرِ النَّافِذَة.

فَمَن مِن الشُّبَّان تُحِبُّه أَكثَر؟
أَكثَرُهُم بَسَاطَةً جَمِيلٌ لَهَا.

فَإِلَى أَينَ تَمضِين، يَا سَيِّدَتِي؟ فَأَنَا أَرَاكِ،
تَنثُرِين الرَّذَاذَ هُنَاك، لَكِنَّكِ مَا تَزَالِين ثَابِتَةً كَالعَمُودِ فِي غُرفَتِك.

رَاقِصًا وَضَاحِكًا عَلَى امتِدَادِ الشَّاطِئِ جَاءَ المُستَحِمُّ التَّاسِعُ وَالعِشرُون،

البَاقُون لَم يَرَوهَا، لَكِنَّهَا رَأتهُم وَأَحَبَّتهُم.

لِحَى الشُّبَّان كَانَت تَلتَمِعُ بِالبَلَل، المنحَدِرِ مِن شَعرِهِم الطَّوِيل،
وَجَدَاوِلُ صَغِيرَةٌ كَانَت تَجرِي عَلَى أَجسَادِهِم.

مَرَّت أَيضًا عَلَى أَجسَادِهِم يَدٌ لَا مَرئِيَّة،
هَبَطَت مُرتَجِفَةً مِن هَيَاكِلِهِم وَضُلُوعِهِم.

يَطفُو الشُّبَّانُ عَلَى ظُهُورِهِم، وَبُطُونُهم البَيضَاءُ نَاتِئَةٌ فِي الشَّمسِ، لَا يَسأَلُون عَمَّن يَبقَى
سَاكِنًا بِإِحكَامٍ فِي وَضعِه مِن بَينِهِم،
لَا يَدرُون مَن يَلهَثُ وَيَرتَخِي بِانحِنَاءَةٍ مُتَدَلِّيَةٍ وَمُلتَوِيَة،
لَا يُفَكِّرُون فِي مَن يَرُشُّونَه بِالرَّذَاذ.

[12]

صَبِيُّ الجَزَّارِ يَخلَعُ ثِيَابَ الذَّبح، أَو يَسِن سِكِّينَه عَلَى الدِّكَّةِ فِي السُّوق،
أَتَلَكَّأ مُستَمتِعًا بِحُضُورِ بَدِيهَتِه وَخَلطِه للأَشيَاءِ وَقِيَامِه بِالتَّقطِيع.

الحَدَّادُون بِصُدُورٍ كَثِيفَةِ الشَّعرِ مُلَطَّخَةٍ بِالسُّخَام يُحِيطُون بِالسِّندَان،
مَعَ كُلٍّ مِنهُم مِطرَقَتُه الثَّقِيلَة، وَكُلُّهُم بِالخَارِج، فَثَمَّةَ حَرَارَةٌ عَظِيمَةٌ تَصدُرُ مِن النَّار.

مِن العَتَبَةِ المَنثُورَةِ بِالرَّمَادِ أُتَابِعُ حَرَكَاتِهِم،
الانحِدَارُ الرَّشِيقُ لِخُصُورِهِم يَتَنَاغَمُ بِسَلَاسَةٍ مَعَ أَذرِعَتِهِم الضَّخمَة،
بِذِرَاعٍ مُرتَفِعَةٍ تَهوِي المَطَارِق، بِذِرَاعٍ مُرتَفِعَةٍ تَتَبَاطَأ، بِذِرَاعٍ مُرتَفِعَةٍ بَالِغَةِ الدِّقَّة،
لَا يَتَسَرَّعُون، وَكُلُّ رَجُلٍ يَطرُقُ فِي مَكَانِه.

[13]

يُمسِكُ الزّنجِيُّ بِإحكَامٍ أعِنَّةَ أَحصِنَتِه الأربَعَة، وَاللّجَامُ يَتدَلّى فِي الأسفَل عَلَى سِلسِلَتِه المَعقُودَة،

الزّنجِي الذِي يَقُود عرَبَةَ الفِنَاءِ الحَجَرِيّ الطّوِيلَة، يَقِفُ طَوِيلًا هَادِئًا مُتوَازِنًا عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ عَلَى السّلك،

وَقَمِيصُه الأزرَقُ يَكشِفُ عَن رَقَبَتِه وَصَدرِه العَرِيضَين وَيرتَخِي عَلَى حِزَامِ الخَصر،

نَظرَتُه هَادِئَةٌ وَقوِيَّة، يُزِيحُ حَافَّةَ قُبَّعَتِه المُترَهِّلَةَ عَن جَبِينِه،

فَتَسقُطُ الشَّمسُ عَلَى شَعرِه وشَارِبِه المُجَعَّدَين، تَسقُطُ عَلَى سَوَادِ أَعضَائِه الصَّقِيلَةِ المثَالِيَّة.

أَرَى العِملَاقَ الفَاتِن وَأُحِبُّه، وَلَا أَتَوَقَّفُ هُنَاك،

أَمضِي مَعَ الفَرِيقِ أَيضًا.

فِي دَاخِلِي مُعَانَقَة الحَيَاة أَينَمَا مَضيتُ، مُستَدِيرًا إلَى الوَرَاءِ أَو إلَى الأمَام،

إلَى رُكنٍ جَانِبِي أَو مُنعَطَفٍ صَغِير، وَمَا مِن شَخصٍ أَو شَيءٍ مَفقُود،

مُتَشَرِّبًا كُلَّ شَيءٍ لِنَفسِي وَمِن أَجلِ هَذِهِ الأُغنِيَة.

الثِّيرَانُ التِي تُقَرقِعُ النِّيرَ وَالسِّلسِلَةَ أَو تَتَوَقَّفُ فِي الظِّلِّ المُورِق، مَا الذِي يَعنِيه ذَلِكَ فِي نَظَرِك؟

يَبدُو لِي أَنَّه أَكثَرُ مِمَّا وَرَدَ بِكُلِّ المَطبُوعَاتِ التِي قَرَأتُهَا فِي حَيَاتِي.

وَقعُ خُطَايَ يُخِيفُ ذُكُورَ وإِنَاثَ بَطِّ الغَابَةِ فِي تِجوَالِي البَعِيدِ طُوَالَ اليَوم،

يَنهَضُون مَعًا، وَبِبُطءٍ يَدُورُون.

أُؤمِنُ بِهَذِهِ الكَائِنَاتِ المُجَنَّحَة،

وَأَقبَلُ بِأَن يَتَلَاعَب دَاخِلِي الأحمَرُ، وَالأصفَرُ، وَالأبيَض،

وَأَتَأَمَّلُ بِوَعيٍ الأخضَرَ وَالبَنَفسَجِي وَتَاجَ العُرفِ،

وَلَا أَعتَبِرُ السُّلَحفَاةَ بِلَا قِيمَة لأَنَّهَا لَيسَت شَيئًا آخَر،
وَأَبُو زُرَيق لَم يَدرِس فِي الغَابَةِ أَبَدًا السُّلَّم المُوسِيقِي، لَكِنَّ تَأْتَأَته جَمِيلَةٌ جِدًّا بِالنِّسبَةِ لِي،
وَنَظرَةُ الفَرَسِ الكِستِنَائِيَّةِ تُخجِلُ سَخَافَتِي.

[14]

ذَكَرُ الأوزِّ البَرِّي يَقُودُ سِربَه خِلَالَ اللَّيلِ البَارِد،
يَا-هُونك يَقُول، وَيُطلِقُهَا إِلَى الأسفَل نَحوِي كَأَنَّهَا دَعوَة،
قَد يَظُنُّهَا الشَّخصُ الوَقِحُ بِلَا مَعنًى، لَكِنِّي أُنصِتُ إِلَيهَا عَن كَثَب،
أَكتَشِفُ مَقصدَهَا، وَأَضَعُهَا سَامِقَةً هُنَاك قُبَالَةَ السَّمَاءِ الشِّتَائِيَّة.
مُوظ الشَّمَالِ ذُو الحَوَافِرِ الحَادَّةِ، وَالقِطُّ عَلَى عَتَبَةِ المَنزِلِ، وَعُصفُور القُرقُف[*] ، وَكَلبُ البَرَارِي،
مَرقَدُ الخِنزِيرَةِ القَابِعَةِ وَصِغَارُهَا يَرضَعُون حَلَمَاتِهَا،
كَتَاكِيتُ الدَّجَاجَةِ الرُّومِيَّة وَهِيَ بِجَنَاحَيهَا نِصف مَفرُودَين،
أَرَى فِيهِم وَفِي نَفسِي نَفسَ القَانُونِ القَدِيم.

أَثَرُ قَدَمِي عَلَى الأَرض يُفَجِّر مَائةَ عَاطِفَة،
تَحتَقِرُ أَفضَلَ إمكَانِيَّاتِي لِحَكيِهَا.

أَعشَق مَا يَكبُرُ بِالخَارِج،
مِن الرِّجَالِ الذِين يَعِيشُون وَسَطَ القَطِيع أَو مَذَاقِ المُحِيطِ أَو الغَابَة،
مِن صَانِعِي وَقَائِدِي السُّفُنِ وَمَن يَبرَعُون بِالفَأسِ وَالمِطرَقَةِ، وَالخَيَّالَة،
وَيُمكِنُنِي أَن آكُلَ وَأَنَامَ مَعَهُم أُسبُوعًا بِالدَّاخِل وَأُسبُوعًا بِالخَارِج.

---

[*] الموظ: غزال أميريكي ضخم؛ القرقف: عصفور من عصافير أميريكا الشمالية.

الأكثَرُ عَادِيَّةً، وَالأرخَصُ، وَالأقرَبُ، وَالأسهَل، أَنَـا،
أَنطَلِقُ إِلَى حُظُوظِي، مُنفِقًا مِن أَجلِ عَائِدَاتٍ كُبرَى،
مزَيِّنًا نَفسِي لأمنَحَ نَفسِي لأَوَّل مَا يَأخُذُنِي،
دوَن أَن أَطلُبَ مِن السَّمَاءِ أَن تَهبِطَ حَسبَ مَشِيئَتِي،
مُبَعثِرَهَا إِلَى الأبَدِ بِلَا مُقَابِل.

[15]

المُغَنِّي بِصَوتِه الرَّنَّانِ الصَّافِي يُغَنِّي فِي شُرفَةِ الأُرغُن،
وَالنَّجَّارُ يُشَذِّبُ لَوحَه الخَشَبِي، وَلِسَانُ مِسحَاجِه يَصفُر لَثغَتَه الوَحشِيَّةَ المتَصَاعِدَة،
وَالأولَادُ المُتَزَوِّجُون وَغَيرُ المُتَزَوِّجِين يَمضُون إِلَى البَيتِ لِعَشَاءِ **الشُّكر**،
وَالرَّبَّانُ يُمسِكُ بِقَارُورَةِ البُولِينج، يُطِيحُ بِهَا إِلَى أَسفَل بِذِرَاعٍ قَوِيَّة،
وَالمسَاعِدُ يَقِفُ مُستَعِدًّا فِي قَاربِ صَيدِ الحِيتَان، وَالرُّمحُ وَالحَربَةُ جَاهِزَان،
وَصَيَّادُ البَطِّ يَتَمَشَّى بِخُطًى صَامِتَةٍ وَحَذِرَة،
وَالشَّمَامِسَةُ تَم تَرسِيمُهُم بِأَيدٍ مُتَصَالِبَةٍ عِندَ مَذبَح الكَنِيسَة،
وَفَتَاةُ المنسَجِ تَتَرَاجَعُ وَتَتَقَدَّمُ مَعَ طَنِينِ العَجَلَةِ الكَبِيرَة،
وَالفَلَاحُ يَتَوَقَّفُ عِندَ الحَانَاتِ وَهوَ يَمشِي فِي تَسَكُّعِ اليَومِ الأوَّل، وَيَنظُرُ إِلَى الشُّوفَان وَالجَاودَار،
وَالمخبُولُ يُحمَلُ أَخِيرًا إِلَى المصَحَّةِ كَحَالَةٍ مُؤَكَّدَة،
(لَن يَنَامَ بَعدَ الآن أَبَدًا مِثلَمَا كَان يَفعَل فِي الكُوخ فِي غُرفَةِ نَومِ أُمِّه)؛
وَمُنَضِّدُ الطِّبَاعَة بِشَعرِه الأشيَب وَفَكَّيهِ الهَزِيلَين يَعمَلُ أَمَامَ صُندُوقِه،
يُدِيرُ كِيسَ تَبغِه وَعَينَاه زَائِغَتَان بِالمخطُوطَة؛
وَالأعضَاءُ المشَوَّهَةُ مَربُوطَةٌ إِلَى طَاوِلَةِ الجَرَّاح،
الذِي مَسَحَ قَطَرَاتٍ فِي فَزَعٍ إِلَى دِلو؛
وَالفَتَاةُ زِنجِيَّةُ الأصلِ تُبَاعُ فِي مِنَصَّةِ المَزَاد، وَالسِّكِّيرُ يُومِئُ عِندَ مِدفَأَةِ الحَانَة،

وَالميكَانِيكِي يُشَمِّرُ كُمَّيه، وَالشُّرطِي يَتَّخِذُ طَرِيقَه المُعتَاد، وَحَارِسُ البَوَّابَةِ يُسَجِّلُ أَسَمَاءَ
مَن يَدخُلُون،
وَالرَّفِيقُ الشَّاب يَقُودُ عَرَبَةَ الاكسبريس (أُحِبُّه، رَغمَ أَنَّنِي لَا أَعرِفُه)؛
وَالخِلَاسِيُّ يُحكِم رَبطَ حِذَائِهِ الخَفِيفِ لِلمُنَافَسَةِ فِي السِّبَاق،
وَرِمَايَةُ الدِّيكِ الرُّومِي الغَربِي تَجتَذِبُ الشُّيُوخَ وَالشُّبَّان، البَعضُ يَستَنِدُ إِلَى بُندُقِيَّتِه،
وَالبَعضُ يَجلِسُ عَلَى جِذعِ شَجَرَة،
وَخَارِجَ الزِّحَامِ يَخطُو الرَّامِي، يَتَّخِذُ وَضعَه، وَيُصَوِّبُ بُندُقِيَّتَه؛
وَمَجمُوعَاتُ المُهَاجِرِين الجُدُدِ تُغَطِّي أَرصِفَةَ المِينَاءِ وَالحَاجِز،
وَفِيمَا الأُجَرَاءُ يَعزِقُون حَقلَ القَصَبِ، يَرصُدُهُم المُرَاقِبُ مِن فَوقِ سَرجِه،
وَالبُوقُ يَنطَلِقُ فِي قَاعَة الرَّقصِ، وَالسَّادَةُ يُسرِعُون إِلَى شُرَكَائِهِم، وَيَنحَنِي الرَّاقِصُون كُلٌّ
مِنهم لِلآخَر،
وَيَرقُدُ الشَّابُّ يَقِظًا فِي غُرفَةِ السَّطحِ المَسقُوفَةِ بِخَشَبِ الأَرز، وَيُنصِتُ إِلَى مُوسِيقَى
المَطَر،
وَحَيَوَان الوُولڤرين[*] يَنصِبُ فِخَاخًا عَلَى الجَدوَلِ الذِي يُسَاعِدُ عَلَى مِلء بُحَيرَةِ
الهُورُون،
وَالهِندِيَّةُ الحَمرَاءُ المُلتَفَّةُ فِي ثَوبِهَا ذِي الحَوَاشِي الصَّفرَاء تَعرِضُ لِلبَيعِ أَحذِيَةَ مُوكَاسَان
وَأَكيَاسًا مِن الخَرَز،
وَالخَبِيرُ يَرمُقُ المَعرَضَ الفَنِّي بِعَينَين شِبه مُغمَضَتَين، مَائِلَتَين جَانِبًا،
وَفِيمَا النُّوتِيَّةُ يُثَبِّتُون قَارِبَهُم البُخَارِيَّ، يُرمَى لَوحُ الخَشَبِ إِلَى الشَّاطِئِ لِيَهبِطَ
المُسَافِرُون،
وَالأُختُ الصَّغِيرَةُ تُخرِجُ خُصلَات الخُيُوطِ فِيمَا الأُختُ الكُبرَى تَلُفُّهَا فِي كُرَة،
وَتَتَوَقَّفُ بَينَ الحِينِ وَالحِينِ مَعَ العُقَد،
وَالمُتَزَوِّجَةُ مُنذُ عَامٍ تَتَعَافَى سَعِيدَةً بِإِنجَابِهَا طِفلَهَا الأَوَّل مُنذُ أُسبُوع،

---

[*] حيوان شرس مفترس، ضخم، ينتمي إلى فصيلة "ابن عُرس"، بأميريكا الشمالية.

وَالفَتَاةُ اليَانكِي[*] نَظِيفَةُ الشَّعرِ تعمَلُ عَلَى مَاكِينَةِ الخِيَاطَة أَو فِي المَصنَعِ أَو الطَّاحُونَة،
وَعَامِلُ الرَّصفِ يَنحَنِي عَلَى عَرَبَتِه ذَاتِ الذِّرَاعَين، وَخَبَرُ الصَّحَفِي يَتطَايَرُ بِسُرعَةٍ فَوقَ كُرَّاسَة الملاحَظَات، وَالخَطَّاط يَكتُبُ بِالأزرَقِ وَالذَّهَبِي،
وَصَبِيُّ القَنَاة يُهَروِلُ عَلَى مَمَر الجِر، وَكَاتِبُ الحِسَابَات يحسب عَلَى مِنضَدَتِه، وَصَانِعُ الأحذِيَةِ يُشَمِّعُ خَيطَه،
وَقَائِدُ الفِرقَةِ يُوجِّه الفِرقَةَ بِحَرَكَاتِ يَدَيه وَكُلُّ العَازِفِين يَتبَعُونَه،
وَالطِّفلُ تَم تَعمِيدُه، وَالمتَنَصِّرُ يُؤَدِّي أَولَ طُقُوسِه،
وَزَوَارِقُ السِّبَاقِ مَنشُورَةٌ فِي الخَلِيج، وَبَدَأ السِّبَاق (كَم تُومِضُ الأشرِعَةُ البَيضَاء!)
وَالرَّاعِي يُرَاقِبُ قَطِيعَه وَيُغَنِّي لَه حَتَّى لَا يَشرُد،
وَالبَائِعُ المتجَوِّلُ يعرَقُ وَحِملُه عَلَى ظَهرِهِ (يُبَالِغُ المُشتَرِي فِي المُسَاوَمَة عَلَى سِنتٍ زَائِد)؛
وَالعَرُوسُ تُسَوِّي ثَوبَ زِفَافِهَا الأبيَض، وَعَقرَبُ الدَّقَائِق يَتحَرَّكُ بِبُطءٍ فِي سَاعَةِ الحَائِط،
وَمُدمِنُ الأفيُون يَتَّكِئُ بِرَأسٍ مُتَصَلِّبَةٍ وَشِفَاهٍ مُنفَرِجَة،
وَالعَاهِرَةُ تُجَرجِرُ شَالَهَا، وَقُبَّعَتُهَا تَتَأَرجَحُ عَلَى رَقَبَتِهَا المُتَرَنِّحَةِ ذَاتِ البُثُور،
وَالجَمعُ يَضحَكُ عَلَى سِبَابِهَا البَذِيء، وَالرِّجَالُ يَسخَرُون وَيَتَغَامَزُون إِلَى بَعضِهِم البَعض،
(أَيَّتُهَا البَائِسَة! لَا أَضحَك عَلَى سِبَابِكِ وَلَا أسخَر مِنكِ)؛
وَالرَّئِيسُ الذِي يَعقِدُ اجتِمَاعًا لِلمَجلِس مُحَاطٌ بِكِبَارِ رِجَالِ الدَّولَة،
وَفِي السَّاحَةِ تَتَمَشَّى ثَلَاثُ عَجَائِز بِوَقَارٍ وَصَدَاقَةٍ بِأذرُعٍ مُتَشَابِكَة،
وَطَاقَمُ سَفِينَةِ الصَّيدِ يُرَاكِمُون طَبَقَاتٍ مِن أَسمَاكِ الهلبُوت فِي العَنبَر،
وَابنُ المِيسُورِي يَجتَازُ السُّهُولَ مُحصِيًا أَدوَاتِه وَقَطِيعَه،
وَإِذ يَسِيرُ المُحَصِّلُ خِلَالَ القِطَار يُنَبِّه الرُّكَّابَ بِصَلصَلَةِ النُّقُودِ المعدَنِيَّة الصَّغِيرَة،
وَالمُبَلِّطُون يُبَلِّطُونَ الأرضِيَّة، وَالمُسَقِّفُون يُسقِّفُون السَّطح بِالقَصدِير، وَالبَنَّاؤُون

[*] اليانكي: الأميريكي، أو الأميريكية.

يَصِيحُون فِي طَلَبِ المَلَاط،
وَفِي طَابُورٍ وَاحِدٍ يَحمِلُ كُلٌّ وَاحِدٍ قَصعَتَه عَلَى كَتِفِه وَيُسلِمُهَا إِلَى مَن يَلِيه؛
وَالفُصُولُ تُلَاحِقُ بَعضَهَا البَعض، وَالحَشدُ الذِي يَفُوقُ الوَصفَ اجتَمَع، فَهو اليَومُ الرَّابِعُ مِن الشَّهرِ السَّابِع[*] (يَا لَهَا مِن طَلقَات مَدَافِع وَأَسلِحَةٍ خَفِيفَة!)
وَالفُصُولُ تُلَاحِقُ بَعضَهَا البَعض، الحَارِثُ يَحرُث، وَالحَاصِدُ يَحصُد، وَحُبُوبُ الشِّتَاءِ تَنهَمِرُ عَلَى الأَرض؛
وَبَعِيدًا عَلَى البُحَيرَاتِ يَرقُبُ صَيَّادُ السَّمَكِ بِالرُّمح وَيَنتَظِر عِند فَجوَةِ السَّطحِ المُتَجَمِّد،
وَالجُذُوعُ تَنتَصِبُ كَثِيفَةً حَولَ الفَتحَةِ، وَمَالِكُ الأَرض يَضرِبُ بِفَأسِه بِقُوَّة،
وَرِجَالُ القَوَارِبِ المُسَطَّحَة يُسرِعُون فِي الغَسَق بِالقُربِ مِن حِرجِ القُطن أَو أَشجَارِ الجُوز،
وَصَيَّادُو الرَّاكُون[**] يَمضُون خِلَالَ أَقَالِيم النَّهرِ الأَحمَر، أَو تِلكَ التِي جَفَّفَهَا التِّينِيسِي، أَو خِلَالَ أَقَالِيم أركَانسَاس،
وَالمَشَاعِلُ تَتَوَهَّجُ فِي الظَّلَام المخَيِّم عَلَى شَاتَاهُوج أَو التَّامَاهُو،
وَالأَجدَادُ يَجلِسُون إِلَى العَشَاءِ مَعَ أَبنَائِهِم وَأَحفَادِهِم وَأَبنَاءِ أَحفَادِهِم مِن حَولِهِم،
وَفِي جُدرَانِ اللَّبِن، وَخِيَامِ الخَيشِ، يَرتَاحُ الصَّيَّادُون وَنَاصِبُو الفِخَاخ بَعد رِيَاضَات النَّهَار،
وَالمَدِينَةُ تَنَام، وَالبَلدَةُ تَنَام،
يَنَامُ الأَحيَاءُ فِي أَوَانِهِم، وَالمَوتَى يَنَامُونَ فِي أَوَانِهِم،
يَنَامُ الزَّوجُ العَجُوزُ بِجَانِبِ زَوجَتِه، وَالزَّوجُ الشَّاب يَنَامُ بِجَانِبِ زَوجَتِه؛
هَؤلَاءِ يُرَاعُونَنِي دَاخِلَهُم، وَأُرَاعِيهِم خَارِجِي،
وَهَكَذَا أَنَا، مِثلَ هَؤلَاء، إِلَى هَذَا الحَدِّ أَو ذَاك،

---

[*] إشارة إلى يوم عيد استقلال الولايات المتحدة، 4 يوليو.

[**] الراكون: حيوان من آكلي اللحوم، يستوطن أنحاء متفرقة من الولايات المتحدة.

وَمِن هَؤلَاء – مِن أَحَدِهِم وَكُلِّهِم – أَنسِجُ أُغنِيَةَ نَفسِي.

[16]

أَنَا مِن الشُّيُوخ وَالشُّبَّان، مِنَ الحمقَى بِقَدرِ مَا أَنَا مِن الحُكَمَاء،
مُتَجَاهَلٌ مِن آخَرِين، وَمُقَدَّرٌ تَمَامًا مِن آخَرِين،
أُمُومِيٌّ بِقَدرِ مَا أَنَا أَبَوِي، طِفلٌ بِقَدرِ مَا أَنَا رَجُل،
مُتخَمٌ بِمَا هُو خَشِنٌ وَمُتخَمٌ بِمَا هُو نَاعِم،
وَاحِدٌ مِن أُمَّةٍ تَتَأَلَّف مِن أُمَمٍ عَدِيدَة، صُغرَاهَا مِثلَ كُبرَاهَا،
جَنُوبِيٌّ مِثلَمَا أَنَا شَمَالِي، مُزَارِعٌ رَابِطُ الجَأشِ وَمِضيَاف، أَعِيشُ فِي مُنحَدَرِ "أُوكُونِي"،
وَكَرَجُلٍ يَانكِي أَتَّخِذُ طَرِيقِي مُستَعِدًّا لِلتِّجَارَة، وَمَفَاصِلِي أَوهَى المَفَاصِل عَلَى وَجهِ الأَرض، وَأَصلَبُهَا عَلَى وَجهِ الأَرض،
وَكَرَجُلٍ مِن كِنتَاكِي أَقطعُ وَادِي "الكُورن" مُرتَدِيًا كِسَاءَ السَّاقِ مِن جِلد الدُّب، أَو مِن لوِيزيَانَا أَو جُورجيَا،
مَرَاكِبِيٌّ فَوقَ البُحَيرَات أَو الخلجَانِ أَو عَلى طُولِ الشَّاطِئ، طَائِرُ هُوسيَار، حَيَوَانُ "غَرِير"، شَجرَةُ "بَاكَاي"؛
فِي مَوطِنِي، بِحِذَاءِ الثَّلجِ الكَنَدِي أَو عَالِيًا فِي الحِرج، أَو مَع صَيَّادِي السَّمَك خَارِجَ نيُوفَوندلَاند،
فِي مَوطِنِي فِي أُسطُولِ قَوَارِبِ الجَلِيد، مُبحِرًا وَمُتَعَرِّجًا مَعَ البَاقِين،
فِي مَوطِنِي عَلَى تِلَال ڤِيرمُونت أَو فِي غَابَات مِين، أَو حَظَائِرِ الخُيُولِ فِي تِكسَاس،
رَفِيقًا لآل كَالِيفُورنيَا، رَفِيقًا لآل الشَّمَالِ الغَربِي الأَحرَار، (مُحِبًّا لأَحجَامِهِم الضَّخمَة)،
رَفِيقًا لِعُمَّالِ الأَطوَافِ[*]، وعُمَّالِ الفَحم، رَفِيقًا لِجَمِيع مَن يَتَصَافَحُون وَيَحتَفُون بِالشَّرَابِ وَاللَّحم،
مُتَعَلِّمًا مَعَ الأَبسَط، مُعَلِّمًا لِلأَعلَم،

---

[*] الشكل البدائي للقوارب.

مُبتَدِئًا فِي بِدَايَاتِه لَكِنَّه خَبِيرٌ بِآلَافِ الفُصُول،
مِن كُلِّ لَونٍ وَشَكلٍ أَنَا، مِن كُلِّ طَبَقَةٍ وَدِين،
فَلَاحًا، مِيكَانِيكِيًّا، فَنَّانًا، سَيِّدًا، بَحَّارًا، مِنَ الكويكَرز،
سَجِينًا، خَلِيلًا، مُشَاكِسًا، مُحَامِيًا، طَبِيبًا، قِسِّيسًا.

إِنَّنِي أُقَاوِمُ أَيَّ شَيءٍ أَفضَلَ مِن تَنَوُّعِي،
أَستَنشِقُ الهَوَاءَ لَكِنِّي أَترُك الكَثِيرَ خَلفِي،
وَلَستُ مُتَشَامِخًا، فَأَنَا فِي مَكَانِي.
(فَالعِثَّةُ وَبَيضُ السَّمَكِ فِي أَمَاكِنِهِم،
وَالشُّمُوسُ المُشرِقَةُ التِي أَرَاهَا وَالشُّمُوسُ المُعتِمَةُ التِي لَا أَستَطِيعُ رُؤيَتَهَا فِي أَمَاكِنِهَا،
المَلمُوسُ فِي مَكَانِه وَغَيرُ المَلمُوسِ فِي مَكَانِه).

[17]

تِلكَ هِي فِعلًا أَفكَارُ الجَمِيعِ فِي كُلِّ العُصُورِ وَالبُلدَان، وَلَيسَت فِي الأَصلِ أَفكَارِي،
فَإِن لَم تَكُن أَفكَارَكَ مِثلَمَا هِيَ أَفكَارِي فَهِي لَا شَيء، أَو أَدنَى مِن لَا شَيء،
إِن لَم تَكُن اللُّغزَ وَحَلَّ اللُّغزِ فَهِي لَا شَيء،
إِن لَم تَكُن قَرِيبَةً بِقَدرِ مَا هِيَ بَعِيدَةٌ فَهِيَ لَا شَيء.

هَا هُو العُشبُ الذِي يَنمُو أَينَمَا كَانَت الأَرضُ وَالمَاء،
هَا هُو الهَوَاءُ المُشتَرَكُ الذِي يُحَمِّمُ الكَون.

[18]

مَعَ مُوسِيقَى قَوِيَّةٍ أَجِيء، مَع أَبوَاقِي وَطُبُولِي،
لَا أَعزِفُ مَارشَاتٍ لِلمُنتَصِرِين المُسَلَّمِ بِهِم فَحَسب، بَل أَعزِف مَارشَات لِلمَهزُومِين وَالمَذبُوحِين.

فَهَل سَمِعتَ أَنَّه مِنَ الجَيِّدِ أَن تَكسَبَ يَومَك؟
إِنَّنِي أَيضًا أَقُول إِنَّه مِن الجَيِّدِ أَن تهوِي، فَالمَعَارِكُ تُخسَر بِنَفسِ الرُّوحِ التِي تُكسَب بِهَا.

إِنَّنِي أَدُق وَأَقرَعُ طُبُولِي مِن أَجلِ المَوتَى،
أَنفُخُ فِي أَفوَاهِ الأبوَاقِ أَعلَى وَأَبهَجَ مَا أَملِكُ مِن أَجلِهِم.

فَليَعِش هَؤلَاء الذِين فَشَلُوا!
وَهَؤلَاء الذِي غَرِقَت سُفُنُهم الحَربِيَّةُ فِي البَحر!
وَهَؤلَاء الذِين غَرقُوا فِي البَحر!
وَجَمِيعُ الجِنرَالَاتِ الذِين خَسِرُوا مَعَارِكَهُم، وَجَمِيعُ الأبطَالِ المهزُومِين!
وَالأبطَالُ المَجهُولُون بِلَا حَصرٍ شَأنَ عُظَمَاءِ الأبطَالِ المَعرُوفِين!

[19]

هَذِهِ الوَجبَةُ مُقَدَّمَةٌ لِلجَمِيعِ بِالتَّسَاوِي، وَهَذَا اللَّحمُ مِن أَجلِ الجُوعِ الطَّبِيعِي، مِن أَجلِ الشَّخصِ الوَغدِ بِقَدرِ مَا هُو مِن أَجلِ الشَّخصِ المُستَقِيم، فَأَنَا أَضرِبُ مَوَاعِيدَ لِلجَمِيع،
وَلَن يَكُون لَدَيَّ شَخصٌ وَاحِدٌ مُهمَلٌ أَو مُبعَد،
فَالمَرأَةُ الحَبِيسَةُ، وَصَيَّادُ الاسفِنج، وَاللِّص، مَدعُوُّون إِلَى هُنَا،
العَبدُ ذُو الشَّفَةِ الغَلِيظَة مَدعُو، وَالمُصَابُ بِمَرَضٍ تَنَاسُلِي مَدعُو؛
لَن يَكُون هُنَاكَ فَرقٌ بَينَهُم وَبَينَ البَاقِين.

هَا هِي ضَغطَةُ اليَدِ الخَجُولَة، هَا هِي رَفرَفَةُ وَعَبَقُ الشَّعر،
هَا هِيَ لَمَسَةُ شِفَاهِي لِشِفَاهِك، هَا هِي تَمتَمَةُ اللَّهفَة،

هَا هُمَا العُمقُ وَالسُّمو اللذَان يَعكِسَان وَجهِي،
هَا هُو التَّفكِيرُ العَمِيقُ يَندَمِجُ فِي نَفسِي، وَالخُرُوجُ مِن جَدِيد.

هَل تَظُن أَن لِي هَدَفًا مَا مُعَقَّدًا؟
حَسَنًا، لِي، فَأَمطَارُ الشَّهرِ الرَّابِع لَهَا، وَ"المَيكَا" عَلَى جَانِب صَخرَةٍ لَهَا.

هَل تَنتَظِرُ أن أَندَهِش؟
فَهَل يَندَهِشُ ضَوءُ النَّهَار؟ وَطَائِرُ الحُمَيرَاءِ المُبَكِّرُ المُغَرِّدُ فِي الغَابَات؟
هَل أَندَهِشُ أَكثَرَ مِنهُم؟

هَذِهِ السَّاعَةَ أَبُوحُ لَكَ بِأَشيَاء،
لَن أَبُوحَ بِهَا لِلجَمِيع، لَكِنِّي سَأَبُوحُ لَك.

[20]

مَن يَمضِي هُنَاك؟ مَلهُوفًا، ضَخمًا، غَامِضًا، عَارِيًا؛
كَيفَ أَستَمِدُّ قُوَّةً مِن الثَّورِ الذِي آكُلُه؟
مَا الإنسان؟ مَا أَنَا؟ مَا أَنت؟

كُلُّ مَا أَرصُدُه بِاعتِبَارِهِ مِلكِي سَوفَ تُوَفِّقُ بَينَه وَبَين مَا تَملِك،
وَإِلَّا لَكَانَ وَقتًا ضَائِعًا مَا قَضَيته فِي الاستِمَاعِ لِي .

لَا أَنُوحُ هَذَا النُّوَاحَ عَلَى العَالَم،
عَلَى أَن تِلكَ الشُّهُورَ خَوَاء وَالأَرضَ لَيسَت سِوَى انحِطَاطٍ وَهُرَاء.

التَّأَوُّه وَالإِذعَانُ يَزِيدَان مَع مَساحِيقِ العَجَزَة، وَالامتِثَالُ يَرجِعُ إِلَى الجَدِّ السَّادِس،

وَأَنَا أَرتَدِي قُبَّعَتِي كَمَا أُحِب بِالدَّاخِل أَو الخَارِج.

لِمَاذَا يَنبَغِي أَن أُصَلِّ؟ لِمَاذَا يَنبَغِي عَلَيَّ التَّبجِيلُ وَالمحَافَظَةُ عَلَى الرَّسمِيَّات؟
فَإِذ صَلَّيتُ زَمَنًا، وَتَم تَحلِيلِي حَتَّى الشَّعرَةِ، وَتَشَاوَرتُ مَعَ الأَطِبَّاء وأَنهَيتُ حِسَابَاتِي،
لا أَجِدُ مَا هُو أَعذَبُ امتِلَاءً لِعِظَامِي مِن العِصِي.

فِي جَمِيعِ النَّاسِ أَرَى نَفسِي، لَا أَزِيدُ عَلَيهِم أَو أَقِلُّ عَنهُم بِحَبَّة خَردَل،
وَمَا أَقُولُه عَن نَفسِي – خَيرًا أَم شَرًّا – أَقُولُه عَنهُم.

أَعرِفُ أَنَّنِي صَلدٌ وَقَوِيم،
وَأَشيَاءُ الكَونِ المُتَجَمِّعَةُ تَنسَابُ دَائِمًا إِلَيَّ،
وَكُلُّ شَيءٍ كُتِبَ إِلَيَّ، وَعَلَيَّ أَن أَتَوَصَّلَ إِلَى مَعنَى المَكتُوب.

أَعرِفُ أَنَّنِي أَبَدِي،
أَعرِفُ أَنَّ مَدَارِي هَذَا لَا يُمكِنُ أَن تَجرِفَه بَوصَلَةُ التَّجَّار،
أَعرِفُ أَنَّنِي لَن أَزُولَ كَجُرحِ طِفلٍ بِعَصَاةٍ مُحتَرِقَةٍ فِي اللَّيل.

أَعرِفُ أَنَّنِي مَهِيب،
لَا أُزعِجُ رُوحِي لأُبَرِّرَهَا أَو لِتَكُون مَفهُومَة،
فَأَنَا أَرَى أَنَّ القَوَانِينَ الأَوَّلِيَّةَ لَا تَعتَذِرُ أَبَدًا،
(أَظُنُّ أَنَّنِي لَا أَتَصَرَّفُ بِكِبرِيَاءٍ أَعلَى مِن مُستَوَى مَنزِلِي، فِي نِهَايَةِ الأَمر).

إِنَّنِي مَوجُودٌ كَمَا أَنَا، وَذَلِكَ كَافٍ،
وَلَو لَم يَعِ ذَلِكَ أَيُّ شَخصٍ آخَرَ فِي العَالَم فَسَأَجلِسُ رَاضِيًا،
وَلَو وَعَى ذَلِك كُلُّ شَخصٍ وَالجَمِيعُ فَسَأَجلِسُ رَاضِيًا.

عَالَم وَاحِدٌ وَاعٍ وَهو - حَتَّى الآن - الأكبَرُ بِالنِّسبَةِ لِي، وَهوَ نَفسِي،
وَسَوَاءٌ مَا إن بَلَغتُ مَنزِلَتِي اليَومَ أَو بَعدَ عَشرَةِ آلَافٍ أو عَشرَةَ مَلَايِين سَنَة،
فَيُمكِنُنِي أن أَتلَقَّاهَا الآن بِابتِهَاج، أَو يُمكِنُنِي أَن أَنتَظِرَ بِابتِهَاجٍ مُمَاثِل.
مَوطِئُ قَدَمِي مُعَشَّقٌ فِي الجرَانِيت،
وَأَضحَكُ مِمَّا تُسَمُّونَه انحِلَالًا،
وَأَعرِفُ اتِّسَاعَ الزَّمَن.

[21]

أَنَا شَاعِرُ الجَسَدِ، وَأَنَا شَاعِرُ الرُّوح،
وَلَدَيَّ مَلَذَّاتُ الفِردَوسِ، لَدَيَّ عَذَابَاتُ الجَحِيم،
الأُولَى أُدمِجُهَا فِيَّ وَأُغدِقُ بِهَا عَلَيَّ، وَالأخِيرَةُ أُتَرجِمُهَا إِلَى لُغَةٍ جَدِيدَة.

أَنَا شَاعِرُ المَرأَةِ بِقَدرِ الرَّجُل،
وَأَقُولُ إِنَّه لَعَظِيم أَن يَكُون المَرءُ امرَأَةً شَأنَ مَا يَكُون رُجُلًا،
وَأَقُولُ إِنَّه لَا أَعظَمَ مِن أُم الإِنسَان.

أُنشِد أُنشُودَة الاتِّسَاع أَو الكِبرِيَاء،
لَقَد تَمَلَّصنَا وَتَنَصَّلنَا بِمَا يَكفِي،
وَأُبَيِّن أَن الحَجمَ هُو فَحَسب التَّطَوُّر.

هَل سَبَقتَ الآخَرِين؟ هَل أَنتَ الرَّئِيس؟
ذَلِكَ هُرَاء، فَسَوفَ يَصِلُون جَمِيعًا إِلَى مَا هُو أَبعَد، وَيَظَلُّون يَتَجَاوَزُون.

أَنَا مَن يَسِيرُ مَعَ اللَّيلِ الحَنُون المُتَنَامِي،
أُنَادِي فِي اللَّيلِ الأَرضَ وَالبَحرَ نِصفَ المَكبُوح.

التَحِم بِي أَيُّهَا اللَّيلُ عَارِي الصَّدر- التَحِم بِي أَيُّهَا اللَّيلُ الفَاتِنُ المُغَذِّي!
يَا لَيلَ رِيَاحِ الجَنُوب – يَا لَيلَ النُّجُومِ الكَبِيرَةِ القَلِيلَة!
أَيُّهَا اللَّيلُ الذِي مَا يَزَالُ يُومِئ – أَيُّهَا اللَّيلُ الصَّيفِيُّ العَارِي المَجنُون.

وَابتَسِمِي أَيَّتُهَا الأَرض الشَّهوَانِيَّةُ ذَات الأَنفَاسِ المُنعِشَة!
يَا أَرضَ الأَشجَار النَّاعِسَةِ المُتَأَوِّدَة!
يَا أَرضَ الغُرُوبِ المُرتَحِل – أَرضَ الجِبَالِ ذَاتِ القِمَمِ الضَّبَابِيَّة!
يَا أَرضَ المَطَرِ المُنهَلِّ مِنَ القَمَرِ البَدرِ المشُوبِ بِالزُّرقَة!
يَا أَرضَ البَرقَشَةِ المُشِعَّةِ وَالدَّاكِنَة لِمَدِّ النَّهر!
يَا أَرضَ الرَّمَادِيِّ الشَّفَّافِ لِلغُيُومِ الأَكثَر إِشرَاقًا وَصَفَاءً مِن أَجلِي!
يَا أَرضًا ذِرَاعُهَا بَعِيدَةُ المدَى - أَرضًا خِصبَةً بِازدِهَارِ التُّفَّاح!
ابتَسِمِي، فَعَاشِقُكِ قَادِم.

أَيَّتُهَا السَّخِيَّةُ، لَقَد مَنَحتِنِي الحُب – لِهَذَا أَمنَحُكِ الحُب!
يَا لَه مِن حُبٍّ مَشبُوبٍ عَصِيٍّ عَلَى التَّعبِير.

[22]

أَيُّهَا البَحر! لَكَ أَيضًا أُسلِمُ نَفسِي – أُخَمِّنُ مَا تَعنِي،
مِنَ الشَّاطِئِ أَرَى أَصَابِعَكَ المُنحَنِيَة المغوِيَة،
أُصَدِّقُ أَنَّكَ تَرفُضُ العَودَةَ إِلَى الوَرَاء بِدُونِ الإِحسَاسِ بِي،
فَلَابُد أَن نَقُومَ بِجَولَةٍ مَعًا، أَتَعَرَّى، أَجرِي إِلَيكَ خَارِجَ مَرمَى بَصَرِ الأَرض،
فَلَاطِفنِي بِرِقَّةٍ، هَدهِدنِي فِي نُعَاسٍ مُتَلَاطِمِ الأَموَاج،
وَاغمُرنِي بِالبَلَلِ العَاشِق، فَأَنَا أَستَطِيعُ أَن أُقَدِّمَ لَكَ المُقَابِل.

يَا بَحرَ أَموَاجِ القَاعِ المَدِيدَة،

يَا بَحرًا يَتنَفَّسُ أَنفَاسًا شَاسِعَةً وَمُتَشَنِّجَة،
يَا بَحرَ مُلُوحَةِ الحَيَاةِ وَمَا لَم يَنجَرِف بَعدُ دَائِمًا - القُبُورِ المُهَيَّأة،
مَن يُفَجِّرُ وَيَجرِفُ العَوَاصِف، أَيُّهَا البَحرُ النَّزِقُ وَالعَصِي،
إِنَّنِي أَتَكَامَلُ مَعَك، أَنَا أَيضًا لِي وَجهٌ وَاحِدٌ وَكُلُّ الوُجُوه.

أَنَا شَرِيكُ المَدِّ وَالجَزرِ، مَن يُمَجِّدُ الكَرَاهِيَةَ وَالمصَالَحَة،
مَن يُمَجِّدُ المُحِبِّين وَهَؤلاءِ الذِين يَنَامُون فِي أَحضَان بَعضِهِم البَعض.

أَنَا الشَّاهِدُ عَلَى الحَنَان،
(فَهَل أُسَجِّلُ قَائِمَتِي بِأَشيَاءِ المَنزِلِ وَأَتَجَاوَزُ المَنزِلَ الذِي يَحتَوِيهَا؟)

أَنَا لَستُ شَاعِرَ الطِّيبَةِ فَحَسب، وَلَا أَستَنكِفُ مِن أَن أَكُونَ أَيضًا شَاعِرَ الشَّر.
أَيُّ قَولٍ هَذَا عَن الفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَة؟
الشَّر يَدفَعُنِي وَإِصلَاحُ الأَشرَارِ أَيضًا، وَأَنَا أَقِفُ بِلَا مُبَالَاة،
بَهجَتِي لَيسَت نَقِيصَةً – هِيَ بَهجَةُ المُكتَشِفِ أَو الرَّافِض،
إِنَّنِي أُبَلِّلُ جُذُورَ كُلَّ مَا تَنَامَى.

فَهَل تَخشَى عَارًا مَا مِن الحَمْلِ الطَّاهِر؟
هَل تَظُن أَن القَوَانِينَ السَّمَاوِيَّةَ مَا تَزَالُ - حَتَّى الآن- بِحَاجَةٍ إِلَى المُرَاجَعَةِ وَالتَّصحِيح؟

إِنَّنِي أَجِدُ تَوَازُنًا مَا فِي أَحَدِ الجَوَانِب وَتَوَازُنًا مَا فِي الجَانِبِ المُقَابِل،
وَالمَبدَأُ المُتَسَاهِلُ يُسَاعِدُ بِاضطِرَادٍ شَأنَ المبدَأ الرَّاسِخ،
وَالأَفكَارُ وَالأَفعَالُ فِي الحَاضِرِ هِي نُهُوضُنَا وَانطِلَاقُنَا المُبَكِّر.

هَذِهِ الدَّقِيقَةُ الَّتِي تَجِيءُ إِلَيَّ بَعدَ عَشَرَاتِ المَلَايِينِ السَّابِقَة،
لَا أَفضَلَ مِنهَا وَالآن.

وَمَن عَمِلَ جَيِّدًا فِي المَاضِي أَو يَعمَلُ جَيِّدًا اليَومَ لَيسَ عَجِيبًا،
فَالعَجِيبُ دَائِمًا وَأَبَدًا هُو إِمكَانِيَّةُ وُجُودِ شَخصٍ وَضِيعٍ أَو خَسِيس.

[23]

تَفَتُّحٌ بِلَا انتِهَاءٍ لِكَلِمَاتِ العُصُور!
وَكَلِمَتِي هِي كَلِمَةُ مَا هُو حَدِيث، الكَلِمَةُ الجَمعِيَّة.

كَلِمَةُ إِيمَانٍ لَا يُحبَطُ أَبَدًا،
الآنَ أَو أَبَدًا هِي نَفسُهَا بِالنِّسبَةِ لِي، فَأَنَا أَتَقَبَّلُ الزَّمَن بِصُورَةٍ مُطلَقَة.

هُو وَحدَه بِلَا شَائِبَة، وَحدَه يُحِيطُ وَيُكمِلُ الكُل،
هُو ذَلِكَ العَجِيبُ الغَامِضُ المُحَيِّرُ الذِي يُكمِلُ وَحدَه الكُل.

أَتَقَبَّلُ الوَاقِعَ وَلَا أَجرُؤُ عَلَى مُسَاءَلَتِه،
فَالمَادِّيَّةُ هِي التَّمَثُّل الأَوَّلُ والأَخِير.

فَليَعِش العِلمُ الوَضعِي! فَلتَعِش التَّجرِبَةُ الدَّقِيقَة!
فَلتَأتِ بعُشبَةِ السِّيدُوم[*] مَمزُوجَةً بِالأَرزِ وَأَغصَانِ اللَّيلَك،
ذَلِكَ هُو مُؤَلِّفُ المَعَاجِم، ذَلِكَ هُو الكِيميَائِي، ذَلِكَ مَا سَنَّ قَوَاعِدَ النَّحوِ مِن الخَرَاطِيشِ القَدِيمَة،

---

[*] عشبة ذات زهر أصفر أو أبيض.

أُولَئِكَ هُم البَحَّارَةُ الذِين يَمضُون بِالسَّفُنِ خِلَالَ بِحَارٍ خَطِرَةٍ مَجهُولَة.
وَذَلِكَ هُو الجيُولُوجِي، وَمَن يَعمَل بِالمِشرَطِ، وَذَلِكَ هُو أُستَاذُ الرِّيَاضِيَّات.

أَيُّهَا السَّادَةُ، لَكُم دَائِمًا التَّكرِيمُ الأَوَّل!
وَحَقَائِقُكُم مُفِيدَة، لَكِنَّهَا لَيسَت دَارِي،
إِنَّنِي أَعبُرُهَا فَحَسب إِلَى مَنطِقَةِ سُكنَاي.

فَمَن يُذَكِّرُونَنِي بِالممتَلَكَاتِ لَا يَنطِقُون بِكَلِمَاتِي،
بَل مَن يُذَكِّرُونَ بِحَيَاةٍ مُتَفَتِّحَةٍ، بِالحُرِّيَّةِ وَالتَّحَرُّر،
وَلَا يُطِيلُون الحَدِيثِ عَنِ المُخَنَّثِين وَالمخصِيِّين، وَيُفَضِّلُون الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ مُكتَمِلِي الرُّجُولَةِ وَالأُنُوثَة،
وَيَدُقُّون صُنَجَ التَّمَرُّد، وَيَقِفُون مَعَ الهَارِبِين وَيُخَطِّطُون وَيَتَآمَرُون مَعُهم.

[24]

وَالت وِيتمَان، الكَونِي، ابنُ مَانهَاتِن،
المضطَرِمُ، الشَّهوَانِي، الحِسِّي، الشَّرِهُ فِي الأَكلِ، وَالشُّربِ وَالإِنجَاب،
لَا عَاطِفِيًّا، لَا مُتعَالِيًا عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ أَو مُنفَصِلًا عَنهُم،
لَا مُتَوَاضِعًا وَلَا غَيرَ مُتَوَاضِع.

أَفُكُّ مَغَالِيقَ الأَبوَاب!
أَفُكُّ الأَبوَابَ نَفسَهَا مِن أُطُرِهَا!

مَن يُذِلُّ آخَر يُذِلُّنِي،
وَأَيًّا مَا ارتُكِبَ أَو قِيلَ فَإِنَّه يَرتَدُّ فِي النِّهَايَةِ إِلَيّ.

خِلَالِي تَنبَثِقُ الإلهَامَاتُ وَتَنبَثِق، خِلَالِي المَجرَى وَالدَّلِيل.

أَنطِقُ بِكَلِمَةِ السِّرِّ البَدَائِيَّة، وَأَمنَحُ شَارَةَ الدِّيمُوقرَاطِيَّة،
بِاسمِ الرَّب! لَن أَقبَلَ بِشَيءٍ لَم يَتَمَكَّن الجَمِيعُ مِن أَخذِ نَصِيبِهِم مِنه بِنَفس الشُّرُوط.

خِلَالِي هُنَاكَ الكَثِيرُ الكَثِيرُ مِنَ الأصوَاتِ البَكمَاء،
أَصوَاتِ الأجيَالِ اللَّا مُتَنَاهِيَةِ مِن المَسَاجِين وَالعَبِيد،
أَصوَاتِ المُعتَلِّين وَالمُحبَطِين وَأَصوَاتِ اللُّصُوصِ وَالمُعَاقِين،
أَصوَاتِ عُصُورِ الاستِعدَادِ وَالتَّنَامِي،
وَأصوَاتِ الخُيُوطِ التِي تَربِطُ بَينَ النُّجُوم، وَبَينَ الأرحَامِ، وَجَوهَرِ الأُبُوَّة،
وَأَصوَاتِ حقُوقِهِم التِي دَاسَهَا آخَرُون،
أَصوَاتِ المُشَوَّهِين، وَالمُبتَذَلِين، وَالسَّطحِيِّين، وَالحمقَى، وَالمَنبُوذِين،
كَضَبَابٍ فِي الهَوَاء، وَخَنَافِسَ تُدحرِجُ كُرَاتٍ مِن الرَّوث.

خِلَالِي الأصوَاتُ المَمنُوعَة،
أَصوَاتُ الجِنسِ وَالشَّهَوَاتِ، الأصوَاتُ المستُورَةُ وَأَنَا مَن يُزِيحُ السِّتَار،
أَصوَاتٌ إِبَاحِيَّةٌ أُصَفِّيهَا وَأُغَيِّر هَيأَتَهَا.

إِنَّنِي لَا أَضغَطُ بِأَصَابِعِي عَلَى شِفَاهِي،
وَأُحَافِظُ عَلَى رَهَافَةِ مَا يُحِيطُ بِالأمعَاء شَأنَ مَا يُحِيطُ بِالرَّأسِ وَالقَلب،
وَالجِمَاعُ لَيسَ لَدَيَّ بِمَرتَبَةٍ أَعلَى مِن المَوت.

أُؤمِنُ بِالجَسَدِ وَالشَّهَوَات،
البَصَرُ، وَالسَّمعُ، وَالإِحسَاس، مُعجِزَاتٌ، وَكُلُّ جُزءٍ وَطَرَفٍ مِنِّي مُعجِزَة.

إِنَّنِي فِي الفِردَوسِ وَخَارِجِه، وَكُلُّ مَا أَلمَسُه أَو يَلمَسُنِي أَجعَلُه مُقَدَّسًا،
وَرَائِحَةُ نُكهَةِ هَذِه الآبَاطِ أَرهَفُ مِن الصَّلَاة،
وَذَلِك مَا لَه الأولَوِيَّةُ عَلَى الكَنَائِسِ، وَالأَنَاجِيلِ، وَكُلِّ العَقَائِد.

وَلَو كُنتُ أَعبُدُ شَيئًا أَكثَرَ مِن غَيرِه لَكَانَ امتِدَادَ جَسَدِي، أَو أَيَّ جُزءٍ مِنه،
وَطَرَازٌ شَفَّافٌ مِنِّي سَيُصبِحُ أَنت!
وَأَفَارِيزُ وَاستِرَاحَاتٌ ظَلِيلَةٌ سَتُصبِح أَنت!
وَسِلَاحُ مِحرَاثٍ صَارِمٌ رُجُولِي سَيُصبِح أَنتَ!
وَأَيًّا مَا يَنتَمِي مِنِّي إِلَى الفِلَاحَةِ فَسَيُصبِحُ أَنت!
أَنتَ دَمِي الخِصب! وَجَدوَلُكَ اللَّبَنِيُّ الشَّاحِبُ يَنبُعُ مِن حَيَاتِي!
وَالصَّدرُ الذِي يَحتَضِنُ الصُّدُورَ الأُخرَى سَيَكُون أَنت!
وَعَقلِي سَيَكُون تَلَافِيفَكَ الخَفِيَّة!
جِذرُ عُودِ الوَج المُغتَسِل! طَائِر بَكَاسِين البِرَكَةِ الخَوَّاف[*]! عُش البَيضِ المضَاعَفِ المحرُوس! سَيَكُون أَنت!
وَقَش مُختَلِطٌ أَشعَث بِالرَّأس، وَاللِّحيَةِ، وَالعَضَلَات، سَيَكُون أَنت!
وَنسغٌ يَقطُرُ مِن شَجَرِ القَيقَبِ، وَأَليَافُ ذُرَةٍ رُجُولِيَّة، سَتَكُونُ أَنت!
وَشَمسٌ بَالِغَةُ السَّخَاءِ سَتَكُونُ أَنت!
وَبُخَارٌ يُضِيءُ وَيُظَلِّلُ وَجهِي سَيَكُون أَنت!
وَغُدرَان وَأَندَاءٌ نَاضِحَةٌ سَتَكُون أَنت!
وَرِيَاحٌ تَحتَكُّ بِي أَعضَاؤُهَا الجِنسِيَّةُ المُدَغدِغَةُ بِرِقَّةٍ سَتَكُون أَنت!
وَحُقُولٌ شَاسِعَةٌ قَوِيَّةٌ، وَأَغصَانُ بَلُّوطٍ حَي، وَاستِرخَاءُ حَبِيبٌ فِي مَمَرَّاتِي المتَعَرِّجَةِ، سَتَكُون أَنت!

[*] طائر طويل المنقار. ومن أسمائه العربية الأخرى: الجهلُول، الشُنقُب.

وَالأيدِي التِي أَمسَكتُ بِهَا، الوَجهُ الذِي قَبَّلتُه، وَالشَّخصُ الذِي لَمستُه ذَات يَوم،
سَيَكُون أَنت.

إِنَّنِي شَغُوفٌ بِنَفسِي، وَهُنَاكَ الكَثِيرُون مِنِّي وَكُلُّهُم عَذبُ المَذَاق،
وَكُلُّ لَحظَةٍ وَأَيًّا كَانَ مَا يَجرِي يَهُزُّنِي بِالبَهجَة،
وَلَا يُمكِنُنِي أَن أَقُولَ كَيفَ يَنحَنِي كَاحِلَاي، وَلَا مِن أَين يَأتِي سَبَبُ أَوهَى رَغَبَاتِي،
وَلَا سَبَبُ الصَّدَاقَةِ التِي أُطِيحُ بِهَا، وَلَا سَبَبُ الصَّدَاقَةِ التِي أَستَعِيدُهَا مِن جَدِيد.

فَأَنَا أَرتَقِي إِلَى رُوَاقِي، أَتَوَانَى لأُفَكِّر مَا إِذَا كَانَ مَوجُودًا بِالفِعل،
وَرَوعَةُ الصَّبَاحِ عَلَى نَافِذَتِي تُشبِعُنِي بِأَكثَر مِن مِيتَافِيزِيقَاتِ الكُتُب.

أَن أَشهَدَ الشُّرُوق!
وَالضَّوءُ الوَاهِي يُبَدِّدُ الظِّلَالَ الشَّاسِعَةَ وَالشَّفَّافَة،
وَمَذَاقُ الهَوَاءِ عَذبٌ فِي فَمِي.

أَثقَالُ العَالَمِ المُتحَرِّكِ فِي طَفرَاتٍ بَرِيئَةٍ تَصَّاعَدُ صَامِتَةً، مُتَجَلِّيَةً بِصُورَةٍ جَدِيدَة،
مُنطَلِقَةً فِي غُمُوضٍ عَالِيَةً وَخَفِيضَة.

مَا لَا يُمكِنُنِي أَن أَرَاه يَغرِسُ عَالِيًا قُرُونًا شَبِقَة،
وَبِحَارٌ مِن عَصِيرٍ أَلِقٍ تَغمُرُ السَّمَاء.

الأَرضُ المتَشَبِّثَةُ بِالسَّمَاء، الالتصَاقُ اليَومِي لِاتِّصَالِهِمَا،
وَالتَّحَدِّي المرفُوعُ مِن الشَّرقِ فِي تِلكَ اللَّحظَةِ فَوقَ رَأسِي،
وَالتَّوبِيخُ السَّاخِر، **فَانظُر** إِذَن مَا إِذَا كُنت سَتُصبِحُ السَّيِّد!

مُبهِرًا وَهَائِلًا كَم سَيُسرِعُ شُرُوقُ الشَّمسِ بِقَتلِي،
إن لَم أَستَطِع الآنَ وَدَائِمًا أَن أبعَثَ بِالشُّرُوق مِنِّي.

نَحنُ أَيضًا نَصَّاعَدُ مُبهِرِين هَائِلِين كَالشَّمس،
نَعثُرُ عَلَى وُجُودِنَا، أَيَّتُهَا الرُّوح، فِي سَكِينَةِ وَانتِعَاشِ الفَجر.

صَوتِي يَمضِي أَبعَدَ مِمَّا يُمكِن لِعَينِي أَن تَصِل،
وَبِدَوَرَانِ لِسَانِي أَحتَوِي عَوَالِمَ وَأَجزَاءً مِن عَوَالِم.
الكَلَامُ تَوأَمُ رُؤيَتِي، وَهوَ لَيس كُفؤًا لِقِيَاسِ ذَاتِه،
يَستَثِيرُنِي أَبَدًا، فَيَقُولُ سَاخِرًا،
وَالت، أَنتَ تَحتَوِي عَلَى مَا يَكفِي، فَلِمَاذَا لَا تَسمَح لَه إِذَن بِالخُرُوج؟

هَيَّا الآنَ لَن أَتَلَمَّظ، أَيُّهَا المفعَمُ بِالكَثِيرِ الكَثِيرِ مِن الفَصَاحَة،
أَلَا تَدرِي، أَيُّهَا الكَلَام، كَيفَ تَنطَوِي تَحتَكَ البَرَاعِم؟
مُنتَظِرةً فِي العَتمَةِ، مُحتَمِيَةً بِالصَّقِيع،
وَالأَقدَارُ تَتَرَاجَعُ أَمَامَ صَرخَاتِي النَّبَوِيَّة،
مُؤَكِّدًا القَضَايَا لأُوَازِنَ بَينَهَا فِي النِّهَايَة،
ومَعرِفَتِي أَعضَائِي الحَيَّة، التِي تَظَل مُتَوَافِقَةً مَع مَعنَى كُلِّ الأَشيَاء،
هِي السَّعَادَة (التِي يَنطَلِقُ بَحثًا عَنهَا اليَومَ كُلُّ مَن يَسمَعُنِي).

إِنَّنِي أَرفُضُكِ يَا فَضِيلَتِي الأَخِيرَة، أَرفُضُ أَن يُستَبعَدَ مِنِّي مَا يُشكِّلُنِي حَقًّا،
فَاحتَوِي العَوَالِم، لَكِن لَا تُحَاوِلِي أَبَدًا احتِوَائِي،
إِنَّنِي أَحشُدُ أَرهَفَ وَأَفضَلَ مَا فِيكِ بِالتَّطَلُّعِ نَحوَكِ بِبَسَاطَة.

الكِتَابَةُ وَالكَلَامُ لَا يُبَرهِنَانِ عَلَيّ،
إِنَّنِي مُفعَمٌ فِي وَجهِي بِالبَرَاهِينِ وَكُلِّ شَيء،
وَبِغَمغَمَةِ شَفَتَيَّ أُفحِمُ تَمَامًا المُتَشَكِّك.

[26]

الآنَ لَن أَقُومَ إِلَّا بِالإِنصَات،
لأَصُوغَ مَا أَسمَعُ فِي هَذِهِ الأُغنِيَة، لأَدَعَ الأَصوَات تُسهِمُ فِي تَألِيفِهَا.

إِنَّنِي أَسمَعُ تَغرِيدَ الطُّيور، وَخَشخَشَةَ القَمحِ النَّامِي، وَغَمغَمَةَ النِّيرَان، وَقَرقَعَةَ الأَغصَانِ التِي تُنضِجُ طَعَامِي،
أَسمَعُ النَّبرَةَ التِي أُحِبُّهَا، نَبرَةَ الصَّوتِ الإِنسَانِي،
أَسمَعُ الأَصوَات المنطَلِقَةَ مَعًا، مُمتَزِجَةً، مُنصَهِرَةً أَو مُتَتَالِية،
أَصوَات المَدِينَةِ وَأَصوَات خَارِجَ المدِينَة، أَصوَات النَّهَارِ وَاللَّيل،
أَصوَات شُبَّان مِهذَارِين إِلَى مَن يُحِبُّونَهُم، وَالضِّحكَةَ العَالِيَةَ لِلعُمَّالِ خِلَالَ طَعَامِهِم،
وَالمنطَلَقَ الغَاضِبَ لِصَدَاقَةٍ مُنفَصِمَة، وَالنَّبرَات الوَاهِيَةَ لِلمَرِيض،
وَالقَاضِي بِيَدَيهِ المعقُودَتَين عَلَى المنضَدَة، وَشَفَتَاه الشَّاحِبَتَان تَنطِقَان بِحُكمِ الإِعدَام،
غِنَاءَ الحَمَّالِين وَهُم يُفرِغُون السُّفُنَ عَلَى رَصِيفِ المينَاءِ، وَاللَازِمَةَ التِي يُرَدِّدُهَا رَافِعُو الهلب،
رَنِينَ أَجرَاسِ الإِنذَار، وَصَرخَةَ الحَرِيق، وَطَنِينَ المحَرِّكَاتِ المنطَلِقَةِ بِسُرعَةٍ وَعَرَبَات المِيَاهِ بِالرَّنِينِ المنذِرِ وَالأَضوَاءِ المُلَوَّنَة،
الصُّفَّارَةَ البُخَارِيَّةَ، وَالتَّدَفُّقَ المُضطَرِدَ لِطَابُورِ العَرَبَاتِ المُقتَرِبَة،
وَالمارشَ البَطِيءَ الذِي يُعزَفُ عِندَ مُقَدِّمَةِ الطَّابُورِ المتَقَدِّم اثنَين اثنَين،
(يَمضُون لِيَحرُسُوا جُثَّةً مَا، وَأَطرَافُ الرَّايَةِ مُتَّشِحَةٌ بِالمُوسلِين الأَسوَد).

أَسمَعُ الفِيُولُونسِيل (إِنَّه شَكوَى قَلبِ الشَّاب)،

أَسمَعُ البُوقَ ذَا المفَاتِيح، يَنسَابُ سَرِيعًا خِلَالَ أُذُنَي،
يَطرُقُ دَقَّاتٍ عَذبَةً مَجنُونَةً في أَحشَائِي وَصَدرِي.

أَسمَعُ الجُوقَة، أُوبرَا عَظِيمَة،
آه تِلكَ حَقًّا هِي المُوسِيقَى - ذَلِكَ مَا يُمتِعُنِي.

المُغَنِّي التِّينُور الضَّخمُ وَالمنتَعِشُ كَالخَلِيقَةِ يُفعِمُنِي[*]،
وَالالتِوَاءُ المُتَكَوِّرُ لِفَمِه يَصُبُّ فِيَّ وَيُفعِمُنِي تَمَامًا.

أَسمَعُ السُّوبرَانُو الخَبِيرَةَ (أَيُّ عَمَلٍ مِن أَعمَالِهَا هَذَا؟)
الأُوركِسترَا تُطِيحُ بِي أَبعَدَ مِن تَحلِيقِ أُورَانُوس،
تَعتَصِرُ مِنِّي ذَلِكَ العُنفُوَان الذِي لَم أَكُن أَدرِي أَنَّنِي أَمتَلِكُه،
تُبحِرُ بِي، أُدَبدِبُ بِقَدَمَين حَافِيَتَين، تَلعَقُهُمَا أَموَاجٌ كَسُولَة،
يَقطَعُنِي وَابِلٌ مَرِيرٌ غَاضِبٌ، فَتَنقَطِعَ أَنفَاسِي،
مُنزَلِقًا وَسطَ مُورفِين عَسَلِي، وَقَصَبَتِي الهَوَائِيَّةُ تَختَنِقُ بِحَشرَجَاتِ المَوت،
فِي النِّهَايَةِ أَستَفِيقُ مِن جَدِيدٍ لأَشعُرَ بِلُغزِ الألغَاز،
وَذَلِكَ مَا نُسَمِّيه الكَينُونَة.

[27]

أَن تَكُونَ عَلَى أَيِّ شَكلٍ، مَاذَا يَعنِي؟
(نَمضِي هُنَا وَهُنَاكَ، جَمِيعًا، وَأَبَدًا نَعُودُ إِلَى هُنَا)،
وَلَو أَنَّ لَا شَيء يَتَطَوَّر فَسَيَكُونُ البَطلينُوس[**] كَافِيًا فِي صَدَفَتِه الصُّلبَة.

---

[*] نوع من أعلى الأصوات الغنائية الرجالية.. في الأعمال الأوبرالية.

[**] نوع من السمك الصدفي الأميريكي.

صَدَفَتِي لَيسَت صُلبَة،
وَلَدَيَّ مُرشِدُون جَاهِزُون يَشمَلُونَنِي كُلِّي سَوَاء فِي مَسِيرِي أَو تَوَقُّفِي،
يُمسِكُون بِكُلِّ شَيءٍ وَيَقُودُونَه بِسَلَامٍ دَاخِلِي.

إِنَّنِي أَتَحَرَّك فَحَسب، أُرَبِّت، أَتَحَسَّس بِأَصَابِعِي، وَأَنَا سَعِيد،
فَأَن يَلمَسَ شَخصِي شَخصًا آخَر لَهُوَ مَا يُمكِنُنِي احتِمَالُه.

[28]

أَتِلكَ إِذَن لَمسَة؟ تُسكِنُنِي هَوِيَّةً جَدِيدَة،
اللَّهِيبُ وَالإِثِيرُ[**] يَندَفِعَانِ فِي عُرُوقِي،
وَرَأسِي الخَائِنَةُ تَصِلُ وَتَتَزَاحَمُ لِتُسَاعِدَهُمَا،
وَلَحمِي وَدَمِي يُطلِقَان البُرُوقَ لِتُصِيبَ مَا يَختَلِفُ بِالكَادِ عَن نَفسِي،
فِي كُلِّ الجَوَانِبِ تُصَلِّبُ المُثِيرَاتُ المُتَحَرِّشَةُ أَوصَالِي،
مُستَنزِفَةً ضِرعَ قَلبِي حَتَّى قَطرَتِه الأَخِيرَة،
مُتَّجِهَةً نَحوِي بِفُجُور، بِلَا إِنكَار،
حَارِمَةً إِيَّاي مِن أَفضَل مَا بِي كَغَايَةٍ لَهَا،
وَهِي تَخلَعُ عَنِّي ثِيَابِي، مُمسِكَةً بِي مِن خَصرِي العَارِي،
مُضَلِّلَةً ارتِبَاكِي بِسَكِينَةِ ضَوءِ الشَّمسِ وَالمَرَاعِي،
مُبَدِّدَةً بِبَذَاءَةٍ حَوَاسِّي،
التِي تَمَّت رِشوَتُهَا لِمُقَايَضَتِهَا بِلَمسَةٍ وَالمِضِي وَالرَّعي عَلَى حَوَافِّي،
لَا مُرَاعَاة، وَلَا اعتِبَارَ لِقُوَّتِي المُستَنزَفَةِ أَو غَضَبِي،
بَاحِثَةً عَن بَقِيَّةِ القَطِيعِ المجَاوِرِ لِتُسَلِّيه لِبُرهَة،
ثُم يَتَوَحَّد الجَمِيعُ عَلَى الوُقُوفِ عَلَى أَحَدِ الأَطرَافِ وَإِزعَاجِي.

[**] سائل سريع الالتهاب، يُستخدم كمخدر.

يَهجُرُ الخُفَرَاءُ كُلَّ جَانِبٍ آخَرَ مِنِّي،
تَرَكُونِي بِلَا حِيلَةٍ إِزَاءَ مُغِيرٍ أَحمَر،
جَاءُوا جَمِيعًا إِلَى تِلكَ المنطِقَةِ لِيَشهَدُوا وَيُسَاعِدُوا ضِدِّي.

لَقَد أَسلَمَنِي الخَوَنَة،
أَتَكَلَّمُ بِوَحشِيَّةٍ، وَقَد فَقَدتُ حَوَاسِّي، فَأَنَا لَا سِوَايَ أَعظَمُ خَائِن،
فَقَد ذَهَبتُ بِنَفسِي فِي البِدَايَةِ إِلَى تِلكَ المنطِقَةِ، حَمَلَتنِي يَدَايَ إِلَى هُنَاك.
فَأَيَّتُهَا اللَّمسَةُ الحَقِيرَة! مَاذَا تَفعَلِين؟ نَفَسِي مُختَنِقٌ فِي حُنجُرَتِه،
فَافتَحِي أَبوَابَ فَيضَانِك، فَأَنتِ أَكثَرُ مِمَّا أَحتَمِل.

[29]

أَيَّتُهَا اللَّمسَةُ المقَاتِلَةُ عَمياءُ الحُب، اللَّمسَةُ الخَفِيَّةُ قَاطِعَةُ الأَسنَان!
هَل تَتَأَلَّمِين، إِذ تَترُكِينَنِي؟

الرَّحِيلُ يَعقُبُه الوُصُول، استِيفَاءٌ دَائِمٌ لِدَينٍ دَائِم،
مَطَرٌ غَزِيرٌ مُنهَل، وَمُكَافَأَةٌ أَكثَرُ غَزَارَةً فِيمَا بَعد.

البَرَاعِمُ تَنبُتُ وَتَتَرَاكَم، تَحتَلُّ الحَافَّةَ المسَوَّرَةَ الخَصِيبَةِ وَالحَيَوِيَّة،
وَالمشَاهِدُ الطَّبِيعِيَّةُ المعرُوضَةُ قَوِيَّة، ذَهَبِيَّةٌ بِحَجمِهَا الكَامِل.

[30]

كُلُّ الحَقَائِقِ تَنتَظِرُ فِي كُلِّ الأَشيَاء،
لَا تُسرِعُ بِتَسلِيمِ نَفسِهَا وَلَا بِالتَّمَنُّع،
لَا تَحتَاجُ إِلَى مِبضَعِ جَرَّاحِ التَّولِيد،

وَالضَّئِيلُ كَبِيرٌ عِندِي شَأنَ أَيِّ شَيءٍ آخَر،
(فَمَا هُو الأَقَل أَو الأَكبَرُ مِن لَمسَة؟)

المَنطِقُ وَالموَاعِظُ لَا تُقنِعُ أَبَدًا،
وَكَآبَةُ اللَّيل تَشُق طَرِيقَهَا فِي أَعمَاقِ رُوحِي.

(هَكَذَا فَحَسب يَكُونُ مَا يُثبِتُ نَفسَه لأيِّ رَجُلٍ وَامرَأة،
هَكَذَا فَحَسب يَكُون مَا لَا يُنكِرُه أَيُّ إِنسَان).

لَحَظَةٌ وَقَطرَةٌ مِنِّي تُعِيدُ التَّوَازُن إِلَى ذِهنِي،
إِنَّنِي أُؤمِنُ أَن الطِّينَ المَبلُول سَيُصبِحُ عُشَّاقًا وَمَصَابِيح،
وَأَن خُلَاصَةَ الخُلَاصَاتِ هُو جَسَدُ الرَّجُلِ أَو المرأَة،
وَأَنَّ لِلقِمَّةِ وَالوَردَةِ مَا يُحِسَّانِ بِه تِجَاهَ بَعضِهِمَا البَعض،
وَأَنَّهُمَا سَيَتَفَرَّعَان بِلَا حُدُودٍ انطِلَاقًا مِن هَذَا الدَّرسِ إِلَى أَن يُصبِحَ خَالِقًا أَعظَم،
وَإِلَى أَن يُبهِجَنَا الوَاحِدُ وَالكُل، وَنُبهِجَهُم.

[31]

إِنَّنِي أُؤمِنُ بِأَن وَرَقَةَ عُشبٍ لَيسَت بِأَقَل مِن تِرحَالِ النُّجُوم،
وَأَنَّ النَّملَةَ بَالِغَةٌ جَدَّ الكَمَالِ، وَحَبَّةَ رَملٍ، وَبَيضَةَ الصَّعوَة[*]،
وَضُفدَعَ الشَّجَر هُو أَحَدُ الرَّوَائِع الأَسمَى،
وَالعُلِّيقَ المُتَدَفِّقَ سَيَعشَقُ أَبهَاءَ السَّمَاء،
وَأَصغَرَ مِفصَلٍ فِي يَدِي يَدفَعُ إِلَى احتِقَارِ كُلِّ مِيكَنَة،
وَالبَقَرَةَ المُجتَرَّةَ بِرَأسٍ مُطَأطِئَةٍ تَسمُو عَلَى أَيِّ تِمثَال،

---

[*] طائر صغير للغاية.

وَأَن الفَأرَ مُعجِزَةٌ تَڪفِي لِإفحَامِ سِكستِليُونَات[*] مِن الجَاحِدِين.

أَكتَشِفُ أَنَّنِي مَجبُولٌ مِن الحَجَرِ الصَّوَّانِ، وَالفَحمِ، وَالطُّحلُبِ ذِي الخُيُوطِ الطَّوِيلَة،
وَالفَاكِهَةِ، وَالحُبُوبِ، وَالجُذُورِ الصَّالِحَةِ لِلأكل،
وَأَنَّنِي مُوَشًّى فِي كُل مَكَانٍ بِذَوَاتِ الأربَعِ وَالطُّيُور،
وَأَنَّنِي قَد تَبَاعَدتُ عَمَّا وَرَائِي لأسبَابٍ وَجِيهَة،
لَكِنِّي أَدعُو كُلَّ شَيءٍ لِيَعُودَ مِن جَدِيدٍ عِندَمَا أَشَاء.

سُدًى التَّسَرُّعُ وَالحَيَاء،
سُدًى تَنفُثُ الصُّخُورُ البُركَانِيَّةُ حَرَارَتَهَا القَدِيمَةَ لَدَى قُدُومِي،
سُدًى يَتَرَاجَع حَيَوَانُ المستُودُون[**] تَحتَ عِظَامِهِ المنثُورَة،
سُدًى تَتَفَرَّقُ الأشيَاءُ وَتَتَّخِذُ أَشكَالاً مُتَنَوِّعَة،
سُدًى يَرقُدَ المُحِيطُ فِي الحُفَرِ، وتَستَلقِي الوُحُوشُ العَظِيمَةُ مَيِّتَة،
سُدًى يُؤوِي الصَّقرُ الحَوَّامُ نَفسَه فِي السَّمَاء،
سُدًى تَنسَلُّ الأفعَى خِلَالَ النَّبَاتَاتِ المُتَسَلِّقَةِ وَجُذُوعِ الأشجَار،
سُدًى يَلجَأُ أَيلُ الإلكه[***] إِلَى الممَرَّاتِ الغَائِرَةِ فِي الغَابَات،
سُدًى يُبحِر طَائِرُ الأوكِ[****] ذُو المنقَارِ الموسَى نَحوَ الشَّمَالِ إِلَى لابرَادُور،
فَأَتبَعُهُ عَلَى عَجَل، وأصعَدُ إِلَى العُش فِي شَقِّ المنحَدَرِ الصَّخرِي.

[32]

أُؤمِنُ بِأَنِّي يُمڪِن لِي العَودَةُ وَالعَيشُ مَعَ الحَيَوَانَات، فَهِيَ بِالِغَةُ السَّكِينَةِ وَالرِّضَاءِ عَن

[*] الـ سكستليون: واحد إلى يمينه 21 صفرًا (في الولايات المتحدة وفرنسا)، وواحد إلى يمينه 36 صفرًا [في بريطانيا وألمانيا].

[**] حيوان ضخم بائد، شبيه بالفيل.

[***] الإلكة elk: أيل أو ظبي، هو أكثر الأيائل والظباء انتشارًا في أوروبا وآسيا.

[****] الأوك: طائر قصير العنق والجناحين، بأميريكا الشمالية، ومنقاره يشبه الموسى.

الذَات،
أَقِفُ وَأَنظُرُ إِلَيهَا طَوِيلًا طَويلَا.

فَهِي لَا تَقلَقُ وَتَنُوحُ عَلَى حَالِهَا،
لَا تَستَلقِي يَقِظَةً فِي الظَّلَامِ وَتَبكِي عَلَى خَطَايَاهَا،
لَا تُضجِرُنِي بِمُنَاقَشَةِ وَاجِبهَا نَحوَ الرَّب،
مَا مِن أَحَدٍ مِنهَا سَاخِط، مَا مِن أَحَدٍ مَجنُونٌ بِهَوَسِ تَمَلُّكِ الأشيَاء،
مَا مِن أَحَدٍ يَركَعُ لآخَر، وَلَا لِفَصِيلَتِه التِي عَاشَت لآلَافِ السِّنِينِ الغَابِرَة،
مَا مِن أَحَدٍ جَدِيرٍ بِالاحتِرَامِ أَو تَعِيسٍ فَوقَ الأرض كُلِّهَا.
لِهَذَا يُبدُونَ أَوَاصِرَهُم بِي وَأَقبَلُهَا،
يَأتُون لِي بِأَمَارَاتٍ مِن نَفسِي، وَيُبَرهِنُون عَلَيهَا بِبَسَاطَةٍ فِي حَوزَتِهِم.
أَتَعَجَّبُ مِن أَينَ أَتَوا بِهَذِه الأَمَارَات،
هَل عَبَرتُ هَذَا الطَّرِيقَ مُنذُ أَزمَانٍ سَحِيقَةٍ وَأَسقَطتُهَا بِإِهمَال؟

نَفسِي تَمضِي قُدُمًا اليَومَ وَغَدًا وَأَبَدًا،
مُلَملِمَةً وَمُبدِيَةً الكَثِيرَ دَائِمًا وَبِسُرعَة،
لَا نِهَائِيًّا وَكُلِّيًّا، وَنَظَائِر هَؤُلَاء مِن بَينِهِم،
لَيسَوا مَقصُورِين عَلَى مُتَنَاوَلِ مَنْ يُذَكِّرُونَنِي،
فِيمَا أَلتَقِطُ هُنَا مَن أُحِب، وَأَمضِي مَعَه كَشَقِيقٍ لِي.

جَمَالٌ صَارِخٌ لِحِصَان، حَيَوِيٌّ وَمُستَجِيبٍ لِتَربِيتَاتِي،
الرَّأسُ عَالِيَةٌ فِي الجَبِين، عَرِيضَةٌ بَينَ الأُذُنَين،
الأعضَاءُ صَقِيلَةٌ وَرَشِيقَةٌ، وَالذَّيلُ يَحِفُّ بِالأَرض،
وَالعَينَان مُفعَمَتَان بِالخُبثِ الوَامِضِ، وَالأُذنَان رَهِيفَتَا الشَّكلِ، تَتَحَرَّكَانِ بِرَشَاقَة.

مِنخَارَاه يَتَّسِعَان حِينَ يُعَانِقُه كَعبَاي،
وَأَعضَاؤُه القَوِيَّةُ تَرتَعِش بِاللَّذَّةِ حِينَ نَركُضُ ثُم نَعُود.
لَن أَستَخدِمَك إِلَّا لِدَقِيقَة، ثُم أَتَخَلَّى عَنكَ، أَيُّهَا الحِصَان،
فَلِمَاذَا أَحتَاجُ خُطَاكَ وَأَنَا نَفسِي أَسبِقُهَا؟
حَتَّى وَأَنَا وَاقِفٌ أَو جَالِسٌ أَمضِي بِأَسرَع مِنك.

[33]

المَكَانُ وَالزَّمَان! الآن أَكتَشِفُ أَنَّه حَقِيقِي، مَا خَمَّنتُه،
مَا خَمَّنتُه وَأَنَا أَتَسَكَّع عَلَى العُشب،
مَا خَمَّنتُه وَأَنَا مُستَلقٍ وَحدِي فِي سَرِيرِي،
وَمِن جَدِيدٍ وَأَنَا أَتَمَشَّى عَلَى الشَّاطِئِ تَحتَ نُجُومِ الفَجرِ الشَّاحِبَة.

تَترُكُنِي أَغلَالِي وَأَثقَالِي، وَكُوعَاي يَستَقِرَّان فِي حُفَرِ البَحر،
أُطَوِّقُ سَلَاسِلَ الجِبَالِ، وَرَاحَتَاي تُغَطِّيَان القَارَّات،
إِنَّنِي أَمضِي حَسبَ رُؤيَاي.

عِندَ المَنَازِلِ ذَاتِ الأَضلَاع الأَربَعةِ بِالمُدُنِ- فِي أَكوَاخِ الخَشَب، مُخَيِّمًا مَعَ الحَطَّابِين،
عَلَى امتِدَادِ أَخَادِيدِ الطَّرِيقِ الرَّئِيسِي، عَلَى امتِدَادِ المَجرَى الجَافِّ وَقَاعِ الغَدِير،
مُقتَلِعًا الحَشَائِشَ مِن رُقعَةِ البَصَل، أَو أَروِي بِالخُرطُوم صُفُوفَ الجَزَرِ الأَصفَر وَالأَبيَض، مُجتَازًا السَّافَانَا، مُجَرجِرًا قَدَمَيَّ فِي الغَابَات،
مُستَشرِفًا المُستَقبَل، مُنَقِّبًا عَنِ الذَّهَب، مُطَوِّقًا أَشجَارَ صَفقَةٍ جَدِيدَة،
وَكَعبِي مُحتَرِقٌ بِشِدَّةٍ بِالرَّملِ السَّاخِن، سَاحِبًا قَارِبِي أَسفَلَ النَّهرِ الضَّحل،
حَيثُ يَمضِي الفَهدُ جِيئَةً وَذِهَابًا عَلَى غُصنٍ كَبِيرٍ فِي الأَعلَى، وَحَيثُ الوَعلُ يَلتَفِتُ مُغتَاظًا إِلَى الصَّيَّاد،
حَيثُ الأَفعَى ذَات الأَجرَاسِ تُشَمِّسُ جَسَدَهَا المُرتَخِي عَلَى صَخرَة، وَحَيثُ تَغتَذِي

القُضَاعَةُ[*] بِالأسمَاك،
حَيثُ التِّمسَاحُ بِجِلدِه الصَّلدِ يَنَامُ عِندَ التُّرعَة،
حَيثُ الدُّبُّ الأسوَدُ يَبحَثُ عَن جُذورٍ أَو عَسَل، وَحَيثُ القُندُس يَضرِبُ الطِّينَ بِذَيلِه الشَّبِيهِ بِالمجذَاف؛
وَفَوقَ قَصَبِ السُّكَّرِ المُتَنَامِي، فَوقَ نَبَاتَاتِ القُطنِ ذَات الوُرُودِ الصَّفرَاء، فَوقَ الأُرزِ فِي حَقلِه الخَفِيضِ المَبلُول،
فَوقَ المَنزِلِ الرِّيفِي ذِي القِمَّةِ الحَادَّة، بِسطحه المخَرَّم وَالأنَابِيبِ النَّحِيلَةِ لِصَرفِ المَاء،
فَوقَ شَجَرِ البرسِيمُّون الغَربِي، فَوقَ الذُّرَةِ طَوِيلَةِ الأوراق، فَوقَ الكِتَّان الرَّهِيفِ ذِي الزُّهُورِ الزَّرقَاء،
فَوقَ الحِنطَةِ البَيضَاءِ وَالسَّمرَاءِ، أَطِن وَأَئِز هُنَاكَ مَعَ البَاقِين،
فَوقَ خُضرَةِ نَبَاتِ الجَاودَارِ الغَسَقِيَّةِ وَهوَ يَتَمَاوَجُ وَيَقتُمُ مَعَ النَّسِيم؛
مُتَسَلِّقًا الجِبَالَ، جَاذِبًا نَفسِي بِحَذَرٍ لأعلَى، مُتَشَبِّثًا بِأَغصَانٍ خَفِيضَةٍ وَاهِيَة،
سَائِرًا فِي الدَّربِ المغَطَّى بِالعُشبِ أَضرِبُ خِلَالَ أَورَاقِ الدَّغل،
حَيثُ يَصفِرُ السِّمَّانُ بَينَ الغَابَاتِ وَحُقُولِ القَمح،
حَيثُ يَطِيرُ الخُفَّاش عَشِيَّةَ الشَّهرِ السَّابِع، وَحَيثُ تَهوِي البَقَّةُ الذَّهَبِيَّةُ فِي العَتمَة،
حَيثُ يَنبُعُ الجَدوَلُ مِن جُذورِ الشَّجَرَةِ العَجُوزِ وَيَنسَابُ إِلَى المَرج،
حَيثُ يَقِفُ القَطِيعُ وَيَهِشُّ الذُّبَابَ بِارتِعَاشَةِ جِلدِه المُرتَجِفَة،
حَيثُ كِيسُ الجُبنِ مُعَلَّقٌ فِي المطبَخ، وَمَسَانِدُ الخَشَبِ المُشتَعِلِ تُبَاعِدُ مَا بَينَ أَلوَاحِ المَوقِد، وَحَيثُ تَهوِي خُيُوطُ العَنكَبُوتِ فِي أَشرِطَةٍ مِن عَوَارِضِ السَّقف؛
حَيثُ تَهوِي المطَارِقُ، وَحَيثُ المطبَعَةُ تُدِيرُ اسطُوَانَاتِهَا،
حَيثُ يَدُق القَلبُ الإنسَانِي بِانفِعَالٍ رَهِيبٍ تَحتَ الضُّلُوع،
حَيثُ البَالونُ بِشَكلِ الكُمِّثرَاةِ يَطفُو عَالِيًا، (وَأَنَا نَفسِي أَطفُو فِيه وَأَنظُرُ هَادِئًا إِلَى الأسفَل)،

[*] القضاعة : ثَعلب الماء؛ حيوان طويل الذَّنَب، قصير القوائم.

حَيثُ عَرَبَةُ النَّجَاةِ تُسحَبُ بِالأُنشُوطَةِ المُنزَلِقَة، وَحَيثُ الحَرَارَةُ تُفقِسُ البَيضَ الأخضَرَ الفَاتِحَ فِي الرَّملِ المنبَعِج،

حَيثُ أُنثَى الحُوتِ تَستَحِم مَعَ عِجلِهَا وَلَا تَتَخَلَّى عَنه أَبَدًا،

حَيثُ السَّفِينَةُ البُخَارِيَّةُ تُجرجِرُ وَرَاءَهَا رَايَتَهَا الطَّوِيلَةَ مِن دُخَان،

حَيثُ ذَنَبُ القِرشِ قَاطِعٌ كَشَظِيَّةٍ سَودَاءَ خَارِجَ المَاء،

حَيثُ السَّفِينَةُ بِالشِّرَاعِين، نَصفُ المُحتَرِقَة، تَطفُو فِي تَيَّارَاتٍ مَجهُولَة،

حَيثُ تَنمُو القَوَاقِعُ عَلَى سَطحِهَا اللَّزِج، وَحَيثُ يَتَعَفَّن المَوتَى فِي الأسفَل؛

حَيثُ العَلَم المزدَحِمُ بِالنُّجُومِ مَرفُوعٌ عِندَ رَأسِ الكَتَائِب،

وَاصِلًا إِلَى مَانهَاتن عَبر الجَزِيرَةِ ذَات الامتِدَادِ الطَّوِيل،

وَتَحتَ نِياجَارَا، يَهوِي الشَّلَّالُ كَوِشَاحٍ عَلَى وَجهِي،

عَلَى عَتَبَةِ بَاب، عَلَى مَربَطِ الفَرَسِ المَجبُولِ مِن خَشَبٍ قَاسٍ بِالخَارِج،

عِندَ حَلَبَةِ سِبَاق، أَو مُستَمتِعًا بِالنُّزهَات أَو رَقصَاتِ "الـجِيج"[*] أَو مُبَارَاة بِيسبُول جَيِّدَة،

فِي المهرجَانَاتِ الرُّجُولِيَّة، مَع هُزءِ الوَغدِ، وَالفُجُورِ السَّاخِرِ، وَالرَّقصَاتِ الصَّاخِبَة، وَالشُّربِ، وَالضَّحِك،

عِندَ مَعمَلِ عَصِيرِ التُّفَّاح مُتَذَوِّقًا عُذُوبَةَ المَعجُونِ البُنِّي، مُمتَصًّا العَصِيرَ بِقَصَبَة،

عِندَ قِشرِ التُّفَّاح حَيثُ أُرِيدُ مُكَافَأتِي بِالقُبُلَاتِ عَلَى مَا وَجَدتُ مِن ثِمَارٍ حَمرَاء،

عِندَ التَّجَمُّعَاتِ، وَحَفلَاتِ الشَّاطِئ، وَاللِّقَاءَاتِ الوَدُودَة، وَتَجَمُّعَاتِ تَقشِير الذُّرَة، وتَشيِيدِ المَنَازِل؛

حَيثُ يَشدُو الطَّائِرُ المُحَاكِي بِقَرقَرَاتِه اللَّذِيذَة، يُقَوقِئ، يَصرُخُ، يَنتَحِب،

حَيثُ كَومَةُ التِّبنِ فِي فِنَاءِ المخزَن، وَحَيثُ السِّيقَانُ الجَافَّةُ مُبَعثَرَة، وَحَيث البَقَرَةُ الوَلُودُ تَنتَظِرُ فِي الحَظِيرَة،

حَيثُ يَتَقَدَّمُ الثَّورُ إِلَى دَورِه الذُّكُورِي، وَالجَوَادُ إِلَى المُهرَة، وَالدِّيكُ يَمشِي إِلَى الدَّجَاجَة،

---

[*] رقصة سريعة مفعمة بالحيوية.

حَيثُ العُجُولُ ترعَى، وَحَيثُ يَقضُمُ الأوز طَعَامَه بِارتِعَاشَاتٍ قَصِيرَة،
حَيثُ ظِلَالُ الغُرُوبِ تَغدُو طَوِيلَةً فَوقَ البَرَارِي اللَّانِهَائِيَّةِ وَالمَعزُولَة،
حَيثُ تَقُومُ قُطعَانُ الجامُوسِ البَرِّي بِالانتِشَارِ الزَّاحِفِ فِي الأميَالِ المُرَبَّعَةِ القَرِيبَةِ وَالبَعِيدَة،
حَيثُ يُتَلأْلأُ الطَّائِرُ الطَّنَّانُ، وحَيثُ رَقَبَةُ البَجعَةِ العَجُوز تَنحَنِي وَتَلتَوِي،
حَيثُ يَنطَلِقُ النَّورَسُ الضَّاحِكُ عِندَ الشَّاطِئ، وَحَيثُ يَضحَكُ بِمَا يُشبِه الضِّحكَةَ الإنسَانِيَّة،
حَيثُ تَصطَفُّ خَلَايَا النَّحلِ عَلَى دِكَّةٍ رَمَادِيَّةٍ بِالحَدِيقَةِ تَكَادُ تُخفِيهَا الأغصَانُ العَالِيَة،
حَيثُ طُيُورُ الحَجَلِ المُطَوَّقِ تَجثُم فِي حَلَقَةٍ عَلَى الأرض وَرُؤُوسُهَا بَارِزَة،
حَيثُ تَدخُلُ عَرَبَاتُ الدَّفنِ مِن الأبوَابِ المُقَوَّسَةِ لِلمَقبَرَة،
حَيثُ تَعوِي ذِئَابُ الشِّتَاءِ وَسطَ قِفَارِ الثُّلُوجِ وَأَشجَارِ الجَلِيدِ المُتَدَلِّي،
حَيثُ يَأتِي البَلَشُون بِتَاجِه الأصفَر إِلَى حَافَّةِ المُستَنقَع فِي اللَّيلِ وَيَغتَذِي عَلَى السَّرَطَانَات الصَّغِيرَة،
حَيثُ رَذَاذُ المُستَحِمِّين وَالغَوَّاصِين يُنعِشُ الظَّهِيرَةَ الدَّافِئَة،
حَيثُ الجُندُبُ يَصنَعُ قَصَبَتَه المُلَوَّنَةَ عَلَى شَجَرَةِ الجُوزِ فَوقَ البِئر،
خِلَالَ مِسَاحَاتِ اللَّيمُونِ وَالخِيَارِ بِالأورَاقِ ذَات العُرُوقِ الفِضِّيَّة،
خِلَال المَلَّاحَةِ أَو فُرجَةِ البُرتُقَال، أَو تَحتَ أَشجَارِ التَّنُّوب المخرُوطِي،
خِلَالَ مَبنَى الألعَابِ، خِلَالَ الصَّالُون مُسدَلِ السَّتَائِر، خِلَالَ المَكتَبِ أَو القَاعَةِ العمُومِيَّة؛
مَسرُورًا بِابنِ بَلَدَتِي وَمَسرُورًا بِالأجنَبِي، مَسرُورًا بِالجَدِيدِ وَالقَدِيم،
مَسرُورًا بِالمرأةِ العَادِيَّةِ شَأنَ المرأةِ المتَأَنِّقَة،
مَسرُورًا بِسَيِّدَةِ الكوِيكر وَهِيَ تَخلَعُ قَلنسُوَتَهَا وَتَتَحدَّثُ فِي تَنَاغُم،
مَسرُورًا بِنَبرَةِ الجُوقَةِ فِي الكَنِيسَةِ المطلِيَّةِ بِالأبيَض،

مَسرُورًا بِالكَلِمَاتِ الجَادَّةِ لِلوَاعِظِ المِيثُودِي[*] المتَصَبِّبِ عَرَقًا، المنفَعِلِ بِجِدِّيَّةٍ فِي
اجتمَاعِ المخَيَّمِ؛

مُتَطَلِّعًا إِلَى نَوَافِذِ الدَّكَاكِينِ فِي برُدوَايْ طُوَالَ صَدرِ النَّهَارِ، مُفَلطِحًا أَنفِي عَلَى لَوحِ
الزُّجَاجِ السَّمِيكِ،

مُتَجَوِّلًا فِي نَفسِ الأَصِيلِ وَوَجهِي مُستَدِيرٌ عَالِيًا إِلَى الغُيُوم، أَو مُطَأطِئًا عَلَى الدَّربِ أَو
بِامتِدَاد الشَّاطِئِ،

وَذِرَاعَايَ اليُمنَى وَاليُسرَى تَلتَفَّان حَولَ صَدِيقَين، وَأَنَا فِي المنتَصَفِ؛

عَائِدًا إِلَى بَيتِي مَعَ صَبِي الأدغَالِ الصَّامِت، أَسمَرِ الخَدَّين (يَركَبُ خَلفِي فِي ثَوبِ النَّهَارِ
المُجَعَّد)،

بَعِيدًا عَن التَّجَمُّعَاتِ أَدرِسُ آثَارَ أَقدَامِ الحَيَوَانَات، أَو آثَارَ المُوكَاسَان،

عِندَ السَّرِيرِ بِالمستَشفَى أَمُد عَصِيرَ اللَّيمُون إِلَى مَرِيضٍ محَمُوم،

قُربَ الجُثمَانِ المُكَفَّنِ حِين كُلُّ شَيءٍ سَاكِن، أَتَفَحَّصُ عَلَى ضَوءِ شَمعَة؛

مُرتَحِلًا إِلَى كُل مِينَاءٍ لِأُقَايِضَ وَأُغَامِر،

مُسرِعًا مَع الحَشدِ الحَدِيثِ مَلهُوفًا وَمُتَقَلِّبًا شَأنَ الجَمِيع،

غَاضِبًا مِمَّن أَكرَه، مُستَعِدًّا لأن أَطعَنَه فِي جُنُونِي،

وَحِيدًا فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ فِي بَاحَتِي الخَلفِيَّة، وَقَد مَضَت عَنِّي أَفكَارِي مُنذُ وَقتٍ طَوِيل،

قَاطِعًا التِّلَالَ العَتِيقَة فِي يهُودَا[**] مَعَ الرَّبِّ الجَمِيلِ الرَّقِيقِ إِلَى جِوَارِي،

مُسرِعًا خِلَالَ الفَضَاءِ، مُسرِعًا خِلَالَ النُّجُومِ وَالسَّمَاء،

مُسرِعًا وَسطَ الأَقمَارِ السَّبعَةِ وَالحَلقَةِ الوَاسِعَة، وَنِصفِ قُطرِ ثَمَانِين أَلفِ مِيل،

مُسرِعًا مَعَ شُهُبٍ مُذَنَّبَة، قَاذِفًا بِكُرَاتِ النَّارِ كَالبَاقِين،

حَامِلًا الهِلَالَ الطِّفلَ الذِي يَحمِلُ أُمَّه المكتَمِلَةَ فِي بَطنِه،

---

[*] **الميثودي**: المنتمي للحركة الدينية الإصلاحية، التي قادها في أكسفورد (عام 1729) تشارلز وجون ويزلي، محاولين بها إحياء كنيسة انجلترا.

[**] **يهودا** Judaea: تسمية يونانية رومانية- ورد ذكرها في "العهد القديم"- لمنطقة فلسطينية تمتد من ساحل البحر الميت باتجاه الغرب، وتشمل القدس والخليل وبئر سبع.

عَاصِفًا، مُبتَهِجًا، مُخَطِّطًا، عَاشِقًا، حَذِرًا،
مُتَرَاجِعًا وَمُحتَلًّا لِلمَكَانِ، مُتجَلِّيًا وَمُختَفِيًا،
أَقطَعُ لَيلَ نَهَارٍ مِثلَ هَذِهِ الدُّرُوب.

أَزُورُ بَسَاتِينَ الكَوَاكِبِ وَأَنظُرُ إِلَى النِّتَاج،
وَأَنظُرُ إِلَى الكِنتِليُونَات[*] النَّاضِجَةِ وَإِلَى الكِنتِليُونَات الخَضرَاء.
أُحَلِّقُ تَحلِيقَات رُوحٍ سَيَّالَةٍ وَاعِيَة،
وَطَرِيقِي يَمتَد أَسفَلَ مَوَاضِع سَبرِ الأغوَار.
أُسَاعِدُ بِنَفسِي مَا هُو مَادِّي وَغَيرِ مَادِّي،
لَا حَارِسَ يُمكِن أَن يُوقِفَنِي، لَا قَانُون يَمنَعُنِي.

لَا أُرسِي سَفِينَتِي إِلَّا لِبُرهَةٍ وَجِيزَة،
وَرُسُلِي يُبحِرُون بَعِيدًا دَائِمًا أَو يَأتُون بِغَنَائِمِهِم لِي.

أَمضِي لِاصطِيَادِ حَيَوَانَاتِ الفِرَاءِ القُطبِيَّةَ وَالفَقمَة، قَافِزًا فَوقَ المهَاوِي بِعَصًا مُدَبَّبَةٍ
كَالرُّمح، مُتَشَبِّثًا بِمَا يَتَدَاعَى مِن هَشِيمٍ وَزُرقَة.

أَصعَدُ إِلَى الشَّاحِنَة،
أَتَّخِذُ مَكَانِي آخِرَ اللَّيلِ فِي عُشِّ الغُرَاب،
نَمخُرُ البَحرَ القُطبِي الشَّمَالِي، وهُو مُفعَمٌ بِمَا يَكفِي مِن الضَّوء،
وَخِلَالَ الجَو الصَّافِي أَمُد بَصَرِي حَولِي فِي الجَمَالِ الرَّائِع،
كُتَلُ الجَلِيدِ الضَّخمَةُ تَجتَازُنِي وَأَجتَازُهَا، المشهَدُ رَائِقٌ فِي جَمِيعِ الاتِّجَاهَات،

[*] الكنتليون quintillion: عدد مؤلف من واحد وإلى يمينه 18 صفرًا [في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا]، أو 30 صفرًا [في بريطانيا وألمانيا].

الجِبَالُ ذَات القِمَمِ البَيضَاءِ تَبِينُ عَلَى البُعد، أَرمي بِخَيَالَاتِي إِلَيهَا،
نَقتَرِبُ مِن أَحَدِ مَيَادِين المَعَارِكِ العَظِيمَة التِي نُوشِكُ عَلَى الانخِرَاطِ فِيهَا،
نَجتَازُ المَوَاقِعَ الشَّاسِعَةَ لِلمُخَيَّمَات، نَجتَازُ بِأَقدَامٍ ثَابِتَةٍ وَحَذَر،
أَو ندخُلُ مِن الضَّوَاحِي إِلَى مَدِينَةٍ فَسِيحَةٍ مُدَمَّرَة،
وَالكُتَلُ وَالأَبنِيَةُ المُتَسَاقِطَةُ أَكثَرُ مِن جَمِيعِ مُدُنِ العَالَم الحَيَّة.

أَنَا رَفِيقٌ حُر، أُخَيِّمُ فِي العَرَاءِ بِاجتِيَاحِ نِيرَانِ الحِرَاسَة،
أَطرُدُ العَرِيسَ مِن السَّرِيرِ وَأَبقَى بِنَفسِي مَعَ العَرُوس،
أَضُمُّهَا بِقُوَّةٍ طُولَ اللَّيلِ إِلَى فَخذَيَّ وَشِفَتَيْ.

صَوتِي هُو صَوتُ الزَّوجَة، وَالصَّرِيرُ يَصدُرُ عَن سِيَاجِ السُّلَّم،
يُخرِجُون جَسَدِي الرُّجُولِيَّ غَرِيقًا يَقطُر.

إِنَّنِي أَفهَمُ القُلُوبَ الكَبِيرَةَ لِلأَبطَال،
شَجَاعَةَ الأَوقَاتِ الرَّاهِنَةِ وَكُلِّ الأَوقَات،
كَيفَ رَأَى الرَّبَّانُ حُطَامَ السَّفِينَةِ البُخَارِيَّةِ المُتَرَاكِمَ بِلَا دَفَّةٍ، وَالمَوتُ يُطَارِدُه أَعلَى وَأَسفَلَ العَاصِفَة،
كَيفَ تَفَانَى وَلَم يَتَرَاجَع وَلَو لِبُوصَةٍ، وكَانَ وَفِيًّا لِلأَيَّامِ وَوَفِيًّا لِلَّيَالِي،
وَكَتَبَ بِالطَّبَاشِيرِ بِحُرُوفٍ كَبِيرَةٍ عَلَى أَحَدِ الجَوَانِب، ***تَشَجَّعُوا، فَلَن نَتَخَلَّى عَنكُم؛***
كَيفَ تَابَعَهُم وَبَقِي مَعَهُم لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلَم يَستَسلِم،
كَيفَ أَنقَذَ الغَرقَى فِي النِّهَايَة،
كَيفَ بَدَت النسَاءُ الهَزِيلَاتُ مُهلهَلَاتُ الثِّيَابِ حِين نُقِلنَ بِالقَوَارِب مِن جَنبِ قُبُورِهِن المُهَيَّأَة،
كَيفَ كَانَ الأَطفَالُ الصَّامِتُون ذَوُو الوُجُوه الشَّائِخَةِ، وَالمرضَى المنقُولُون، وَالرِّجَالُ غَير

الحَلِيقِين مَزمُومُو الشِّفَاه؛
كُلُّ ذَلِكَ أَبتَلِعُه، مَذَاقُه طَيِّبٌ، أُحِبُّه فِعلًا، يُصبِحُ لِي،
أَنَا الإِنسَان، وَقَد عَانَيت، وَكُنتُ هُنَاك.

أَنَفَةُ الشُّهَدَاءِ وَسَكِينَتُهُم،
الأُمُّ الغَابِرَةُ، المُدَانَةُ بِمُمَارَسَةِ السِّحر، المُحتَرِقَةُ بِالأَخشَابِ الجَافَّةِ، وَأَطفَالُهَا يُحَدِّقُون فِيهَا،
العَبدُ المطَارَدُ بِالكِلَابِ الذِي يَذوِي فِي السِّبَاق، فَيَنحَنِي عَلَى السِّيَاجِ، لَاهِثًا، مُغَطًّى بِالعَرَق،
الوَخزَاتُ التِي تَلدَغُ كَإِبَرٍ رِجلَيه وَرَقَبَته، وَخردَقُ صَيدِ الأَيَائِل القَاتِلُ وَالرَّصَاص،
كُل ذَلِكَ أَشعُر بِه، أَو أَكُونُه.

أَنَا العَبدُ المطَارَد، أَجفُلُ عِندَ عَضَّةِ الكِلَاب،
يَحُط عَلَيَّ الجَحِيمُ وَاليَأسُ، وَالرُّمَاةُ يُفَرقِعُونَ وَيُفَرقِعُون مِن جَدِيد،
أَتَشَبَّثُ بِقُضبَانِ السِّيَاج، وَدَمِي يَقطُر، هَزِيلًا مَع نَزِيزِ جِلدِي،
أَهوِي عَلَى الأَعشَابِ وَالصُّخُور،
وَالفُرسَانُ يَنخِسُون أَحصِنَتَهُم الحرُونَ، يَصِيحُون قُربِي،
يُوبِّخُون سَاخِرِين أُذُنَيَّ المُشَوَّشَتَينِ وَيَضرِبُونَنِي بِعُنفٍ عَلَى رَأسِي بِمَقَابِضِ السِّيَاط.

العَذَابَاتُ هِي إِحَدَى تَغيِيرَاتِ مَلَابِسِي،
إِنَّنِي لَا أَسَأَلُ الجَرِيحَ عَمَا يُحِس، أَنَا نَفسِي أُصبِحُ الجَرِيح،
أَوجَاعِي تَزرَقُّ فِي جَسَدِي وَأَنَا أَنحَنِي عَلَى عُكَّازٍ وَأُرَاقِب.

أَنَا الإِطفَائِي المَهرُوسُ ذُو الصَّدرِ المُهَشَّم،

دَفَنَتنِي الجُدرَانُ السَّاقِطَةُ فِي أَنقَاضِهَا،
أَستَنشِقُ الحَرَارَةَ وَالدُّخَان، أَسمَعُ صَيحَاتِ رِفَاقِي الزَّاعِقَة،
أَسمَعُ القَرقَعَةَ البَعِيدَةَ لِمعَاوِلِهِم وَمَجَارِفِهِم،
لَقَد أَزَاحُوا العَوَارِضَ بَعِيدًا، وَيَرفَعُونَنِي قُدُمًا بِرِقَّة.

أَستَلقِي فِي هَوَاءِ اللَّيلِ فِي قَمِيصِي الأَحمَر، وَالصَّمتُ المُهَيمِن مِن أَجلِي،
بِلَا أَلَمٍ فِي النِّهَايَةِ أَستَلقِي مُستَنزَفًا لَكِن لَيسَ تَعِيسًا تَمَامًا،
بَيضَاءُ وَجَمِيلَةٌ الوُجُوهُ المُحِيطَةُ بِي، وَالرُّؤُوسُ عَارِيَةٌ مِن قُبَّعَاتِ الإِطفَاء،
وَيَذوِي الحَشدُ الرَّاكِعُ مَعَ ضَوءِ المَشَاعِل.

البَعِيدُون وَالمَوتَى يُبعَثُون،
يَبدُون كَقُرصِ السَّاعَةِ أَو يَتَحَرَّكُون كَيَدَيَّ، أَنَا نَفسِي السَّاعَة.

أَنَا مِدفَعِي عَجُوز، أَحكِي عَن قَصفِ قَلعَتِي،
أَنَا هُنَاكَ مِن جَدِيد.

مِن جَدِيدٍ قَرعُ الطُّبُولِ الطَّوِيل،
مِن جَدِيدٍ هُجُومُ المِدفَعِ وَالهَاوِنَات،
مِن جَدِيدٍ اِستِجَابَةُ المِدفَعِ لأُذُنَيَّ المُستَمِعَتَين.

أُشَارِك، أَرَى وَأَسمَعُ الكُل،
الصَّرخَات، اللَّعنَات، الهَدِير، صَيحَاتِ استِحسَانِ القَذَائِف السَّدِيدَة،
وَنَقَّالَةَ الإِسعَافِ الَّتِي تَمُر بَطِيئَةً تُجَرجِرُ نَزِيفَهَا الأَحمَر،
وَالعُمَّالَ البَاحِثِين بَعدَ الدَّمَار، وَيَقُومُون بِالتَّرمِيمَاتِ الضَّرُورِيَّة،

وَسُقُوطَ القَنَابِلِ اليَدَوِيَّةِ عَبرَ السَّقفِ المَتَصَدِّع، وَالانفِجَارَ الشَّبِيهَ بِالمروَحَة،
وَأَزِيزَ الأعضَاءِ، وَالرُّؤُوسِ، وَالحَجَرِ، وَالخَشَبِ، وَالحَدِيدِ، عَالِيًا فِي الهَوَاء.

مِن جَدِيدٍ يَتَحَشرَجُ فَمُ جِنرَالِي المُحتَضر، يُلَوِّحُ بِغَضَبٍ بِيَدِه،
يَلهَثُ خِلَالَ الجَلطَة ***لا تَهتَم بِي – اهتَم- بِالتَّحصِينَات.***

[34]

الآنَ أُخبِرُكُم بِمَا عَرَفتُ فِي تِكسَاس فِي شَبَابِي المُبَكِّر،
(لَن أُخبِرَكُم بِسُقُوطِ "أَلَامُو"،
فَمَا مِن أَحَدٍ نَجَا لِيَحكِي عَن سُقُوطِ "أَلَامُو"،
فَالمَائَةُ وَالخَمسُون مَا يزَالُون خُرسًا حَتَّى الآن فِي "أَلَامُو")،
هِي حِكَايَةُ القَتلِ بِدَمٍ بَارِدٍ لأربَعمَائَةٍ وَاثنَي عَشرَ شَابًّا.
فِي تَقَهقُرِهِم شَكَّلُوا مُرَبَّعًا أجوَف بِأمتِعَتِهِم كَمَتَارِيس،
وَالثَّمَنُ المسبَقُ الذِي تَقَاضُوه كَانَ تِسعمَائَة شَخصٍ مِن أَعدَائِهِم المُحَاصِرِين لَهُم، تِسعَةَ أَضعَاف عَدَدِهِم،
جُرِح قَائِدُهُم وَذَخِيرَتُهُم نَفِدَت،
تَفَاوَضُوا عَلَى استِسلَامٍ مُشَرِّفٍ، وَتَلَقُّوا مَوَاثِيقَ وَأَختَامًا، فَسَلَّمُوا أَسلِحَتَهُم وَاقتِيدُوا أَسرَى حَرب.

كَانُوا مَجدَ قُوَّةِ الجَوَّالَة،
بِلَا نَظِيرٍ مَعَ الخُيُولِ، وَالبَنَادِقِ، وَالغِنَاءِ، وَالعَشَاءِ، وَالغَزَل،
ضِخَامٌ، عَنِيفُون، كُرَمَاء، وَسِيمُون، فَخُورُون، وَمُتقِدُون بِالعَاطِفَة،
مُلتَحُون، مَسفُوعُون بِالشَّمسِ، يَرتَدُون مَلَابِس الصَّيَّادِين المُتَحَرِّرَة،
وَمَا مِن أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِين مِن عُمرِه.

صَبَاحَ اليَومِ التَّالِي جِيءَ بِهِم مَجمُوعَات وَذُبِحُوا، كَانَت بِدَايَات الصَّيفِ الجَمِيلَة،
بَدَأ العَمَلُ فِي نَحوِ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ وَانتَهَى فِي الثَّامِنَة.

مَا مِن أَحَدٍ أَطَاعَ الأمرَ بِالرُّكُوع،
قَامَ البَعضُ بِاندِفَاعَةٍ مَجنُونَةٍ يَائِسَة، وَبَعضُهُم انتَصَبَ صَارِمًا مُستَقِيمًا،
قَلَائِلُ سَقَطُوا عَلَى الفَور، وَالرَّصَاصُ فِي الصِّدغ أَو القَلبِ، وَرَقَد الأَحيَاءُ وَالمَوتَى مَعًا،
المَبتُورُون وَالمُشَوَّهُون يَحفُرُون فِي التُّرَابِ، رَآهُم القَادِمُون الجُدُد هُنَاك،
بَعضُ أَنصَافِ القَتلَى حَاوَلُوا الزَّحفَ بَعِيدًا،
فَقُتِلُوا بِالحِرَابِ أَو هُشِّمُوا بِكُعُوبِ البَنَادِق،
أَمسَكَ شَابٌّ لَا يَبلُغُ السَّابِعَةَ عَشرَة بِقَاتِلِه إِلَى أَن أَتَى اثنَان آخَرَانِ لِيُخَلِّصَاه،
تَمَزَّقَ الثَّلَاثَةُ وَتَغَطَّوا بِدَمِ الصَّبِي.

فِي السَّاعَةِ الحَادِيَةِ عَشرَة بَدَأ حَرقُ الأَجسَاد؛
تِلكَ هِي حِكَايَةُ قَتلِ الأَربَعمَائَة واثنَي عَشر شَابًّا.

[35]

أَتُرِيدُون أَن تَسمَعُوا عَن قِتَالٍ بَحرِيٍّ قَدِيم؟
أَتُرِيدُون أَن تَعرِفُوا مَن كَسِبَ عَلَى ضَوءِ القَمَرِ وَالنُّجُوم؟
فَاستَمِعُوا إِلَى الحِكَايَةِ، كَمَا رَوَاهَا لِي وَالِدُ جَدَّتِي البَحَّار.
أَقُولُ لَكُم (قَال)، إِن عَدُوَّنَا لَم يَكُن خَوَّافًا فِي سَفِينَتِه،
كَانَ شُجَاعًا إِنجِلِيزِيًّا بِالتَّأكِيد، وَلَيسَ هُنَاك- وَلَن يَكُون- مَن هُو أَقوَى أَو أَصدَق مِنه؛
طُوَالَ المَسَاءِ الهَابِطِ ظَل يَقذِفُنَا بِالمَدَافِعِ بِصُورَةٍ مُرعِبَة.

اشتَبَكنَا مَعَه، وَتَشَابَكَت الأَشرِعَة، وَتَلَامَسَت المَدَافِع،

وَقَائِدُنَا يُطلقُ النَّارَ بِنَفسِه، بِسُرعَة.

تَلَقَّينَا قَصفَاتٍ زِنَةَ ثَمَانِيَةَ عَشرَ رَطلًا تَحتَ المَاءِ،
وَعَلَى سَطحِ المَدفَعِيَّةِ السُّفلِيَّة انفَجَرَت فِي بِدَايَةِ القَصفِ قُنبُلَتَان ضَخمتَان، لِتَقتُلَا كُلَّ مَن حَولَهُمَا مُتَطَايِرَةً فَوقَ الرُّؤُوس.

نُقَاتِلُ فِي الغُرُوب، نُقَاتِلُ فِي الظَّلَام،
فِي العَاشِرَةِ مَسَاءً، اكتَمَلَ القَمرُ عَالِيًا، وَالشُّقُوقُ فِي ازدِيَاد، وَتَسَرَّبَ المَاءُ بِارتِفَاعِ خَمسَةِ أَقدَام،
وَأَطلَقَ ضَابِطُ الشُّرطَةِ البَحرِيَّة السُّجَنَاءَ المُكَبَّلِين فِي العَنبَرِ لِيَمنَحَهُم فُرصَةَ النَّجَاةِ بِأَنفُسِهِم.
أَوقَفَ الحُرَّاسُ الآن الانتِقَالَ مِن وَإِلَى مَخزَنِ السِّلَاح،
فَهُم يَرَون وُجُوهًا كَثِيرَةً غَرِيبَةً فَلَا يَدرُون مَن هُم مَحَلُّ ثِقَة.

اشتَعَلَت النِّيرَانُ فِي فرقَاطَتِنَا،
وَسَأَلَتنَا الأُخرَى إِن كُنَّا نَطلُبُ الاستِسلَام؟
إِن كَانَت أَعلَامُنَا قَد نُكِّسَت وَالقِتَالُ قَد انتَهَى؟

الآنَ أَضحَكُ رَاضِيًا، فَأَنَا أَسمَعُ صَوتَ قَائِدِي الصَّغِير،
لَم نُنَكِّس أَعلَامَنَا، يَصرُخُ رَابِطَ الجَأشِ، *لَقَد بَدَأنَا لِتَوِّنَا دَورَنَا فِي المَعرَكَة*.

ثَلَاثَةُ مَدَافِع فَحَسب هِي المستَخدَمَة،
وَاحِدٌ يُوَجِّهُه القَائِدُ بِنَفسِه ضِد الشِّرَاعِ الرَّئِيسِي لِلعَدُو،
وَاثنَان مَدَجَّجَانِ جَيِّدًا بِالرَّشَّاشَاتِ التِي تُسكِت أَسلِحَته الصَّغِيرَة وَتُخلِي سُطُوحَه.

وَحدَهَا المنصَّاتُ- وبخاصةٍ الرَّئيسِيَّة- هِي التِي دَعَّمَت نِيرَانَ هَذِهِ البَطَّارِيَّةِ الصَّغِيرَة، فَصَمَدُوا بِشَجَاعَةٍ طُوَالَ الاشتِبَاك.

لَا تَتَوَقَّفُ النِّيرَانُ لِلَحظَة،
وَتَسَرُّبُ المِيَاه يَغمُرُ بِسُرعَةٍ المِضَخَّات، وَتَنتَشِرُ النِّيرَانُ فِي اتِّجَاهِ مَخزَنِ البَارُود.
أَصَابَت قَذِيفَةٌ إِحدَى المِضَخَّاتِ، وَاعتَقَدنَا عُمُومًا أَنَّنا نَغرق.
هَادِئًا يَقِفُ القَائِدُ الصَّغِير،
بِلَا عَجَلَةٍ، وَصَوتُه لَا هُو بِالعَالِي وَلَا الخَفِيض،
وَعَينَاه تَمنَحُنَا ضِيَاءً بِأَكثَرَ مِن مَشَاعِلِ المَعركَة.
فِي نَحوِ الثَّانِيَةِ عَشرَة عَلَى أَشِعَّةِ القَمَر استَسلَمُوا لَنَا.

[36]

مُتَمَدِّدًا وَسَاكِنًا يَرقُدُ مُنتَصَفُ اللَّيل،
وَهَيكَلَان عَظِيمَان بِلَا حِرَاكٍ عَلَى صَدرِ الظَّلَام،
سَفِينَتُنَا مَنخُورَةٌ بِالثُّقُوبِ وَتَغُوصُ بِبُطءٍ، وَاستِعدَادَاتٌ لِلانتِقَالِ إِلَى الأُخرَى التِي ظَفِرنَا بِهَا،
القَائِدُ- عَلَى سَطحِ العَنبَرِ- يُصدِرُ أَوَامِرَه بِبُرُودٍ بِمَلَامِح شَاحِبَةٍ كَوَرَقَة،
وَقُربَ جُثَّةِ الصَّبِي الذِي كَانَ يَعمَلُ فِي الكَابِينَة،
الوَجهُ المَيِّتُ لِمَلَاحٍ عَجُوز بِشَعرٍ طَوِيلٍ أَبيَض وَسَوَالِف مُلتَفَّةٍ بِعِنَايَة،
وَاللَّهَبُ الذِي يَشُبُّ فِي كُلِّ شَيء يُرسِلُ الشَّرَرَ إِلَى أَعلَى وَأَسفَل،
وَالأَصوَاتُ المبحُوحَةُ لاثنَين أَو ثَلَاثَةِ ضُبَّاط مَا يَزَالَان قَادِرِين عَلَى القِيَامِ بِالوَاجِب،
شَائِهَةٌ أَكدَاسُ الجُثَثِ وَالجُثَثُ نَفسُهَا، وَأَشلَاءٌ مِن لَحمٍ عَلَى الصَّوَارِي وَأَعمِدَةِ السُّفُن،
مِزقَةُ حَبلٍ، تَتَدَلَّى مِن حِبَالِ الأَشرِعَةِ، وَصَدمَةٌ خَفِيفَةٌ فِي سُكُون الأَموَاج،
مَدَافِعُ سَودَاءُ خَامِدَةٌ، وَنُثَارٌ مِن أَكدَاسِ بَارُود، وَرَائِحَةٌ قَوِيَّة،

عِدَّةُ نُجُومٍ كَبِيرَة فِي الأعلَى، ضِيَاءٌ صَامِتٌ وَجنَائِزِي،
أنفَاسٌ رَهِيفَةٌ مِن نَسِيمِ البَحر، وَرَوَائِحُ نَبَاتِ البَردِي وَالحُقُول عِندَ الشَّاطِئ، وَرَسَائِلُ المَوتِ فِي عُهدَةِ النَّاجِين،
هَسِيسُ سِكِّين الجَرَّاح، وَالأسنَانُ القَاضِمَةُ لِمنشَارِه،
أَزِيزٌ وَبَقبَقَةٌ وَاندِفَاعُ الدَّمِ المتَسَاقِطِ، صَرخَةٌ وَحشِيَّةٌ قَصِيرَة، وَآهةٌ مَدِيدَةٌ، بَطِيئَةٌ، مُتَنَاقِصَة،
هَؤُلَاء، هُم مَا لَا يُستَعَاد.

[37]

أَيُّهَا المُتَلَكِّئُون هُنَاكَ انتِبَاه! إِلَى أَسلِحَتِكُم!
يَتَزَاحَمُون عَلَى الأبوَابِ المنهَارَة! أَنَا مَمسُوس!
أَنَا تَجسِيدُ كُلِّ حُضُورٍ طَرِيدٍ أَو مُعَذَّب،
أَرَى نَفسِي فِي السِّجنِ فِي هَيئَةِ إِنسَانٍ آخَر،
وَأَشعُرُ بِالأَلَمِ المُمِض المَدِيد.

مِن أَجلِي يَحمِلُ حُرَّاسُ المُدَانِين بَنَادِقَهُم وَيُوَاصِلُون الحِرَاسَة،
فَأَنَا مَن يُفرَجُ عَنه فِي الصَّبَاح وَيُسجَنُ فِي اللَّيل.

مَا مِن جُندِيٍّ مُتَمَرِّدٍ يَمشِي مُقَيَّدَ اليَدَين إِلَى السِّجن إِلَّا وَأَنَا مُقَيَّدٌ بَدَلًا مِنه وَأَمشِي إِلَى جِوَارِه،
(أَنَا الأَقَلُّ فَرحًا هُنَاك، وَالأَكثَرُ صَمتًا مَعَ العَرَقِ عَلَى شَفَتَيَّ المُلتَوِيَتَين).

مَا مِن شَاب يُقبَضُ عَلَيهِ بِتُهمَةِ السَّرِقَة إِلَّا وَأمضِي مَعَه أَيضًا، وَأُحَاكَم وَيُحكَمُ عَلَيَّ.
مَا مِن مَرِيضٍ بِالكُولِيرَا يَرقُدُ فِي حَشرَجَتِه الأخِيرَة إِلَّا وَأَرقُدُ أَنَا أَيضًا فِي حَشرَجَتِي

الأخِيرَة،
وَجهِي بِلَونِ الرَّمَادِ، وَأَعصَابِي تعوِي، وَالنَّاسُ يَتَرَاجَعُون بَعِيدًا عَنِّي.

الشَّحَّاذُون يُجَسِّدُون أَنفُسَهُم فِيَّ وَأَنَا أَتَجَسَّدُ فِيهِم،
أَمُدُّ قُبَّعَتِي، أَجلِسُ وَوَجهِي فِي خِزي، وَأَتسَوَّل.

[38]

كَفَى! كَفَى! كَفَى!
صُدِمتُ عَلَى نَحوٍ مَا. تَرَاجَعُوا!
امنَحُونِي بُرهَةً بَعدَ رَأسِي المضرُوبَة، والنُّعَاسِ، وَالأحلَامِ، وَالهَذَيَان،
إِنَّنِي أَكتَشِف نَفسِي عَلَى حَافَّةِ خَطَأ اعتِيَادِي.

أَنَّنِي يُمكِنَنِي نِسيَان السَّاخِرِين وَالإهَانَات!
أَنَّنِي يُمكِنَنِي نِسيَان الدُّمُوع المُنهَمِرَة وَضَربَاتِ الهِرَاوَاتِ وَالمَطَارِق!
أَنَّنِي يُمكِنَنِي النَّظَرُ، نَظرَةً مُستَقِلَّةً، عَلَى صَلْبِي وَتَتوِيجِي الدَّمَوِي.

أَتَذَكَّر الآن،
أَستَعِيدُ الجُزءَ البَاقِي،
القَبرُ الحَجَرِيُّ يُضَاعِفُ مَا فِيه، أو مَا فِي أَيِّ قَبر،
المَوتَى يَنهَضُون، تُشفَى الجِرَاحُ، وَالأَغلَالُ تَسقُطُ عَنِّي.

أَندَفِعُ مُحتَشِدًا إِلَى الأَمَام مُفعَمًا بِقُوةٍ خَارِقَة، وَاحِدًا فِي مَوكِبٍ عَادِيٍّ لَا يَنتَهِي،
نَمضِي عَلَى اليَابِسَةِ وَشَاطِئِ البَحر، وَنَجتَازُ كُل خُطُوطِ الحُدُود،
أَوَامِرُنَا المفَاجِئَةُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الأَرض كُلِّهَا،

وَالوُرُودُ التِي نَضَعُهَا فِي قُبَّعَاتِنَا هِي نَمَاءُ آلَافِ السِّنِين.

أَيُّهَا التَّلَامِيذ، سَلَامًا! إِلَى الأَمَام!
وَاصِلُوا مُلَاحَظَاتِكُم، وَاصِلُوا أَسئِلَتَكُم.

[39]

هَذَا المُتَوَحِّشُ الوَدُودُ الظَّرِيفُ، مَن يَكُون؟
أَهوَ يَنتَظِرُ الحَضَارَةَ، أَم تَجَاوَزَهَا وَيمتَلِكُهَا؟
أَهوَ جَنُوبِيٌّ غَربِيٌّ تَرَبَّى فِي البَرِّيَّة؟ أَهوَ كَنَدِي؟
أَهوَ مِن بَلَدَةِ المِيسِيسِيبِّي؟ أيوَا، أُورِيجُون، كَالِيفُورنِيَا؟
مِن الجِبَال؟ مِن حَيَاةِ البَرَارِي، حَيَاةِ الأَحرَاج؟ أَم بَحَّارٌ مِن البَحر؟
أَينَمَا يَمضِي يَتَقَبَّله الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَيَرغَبُونَه،
يَرغَبُون فِي أَن يُصبِحَ مِثلَهُم، يَلمَسهُم، يُكَلِّمَهم، يَبقَى مَعَهُم.

سُلُوكٌ بِلَا قَانُون كَنُثَارِ الثُّلُوج، كَلِمَاتٌ بَسِيطَةٌ كَالعُشب، شَعرٌ أَشعَث، ضَحِكٌ، وَبِدَائِيَّـة،
أَقدَامٌ مُتَمَهِّلَةُ الخُطَى، مَلَامِحُ عَادِيَّة، حَالَاتٌ وَإِشرَاقَاتٌ عَادِيَّة،
تَتَنَزَّل فِي أَشكَالٍ جَدِيدَةٍ مِن أَطرَافِ أَنَامِلِه،
مُنبَعِثَةً مَعَ رَائِحَةِ جَسَدِه أَو نَفسِه، مُنطَلِقَةً مُحَلِّقَةً مِن نَظرَةِ عَينَيه.

[40]

يَا ازدِهَاءَ شُرُوقِ الشَّمسِ، لَا أَحتَاجُ إِلَى نِعمَتِكَ الكَاذِبَةِ فِي الأَعَالِي!
فَأنتَ تُضِيءُ السُّطُوحَ وَحدَهَا، وَأَنَا أَقتَحِمُ السُّطُوحَ وَأَيضًا الأَعمَاق.
أَيَّتُهَا الأَرض! يَبدُو أَنَّكِ تَتَطَلَّعِين إِلَى شَيءٍ مَا فِي يَدَيْ،

قُولِي، يَا حِليَةَ الرَّأسِ العَتِيقَة، مَاذَا تُرِيدِين؟

رَجُلاً كُنتَ أَو امرَأَةً، قَد أَقُول كَم أُحِبُّك، لَكِنِّي لَا أَستَطِيع،
وَقَد أَقُول مَا يَكمُنُ دَاخِلِي وَمَا يَكمُنُ دَاخِلَك، لَكِنِّي لَا أَستَطِيع،
وَقَد أَقُول مَا بِدَاخِلِي مِن شَوق، مِن نَبضِ لَيَالِيَّ وَنَهَارَاتِي.

انتَبِهُوا، فَأَنَا لَا أُلقِي مُحَاضَرَاتٍ أَو صَدَقَةً صَغِيرَة،
فَحِين أُعطِي أُعطِي نَفسِي.

وَأنتُم هُنَاك، أَيُّهَا العَاجِزُون، بِارتِخَاءِ الرُّكَب،
افتَحُوا أَفوَاهَكُم المُغَطَّاةَ لأنفُخَ فِيكُم العَزم،
مُدُّوا أَكُفَّكُم وَارفَعُوا حَوَاشِي جُيُوبِكُم،
فَلَستُ نَكِرَةً، إِنَّنِي قَادِر، وَلَدَيَّ مَخَازِنُ كَثِيرَةٌ وَوَفِيرَة،
وكُلُّ مَا أَملِكُه أَمنَحُه.
لَا أَسأَلُ مَن أَنت، فَذَلِكَ لَا يَعنِينِي،
يُمكِنُكَ أَلَّا تَفعَلَ شَيئًا وَتَكُون لَا شَيء سِوَى مَا سَأجبِلُكَ عَلَيه.

إِلَى كَادِحِ حَقلِ القُطن أَو مُنَظِّفِ المَرَاحِيضِ أَنحَنِي،
عَلَى خَدِّه الأَيمَن أَطبَعُ قُبلَةَ الأُسرَة،
وَأُقسِمُ بِدَاخِلِي أَنِّي لَن أُنكِرَه أَبَدًا.

لِلنِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ لِلحَمل أبتَدِئُ أَطفَالًا ضِخَامًا وَأَكثَرَ ذَكَاءً.
(اليَومَ أَتَدَفَّقُ بِأفعَالِ جُمهُورِيَّاتٍ أَسمَى بِكَثِير).
إِلَى أَيِّ مُحتَضرٍ، أُسرِعُ إِلَى هُنَاك وَأُدِيرُ مِقبَضَ البَاب.

أَطوِي ملَاءَاتِ السَّرِير نَحوَ مُؤَخِّرَةِ السَّرِير،
وَأَطلُبُ مِن الطَّبِيبِ وَالكَاهِنِ أَن يُغَادِرَا البَيت.

أُمسِكُ بِالرَّجُلِ المتَهَاوِي وَأرفَعُه بِإرَادَةٍ قَاهِرَة،
أَيُّهَا اليَائِس، هَا هِي عُنُقِي،
وَالله، لَن تَهوِي! فَضَع كُلَّ ثِقَلِك عَلَيْ.

إِنَّنِي أَنفُخُ فِيكَ نَفَسًا هَائِلًا، أَدعَمُك،
إِنَّنِي أَملأُ كُل غُرفَةٍ مِن المَنزِل بِقُوَّةٍ مُسَلَّحَة،
بِعُشَّاقِي، مَن يُربِكُون القُبُور.

فَلتَنَم – فَأَنَا وَهُم سَنَظَل حُرَّاسًا طُوَال اللَّيل،
بِلَا شَك، لَا مَيِّتَ سَيَجرُؤ عَلَى أَن يَرفَعَ إِصبَعًا فِي وَجهِك،
لَقَد عَانَقتُك، وَمِن الآن أَمتَلِكُكَ لِنَفسِي،
وَحِينَ تَصحُو فِي الصَّبَاح سَتَجِدُ صَحِيحًا مَا أَقُولُه لَك.

[41]

أَنَا مَن يُنجِدُ المَرضَى وَهُم يَلهَثُون عَلَى ظُهُورِهِم،
وَلِلرِّجَالِ الأَشِدَّاءِ المُنتَصِبِين آتِي لَهُم بِالعَونِ الأَكثَرِ إِلحَاحًا.

لَقَد سَمِعتُ مَا قِيلَ عَن الكَون،
سَمِعتُه وَسَمِعتُه مُنذُ آلَافِ السِّنِين؛
إِنَّه وَسَطِيٌّ جَيِّدٌ بِقَدرِ مَا هُو نَاجِعٌ – لَكِن أَهَذَا كُلُّ شَيء؟
مُسَبِّحًا وَنَاشِرًا (تَعَالِيمِي) أَجِيء،

مُزَايِدًا فِي البِدءِ عَلَى قدَامَى المسَاوِمِين الحَذِرِين،
مُتَّخِذًا لِنَفسِي أَبعَادَ يَهوَه الكَامِلَة،
مُنطَبِعًا بِكُرُونُوس، وَابنِه زيُوس، وَهِرقَل حَفِيدِه،
مُؤمِنًا بِقُدرَاتِ أُوزُورِيس، وإِيزِيس، وَبِيلُوس، وَبرَاهمَا، وَبُوذَا،
وَفِي حَقِيبَةِ أَورَاقِي أَضَعُ مَانِيتُو طَلِيقًا، وَاللهَ عَلَى وَرَقَةِ شَجَر، وَالمَصلُوبَ محَفُورًا،
مَعَ أُودِين وَمِكسِيتلِي ذِي الوَجهِ البَشِعِ وَكُلِّ وَثَنٍ وَصُورَة[*]،
فَأنظُرُ إِلَيهِم وِفقَ مَا هُم جَدِيرُون بِه بِلَا أَدنَى زِيَادَة،
مُعتَرِفًا أَنَّهُم كَانُوا أَحيَاءً وَقَامُوا بِوَاجِبِهِم فِي زَمَنِهِم،
(لَقَد حَمَلُوا الفُتَاتَ إِلَى الطُّيُورِ الزُّغبَاءِ التِي عَلَيهَا الآنَ أَن تَنهَضَ وَتُحَلِّقَ وَتُغَنِّي بِنَفسِهَا)،
قَابِلًا بِالتَّخطِيطَاتِ الأَوَّلِيَّةِ الإِلَهِيَّةِ لِأَملَأَ الفَرَاغَ فِي نَفسِي بِصُورَةٍ أَفضَل، وَأُضفِيهَا مجَّانًا عَلَى كُلِّ رَجُلٍ أَو امرَأَةٍ أَرَاهَا،
مُكتَشِفًا الكَثِيرَ أَو الأَكثَرَ فِي مُصَمِّمٍ وَهو يُصَمِّمُ أَحَدَ المَنَازِل،
طَارِحًا عَلَيهِ رُؤًى رَفِيعَةً وَهو يَعمَلُ هُنَاكَ - مُشَمَّرَ الأَكمَامِ- بِالمِطرَقَةِ وَالإِزمِيل،
بِلَا اعتِرَاضٍ عَلَى أَيَّةِ إِلهَامَاتٍ، مُعتَبِرًا حَلقَةَ دُخَانٍ أَو شَعرَةً عَلَى ظَهرِ يَدِي أَمرًا مُثِيرًا كَأَيِّ إِلهَام،
وَشُبَّانُ المَطَافِئِ وَحِبَالُ الخُطَّافِ وَالسَّلَالِم لَيسُوا بِأَقَل عِندِي مِن آلِهَةِ الحُرُوبِ الغَابِرَة،
مُتَأَمِّلًا أَصوَاتَهُم تَرِنُّ خِلَالَ حُطَامِ الدَّمَار،
وَأَعضَاءَهُم المَفتُولَةَ تَمُر سَالِمَةً فَوقَ الأَلوَاحِ المُحتَرِقَةِ، وَجِبَاهَهُم البَيضَاءَ سَالِمَةً بِلَا أَذًى مِن النِّيرَان؛
إِلَى جِوَارِ زَوجَةِ المِيكَانِيكِيِّ وَرَضِيعُهَا عِندَ حَلمَتِهَا، مُتَشَفِّعًا لِكُلِّ وَلِيد،
وَثَلَاثَةُ مَنَاجِلَ تَئِزُ فِي الحَصَادِ صَفًّا وَاحِدًا مِن ثَلَاث زَوَايَا حَيَوِيَّةٍ مَعَ قُمصَانٍ مُنتَفِخَةٍ

---

[*] أُودِين Odin: رب الأرباب في الميثولوجيا الجرمانية. مِكسِيتلِي Mexitli: قائد عظيم أسطوري وكاهن للحرب لدى شعب "الأزتيك"، فيما أصبح يعرف بالمكسيك.

فِي الخُصُور،
وَالسَّائِسُ ذُو الأسنَانِ النَّاتِئَةِ وَالشَّعرِ الأحمَر يَغفِرُ الخَطَايَا المَاضِيَةَ وَالآتِيَة،
وَهو يَبِيعُ كُلَّ مَا يَملِكُ، مُرتَجِلًا عَلَى الأقدَامِ لِيَدفَعَ لِلمُحَامِين عَن أَخِيه وَيَجلِسَ بِجَانِبِه
وَهوَ يُحَاكَم عَلَى التَّزوِير؛
وَمَا تَنَاثَر فِي التَّنَاثُرِ الغَزِيرِ فِي القَصَبَةِ المرَبَّعَةِ حَولِي، دُونَ أَن يَملأَ القَصَبَةَ المرَبَّعَة،
وَالثَّورُ وَالخُنفسَاءُ لَم يُعبَدَا أَبَدًا نِصفَ مَا يَستَحِقَّان،
وَالرَّوثُ وَالقَذَارَةُ أَكثَرُ إِثَارَةً لِلإعجَابِ مِمَّا حُلِم بِه،
لَا اعتِبَارَ لِمَا هُو خَارِق، فَأَنَا نَفسِي أَنتَظِرُ زَمَنِي لأكُونَ أَحَدَ السَّامِين،
وَسَيَكُونُ اليَومُ مُتَاحًا لِي حِين أَقُومُ بِأفضَل مَا يُمكِن، وَأَكُون مُذهِلًا؛
فِي غَالِبِ حَيَاتِي! فَأُصبِح بِالفِعلِ مُبدِعًا،
وَاضِعًا نَفسِي هُنَا وَالآنَ فِي رَحِمِ الظِّلَالِ الكَامِن.

[42]

نِدَاءٌ وَسطَ الزِّحَام،
هُو صَوتِي، جَهوَرِيًّا جَارِفًا وَنِهَائِيًّا.
فَتَعَالَوا يَا أَبنَائِي،
تَعَالَوا يَا أَولَادِي وَبَنَاتِي، يَا نِسَائِي، يَا أَهلَ بَيتِي وَالمُقَرَّبين،
الآن يُطلِقُ العَازِفُ وَترَه، بَعدَ أَن أَنهَى افتِتَاحِيَّتَه عَلَى النَّايَات بِالدَّاخِل.

أَيَّتُهَا الأوتَارُ السَّلِسَةُ طَلِيقَةُ الأصَابِعِ - إِنَّنِي أُحِسُّ بِدَندَنَةِ ذُروَتِكِ وَخَاتِمَتِك.

رَأسِي تَدُور عَلَى عُنُقِي،
تَنسَابُ المُوسِيقَى، لَكِن لَيسَ مِن الأُرغُن،
وَالجُمهُورُ حَولِي، لَكِن لَا أَحَدَ مِن أَهلِ بَيتِي.
أَبَدًا هِي الأَرضُ الصَّلدَةُ الصَّامِدَة،

أَبَدًا هُم الآكِلُون وَالشَّارِبُون، أَبَدًا هِي الشَّمسُ المُشرِقَةُ وَالغَارِبَةُ، أَبَدًا هُو الهَوَاءُ وَالمَدُّ الدَّائِم،
أَبَدًا أَنَا نَفسِي وَجِيرَانِي، مُنتَعِشِين، أَوغَادًا، وَحَقِيقِيِّين،
أَبَدًا هُو السُّؤَالُ القَدِيمُ العَصِيُّ، أَبَدًا هُو ذَلِكَ الإبهَامُ المَوخُوز، أَنفَاسُ اللَّهفَةِ وَالظَّمَأ،
أَبَدًا هُو *استِهزَاءُ* المُستَفِز! *استِهزَاء*! إِلَى أَن نَعثُرَ عَلَى مَخبَأ الشَّخصِ الخَبِيث وَنَأتِي بِه،
أَبَدًا هُو الحُب، أَبَدًا هُو مَاءُ الحَيَاةِ البَاكِي،
أَبَدًا هُو الضِّمَادُ تَحتَ الذَّقنِ، أَبَدًا هُو حَامِلُ المَوت.

هُنَا وَهُنَاك يَمشُون وَالنُّقُودُ عَلَى عُيُونِهِم،
لِيُطعِمُوا شَرَاهَةَ البُطُونِ وَالرُّؤُوس تَغرِفُ بِحُرِّيَّة،
يَشتَرُون التَّذَاكِرَ، يَأخُذُون، يَبِيعُون، لَكِنَّهُم لَا يَذهَبُون ذَاتَ مَرَّةٍ أَبَدًا إِلَى الاحتِفَالِ الدِّينِي،
يَعرَقُ الكَثِيرُون، يَحرُثُون، يَدرسُون القَمح، وَبَعدَهَا يَتَلَقُّون التِّبنَ أَجرًا لَهُم،
وَقِلَّةٌ تَمتَلِكُ فِي بَطَالَةٍ، وَيُطَالِبُون دَائِمًا بِالقَمح.
هَا هِي المَدِينَة وَأَنَا أَحَدُ المُوَاطِنِين،
مَا يَهم البَاقِين يَهُمُّنِي، السِّيَاسَةُ، الحُرُوبُ، الأَسوَاقُ، الجَرَائِدُ، المَدَارِس،
العُمدَةُ وَالمَجَالِسُ، البنُوكُ، التَّعرِيفَاتُ، السُّفُن البُخَارِيَّةُ، المصَانِعُ، البَضَائِعُ، الدَّكَاكِين، العقَارَاتُ وَالأَملَاكُ الشَّخصِيَّة.

فَتَيَاتُ المَانِيكَانِ الصَّغِيرَاتُ الكَثِيرَاتُ يَتَقَافَزن هُنَا وَهُنَاك فِي يَاقَاتٍ وَمَعَاطِفَ ذَات ذُيُول،
أُدرِكُ مَن هُن، (بِالتَّأكِيد لَسنَ دِيدَانًا أَو بَرَاغِيث)،
إِنَّنِي أَعتَرِفُ بِأَمثَالِي، وَالأَكثَرُ ضَعفًا وَضَحَالَةً خَالِدٌ مَعِي،
وَنَفسُ مَا أَفعَلُه وَأَقُولُه يَنتَظِرُ مِن أَجلِهِن،

وَكُلُّ فِكرَةٍ تَتَخَبَّطُ دَاخِلِي تَتَخَبَّطُ أَيضًا دَاخِلَهُن.

أَعرِفُ جَيِّدًا وَتَمَامًا أَنَانِيَّتِي،
أَعرِفُ سُطُورِي النَّهِمَةَ وَأَلَّا أَكتُبَ مَا هُو أَقَل،
وَسَوفَ تَلتَقِي بِكَ أَيًّا مَن تَكُونُ مُفعَمَةً بِنَفسِي.

لَيسَت كَلِمَاتٍ رُوتِينِيَّةً أُغنِيَتِي هَذِه،
لَكِنَّهَا تُسَائِلُ فَجأَةً، تَقفِزُ بَعِيدًا لَكِنَّهَا تَأتِي مَعَ ذَلِكَ عَن كَثَب؛
وَهَذَا الكِتَابُ المَطبُوعُ المُجَلَّد– لَكِن مَاذَا عَن الطَّابِعِ وَصَبِيِّ المَطبَعَة؟
وَالصُّورُ جَيِّدَةُ الالتِقَاط– لَكِن مَاذَا عَن زَوجَتِك أَو صَدِيقِك الحَمِيمِ الرَّاسِخِ فِي ذِرَاعَيك؟
السَّفِينَةُ السَّودَاءُ أَبحَرَت مُدَجَّجَة، وَمَدَافِعُهَا القَوِيَّةُ فِي أَبرَاجِهَا – لَكِن مَاذَا عَن شَجَاعَةِ القُبطَانِ وَالمُهَندِسِين؟
فِي المَنَازِلِ الأَطبَاقُ وَالطَّعَامُ وَالأَثَاثُ – لَكِن مَاذَا عَن المُضِيفِ وَالمُضِيفَة، وَنَظَرَاتِ عُيُونِهِمَا؟
السَّمَاءُ هُنَاكَ فِي الأَعلَى – لَكِن مَاذَا عَن هُنَا أَو عِندَ البَابِ التَّالِي، أَو عَبرَ الطَّرِيق؟
القِدِّيسُون وَالحُكَمَاءُ فِي التَّارِيخ – لَكِن مَاذَا عَنكَ أَنت؟
المَوَاعِظُ، وَالعَقَائِدُ، وَاللَّاهُوت – لَكِن مَاذَا عَن الذِّهنِ الإِنسَانِي بِلَا أَغوَار،
وَمَا العَقل؟ مَا الحُب؟ مَا الحَيَاة؟

[43]

أَنَا لَا أَزدَرِيكُم أَيُّهَا القَسَاوِسَة، دَائِمًا، فِي جَمِيعِ أَنحَاءِ العَالَم،
إِيمَانِي هُو أَعظَمُ إِيمَانٍ وَأَقَلُّ إِيمَان،
فِيه العِبَادَةُ القَدِيمَةُ وَالحَدِيثَةُ وَكُل مَا بَينَ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَة،
مُؤمِنًا بِأَنِّي سَأَعُود مِن جَدِيدٍ إِلَى الأَرض بَعد خَمسَةِ آلَافِ عَام،

مُنتَظِرًا إِجَابَاتٍ مِن العَرَّافَات، مُبَجِّلًا الآلِهَةَ، مُرَحِّبًا بِالشَّمس،
صَانِعًا وَثَنًا مِن أَوَّلِ حَجَرٍ أَو جِذعِ شَجَرَة، مُقِيمًا طَقسِي بِالعِصِي فِي دَائِرَةِ السِّحر،
مُسَاعِدًا الإِلَامَا أَو البرَاهِمِي فِي زَركَشَةِ قنَادِيلِ الأوثَان،
رَاقِصًا مَع ذَلِك فِي الشَّوَارِعِ فِي أَحَدِ مَوَاكِبِ الفُحُولَة، مُنتَشِيًا وَمُتَزَمِّتًا فِي الغَابَاتِ كَرَاهِبٍ لِلفِكر،
مُحتَسِيًا خَمرَ المِيد مِن كَأسِ الجُمجُمَة[*]، مُعجَبًا بِكُلِّ شَاستَا وَفِيدَا، مُتَأَمِّلًا القُرآن،
سَائِرًا فِي هَيكَلِ التُّوكَالِّي[**]، مُلَطَّخًا بِالدَّم مِن الحجَرِ وَالسِّكِّين، قَارِعًا طَبلَة جِلدِ الثُّعبَان،
قَابِلًا بِالأَنَاجِيل، قَابِلًا بِه هُو مَن صُلِب، مُدرِكًا بِالتَّأكِيدِ أَنَّه إِلَهِيٌّ،
رَاكِعًا فِي القُدَّاسِ أَو وَاقِفًا فِي صَلَاةِ البِيُورِيتَانِي، أَو جَالِسًا بِصَبرٍ فِي مِقعَدِ كَنِيسَة،
مُرغِيًا وَمُزبِدًا فِي سَورَةِ جُنُونِي، أَو مُنتَظِرًا شِبهَ مَيِّتٍ أَن أَثُوبَ إِلَى رُشدِي،
مُتَطَلِّعًا قُدُمًا إِلَى الأَرصِفَةِ وَالأَرض، أَو خَارِجَ الأَرصِفَةِ وَالأَرض،
مُنتَمِيًا إِلَى مَن يُدِيرُون دَائِرَةَ الدَّوَائِر.

كَأَحَدِ أَفرَادِ تِلكَ العُصبَةِ الطَّارِدَةِ وَالجَاذِبَة أَستَدِيرُ وَأَتَكَلَّمُ كَرَجُلٍ يُوَزِّعُ المَهَام قَبلَ رِحلَة.
أَيُّهَا الشَّكَّاكُون المُكتَئِبُون البَلِيدُون وَالمَنبُوذُون،
التَّافِهُون، المُتَجَهِّمُون، الفَاتِرُون، الغَاضِبُون، المُفتَعِلُون، الحَائِرُون، الملحِدُون،
أَعرِفُ كُلًّا مِنكُم، أَعرِفُ بَحرَ العَذَابِ، وَالشَّكِّ، وَاليَأسِ وَاللَّا يَقِين.

كَيفَ تَشُق طَرِيقَهَا الدِّيدَان!
كَيفَ تَتَلَوَّى بِسُرعَةِ البَرقِ، مَع اندِفَاقَاتِ وَانبِثَاقَاتِ الدَّم!

---

[*] كأس مصنوعة من جمجمة، كأحد الطقوس الغابرة لدى شعوب مختلفة، حتى الأوروبية؛ شاستا Shastas: أحد الآلهة الهندوسية؛ الفِيدَا Vedas: كلمة أسبانية تعني الحياة، الكينونة.

[**] التُّوكَالِّي teokalli: هيكل قديم من هياكل المكسيك وأميركا الوسطى.

فَلڪُم السَّلَامُ يَا دِيدَانَ الشَّكَّاكِين وَالفَاتِرِين النَّكِدِين،
أَتَّخِذُ مَكَانِي بَينَكُم مِثلَمَا بَينَ غَيرِكُم،
المَاضِي هُو دَافِعُكُم، وَدَافِعِي، هُو نَفسُه تَمَامًا بِالتَّحدِيد،
وَمَا لَم يُجَرَّب بَعد وَفِيمَا بَعد هُو لَكُم، وَلِي، تَمَامًا، وَهُو نَفسُه بِالتَّحدِيد.

لَا أَدرِي مَا لَم يُجَرَّب وَمَا بَعد،
لَكِنِّي أَدرِي أَنَّه – فِي حُلُولِه – سَيَكُونُ كَافِيًا، وَلَا يُمكِن أَن يَفشَل.

كُلُّ مَن يَمُر هُو مَحَلُّ اعتِبَار، وَكُلُّ مَن يَتَوَقَّفُ هُو مَحَلُّ اعتِبَار، وَلَا يُمكِنُ إِهمَالُ أَحَد.

لَا يُمكِنُ إِهمَالُ الشَّابِّ المُتَوَفَّى وَالمَدفُون،
وَلَا الفَتَاةِ المُتَوَفَّاةِ التِي وُضِعَت بِجِوَارِه،
وَلَا الطِّفلِ الصَّغِيرِ الذِي كَانَ يَصِيءُ عِندَ البَاب، ثُم يَنسَحِبُ إِلَى الوَرَاءِ فَلَا يُرَى مَرَّةً أُخرَى أَبَدًا،
وَلَا الرَّجُلِ العَجُوزِ الذِي عَاشَ بِلَا غَايَة، وَيُحِسُّ بِمَرَارَةٍ أَسوَأ مِن الضَّغِينَة،
وَلَا المَسلُولِ فِي المَنزِلِ البَائِسِ بِشَرَابِ الرَّم وَالفَوضَى الرَّدِيئَة،
وَلَا المَذبُوحِين وَالمُهدَّمِين بِلَا عَدَدٍ، وَلَا الهَمَجِ المُسَمِّين خَرَاء الإِنسَانِيَّة،
وَلَا الحُوَيصَلَات الطَّافِيَةِ بِأَفوَاهٍ مَفتُوحَةٍ مِن أَجلِ الطَّعَام،
وَلَا أَيِّ شَيءٍ فِي الأَرضِ، أَو عَمِيقًا فِي أَقدَمِ مَقَابِرِ الأَرض،
وَلَا أَيِّ شَيءٍ فِي آلَافِ الكَوَاكِب، وَلَا آلَافِ الآلَافِ الذِين يَسكُنُونَهَا،
لَا الحَاضِر، وَلَا أَدنَى كِسرَةٍ مَعرُوفَة.

[44]

هُو أَوَانُ أَن أَشرَحَ نَفسِي – فَلنَقِف.
إِنَّنِي أَتَخَلَّص مِمَّا هُو مَعرُوف،

وَأُطلِقُ كُلَّ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ قُدُمًا مَعِي إِلَى المَجهُول.

سَاعَةُ الحَائِطِ تُشِيرُ إِلَى اللَّحظَة – لَكِن إِلَامَ تُشِيرُ الأَبَدِيَّة؟

لِهَذَا استَنزَفنَا تَمَامًا تِرلِيُونَاتٍ مِن فُصُولِ الشِّتَاءِ وَالصَّيف،
وَهُنَاكَ تِرلِيُونَاتٌ أَمَامَنَا، وَتِرلِيُونَاتٌ أَمَامَهَا.

الوِلَادَاتُ مَنَحتنَا الثَّرَاءَ وَالتَّنَوع،
وَوِلَادَاتٌ أُخرَى سَتَمنَحُنَا الثَّرَاءَ وَالتَّنَوع.

لَا أَعتَبِرُ أَحَدًا أَعظَم وَأَحَدًا أَصغَر،
فَمَن يَملأُ وَقتَه وَمَكَانَه مُسَاوٍ لأيِّ أَحَد.

فَهَل كَانَ الجِنسُ البَشَرِيُّ قَاتِلًا أَو غَيُورًا بِالنِّسبَةِ لَكُمَا، يَا أَخِي، يَا أُختِي؟
أَنَا آسِفٌ لَكُمَا، فَهُو لَيسَ قَاتِلًا أَو غَيُورًا بِالنِّسبَةِ لِي،
فَالجَمِيعُ كَانُوا لُطفَاءَ مَعِي، وَلَا اعتِبَارَ عِندِي لِلنُّوَاح،
(فَمَا الذِي أَفعَلُه بِالنُّوَاح؟)

أَنَا ذُروَةُ الأَشيَاءِ المُكتَمِلَة، وَأَنَا أَحتَوِي الأَشيَاء القَادِمَة.

قَدَمَاي تَضرِبَان قِمَّةَ قِمَمِ السُّلَّم،
وَعَلَى كُلِّ دَرَجَةٍ بَاقَاتُ عُصُور، وَبَاقَاتٌ أَكبَرُ فِيمَا بَينَ الدَّرجَات،
كُلُّ مَا فِي الأَسفَلِ رَحَلَ فِي أَوَانِه، وَمَا أَزَالُ أَصعَدُ وَأَصعَد.
ارتِقَاءٌ بَعدَ ارتِقَاءٍ وَتُذعِنُ الأَشبَاحُ وَرَائِي،

بَعِيدًا فِي الأسفَل أَرَى العَدَمَ الأوَّل الهَائِل، أَعرِفُ أَنَّنِي كُنتُ هُنَاك،
انتَظَرتُ خِفيَةً وَدَائِمًا، وَنِمتُ خِلَال الضَّبَابِ اللَّامُبَالِي،
وَاستَغرَقتُ وَقتِي، وَلَم يُصِبنِي أَذًى مِن الكَربُون النَّتِن.

احتُضِنتُ طَوِيلًا بِقُوَّة – طَوِيلًا وَطَوِيلًا.

هَائِلَةً كَانَت الاستِعدَادَاتُ مِن أَجلِي،
مُخلِصَةً وَدُودَةً كَانَت الأذرُعُ الَتِي سَاعَدَتنِي.

عُصُورٌ قَادَت مَهدِي، مُجَذِّفِين مُجَذِّفِين كَبَحَّارَةٍ مُبتَهِجِين،
لِتُفسِحَ مَكَانًا لِي تَنَحَّت النُّجُومُ جَانِبًا فِي دَورَاتِهَا،
وَأَرسَلَت فُيُوضًا لِتَسهَرَ عَلَى مَا كَانَ يَحتَضِنُنِي.

قَبلَ أَن تَلِدَنِي أُمِّي أَرشَدَتنِي أَجيَال،
فَمَا كَانَت حَالَتِي الجَنِينِيَّةُ بَلِيدَةً أَبدًا، وَمَا كَانَ لِشَيءٍ أَبدًا أَن يَخنِقَهَا.

مِن أَجلِهَا التَحم السَّدِيمُ إِلَى فَلَك،
وَتَرَاكَمَ الطَّورُ البَطِيءُ المدِيدُ لِيَضَعَهَا فَوقَه،
وَمَنَحَتهَا الخُضرَوَاتُ الهَائِلَةُ الغِذَاء،
وَنَقَلَتهَا الوُحُوشُ الغَابِرَةُ بِأَفوَاهِهَا وَحَطَّتهَا بِكُلِّ عِنَايَة.
جَمِيعُ القُوَى وُظِّفَت بِصُورَةٍ دَائِمَةٍ لِتَستَكمِلَنِي وَتُبهِجَنِي،
وَالآن أَقِفُ عَلَى هَذِهِ البُقعَةِ بِرُوحِي المُفعَمَة.

[45]

آهٍ يَا مَرحَلَةَ الشَّبَاب! أَيَّتُهَا المُرُونَةُ المُتَحَفِّزَةُ أَبَدًا!
آهٍ أَيَّتُهَا الرُّجُولَةُ، المتَوَازِنَةُ، المُتَوَرِّدَةُ المُكتَمِلَة.

عُشَّاقِي يَكتُمُون أَنفَاسِي،
يَزدَحِمُون عَلَى شَفَتَيَّ، يَتَكَاثَفُون فِي مَسَام جِلدِي،
يَدفَعُونَنِي بِالمَنَاكِبِ فِي الشَّوَارِعِ وَالقَاعَاتِ العَامَّة، يَأتُونَنِي عَرَايَا فِي اللَّيلِ،
يَصرُخُون فِي النَّهَار، **آهُوي!** مِن صُخُورِ النَّهرِ، يَتَطَوَّحُون وَيَلغَطُون فَوقَ رَأسِي،
يُنَادُون بِاسمِي مِن بَرَاعِمِ الزُّهُور، وَالكُرُومِ، وَالشُّجَيرَاتِ المُتَشَابِكَة،
مُضِيئِين كُل لَحظَةٍ مِن حَيَاتِي،
مُقَبِّلِين جَسَدِي بِقُبلَاتٍ رَهِيفَةٍ كَالبَلسَم،
بِلَا صَوتٍ يَأخُذُون حِفنَاتٍ مِن قُلُوبِهِم وَيَمنَحُونَهَا لِي.

أَيُّهَا العَصرُ القَدِيمُ النَّاهِضُ فِي رَوعَة! أَهلًا، أَيُّهَا الجَمَالُ فَوقَ الوَصفِ للأيَّامِ الغَابِرَة!

كُل ظَرفٍ لَا يُومِئُ إِلَى نَفسِه فَحَسب، بَل يُومِئ إِلَى مَا يَنمُو بَعدَه وَمِن خِلَالِه،
وَالسُّكُونُ الكَابِي يُومِئُ شَأنه شَأنَ الآخَرِين.

أَفتَحُ كُوَّتِي فِي اللَّيل وَأَرَى المنظُومَاتِ المُتَنَاثِرَةَ فِي البَعِيد،
وَكُلُّ مَا أَرَاه مُضَاعَفًا لأعلَى مَا يُمكِنُنِي أَن أَحسِب لَن يَمَس إِلا حَافَّةَ أَبعَدِ المَنظُومَات.

أَوسَعَ فَأَوسَعَ يَنتَشِرُون، يَتَمَدَّدُون، دَائِمًا مَا يَتَمَدَّدُون،
إِلَى الخَارِج وَإِلَى الخَارِج وَأَبَدًا إِلَى الخَارِج.
لِشَمسِي شَمسٌ تَدُورُ حَولَهَا فِي طَاعَة،
تُشَكِّلُ مَع شُرَكَائِهَا مَجمُوعَةً لِمَدَارٍ أَسمَى،
تَتبَعُهَا مَجمُوعَاتٌ أَعظَم، جَاعِلِينَ مِن الأَعظَمِ نِقَاطًا ضَئِيلَة دَاخِلَهَا.

مَا مِن تَوَقُّف وَلَا يُمكِن أَن يَكُون هُنَاك تَوَقُّفٌ أَبَدًا،

وَلَو أَنَّنِي، وَأَنت، وَالعَوَالِمَ، وَكُلَّ مَا تَحتَ أَو فَوقَ سُطُوحِهَا، كُنَّا فِي هَذِه اللَّحظَةِ قَد مُسِخنَا إِلَى شَيءٍ مَا يَطفُو شَاحِبًا، فَلَم يَكُن ذَلِكَ لَيَنفَع الطَّرِيقَ الطَّوِيل،

فَلَابُد أَن نَتَرَبَّى بِالتَّأكِيدِ مِن جَدِيدٍ حَيثُ نَقِفُ الآن،

وَبِالتَّأكِيدِ نَمضِي إِلَى الأبعَد، ثُم الأبعَد فَالأبعَد.

بِضعُ كَادرِلِيُونَاتٍ منَ الحِقَبِ، بِضعُ أُوكتِلِيُونَاتٍ[*] مِن الفَرَاسِخ المُرَبَّعَةِ، لَا تُخَاطِر بِالاتِّسَاعِ أَو تَدفَعه إِلَى نَفَادِ الصَّبر،

فَلَيسَوا سِوَى أَجزَاء، وَأَيُّ شَيءٍ لَيسَ سِوَى جُزء.

فَلتَنظُر دَائِمًا إِلَى البَعِيد، فَهُنَاكَ مَكَانٌ لَا مَحدُود خَارِجَ ذَلِك،

وَلتَرصُد دَائِمًا الكَثِير، فهُنَاكَ زَمَنٌ لَا مَحدُود حَولَ ذَلِك.

مَوعِدِي تَحَدَّد، ذَلِكَ مُؤَكَّد،

وَسَيَكُونُ الرَّبُّ هُنَاك وَيَنتَظِرُ إِلَى أَن أَجِيءَ عَلَى أَفضَل مَا أَكُون،

وَسَيَكُونُ هُنَاكَ الرَّفِيقُ العَظِيمُ، العَاشِقُ الحَقِيقِي الذِي أَتُوقُ إِلَيه.

[46]

أَعرِفُ أَنَّ لَدَيَّ أَفضَلَ مَا فِي الزَّمَانِ وَالمكَان، وَلَم يَتِم قِيَاسُه أَبَدًا وَلَن يَتم قِيَاسُه أَبَدًا.

أَمشِي فِي رِحلَةٍ دَائِمَة (تَعَالَوا فَاسمَعُوا كُلَّ شَيء!)

إِشَارَاتِي مِعطَفٌ وَاقٍ مِن المَطَر، وَحِذَاءٌ جَيِّدٌ، وَعُكَّازٌ قَطَعتُه مِن الغَابَة،

لَا أَحَد مِن أَصدِقَائِي يَستَرِيحُ فِي مِقعَدِي،

فَلَا مِقعَدَ لِي، لَا كَنِيسَة، لَا فَلسَفَة،

لَا أَصحَبُ أَحدًا إِلَى مَائِدَةِ عِشَاء، أَو مَكتَبَة، أَو بُورصَة،

---

[*] كَادرِلِيُونَات quadrillions: رقم مؤلف من واحد وإلى يمينه 15 صفرًا [في الولايات المتحدة وفرنسا]، أو 24 صفرًا [في بريطانيا والمانيا]. أوكتِلِيُونَات Octillions: رقم يتألف من واحد إلى يمينه 27 صفرًا [في الولايات المتحدة وفرنسا]، أو 48 صفرًا [في انجلترا والمانيا].

لَكِنَّنِي أَصحَبُ كُلَّ رَجُلٍ وَامرَأَةٍ مِنكُم إِلَى هَضَبَة،
وَيَدِي اليُسرَى مُلتَفَّةٌ حَولَ خَصرِكُم،
وَيَدِي اليُمنَى تُشِيرُ إِلَى المشَاهِدِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلقَارَّاتِ وَالطَّرِيقِ العَام.

لَا أَنَا، وَلَا أَيُّ شَخصٍ آخَرَ يُمكِنُه قَطعُ ذَلِكَ الطَّرِيق بَدَلًا مِنكُم،
فَلَابُد أَن تَقطَعُوه بِأَنفُسِكُم.
لَيسَ بَعِيدًا، إِنَّه فِي المُتَنَاوَل،
وَرُبَّمَا كُنتُم فِيه مُنذُ مَولِدِكُم دُون أَن تَدروا،
وَرُبَّمَا كَانَ مَوجُودًا فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى المَاءِ وَالأَرض.

فَلتَحمل أشيَاءَكَ يا بُنَيَّ العَزِيز، وَسَأَحمِلُ أَشيَائِي، وَلنُسرِع قُدُمًا،
وَسَنَلقَى فِي مَسِيرِنَا مُدُنًا رَائِعَةً وَأُمَمًا حُرَّة.

وَإِذَا مَا تَعِبت، فَاعطِنِي الحِملَينِ مَعًا، وَضَع رَاحَةَ يَدِكَ عَلَى فَخذِي،
وَفِي الوَقتِ المُحَدَّدِ سَتَقُوم بِرَدِّ نَفسِ الخِدمَةِ لِي،
فَبَعدَ أَن انطَلَقنَا لَن نَهدَأ مرةً أُخرَى أَبَدًا.

هَذَا اليَومَ قَبلَ الفَجر صعَدتُ تَلًّا وَنَظَرتُ إِلَى السَّمَاءِ المُحتَشِدَة،
وَقُلتُ لِرُوحِي *حِينَ نَحتَوِي هَذِه الأجرَامَ، وَمُتعَةَ وَمَعرِفَةَ كُلِّ مَا فِيهَا، فَهَل سَنَشبَع وَنَكتَفِي آنَذَاك؟*
وَقَالَت رُوحِي، *لَا، فَلَن نَقُومَ إِلَّا بِتَسوِيَةِ هَذَا المُرتَفَع لِنَمُر وَنُوَاصِلَ فِيمَا وَرَاءَه.*
أَنتَ أَيضًا تَطرَحُ عَلَيَّ أَسئِلَةً وَأَسمَعُ لَك،
أُجِيبُ بِأَنِّي لَا أَستَطِيعُ الإِجَابَة، وَلَابُد أَن تَكتَشِفَ بِنَفسِك.

فَلتَجلِس بُرهَةً يَا ابنِي العَزِيز،

هَا هُو بَسكَوِيتٌ لِتَأكُل وَهَا هَو لَبَنٌ لِتَشرَب،
وَلَكِن بِمُجَرَّدِ أَن تَنَام وَتُجَدِّدَ نَفسَكَ فِي مَلَابِسَ نَاعِمَة، سَأُقَبِّلُك قُبلَةَ الوَدَاع، وَأَفتَحُ بَوَّابَةَ خُرُوجِك مِن هَذَا العَالَم.

لَقد حَلُمتَ طَوِيلًا بِمَا يَكفِي أَحلَامًا تَافِهَة،
وَالآن أَغسِلُ عَينَيكَ مِن القَذَى،
وَعَلَيكَ أَن تُعَوِّدَ نَفسَكَ عَلَى التَّوَهُّجِ البَاهِرِ للضَّوءِ وَلِكُلِّ لَحظَةٍ مِن حَيَاتِك.

لَقد خُضتَ فِي المَاءِ طَوِيلًا عَلَى استِحيَاءٍ مَتَشَبِّثًا بِلَوحٍ عِندَ الشَّاطِئ،
وَالآنَ أُرِيدُك سَبَّاحًا جَسُورًا،
أَن تَقفِزَ وَسطَ البَحرِ، تَنبَثِقَ مِن جَدِيدٍ، تُومِئ لِي، تَصِيح، وَتَندَفِعَ ضَاحِكًا بِشَعرِك.

[47]

أَنَا مُعَلِّمُ اللَاعِبِين،
وَمَن يَفرِدُ إِلَى جِوَارِي صَدرًا أَكثَرَ اتِّسَاعًا مِن صَدرِي يُثبِت اتِّسَاعَ صَدرِي،
وَيُشَرِّفُ أُسلُوبِي مَن يَتَعَلَّم مِنه أَن يُدَمِّرَ المُعَلِّم.

الصَّبِي الذِي أُحِبُّه، هُو مَن يُصبِحُ رَجُلًا لَا مِن خِلَالِ قُوَّةٍ مُستَعَارَةٍ، بَل بِقُوَّتِه هُو،
وَالأَفضَلُ أَن يَكُون شِرِّيرًا مِن أَن يَكُون فَاضِلًا بِفِعلِ الامتِثَالِ أَو الخَوف،
شَغُوفًا بِحَبِيبَتِه، مُستَمتِعًا تَمَامًا بِقِطعَةِ اللَّحمِ التِي يَأكُل،
وَيَقطَعُه إِربًا الحُبُّ التَّافِهُ أَو مِن طَرَفٍ وَاحِدٍ بِأَسوَأَ مِن الفُولَاذِ القَاطِع،
فَارِسًا مِن الطِّرَازِ الأَوَّل، مُقَاتِلًا، ضَارِبًا عَينَ الثَّورِ، بَحَّارًا فِي زَورَقٍ شِرَاعِي، مُغَنِّيًا لأُغنِيَةٍ أَو عَازِفًا عَلَى البَانجو[*] ،

---

[*] البَانجو banjo : آلة موسيقية.

مُفَضِّلًا ذَوِي النُّدُوبِ وَالمُلتَحِين وَالوُجُوهَ المبثُورَةَ بِالنُّدُوب الصَّغِيرَة عَن كُلِّ المَصبُوغِين،
وَأُولِئكَ المَسفُوعِين بِالشَّمس تَمَامًا عَن هَؤلَاء المُبتَعِدِين عَن الشَّمس.

إنَّنِي أُعَلِّم الابتِعَادَ عَنِّي، لَكِن مَن يَملِكُ الابتِعَادَ عَنِّي؟
فَأَنَا أَتبَعُكَ أَيًّا مَن تَكُونُ مُنذُ هَذِهِ السَّاعَة،
وَكَلِمَاتِي تَئِزُ فِي أُذنَيكَ إِلَى أَن تَستَوعِبَهَا.

لَا أَقُولُ هَذِه الأَشيَاءَ مِن أَجلِ دُولَار، أَو لِقَطعِ الوَقت وَأَنَا أَنتَظِر قَارِبًا،
(فَأَنتَ تَتَكَلَّم بِقَدرِ مَا أَتَكَلَّم، وَأَنَا أَقُومُ بِدَورِ اللِّسَانِ لَك،
مَربُوطًا فِي فَمِك، وَفِي فَمِي يَبدَأُ فِي التَّحَرُّر).
أُقسِمُ أَنَّنِي لَن أَذكُر مَرَّةً ثَانِيَةً أَبدًا الحُبَّ أَو الموتَ دَاخِلَ مَنزِل،
وَأُقسِم أَنَّنِي لَن أشرَحَ نَفسِي أَبَدًا، إِلَا لَه أَو لَهَا، لِمَن يَبقَى- أَو تَبقَى- مَعِي عَلَى انفِرَادٍ فِي الهَوَاءِ الطَّلق.

فَإِن شِئتَ أَن تَفهَمَنِي فَاذهَب إِلَى الأَعَالِي أَو الشَّاطِئ،
فَأَقرَبُ بَعُوضَةٍ هِي تَفسِير، وَقَطرَةٌ أَو حَرَكَةُ الأَموَاجِ مِفتَاح،
وَالمِطرَقَةُ، وَالمِجذَافُ، وَالمنشَارُ اليَدَوِي، عَونٌ لِكَلِمَاتِي.

مَا مِن غُرفَةٍ أَو مَدرَسَةٍ مُغلَقَةٍ بِالمَصَارِيع يُمكِن أَن تَتَوَافَقَ مَعِي،
بَل مَا هُو خَشِنٌ وَالأَطفَالُ الصِّغَارُ بِأَفضَل مِنهمَا.

المِيكَانِيكِي الشَّاب أَقرَبُ لِي، يَعرِفُنِي جَيِّدًا،
وَالحَطَّابُ الذِي يَأخُذُ فَأسَه وَإِبرِيقَه مَعَه سَيَأخُذنِي مَعَه طُوَالَ النَّهَار،

وَصَبِيُّ المَزرَعَة الذِي يَحرُثُ الحقلَ يُحِس بِأَنَّه عَلَى مَا يُرَامُ عِندَ وَقعِ صَوتِي،
وَفِي السُّفُن المُبحِرَةِ تُبحِرُ كَلِمَاتِي، أَمضِي مَعَ صَيَّادِي السَّمَكِ وَالبَحَّارَةِ وَأُحِبُّهُم.

لِي الجُندِيُّ فِي المُعَسكَرِ أَو المَسِيرَة،
وَفِي اللَّيلِ قَبلَ المَعرَكَةِ الوَشِيكَةِ يَبحَثُ الكَثِيرُون عَنِّي، وَلَا أَخذِلُهُم،
فِي تِلكَ اللَّيلَةِ المَهِيبَةِ (قَد تَكُون لَيلَتَهُم الأخِيرَة) يَبحَثُ عَنِّي أُولئكَ الذِين يَعرِفُونَنِي.

وَجهِي يَحتَك بِوَجهِ الصَّيَّادِ حِين يَستَلقِي وَحِيدًا فِي بَطَّانِيَّتِه،
والسَّائِقُ الذِي يُفَكِّرُ فِيَّ لَا تَعنِيه ارتِجَاجَاتُ عَرَبَتِه،
وَالأُمُّ الشَّابَّةُ وَالأُم العَجُوزُ يَفهَمَانَنِي،
وَالفَتَاةُ وَالزَّوجَةُ تُوقِفَانِ الإِبرَةَ لِبُرهَةٍ وَتَنسيَانِ أَين كَانَتَا،
فَهُمَا وَالجَمِيعُ سَيَستَعِيدُون مَا قُلتُه لَهُم.

[48]

قُلتُ إِن الرُّوحَ لَيسَت بِأَكثَر مِن الجَسَد،
وَقُلتُ إِن الجَسَدَ لَيسَ بِأَكثَرَ مِن الرُّوح،
وَلَا شَيء، وَلَا الرَّب، أَعظَم لِلمَرءِ مِن نَفسِ المَرء،
وَمَن يَمشِ مِشوَارًا بِلَا حَمِيَّةٍ فَإِنَّه يَمشِي فِي جِنَازَتِه مُرتَدِيًا كَفَنَه،
وَأَنَا أَو أَنتَ - مُفلِسَين بِلا سِنت - قَد نَشتَرِي خُلاصَةَ الأَرض،
وَأَن تَغمِزَ بِعَينٍ أَو تُشِيرَ إِلَى حَبَّةِ فُولٍ فِي غِلَافِهَا لَيَدحَض تَعلِيمَ كُلِّ الأَزمِنَة،
وَمَا مِن تِجَارَةٍ أَو وَظِيفَةٍ إِلَّا وَيُمكِن لِلشَّابِ - إِن التَزَمَ بِهَا - أَن يُصبِحَ بَطَلًا،
وَمَا مِن غَايَةٍ مُعتَدِلَةٍ إِلَّا ويُمكِن أَن تَكُونَ مِحوَرَ الكَون،
وَأَقُولُ لأيِّ رَجُلٍ أَو امرَأَةٍ، فَلتَكُن رُوحُك رَابِطَةَ الجَأشِ وَهَادِئَةً أَمَامَ مِليُونِ كَون.

وَأَقُولُ لِلجِنسِ البَشَرِي، لَا تَكُن فُضُولِيًّا إِزَاءَ الرَّب،
فَأَنَا الفُضُولِي إِزَاءَ الجَمِيعِ لَستُ فُضُولِيًّا إِزَاءَ الرَّب،
(وَمَا مِن نَسَقٍ لِلكَلِمَاتِ يُمكِن أَن يَقُولَ كَم أَنَّنِي فِي سَلَامٍ إِزَاءَ الرَّبِّ وَإِزَاءَ المَوت).

إِنَّنِي أَسمَعُ وَأَرَى الرَّبَّ فِي كُلِّ شَيء، لَكِنِّي لَا أَفهَمُ الرَّبَّ إِطلَاقًا،
وَلَا أَفهَمُ مَن يُمكِنُ أَن يَكُون أَكثَرَ رَوعَةً مِنِّي.

لِمَاذَا يَكُونُ عَلَيَّ أَن أَتَمَنَّى رُؤيَةَ الرَّبِّ أَكثَرَ مِنَ اليَوم؟
إِنَّنِي أَرَى – فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِن الأَربَعِ وَالعِشرِين– شَيئًا مَا مِن الرَّب، بَل فِي كُلِّ لَحظَة،
فِي وُجُوهِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ أَرَى الرَّب، وَفِي وَجهِي فِي المرآة،
وَأَجِدُ رَسَائِلَ مِن الرَّب مُتَسَاقِطَةً فِي الشَّارِع، وَكُلٌّ مِنهَا مُوقَّعَةٌ بِاسمِ الرَّب،
وَأَترُكُهَا فِي مِكَانِهَا، لأَنَّنِي أَعرِفُ أَنِّي أَينَمَا أَمشِي،
سَيَأتِي آخَرُون عَاجِلًا دَائِمًا وَأَبَدًا.

[49]

أَمَّا أَنتَ أَيُّهَا **المَوت**، أَيُّهَا العِنَاقُ المَرِيرُ لِلأَبَدِيَّة، فَلَا جَدوَى مِن مُحَاوَلَةِ تَحذِيرِي.

إِلَى عَمَلِه بِلَا إِحجَامٍ يَأتِي طَبِيبُ الوِلَادَة،
أَرَى اليَدَ العَجُوزَ تَضغَطُ وَتَتَلَقَّى وَتُسَاعِد،
أَستَلقِي عِند عَتَبَاتِ الأَبوَابِ المرِنَةِ الرَّائِعَة،
وَأُحَدِّدُ الوِلَادَة، وَأُحَدِّدُ الرَّاحَةَ، وَالخَلَاص.

وَأَمَّا أَنتَ أَيُّهَا **الجُثمَانُ** فَأظُن أَنَّك سِمَادٌ جَيِّد، لَكِن ذَلِكَ لَا يُغضِبُنِي،
فَأَنَا أَشُم الوُرُودَ البَيضَاءَ النَّامِيَةَ ذَاتِ الأَرِيجِ العَذب،
وَأَصِلُ إِلَى الشِّفَاهِ الوَرَقِيَّةِ، أَصِلُ إِلَى أَثدَاءِ البَطِّيخِ الصَّقِيلَة.

وَأَمَّا أَنتِ أَيَّتُهَا الحَيَاةُ فَأَظُنُّ أَنَّكِ فضَلَاتُ مِيتَاتٍ كَثِيرَة،
(لَا شَكَّ أَنَّنِي- أَنَا نَفسِي- قَد مِتُّ عَشرَةَ آلَافِ مَرَّة مِن قَبل).

أَسمَعُكِ تَهمِسِين هُنَاك يَا نُجُومَ السَّمَاء،
أَيَّتُهَا الشُّمُوس- يَا عُشبَ القُبُور – أَيَّتُهَا التَّحَوُّلَاتُ وَالارتِقَاءَات الدَّائِمَة،
إِن لَم تَقُولِي أَيَّ شَيءٍ فَكيف يُمكِنُنِي قَولُ أَيّ شَيء؟

عَن البِركَةِ العَكِرَةِ التِي تَستَلقِي فِي غَابَةِ الخَرِيف،
عَن القَمَرِ الذِي يَهبِطُ مُنحَدَرَاتِ الغَسَقِ المُغمغِم،
عَن الارتِجَاج، وَشَرَرِ النَّهَارِ وَالغَسَق – ارتِجَاج الأغصَانِ الدَّاكِنَةِ التِي تَذوِي فِي الوَحل،
وَارتِجَاجِ الغَمغَمَةِ المُتَوَجِّعَةِ لِلأغصَانِ الجَافَّة.

أَهبِطُ مِن القَمَر، أَهبِطُ مِنَ اللَّيل،
أَتَصَوَّرُ أَن الوَمِيضَ الشَّبَحِي هُو انعِكَاس أَشِعَّةِ شَمسِ الظَّهِيرَةِ،
وَهيَ تَتَدَفَّقُ إِلَى المُستَمِر وَالمَركَزِي مِن النَّسلِ العَظِيمِ أَو الضَّئِيل.

[50]

ذَلِكَ دَاخِلِي – لَا أَدرِي مَا هُو – لَكِنِّي أَدرِي أَنَّه دَاخِلِي.
مُتَلَوِّيًا وَمُبَلَّلًا بِالعَرَق – ثُم يُصبِحُ جَسَدِي هَادِئًا ومُنتَعِشًا،
فَأَنَام – أَنَامُ طَوِيلًا.

لَا أَدرِي بِه – فَهوَ بِلَا اسم – هُو كَلِمَةٌ لَم تُنطَق،
لَيسَ مَوجُودًا بِأَيِّ قَامُوس، أَو نُطق، أَو رَمز.

شَيءٌ مَا يَدُور بِأَكثَرَ مِن الأرض التِي أَدُور عَلَيهَا،
بِالنِّسبَةِ لَه الخَلقُ صَدِيقٌ تُوقِظُنِي مُعَانَقَتُه.
رُبَّمَا عَلَيَّ أَن أَقُولُ مَا هُو أَكثَر. خُطوطٌ عَامَّة! إِنَّنِي أَترَافَعُ عَن أُخوَتِي وَأَخَوَاتِي.

هَل تَرَون يَا أُخوَتِي وَأَخَوَاتِي؟
لَيسَ هُو السَّدِيم وَلَا المَوت – هُو شَكلٌ، اتِّحَادٌ، مُخَطَّط – هِي الحَيَاةُ الأبَدِيَّة – إِنَّهَا السَّعَادَة.

[51]

المَاضِي وَالحَاضِرُ يَذوِيَان – لَقَد مَلأتُهُمَا، وَأَفرَغتُهُمَا.
وَأُوَاصِلُ مَلءَ نَصِيبِي التَّالِي مِن المستَقبَل.

أَيُّهَا المُنصِتُ هُنَاكَ فِي الأَعَالِي! مَاذَا لَدَيكَ لِتُفضِي بِه إِلَيَّ؟
انظُر إِلَى وَجهِي حِين أَنشَقُ انحِدَارَ المسَاء،
(تَكَلَّم بِصِدقٍ، لَا أَحَد آخَر يَسمَعُك، وَلَن أَبقَى سِوَى دَقِيقَةٍ أُخرَى).

فَهَل أُنَاقِضُ نَفسِي؟
جَيِّدٌ إِذَن أَنَّنِي أُنَاقِضُ نَفسِي،
(فَأَنَا شَاسِعٌ، وَأَضُم التَّعَدُّدَات).
أُرَكِّزُ عَلَى القَرِيبِين، وَأَنتَظِر عِندَ عَتَبَةِ البَاب.
فَمَن الذِي قَامَ بِعَمَلِ يَومِه؟ مَن سَيَكُون الأَسرَعَ إِلَى عَشَائِه؟
مَن يَوَد السَّيرَ مَعِي؟

فَهَل سَتَتَكَلَّم قَبلَ أَن أَمضِي؟ هَل سَتُبَرهِن الآنَ عَلَى أَنَّك مُتَأَخِّرٌ كَثِيرًا؟

[52]

الصَّقرُ الأرقَطُ يَنقَضُّ وَيَتَّهِمُنِي، يَشكُو مِن هَذَرِي وَتَسَكُّعِي.

أَنَا أَيضًا لَستُ مُرَوَّضًا بِأَدنَى دَرجَةٍ، أَنَا أَيضًا غَيرُ قَابِلٍ لِلتَّرجَمَة،
أُدَوِّي بِصَرخَتِي البَربَرِيَّةَ فَوقَ سُطُوحِ العَالَم.

الهَبَّةُ الأَخِيرَةُ لِلنَّهَارِ تَتَوَانَى مِن أَجلِي،
تَرمِي مَظهَرِي الخَارِجِيَّ بَعدَ البَاقِي وَالحَقِيقِي كَأَيٍّ آخَرِ فِي البَرَارِي الظَّلِيلَة،
تُلَاطِفُنِي حَتَّى البُخَارِ وَالغَسَق.

أَرحَلُ كَالهَوَاء، أَهُز خُصلَاتِي البَيضَاءَ فِي الشَّمسِ الهَارِبة،
أَنشُرُ لَحمِي فِي الدَّوَّامَاتِ، وَأَجرِفُه فِي نَشَوَاتٍ مَثقُوبَة.

أُوصِي بِنَفسِي إِلَى التُّرَابِ لِيَنمُو مِنهَا العُشبُ الذِي أُحِب،
فَإِذَا مَا أَرَدتَنِي مَرَّةً ثَانِيَةً فَابحَث عَنِّي تَحتَ نِعَالِ حِذَائِك.
سَتَعرِفُ بِالكَادِ مَن أَنَا أَو مَاذَا أَعنِي،
وَسَأَكُونُ لَكَ رَغمَ ذَلِكَ العَافِيَة،
وَنَقَاءَ دَمِكَ وَنَسِيجَه.
وَإِذَا مَا فَشَلتَ فِي العُثُورِ عَلَيَّ فِي البِدَايَةِ فَاحتَفِظ بِشَجَاعَتِك،
وَإِن لَم تَجِدنِي فِي مَكَانٍ مَا فَابحَث فِي آخَر،
فَأَنَا أَقِفُ فِي مَكَانٍ مَا فِي انتِظَارِك.

أبنَـــاء آدَم

إِلَى الحدائـق يَرتقِي العَالم

إِلَى الحَدَائِقِ يَرتَقِي العَالَمُ الجَدِيد،
رِفَاقٌ أَشِدَّاء، بَنَاتٌ، أَبنَاءٌ، يَفتَتِحُون
الحُب، وَحَيَاةَ أَجسَادِهِم، المَعنَى وَالكَينُونَة،
مُندَهِشًا هُنَا أَشهَدُ بَعثِي بَعدَ السُّبَات،
وَالدَّوَائِرُ المتَعَاقِبَةُ فِي اكتِسَاحِهَا الشَّاسِعِ جَاءَت بِي مِن جَدِيد،
عَاشِقًا، نَاضِجًا، وَكُلُّ شَيءٍ جَمِيلٌ بِالنِّسبَةِ لِي، كُلُّ شَيءٍ مُدهِش،
أَعضَائِي وَالنَّارُ المُرتَعِشَةُ التِي تَتَلَاعَبُ أَبَدًا فِيهَا، عَن عَمدٍ، بِصُورَةٍ مُدهشَة،
أُحَدِّقُ فِيهَا وَأَختَرِقُهَا مَا أَزَال،
رَاضِيًا بِالرَّاهِن، رَاضِيًا بِالمَاضِي،
وَبِجِوَارِي أَو خَلفِي تَتبَعُنِي حَوَّاء،
أَو أَمَامِي، وَأَتبَعُهَا، سِيَّان.

مِن أنهَـار حبيسة أليمَـة

مِن أَنهَارٍ حَبِيسَةٍ أليمَة،
مِمَّا يَكمُن دَاخِلِي وَكُنتُ لَا شَيء بِدُونِه،
مِمَّا أُصَمِّمُ عَلَى جَعلِه شَهِيرًا، حَتَّى لَو وَقَفتُ وَحيدًا وَسَطَ النَّاس،
مِن صَوتِي الرَّنَّان، وَهوَ يُغَنِّي القَضِيبَ الذُّكُورِي،
يُغَنِّي أُغنِيَةَ التَّنَاسُل،
يُغَنِّي الحَاجَةَ إلَى أَطفَالٍ رَائِعِين وَبِالتَّالِي إلَى أُنَاسٍ نَاضِجِين رَائِعِين،
يُغَنِّي الحَافِزَ الرُّجُولِيَّ وَالتَّمَازُج،
يُغَنِّي أُغنِيَةَ رَفِيقَةِ الفِرَاش[*] (أَيُّهَا الشَّوقُ الذِي لَا يُقَاوَم!
آهِ مِن أَجلِ أَيِّ وَكُلِّ جَسَدٍ مُتَوَافِقٍ جَذَّاب!
آهِ مِن أَجلِك أَيًّا مَا تَكُون أَيُّهَا الجَسَدُ المُتَوَافِق! آهٍ لَك، أكثَرَ مِن كُلِّ شَيءٍ آخَر، أَيُّهَا المُبهِج!).
مِن قَضمِ الجُوعِ الذِي يَتآكَلُنِي لَيلَ نَهَار،
مِن اللَّحظَاتِ الفِطرِيَّةِ، مِن الآلَامِ الخَجُولَة، التِي أُغَنِّيهَا،

---

[*] الكلمة المستخدمة هنا هي bedfellow، وهي تنطبق على المذكر والمؤنث معًا، دون تحديد؛ فيما لا يحدد السياق طبيعة "رفيق الفراش". وسيتكرر ذلك كثيرًا فيما بعد، على نفس النحو، بلا تحديد، في سياقات مختلفة بالقصائد. ولم أشأ فرض تحديد "تعسفي" من عندي على ذلك النهج الذي يحرص- عن وعي وقصد- على "عدم التمييز" بين المذكر والمؤنث، إلا في حالات ضرورة قصوى. ونلتزم بنفس النهج الحيادي- قدر الإمكان- في الترجمة، بلا تمييز، رغم صعوبة ذلك.

بَاحِثًا عَن شَيءٍ مَا غَيرِ مَوجُودٍ بَعد رغمَ بَحثِي عَنه فِي كَدٍّ لِسَنوَاتٍ طُوَال،
مُغَنِّيًا الأُغنِيَةَ الحَقِيقِيَّةَ عَن الرُّوحِ المُتَشَنِّجَةِ كَيفَمَا اتُّفِق،
طَافِرًا بِـطَبِيعَةٍ فَادِحَةٍ أَو ضِمنَ الحَيَوَانَات،
ذَلِك، وَمَا يَتوَافَقُ مَعَه تُعلِنُه قَصَائِدي،
عَن رَائِحَة التُّفَاحِ وَاللَّيمُون، عَن تَزَاوُج الطُّيُور،
عَن ابتِلَالِ الغَابَةِ، عَن تَقَافُزِ الأموَاج،
عَن الاندِفَاعَاتِ المَجنُونَةِ للأموَاجِ عَلَى اليَابِسَة، أُغَنِّيهَا،
وَالافتِتَاحِيَّةِ التِي تُدَوِّي، وَالسُّلَالَةِ المُنتَظَرَة،
وَالاقتِرَابِ السَّار، وَمَنظَرِ الجَسَدِ المِثَالِي،
وَالسَّبَّاحِ السَّابِحِ عَارِيًا فِي الحَمَّام، أَو سَاكِنًا عَلَى ظَهرِه مُتمَدِّدًا طَافِيًا،
وَالشَّكلِ الأُنثَوِي المُقتَرِب، وَأَنَا أَتَأَمَّل، وَالوَجَعِ المُضطَرِمِ لِحُبِّ الجَسَد،
وَالقَائِمَةِ السَّمَاوِيَّةِ التِي أُعِدُّهَا لِي أَو لَك أَو لأيِّ شَخص،
الوَجهِ، وَالأعضَاءِ، وَالقَائِمَةِ مِن الرَّأس إِلَى القَدَم، وَمَا تَستَثِيرُهَا،
وَالهَذَيَانِ السِّرِّي، وَالجُنُونِ العَاشِق، وَالهجرَانِ المُطلَق،
(أَصغ مُقتَرِبًا بِلَا حِرَاكٍ لِمَا أَهمِسُ بِه الآن لَك،
أُحِبُّك، يَا أَنتَ الذِي تَمتَلِكُنِي كُلِّي،
آهِ لَو نَهرُبُ أَنَا وَأَنت مِن البَاقِين وَنَمضِي بَعِيدًا تَمَامًا، حُرَّين بِلَا قَانُون،
كَصَقرَين فِي السَّمَاءِ، أَو سَمَكَتَين تَسبَحَان فِيْ البَحرِ بِلَا قَانُونٍ مِثلَنَا)؛
العَاصِفَةُ الرَّهِيبَةُ دَاخِلِي تَنطَلِق، فَأَرتَعِدُ مَشبُوبًا.
وَقَسَمُ التَّلَازُم لاثنَين مَعًا، لِلمَرأَةِ التِي تُحِبُّنِي وَأُحِبُّهَا أَكثَرَ مِن حَيَاتِي، ذَلِكَ القَسَمُ القَاطِع،
(آهِ إِنَّنِي عَن طِيبِ خَاطِرٍ أَرهِنُ كُلَّ شَيءٍ بِك،
آهِ فَلتَترُكِينِي لِلضَّيَاعِ إِن كَان ذَلِكَ مَا يَنبَغِي أَن يَكُون!
آهِ أَنت وَأَنَا! مَا الذِي نَفعَل وَمَاذَا يَفعَل البَاقُون أَو يَظُنُّون؟

مَاذَا نَفعَلُ سِوَى ذَلِك؟ أَن يَستَمتِعَ فَحَسب كُلٌّ مِنَّا بِالآخَر وَيَستَنزِفَ كُلٌّ مِنَّا الآخَر، لَو كَانَ ذَلِكَ مَا يَنبَغِي)؛

بِأمرِ المالِكِ، أُسلِمُ السَّفِينَةَ إِلَى الرَّبَّان،

القائِدُ يَأمُرُنِي، يَأمُرُ الجَمِيع، وَمِنه يُؤخَذُ الإِذن،

حَسبَ الزَّمَنِ البِرنَامِجُ مُتَعَجِّل (لَقَد تَأَخَّرتُ كَثِيرًا كَثِيرًا عَنه)،

حَسبَ الجِنسِ، حَسبَ اللُّحمَةِ وَالسَّدَاةِ،

حَسبَ الخُصُوصِيَّةِ، حَسبَ التَّذَمُّرِ المُتَكَرِّرِ وَحِيدًا،

حَسبَ كَثرَةِ النَّاس القَرِيبَةِ، وَ مَعَ ذَلِك، فَالشَّخصُ المَطلُوبُ غَائِب،

حَسبَ انسِلَالِ الأَيدِي النَّاعِمَةِ عَلَيَّ وَوُلُوجِ الأَصَابِعِ لِشَعرِي وَلِحيَتِي،

حَسبَ القُبلَةِ المَكبُوحَةِ طَوِيلًا عَلَى الشِّفَاهِ أَو النَّهد،

حَسبَ الضَّغطَةِ الخَفِيَّةِ التِي تَجعَلُنِي أَو أَيَّ رَجُلٍ سَكرَانًا، دَائِخًا بِالإِفرَاط،

حَسبَ مَا يَعرِفُه الزَّوجُ السَّمَاوِي، مِن عَمَلِ الأُبُوَّة،

حَسبَ الابتِهَاج، وَالنَّصرِ وَالرَّاحَة، مِن عِنَاقِ رَفِيقِ الفِرَاشِ فِي اللَّيل،

حَسبَ القَصَائِد الفَاعِلَةِ لِلعُيُون، وَالأَيدِي، وَالأَفخَاذِ وَالنُّهُود،

حَسبَ تَشَبُّثِ الذِّرَاعِ المُرتَعِدَة،

حَسبَ الانحِنَاءِ وَالإِطبَاقِ المُلتَوِيَين،

حَسبَ إِلقَاء الغِطَاءِ السَّلِسِ مِن جَانِبٍ إِلَى جَانِب،

حَسبَ الشَّخصِ الذِي لَا يَرغَبُ فِي رَحِيلِي، وَمِنِّي غَيرِ الرَّاغِب أَيضًا فِي رَحِيلِي،

(لَكِن دَقِيقَةً أَيُّهَا النَّادِلُ الرَّقِيق، وَسَأَعُود)،

حَسبَ سَاعَةِ النُّجُومِ المُشرِقَةِ وَالنَّدَى المُتَسَاقِط،

حَسبَ اللَّيل الذِي أَنبَثِق فِيه لِلَحظَةٍ وَأَنطَلِق،

لأَحتَفِلَ بِكَ أَيُّهَا الفِعلُ السَّمَاوِيُّ وأَنتُم أَيُّهَا الأَبنَاءُ المُستَعِدُّون لَه،

وَأَنتِ أَيَّتُهَا الأَعضَاءُ الجِنسِيَّةُ القَوِيَّة.

أغنّي الجسَـدَ المثِـير

[1]

أُغَنِّي الجَسَدَ المُثِيـر،
حُشُودُ هَؤلَاء الذِين أُحِبُّ أَن يُطَوِّقُونِي وَأُطَوِّقَهُم،
لَن يُفلِتُونِي إِلَى أَن أَمضِي مَعَهُم، وَأَستَجِيبَ لَهُم،
بِلَا إفسَاد، وَأُشبِعَهُم حَتَّى التُّخمَةِ بِطَاقَةِ الرُّوح.

هَل مِن شَكٍّ فِي أَن مَن يُفسِدُون أَجسَادَهُم إِنَّمَا يَكبِتُون أَنفُسَهُم؟
وَأن هَؤلَاءِ الذِين يُدَنِّسُون الأحيَاءَ أَشرَارٌ شَأنَ مَن يُدَنِّسُون المَوتَى؟
وَأَن الجَسَدَ لَا يَقُومُ بِدَورِه كَامِلًا بِقَدر الرُّوح؟
وَإِذَا مَا كَان الجَسَدُ لَيسَ الرُّوح، فَمَا الرُّوح؟

[2]

حُبُّ جَسَدِ الرَّجُلِ أَو المَرأَةِ يُشَوِّشُ الحِسَاب، فَالجَسَدُ نَفسُه يُشَوِّشُ الحِسَاب،
فَجَسَدُ الذَّكَرِ كَامِلٌ، وَجَسَدُ الأُنثَى كَامِل.

وَتَعبِيرُ الوَجهِ يُشَوِّشُ الحِسَاب،
لَكِنَّ تَعبِيرَ رَجُلٍ نَاضِجٍ لَا يَبدُو فَحَسب فِي وَجهِه،

بَل أَيضًا فِي أَعضَائِه وَمَفَاصِلِه، وَبِشَكلٍ غَرِيبٍ فِي مَفَاصِلِ فَخذَيهِ وَمِعصَمَيه،
فِي مِشيَتِه، فِي قَاعِدَةِ رَقَبَتِه، فِي ثَني خَصرِهِ وَرُكبَتَيه، وَالمَلَابِسُ لَا تُخفِيه،
وَيُبرِزُ السِّمَةَ القَوِيَّةَ العَذبَةَ مِن خِلَالِ القُطنِ وَالجُوخ،
فَأَن تَرَاه يَمشِي يَنقِلُ إِلَيكَ مَا تَنقِلُه أَفضَلُ قَصِيدَة، وَرُبَّمَا أَكثَر،
فَلتُبطِئ لِتَرَى ظَهرَه، وَقَفَاه وَجَانِبَ كَتِفِه.

استِلقَاءُ وَامتِلَاءُ الرُّضَّع، نُهُودُ وَرُؤُوسُ النِّسَاءِ، طَيَّاتُ مَلَابِسِهِن، أُسلُوبُهن حِينَ نَمُر فِي الشَّارِع، وَالخَطُّ الخَارِجِيُّ لِشَكلِهِن مُنحَدِرًا إِلَى الأَسفَل،
وَالسَّبَّاحُ العَارِي فِي حَمَّامِ السِّبَاحَة، وَهوَ يَسبَحُ خِلَالَ الوَهجِ الأَخضَرِ الشَّفَّاف، أَو يَتَمَدَّدُ وَرَأسُه إِلَى أَعلَى وَيَتَدَحرَجُ فِي صَمتٍ ذِهَابًا وَإِيَابًا فِي جَيَشَانِ المَاء،
وَالانحِنَاءُ إِلَى الأَمَامِ وَالوَرَاءِ لِلمُجَذِّفِين فِي قَوَارِبِ التَّجذِيف، وَالخَيَّالُ فِي سَرجِه،
وَالفَتَيَاتُ، وَالأُمَّهَاتُ، وَرَبَّاتُ البُيُوت، فِي كُلِّ أَعمَالِهِن،
مَجمُوعَةُ العُمَّال الجَالِسِين فِي الظَّهِيرَةِ بِآنِيَةِ الغَدَاءِ المَفتُوحَة، وَزَوجَاتُهُن فِي الانتِظَار،
الأُنثَى تُهَدِّئُ طِفلًا، وَابنَةُ الفَلَاحِ فِي الحَدِيقَةِ أَو فِنَاءِ البَقَر،
والرَّفِيقُ الشَّاب يَسقِي الذُّرَة، وَسَائِقُ عَرَبَةِ الجَلِيدِ يَقُودُ أَحصِنَتَه السِّتةَ خِلَالَ الزِّحَام،
وَمُصَارَعَةُ المُصَارِعِين، وَوَلَدَان مُبتَدِئَان، نَاضِجَان، شَهوَانِيَّان، وَدُودَان، قَرَوِيَّان، خَارِجَ السَّاحَةِ الخَاوِيَةِ عِندَ الغُرُوبِ بَعدَ العَمَل،
وَالمعَاطِفُ وَالقُبَّعَاتُ مَرمِيَّةٌ، وَعِنَاقُ الحُبِّ وَالممَانَعَة،
الهَيمَنَةُ وَالخُضُوع، وَالشَّعرُ الأَشعَثُ الذِي يُغطِّي العَينَين؛
وَطَابُورُ رِجَالِ المَطَافِئ فِي زِيِّهِم، وَلُعبَةُ العَضَلَاتِ الذُّكُورِيَّةِ خِلَالَ سَرَاوِيلَ نَظِيفَةٍ وَأَحزِمَةِ الخَصر،
وَالعَودَةُ البَطِيئَةُ مِن الحَرِيقِ، وَالتَّوَقُّفُ عِندَ قَرعِ الجَرَس فَجأَةً مِن جَدِيد، وَالسَّمعُ مُرهَف،
وَالموَاقِفُ الطَّبِيعِيَّةُ، المثَالِيَّةُ، المُتَنَوِّعَةُ، وَالرَّأسُ المطَأطِئَةُ، وَالرَّقَبَةُ المُلتَفِتَةُ وَالإِحصَاء؛

أُحِبُّ مَا إِلَى ذَلِك – أُرخِي نَفسِي، أَمُر بِحُرِّيَّــة، وَأَنَا مَع الرَّضِيع لَدَى ثَدي الأُم،
أَسبَحُ مَعَ السَّبَّاحِين، أُصَارِعُ مَعَ المُصَارِعِين، أَمشِي فِي طَابُورِ رِجَالِ المَطَافِئ،
وَأَتَوَقَّف، أُنصِت، وَأُحصِي.

[3]

كُنتُ أَعرِفُ رَجُلًا، فَلَّاحًا عَادِيًّا، أَبًا لَخمسَةِ أَبنَاء،
مِن بَينِهِم آبَاءٌ لأبنَاء، هُم – أَنفُسُهُم- آبَاءٌ لأبنَاء.

كَانَ هَذَا الرَّجُل حَالَةَ حَيَوِيَّةٍ مُدهِشَة، وَسَكِينَةٍ، وَجَمَالٍ إِنسَانِي،
شَكلُ رَأسِه، لَونُ شَعرِه وَلِحيَتِه الأصفَرُ الفَاتِحُ وَالأبيَض، المعنَى الفَرِيدُ لِعَينَيهِ
السَّودَاوَين، ثَرَاءُ وَسِعَةُ أُفُقِ سُلُوكِه،
ذَلِكَ مَا اعتَدتُ أَن أَذهَبَ وَأَزُورَه لأَرَاه، وَكَان حَكِيمًا أَيضًا،
كَان بِطُولِ سِتَّةِ أَقدَام، فَوقَ الثَّمَانِين مِن العُمر، وَأَبنَاؤُه كَانُوا ضِخَامًا، نَظِيفِين،
مُلتَحِين، مَسفُوعِي الوُجُوه، وَسِيمِين،
كَانُوا – مَعَ بَنَاتِه – يُحِبُّونَه، وَجَمِيعُ مَن رَأَوه أَحَبُّوه،
لَم يُحِبُّوه مِن بَابِ التَّسَامُح، بَل أَحَبُّوه حُبًّا شَخصِيًّا،
لَم يَكُن يَشرَبُ سِوَى المَاء، وَكَانَت الدِّمَاءُ تَبِينُ قُرمُزِيَّةً خِلَالَ بَشرَة وَجهِهِ البُنِّيَّةِ
الصَّافِيَة،
كَانَ كَثِيرًا مَا يَصِيدُ الأسمَاكَ وَالحَيَوَانَات، وَيُبحِرُ بِقَارِبِه بِنَفسِه، كَانَ لَدَيهِ قَارِبٌ أُهدِي
إِلَيهِ مِن نَجَّارِ مَرَاكِب، وَكَانَت لَدَيه بُندُقِيَّةٌ لِصَيدِ الطُّيُورِ أُهدِيَت إِلَيه مِن أُنَاسٍ
أَحَبُّوه،
وَحِينَ كَان يَذهَبُ مَعَ أَبنَائِه الخَمسَةِ وَأَحفَادٍ كَثِيرِين لِصَيدِ الحَيَوَانَات أَو الأسمَاكِ، كَانَ
يُمكِنُكَ أَن تُمَيِّزَه بِاعتِبَارِه الأَجمَلَ وَالأنشَطَ فِي المَجمُوعَة،
وَكَانَ لَكَ أَن تَتَمَنَّى كَثِيرًا كَثِيرًا لَو تَكُون بِصُحبَتِه، تَتَمَنَّى لَو تَجلِس إِلَى جِوَارِه فِي

القَارِبِ لَعَلَّكُمَا تَتَلَامَسَان.

[4]

لَقَد تَصَوَّرتُ أَنَّ بَقَائِي بِصُحبَةِ هَؤُلَاء الذِين أُحِبُّهُم يَكفِي،
أَن أَبقَى بِرِفقَةِ البَاقِينَ فِي المَسَاءِ يَكفِي،
أَن أَكُون مُحَاطًا بِأَجسَادٍ جَمِيلَةٍ، مُثِيرَةٍ، حَيَوِيَّةٍ، ضَاحِكَةٍ، يَكفِي،
أَن أَمضِي وَسطهُم أَو أَلمَسَ أَيًّا مِنهُم، أَو أَضَعَ ذِرَاعِي بِمُنتَهَى الخِفَّةِ حَولَ رَقَبَتِه أَو رَقَبَتِهَا لِلَحظَةٍ، فَمَا الذِي يَبقَى إِذَن؟
إِنَّنِي لَا أَطلُبُ بَهجَةً أَكثَر، أَسبَحُ فِيهَا كَأَنَّمَا فِي بَحر.

هُنَاكَ شَيءٌ مَا فِي البَقَاءِ قُربَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالنَّظَرِ إِلَيهِم، وَفِي التَّمَاس مَعَهُم وَفِي نُكهَتِهِم، يُسعِدُ الرُّوحَ حَقًّا،
كُلُّ الأَشيَاء تُسعِدُ الرُّوح، لَكِنَّ ذَلِكَ يُسعِدُ الرُّوحَ حَقًّا.

[5]

هَذَا هُو القَوَامُ الأُنثَوِي،
هَالَةٌ سَمَاوِيَّةٌ تَنبَعِثُ مِنه مِن الرَّأسِ حَتَّى القَدَم،
إِنَّه يَجتَذِبُ بِجَاذِبِيَّةٍ ضَارِيَةٍ لَا رَادَّ لَهَا،
إِنَّنِي مَجذُوبٌ بِنَفَسِه كَأَنِّي لَستُ سِوَى بُخَارٍ بِلَا حِيلَة، وَكُلُّ شَيءٍ يَسَّاقَطُ جَانِبًا إِلَّاي وَإِلَّاه،
الكُتُبُ، وَالفَن، وَالدِّين، وَالزَّمَن، وَالأَرض المَرئِيَّةُ وَالصَّلدَةُ، وَمَا كَانَ مُنتَظَرًا مِنَ السَّمَاء أَو خَوفًا مِن الجَحِيم، هُو الآنَ مُستَهلَك،
اللِّقَاحَاتُ المَجنُونَةُ، وَالبَرَاعِمُ الحَرُونُ التِي تَنطَلِقُ مِنهَا، وَالاستِجَابَةُ الحَرُون بِالمثل،
الشَّعر، وَالنَّهدُ، وَالأَفخَاذ، وَانحِنَاءةُ السِّيقَان، وَالأَيدِي المُتَهَاوِنَةُ المتَهَاوِيَةُ مَمدُودَةً تَمَامًا، وَيَدَايَ أَيضًا مَمدُودَتَان،

جَزرٌ يَضرِبُه المَدُّ وَمَدٌّ يَضرِبُه الجَزر، وَالحُبُّ الجَسَدِي يَزدَادُ وَيُوجِعُ فِي مُتعَة،
دَفقَاتُ الحُبِّ اللَامَحدُودَةُ الشَّفَّافَةُ سَاخِنَةً وَهَائِلَةً، وَالهُلَامُ المُرتَعِشُ لِلحُب، وَبَاقَةُ
زُهُورٍ بَيضَاء وَنسغٌ هَذَيَانِي،
لَيلَةُ الحُبِّ لِلعَرِيس المَشغُولَةُ بِالتَّأكِيدِ وَبرَهَافَةٍ حَتَّى الفَجرِ المَنهُوك،
مُتَمَاوِجًا حَتَّى النَّهَارِ المرَحِّبِ الفَسِيح،
ضَائِعًا فِي انفرَاجَةِ النَّهَارِ المُعَانِقِ عَذبِ الإثَارَة.

تِلكَ هِيَ النَّوَاة - فَبَعدَ أَن يُولَد الطِّفلُ مِن امرَأَةٍ، يُولدُ الرَّجُلُ مِن امرَأَة،
وَهَذَا هُو حَمَّامُ المِيلَاد، هُو امتِزَاجُ الصَّغِيرِ وَالكَبِير، وَالمصدَرُ مِن جَدِيد.

فَلَا تَخجَلن أَيَّتُهَا النِّسَاء، فَفَضلُكُن يَشمَلُ البَاقِين، وَهُو مَخرَجُ البَاقِين،
أَنتُن بَوَّابَاتُ الجَسَد، وَأَنتُن بَوَّابَات الرُّوح.
الأُنثَى تَحتَوِي جَمِيعَ السَّمَاتِ وَتُشَذِّبُهَا،
فَهِيَ فِي مَوضِعِهَا وَتَتَحَرَّك بِاتِّزَانٍ فَرِيد،
هِيَ كُلُّ الأشيَاءِ الخَفِيَّة كَمَا يَنبَغِي، سَلبِيَّةً وَفَاعِلَةً مَعًا،
تَحمِلُ بِالبَنَاتِ كَمَا الأولَادِ، وَبِالأولَادِ كَمَا البَنَات.

وَحِينَ أَرَى رُوحِي مَعكُوسَةً فِي **الطَّبِيعَة**،
حِينَ أَرَى خِلَالَ ضَبَابٍ، **أَحَدًا** بِكَمَالٍ عَصِيٍّ عَلَى التَّعبِير، مُقَدَّس، فَاتِن،
وَأَرَى الرَّأسَ المحنِيَّةَ وَالأذرُعَ مَعقُودَةً عَلَى الصَّدرِ، فَهِي **الأُنثَى** مَا أَرَى.

[6]

وَالذَّكَرُ لَيسَ أَقَلَّ فِي الرُّوحِ وَلَا أَكثَر، فَهوَ أَيضًا فِي مَوضِعِه،
هُو أَيضًا السِّمَاتُ كُلُّهَا، هُو الفِعلُ وَالقُوَّة،

فِيه اندِفَاقُ الكَونِ المَجهُول،
الازدِرَاءُ يُصبِحُ هُو تَمَامًا، وَالشَّهوَةُ وَالتَّحَدِّي يُصبِحَانُ هُو تَمَامًا،
وَأَكثَرُ الأهوَاءِ وَحشِيَّةً وهَولًا، وَالسَّعَادَةُ القُصوَى، وَالأَسَى الأقصَى يُصبِحُ هُو تَمَامًا،
وَالكِبرِيَاءُ لَه،
الكِبرِيَاءُ كَامِلُ المَدَى لِلرَّجُلِ مُرِيحٌ وَرَائِعٌ لِلرُّوح،
المَعرِفَةُ تُصبِحُ هُو، يُحِبُّهَا دَائِمًا، يَقُوم بِاختِبَارِ كُلِّ شَيءٍ بِنَفسِه،
وَأَيًّا مَا يَكُونُ سَبرُ الأعمَاق، أَيًّا مَا يَكُونُ البَحرُ وَالشِّرَاعُ فَهوَ يَنطَلِقُ إِلَى العُمقِ هُنَا
فَحَسب فِي النِّهَايَة،
(فَأينَ يَنطَلِقُ إِلَى العُمقِ إِلَّا هُنَا؟)

جَسَدُ الرَّجُلِ مُقَدَّس وَجَسَدُ المَرأَةِ مُقَدَّس،
لَيسَ مُهِمًّا مَن يَكُون أَو تَكُون، فَهو مُقَدَّس– أَهوَ الأكثَرُ وَضَاعَةً فِي جَمَاعَةِ العُمَّال؟
أَهوَ أَحَدُ المُهَاجِرِين ذَوِي الوُجُوهِ البَلِيدَةِ مِمَّن رَسَوا لِلتَّو عَلَى المرفَأ؟
كُلُّ مَن يَنتَمِي إِلَى هُنَا أَو لأيِّ مَكَانٍ شَأنُه شَأنُ ذِي الوَضعِ الرَّفِيع، شَأنُه شَأنُك،
وَكُلٌّ مِنهُم لَه أَو لَهَا مَكَانٌ فِي المسِيرَة.

(الجَمِيعُ مَسِيرَة،
الكَونُ مَسِيرَةٌ ذَاتُ حَرَكَةٍ مَحسُوبَةٍ وَدَقِيقَة).

فَهل تَعرِف نَفسَكَ جَيِّدًا إِلَى حَدِّ أَن تُحَدِّدَ الجَاهِلَ الأَخَس؟
هَل تَفتَرِض أَنَّ لَدَيكَ الحَقَّ فِي الإِدرَاكِ الصَّائِب، وَأَنَّه أَو أَنَّهَا بلَا حَقٍّ فِي الإِدرَاك؟
هَل تَظُن أَن المَادَّةَ قَد التَحَمَت مَعًا مِن طَفوِهَا المُبَعثَر، وَالأَرضَ عَلَى السَّطحِ، وَالمَاءَ
يَجرِي وَيَسقِي بَرَاعِمَ النَّبَاتَات،
مِن أَجلِكَ وَحدَك، لَا مِن أَجلِه أَو أَجلِهَا؟

[7]

جَسَدُ الرَّجُلِ فِي المَزَاد،
(فَقَبلَ الحَرب كَثِيرًا مَا أَمضِي إِلَى سُوقِ العَبِيد وَأَتَفَرَّجُ عَلَى المزَاد)،
أُسَاعِدُ الدَّلّال، فَالقَذِرُ لَا يَعرِفُ عَمَلَه إِلَّا بِالكَادِ.

السَّادَةُ يَنظُرُون إِلَى هَذِهِ الأُعجُوبَة،
فَأَيًّا مَا تَكُون عَطاءَاتُ المُزَايِدِين فَلَا يُمكِنُهُم أَن يَرتَقُوا إِلَى مستَوَاهَا،
فَمِن أجلِهَا يَستَلقِي الكَوكَبُ فِي حَالَةِ استِعدَادٍ لِكِينتِليُونَاتِ السِّنين بِلَا حَيَوانٍ أَو نَبَاتٍ وَاحِد،
مِن أَجلِهَا دَارَت الدَّوَائِرُ المُتعَاقِبَةُ حَقًّا وَبِانتِظَام.

فِي هَذِهِ الرَّأسِ يَكمُن العَقلُ الحَائِرُ تَمَامًا،
فِيهَا وَفِي أَسَاسِهَا صِناعَاتُ الأبطَال.

فَلتَختَبِر هَذِه الأعضَاء، الحَمرَاءَ، السَّودَاءَ، أَو البَيضَاء، فَهِيَ جَذَّابَةٌ فِي الوَتَرِ وَالعَصَب،
سَتَتَعَرَّى حَتَّى يُمكِنُكَ أَن تَرَاهَا.

حَوَاس رَهِيفَةٌ، عُيُونٌ بِهَا نُورُ الحَيَاةِ، عَزمٌ، إِرَادَة،
رَقَائِقُ عَضَلَةِ الصَّدرِ، عَظمُ الظَّهرِ وَالرَّقَبَةِ المَرِن، لَحمٌ بِلَا تَرَهُّل، أَذرُع وَسِيقَانٌ بِأَحجَامٍ جَيِّدَة،
وَمَا تَزَالُ هُنَاكَ العَجَائِب.

بِالدَّاخِل يَجرِي الدَّم،
نَفسُ الدَّمِ القَدِيم! نَفسُ الدَّمِ الأَحمَر الجَارِي!
هُنَاكَ يَنتَفِخُ وَيَنبَثِقُ القَلب، هُنَاكَ كُلُّ الأَهوَاء، وَالشَّهَوَاتِ، وَالقُدرَاتِ، وَالطُّمُوحَات،

(فَهَل تَظُن أَنَّهُم بِلَا وُجُودٍ لأنَّهُم لَم يَتَجَلَّوا فِي قَاعَاتِ استِقبَالٍ وَقَاعَاتِ مُحَاضَرَات؟)

إنَّه لَيسَ رَجُلًا وَاحِدًا فَحَسب، فَهُو أَبُ هَؤُلَاء الذِين سَيُصبِحُون بِدَورِهِم آبَاء،
فِيه بِدَايَةُ وِلَايَاتٍ حَاشِدَةٍ وَجُمهُورِيَّاتٍ ثَرِيَّة،
مِنه حَيَوَاتٌ خَالِدَةٌ بِلَا حَصرٍ بِتَجسِيدَاتٍ وَمَبَاهِج بِلَا حَصر.

فَكَيفَ تَعرِف مَن سَيَخرُجُ مِن سُلَالَةِ سُلَالَتِه خِلَالَ القُرُون؟
(مَن ذَا الذِي خَرَجتَ مِنه أَنتَ نَفسك، إِذَا مَا استَطَعتَ اقتِفَاءَ الأَثَرِ خِلَالَ القُرُونِ الغَابِرَة؟)

[8]

جَسَدُ المَرأَةِ فِي المَزَاد،
هِي أَيضًا لَيسَت وَحدَهَا، فَهِي الأُم الوَلُودُ لأُمَّهَات،
هِي حَامِلَتُهُن إِلَى أَن يَكبُرن وَيُصبِحنَ رَفِيقَاتٍ لِلأُمَّهَات.

هَل أَحبَبتَ ذَاتَ يَومٍ جَسَدَ امرَأَة؟
هَل أَحبَبت ذَاتَ يَومٍ جَسَدَ رَجُل؟
أَلَم تَر أَنَّهُمَا سِيَّان تَمَامًا بِالنِّسبَةِ لِلجَمِيعِ فِي كُلِّ الأُمَم وَالأَزمَانِ عَلَى امتِدَادِ الأَرض؟

إِذَا مَا كَان هُنَاكَ مُقَدَّسٌ فَالجَسَدُ الإِنسَانِي مُقَدَّس،
وَرَوعَةُ وَعُذُوبَةُ رَجُلٍ مَا هِي أَمَارَةُ الرُّجُولَةِ الصَّافِيَة،
وَالجَسَدُ النَّظِيفُ، القَوِيُّ، صَلدُ التَّكوِين لِلرَّجُلِ أَو المَرأَة أَجمَلُ مِن أَجمَلِ الوُجُوه.

فَهَل رَأَيتَ الأَحمَقَ الذِي أَفسَدَ جَسَدَه الحَيَوِي؟ أَو الحَمقَاءَ التِي أَفسَدَت جَسَدَهَا الحَيَوِي؟
ذَلِكَ أَنَّهُم لَا يَكبِتُون أَنفُسَهُم، وَلَا يُمكِنُهُم كَبت أَنفُسِهِم.

[9]

آهِ يَا جَسَدِي! إِنَّنِي لَا أَجرُؤ عَلَى التَّنَكُّرِ لِرَغبَاتِك فِي رِجَالٍ وَنِسَاءٍ آخَرِين، وَلَا رَغَبَاتِ أَعضَاءٍ مِنك،

إِنَّنِي أُؤمِنُ بِأن رَغَبَاتِك لَهَا أَن تَصمُدَ أَو تَهوِي مَع رَغبَاتِ الرُّوح (وَأَنَّهَا هِي الرُّوح)،

أُؤمِنُ بِأن رَغَبَاتِك سَتَصمُدَ أَو تَهوِي مَع قَصَائِدِي، وَأَنَّهَا هِي قَصَائِدِي،

وَقَصَائِدُ الرَّجُل، وَالمرأَةِ، وَالطِّفلِ، وَالشَّبَاب، وَالزَّوجَةِ، وَالزَّوجِ، وَالأُم، وَالأب، وَالفَتَى، وَالفَتَاة،

قَصَائِدُ الرَّأس، والرَّقَبَةِ، والشَّعرِ، وَالأُذُنَين، وَحَلَمَةِ وَطَبلَةِ الأُذُنَين،

وَالعُيُونِ، وَأَهدَابِ العُيُون، وَحَدَقَاتِ العُيُون، وَالحَوَاجِب، وَانفِتَاحِ أَو إِغمَاضِ الجُفُون،

وَالفَمِ، وَاللِّسَانِ، وَالشِّفَاه، وَالأسنَانِ، وَسَقفِ الحلقِ، وَالفَكَّين، وَمَفَاصِلِ الفَكَّين،

وَالأَنفِ، وَمِنخَارَي الأَنفِ، وَحَاجِزِ الأَنفِ الدَّاخِلِي،

وَالخُدُودِ، وَالأصدَاغِ، وَالجَبِين، وَالذَّقنِ، وَالحنجَرَةِ، وَالقَفَا، وَجِلدِ الرَّقَبَة،

وَالأكتَافِ القَوِيَّةِ، وَاللِّحيَةِ الرُّجُولِيَّةِ، وَعَظمِ الكَتِف، وَاستِدَارَةِ الصَّدرِ الجَانِبِيَّةِ العَرِيضَة،

وَأَعلَى الذِّرَاعِ، وَالإِبِط، وَتَجوِيفِ الكُوع، وَأَسفَلِ الذِّرَاعِ، وَأَوتَارِ الذِّرَاع، وَعِظَامِ الذِّرَاع،

وَالمِعصَمِ وَمَفَاصِلِ المِعصَم، وَاليَد، وَالكَف، وَالمَفَاصِلِ الصُّغرَى، وَالإِبهَام، وَالسَّبَّابَةِ، وَمَفَاصِلِ الإِصبَع، وَالأَظَافِر،

وَمُقَدِّمَةِ الصَّدرِ العَرِيضَة، وَشَعرِ الصَّدرِ المُلتَف، وَعَظمِ الصَّدر، وَجَانِبِ الصَّدر،

وَالضُّلُوعِ، وَالبَطنِ، وَعَظمِ الظَّهر، وَمَفَاصِلِ الظَّهر،

وَالأورَاك، وَمَفَاصِلِ الأورَاك، وَقُوَّةِ الأورَاك، وَالاستِدَارَةِ الخَارِجِيَّةِ وَالدَّاخِلِيَّة، وَخِصِي الرَّجُل، وَقَضِيبِ الرَّجُل،

وَالهَيئَةِ القَوِيَّةِ لِلأفخَاذ، الَتِي تَحمِلُ فَوقَهَا جَيِّدًا الجِذع،

وَنسِيجِ السَّاقِ، وَالرُّكبَةِ، وَتَجوِيفِ الرُّكبَةِ، وَأَعلَى السَّاقِ، وَأَسفَلِ السَّاق،

وَالكَاحِلِ، وَمُشطِ القَدَمِ، وَنُتُوءِ القَدَمِ، وَالأَصَابِعِ، وَمَفَاصِلِ الأَصَابِعِ، وَالكَعبِ؛
كُلُّ الأوضَاعِ، كُلُّ المفَاتِنِ، كُلُّ تَفَاصِيلِ جَسَدِي أَو جَسَدِك أَو جَسَدِ أَيِّ شَخصٍ، ذَكرًا كَان أَم أُنثَى،
اسفِنجُ الرِّئَةِ، غِلَافُ المَعِدَة، الأمعَاءُ السَّلِسَةُ وَالنَّظِيفَة،
العَقلُ فِي تَلَافِيفِه دَاخِلَ إِطَارِ الجُمجُمَة،
العَوَاطِفُ، وَصِمَامَاتُ القَلبِ، وَصِمَامَاتُ الحَنَك، وَالنَّوعُ الجِنسِي، وَالأُمُومَة،
الأُنُوثَةُ، وَكُلّ مَا هُو امرَأَة، وَالرَّجُلُ الذِي يَأتِي مِن المَرأَة،
الرَّحِمُ، وَالأثدَاءُ، وَالحَلَمَاتُ، وَلَبَن الثَّدي، وَالدُّمُوعُ، وَالضَّحِك، وَالتَّحِيب، وَنَظَرَاتُ الحُب، وَقَلَقُ وَانتِفَاضَاتُ الحُب،
الصَّوتُ، وَالتَّلَفُّظ، وَاللُّغَةُ، وَالهَمسُ، وَالصِّيَاحُ عَالِيًا،
الطَّعَامُ، وَالشَّرَابُ، وَالنَّبضُ، وَالهَضمُ، وَالعَرَقُ، وَالنَّومُ، وَالمَشي، وَالعَوم،
الاتِّزَانُ عَلَى الأفخَاذِ، وَالقَفزُ، وَالاستِرخَاءُ، وَالعِنَاق، وَالتِفَافُ الأَذرُعِ وَالاحتِضَان،
التَّغَيُّرَاتُ الدَّائِمَةُ لالتِوَاءِ الفَم، وَحَولُ العَينَين،
البَشَرَةُ، وَالظِّل المَسفُوعُ، وَالنَّمَشُ، وَالشَّعر،
التَّعَاطُف الغَرِيبُ الذِي يُحِسُّه المَرءُ حِين يَتَحَسَّسُ بِاليَدِ اللَّحمَ العَارِي لِلجَسَد،
المسَارَاتُ الدَّائِرِيَّةُ لِلنَّفَس، وَتَنَفُّسه دَاخِلًا وَخَارِجًا،
جَمَالُ الخَصرِ، فَجَمَالُ الأفخَاذِ صُعُودًا، فَهُبُوطًا نَحوَ الرُّكَب،
الهُلَامُ الأحمَرُ النَّحِيلُ دَاخِلَك أَو دَاخِلِي، وَالعِظَامُ وَالنُّخَاعُ فِي العِظَام،
التَّحَقُّقُ الفَاتِن لِلعَافِيَة؛
آهِ أَقُولُ تِلكَ لَيسَت أَعضَاءَ وَقَصَائِدَ الجَسَد فَحَسب، بَل الرُّوح،
آهِ أَقُولُ الآن تِلكَ هِي الرُّوح!

امـرأةٌ تنتَظِـرُني

امرَأَةٌ تنتَظِرُني، تحتَوِي كُلَّ شَيءٍ، وَلَا يَنقُصُهَا شَيء،
لَكِن كُلَّ شَيءٍ يَنقصُ إِذَا مَا انعَدَم الجِنسُ، أَو إِذَا مَا انعَدَمَ بَلَلُ الرَّجُلِ الحَق.

فَالجِنسُ يَحتَوِي الكُل، الأجسَادَ وَالأرواح،
المَعَانِي، وَالبَرَاهِينَ، وَالطَّهَارَةَ، وَالرَّهَافَةَ، وَالثِّمَارَ، وَالتَّجَلِّيَات،
وَالأغَانِي، وَالأوَامِرَ، وَالعَافِيَةَ، وَالكِبرِيَاءَ، وَالسِّرَّ الأُمُومِي، وَاللَّبَن المَنَوِي،
وَكُلَّ الآمَالِ، وَالبِر، وَالهِبَاتِ، كُلَّ الشَّهوَاتِ، وَالغَرَامِيَّاتِ، وَالمفَاتِن، وَمَبَاهِجِ الأرض،
كُلَّ الحُكُومَات، وَالقُضَاةِ، وَالأربَابِ، وَأَصحَابِ النُّفُوذِ فِي الأرض،
هَذَا مَا يَحتَوِيه الجِنسُ كَأجزَاءٍ مِن ذَاتِه وَتَبرِيرٍ لِذَاتِه.

بِلَا خَجَلٍ يَعرِفُ الرَّجُلُ الذِي أُحِبُّه وَيَعتَرِفُ بِفِتنَةِ عُضوِهِ الجِنسِي،
بِلَا خَجَلٍ تَعرِفُ المَرأَةُ التِي أُحِبُّهَا وَتَعتَرِفُ بِفِتنَةِ عُضوِهَا الجِنسِي.
الآن سَأنأَى بِنَفسِي عَن النِّسَاءِ السَّلبِيَّات،
سَأَمضِي لأبقَى مَعَ مَن تَنتَظِرُنِي، وَمَعَ هَؤلَاءِ النِّسَاءِ ذَوَات الدَّمِ السَّاخِن المُلَائِمَاتِ لِي،
فَهُن يَفهَمنَنِي وَلَا يُنكِرنَنِي،
هُن جَدِيرَاتٌ بِي، وَسَأَكُون الزَّوجَ العَفِيَّ لِهَؤلَاءِ النِّسَاء.

لَسنَ بِأَقَل مِنِّي بِمِثقَالِ ذَرَّة،
مَسفُوعَاتُ الوُجُوهِ مِن الشُّمُوسِ السَّاطِعَةِ وَالرِّيَاحِ العَاصِفَة،

وَلأجسَادِهِن الطَّرَاوَةُ وَالقُوَّةُ السَّمَاوِيَّةُ الغَابِرَة،
يَعرِفنَ كَيفَ يَسبَحن، وَيجُذِّفن، وَيَركَبن الخَيل، وَيُصَارِعن، وَيُصَوِّبن، وَيَجرِين، وَيَضرِبن، وَيَترَاجَعن، وَيَتَقَدَّمن، وَيُقَاوِمن، وَيُدَافِعن عَن أَنفُسِهِن،
هُن الذُّروَةُ في حَد ذَاتِهِن– هَادِئَاتٌ، صَافِيَاتٌ، رَابِطَاتُ الجَأشِ تَمَامًا.

أَشُدُّكُن إِلَيَّ، أَيَّتُهَا النِّسَاء،
لَا يُمكِنُ أَن أَترُكُكُن تَمضِين، سَأفعَلُ خَيرًا لَكُن،
فَأَنَا لَكُن، وَأَنتُن لِي، لَا مِن أَجلنَا نَحنُ فَحَسب، بَل مِن أَجلِ الآخَرِين،
فِي أَحضَانِكُن يَنَامُ الأَبطَالُ وَالشُّعَرَاءُ العِظَام،
وَيَرفُضُون الاستِيقَاظَ عَلَى لَمَسَةِ أَيِّ رَجُلٍ سِوَاي.

هُو أَنَا، أَيَّتُهَا النِّسَاء، أَتَّخِذُ طَرِيقِي،
صَارِمٌ، لَاذِعٌ، ضَخمٌ، لَا يُثنِينِي شَيءٌ، لَكِنِّي أُحِبُّكُن،
لَا أُؤذِيكُن بَعدَ الآن بِأَكثَر مِمَّا هُو ضَرُورِيٌّ لَكُن،
وَأَصُبُّ مَا يَأتِي بِالأَولَادِ وَالبَنَاتِ اللَائِقِين بِهَذِهِ الوِلَايَات، أَضغَطُ بِعَضَلَةٍ بَطِيئَةٍ صَلدَة،
أُثَبِّتُ نَفسِي تَمَامًا، وَلَا أُنصِتُ لأَيِّ تَوَسُّلَات،
وَلَا أَجرُؤ عَلَى الانسِحَابِ إِلَى أَن أُودِعَ مَا تَرَاكَم دَاخِلِي طَوِيلًا.

خِلَالَكُن أُفرِغُ أَنهَارَ نَفسِي الحَبِيسَة،
وَفِيكُن أَدُس أَلفَ عَامٍ قَادِمَة،
فِيكُن أَشتِلُ شَتَلَاتِ أَفضَل مَعشُوقَاتِي وَمَعشُوقَاتِ أَمِيرِيكَا،
وَالقَطَرَاتُ الَتِي أَبُثُّهَا فِيكُن سَتَنمُو فَتَيَاتٍ قَوِيَّاتٍ ضَارِيَات، وَفَنَّانِين جُدُدًا، وَمُوسِيقِيِّين، وَمُغَنِّين،
وَالأَطفَالُ الذِين أُنجِبُهُم مِنكُن سَيُنجِبُون أَطفَالًا بِدَورِهِم،
وَسَأَطلُبُ رِجَالًا وَنِسَاءً مِثَالِيِّين مِن دَفقَاتِ حُبِّي،

سَأَتوَقعُهُم مُتَدَاخِلِين مَعَ الآخَرِين، مِثل تَدَاخُلِنَا أَنَا وَأنتُن الآن،

وأرصُدُ ثِمَارَ دَفقَاتِهِم المُتَفَجِّرَة، مِثلَمَا أَرصُد ثِمَارَ الدَّفقَاتِ المُتَفَجِّرَةِ التِي أَمنَحُهَا الآن،

وَسَأَتَطَلَّعُ إِلَى حُب المحصُولِ مِن المِيلَادِ، وَالحَيَاةِ، وَالمَوت، وَالخُلُود، الذِي أَغرِسُه الآن فِي عِشق.

عَفــوِيٌّ أنا

عَفوِيٌّ أَنَا، أَيَّتُهَا الطَّبِيعَة،
اليَومُ الجَمِيل، الشَّمسُ الطَّالِعَة، الصَّدِيق الذِي أَسعَدُ مَعَه،
ذِرَاعُ الصَّدِيقِ المُعَلَّقَةُ بِكَسَلٍ عَلَى كَتِفِي،
جَانِبُ التَّل الأبيَض بِأَزهَارِ رَمَادِ الجَبَـل،
نَفسُ الوَقتِ المتَأَخِّر فِي الخَرِيف، دَرَجَاتُ الأحمَر، وَالأصفَر، وَالأسمَرِ الفَاتِح، وَالقُرمُزِي، وَالأخضَرِ الفَاتِح وَالدَّاكِن،
الغِطَاءُ الخِصبُ لِلعُشبِ، الحيَوَانَاتُ وَالطُّيورُ، الضِّفَّةُ المُنعَزِلَةُ غَيرُ المُشَذَّبَة، التُّفَّاحُ البَرِّي، الحَصَى،
الشَّذَرَاتُ الجَمِيلَةُ التِي تَقطُرُ، القَائِمَةُ اللَامُبَالِيَةُ وَاحِدًا بَعدَ الآخَر حِينَ أَدعُوهُم إِلَيَّ أَو أُفَكِّر فِيهِم،
القَصَائِدُ الحَقِيقِيَّةُ (مَا نُسَمِّيهَا قَصَائِدَ لَيسَت سِوَى صُوَر)،
قَصَائِدُ حَمِيمِيَّةِ اللَّيلِ، وَالأشخَاصِ الشَّبِيهِينَ بِي،
هَذِه القَصِيدَةُ التِي دَائِمًا مَا أَحمِلُهَا، وَيَحمِلُهَا الجَمِيع، وَتَسَّاقَطُ خَجُولَةً خَفِيَّة،
(فَلتَعرِف مَرَّةً وَإِلَى الأبَد، مُقِرًّا بِوَعي، أَينَمَا يَكُونُ هُنَاكَ رِجَالٌ مِثلِي، تَكُون هُنَاكَ قَصَائِد رُجُولِيَّةٌ شَهوَانِيَّةٌ كَامِنَةٌ)،
أَفكَارُ الحُب، نَسغُ الحُب، أَرِيجُ الحُب، عَطِيَّةُ الحُب، مُتَسَلِّقُو الحُب، وَحَيَوَيَّةُ التَّسَلُّق،
أَذرُعُ وَأَيدِي الحُب، شِفَاهُ الحُب، الإبهَامُ الذُّكُورِي لِلحُب، أَثدَاءُ الحُب، البُطُونُ

المُعتَصَرَةُ وَالمُلتَصِقَةُ مَعًا بِالحُب،
أَرضُ الحُبِّ الطَّاهِر، وَالحَيَاةُ لَيسَت سِوَى الحَيَاةِ بَعدَ الحُب،
جَسَدُ حَبِيبَتِي، جَسَدُ المَرأَةِ التِي أُحِبُّهَا، جَسَدُ الرَّجُلِ، جَسَدُ الأَرض،
هَوَاءُ صَدرِ النَّهَارِ الرَّهِيفُ الذِي يَهُبُّ مِن الجَنُوبِ الغَربِي،
ذَكَرُ النَّحلِ البَرِّيُّ المُشعِرُ الذِي يَطِن وَيَهفُو صَاعِدًا هَابِطًا، لأن يُمسِك بِوَردَةِ المرأَةِ النَّاضِجَةِ، يَحتَضِنَهَا بِسِيقَانٍ قَوِيَّةٍ عَاشِقَةٍ، يَنَالَ شَهوَتَه مِنهَا، وَيَكبَحَ نَفسَه مُرتَعِشًا إِلَى أَن يَشبَع؛
بَلَلُ الغَابَةِ خِلَالَ السَّاعَاتِ الأُولَى،
وَنَائِمَان فِي اللَّيلِ يَرقُدَان مُتَلَاصِقَين مَعًا وَهُمَا نَائِمَان، وَأَحَدُهُمَا بِذِرَاعٍ مُنحَدِرَةٍ عَبرَ وَأسفَلَ خَصرِ الآخَر،
رَائِحَةُ التُّفَّاحِ، وَالعَبَقُ القَادِمُ مِن شَجَرَةِ المَريَمِيَّةِ المُهَشَّمَة، وَالنِّعنَاع، وَلِحَاءُ البَتولَا،
أَشوَاقُ الصَّبِي، وَالالتمَاعَةُ وَالضَّغطَةُ وَهو يَبُوحُ لِي بِمَا كَان يَحلُم بِه،
وَرَقَةُ الشَّجَرِ المَيِّتَةُ تَدُورُ فِي دَوَّامَتِهَا الحَلَزُونِيَّةِ وَتَهوِي سَاكِنَةً وَرَاضِيَةً إِلَى الأَرض،
اللَّدغَاتُ بِلَا شَكلٍ التِي تَلدَغُنِي بِهَا الأَبصَارُ، وَالنَّاسُ، وَالأَشيَاءُ،
اللَّدغَةُ الذَّاتِيَّةُ القَاطِعَةُ، تَلدَغُنِي بِأَكبَر مِمَّا يُمكِنُ لأَحَدٍ أَن يَلدَغ،
أَشِقَّاءُ نَفسِ المَدَارِ، المرهَفُون، فِي العُمق، الذِين يَحظَون وَحدَهُم بِقُرُون استِشعَار، وَيُمكِن أَن يَكُونُوا حَمِيمِين أَينَمَا يَكُونُون،
الطَّوَّافُ الغَرِيبُ لِليَدِ التِي تَطُوفُ بِأَنحَاءِ الجَسَدِ، وَالارتِدَادُ الخَجُولُ لِلَّحمِ حَيثُ تَتَوقَّفُ الأَصَابِعُ مُهَدِّئَةً وَتَتَحَرَّكُ شَيئًا فَشيئًا،
النَّسغُ الشَّفَّافُ دَاخِلَ الشَّاب،
التَّآكُلُ المُهتَاجُ الكَئِيبُ وَالأَلِيم،
العَذَابُ، المَدُّ الذِي لَن يَعرِفَ الهُدُوء،
الشَّبِيهُ بِمَا أَشعُر، نَفسُ الشَّبِيهِ لَدَى الآخَرِين،
الشَّاب الذِي يَحمَر خَجَلًا وَيَحمَر، وَالفَتَاةُ التِي تَحمَر خَجَلًا وَتَحمَر،

الشَّاب الذِي يَصحُو فِي عُمقِ اللَّيل، وَاليَدُ السَّاخِنَةُ التِي تَسعَى لِكَبتِ مَا يُهَيمِنُ عَلَيه،

اللَّيلَةُ السِّريَّةُ العَاشِقَةُ، غُصَّةُ التَّرحِيبِ الفَاتِرِ الغَرِيب، الرُّؤَى، العَرَق،

النَّبضُ الخَفَّاقُ فِي رَاحَاتِ الأيدِي وَالارتِعَاشُ المحِيطُ بِالأصَابِع، وَالشَّاب مُصطَبِغٌ كُلُّه بِالأحمَر، خَجُولًا، غَاضِبًا؛

بَلَلِي مِن حَبِيبِي البَحر، وَأَنَا أَستَلقِي رَاغِبًا وَعَارِيًا،

مَرَحُ الطِّفلَينِ التَّوأَمِ اللَّذِين يَزحَفَان عَلَى العُشبِ فِي الشَّمس، وَالأُم لَا تَرفَعُ عَنهُمَا عَينَيهَا اليَقِظَتَين،

جِذعُ شَجَرَةِ الجُوزِ، قُشُورُ الجُوز، وَنُضجُ أَو مَا بَعدَ نُضجِ الجُوزِ المُستَدِير،

كَبحُ الخُضرَوَاتِ، وَالطُّيُورِ، وَالحَيَوَانَات،

فَهَل يَنبَغِي أَن أُخفِي وَضَاعَتِي المتَوَالِيَةَ أَو أَعتَبِرَ نَفسِي فَظًّا، فِيمَا الطُّيُورُ وَالحَيَوَانَاتُ لَا تَتَخَفَّى إِطلَاقًا أَو تَعتَبِر نَفسَهَا فَظَّة،

الطَّهَارَةُ العَظِيمَةُ لِلأُبُوَّة، لِتُنَاظِرَ الطَّهَارَةَ العَظِيمَةَ لِلأُمُومَة،

العَهدُ الذِي قَطعتُه بِالإِنجَاب، وَبَنَاتِي الآدَمِيَّات المُفعَمَاتُ بِالحَيَوِيَّة،

النَّهَمُ الذِي يَلتَهِمُنِي لَيلَ نَهَار بِقَضمٍ جَائِع، إِلَى أَن أُفعِم مَا سَيُنجِبُ أَولَادًا يَملأُون مَكَانِي حِين أَرحَل،

السَّكِينَةُ، وَالرَّاحَةُ، وَالرِّضَى الكَامِل،

وَهذِه البَاقَةُ التِي اقتَطَفتُهَا كَيفَمَا اتُّفِق مِن نَفسِي،

فَقَامَت بِدَورِهَا – أَقذِفُهَا بِلَا مُبَالَاةٍ لِتَهوِي أَينَمَا تَهوِي.

ساعةٌ واحدةٌ للجُنُون وَالبهجَة

سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ لِلجُنُونِ وَالبَهجَة! آهِ صَاخِبًا! آهِ لَا تَحبِسُونِي!
(مَا الذِي يُحَرِّرنِي هَكَذَا فِي العَوَاصِف؟
مَا الذِي تَعنِيه صَيحَاتِي وَسَط البُرُوقِ وَالرِّيَاح الهَائِجَة؟)

آهِ لَو أَعبُّ الهَذَيَانَ الدَّاخِلِيَّ أَعمَقَ مِن أَيِّ شَخصٍ آخَر!
يَا لَلآلَامِ الوَحشِيَّةِ وَالرَّهِيفَة! (أُورِثُهَا لَكُم يَا أَبنَائِي،
أُخَصِّصُهَا لَكُم، عَن وَعي، أَيُّهَا العَرِيسُ وَالعَرُوس).

آهِ لَو أَكُونُ طَيِّعًا لَكُم أَيًّا مَن تَكُونُون، وَأَن تَكُونُوا طَيِّعِين لِي فِي تَحَدٍّ لِلعَالَم!
آهِ لَو نَعُودُ إِلَى الفِردَوس! أَيُّهَا الخَجُولُ وَالأُنثَوِي!
آهِ لَو أَشُدُّكَ إِلَيَّ، أَغرِسُ فِيكَ لِلمَرَّةِ الأُولَى شِفَاهَ رَجُلٍ عَاقِدِ العَزم.
يَا لَلُّغز، العُقدَةِ الثُّلَاثِيَّة، البِركَةِ العَمِيقَةِ المُظلِمَةِ، المُنسَابَةِ وَالمُضَاءَةِ تَمَامًا،
لَو نُسرِع إِلَى حَيثُمَا يَكُون بَرَاحٌ كَافٍ وَهَوَاءٌ كَافٍ فِي النِّهَايَة!
لَو نَتَحَلَّل مِن رَوَابِطِنَا وَتَقَالِيدِنَا السَّابِقَة، أَنَا مِمَّا يَخُصُّنِي وَأَنتَ مِمَّا يَخُصُّك!
لَو نَجِد لَامُبَالَاةً جَدِيدَةً لَم تَخطُر بِالبَال مَعَ أَفضَل مَا فِي الطَّبِيعَة!

لَو نَنزَع اللِّجَامَ عَن فَم المَرء!

لَو أُحِس اليَومَ أَو أَي يَومٍ بَأَنَّنِي مُشبَعٌ كَمَا أَنَا.

يَا لَشَيءٍ بِلَا بُرهَان! شَيءٍ فِي حَالَةِ نَشوَة!
لَو أَهرُب تَمَامًا مِن خَطَاطِيفِ وَكُلَابَاتِ الآخَرِين!
لَو أَسِير بِحُرِّيَّـةٍ، لَو أُحِب بِحُرِّيَّـةٍ، أَندَفِعُ بِتَهَوُّرٍ وَخُطُورَة!
لَو أُغوِي الدَّمَارَ بِالسُّخرِيَة، بِالإِغرَاءَات!
لَو أَصعَد، لَو أَقفِز إِلَى سَمَاوَاتِ الحُب التِي أَومَأَت لِي!
لَو أَنبَثِقَ هُنَاكَ بِرُوحِي المُنتَشِيَة!
لَو أَضِيع إِن كَانَ ذَلِكَ مَا يَنبَغِي!
لَو أُغَذِّي بَقِيَّةَ الحَيَاةِ بِسَاعَةٍ مِن الامتِلَاءِ وَالحُرِّيَّـة!
بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ قَصِيرَةٍ مِن الجُنُونِ وَالبَهجَـة.

خارجَ المحيـطِ والزِّحـامِ المتدفِّق

خَارِجَ المحِيطِ وَالزِّحَامِ المتَدفِّقِ جَاءَت لِي قَطرَةٌ بِرِقَّة،
هَامِسَةً *أُحِبُّك، وَسَأَمُوتُ فِي القَرِيب،*
لَقَد سَافَرتُ طَوِيلًا لأنظُرَ إِلَيكَ لأَلمَسك لَا أَكثَر،
فَمَا كَانَ يُمكِنُ لِي أَن أَمُوتَ إِلَى أَن أَرَاكَ ذَاتَ مَرَّة،
فَقَد خِفتُ أَن أَفقِدَكَ فِيمَا بَعد.

الآنَ التقَينَا، نَظَرنَا، وَنَحنُ فِي أَمَان،
فَعُودِي بِسَلَامٍ إِلَى المُحَيطِ يَا حَبِيبَتِي،
فَأَنَا أَيضًا جُزءٌ مِن ذَلِكَ المُحِيطِ، يَا حَبِيبَتِي، لَسنَا مُنفَصِلَين كَثِيرًا،
انظُرِي إِلَى الاستِدَارَةِ العَظِيمَة، وَتَلَاحُمِ الكُل، كَم هُو كَامِل!
لَكِن بِالنِّسبَةِ لِي، لَكِ، فَالبَحرُ العَصِيُّ يَفصِلُنَا،
لِسَاعَةٍ يَحمِلُنَا مُختَلِفَين، لَكِنَّه لَا يُمكِن أَن يَحمِلَنَا مُختَلِفَين إِلَى الأَبَد؛
فَلَا تَتَبَرَّمِي – لِبُرهَةٍ – لِتَعرِفِي أَنِّي أُحَيِّي الهَوَاءَ وَالمُحِيطَ وَالأَرض،
كُلَّ يَومٍ عِندَ الغُرُوبِ مِن أَجلِ خَاطِرِكِ العَزِيز، يَا حَبِيبَتِي.

عُصورٌ وعصُورٌ تعود في اللحظات الفاصلة

عُصُورٌ وَعُصُورٌ تَعُودُ فِي اللَّحَظَاتِ الفَاصِلَة،
سَالِمَةً، تَهِيمُ أَبَدِيَّةً،
شَهوَانِيَّةً، ذُكُورِيَّةً، بِالأعضَاءِ الجِنسِيَّةِ الأصلِيَّةِ القَوِيَّة، العَذبَةِ تَمَامًا،
وَأَنَا، مُنشِد الأغَانِي الآدَمِيَّة،
خِلَالَ حَدِيقَةِ الغَربِ الجَدِيدَة، وَنِدَاءِ المُدُنِ العُظمَى،
أَهذِي، مُفتَتِحًا بِذَلِك مَا يَتَوَالَد، مَانِحًا هَؤلَاء، مَانِحًا نَفسي،
مُحَمِّمًا نَفسِي، مُحَمِّمًا أُغنِيَاتِي فِي الجِنس،
وَأَنبَثِقُ مِن أَعضَائِي الجِنسِيَّة.

كم كُنَّا أحمقَين طويلًا، نحن الاثنَين

نَحنُ الاثنَين، كَم كُنَّا أَحمَقين طَويلًا،
ما إن نَتَحوَّل، حَتَّى نَهرُبَ بِسُرعَةٍ مِثلَمَا تَهرُب **الطَّبِيعَة،**
كُنَّا **الطَّبِيعَة،** كُنَّا غَائِبين طَوِيلًا، لَكِنَّنَا الآنَ نَعُود،
نُصبِحُ نَبَاتَاتٍ، جُذُوعًا، أَورَاقَ شَجَر، جُذُورًا، لِحَاءً،
رَاقِدَين فِي التُّربَةِ، نَحنُ أَحجَار،
نَحنُ بَلُّوط، نَنمُو فِي المسَاحَاتِ الخَالِيَةِ جَنبًا إِلَى جَنب،
نَرعَى، اثنَين ضِمنَ القُطعَانِ البَرِّيَّة فِطرِيَّين كَالجَمِيع،
نَحنُ سَمَكَتَان تَسبَحَان فِي البَحرِ مَعًا،
نَحن زُهُورُ الخَرنُوب، نَقطُرُ أَرِيجًا حَولَ المَمَرَّاتِ صُبحَ مَسَاء،
نَحنُ أَيضًا دَاءُ السُّنَاجِ القَاسِي لِلحَيَوَانَات، والخُضرَوَاتِ، وَالمعَادِن،
نَحنُ صَقرَان مَشقُوقَا الأَقدَامِ، نُحَلِّقُ إِلَى أَعلَى وَنَنظُرُ إِلَى أَسفَل،
نَحنُ شَمسَان مُشرِقَتَان، نُوَازِن نَفسَينَا كَمجَرَّةٍ وَنَجم، نَحنُ شِهَابَان،
نَجُوسُ بِأَربَعِ أَقدَامٍ مِن مَخَالِب فِي الغَابَةِ، وَنَنقَضُّ عَلَى الفَرِيسَة،
نَحنُ غَيمَتَان فِي صَدرِ النَّهَارِ وَبَعدَ الظَّهِيرَةِ نَمضِي عَالِيًا،
نَحنُ بَحرَان مُمتَزِجَان، نَحنُ مَوجَتَان مِن هَذِه الأَموَاجِ المَرِحَةِ المُتَدَحرِجَةِ فوقَ بَعضِهَا
وَتُبَلِّلُ بَعضَهَا البَعض،
نَحنُ مَا يَكُونُه الجَو، شَفَّافًا، مُتَفَتِّحًا، نَفَّاذًا، وَغَيرَ نَفَّاذ،

نَحنُ ثُلُوجٌ، مَطرٌ، بَردٌ، ظَلَامٌ، وَكُلٌّ مِنَّا نِتَاجٌ وَفَاعِلٌ فِي الكَوكَب،
لَقَد دُرنَا وَدُرنَا إِلَى أَن وَصَلنَا إِلَى مَوطِنِنَا مِن جَدِيد، نَحن الاثنَين،
تَحَاشَينَا كُلَّ شَيءٍ عَدَا الحُرِّيَّةِ وَكُلَّ شَيءٍ عَدَا بَهجَتِنَا.

آه هيمِين! آه هيمِيني!

آهِ هيمِين[*]! آهِ هيمِيني! لِمَاذَا تُعَذِّبُني هَكَذَا؟
آهِ لِمَاذَا تَتَقَاضَى ثَمنًا بَاهِظًا مُقَابِلِ لَحَظَةٍ خَاطِفَةٍ فَحَسب؟
لِمَاذَا لَا يُمكِنُكَ الاستِمرَار؟ آهِ لِمَاذَا تَتَوَقَّفُ الآن؟
أَذَلِكَ لأنَّكِ إِن وَاصَلت فِيمَا بَعد اللَّحظَةِ الخَاطِفَةِ لَكَانَ عَلَيكَ بِالتَّأكِيدِ أَن تَقتُلَنِي عَلَى الفَور؟

[*] هيمِين Hymen أو هيميني Hyménée: إله احتفالات الزَّوَاج عند اليونان. ومن المفترض أن يحضر كل حفل زفاف؛ وإلا فيمكن للحفل أن يؤول إلى نهاية كارثية.

أنا مَن يتألَّـم مِن الحُب

أَنَـا مَن يَتَأَلَّم مِن الحُبِّ العَاشِق؛
فَهَل تَنجَذِبُ الأَرض؟ أَلَّا يجتَذِبُ كُلُّ شَيءٍ يَتَأَلَّم جَمِيعَ الأشيَاء؟
هَكَذَا جَسَدِي تِجَاه كُلِّ مَن أُقَابِل أَو أَعرِف.

أيتها اللحظَـاتُ الفِطريَّـة

أَيَّتُهَا اللَّحظَاتُ الفِطرِيَّة – حِين تَأتِين إِلَيَّ – آهٍ فَأَنتِ الآنَ هُنَا،
فَامنَحِينِي الآن مَبَاهِجَ شَبِقَةً فَحَسب،
امنَحِينِي إِشبَاعَ شَهوَاتِي، امنَحِينِي حَيَاةً خَشِنَةً وَفَاسِدَة،
اليَومَ أَمضِي لأُعَاشِرَ أَحِبَّاءَ **الطَّبِيعَة**، وَاللَّيلَةَ أَيضًا،
فَأَنَا لِهَؤلَاءِ الذِين يُؤمِنُون بِالمَبَاهِجِ المتحَرِّرَةِ، وَأُشَارِكُ فِي عَربَدَاتِ الشُّبَّان فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ،
أَرقُصُ مَع الرَّاقِصِين وَأَشرَبُ مَعَ الشَّارِبِين،
وَالأصدَاءُ تُدَوِّي مَعَ نِدَاءَاتِنَا الإِبَاحِيَّة، وَأَنتَقِي شَخصًا مَا وَضِيعًا لأعَزِّ أَصدِقَائِي،
سَيَكُونُ مُنفَلِتًا، فَظًّا، أُمِّيًّا، سَيَكُونُ شَخصًا أَدَانَه الآخَرُون عَلَى مَا ارتَكَبَ مِن أَفعَال،
وَلَن أَلعَبَ أَيَّ دَورٍ مِن بَعد، فَلِمَاذَا أَنفِي نَفسِي عَن رِفَاقِي؟
أَيُّهَا الأَشخَاصُ المنعَزِلُون،
أَنَا عَلَى الأَقَلِّ لَن أَعزِلَ نَفسِي عَنكُم،
أَجِيءُ فِي التَّو إِلَى وَسَطِكُم، وَسَأَكُون شَاعِرَكُم،
سَأَكُون لَكُم مَا هُو أَكثَر مِن أَيٍّ مِن البَاقِين.

ذَات مرةٍ مررتُ خلال مدينةٍ مُزدحمَة

ذَاتَ مَرَّةٍ مَرَرتُ خِلَالَ مَدِينَةٍ مُزدَحِمَة، وَأَنَا أَدمِغُ مُخِّي لِلاستِخدَامِ المُستَقبَلِي بِعُرُوضِه،
وَعِمَارَتِه، وَعَادَاتِه، وَتَقَالِيدِه،
لَكِنِّي الآنَ لَا أَتَذَكَّرُ مِن كُلِّ هَذِهِ المَدِينَةِ إِلَّا امرَأَةً قَابَلتُهَا هُنَاكَ بِالمصَادَفَةِ
وَاحتَجَزَتنِي حُبًّا فِيَّ،
يَومًا بَعدَ يَومٍ وَلَيلَةً بَعدَ لَيلَةٍ كُنَّا مَعًا – وَنَسِيتُ كُلَّ شَيءٍ آخَر،
أَتَذَكَّر أَن أَقُولَ فَحَسب إِنَّ هَذِهِ المَرأَةَ التِي تَشَبَّثَت بِي بِشَغَف،
نَهِيمُ مَعًا مِن جَدِيدٍ، نُحِب، وَنَنفَصِلُ مِن جَدِيد،
وَمِن جَدِيدٍ تُمسِكُ بِي مِن يَدِي، فَيَنبَغِي أَلَّا أَمضِي،
أَرَاهَا مُلَاصِقَةً لِي بِشِفَاهٍ صَامِتَةٍ حَزِينَةً وَمُرتَجِفَة.

سِمعتُك يا مزامير الأرغُن العذبة المهيبة

سَمِعتُكِ يَا مَزَامِيرَ الأرغُنِ العَذبَةِ المهِيبَةِ صَبَاحَ الأحَدِ الأخِيرِ حِينَ مَرَرتُ بِالكَنِيسَة، وَيَا رِيَاحَ الخَرِيف، فِيمَا كُنتُ أَمشِي فِي الغَابَةِ فِي الغَسَق سَمِعتُ آهَاتِكِ المَدِيدَةَ المَمدُودَةَ عَالِيًا فِي الأعَالِي مُفعَمَةً بِالنَّحِيب،

وَسَمِعتُ التِّينُورَ الإِيطَالِيَّ المثَالِيَّ[*] يُغَنِّي فِي الأُوبرَا، وَسَمِعتُ السُّوبرَانُو وَسطَ الرُّبَاعِيَّةِ تُغَنِّي؛

يَا قَلبَ حُبِّي! أَنتِ أَيضًا سَمِعتُكِ تُغَمغِمِين هَامِسَةً خِلَالَ مِعصَمِك المُحِيطِ بِرَأسِي، سَمِعتُ نَبضَكِ حِين كَان كُلُّ شَيءٍ مَا يَزَالُ يُدَوِّي بِأَجرَاسٍ صَغِيرَةٍ تحت أُذُنِي اللَّيلَةَ المَاضِيَة.

[*] التينور: أعلى أصوات الرِّجَال فِي الغناء الأُوبرالي؛ **السوبرانو**: الصوت الأعلى عند النساء والأولاد في الغناء الأوبرالي.

مُواجهًا الغَرب من شواطئ كاليفُورنيا

مُوَاجِهًا الغَربَ مِن شَوَاطِئِ كَالِيفُورنيَا،
مُستَقصِيًا، بِلَا كَلَلٍ، بَاحِثًا عَمَّا لَم يَتِم العُثُورُ بَعدُ عَلَيه،
أَنَا، طِفلًا، عَجُوزًا، أَعتَلِي الأموَاجَ، نَحوَ مَنزِلِ الأُمُومَة، أَرضِ الهِجرَات، الذِي يَبدُو عَن بُعد،
يَبدُو مُقَابِل شَوَاطِئ بَحرِي الغَربِي، الدَّائِرَةِ المُطَوَّقَةِ تَقرِيبًا؛
لِلانطِلَاقِ غَربًا مِن هندُوستَان، مِن أَودِيَةِ كَشمِير،
مِن آسيَا، مِن الشَّمَال، مِن الرَّب، الحَكِيم، وَالبَطَل،
مِن الجَنُوب، مِن شِبهِ الجَزِيرَةِ المُزهِرَة وَجُزُر التَّوَابِل،
إِذ هِمتُ طَوِيلًا مُنذُ ذَلِكَ الحِين، حَولَ الأَرض هِمتُ،
وَأُوَاجِه الآنَ بَيتِي مِن جَدِيدٍ، بَالِغَ السُّرُورِ والابتِهَاج،
(لَكِن أَينَ مَا انطَلَقتُ مِن أَجلِهِ مُنذُ زَمَنٍ بَعِيد؟
وَلِمَاذَا لَم يَتِم العُثُورُ عَلَيهِ بَعد؟)

كَما آدَم في الصبَاح البَاكِر

كَمَا آدَم فِي الصَّبَاحِ البَاكِر،
مُتَمَشِّيًا قُدُمًا مِن الكُوخِ الرِّيفِي مُنتَعِشًا بِالنَّوم،
أَرَى نَفسِي أَينَمَا أَسِير، أَسمَعُ صَوتِي، فَاقتَرِب،
المَسنِي، المس بِرَاحَةِ يَدِكَ جَسَدِي وَأَنَا أَمُر،
فَلَا تَخَف مِن جَسَدِي.

كَالَامُـــوس[*]

[*] كَالامُوس calamus: نبات عَطِر الجذُور.

فِي دُرُوبٍ غير مطرُوقة

فِي دُرُوبٍ غَيرِ مَطرُوقَة،
فِي النُّمو عَلَى حَوَاف مِيَاهِ البِرَك، هَارِبًا مِن الحَيَاةِ التِي تَستَعرِضُ نَفسَهَا،
مِن كُلِّ المَعَايِيرِ المَعرُوفَةِ حَتَّى الآن، مِن المَلَذَّات، وَالمَكَاسِبِ، وَالإِذعَانَات،
التِي كُنتُ لأَمَدٍ طَوِيلٍ أُقَدِّمُهَا غِذَاءً لِرُوحِي،
تَتَّضِحُ لِي الآنَ مَعَايِيرُ لَم تُعرَف بَعد، يَتَّضِحُ لِي أَن رُوحِي،
أَنَّ رُوحَ الإِنسَان التِي أَتَحَدَّثُ عَنهَا تَبتَهِجُ فِي الرِّفَاق،
وَهُنَا بِنَفسِي بَعِيدًا عَن قَعقَعَةِ العَالَم،
مُتَوَافِقًا تَحَدَّثتُ هُنَا بِأَلسِنَةٍ لَاذِعَة،
بِلَا خَجَلٍ بَعدَ الآن (فَفِي تِلكَ البُقعَة المُنعَزِلَة يُمكِنُنِي الاستِجَابَةُ بِمَا لَا أَجرُؤ عَلَيه فِي مَكَانٍ آخَر)،
وَالحَيَاةُ- الأَقوَى مِنِّي- التِي لَا تَستَعرِضُ نَفسَهَا، لَكِنَّهَا تَحتَوِي البَاقِي كُلَّه،
مُصَمِّمَةٌ عَلَى أَلَّا تُغَنِّيَ اليَومَ سِوَى الأَغَانِي المُتَعَلِّقَةِ بِالرُّجُولَة،
لِتُقَدِّمَهَا عَلَى طُولِ تِلكَ الحَيَاةِ الجَوهَرِيَّة،
لِتُورِثَ مِنَ الآنِ أَنمَاطَ الحُبِّ القَوِي،
فِيمَا بَعدَ ظَهِيرَةِ هَذَا الشَّهرِ التَّاسِعِ الشَّهِي مِن عَامِي الحَادِي وَالأَربَعِين،
أَتَقَدَّمُ إِلَى كُلِّ مَن كَانَ أَو هو الآن شَاب،
لأَبُوحَ بِسِـرِّ لَيَالِيَّ وَأَيَّامِي،
لأَحتَفِلَ بِاحتِيَاجِ الرِّفَاق.

أيها العُشب العَطِر بصدري

أَيُّهَا العُشبُ العَطِرُ بِصَدرِي،
إِنَّنِي أَكتَشِفُ أَورَاقًا مِنكَ، أَكتُبُهَا، لأتَمَعَّنَ فِيهَا بِشَكلٍ أَفضَلَ فِيمَا بَعد،
يَا أَورَاقَ المَقبرَة، أَورَاقَ الجَسَدِ النَّامِيَةَ فَوقِي فَوقَ المَوت،
أَيَّتُهَا الجُذُورُ المعَمِّرَةُ، أَيَّتُهَا الأَورَاقُ الطَّوِيلَةُ، لَعَلَ الشِّتَاءَ لَن يُجَمِّدَكِ أَيَّتُهَا الأَورَاقُ الرَّهِيفَة،
وَكُلَّ عَامٍ تُزهِرِين مِن جَدِيدٍ، مِن حَيثُ كُنتِ كَامِنَةً تَنبَثِقِين مِن جَدِيد؛
آهٍ لَا أَدرِي إِن كَانَ عَابِرُون كَثِيرُون سَيَكتَشِفُونَك أَو يَنشَقُون عَبَقَكِ الوَاهِي، لَكِنِي أُؤمِنُ بِبِضعِ وَصَايَا؛
فَأَيَّتُهَا الأَورَاقُ النَّحِيلَةُ! يَا زُهُورَ دَمِي! أَسمَحُ لَكِ بِأَن تَكشِفِي- بِطَرِيقَتِكِ الخَاصَّةِ- عَن القَلبِ الكَامِنِ تَحتَك،
آهٍ لَا أَدرِي مَاذَا تُضمِرِين هُنَاكَ فِي الأَسفَلِ مِنكِ، فَلَستِ النَّعِيم،
أَنتِ غَالِبًا أَكثَر مَرَارَةً مِمَّا يُمكِنُنِي أَن أَحتَمِل، أَنتِ تُحرِقِينَنِي وَتَلدَغِينَنِي،
لَكِنَّكِ جَمِيلَةٌ بِالنِّسبَةِ لِي أَيَّتُهَا الجُذُورُ الوَاهِيَةُ المخَضَّبَة، وَتَجعَلِينَنِي أُفَكِّرُ فِي الموت،
الموتُ جَمِيلٌ مِنكِ، (فَمَا الجمِيلُ فِي النِّهَايَةِ سِوَى المَوتِ وَالحُب؟)
آهٍ لَا أَظُن أَنِّي أُغَنِّي هُنَا لِلحَيَاةِ أُغنِيَةَ العُشَّاق، أَظُن أَنَّهَا لَابُد أَن تَكُونَ لِلمَوت،
فَكَم يُصبِحُ هَادِئًا، مهِيبًا أَن تَصَّاعَدَ إِلَى أَجوَاءِ العُشَّاق،
فَلَا أُبَالِي حِينَئِذٍ بِالمَوتِ أَو الحَيَاةِ، وَرُوحِي تَضعُفُ عَن أَن تَختَار،

(لَستُ عَلَى يَقِينٍ لَكِنَّ الرُّوحَ السَّامِيَةَ لِلعُشَّاقِ غَالِبًا مَا تُرَحِّب بِالمَوت)،
حَقًّا أَيُّهَا المَوت، إِنَّنِي أُؤمِنُ الآن بِأَنَّ هَذِهِ الأوراقَ تَعنِي بِالتَّحدِيدِ مَا تَعنِيه أَنت،
فَاكبُرِي أَطوَل أَيَّتُهَا الأوراقُ العَذبَةُ لِيُمكِنَنِي أَن أَرَاكِ! اكبُرِي انطِلَاقًا مِن صَدرِي!
انطَلِقِي بَعِيدًا عَن القَلبِ المَخفِي هُنَاك!
لَا تَلتَفِّي هَكَذَا فِي جُذُورِكِ المَشوبَةِ بِالقُرمُزِيِّ أَيَّتُهَا الأوراقُ الخَجُولَة!

لَا تَبقَي فِي الأسفَل هُنَاك بِالِغَةَ الحَيَاءِ، يَا أَعشَابَ صَدرِي!
هَيَّا فَأَنَا مُصَمِّمٌ عَلَى أَلَّا أُعَرِّي صَدرِي العَرِيضِ هَذَا، وَقَد فَاضَ بِي مِن الاختِنَاقِ وَالكَبتِ الطَّوِيل؛
فَيَا أَورَاقَ العُشبِ الرَّمزِيَّةَ النَّزَوِيَّةَ هَا أَنَا أَترُكُكِ، فَأَنتِ الآنَ لَا تُفِيدِينَنِي،
سَأَقُولُ مَا يَنبَغِي أَن أَقُولَه بِذَاتِه،
وَسَأُرَجِّعُ صَوتِي أَنَا وَرِفَاقِي فَحَسب، لَن أَلفُظَ نِدَاءً أَبَدًا مَرَّةً أُخرَى سِوَى نِدَائِهِم،
وَسَأَبعَث مَعَه خِلَالَ الوِلَايَات بِأَصدَاءٍ أَبَدِيَّة،
سَأَضرِبُ مَثَلًا لِلعُشَّاقِ لِيَتَّخِذُوا شَكلًا وَهَدَفًا دَائِمَين خِلَالَ الوِلَايَات،
وَمِن خِلَالِي سَتَخرُجُ الكَلِمَاتُ لِتَجعَلَ المَوتَ يَنتَشِي،
فَامنَحنِي إِذَن نَبرَتَكَ أَيُّهَا المَوتُ، حَتَّى أَتَوَافَقَ مَعَهَا،
امنَحنِي نَفسَك، لأَنَّكَ الآنَ تَنتَمِي إِلَيَّ قَبلَ أَيِّ شَيء، وَنَحنُ مُتَعَانِقَان مَعًا بِلَا انفِصَال،
فَأَنتَ الحُب وَالمَوت،
وَلَن أَسمَح لَكَ بِأَن تَعُوقَنِي مَرَّةً أُخرَى عَمَّا كُنتُ أُسَمِّيه الحَيَاة،
فَالآن بَلَغَنِي أَنَّكَ المَعَانِي الجَوهَرِيَّة،
أَنَّكَ تَتَخَفَّى فِي أَشكَالِ الحَيَاةِ المُتَحَوِّلَةِ هَذِه، عَن وَعي، وَأَنَّهَا بِالأَسَاسِ مِن أَجلِك،
أَنَّكَ تَأتِي قُدُمًا فِيمَا وَرَاءَهَا لِتَبقَى، الحَقِيقَةَ الحَقِيقِيَّة،
أَنَّكَ تَنتَظِرُ بِصَبرٍ وَرَاءَ قِنَاعِ المَادِّيَّات، لَا يَهم إِلَى أَيِّ وَقت،
أَنَّكَ رُبَّمَا ذَات يَومٍ سَتُهَيمِنُ عَلَى الكُل،

أَنَّكَ رُبَّمَا سَتُبَدِّدُ هَذَا العَرَضَ كُلَّه مِن الوُجُود،
أَنَّكَ رُبَّمَا غَايَةُ كُلِّ هَذَا، لَكِن ذَلِكَ لَا يَدُومُ طَوِيلًا،
لَكِنَّكَ سَتَدُومُ طَوِيلًا طَوِيلًا.

أيَّا مَن تكون يَا مَن تُمسك الآن بيدِي

أَيًّا مَن تَكُون يَا مَن تُمسِكُ الآنَ بِيَدِي،
بِدُون شَيءٍ وَاحِدٍ سَيُصبِحُ كُلُّ شَيءٍ بِلَا جَدوَى،
إِنَّنِي أُقدِّمُ لَك تَحذِيرًا وَاضِحًا قَبلَ أَن تُحَاوِلَ مَعِي مَرَّةً أُخرَى،
فَأَنَا لَستُ مَا تَفترِض، بَل بَالغ الاختِلَاف.

فَمَن سيُصبِحُ تَابِعِي؟
مَن سَيُعلِن نَفسَه مُرَشَّحًا لِعَوَاطِفِي؟

الطَّرِيقُ مَشكُوكٌ فِيه، وَالنَّتِيجَةُ غَيرُ مَضمُونَة، وَرُبَّمَا مُدَمِّرَة،
وَسَيَكُون عَلَيكَ التَّخَلِّي عَن كُلِّ شَيء آخَر، أَنَا وَحدِي مَن يُفتَرَض أَن يَكُون مِعيَارَكَ الحصري وَالوَحِيد،
بَدءُ رَهبَنَتِك سَتَكُون آنَئِذٍ طَوِيلَةً وَمُستَنزِفَة،
وَسَيَكُون عَلَيكَ هِجرَانُ كُلِّ النَّظَرِيَّةِ السَّابِقَةِ لِحَيَاتِك وَإِذعَانِك لِلحَيوَاتِ المُحِيطَةِ بِك،
فَاترُكنِي الآنَ قَبلَ إِزعَاجِ نَفسِكَ بِالمَزِيد، أَبعِد يَدَكَ عَن كَتِفِي،
استَبعِدنِي وانطَلِق فِي طَرِيقِك.

وَإِلَّا فَخِلسَةً فِي غَابَةٍ مَا عَلَى سَبِيلِ التَّجرِبَة،
أَو خَلفَ صَخرَةٍ فِي الهَوَاءِ الطَّلق،
(فَأَنَا لَا أَتَجَلَّى فِي أَيَّةِ غُرفَةٍ مَسقُوفَةٍ بِمَنزِلٍ مَا، وَلَا فِي صُحبَةٍ جَمَاعِيَّة،
وَفِي المَكتَبَاتِ أَستَلقِي كَأَبكَم، أَبلَه، أَو جَنِين، أَو مَيِّت)،
لَكِن يُمكِنُ تَمَامًا مَعَك عَلَى تَلٍّ عَالٍ، عَلَى أَن نَرى أَوَّلًا مَا إِذَا كَانَ أَيُّ شَخصٍ- عَن بُعدِ أَميَالٍ مُحِيطَة- يَدنُو بِلَا قَصد،
أَو يُمكِنُ مَعَكَ مُبحِرَين فِي البَحر، أَو عَلَى شَاطِئِ البَحرِ أَو جَزِيرَةٍ مَا هَادِئَة،
هُنَا أَسمَحُ لَكَ بِأَن تَضَع شَفَتَيكَ عَلَى شَفَتَيَّ،
فِي قُبلَةِ الرَّفِيقِ الطَّوِيلَةِ أَو قُبلَةِ الزَّوجِ الجَدِيد،
فَأَنَا الزَّوجُ الجَدِيدُ وَأَنَا الرَّفِيق.

أَو إِن شِئتَ، تُقحِمنِي تَحتَ ثِيَابِك،
حَيث يُمكِن أَن أَشعُرَ بِنَبضَاتِ قَلبِكَ أَو أَبقَى عَلَى فَخذِك،
تَحمِلُنِي أَينَمَا تَمضِي قُدُمًا عَلَى الأَرض أَو البَحر؛
لِهَذَا فَلَمسِي لَكَ فَحَسب كَافٍ، وَأَفضَل،
وَلِهَذَا فَلَمسِي لَك يَجعَلُنِي أَنَامُ مَحمُولًا بِصُورَةٍ أَبَدِيَّة.

لَكِنَّكَ تُخَاطِرُ بِفَحصِ أَورَاقِ العُشبِ هَذِه،
لأَنَّكَ لَن تَستَطِيعَ فَهمَ هَذِهِ الأَورَاقِ أَو فَهمِي،
سَتُضَلِّلُكَ فِي البَدءِ بَل أَكثَر بَعدَ ذَلِك، وَسَوفَ أُضَلِّلُكَ بِالتَّأكِيد،
حَتَّى حِينَمَا تَظُن أَنَّكَ بِلَا شَكٍّ قَد أَمسَكتَ بِي، انظُر!
فَهَا أَنتَ تَرَى الآن أَنَّنِي قَد هَرَبتُ مِنك.

فَلَم أَكتُب هَذَا الكِتَابَ مِن أَجلِ مَا دَوَّنتُه فِيه،

وَلَا بِقِرَاءَتِه سَتَمتَلِكُه،
وَلَن يَمتَلِكَه هَؤُلَاءِ الذِين يَعرِفُونَنِي جَيِّدًا مِمَّن يُعجَبُون بِي وَيَمتَدِحُونَنِي بِإفرَاط،
وَلَا المُرَشَّحُون لِحُبِّي (إِلَا أَقَلَّ القَلِيلِين فِي الأَغلَب) سَيَحَقِّق انتِصَارُهُم،
وَلَا قَصَائِدِي سَتُسدِي خَيرًا فَحَسب، بَل سَتُثمِر شَرًّا بِنَفسِ القَدرِ، وَرُبَّمَا أَكثَر،
ذَلِكَ أَن كُلَّ شَيءٍ بَاطِلٌ بِدُون مَا يُمكِن أَن تَحدِسَه فِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ دُون أَن تَكتَشِفَه، ذَلِكَ الذِي أَلمَحتُ إِلَيه؛
لِهَذَا اترُكنِي وَلتَتَّخِذ طَرِيقَك.

إليكِ، أيتهَا الدِّيموقراطيـَّة

هَيَّا، فَسَأجعَلُ القَارَّةَ سَرمَدِيَّة،
سَأَخلِقُ أَروَعَ جِنسٍ أشرَقَت عَلَيه الشَّمس،
سَأَخلِقُ بُلدَانًا سَّمَاوِيَّةً سَاحِرَة،
بِحُبِّ الرِّفَــاق،
بِحُبِّ الرِّفَاق طُوَالَ الحَيَاة.

سَأَغرِسُ الرِّفقَةَ كَثِيفَةً كَأَشجَارٍ عَلَى امتِدَادِ أَنهَارِ أَمِيرِيكَا، وَعَلَى امتِدَادِ شَوَاطِئِ البُحَيرَاتِ العُظمَى، وَفِي كُلِّ البَرَارِي،
سَأَخلِقُ مُدُنًا لَا تَنفَصِلُ وَأَذرُعُهَا تُحِيطُ بِرِقَابِ بَعضِهَا البَعض،
بِحُبِّ الرِّفَــاق،
بِحُبِّ الرِّفَاقِ الرُّجُـولِي.

فَلَكِ ذَلِكَ مِنِّي، أَيَّتُهَا الدِّيمُوقرَاطِيَّة، لِتَخدِمَكِ يَا امرَأَتِي!
فَلَكِ، لَكِ أُغَرِّد بِهَذِهِ الأُغنِيَات.

ما أغنّيه في الرَّبيع

مَا أُغَنِّيه فِي الرَّبيع أَجمَعُه مِن أَجلِ العُشَّاق،
(فَمَن سِوَايَ سَيَفهَم العُشَّاقَ وَكُلَّ أَحزَانِهِم وَمَبَاهِجِهِم؟
وَمَن سِوَاي سَيَكُون شَاعِرَ الرِّفَاق؟)
مُحتَشِدًا أَعبُرُ حَدِيقَةَ العَالَم، لِكِنِّي سرعَانَ مَا أَجتَازُ البَوَّابَات،
حِينًا عَلَى امتِدَادِ جَانِبِ البِركَة، وَحِينًا أَخُوضُ فِيهَا قَلِيلًا، دُونَ خَوفِ البَلَل،
وَحِينًا عِندَ أَسيِجَةِ الأعمِدَةِ وَالقُضبَانِ حَيثُ الصُّخُورُ القَدِيمَةُ مَرمِيَّةٌ هُنَاك، بَعد التِقَاطِهَا مِن الحُقُولِ، وَتَجمِيعِهَا،
(الزُّهُورُ وَالكُرُومُ وَالأَعشَابُ البَرِّيَّةُ تَنبُتُ خِلَالَ الصُّخُورِ وَتَكَادُ تُغَطِّيهَا، وَفِيمَا وَرَاءَهَا أَمُر)،
بَعِيدًا، بَعِيدًا فِي الغَابَة، أَو مُتَمَشِّيًا فِي وَقتٍ مُتَأَخِّر فِي الصَّيفِ، قَبلَ أَن أُفَكِّرُ إِلَى أَينَ أَمضِي،
مُنعَزِلًا، مُتَشَمِّمًا الرَّائِحَةَ الأرضِيَّةَ، مُتَوَقِّفًا بَينَ الحِينِ وَالحِينِ فِي الصَّمت،
وَحِيدًا فَكَّرتُ، لَكِن سَرعَانَ مَا يَتَجَمَّعُ حَولِي حَشدٌ كَبِير،
يَمشِي البَعضُ إِلَى جِوَارِي وَالبَعضُ خَلفِي، وَالبَعضُ يُعَانِقُ ذِرَاعَيَّ أَو رَقَبَتِي،
هُم أَروَاحُ أَصدِقَائِي الأَعِزَّاءِ المَوتَى وَالأحيَاء، يَأتُون مُحتَشِدِين، حَشدٌ كَبِير، وَأَنَا فِي الوَسَط،
مُحتَشِدًا، مُتَأَمِّلًا، مُغَنِّيًا، أَهِيمُ مَعَهُم هُنَالِك،

مُقتَلِعًا أَشيَاءَ مَا كَتذكَارَاتٍ، أَنثُرُهَا عَلَى مَن بِالقُربِ مِنِّي،
هُنَا، اللَّيلَكُ، مَعَ غُصن صُنُوبَر،
وَهُنَا، أُخرِجُ مِن جَيبِي بَعضَ الطُّحلُبِ الذِي انتَزَعتُه مِن شَجَرَةِ سِنديَانٍ حَيَّةٍ فِي فلُورِيدَا إِذ كَان مُعَلَّقًا يَتَدَلَّى،
وَهُنَا، بَعضُ أَورَاقِ القرنفُلِ وَالغَارِ، وَحِفنَةٌ مِن مَريَمِيَّة،
وَهُنَا مَا أَسحَبُه الآنَ مِن المَاءِ، مُخَوِّضًا فِي جَانِبِ البِركَة،
(آهِ هُنَا رَأَيتُه فِي النِّهَايَةِ ذَلِكَ الذِي يُحِبُّنِي بِرِقَّة، وَيَعُودُ مِن جَدِيدٍ كَي لَا يَنفَصِلَ عَنِّي أَبَدًا،
وَهَذَا، آهِ هَذَا سَيَكُون مِن الآنِ تَذكَارَ الرِّفَاق، جِذرُ الكَالَامُوس هَذَا،
فَلتَتَبَادَلُوه يَا شَبَابُ مَعَ بَعضِكُم! لَا تَسمَحُوا لِشَيءٍ بِإِعَادَتِه!)
وَأَغصَانُ قَيقَب صَغِيرَةٌ وَبَاقَةٌ مِن بُرتُقَالٍ وَكِستِنَاءٍ بَرِّي،
وَسِيقَانُ كِشمِش وَبَرقُوق- مُزهِرَة، وَالأَرز العِطرِي،
ذَلِكَ مَا طَوَّقتُه بَغَيمَةٍ كَثِيفَةٍ مِن الأَروَاح،
مُتَجَوِّلًا، أُشِيرُ إِلَيهَا أَو أَلَمسهَا فِي مُرُورِي، أَو أَرمِي بِهَا بِحُرِيَّة،
مُشِيرًا إِلَى كُلِّ وَاحِد بِمَا سَيأخُذ، مَانِحًا شَيئًا مَا لِكُلِّ وَاحِد؛
لَكِن مَا سَحَبتُه مِن المَاءِ عِندَ جَانِبِ البِركَة، أَحتَفِظُ بِه،
سَأَمنَح مِنه، لَكِن فَحَسب إِلَى هَؤلَاءِ الذِين يُحِبُّون بِنَفسِ قُدرَتِي عَلَى الحُب.

لا أتنهَّد مِن ضُلوع صَدري فحَسب

لَا أَتَنَهَّدُ مِن ضُلُوعِ صَدرِي فَحَسب،
لَا فِي تَنَهُّدَاتِ اللِّيل الغَاضِبَةِ مُستَاءً مِن نَفسي،
وَلَا فِي تِلكَ التَّنَهُّدَات الطَّوِيلَةِ، وَاهِيَةِ الكَبت،
لَا فِي الكَثِيرِ مِن العُهُودِ وَالوُعُودِ المَنكُوثَة،
وَلَا فِي قُوةِ إِرَادَةِ رُوحِي البَرِّيَّةِ وَالعَنِيدَة،
لَا فِي الغِذَاءِ الرَّهِيفِ لِلهَوَاء،
وَلَا فِي هَذَا القَرعِ وَالدَّق فِي صِدغَيَّ وَمِعصَمَي،
لَا فِي الانقِبَاضِ والانبِسَاطِ الغَرِيبَين اللَّذِينِ خِلَالَهُمَا سَيَتَوَقَّف ذَاتَ يَوم،
وَلَا فِي كَثِيرٍ من الرَّغَبَاتِ الجَائِعَةِ التِي لَم تُقَل إِلَّا لِلسَّمَاء،
لَا فِي الصَّرخَاتِ وَالضَّحِكِ، وَالتَّحَدِّيَات، التِي بَدَرَت مِنِّي وَأَنَا وَحِيدٌ بَعِيدًا فِي البَرَارِي،
وَلَا فِي اللُّهَاثِ القَوِي خِلَال أَسنَانٍ مُطبقَة،
لَا فِي الكَلِمَاتِ المَنطُوقَةِ وَالمُدَوِّيَة، وَالكَلِمَاتِ المهذَارَةِ، وَالأصدَاءِ، وَالكَلِمَاتِ المَيِّتَة،
وَلَا فِي غَمغَمَاتِ أَحلَامِي وَأَنَا نَائِم،
لَا فِي الغَمغَمَاتِ الأُخرَى لِتِلكَ الأَحلَامِ الخَارِقَةِ لِكُلِّ نَهَار،
وَلَا فِي أَعضَاءِ وَحَوَاسِّ جَسَدِي التِي تَأخُذُك وَتَرمِيكَ دَائِمًا – لَا هُنَاك،
لَا فِي أَيٍّ مِنهُم أَو كُلِّهم أَيُّهَا الالتِحَام! يَا نَبضَ حَيَاتِي!
فَأَنَا أَحتَاجُ إِلَى أَلَّا تُوجَد أَو تُبدِي نَفسَكَ خَارِجَ هَذِهِ الأَغَانِي.

عن الشَّك الرهيب في المظاهـر

عَن الشَّكِّ الرَّهِيبِ فِي المَظَاهِر،

عَن اللَا يَقِين فِي نِهَايَةِ المَطَاف، بِأَنَّنَا رُبَّمَا ضُلِّلنَا،

وَأَنَّ التَّعوِيلَ وَالأمَلَ رُبَّمَا لَم يَكُونَا سِوَى تَأمُّلَاتٍ فِي النِّهَايَة،

وَأَنَّ الكَينُونَةَ فِيمَا وَرَاءَ القَبرِ رُبَّمَا لَيسَت سِوَى خُرَافَةٍ جَمِيلَة،

وَأَنَّ الأشيَاءَ التِي أَتَصَوَّرُهَا، الحَيَوَانَات، وَالنَّبَاتَات، وَالنَّاس، وَالتِّلَال، وَالمِيَاهَ المُشرِقَةَ المنسَابَة،

وَسَمَاوَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيل، وَالألوَان، وَالكَثَافَات، وَالأشكَال، رُبَّمَا لَم تَكُن (مِثلَمَا هِي بِلَا شَك) سِوَى تَجَلِّيات، وَأَنَّ الشَّيءَ الحَقِيقِي مَا يَزَالُ عَلَينَا أَن نَعرِفَه،

(كَم كَثِيرًا مَا يَندَفِعُون مِن تِلقَاء أَنفُسِهِم كَأَنَّمَا لِيُفحِمُونِي وَيَسخَرُوا مِنِّي!

كَم كَثِيرًا مَا أَظُن أَنَّنِي لَا أَعرِفُ، وَلَا أَيُّ شَخصٍ يَعرِف، أَيًّا مِنهُم)،

وَرُبَّمَا يَبدُون لِي كَمَا هُم (إذ بِلَا شَك يَبدُون حَقًّا) مِن وِجهَةِ نَظَرِي الحَالِيَّة، وَرُبَّمَا يَثبُت (مِثلَمَا سَيَحدُثُ بِالطَّبع) أَنَّهُم لَا شَيءَ مِمَّا يَبدُون عَلَيه، أَو لَا شَيءَ إِطلَاقًا، مِن وجهَاتِ نَظَرٍ مُتَغَيِّرَةٍ بشَكلٍ كَامِل؛

بالنِّسبَةِ لِي فَهَؤلَاء وَأَشبَاهُهم قَد أَجَابَ عَلَيهِم- بِصُورَةٍ غَرِيبَةٍ – عُشَّاقِي، أَصدِقَائِي الأعِزَّاء،

فَحِينَمَا يُسَافِر مَعِي مَن أُحِب أَو يَجلِس طَوِيلًا مُمسِكًا بِي مِن يَدِي،

حِين يُحِيطُ بِنَا وَيَغزُونَا الهَوَاءُ الرَّهِيف، غَيرُ المَحسُوس، وَالإحسَاسُ بِأَنَّ الكَلِمَاتِ

وَالمنطَقَ غَير مُتَمَاسِكَين،

آنَئِذٍ تُفعِمُنِي حِكمَةٌ غَيرُ مَنطُوقَةٍ وَغَيرُ قَابِلَةٍ لِلنُّطقِ بِهَا، وَأَنَا صَامِتٌ، لَا أَتَطَلَّبُ مَا هُو أَكثَر،

فَلَا يُمكِنُنِي الإِجَابَةُ عَلَى سُؤَالِ المظَاهِر، أَو سُؤَالِ الكَينُونَةِ فِيمَا وَرَاءَ القَبر،

لَكِنِّي أَمشِي أَو أَجلِسُ بِلَا مُبَالَاةٍ، وَأَنَا مُشبَع،

فَمَن يُمسِكُ بِيَدِي قَد أَشبَعَنِي تَمَامًا.

أسَاس كُل مِيتافِيزِيقَـــا

وَالآنَ أَيُّهَا السَّادَة،
أَمنَحُكُم كَلِمَةً لِتَبقَى فِي ذَاكِرَتِكُم وَعُقُولِكُم،
كَأَسَاسٍ وَنِهَايَةٍ أَيضًا لِكُل مِيتَافِيزِيقَا.

(وَكَذَلِكَ لِطُلَّابِ الأُستَاذِ العَجُوز،
فِي خِتَامِ دَورَتِه الدِّرَاسِيَّةِ المُزدَحِمَة).

فَبَعدَ دِرَاسَةِ الأَنسَاقِ الجدِيدَةِ وَالقَدِيمَةِ، اليُونَانِيَّةِ وَالجِرمَانِيَّة،
بَعدَ دِرَاسَة وَاستِعرَاضِ كَانط، وَفِيختَه وَشِيللنج وَهِيجِل،
بَعدَ استِعرَاضِ مُعتَقَدَاتِ أَفلَاطُون، وسُقرَاط الأَعظَمِ مِن أَفلَاطُون،
وَبَحثَ وَاستِعرَاضِ مَن هُو أعظَم مِن سُقرَاط، بَعدَ دِرَاسَةٍ طَوِيلَةٍ لِلمَسِيح السَّمَاوِي،
أَرَى اليَومَ مَا يُذَكِّرُ بِهَذِه الأنسَاقِ اليُونَانِيَّةِ وَالجِرمَانِيَّة،
أَرَى الفَلسَفَات كُلَّهَا، أَرَى الكَنَائِسَ وَالعَقَائِدَ المَسِيحِيَّة،
لَكِنِّي أَرَى مَا وَرَاءَ سُقرَاط بِوُضُوح، أَرَى مَا وَرَاءَ المَسِيحِ السَّمَاوِي،
إِنَّه الحُبُّ الأَثِيرُ لِلإِنسَان لِرَفِيقِه، انجِذَابُ الصَّدِيقِ إِلَى الصَّدِيق،
والزَّوجِ وَالزَّوجَةِ المتَزَوِّجِين بِصُورَةٍ طَيِّبَة، وَالأَبنَاءِ وَالآبَاء،
وَالمَدِينَةِ وَالمَدِينَة، وَالأَرضِ وَالأَرض.

مُدَوِّنـو العُصور هُنا

يَا مُدَوِّنِي العُصُورِ، مِن هُنَا،
هَيَّا، سَآخُذُكُم نُزُولًا إِلَى مَا تَحتَ هَذَا السَّطحِ الجَامِد، سَأَقُولُ لَكُم مَا تَقُولُونَه عَنِّي،
فَلتَنشُرُوا اسمِي وَتُعَلِّقُوا صُورَتِي كَأَرهَفِ عَاشِق،
صُورَةَ الصَّدِيقِ العَاشِق، الذِي كَانَ صَدِيقُه عَاشِقُه مُتَيَّمًا بِه،
مَن لَم يَكُن فَخُورًا بِأَغَانِيه، بَل بِالمُحِيطِ اللَا نِهَائِيِّ لِلحُب دَاخِلَه، وَكَانَ يَصُبُّه إِلَى خَارِجِه،
مَن كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُوم بِتَمشِيَاتٍ وَحِيدًا مُفَكِّرًا فِي أَصدِقَائِه الأَعِزَّاء، مُحِبِّيه،
مَن كَانَ- مُفَكِّرًا بَعِيدًا عمَّن أَحَب- كَثِيرًا مَا يَستَلقِي بِلَا نَومٍ وَلَا إِشبَاعٍ فِي اللَّيل،
مَن كَان يَعرِف جَيِّدًا أَيضًا الخَوفَ المَرِيضَ، المَرِيضَ، خَشيَةَ أَن يَكُون مَن أَحَبَّه غَيرَ مُكتَرِثٍ بِه فِي السِّر،
مَن كَانَت أَسعَدُ أَيَّامِه بَعِيدًا خِلَالَ الحُقُولِ، فِي الغَابَاتِ، عَلَى التِّلَال، هُو وَآخَر يهِيمَان يَدًا فِي يَد، قَرِينَين مُنفَصِلَين عَن الآخَرِين،
مَن كَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَشَّى الهُوَينَى فِي الشَّوَارِع وَذِرَاعُه مُلتَفَّةٌ حَولَ كَتِفِ صَدِيقِه، فِيمَا ذِرَاعُ صَدِيقِه مُستَقِرَّةٌ عَلَيهِ أَيضًا.

حين سمعتُ في ختام اليوم

حِينَ سَمِعتُ فِي خِتَامِ اليَوم كَيفَ استُقبِلَ اسمِي بِالتَّصفِيقِ فِي الكَابِيتُول، لَم تَكُن
اللَّيلَةُ التَّالِيَةُ سَعِيدَةً لِي مَعَ ذَلِك،
وَلَا حَتَّى عِندَمَا أَسرَفتُ فِي الشُّربِ، أَو حِين تحَقَّقت خُطَطِي، فَقد كُنتُ مَا أَزَالُ غَيرَ
سَعِيد،
لَكِن فِي اليَّومِ الذِي نَهضتُ فِيه مِن السَّرِيرِ فِي الفَجرِ فِي عَافِيَةٍ كَامِلةٍ، مُنتَعِشًا، مُغَنِّيًا،
مُستَنشِقًا النَّفَسَ اليَانِعَ لِلخَرِيف،
حِين رَأَيتُ البَدرَ فِي الغَربِ يُصبِحُ شَاحِبًا وَيتَلَاشَى فِي ضَوءِ النَّهَار،
حِين تجَوَّلتُ وَحِيدًا عَلَى الشَّاطِئِ، واستَحمَمتُ عَارِيًا، ضَاحِكًا مَعَ المَاءِ البَارِد، وَرَأَيتُ
شُرُوق الشَّمس،
وَعِندَمَا فَكَّرتُ كَيفَ أَن صَدِيقِي العَزِيزَ حَبِيبِي كَانَ في طَرِيقِه لِلمَجِيء، آهِ آنَئِذٍ كُنتُ
سَعِيدًا،
آهِ آنَئِذٍ كَانَ لِكُل نَفَسٍ مَذَاقٌ أَعذَب، وَطُوَالَ ذَلِكَ اليَوم غَذَّانِي طَعَامِي أَكثَر، وَمَر اليَومُ
الجَمِيلُ عَلَى مَا يُرَام،
وَجَاءَ التَّالِي بِبَهجَةٍ مُشَابِهَة، وَمَعَ التَّالِي فِي المَسَاءِ جَاءَ صَدِيقِي،
وَتلكَ اللَّيلَة فِيمَا كَان كُلُّ شَيءٍ سَاكِنًا سَمِعتُ المِيَاهَ تَتَدحرَجُ بِبُطءٍ وَدَائِمًا عَلَى
الشَّوَاطِئ،
سَمِعتُ الحَفِيفَ الهَامِسَ لِلمَاءِ وَالرِّمَالِ كَأَنَّه مُوَجَّه إِلَيَّ هَامِسًا لِيُهَنِّئنِي،

فَمَن أُحِب أَكثَرَ مِن أَيِّ شَيءٍ يَرقُد نَائِمًا بِجِوَارِي تَحتَ نَفسِ الغِطَاءِ فِي اللَّيلَةِ البَارِدَة،
فِي سُكُون أَشِعَّةِ القَمَرِ الخَرِيفِيَّةِ كَانَ وَجهُه مُتَّجِهًا نَحوِي،
وَذِرَاعُه مَمدُودَةً بِخِفَّةٍ حَولَ صَدرِي— وَتِلكَ اللَّيلَة كُنتُ سَعِيدًا.

أأنت الشَّخصُ الجدِيد المنجَذبُ لي؟

أَأَنتَ الشَّخصُ الجَدِيدُ المنجَذِبُ لِي؟
فَلِنَبدَأ بِالتَّحذِير، فَأَنَا بِالتَّأكِيدِ بَالِغُ الاختِلَافِ عَمَّا تَفتَرِض؛
فَهَل تَفتَرِضُ أَنَّك سَتَجِدُ فِيَّ شَخصَكَ المِثَالِي؟
هَل تَظُن أَنَّه مِن السَّهلِ لِلغَايَةِ أَن تَجعَلَنِي حَبِيبَك؟
هَل تَظُن أَن صَدَاقَتِي سَتَكُون إِشبَاعًا خَالِصًا؟
هَل تَظُن أَنَّنِي مَوثُوقٌ فِيه وَمُخلِص؟
أَلَا تَرَى مَا هُو أَبعَد مِن هَذَا الوَجه، وَطَرِيقَتِي هَذِهِ السَّلِسَةِ المُتَسَامِحَة؟
هَل تَفتَرِضُ أَنَّكَ تَتَقَدَّم عَلَى أَرضٍ وَاقِعِيَّةٍ نَحوَ إِنسَانٍ بُطُولِي وَاقِعِي؟
أَلَيسَت لَدَيكَ أَيَّةُ فِكرَة- أَيُّهَا الحَالِم- أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ رُبَّمَا يَكُونُ مُجَرَّد فَانتَازِيَا، وَهم؟

جُذورٌ وأوراقٌ وحيـدة

جُذُورٌ وَأَورَاقٌ وَحِيدَةٌ فِي ذَاتِهَا هِي هَذِه،
رَوَائِحُ تَجِيءُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِن الغَابَةِ البَرِّيَّةِ وَجَانِبِ البِركَة،
صَدرٌ أَسمَر مُحمَر وَزُهُورُ حُب، أَصَابِعُ تلتَوِي بِإِحكَامٍ أَكبَرَ مِن الكُرُوم،
دَفُقَاتٌ مِن حَنَاجِرِ الطُّيُور المختَبِئَةِ فِي أَورَاقِ الشَّجَر عِندَ إِشرَاق الشَّمس،
نَسَائِمُ الأرضِ وَالحُب تَأتِي مِن الشَّوَاطِئِ الحَيَّةِ إِلَيكُم فِي البَحرِ الحَي، إِلَيكُم أَيُّهَا البَحَّارَة!
تُوتٌ يَانِعٌ مُتَجَمِّد وَأَغصَانُ الشَهرِ الثَّالِث الصَّغِيرَةُ مَمنُوحَةٌ طَازِجَةً لِلشُّبَّان المُتَجَوِّلِين بِالحقُولِ حِين يَنقَشِعُ الشِّتَاء،
بَرَاعِمُ الحُب مُتَاحَةٌ أَمَامَك وَدَاخِلَك أَيًّا مَن تَكُون،
بَرَاعِمُ لَا تُفَض بِالطَّرِيقَةِ القَدِيمَة،
وَلَو أَتَيتَ لَهَا بِدِفءِ الشَّمسِ، فَسَتَتَفتَّح وَتَتَّخِذُ شَكلًا، وَلَونًا، وَأَرِيجًا، لَك،
وَلَو أَصبَحتَ الغِذَاءَ وَالمَاءَ فَستُصبِح زُهُورًا، وَثِمَارًا، وَأَغصَانًا وَأَشجَارًا سَامِقَة.

لَا نِيران مُشتعلَة عَاليًا

لَا نِيرَانَ مُشتَعِلَةً عَالِيًا وَمُلتَهِمَة،
لَا أَموَاجَ بَحرٍ تَركُضُ ذِهَابًا وَإِيَابًا،
لَا الهَوَاءَ الشَّهِي وَالجَاف، هَوَاءَ صَيفٍ يَانِع، يَحمِلُ بِخِفَّةٍ مَعَه كُرَاتٍ بَيضَاءَ مُنحَدِرَةً مِن آلَافِ البُذُور،
مُندَفِعَةً، مُبحِرَةً بِرَشَاقَةٍ، لِتَهوِي أَينَمَا تَهوِي؛
لَا هَؤلَاء، آهِ لَا شَيءَ مِن ذَلِكَ أَكثَرَ مِن نِيرَانِي، المُلتَهِمَةِ، الحَارِقَةِ مِن أَجلِ حُبِّ مَن أُحِب،
آهِ لَا شَيء أَكثَر مِنِّي مُهَروِلًا جِيئَةً وَذِهَابًا؛
فَهَل يُهَروِلُ المَد، بَحثًا عَن شَيءٍ مَا، وَلَا يَستَسلِم أَبَدًا؟ آهِ أَنَا كَذَلِك،
آهِ وَلَا الكُرَات المُنحَدِرَة وَلَا الأَرِيج، وَلَا المَطَرَ العَالِي– الذِي تُرسِلُه الغُيُوم، قَد وُلِدُوا فِي الهَوَاءِ الطَّلق،
لَا سِوَى رُوحِي قَد وُلِدَت فِي الهَوَاءِ الطَّلق،
مُندفِعَةً فِي كُلِّ الاتِّجَاهَاتِ أَيُّهَا الحُب، إِلَى الصَّدَاقَةِ، إِلَيك.

قطـراتُ تَسـيل

قَطَرَاتٌ تَسِيل! شَرَايِينِي الزَّرقَاءُ تَرحَل!
آهِ يَا قَطرَاتِي! فَلتَسِيلِي، قَطَرَاتٍ بَطِيئَة،
صَرِيحَةً تَهوِي مِنِّي، تَقطُر، قَطَرَاتٍ دَامِيَة،
مِن جِرَاحٍ مَوجُودَةٍ لِتُحَرِّرَك أَينَمَا سُجِنت،
مِن وَجهِي، مِن جَبِينِي وَشَفَتَي،
مِن صَدرِي، مِن مَكمَنِي الذِي أَختَبِئُ فِيه، انزِفِي قَطَرَاتٍ حَمرَاء، قَطَرَاتِ بَوح،
تُلَطِّخُ كُلَّ صَفحَة، تُلَطِّخُ كُلَّ أغنِيَةٍ أُغنِّيهَا، وَكُلَّ كَلمَةٍ أَقُولُهَا، قَطَرَاتٍ دَمَوِيَّة،
لِيَعرِفُوا نَارَكِ القُرمُزِيَّة، لِيَتلألأُوا،
أَشبِعِيهُم بِنَفسِك الخَجُولَةِ النَّدِيَّةِ تَمَامًا،
تَوَهَّجِي فَوقَ كُلِّ مَا كَتَبتُ أَو سَأَكتُب، أَيَّتُهَا القَطَرَاتُ الدَّامِيَة،
لِيُصبِحَ كُلُّ شَيءٍ مَرئِيًّا عَلَى ضَوئِك، أَيَّتُهَا القَطَرَاتُ المُخجِلَة.

مدينـة العربـدات

يَا مَدِينَةَ العَربَدَاتِ، وَالتَّمشِيَاتِ وَالمبَاهِج،
أَيَّتُهَا المدِينَةُ التِي عِشتُ وَغَنَّيتُ وَسطَهَا سَأجعَلُكِ ذَاتَ يَومٍ شَهِيرَة،
لَا مِهرَجَانَاتِك، لَا لَوحَاتِكِ المُتحَوِّلَة، وَعُرُوضك، تُكَافِئنِي،
لَا صُفُوفَ مَنَازِلِك اللَّا نِهَائِيَّة، لَا السُّفُن فِي أَرصِفَةِ المِينَاء،
لَا المَوَاكِبَ فِي الشَّوَارِع، لَا الوَاجِهَاتِ المُشرِقَة بِالسِّلَع فِيهَا،
لَا الحَدِيث مَع أَشخَاصٍ مُتَعَلِّمِين، أَو تَحَمُّل نَصِيبِي فِي السَّهرَةِ أَو الوَلِيمَة؛
لَا أُولَئِك، لَكِنهَا- فِيمَا أَمُر يَا مَانهَاتن- وَمضَةُ عيُونِكِ الخَاطِفَةُ المُتَكَرِّرَةُ التِي تَعرِضُ عَلَيَّ الحُب،
تَعَرِضُ الاستِجَابَةَ لِحُبِّي- هِي الاستِجَابَةُ لِمُكَافَأتِي،
فَوَحدَهُم المُحِبُّون، المُحِبُّون الدَّائِمُون، مَن يُكَافِئُونَنِي.

انظُر إلى هذا الوجه الدَّاكِن

انظُر إِلَى هَذَا الوَجهِ الدَّاكِن، وَهَذِه العُيُون الرَّمَادِيَّة،
إِلَى هَذِهِ اللِّحيَةِ، وَالصُّوفِ الأبيَض غَيرِ المَعقُوص عَلَى رَقَبَتِي،
وَيَدَيَّ البُنِّيَّتَين وَالسِّيمَاءِ الصَّامِتَةِ لِي بِلَا فِتنَة؛
لَكِن شَخصًا مَا مَانهَاتَني يَجِيء وَيُقَبِّلُنِي كَثِيرًا عِندَ الرَّحِيلِ بِرِقَّةٍ عَلَى شَفَتَيَّ بِحُبٍّ قَوِي،
وَأَنَا عِندَ عُبُورِ الشَّارِع أَو عَلَى سَطحِ سَفِينَةٍ أَمنَحُ قُبلَةً فِي المقَابِل،
هِيَ هَذِه التَّحِيَّةُ المتَبَادَلَةُ بَين الرِّفَاقِ الأَمِيركِيِّين عَلَى الأَرض وَالبَحر،
فنَحنُ هَذَان الشَّخصَان الطَّبِيعِيَّان غَيرُ المُكتَرِثَين.

رأيتُ في لويزيانا سنديانةً حيةً تنمو

رَأَيتُ فِي لوِيزيَانَا سِندِيَانَةً حَيَّةً تَنمُو،
كَانَت تَنتَصِبُ وَحِيدَةً تَمَامًا وَالطُّحلُب يَتَدَلَّى مِن أَغصَانِهَا،
بِلَا أَيِّ رَفِيقٍ كَانَت تَنمُو هُنَاك مُطلِقَةً أَورَاقًا بَهِيجَةً مِن الخُضرَةِ الدَّاكِنَة،
وَسِيمَاؤُهَا، المتَحَفِّظَةُ، الخَشِنَةُ، الشَّهوَانِيَّةُ، جَعَلَتنِي أُفَكِّرُ فِي نَفسِي،
لَكِنِّي تَعَجَّبتُ كَيفَ استَطَاعَت إِخرَاجَ أَورَاقٍ بَهِيجَةٍ وَهِيَ مُنتَصِبَةٌ وَحِيدَةٌ هُنَاكَ بِدُون صَدِيقِهَا، فَقَد كُنتُ أَعرِفُ أَنَّنِي لَا أَستَطِيع،
وَانتَزَعتُ غُصنًا صَغِيرًا يَحمِلُ بَعضَ الأَورَاق وَبَعضَ الطُّحلُبِ يَلتَف حَولَه،
وَأَخَذتُه بَعِيدًا، وَوَضَعتُه عَلَى مَرأًى مِنِّي فِي غُرفَتِي،
مَا مِن حَاجَةٍ لِتَذكِيرِي بِأَنَّه صَدِيقِي العَزِيز،
(ذَلِكَ أَنَّنِي أُؤمِنُ مُؤَخَّرًا أَنَّنِي سِوَاهُم لَا أُؤمِنُ إِلَّا بِالقَلِيل)،
لَكِنه يَبقَى لِي رَمزًا غَرِيبًا، يَدفَعُنِي إِلَى التَّفكِيرِ فِي الحُب الرُّجُولِي؛
لِكُلِّ هَذَا، وَرغمَ أَن السِّندِيَانَةَ الحَيَّةَ تَتَلَألَأُ هُنَاك فِي لوِيزِيَانَا مُنعَزِلَةً فِي مسَاحَةٍ مُسَطَّحَةٍ شَاسِعَة،
مُطلِقَةً أَورَاقًا بَهِيجَةً طُوَالَ حَيَاتِهَا بِلَا صَدِيقٍ أَو حَبِيب قَرِيب،
فَإِنَّنِي أَعرِفُ أَنَّنِي لَا أَستَطِيع.

إلى غريب

أَيُّهَا الغَرِيبُ المَار! أَنتَ لَا تَدرِي كَم أَتَطَلَّعُ إِلَيكَ بِشَوق،
لَابُد أَنَّك مَن أَبحَث عَنه، أَو مَن أَبحَثُ عَنهَا (يَحدُثُ لِي ذَلِكَ كَحُلم)[*]،
فَبِالتَّأكِيدِ عِشتُ مَعَك فِي مَكَانٍ مَا حَيَاةً مِن البَهجَة،
وَعَادَ كُلُّ شَيءٍ إِلَى البَالِ وَنَحنُ نَمضِي مَعًا، رَشِيقَين، شَغُوفَين، طَاهِرَين، نَاضِجَين،
كَبُرت مَعِي، كُنتَ صَبِيًّا مَعِي أَو فَتَاةً،
أَكَلتُ مَعَك وَنِمتُ مَعَك، وَلَم يَعُد جَسَدُك لَك وَحدَك وَلَا جَسَدِي لِي وَحدِي،
تَمنَحُنِي لَذَّةَ عَينَيك، وَوَجهِك، وَجَسَدك، فِيمَا نَمُر، تَأخُذُ مِن لِحيَتِي، وَصَدرِي، وَيَدَيَّ،
فِي المقَابِل،
وَأَنَا لَا أَتَحَدَّثُ إِلَيك، أَنَا أُفَكِّرُ فِيك حِين أَجلِسُ وَحِيدًا أَو أَصحُو فِي اللَّيلِ وَحِيدًا،
وَعلَيَّ أَن أَنتَظِر، فَلَا أَشُك فِي أَنَّنِي سَأُقَابِلُك مِن جَدِيد،
وَلَن أَفقِدَك.

[*] نُذكِّر بأن جميع الضمائر والأفعال المستخدمة في القصيدة- وفي الكثير من قصائد "أوراق العُشب"- تنطبق، في آن، على المذكر والمؤنث، بلا تمييز، إلا فيما ندر. فالسطور الخمسة الأخيرة من هذه القصيدة- على سبيل المثال- تعكس هذا الالتباس وازدواجية الدلالة.

هذه اللحظة أشتاق وأُفكِّر

هَذِه اللَّحظَة أَشتَاقُ وَأُفَكِّر وَأَنَا جَالِسٌ وَحِيدًا،
يَبدُو لِي أَن هُنَاكَ رِجَالًا آخَرِين فِي بُلدَانٍ أُخرَى يَشتَاقُون وَيُفَكِّرُون،
يَبدُو لِي أَنَّنِي أَستَطِيعُ أَن أُلقِي نَظرَةً وَأَرَاهُم فِي أَلمَانيَا، وَإِيطَاليَا، وَفرنسَا، وَأَسبَانيَا،
أَو بَعِيدًا، بَعِيدًا تَمَامًا، فِي الصِّين، أَو فِي رُوسيَا أَو اليَابَان، يَتَحَدَّثُون لَهَجَاتٍ أُخرَى،
وَيَبدُو لِي أَنَّنِي لَو استَطَعتُ مَعرِفَةَ هَؤُلَاءِ الرِّجَال لأَصبَحتُ عَلَى تَوَاصُلٍ بِهِم مِثلَمَا
أَفعَلُ مَع أُنَاسٍ مِن بَلَدِي،
آهِ أَعرِفُ أَنَّ عَلَينَا أَن نَكُون أَشِقَّاء وَمُحِبِّين،
وَأَعرِفُ أَنَّنِي كَانَ لِي أَن أَكُون سَعِيدًا مَعَهُم.

أسمع أنني محـل اتهام

أَسمَعُ أَنَّنِي مَحَلُّ اتِّهَام بِأَنَّنِي أَسعَى لِتَدمِير المُؤَسَّسَات،
لَكِنَّنِي فِعلًا لَستُ مَعَ أَو ضِد المؤَسَّسَات،
(فَمَا هُو حَقًّا المُشتَرَكُ بَينِي وَبَينَهَا؟ أَو مَعَ تَدمِيرِهَا؟)
لَيسَ سِوَى أَنِّي سَأُؤَسِّس فِي مَانهَاتن وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ بِهَذِه الوِلَايَاتِ عَلَى البَرِّ وَالبَحر،
وَفِي الحُقُولِ وَالغَابَاتِ، وَفَوقَ كُلِّ سَفِينَةِ نَقلٍ صَغِيرَةٍ أَو كَبِيرَةٍ تَمخُرُ المِيَاه،
بِلَا مَكَاتِبَ أَو قَوَاعِدَ أَو أَوصِيَاء أَو أَيِّ جِدَال،
مُؤَسَّسَةَ الحُب الأَثِيرِ لِلرِّفَاق.

فيما أشُق عُشب البراري

فِيمَا أَشُقُّ عُشبَ البَرَارِي، مُستَنشِقًا رَائِحَتَه الخَاصَّة،
أَطلُبُ مِنه التَّجَاوُبَ الرُّوحِي،
أَطلُبُ رِفقَةَ الرِّجَالِ الأكثَرَ خُصُوبَةً وَحَمِيمِيَّة،
أَطلُبُ أَن تَنبَثِقَ الأورَاقُ مِن الكَلِمَاتِ، وَالأفعَالِ، وَالكَينُونَات،
أُولَئك المُنتَمِين إِلَى المَنَاخِ العَارِي، الخَشن، المشمِس، المُنعِش، المُغَذِّي،
أُولَئِكَ الذِين يَمضُون فِي مِشيَتِهِم مُنتَصِبِين، يَخطُون بِحُرِّيَّة وَسَطوَة، يَقُودُون لَا يَتبَعُون،
مَن يَتَمَتَّعُون بِجُرأَةٍ لَم تُقمَع أَبَدًا، بِجَسَدٍ عَذبٍ وَشَهوَانِي بِلَا أَصبَاغ،
أُولئِك الذِين يَبدُون لَامُبَالِين إِزَاءَ الرُّؤسَاءِ وَالحُكَّام، كَمَن يَقُول *مَن أَنت*؟
أُولئِك المَجبُولِين مِن شَغفِ أَبنَاءِ الأرض، البُسَطَاءِ، بِلَا كَبتٍ أَبَدًا، وَلَا طَاعَةٍ أَبَدًا،
أُولَئِكَ المُنتَمِين إِلَى أَرضِ أَمِيرِيكَا.

حين أُلاحق الشُّهرة المنتَزَعة

حِين أَتَتَبّع الشُّهرَةَ المُنتَزَعَةَ لِلأبطَالِ وَانتِصَارَاتِ الجِنرَالَات الأقوِيَاء، لَا أَحسِدُ الجنرَالَات،

وَلَا الرَّئِيسَ فِي رِئَاسَتِه، وَلَا الغَنِيَّ فِي بَيتِه الفَخِيم،

لَكِنِّي حِين أَسمَعُ عَن أُخُوَّةِ المُحِبِّين، كَيفَ تَحَقَّقت مَعَهُم،

كَيفَ عَاشُوا مَعًا خِلَالَ الحَيَاةِ، خِلَالَ الأخطَارِ، مَوصُومِين، بِلَا تَغَيُّر، طَوِيلًا طَوِيلًا،

خِلَالَ الشَّبَابِ وَخِلَالَ مُنتَصَفِ العُمرِ وَالشَّيخُوخَةِ، كَيف كَانُوا بِلَا تَرَدُّد، مُتَوَقِّدِين وَمُخلِصِين،

آنَئِذٍ أُمعِنُ التَّفكِير– أُسرِعُ بِالابتِعَادِ مُفعَمًا بِأجمَل حَسَد.

كنا صبيَّين متلاحمَين معًا

كُنَّا صَبِيَّين مُتَلَاحِمَين مَعًا،
لَا يَترُكُ أَحَدُنَا الآخَر،
نَمضِي مِن بِدَايَاتِ الطُّرُق إِلَى آخِرِهَا، نَقُوم بِرحلَاتٍ شَمَالًا وَجَنُوبًا،
مُستَمتِعَين بِالقُوَّة، مَادَّين كُوعَينَا، وَأَصَابِعُنَا مُتَشَابِكَة،
مُسَلَّحَين وَبِلَا خَوف، نَأكُل، نَشرَبُ، نَنَامُ، نَعشَق،
لَا قَانُون يَحكُمُنَا سِوَى أَنفُسِنَا، مُبحِرَين، نَتَصَرَّفُ كَالجُنُود، نَسرِقُ، نُهَدِّد،
بَخِيلَين، حَقِيرَين، كَاهِنَين يُحَذِّرَان، نَستَنشِقُ الهَوَاءَ، نَشرَبُ المَاءَ، رَاقِصَين عَلَى المَرجِ
أَو شَاطِئِ البَحر،
نُوجِعُ المُدُن، مُحتَقِرَين الرَّاحَةَ، سَاخِرَين مِن التَّشرِيعَات، نُطَارِدُ الوَهَن،
مُحَقِّقَين غَزوَنَا.

وعـدٌ إلى كاليفُورنيـا

وَعدٌ إِلَى كَالِيفُورنيَا،
أَو إِلَى سُهُولِ الرَّعي الكُبرَى الدَّاخِلِيَّة، ثُم وُصُولًا إِلَى بُوجِيت العَمِيقَة وَأُورِيجُون؛
مُقِيمًا فِي الشَّرقِ لِبُرهَةٍ أَطوَلَ، سرعَانَ مَا سَأَرحَلُ إِلَيكِ، لأبقَى، لأُعَلِّم الحُبَّ الأَمِيرِيكِيَّ الرُّجُولِي،
فَأَنَا أَعرِفُ جَيدًا أَنَّنِي وَالحُبَّ الرُّجُولِيَّ نَنتَمِي إِلَيك، أَيُّهَا الدَّاخِلُ، وَعَلَى امتِدَادِ البَحرِ الغَربِي؛
فَهَذِه الوِلَايَاتُ تُفضِي إِلَى الدَّاخِل وَإِلَى البَحرِ الغَربِي، وَأَنَا أَيضًا.

هنا أوراقي الأكثر هشاشة

هُنَا أَوراقِي الأكثَرُ هَشَاشَةً وَمَعَ ذَلِكَ الأقوَى دَيمُومَة،
هُنَا سَأُظَلِّلُ وَأُخفِي أَفكَارِي، أَنَا نَفسِي لَا أعرِضُهَا،
وَمَع ذَلِك فَهِيَ تَعرِضُنِي بِأَكثَر مِن جَمِيع قَصَائِدِي الأُخرَى.

لا آلَة لتوفير العمَل

لَا آلَةَ لِتَوفِيرِ العَمَــل،
وَلَا اكتِشَافًا قُمتُ بِه،
وَلَا أَيَّةَ وَصِيَّةٍ يُمكِنُنِي أَن أَترُكَهَا وَرَائِي بِتَورِيثِ ثَروَتِي إِلَى مُستَشفى أَو مَكتَبَة،
وَلَا مَا يُذَكِّرُ بِأَيٍّ فِعلِ شَجَاعَةٍ مِن أَجلِ أَمِيرِيكَا،
وَلَا نَجَاحًا أَدَبِيًّا وَلَا ثَقَافِيًّا، وَلَا كِتَابًا مِن أَجلِ الرُّفُوف،
بَل أَترُك بِضعَ أُغنِيَاتٍ تَتَرَدَّدُ عَبرَ الهَوَاء،
إِلَى الرِّفَاقِ وَالعُشَّاق.

نظرةٌ خاطفَــة

نَظرَةٌ خَاطِفَةٌ خِلَالَ لَمحَةٍ مِن فُرجَة،

في حَشدِ عُمَّالٍ وَسَائِقِين بِقَاعَةِ حَانَةٍ حَولَ مِدفَأةٍ ذَات لَيلَةِ شِتَاء، وَأَنَا جَالِسٌ فِي رُكنٍ غَيرَ مَرئِي،

مِن شَاب يُحِبُّنِي وَأُحِبُّه، مُقتَرِبًا فِي صَمتٍ وَجَالِسًا قُربِي، لَعَلَّه يَلمَسنِي بِاليَد،

بَعدَ فَترَةٍ طَوِيلَةٍ وَسطَ ضَجيجِ القَادِمِينَ وَالرَّاحِلِين، وَالشُّربِ وَالتَّجدِيفِ وَالتَّلمِيحَاتِ البَذِيئَة،

كَانَ هُنَاكَ شَخصَان، مُشبَعَين، سَعِيدَين بَأَنَّهُمَا مَعًا، يَتَحَدثَان قَلِيلًا، رُبَّمَا وَلَا كَلِمَة.

ورقة شجَر من أجل يَدٍ في يَد

وَرَقَةُ شَجَرٍ مِن أَجلِ يَدٍ فِي يَد؛
أَيُّهَا الأشخَاصُ الطَّبِيعِيُّون الكِبَارُ وَالصِّغَار!
يَا أَنتُم فِي المِيسِيسِبِّي وَكُلِّ تَفرِيعَاتِ وَرَوَافِد المِيسِيسِبِّي!
أَيُّهَا البَحَّارَةُ وَالمِيكَانِيكِيُّون الأصدِقَاء! أَيُّهَا الأشِدَّاء!
أَيُّهَا الأزوَاج! وَكُل المُوَاكِب المُتَحَرِّكَة فِي الشَّوَارِع!
أَتَمَنَّى أَن أَبُث نَفسِي وَسطَكُم إِلَى أَن أَرَى أَنَّه عَادِيٌّ لَكُم أَن تَسِيرُوا يَدًا فِي يَد.

أيتها الأرضُ، يا شَبيهَتِي

أَيَّتُهَا الأرض، يَا شَبِيهَتِي،
رغمَ أَنَّكِ تَبدِين جَامِدَةً، شَاسِعَةً وَكُرَوِيَّة،
فَإِنَّنِي أَشُكُّ الآن فِي أَن ذَلِكَ لَيسَ كُلَّ شَيء؛
أَشُكُّ فِي أَن هُنَاكَ شَيئًا مَا وَحشِيًّا فِيكِ مُؤَهلًا لِلانفِجَارِ قُدُمًا،
ذَلِكَ أَن هُنَاكَ رِيَاضِيًّا مُغرَمًا بِي، وَأَنَا بِه،
لَكِن تِجَاهَه هُنَاكَ شَيءٌ مَا وَحشِيٌّ وَرَهِيبٌ فِيَّ مُؤَهَّلٌ للانفِجَار قُدُمًا،
لَا أَجرُؤ عَلَى قَولِه فِي كَلِمَات، وَلَا حَتَّى فِي هَذِهِ الأغَانِي.

حلمتُ في حُلم

حَلُمتُ فِي حُلمٍ أَنَّنِي رَأَيتُ مَدِينَةً لَا تُقهَر إِزَاءَ هَجمَاتِ بَاقِي الأرض كُلِّه،
حَلُمتُ أَنَّهَا هِي مَدِينَةُ **الأصدِقَاءِ** الجَدِيدَة،
لَم يَكُن هُنَاكَ مَا هُو أَعظَم فِيهَا مِن سِمَةِ الحُبِّ العَنِيف، وَكَانَت تَقُودُ البَاقِين،
كَان ذَلِكَ مَرئِيًّا فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِن أَفعَالِ رِجَالِ هَذِهِ المَدِينَة،
وَفِي كُل نَظَرَاتِهِم وَكَلِمَاتِهِم.

ماذا تظُن حين أُمسك بقلَمِي في يَدِي؟

مَاذَا تَظُن حِين أُمسِكُ بِقَلَمِي فِي يَدِي لَأسجِّل؟

أَهيَ السَّفِينَةُ الحَربِيَّةُ، ذَات التَّصمِيم النمُوذَجِي، المهِيبَةُ، التِي رَأَيتُهَا تَمُر بِعرضِ البَحر اليَومَ تَحتَ شِراعٍ كَامِل؟

أَهيَ رَوَائِعُ الأَيَّامِ الغَابِرَة؟ أَم رَوعَةُ اللَّيلِ الذِي يَلُفُّنِي؟

أَم المَجدُ الصَّارِخُ وَتَنَامِي المَدِينَةِ العَظِيمَةِ المُمتَدَّةِ حَولِي؟- لَا؛

بَل مُجَرَّد رَجُلَين بَسِيطَين رَأَيتُهُمَا اليَومَ عَلَى الرَّصِيفِ وَسَطَ الزِّحَام، يَفتَرِقَان افتِرَاقَ الأصدِقَاءِ الأعِزَّاء،

الشَّخصُ البَاقِي ظَلَّ مُعَلَّقًا فِي رَقَبَةِ الآخَر وَيُقَبِّلُه فِي انفِعَال،

فِيمَا الشَّخصُ المُغَادِرُ كَانَ يَضغَطُ بِرقَّةٍ عَلَى الشَّخصِ البَاقِي فِي حُضنِه.

إلى الشَّرق وإلى الغَرب

إِلَى الشَّرقِ وَإِلَى الغَرب،
إِلَى رَجُل وِلَايَةِ شَاطِئِ البَحر وَبِنسِلفَانيَا،
إِلَى كَنَدِيِّ الشَّمَال، إِلَى الجَنُوبِي الذِي أُحَبُّه،
وَبِثِقَةٍ كَامِلَةٍ فِي تَصوِيرِكَ كَمَا أَنَا، فَالبِذرَةُ فِي كُلِّ الرِّجَال،
أُؤمِنُ بِأَن المَعنَى الرَّئِيسِي لِهَذِه **الوِلَايَات** هُو العُثُورُ عَلَى صَدَاقَةٍ رَائِعَة، مُثِيرَة، مَجهُولَةٍ مِن قَبل،
لأَنَّنِي أَتَصَوَّرُ أَنَّهَا تَنتَظِر، وَكَانَت دَائِمًا تَنتَظِر، كَامِنَةً فِي كُلِّ الرِّجَال.

أحيَانًا مع الشَّخص الذِي أحبه

أَحيَانًا مَعَ مَن أُحِب أُفعِمُ نَفسِي بِالغَضَبِ خَوفًا مَن إِهدَارِ حُبٍّ لَا يَعُود،
لكِنِّي الآنَ لَا أُؤمِنُ بِوُجُودِ حُبٍّ لَا يَعُود، فَالثَّمَنُ مُؤَكَّدٌ بِطَرِيقَةٍ أَو أُخرَى،
(لَقَد أَحبَبتُ شَخصًا مَا بِوَلَعٍ وَلَم يَعُد إِلَيَّ حُبِّي،
وَمَعَ ذَلِكَ فَانطِلَاقًا مِن ذَلِكَ كَتبتُ هَذِهِ الأُغنِيَات).

إِلَى صَبِيٍ غَرَبِـي

أُعَلِّمُكَ أَشيَاءً كَثِيرَةً لِتَتَمَثَّلهَا فَتُسَاعِدَكَ عَلَى أَن تُصبِحَ صَبِيًّا لِي؛
لَكِن إِذَا مَا كَانَ دَمٌ كَدَمِي لَا يَسرِي فِي شَرَايِينِك،
وَإِن لَم يَختَرِكَ فِي صَمتٍ العُشَّاقُ وَلَم تَختَر فِي صَمتٍ العَاشِقِين،
فَمَا جَدوَى أَن تَسعَى لأَن تُصبِحَ صَبِيًّا لِي؟

أيها الحُب الرَّاسخ الأبدِي!

أَيُّهَا الحُبُّ الرَّاسِخُ الأبَدِي! أَيَّتُهَا المرأَةُ التِي أُحِب!
أَيَّتُهَا العَرُوس! أَيَّتُهَا الزَّوجَة! أَكثَر استِعصَاءً مِمَّا يُمكِنُ لِي أَن أَقُول، التَّفكِيرُ فِيك!
ثُم الانفِصَال، كَمَن تَحَرَّر جَسَدِيًّا أَو وُلِدَ شَخصًا آخَر،
ذَلِكَ الوَاقِعُ الحَيَوِي الأَخِيرُ، عَزَائِي، بِصُورَةٍ أَثِيرِيَّة،
فَأَرتَقِي، أَطفُو فِي أَقَالِيم حُبِّكَ أَيُّهَا الرَّجُل،
يَا شَرِيكَ حَيَاتِي الجَوَّالَة.

وسط الزحَــام

وَسطَ زِحَامِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء،
أَتَصَوَّرُ شَخصًا مَا يَلتَقِطُنِي بِأَمَارَاتٍ خَفِيَّةٍ وَسَمَاوِيَّة،
بِلَا اعتِرَافٍ بِأيِّ آخَر، لَا الآبَاءِ، أو الزَّوجَةِ، أَو الزَّوج، أَو الشَّقِيقِ، أَو الإِبن، أَو مَن هُو أَقرَب مِنِّي،
احتَارَ البَعضُ، لَكِن هَذَا الشَّخصِ لَا – فَهَذَا الشَّخصُ يَعرِفُنِي.

يَا حَبِيبِي وَقَرِينِي الكَامِل،
قَصَدتُ أَنَّ عَلَيكَ أَن تَكتَشِفَنِي هَكَذَا بِمُوَارَبَاتٍ رَهِيفَة،
وَأَنَّنِي عِندَمَا أُقَابِلُك عَلَيَّ أَن أَكتَشِفَكَ بِنَفسِ الطَّرِيقَة.

يَا مَن أَجيءُ إليه كثيرًا في صَمت

يَا مَن أَجِيءُ إِلَيهِ كَثِيرًا فِي صَمتٍ حَيثُمَا تَكُون لَعَلِّي أَكُون مَعَك،
حِين أَمشِي بِجَانِبِك أَو أَجلِسُ قُربَك، أَو أَبقَى فِي نَفسِ الغُرفَةِ مَعَك،
لَا تَدرِي سِوَى القَلِيلِ عَن النَّار المثِيرَةِ الرَّهِيفَةِ التِي تَتَلَاعَبُ دَاخِلِي مِن أَجلِك.

ذلك الظِّـل شَبيهي

ذَلِكَ الظِّلُّ شَبِيهِي الذِي يَمضِي ذِهَابًا وَإِيَابًا بَاحِثًا عَن العَيشِ، مِهذَارًا، مُقَايِضًا،
كَم كَثِيرًا مَا أَجِدُ نَفسِي وَاقِفًا أَنظُرُ إِلَيه حَيثُ يَتَقَافَز،
كَم كَثِيرًا مَا أَسأَلُ وَأَشُكُّ فِيمَا إِذَا كَانَ فِعلًا هُو أَنَا؛
لَكِن وَسطَ عُشَّاقِي وَالتَّغَنِّي بِهَذِه الأُغنِيَات،
آهِ لَا أَشُكُّ مُطلَقًا فِيمَا إِذَا كَانَ بِالفِعلِ أَنَا.

مُفعمًا بالحياة الآن

مُفعَمًا بِالحَيَاةِ الآن، مُحتَشِدًا، مَرئِيًّا،
أَنَا، بَاحِثًا عَنك، فِي الأربَعِين مِن عُمرِي وَالعَامِ الثَّالِثِ وَالثَّمَانِين مِن عُمر **الوِلَايَات**،
وَهوَ بِالنِّسبَةِ إِلَى شَخصٍ مَا قَرنٌ مِن الآن أَو أَي عَدَدٍ مِن القُرُونِ مِن الآن،
وَبِالنِّسبَةِ إِلَيك فَذَلِكَ لَم يُولَد بَعد.

وَعِندَمَا تَقرَأ هَذَا فَإِنَّنِي- مَن كُنتُ مَرئِيًّا- أُصبِحُ لَا مَرئِي،
وَأنتَ الآن، مُحتَشِدٌ، مَرئِي، مُدرِكٌ لِقَصَائِدِي، بَاحِثًا عَنِّي،
مُتَخَيِّلًا كَم كُنتَ سَعِيدًا لَو استَطَعتُ أَن أَكُونَ مَعَك وَأُصبِحَ رَفِيقَك؛
فَليَكُن ذَلِكَ كَأَنَّنِي مَعَك (لَا تَكُن مُتَأَكِّدًا تَمَامًا لَكِنِّي الآنَ مَعَك).

سَــلَامًا إِلَى العَــالَم !

سَــلَامًا إِلَى العَــالَم !

[1]

آهِ خُذ بِيَدِي يَا **وَالت وِيتمَـان!** [*]
فَهَذِهِ الرَّوَائِعُ المنسَلَّة! هَذِهِ المَنَاظِرُ وَالأصوَات!
هَذِهِ الرَّوَابِطُ مُتَّصِلَةٌ بِلَا انتِهَاء، وَكُلٌّ مِنهَا مَمسُوكٌ فِي التَّالِي،
كُلٌّ مِنهَا يَتَجَاوَبُ مَع الكُل، وَكُلٌّ مِنهَا يَتَقَاسَمُ الأرض مَعَ الكُل.

فَمَا الذِي يَتَّسِعُ دَاخِلَكَ يَا **وَالت وِيتمَان؟**
أَيَّةُ أَموَاجٍ وَتُربَـةٍ تَتَجَلَّى؟
أَيَّةُ مَنَاخَات؟ أَيُّ أَشخَاصٍ وَمُدُنٍ هُنَا؟
مَن هُم الأَطفَالُ، الذِين يَلعَبُ بَعضُهُم، وَبَعضُهُم يَنعَس؟
مَن الفَتَيَات؟ مَن النِّسَاءُ المُتَزَوِّجَات؟
مَا هِي مَجمُوعَات الشُّيُوخ السَّائِرِين بِبُطءٍ وَأَذرُعهُم حَولَ رَقَبَةِ بَعضِهِم البَعض؟
أَيَّةُ أَنهَارٍ هَذِه؟ أَيَّةُ غَابَاتٍ وَثِمَارٍ هَذِه؟
وَمَاذَا تُسَمِّي الجِبَالُ السَّامِقَةُ عَالِيًا فِي الضَّبَاب؟
مَا هِي آلَافِ الآلَافِ مِن المَنَازِلِ التِي تَمتَلِئُ بِالمُقِيمِين؟

---

[*] عنوان القصيدة مكتوب بالفرنسية: **SALUT AU MONDE**!. وثمة كلمات غير انجليزية تتناثر في القصائد بين الحين والحين، لم نشأ الإشارة إليها منعًا لتشويش القراءة.

[2]

دَاخِلِي يَتَّسِعُ المَدَى، وَيَطُولُ الطُّول،
آسيَا، أَفرِيقيَا، أُورُوبَّا، مِن الشَّرق – وَأَمِيرِيكَا مَجبُولَةٌ فِي الغَرب،
مُطَوِّقًا انتِفَاخَ الأرض يَلتَفُّ خَطُّ الاستِوَاءِ الحَار،
وَالشَّمَالُ وَالجَنُوبُ يُدِيرَان بِصُورَةٍ غَرِيبَةٍ أَطرَافَ المَحَاوِر،
دَاخِلِي أَطوَلُ يَوم، وَالشَّمسُ تَدُورُ فِي حَلقَاتٍ مَائِلَة، لَا تَغرُبُ طُوَالَ شُهُور،
مُمْتَدَّةً فِي الوَقتِ المحَدَّدِ دَاخِلِي تُشرِقُ شَمسُ مُنتَصَفِ اللَّيل عَلَى الأُفُق وَتَغرَقُ مِن جَدِيد،
دَاخِلِي مَنَاطِق، وَبِحَارٌ، وَشَلَالَاتٌ، وَغَابَاتٌ، وَبَرَاكِين، وَتَجَمُّعَات،
مَالِيزيَا، بُولِينِيزيَا، وَجُزُر الهِندِ الغَربِيَّةُ العَظِيمَة.

[3]

مَاذَا تَسمَعُ يَا وَالت وِيتمَان؟

أَسمَعُ العَامِلَ يُغَنِّي وَزَوجَةَ الفَلَاحِ تُغَنِّي،
أَسمَعُ عَن بُعدٍ أَصوَاتَ الأطفَالِ وَالحَيَوَانَاتِ فِي الصَّبَاحِ البَاكِر،
أَسمَع الصَّيحَاتِ المتنَافِسَةَ لِلاستُرَالِيِّين يُطَارِدُون الحِصَانَ البَرِّي،
أَسمَعُ الرَّقصَةَ الأسبَانِيَّةَ بِالصُّنجِ فِي ظِلِ الكِستِنَاء، مَع الرَّبَابَةِ وَالجِيتَار،
أَسمَعُ أَصدَاءً مُتَوَاصِلَةً مِن التِّيمز،
أَسمَعُ أُغنِيَاتِ الحُرِّيَّةِ الفِرنسِيَّةِ الضَّارِيَة،
أَسمَعُ مِجذَافَ القَارِبِ الإِيطَالِي وَالإِلقَاءَ المُوسِيقِي لِلقَصَائِد القَدِيمَة،
أَسمَعُ الجَرَادَ فِي سُورِيَا وَهوَ يَضرِبُ المحَاصِيلَ وَالعُشبَ بِاندِفَاقَّاتِ غُيُومِه الرَّهِيبَة،
أَسمَع اللَّازِمَةَ القِبطِيَّةَ فِي الغُرُوب، مُتَسَاقِطَةً فِي استِغرَاقٍ عَلَى صَدرِ النِّيلِ الأُم الدَّاكِنَةِ الشَّاسِعَةِ المهِيبَة،
أَسمَعُ زَقزَقَةَ البَغَّالِ المكسِيكِي، وَأَجرَاسَ البَغل،

أَسمَعُ المُؤَذِّن العَرَبِي يَدعُو مِن قِمَّةِ المَسجِد،
أَسمَعُ القَسَاوِسَةَ المسِيحِيِّين عِندَ مَذَابِح كَنَائِسِهِم، أَسمَعُ صَوتَ البَاص وَالسُّوبرَانُو المتَجَاوِبَين[*]،
أَسمَعُ صَيحَةَ القُوزَاق، وَصَوتَ البَحَّار فِي انطِلَاقِهِ إِلَى البَحرِ فِي أُوكُوتسِك،
أَسمَعُ لُهَاثَ قَافِلَةِ العَبِيدِ وَالعَبِيدُ يَسِيرُون، إِذ تَمُر المجمُوعَاتُ القَوِيَّةُ اثنَين اثنَين أَو ثَلَاثَةً ثَلَاثَة، مُكَبَّلِين مَعًا بِقُيُودِ المِعصَم وَالكَاحِل،
أَسمَعُ العبرَانِيَّ يَقرَأ مَحفُوظَاتِه وَتَرَانِيمَه،
أَسمَعُ الأَسَاطِيرَ المُوَقَّعَةَ لِليُونَانِيِّين، وَالحِكَايَا الخُرَافِيَّةَ العَنِيفَةَ لِلرُّومَان،
أَسمَعُ حِكَايَةَ الحَيَاةِ السَّمَاوِيَّة وَالموتِ الدَّمَوِي لِلمَسِيحِ الرَّب الجَمِيل،
أَسمَعُ الهِندُوسِيَّ يُعَلِّم تِلمِيذَه المُفَضَّلَ أَشكَالَ الحُب، وَالحرب، وَالأَمثَال، مَنقُولَةً كَمَا هِي إِلَى أَيَّامِنَا عن شُعَرَاءَ كَتبُوهَا مُنذ ثَلَاثَةَ آلَافِ عَام.

[4]

مَاذَا تَرَى يَا وَالت وِيتمَان؟
مَن هَؤلَاء الذِي تَقُومُ بِتَحِيَّتِهِم، وَذَلِكَ الشَّخصُ بَعدَ الآخَر الذِين يُحَيُّونَك؟

أَرَى مُعجِزَةً دَائِرِيَّةً كَبِيرَةً تَتدَحرَجُ خِلَالَ الفَضَاء،
أَرَى مَزَارِعَ بَالِغَةَ الصِّغَر، قُرًى صَغِيرَةً، أَطلَالًا، مَقَابِر، سُجُونًا، مَصَانِع، قُصُورًا، حَظَائِر، أَكوَاخَ بَرَابِرَة، خِيَامَ بَدوٍ عَلَى السَّطح،
أَرَى الجُزءَ الظَّلِيلَ فِي جَانِبٍ حَيثُ يَنَامُ النَّائِمُون، وَالجُزءَ المُشمِسَ فِي الجَانِبِ الآخَر،
أَرَى التَّغَيُّر السَّرِيعَ الغَرِيبَ لِلضَّوءِ وَالظِّل،
أَرَى بُلدَانًا بَعِيدَةً، حَقِيقِيَّةً وَحَمِيمِيَّةً مِن قَاطِنِيهَا كَبَلَدِي بِالنِّسبَةِ لِي.

أَرَى مِيَاهًا غَزِيرَة،

[*] الباص Bass: أدنى الأصوات الرجالية في الغناء الأوبرالي؛ السوبرانو Soprano: أعلى الأصوات النسائية.

أَرَى قِمَمَ جِبَالٍ، أَرَى سِلسِلَةَ السَّيِيرَّا بِالأَندِيز حَيثُ تَصطَف،
أَرَى بِوُضُوحٍ الهِيمَالَايَا، وَشيَان شَاهز، وَالتَايز، وَغوتز،
أَرَى الذُّرَى الهَائِلَةَ لِلإلبرُوز، وَكَازبِيك، وَبَازَارجُوسي،
أَرَى الألب النّمسَاوِي، وَأَلب الكَرنَاك،
أَرَى البِيرنِيز، والبَالك، وَالكَاربَاثيان، وَإِلَى الشَّمَالِ جِبَال دُوفرَافِيلد، وَعِندَ البَحر جَبَلَ هِيكلَا،
أَرَى فِيسُوفيوس وإِتنَا، وَجِبَالَ القَمَر، وَالجِبَالَ الحَمرَاء بِمَدغَشقَر،
أَرَى الصَّحرَاوَات اللِّيبِيَّة، وَالعَرَبِيَّة، وَالآسيَوِيَّة،
أَرَى جِبَالَ الجَلِيدِ الهَائِلَةَ المُخِيفَةَ بِالقُطبِ الشَّمَالِي وَالجَنُوبِي،
أَرَى المُحِيطَاتِ الكُبرَى وَالمُحِيطَاتِ الدُّنيَا، الأَطلَنطِي وَالبَاسِيفِيكِي، بَحرَ المكسِيك، وَبَحرَ البَرَازِيل، وَبَحرَ بِيرُو،
مِيَاهَ هِندُوستَان، بَحرَ الصِّين، وَخَلِيجَ غِينيَا،
مِيَاهَ اليَابَان، خَلِيجَ نَجَازَاكِي الجَمِيلَ المُوصَدَ عَلَى الأَرض بِجِبَالِه،
امتِدَادَ البَلطِيق، وَالكَاسبِي، وَبُوثنِيَا، وَالشَّوَاطِئَ البِرِيطَانِيَّة، وَخَلِيجَ بِسكَاي،
البَحرَ المُتَوَسِّطَ المُشمِسَ المُضِيءَ، وَمِن جَزِيرَةٍ إِلَى أُخرَى مِن جُزُرِه،
البَحرَ الأَبيَض، وَالبَحرَ المُحِيطَ بِجرِينلَاند.

أَرَى بَحَّارَةَ العَالَم،
بَعضُهُم فِي العَوَاصِف، وَبَعضُهُم فِي اللَّيلِ مَعَ المرَاقَبَةِ فِي نُقطَةِ المُرَاقَبَة،
بَعضُهُم يَنجَرِفُونَ بِلَا حِيلَةٍ، وَبَعضُهُم يُعَانُون مِن أَمرَاضٍ مُعدِيَة.
أَرَى السُّفُنَ الشّرَاعِيَّةَ وَالبُخَارِيَّة فِي العَالَم، بَعضُهَا يَتَجَمَّعُ فِي المِينَاءِ، وَبَعضُهَا فِي رِحلَاتِهِم،
بَعضُهَا يَلتَف حَولَ رَأس العَوَاصِف، وَالبَعضُ حَولَ الرَّأسِ الأَخضَر، وَالبَعضُ حَولَ رُؤُوس جُوَاردَافوِي، وَبُون، أَو بَاجَادُور،

البَعضُ حَولَ رَأس دُندرَا، وَالبَعض يَمُر بِمَضِيقِ سُوندَا، وَالبَعضُ بِرَأس لُوبَاتكَا،
وَالبَعضُ بِمَضِيقِ بِيهرِنج،
البَعضُ بِرَأسِ هُورن، وَالبَعضُ يُبحِر بِخَلِيجِ المكسِيك أَو بامتِدَادِ كُوبَا أَو هَايتِي،
وَالبَعضُ بِخَلِيج هَدسُون أَو خَلِيج بَافِّن،
البَعضُ يَمُر بِمَضِيقِ دُوفَر، وَالبَعضُ يَدخُلُ الوَاش، وَالبَعض مَصَبَّ سُولوَاي، وَالبَعضُ
يَدُور بِرأس كلِير، وَالبَعضُ بِنِهَايَةِ اليَابِسَة،
يَجتَازُ البَعضُ الـ زُوديَار زي أو الـ شِيلد،
وَالبَعض ذَاهِبِين قَادِمِين عِندَ جِيبرَالتَار أو الدَّردَنِيل،
البَعضُ يَشُقُّ طَرِيقَه بِقُوَّةٍ خِلَالَ سَلَاسِلِ الشِّتَاءِ الشَّمَالِيَّة،
وَالبَعضُ يَهبِطُ أَو يَصعَدُ أُوبِي أَو لِينَا،
وَالبَعضُ نَهرَ النِّيجَر أَو الكُونغُو، وَالبَعضُ الـ إندُوس، وَالـ بُورَامبُوتر، وَكَامبُودِيَا،
وَالبَعضُ يَنتَظِرُ فِي مَوَانِئِ استُرَاليَا وَالآلَاتُ تَدُورُ استِعدَادًا لِلانطِلَاق،
يَنتَظِر فِي لِيڤَربُول، جلَاسجُو، مَارسِيلِيَا، لشبُونَة، نَابلِي، هَامبُورج، بِرِيمِين، بُوردُو، الـ
هَاج، كُوبِنهَاجِن،
يَنتَظِر فِي ڤَالبَارِيسُو، رِيُو جَانِيرُو، بَنَمَا.

[5]

أَرَى مَسَارَاتِ سِكَكِ الأرضِ الحَدِيدِيَّة،
أَرَاهَا فِي بريطَانيَا، أَرَاهَا فِي أُورُوبَّا،
أَرَاهَا فِي آسيَا وَأَفرِيقيَا.

أَرَى تِلِغرَافَات الأَرض الكَهرَبَائِيَّة،
أَرَى سَلَاسِلَ أَخبَارِ الحُرُوبِ، وَالمِيتَاتِ، وَالخَسَائِرِ، والمَكَاسِبِ، وَالعَوَاطِفِ، لِلجِنس
البَشرِي.

أَرَى رَوَافِدَ نَهرِ الأرض الطَّوِيل،
أَرَى الأمَازُون وَالبَارَاجوَاي،
أَرَى أَنهَارَ الصِّين الأربَعَةَ العَظِيمَة، الَامُور، النَّهر الَاصفَر، الـ يَانج تسي، وَالـ بيرل،
أَرَى أَينَ يَنسَابُ السِّين، وَأَين الدَّانُوب، وَاللُّوَار، وَالرُّون، وَانسيَابَ الـ جوَادَالكويڤر،
أَرَى تَعَرُّجَات الڤُولجَا، وَالدِّنيبَر، وَالأُودر،
أَرَى الـ تُوسكَان يَمضِي أَسفَل الـ أَرنُو، وَالڤِينِيسِي بِامتِدَاد الـ پُو،
أَرَى البَحَّارَ اليُونَانِي يُبحِرُ خَارِجًا مِن خَلِيج إيجِينَا.

[6]

أَرَى مَوقِعَ الامبِرَاطُورِيَّةِ الآشُورِيَّةِ القَدِيمَة، وَامبِرَاطُورِيَّةِ فَارِس، وَامبِرَاطُورِيَّةِ الهِند،
أَرَى سُقُوطَ الجَانج فَوقَ الحَوَافِّ العُليَا لِـ سُوكَارَا.

أَرَى مَوقِعَ فِكرَةِ **الأُلوهِيَّةِ** مُتجَسِّدَةً فِي تَمَاثِيلَ بِأَشكَالٍ آدَمِيَّة،
أَرَى مَوَاقِعَ السَّلَاسِل المتَوَالِيَةِ لِلكَهَنَةِ عَلَى الأرض، وَالعَرَّافِين، وَمُقَدِّمِي القَرَابِين، وَالبرَاهِمِيِّين، وَالصَّابِئَة، وَكَهنَة اللَامَا[*]، والرُّهبَان، وَالمُفتِين، وَالمنذِرِين،
أَرَى كَهَنَةَ الدّرُويد[**] يَتمشُّون فِي بَسَاتِين مُونَا، أَرَى نَبَاتَ الهَدَّال وَنَبَات الفِيربِينَا،
أَرَى مَعَابِدَ مَوتِ أَجسَادِ الآلِهَةِ، أَرَى الشَّوَاهِدَ القَدِيمَة.

أَرَى المَسِيحَ يَأكُلُ خُبزَ عَشَائِه الأخِير وَسطَ الشُّبَّانِ وَالشُّيُوخ،
أَرَى أَينَ كَدَّ الشَّابَّ السَّمَاوِيَّ القَوِيَّ هِرقَل بإخلَاصٍ طَوِيلًا ثُم مَات،
أَرَى مَكَانَ الحَيَاةِ الثَّرِيَّةِ البَرِيئَة وَالمَصِيرِ المشئُومِ للإبنِ اللَّيلِي الجَمِيل، بَاخُوس رَائِع الجسَد،

[*] هي الديانة اللامية عند التتر والبوذيين، والكلمة تعني "أمين الرب".

[**] كهنة عند قدماء الإنجليز.

أَرَى كنيف، مُزدَهِرًا، فِي رِدَاءٍ أَزرَق، بِتَاجِ الرِّيشِ عَلَى رَأسِه[*]،
أَرَى هِيرمِس، بِلَا شُبهَةٍ، يحتَضَر، مَحبُوبًا، قَائِلاً لِلنَّاس *لَا تَبكُوا مِن أَجلِي،*
هَذِه لَيسَت بَلَدِي الحَقِيقِيَّة، فَقَد عِشتُ مَحرُومًا مِن بَلَدِي الحَقِيقِيَّة، وَأَنَا الآنَ أَمضِي إِلَى هُنَاك،
أَعُودُ إِلَى المَدَارِ السَّمَاوِيِّ الذِي يَذهَبُ إِلَيه الجَمِيعُ فِي عَودَتِهِم.

[7]

أَرَى مَيَادِينَ القِتَالِ بِالأَرض، وَالعُشبُ يَنمُو عَلَيهَا وَيُزهِر وَيُنتِجُ حُبُوبًا،
أَرَى درُوبَ الحَملَاتِ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَة.

أَرَى النُّصُبَ المَجهُولَة، وَالرَّسَائِلَ المَهِيبَةَ عَن أَحدَاثٍ وَأَبطَالٍ مَجهُولِين، وَسِجِلَّات الأَرض.

أَرَى أَمَاكِنَ الحُكَمَاء،
أَرَى أَشجَارَ الصُّنُوبَر وَأَشجَارَ التَّنُّوب مُمَزَّقَةً بِالصَّوَاعِقِ الشَّمَالِيَّة،
أَرَى كُتَلَ وَجُرُوفَ الجرَانِيت، أَرَى مُرُوجًا خَضرَاءَ وَبُحَيرَات،
أَرَى نُصُبَ الدَّفنِ لِلمُقَاتِلِين الاسكِندنَافِيِّين،
أَرَاهَا مَرفُوعَةً عَالِيًا بِالصُّخُور عِند حَافَّةِ مُحِيطَاتٍ هَائِجَة، فَرُبَّمَا- عِندَمَا تَتعَبُ أَروَاحُ المَوتَى مِن قُبُورِهَا الهَادِئَة- تَصعَدُ خِلَالَ الرَّوَابِي وَتُحَدِّقُ فِي الموجَاتِ الهَائِلَةِ المتَلَاطِمَةِ، وَتَنتَعِش بِالعَوَاصِفِ، وَالاتِّسَاعِ، وَالحُرِّيَّةِ، وَالفِعل.

أَرَى سُهُوبَ آسيَا،
أَرَى هَضَبَةَ مُنغُولِيَا، أَرَى خِيَامَ الكَالمُوك وَالبَاشكِير،

---

[*] Kneph (في الديانة الفرعونية): نَفَس الرُّوح، النسيم، الهواء، أو نَفَس أجسادنا. إله الحياة الروحية الذي يمنح حياة جديدة للأشياء. له رأس وقرون كبش. هو رب خالق، وفيما بعد تم استيعابه كأحد أبعاد آمون.

أَرَى القَبَائِلَ البَدوِيَّةَ مَعَ قُطعَانِ الثِّيرَانِ وَالأبقَار،
أَرَى النُّجُودَ تَقطَعُهَا الوِهَاد، أَرَى الأدغَالَ وَالصَّحَارَى،
أَرَى الجَمَلَ، وَالحِصَانَ البَرِّي، وَدَجَاجَةَ الحُبَارَى، وَالأغنَامَ ذَات الذَّيلِ السَّمِين، وَالظَّبيَ، وَالذِّئبَ المُختَبِئ.

أَرَى مُرتَفَعَات الحَبَشَة،
أَرَى قُطعَان المَاعِزِ تَرعَى، وَأَرَى شَجَرَةَ التِّين، وَالتَّمرَ الهِندِي، وَالبَلَح،
وَأَرَى حُقُولَ القَمحِ وَأَمَاكِنَ الخُضرَةِ وَالذَّهَب.

أَرَى رَاعِي البَقَر البرَازِيلي،
أَرَى البُولِيفِيَّ يَصعَد جَبَلَ سُورَاتَا،
أَرَى الوَاشُو يَعبُرُون السُّهُول، أَرَى مَن لَا نَظِيرَ لَه فِي قِيَادَةِ الأحصِنَة بِالحَبلِ ذِي الأُنشُوطَةِ عَلَى ذِرَاعِه،
أَرَى فَوقَ السُّهُولِ المُعشَوشِبَةِ مُطَارَدَةَ القَطِيعِ البَرِّي مِن أَجلِ جُلُودِهِم.

[8]

أَرَى أَقَالِيمَ الثُّلُوجِ وَالجَلِيد،
أَرَى السَّاموَائِي[*] وَالفِنلَندِي ذَا البَصَرِ الحَاد،
أَرَى صَيَّادَ الفُقمَةِ فِي قَارِبِه يُوَازِن رُمحَه،
أَرَى السَّيبِيرِي عَلَى زَلَّاقَتِه الهَزِيلَةِ الَتِي تَجُرُّهَا الكِلَاب،
أَرَى صَيَّادِي الدَّلَافِين، أَرَى أَسرَابَ الحِيتَان فِي جَنُوبِ البَاسِيفِيكِي وَشَمَالِ الأَطلَنطِي،
أَرَى الجُرُوفَ، وَأَنهَارَ الجَلِيد، وَالسُّيُولَ، وَالوِديَانَ، فِي سوِيسرَا – وَأَعرِفُ الشِّتَاءَات الطَّوِيلَةَ وَالعُزلَة.

[*] أحد أبناء "ساموا"، وهي مجموعة جزر في المحيط الهادئ.

[9]

أَرَى مُدُنَ الأرض وَأَجعَلُ نَفسِي – كَيفَمَا اتُّفِق- جُزءًا مِنهَا،
فَأَنَا بَارِيسِيٌّ حَقِيقِي،
أَنَا أَحَدُ سُكَّانِ فِيينَّا، وَسَانت بُطرُسبرج، وَبرلِين، وَالقُسطَنطِينِيَّة،
أَنَا مِن أدِيليد، وَسِيدنِي، وَمِيلبُورن،
أَنَا مِن لَندَن، وَمَانشِستَر، وَبرِيستُول، وَإِدِنبرَه، وَلِيمِيرِيك،
أَنَا مِن مَدرِيد، وَقَادِش، وَبَرشلُونه، وَأُوبُورتُو، وَلِيُون، وَبرُوكسِيل، وَبيرن، وَفرَانكفُورت، وَشتُوتجَارت، وَتُورِين، وَفلُورِنسَا،
أَنتَمِي إِلَى مُوسكُو، وَكرَاكَاو، وَوَارسُو، أَو شَمَالًا إِلَى كرِستِيَانيَا أو ستُوكهُولم، أَو إِلَى إركوتسك السَّيبِيرِيَّة، أَو إِلَى أحَدِ شَوَارِع أَيسلَند،
أَحِلُّ بِهَذِهِ المُدُن جَمِيعًا، وَأُبعَثُ مِنهَا مِن جَدِيد.

[10]

أَرَى الضَّبَابَ يَصَّاعَدُ مِن بُلدَانٍ مَجهُولَة،
أَرَى الأنمَاطَ الوَحشِيَّةَ، القَوسَ وَالسَّهمَ، الشَّظِيَّةَ المسمُومَةَ، الوَثَنَ، وَالتَّعوِيذَة.

أَرَى مُدُنًا أَفرِيقِيَّةً وَآسيَوِيَّة،
أَرَى الجَزَائِر، طَرَابلُس، درنَه، مُوجَادُور، تِيمبُوكتُو، مُونرُوفِيَا،
أَرَى أَسرَابَ بِكِّين، وَكَانتُون، وَبِينَارِيس، وَدِيلهِي، وَكَالكُوتَّا، وَطُوكيُو،
أَرَى الكرُومِي فِي كُوخِه، وَالدَّاهُومِي وَابنَ قَبِيلَةِ الأشَانتِي فِي كُوخَيهِمَا،
أَرَى التُّركِيَّ يُدَخِّن الأفيُونَ فِي حَلَب،
أَرَى الحشُودَ الفَاتِنَةَ فِي أَسوَاقِ خِيفَا وَأَسوَاقِ حِيرَات،
أَرَى طَهرَان، أَرَى مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ وَالرِّمَالَ التِي تَتخَلَّلهُمَا، أَرَى القَوَافِلَ الكَادِحَةَ إِلَى الأمَام،
أَرَى مِصرَ وَالمصرِيِّين، أَرَى الأهرَامَ وَالمِسَلَّات،

أَنظُرُ فِي التَّوَارِيخِ وَاضِحَةِ المَعَالِمِ، سِجِلَّات المُلُوكِ القَاهِرِين، وَالأُسرَاتِ، مَحفُورَةً فِي شَرَائِحَ مِن الحَجَرِ الرَّملِي، أَو عَلَى كُتَلِ الجرَانِيت،
أَرَى فِي ممفِيس قُبُورَ المُومياوَات التِي تَضُم مُومياوَاتٍ مُحَنَّطَة، مَلفُوفَةً بِقُمَاشِ الكِتَّان، رَاقِدَةً هُنَاكَ مُنذ قُرُون عَدِيدَة،
أَنظُرُ فِي تِمثَالِ طِيبَة المُتَهَدِّم، بِالعَينَ كَبِيرَتَي الحدقَتَين، وَالرَّقَبَةِ المَائِلَةِ إِلَى جَانِبٍ، وَاليَدَين المَعقُودَتَين عَلَى الصَّدر.

أَرَى عَبِيدَ الأَرض جَمِيعًا، يَكدَحُون،
أَرَى السُّجَنَاءَ جَمِيعًا فِي السُّجُون،
أَرَى الأجسَادَ الآدَمِيَّةَ المُعَوَّقَةَ فِي الأرض،
العِميَانَ، الصُّم وَالبُكمَ، البُلَهَاءَ، ذَوِي الحدبَات، المجَانِين،
وَالقَرَاصِنَةَ، وَاللُّصُوصَ، وَالخَوَنَة، وَالقَتَلَة، وَصُنَّاعَ العَبِيدِ فِي الأرض،
الأَطفَالَ بِلَا حِيلَةٍ، وَالشُّيُوخَ وَالنِّسَاءَ بِلَا حِيلَة.

أَرَى الذَّكَرَ وَالأُنثَى فِي كُلِّ مَكَان،
أَرَى الأُخُوَّةَ الرَّصِينَةَ لِلفَلَاسِفَة،
أَرَى النُّزُوعَ البَنَّاءَ لِجِنسِي البَشَرِي،
أَرَى ثِمَارَ الدَّأَبِ وَالصِّنَاعَةِ لِجِنسِي،
أَرَى طَبَقَاتٍ، وَأَلوَانًا، وَبَربَرِيَّات، وَحَضَارَاتٍ، أَمضِي ضِمنَهُم، وَأَمتَزِجُ بِلَا تَميِيز، وَأُحَيِّي سُكَّانَ الأَرض جَمِيعًا.

[11]

أَنتَ، أَيًّا مَن تَكُون!
أَنتَ ابنٌ أَو ابنَةٌ لانجِلترَا!

أَنتَ مِن القَبَائِلِ وَالامبرَاطُورِيَّاتِ السِّلاَفِيَّةِ القَوِيَّة، أَو رُوسِيٌّ فِي رُوسيَا!
أَنتَ المنحَدِرُ مِن سُلاَلَةٍ غَامِضَةٍ، الأسوَد، أَفرِيقِيٌّ سَمَاوِي الرُّوح، ضَخمٌ، جَمِيلُ الرَّأس، نَبِيلُ التَّكوِين، رَائِعُ الأقدَار، نِدًّا لِي!
أَنتَ النِّروِيجِي! السِّوِيدِي! الدَّانمركِي! الأيسلَندِي! البرُوسِي!
أَنتَ أَسبَانِي مِن أَسبَانيَا! بُرتُغَالِي!
أَنتَ فِرنسِي وَفِرنسِيَّةٌ مِن فرَنسَا!
أَنتَ بِلجِيكِي! أَنتَ عَاشِق لِلحُرِّيَّةِ مِن هُولَندَا! (تَقُومُ بِالتَّموِين حِينَمَا أَهبِطَ أَنَا نَفسِي)؛
أَنتَ نِمسَاوِيٌّ قَوِي! أَنتَ لُمبَاردِي! مِن الهُون! مِن بُوهِيمِيًّا! فَلاَحٌ مِن ستِيريَا!
أَنتَ جَارُ الدَّانُوب!
أَنتَ عَامِلٌ فِي الرِّين، وَالإلب، أَو الوِيزَر! أَنتِ عَامِلَةٌ أَيضًا!
أَنتَ مِن سَاردِينيَا! مِن بَافَاريَـا! مِن سَوَابِي! مِن السَّاكسُـون! مِن وَالاشيَا[*]! مِن بلغَاريَا!
أَنتَ مِن رُومَا! مِن نَابُولِي! أَنتَ يُونَانِي!
أَنتَ المِيتَادُورُ الرَّشِيقُ فِي الحَلبَةِ فِي سِيفِيل!
أَنتَ جَبَلِي يَعِيشُ بِلَا قَانُونٍ عَلَى جَبَل تَاورُوس أَو القُوقَاز!
أَنتَ سَائِسُ قَطِيعِ الخُيُولِ المنغُولِي تُرَاقِبُ الأَحصِنَةَ وَالأفرَاسَ تَرعَى!
أَنتَ فَارِسِيٌّ جَمِيلُ الجَسَد بِأَقصَى سُرعَةٍ عَلَى السَّرجِ تُطلِقُ السِّهَامَ عَلَى الهَدَف!
أَنتَ صِينِي وَصِينِيَّةٌ مِن الصِّين! أَنتَ تَتَرِيٌّ مِن تَتَاريَا!
أَنتُن نِسَاءُ الأَرض الخَاضِعَاتُ لِمَهَامكُن!
أَنتَ اليَهُودِيُّ المُرتَحِلُ فِي عَصرِكَ القَدِيم خِلَالَ المخَاطِر لِتَضَع قَدَمَك ذَات مرَّةٍ عَلَى أَرضٍ سُورِيَّة!

---

[*] والاشيا Wallachia: أحد أقاليم رومانيا التاريخية والجغرافية.

أَنتُم اليَهُودُ الآخَرُون المنتَظِرُون فِي كُل البُلدَانِ مِن أَجلِ مَسِيحكُم!
أَنتَ الأرمِينِي المتَأَمِّلُ تُفَكِّرُ إِلَى جَانِبِ أَحَدِ رَوَافِدِ الفُرَات! تُحَدِّقُ وَسَطَ الأطلَالِ فِي نَينَوَى! صَاعِدًا جَبَلَ أَرَارَات!
أَنتَ الحَاجِ مُرهَقُ القَدَمَين مُتَهَلِّلًا لِلوَمِيضِ البَعِيد لمَنَائِرِ مَكَّة!
أَنتُم شُيُوخٌ عَلَى امتِدَاد المسَافَةِ مِن السُّوِيس حَتَّى بَابِ المندَب تَحكُمُون عَائِلَاتِكُم وَقَبَائِلِكُم!
أَنتُم زُرَّاعُ الزَّيتُون تَعتَنُون بِمحصُولِكُم فِي حُقُولِ النَّاصِرَة، وَدِمَشق، أَو بُحَيرَةِ طَبرِيَّة!
أَنتَ تَاجِر التِّيبِيت عَلَى اليَابِسَةِ الشَّاسِعَة أَو مُسَاوِمًا فِي دَكَاكِين لَاسَّا[*]!
أَنتَ اليَابَانِي أَو اليَابَانِيَّة! أَو العَائِشُ فِي مَدغَشقَر، سِيلَان، سُومَطرَة، بُورنيُو!
كُلُّكُم يَا أَبنَاءَ قَارَّات آسيَا، وَأَفرِيقيَا، وَأُورُوبَّا، وَاستُرَاليَا، اللَّامُبَالِينَ بِالمَكَان!
كُلُّكُم فِي الجُزُر التِي لَا تُحصَى فِي أَرخَبِيلَاتِ البَحر!
وَأَنتُم يَا أَبنَاءَ قُرُونٍ الآنَ حِين تُنصِتُون إِلَيّ!
وَكُلٌّ مِنكُم وَفِي كُلِّ مَكَانٍ بِلَا تَحدِيدٍ مِنِّي، لَكِنِّي أُدرِجُه سَوَاءً بِسَوَاء!
لَكُم العَافِيَة! لَكُم جَمِيعًا أَطيَبَ أُمنِيَة، مُرسَلَةً مِنِّي وَمِن أَمِيرِيكَا!

كُلٌّ مِنَّا ضَرُورِي،
كُلٌّ مِنَّا لَا نِهَائِي – كُلٌّ مِنَّا لَه أَو لَهَا الحَق عَلَى الأَرض،
كُلٌّ مِنَّا لَه المَعَانِي الأَبَدِيَّة لِلأَرض،
كُلٌّ مِنَّا سَمَاوِيٌّ هُنَا كَأَيٍّ آخَر هُنَا.

[12]

أَيُّهَا الهُوتِنتُوت بِالحَنَكِ المُقَرقِع! يَا قَبَائِلَ البَدوِ ذَات الشَّعرِ الصُّوفِي!
أَيُّهَا المملُوكُون تَنِزُّون قَطرَاتِ عَرَقٍ أَو قَطرَاتِ دَم!

---

[*] لاسَّا Lassa: عاصمة التيبيت.

أَيَّتُهَا الأشكَالُ الإنسَانِيَّةُ ذَات السِّيمَاء الوحشِيَّةِ الرَّائِعَـةِ أَبَدًا بِلَا أغوَار!
أَيُّهَا الكُوبُو الفَقِير الذِي يَنظُرُ إِلَيهِ مِن عَلٍ أَحقَرُ البَاقِين إِزَاءَ لُغَتِك وَرُوحِيَّتِك الوَامِضَةِ كُلِّهَا!
يَا قِزمُ كَامَاتشَاتكَا، وَجرِينلَاند، وَلَاب!
أيُّهَا الزِّنجِي الاستُرَالِي، العَارِي، الأحمَرُ، الملَوَّثُ بِالسِّنَاجِ، بِشِفَاهٍ نَاتِئَةٍ، يُعَفِّرُ وَجهَه بِالتُّرَابِ، بحثًا عن طَعَام!

أَيُّهَا الزِّنجِي، البَربَرِي، السُّودَانِي!
أَيُّهَا البَدَوِيُّ الجَمُوحُ، الأهوَجِ، الجَهُول!
يَا حُشُودَ المصَابِين بِالطَّاعُون فِي مدرَاس، وَنَانكِين، وَكَابُول، وَالقَاهِرَة!
أَيُّهَا الهَائِمُ بِاللَّيلِ فِي الأمَازُون! يَا ابنَ بَاتَاجُونيَا! يَا ابنَ فِيجِي!
أَنَا لَا أُفَضِّلُ الآخَرِين عَنكُم كَثِيرًا،
وَلَا أَنطِقُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تُسِيء إِلَيكُم، حَيثُ تَقِفُون هُنَاكَ بَعِيدًا فِي الوَرَاء،
(فَسَتَأتُون إِلَى الأمَام فِي الوَقتِ المحَدَّدِ إِلَى جِوَارِي).

[13]

مَرَّت رُوحِي حَولَ الكُرَةِ الأرضِيَّةِ كُلِّهَا فِي تَعَاطُفٍ وَعَزِيمَة،
بَحَثتُ عَن أَندَادٍ وَمُحِبِّين وَوَجدتُهُم فِي انتِظَارِي بِجَمِيعِ البُلدَان،
وَأُؤمِن بِأَنَّ صِلَاتٍ سَمَاوِيَّةً قَد سَاوَتنِي بِهِم.

فَأَيُّهَا الضَّبَابُ، أؤمِنُ أَنِّي تَصَاعَدتُ مَعَك، وَمَضَيتُ بَعِيدًا إِلَى قَارَّاتٍ نَائِيَةٍ، وَهَوَيتُ هُنَا، لِغَرَضٍ مَا،
أَعتَقِدُ أَنَّنِي هَبَبتُ مَعَكِ أَيَّتُهَا الرِّيَاح؛
وَأَيَّتُهَا المِيَاه لَقَد لَمَستُ بِأَصَابِعِي كُلَّ شَاطِئٍ مَعَك،

جَرَيتُ خِلَالَ مَا يَجرِي فِيه أَي نَهرٍ أَو رَافِدٍ فِي الأَرض،
وَاتَّخَذتُ مَوقِعِي فِي أَسَاسَات شِبه الجُزُر وَعَلَى الصُّخُورِ المطمُورَةِ عَالِيًا، لأصِيحَ مِن هُنَاك:

سَلامًا إِلَى العَالَم!
أَيًّا مَا كَانَت المُدُن التِي يَختَرِقُهَا الضَّوءُ وَالدِّفءُ فَإِنَّنِي أَختَرِقُ بِنَفسِي هَذِه المُدُن،
وَجَمِيع الجُزُر التِي تُحَلِّقُ إِلَيهَا الطُّيُور أُحَلِّقُ إِلَيهَا بِنَفسِي.

نَحوَكُم جَمِيعًا، بِاسمِ أَمِيرِيكَا،
أَرفَعُ عَالِيًا اليَدَ عَمُودِيَّةً، أَقُومُ بِالإِشَارَة،
لِتَبقَى فِيمَا بَعدِي مَرئِيَّةً إِلَى الأَبَد،
لِكُلِّ مَآوِي وَبُيُوتِ النَّاس.

أغنيـةُ الطَّريق المفتُـوح

[1]

عَلَى الأقدَامِ وَخَلِيَّ القَلبِ أَتَّخِذُ الطَّرِيقَ المفتُوح،
عَفِيًّا، حُرًّا، وَالعَالَم أَمَامِي،
وَالطَّرِيقُ الطَّوِيلُ الدَّاكِنُ أَمَامِي يُفضِي إِلَى أَينَمَا أَختَار.

مِن الآنَ فَصَاعِدًا لَن أَطلُبَ حُسنَ الحظ، فَأَنَا نَفسِي حُسنُ الحَظ،
مِن الآنَ فَصَاعِدًا لَن أَتَذَمَّرَ مَرَّةً أُخرَى، لَن أُؤَجِّلَ مَرَّةً أُخرَى، وَلَن أَحتَاجَ لِشَيء،
فَوَدَاعًا لِلشَّكَاوَى الحَبِيسَة، وَالمكتَبَاتِ، وَالانتِقَادَاتِ المتَشَاجِرَة،
قَوِيًّا رَاضِيًا أُسَافِر فِي الطَّرِيقِ المَفتُوح.

الأَرض، إِنَّهَا كَافِيَة،
لَا أُرِيدُ مِن الكَوَاكِبِ الاقتِرَاب أكثَر،
فَأَنَا أَعرِفُ أَنَّهَا عَلَى مَا يُرَام حَيثُ هِي،
أَعرِفُ أَنَّهَا كَافِيَةٌ لِمَن يَنتَمُون إِلَيهَا.

(مَا أَزَالُ هُنَا أَحمِلُ أَعبَائِي اللَّذِيذَةَ القَدِيمَة،
أَحمِلُهُم، رِجَالًا وَنِسَاءً، أَحمِلُهُم مَعِي أَينَمَا أَمضِي،
وَأُقسِمُ أَنَّه مُستَحِيلٌ عَلَيَّ أَن أَتَخَلَّصَ مِنهُم،

فَأَنَا مُفعَمٌ بِهِم، وَسَأُفعِمُهُم بِالمقَابِل).

[2]

أَيُّهَا الطَّرِيقُ الذِي أَدخُلُه وَأَنظُر حَولَه، إِنَّنِي مُؤمِنٌ بأَنَّكَ لَستَ كُلَّ مَا يَبدُو هُنَا،
إِنَّنِي مُؤمِنٌ بأَنَّ هُنَا الكَثِيرَ الكَثِيرَ غَيرَ المَرئِي.

هُنَا الدَّرسُ العَمِيقُ لِلاستِقبَال، بِلَا تَفضِيلٍ وَلَا إِنكَار،
الأَسوَدُ بِرَأسِه الصُّوفِيَّة، وَالمُجرِمُ، وَالمَرِيضُ، وَالأُمِّي، لَيسَوا مَرفُوضِين؛
المِيلَادُ، الرَّكضُ وَرَاءَ الطَّبِيب، تجوَالُ الشَّحَّاذ، تَرَنُّحُ المَخمُور، تجَمُّعُ المِيكَانِيكِيِّين الضَّاحِك،
الشُّبَّانُ الهَارِبُون، عَرَبَةُ الشَّخصِ الثَّرِي، الغَندُور، الثُّنَائِي الفَار،
البَقَّالُ المبَكِّر، عَرَبَةُ نَقلِ الموتَى، نَقلُ الأَثَاثِ إِلَى المَدِينَة، وَالعَودَةُ مِن المَدِينَة،
يَمُرُّون، وَأَنَا أَيضًا أَمُر، وَأَيُّ شَيءٍ يَمُر، لَا أَحَدَ يُمكِنُ اعتِرَاضُه،
لَا أَحَد إِلَّا وَهوَ مَقبُولٌ، لَا أَحَدَ إِلَّا وَسَيَكُونُ عَزِيزًا عَلَيّ.

[3]

أَيُّهَا الهَوَاءُ الذِي تُسَاعِدُنِي بِالتَّنَفسِ عَلَى الكَلَام!
أَيَّتُهَا الأشيَاءُ التِي تَستَدعِي مَعَانِيَّ مِن الشَّتَاتِ وتَمنَحُهَا الشَّكل!
أَيُّهَا الضَّوءُ الذِي يَلُفُّنِي وَجَمِيعَ الأَشيَاء فِي وَابِلٍ رَهِيفٍ مُطَّرِد!
أَيَّتُهَا الطُّرقَاتُ البَالِيَةُ بِالحُفَرِ الغَرِيبَةِ عَلَى جَوَانِبِ الطَّرِيق!
أُؤمِنُ بأَنَّكِ كَامِنَةٌ فِي مَوجُودَاتٍ لَامَرئِيَّة، أَنتِ العَزِيزَةُ عَلَيّ.

أَيَّتُهَا التَّمشِيَاتُ الفَاتِرَةُ لِلمُدُن! أَيَّتُهَا الحَوَاجِزُ الحَجَرِيَّةُ القَوِيَّةُ عِندَ الحَوَاف!
أَيَّتُهَا المعَابِر! أَيَّتُهَا الألوَاحُ وَأعمِدَةُ أَرصِفَةِ الموَانِئ! أَيَّتُهَا الأجنَابُ ذَات البِطَانَةِ

الخَشَبِيَّة! أَيَّتُهَا السُّفُنُ البَعِيدَة!

يَا صُفُوفَ المنَازِل! أَيَّتُهَا الوَاجِهَاتُ المثقوبَةُ بِالنَّوَافِذ! أَيَّتُهَا السُّطُوح!
أَيَّتُهَا الأروِقَةُ وَالمَدَاخِل! أَيَّتُهَا الأفَارِيزُ وَالحُرَّاسُ الحَدِيد!
أَيَّتُهَا النَّوَافِذُ التِي قَد تَكشِفُ قِشرَتُهَا الشَّفَّافَةُ الكَثِير!
أَيَّتُهَا الأبوَابُ وَالدَّرَجَاتُ الصَّاعِدَة! أَيَّتُهَا الأشكَالُ المقَنطَرَة!
أَيَّتُهَا الأحجَارُ الرَّمَادِيَّةُ لِلأرصِفَةِ اللَانِهَائِيَّة! يَا نِقَاطَ العُبُورِ المَوطُوءَة!
مِن كُلِّ مَن لَمَسَكُم أُؤمِن أَنَّكُم أَضفَيتُم شَيئًا مَا عَلَى أنفسِكم، والآن سَتُضفُونه
هُو نَفسَه فِي السِّر عَلَيّ،
بِالمَوتَى وَالأحيَاءِ جَعَلتُم سُطُوحَكُم الجَامِدَةَ آهِلَةً، وَالأروَاحُ سَتَكُون فِي ذَلِك وَاضِحَةً
وَوَدُودَةً مَعِي.

[4]

الأَرض تَمتَدُّ إِلَى اليَمِين وَإِلَى اليَسَار،
الصُّورَةُ حَيَّةٌ، وَكُل جُزءٍ فِي أَفضَلِ ضَوءٍ لَه،
المُوسِيقَى تَهمِي حَيثُ يُرَادُ لَهَا، وَتَتَوقَّفُ حَيثُ لَا تُرَاد،
وَالصَّوتُ المُبتَهِجُ لِلطَّرِيقِ العَام، وَالشُّعُورُ المَرِح المُنعِش لِلطَّرِيق.

أَيُّهَا الطَّرِيقُ العَام الذِي أُسَافِر فِيه، هَل تَقُولُ لِي *لَا تَترُكنِي*؟
هَل تَقُول *لَا تُغَامِر – إِن تَرَكتَنِي ضِعتَ*؟
هَل تَقُول *أَنَا الآن مُستَعِد، أَنَا مُمَهَّدٌ تَمَامًا، وَلَا أُنكَر، فَالتَزِم بِي*؟

أَيُّهَا الطَّرِيقُ العَام، أَرُدُّ بِأَنَّنِي لَستُ خَائِفًا مِن أَن أَترُكَك، لَكِنِّي أُحِبُّك،
فَأَنت تُعَبِّرُ عَنِّي بِأَفضَلَ مِن قُدرَتِي عَلَى التَّعبِيرِ عَن نَفسِي،

وَسَتَكُون بِالنِّسبَةِ لِي أَكثَر مِن قَصِيدَتِي.
أُؤمِن بِأَن الأعمَالَ البُطُولِيَّة قَد تَمت بَلوَرَتُهَا فِي الهَوَاءِ الطَّلق، وَكُلَّ القَصَائِدِ الحُرَّةِ أَيضًا،
أُؤمِن بِأَنَّنِي يُمكِنُ لِي التَّوَقُّفُ هُنَا أَنَا نَفسِي وَالقِيَامُ بِمُعجِزَات،
أُؤمِن بِأَنَّنِي سَأُحِب أَيًّا مَن سَأُقَابِلُه عَلَى الطَّرِيقِ، وَسَيُحِبُّنِي أَيٌّ مَن سَيَرَانِي،
وَأُؤمِن أَن أَيًّا مَن أَرَاه لَابُد أَن يَكُون سَعِيدًا.

[5]

مُنذُ هَذِه السَّاعةِ آمُرُ نَفسِي بِالتَّحَرُّرِ مِن الحُدودِ وَالخُطُوطِ الوَهمِيَّة،
ذَاهِبًا حَيثُمَا أَشَاء، وَسَيِّدِي هُو الكُلِّي وَالمطلَق،
مُنصِتًا إِلَى الآخَرِين، مُتَأَمِّلًا جَيِّدًا فِيمَا يَقُولُون،
مُتَمَهِّلًا، بَاحِثًا، مُتَلَقِّيًا، مُتَفَكِّرًا،
بِلَبَاقَةٍ، لَكن بِإِرَادَةٍ لَا تُنكَر، مُجَرِّدًا نَفسِي مِن القُيُودِ التِي قَد تُقَيِّدَنِي.

أَستَنشِقُ جُرعَاتٍ كَبِيرَةً مِن الفَضَاء،
الشَّرقُ وَالغَربُ لِي، وَلِي الشَّمَالُ وَالجَنُوب.

أَنَا أَكبَرُ وَأَفضَلُ مِمَّا كُنتُ أَظُن،
لَم أَعرِف أَنَّنِي أَحمِلُ كُلَّ هَذِهِ الطِّيبَة.

كُلُّ شَيءٍ يَبدُو لِي جَمِيلًا،
وَيُمكِنُنِي أَن أُكَرِّر عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، لَقَد أَسدَيتُم إِلَيَّ مَعرُوفًا وَسَأَفعَلُ نَفسَ الشَّيءِ مَعَكُم،
سَوفَ أَحشُدُ نَفسِي لِي وَلَكُم فِيمَا أَمضِي،

سَأُبَعثِرُ نَفسِي وَسَطَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِيمَا أَمضِي،
سَأَطرَحُ بَينَهُم سَعَادَةً وَخُشُونَةً جَدِيدَة،
وَأَيًّا مَن يَكُونُ مَن يُنكِرُنِي فَلَن يُزعِجَنِي،
وَأَيًّا مَن يَكُون مَن يَقبَلُنِي أَو تَقبَلُنِي فستَحِل بِهِ/بِهَا البَرَكَةُ وَسَيُبَارِكنِي.

[6]

لَن يُدهِشَنِي الآنَ أَن يَظهَرَ أَلفُ رَجُلٍ مُكتَمِل،
لَن يُفَاجِئَنِي الآنَ أَن يَظهَرَ أَلفُ شَكلٍ جَمِيلٍ مِن نِسَاء.

الآن أَرَى سِر خَلقِ أَفضَلِ الأشخَاص،
هُو أَن تَكبُرَ فِي الهَوَاءِ الطَّلقِ وَأَن تَأكُلَ وَتَنَامَ مَعَ الأرض.

هَنَا ثَمَّةَ مُتَّسَعٌ لِفِعلٍ شَخصِيٍّ عَظِيم،
(مِثلُ هَذَا الفِعل يَستَولِي عَلَى قُلُوبِ جِنسِ الرِّجَال جَمِيعًا،
وَاندِفَاقُ قُوَّتِه وَإِرَادَتِه يَقهَر القَانُونَ وَيَسخَر مِن كُل سُلطَةٍ وَادِّعَاءٍ ضِدَّه).

هَذَا هُو اختِبَارُ الحِكمَة،
فَالحِكمَة لَا تُختَبَر فِي النِّهَايَةِ فِي المَدَارِس،
وَالحِكمَةُ لَا يُمكِنُ أَن تَمُر مِمَّن يَمتَلِكُهَا إِلَى آخَرَ لَا يَمتَلِكُهَا،
فَالحِكمَة هِي حِكمَةُ الرُّوح، لَيسَت قَابِلَةً لِبُرهَان، فَهِي بُرهَانُهَا،
تَنطَبِقُ عَلَى كُلِّ المَرَاحِلِ وَالأشيَاءِ وَالسِّمَات مُكتَفِيَةً بِذَاتِهَا،
هِي يَقِينُ الوَاقِعِ وَأَبَدِيَّةُ الأشيَاء، وَامتِيَازُ الأشيَاء؛
شَيءٌ مَا فِي طَفوِ مَشهَدِ الأشيَاءِ التِي تَستَثِيرُهَا لِلانبِثَاقِ مِن الرُّوح.

الآن أُعِيدُ اختِبَارَ الفَلسَفَاتِ وَالأديَان،

فَقَد تُبَرهِن عَلَى نَفسِهَا جَيِّدًا فِي غُرَفِ الدَّرس، لَكنهَا بِلَا بُرهَانٍ أَبَدًا تَحتَ غُيُومِ الفَضَاء وَعَلَى امتِدَادِ المَشهَدِ الطَّبِيعِي وَالتَّيَّارَات المُنسَابَة.

هَا هُنَا يَتحَقَّقُ الإدرَاك،
وَهَا هُنَا إِنسَانٌ مُعتبَر – إنَّه يُدرِكُ هُنَا مَا يَنطَوِي عَلَيه دَاخِلَه،
المَاضِي، المستَقبَل، العَظَمَة، الحُب– فَإذَا مَا كَانُوا خِلوًّا مِنك، فَأَنتَ خِلوٌّ مِنهُم.

وَحدَهَا نَوَاةُ كُلِّ شَيءٍ هِيَ مَا يُغَذَّى؛
فَأَين هُو مَن يُمَزِّقُ القِشرَةَ لَكَ وَلِي؟
أَينَ مَن يُلغِي الأَحَابِيلَ وَالأغلِفَةَ مِن أَجلِكَ وَأَجلِي؟
هَا هُنَا يكمُن التَّلاحُم، لَيسَ مَصنُوعًا مُسبَقًا، بَل فِي مَحَلِّه؛
هَل تَدرِي مَاهِيَّتَه فِيمَا تُصبِحَ مَحبُوبًا مِن قِبَلِ غُربَاء؟
هَل تَدرِي حَدِيثَ حَدَقَتَي العَينَين الدَّوَّارَتَين؟

[7]

هَا هُو دَفقُ الرُّوح،
دَفقُ الرُّوحِ يَأتِي مِن الدَّاخِل عَبرَ بَوَّابَاتٍ ظَلِيلَة، تَستَثِير أَبَدًا الأسئلَة،
لِمَاذَا هَذِه الأشوَاق؟ لِمَاذَا هَذِهِ الأفكَارُ فِي الظَّلَام؟
لِمَاذَا حِينَ يَكُونُ بِقُربِي رِجَالٌ وَنِسَاءٌ يُزِيدُ ضَوءُ الشَّمسِ مِن دَمِي؟
لِمَاذَا حِين يُغَادِرُونَنِي تَهوِي أَعلَامُ بَهجَتِي طَرِيحَةً مُرتَخِيَة؟
لِمَاذَا ثَمَّةَ أَشجَارٌ لَم أَمشِ أَبدًا تَحتَهَا إِلَّا وَتَنَزَّلَت عَلَيَّ أَفكَارٌ عَظِيمَةٌ وَمُتَنَاغِمَة؟
(أَعتَقِدُ أَنَّهَا تَتعَلَّق هُنَاكَ صَيفَ شِتَاء عَلَى هَذِه الأَشجَار وَدَائِمًا مَا تُسقِطُ ثَمرَتَهَا حِين أَمُر)؛
مَا سِر تَفَاعُلِي فَجأَةً هَكَذَا مَعَ الغُربَاء؟

مَا الذِي يَجرِي معَ سَائِقٍ مَا وَأَنا أَركَبُ بِالمقعَدِ المُجَاوِرِ لَه؟
مَا الذِي يَجرِي مَعَ صَيَّادِ سَمَكٍ مَا يَسحَبُ شَبَكَتَه عِندَ الشَّاطِئِ وَأَنَا أتَمَشَّى وَأَتوَقَّف؟
مَا الذِي يَجعَلُنِي حُرًّا إِزَاءَ النِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ لامرَأَةٍ مَا وَرَجُلٍ مَا؟ مَا الذِي يَجعَلُهُمَا حُرَّين إِزَائِي؟

[8]

دَفقُ الرُّوحِ هُو السَّعَادَة، هَا هِيَ السَّعَادَة،
أُؤمِنُ أَنَّهَا تنتَشِرُ فِي الهَوَاءِ الطَّلق، مُنتَظِرَةً فِي كُلِّ الأوقَات،
وَالآن تَنسَابُ إِلَى دَاخِلِنَا، وَنَحنُ الآنَ مُشبَعُون تَمَامًا.

هُنَا يَنبَثِقُ الأسلُوبُ السَّلِسُ وَالفَاتِن،
الأسلُوبُ السَّلِسُ وَالفَاتِنُ هُو نَضَارَةُ وَعُذُوبَةُ رَجُلٍ وَامرَأَة،
(عُشبُ الصَّبَاحِ يَتَبرعَمُ لَا أَنضَرَ وَلَا أَعذَبَ كُلَّ يَومٍ انطِلَاقًا مِن جُذُورِه نَفسِهَا، مِمَّا يَتَبَرعَمُ نَضرًا وَعَذبًا دَائِمًا انطِلَاقًا مِن ذَاتِه).

نَحوَ الأسلُوبِ السَّلِسِ وَالفَاتِنِ يَنبَثِقُ عَرَقُ الحُب لَدَى الشُّبَّان وَالكِبَار،
مِنه يَقطُر السِّحرُ المقَطَّرُ الذِي يَهزَأُ بِالجَمَالِ وَالمنجَزَات،
نَحوَه يُرَفرِفُ الوَجَعُ المُرتَجِفُ الملهُوفُ عَلَى التَّوَاصُل.

[9]

هَيَّا! أَيًّا مَن تَكُونُ تَعَالَ سَافِر مَعِي!
فَإِن تُسَافِر مَعِي لَن تَجِدَ أَبَدًا مَا يُرهِق.

فَالأَرض لَا تُرهَقُ أَبَدًا،
الأَرض صَلدَةٌ، صَامِتَةٌ، لَا مَفهُومَةٌ فِي البَدءِ، وَالطَّبِيعَةُ صَلدَةٌ، لَا مَفهُومَةٌ فِي البَدءِ،
فَلَا تُحبَط، وَاصِل، فَهُنَاكَ أَشيَاءُ سَمَاوِيَّةٌ مَحجُوبَةٌ تَمَامًا،

أُقسِمُ لَكَ أَن هُنَاكَ أَشيَاءَ سَمَاوِيَّةً أَجمَل مِن أَن تُعَبِّر عَنهَا الكَلِمَات.

فَهَيَّا! عَلَينَا أَلَّا نَتوقَّف هُنَا،
فَمَهمَا كَانَ جَمَالُ هَذِهِ المتَاجِرِ المنتَشِرَة، مَهمَا كَانَ مُلَائِمًا هَذَا المَنزِلُ فَلَا يُمكِنُنَا البَقَاءُ هُنَا،
مَهمَا كَانَ حَامِيًا هَذَا المِينَاء، مَهمَا كَانَت هَذِهِ المِيَاه هَادِئَةً فَلَيسَ عَلَينَا أَن نَرسُو هُنَا،
مَهمَا كَانَت الضِّيَافَةُ المحِيطَةُ بِنَا مُرَحِّبَةً فَمَسمُوحٌ لَنَا بَتَلَقِّيهَا لَكِن لِبُرهَةٍ قَصِيرَة.

[10]

هَيَّا! فَالإِغرَاءَات سَتُصبِحُ أَكبَر،
سَنُبحِرُ فِي بِحَارٍ هَائِجَةٍ مَجهُولَة،
سَنَمضِي حَيثُ تَهُبُّ الرِّيَاحُ، وتَتَلَاطَمُ الأموَاجُ، وَسَفِينَةُ اليَانكِي تُسرِعُ تَحتَ شِرَاعٍ مَنشُور.
هَيَّا! مَعَ القُوَّةِ، وَالحُرِّيَّة، وَالأَرضِ، وَالعَنَاصِر،
مَعَ العَافِيَة، وَالتَّحَدِّي، وَالمَرَح، وَتَقدِيرِ الذَّات، وَالفُضُول؛
هَيَّا! بَعِيدًا عَن كُلِّ صِيغَة!
مِن صِيغَاتِكُم، أَيُّهَا الكَهَنَةُ المَادِّيُّون بِعُيُونِ الخَفَافِيش.

الجُثَّةُ البَالِيَةُ تَسُد الطَّرِيق – الدَّفنُ لَا يَنتَظِرُ أَطوَل مِن ذَلِك.

فَهَيَّا! لَكِن حَذَارِ!
فَمَن يُسَافِرِ مَعِي يَحتَاجُ إِلَى أَفضَل دَم، وَعَضَلَات، وَقُوَّةِ احتِمَال،
وَلَا يُمكِنُ لأَحَدٍ أَن يَخضَعَ لِلتَّجرِبَةِ إِلَى أَن يَتَحَلَّى أَو تَتَحَلَّى بِالشَّجَاعَةِ وَالعَافِيَة،
فَلَا تَأتِ إِلَى هُنَا إِن كُنتَ قَد استَنفَدتَ مِن قَبل أَفضَلَ مَا فِيك،
لَا يُمكِن أَن يَأتِي إِلَّا مَن يَتَحَلُّون بِأَجسَادٍ جَمِيلَةٍ وَاثِقَة،

فَغَير مَسمُوحٍ هُنَا بِمَرِيضٍ، وَلَا مُدمِنِ كُحُول أو مُصَابٍ بِمَرَضٍ تَنَاسُلِي.

(فَلَا نَقتَنِع – أَنَا وَمَن مَعِي – بِالحجَج، وَالا بتِسَامَات، وَالقَوَافِي،
لَا نَقتَنِعُ إِلَّا بِحُضُورِنَا).

[11]

أَنصِت! سَأَكُون أَمِينًا مَعَك،
إِنَّنِي لَا أُقَدِّم الجَوَائِزَ الصَّقِيلَةَ القَدِيمَة، بَل أُقَدِّمُ جَوَائِزَ خَشِنَةً جَدِيدَةً،
تِلكَ هِي الأَيَّامُ التِي لَابُد أَن تَمُر بِهَا :
لَن تُرَاكِمَ مَا يُسَمَّى تَرَفًا،
فَسَتُبَعثِر بِيَدٍ سَخِيَّةٍ كُلَّ مَا تَكسَب أَو تُحَقِّق،
وَمَا إِن تَصِل إِلَى المَدِينَةِ المُستهدَفَة، مَا إِن تَستَقِر بِالكَادِ حَتَّى تُدعَى بِنَدَاءٍ لَا يُقَاوَم إِلَى الرَّحِيل،
سَوفَ تَتعَرَّضُ لِلابتِسَامَاتِ السَّاخِرَةِ وَالتَّهَكُّمَات مِمَّن بَقَوا فِي الوَرَاء،
وَلَن تَتَجَاوَبَ مِع إِشَارَات الحُب التِي تَتَلَقَّاهَا إِلا بِقُبلَاتٍ حَارَّةٍ لِلرَّحِيل،
وَلَن تَسمَح بِقُيُودِ هَؤُلَاء الذِين يَمُدُّون أَيدِيهُم المُشرَعَةَ نَحوَك.

[12]

هَيَّــا! عَلَى خُطَى الرِّفَاقِ العِظَام، وَالانتِمَاءِ إِلَيهِم!
هُم أَيضًا عَلَى الطَّرِيق– هُم الرِّجَالُ الرَّشِيقُون الأَجِلَّاء– هُن أَعظَم النِّسَاء،
المُستَمتِعُون بِسَكِينَةِ البِحَارِ وَعَوَاصِفِ البِحَار،
بَحَّارَةُ الكَثِيرِ مِن السُّفُن، مَشَّاؤُو الأَميَالِ مِن الأَرض،
المرتَادُون لِلكَثِيرِ مِن البُلدَانِ البَعِيدَة، المُرتَادُون لِلدُّورِ البَعِيدَة،
الوَاثِقُون بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاء، الرَّاصِدُون لِلمُدُن، الكَادِحُون المُنعَزِلُون،
المُتَمَهِّلُون المُتَأَمِّلُون لِلعَنَاقِيد، وَالأَزهَار، وَأَصدَافِ الشَّاطِئ،

الرَّاقِصُون فِي رَقصَاتِ الزِّفَاف، مُقَبِّلُو العَرَائِس، المُسَاعِدُون العَطُوفُون لِلأطفَال، حَامِلُو الأطفَال،

جُنُودُ التَمَرُّدَات، وَالوَاقِفُون إِلَى القُبُورِ المَحفُورَة، وَمَن يُدَلُّون إِلَى القَاعِ بِالتَّابُوت،

المُرتَحِلُون فِي الفُصُولِ المُتَعَاقِبَةِ، طُوَالَ الأعوَام، الأعوَامِ الغَرِيبَةِ التِي يَنبَثِقُ كُلٌّ مِنهَا مِمَّا سَبَقَه،

المُرتَحِلُون كَأَنَّمَا مَعَ رِفَاقٍ، هُم تَحدِيدًا وُجُوهُهم المُختَلِفَة،

مُنطَلِقِين مِن أَيَّامِ طُفُولَتِهِم الكَامِنَةِ بِلَا إِدرَاك،

المُرتَحِلُون بِمَرَحٍ مَعَ شَبَابِهِم، المُرتَحِلُون مَع رُجُولَتِهِم المُلتَحِيَةِ المُتَبَلوِرَةِ،

المُرتَحِلَاتُ مَعَ أُنُوثَتِهِن، الفَسِيحَةِ، الرَّاضِيَةِ، بِلَا نَظِير،

المُرتَحِلُون مَع شَيخُوخَتِهِم السَّامِيَةِ لِلرُّجُولَةِ أَو الأُنُوثَة،

شَيخُوخَةٌ، هَادِئَةٌ، مُمتَدَّة، فَسِيحَةٌ بِالاتِّسَاع المُتَغَطرِسِ لِلكَون،

شَيخُوخَةٌ، مُنسَابَةٌ حُرَّةً بِالحُرِّيَّةِ الشَّهِيَّةِ القَرِيبَةِ مِن المَوت.

[13]

هَيَّـا! إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَه مِثلَمَا كَانَ بِلَا بِدَايَة،

لِتَتَحَمَّلَ الكَثِيرَ، مَسِيرَ الأيَّامِ، رَاحَةَ اللَّيل،

لِتُدمِجَ كُلَّ شَيءٍ فِي السَّفَرِ القَادِمِ، وَالأيَّامِ وَاللَّيَالِي القَادِمَة،

مِن جَدِيدٍ تُدمِجُهُم فِي انطِلَاقِ رِحلَاتٍ رَفِيعَة،

كَي لَا تَرَى فِي أَيِّ مَكَانٍ إِلَّا مَا قَد تَصِلُ إِلَيه وَتَعبُره،

أَلَّا تَتَصَوَّر أَيَّ زَمَنٍ، مَهمَا كَانَ بَعِيدًا، إِلَّا مَا قَد تَصِلُ إِلَيه وَتَعبُره،

لَئِلَّا تَتَطَلَّع إِلَى طَرِيقٍ فِي الأعلَى وَالأسفَل إِلَّا مَا يَمتَد وَيَنتَظِرُك، مَهمَا كَانَ طَوِيلًا إِلَّا أَنَّه يَمتَد وَيَنتَظِرُك،

لَئِلَّا تَرَى أَيَّ كَائِنٍ، لَا كَائِنَاتِ الرَّبِّ وَلَا سِوَاهَا، إِلَّا وَأنتَ تَمضِي إِلَيه،

لَئِلَّا تَرَى أَيَّةَ مُمتَلَكَات، لَكِنَّكَ قَد تَمتَلِكُهَا، مُستَمتِعًا بِكُلِّ شَيءٍ بِلَا عَمَلٍ أو صَفقَة،

مُستَخلِصًا البَهجَةَ لَكِن دُونَ حِيَازَةِ أَدنَى جُزءٍ مِنهَا،
لِتَأخُذَ أَفضَلَ مَا فِي مَزرَعَةِ المُزَارِعِ وَالفِيلاَّ الرَّائِعَةَ لِلرَّجُل الثَّرِي، وَالبَرَكَات الطَّاهِرَةَ لِلزَّوجَينِ السَّعِيدَين، وَثِمَارَ البَساتِينِ وَزُهُورَ الحَدِيقَة،
لِتَأخُذَ مَا تَستَخدِمُ مِن المُدُنِ الكَثِيفَة وَأَنتَ تَمُر خِلَالَهَا،
لِتَحمِلَ مَعَك الأبنِيَةَ وَالشَّوَارِعَ فِيمَا بَعد أَينَمَا تَمضِي،
لِتُجَمِّعَ عُقُولَ النَّاسِ مِن رُؤُوسِهِم حِين تُقَابِلُهُم، لِتُجَمِّعَ الحُبَّ مِن قُلُوبِهِم،
لِتَأخُذَ أَحِبَّاءَك فِي الطَّرِيقِ مَعَك، فَمِن أَجلِ كُلِّ ذَلِكَ تَترُكُهُم خَلفَك،
لِتَعرِفَ الكَونَ نَفسَه كَطَرِيق، كَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَطُرُقٍ لِلأَروَاحِ المُرتَحِلَة.

فَلتَبتَعِد كُلُّ الجُزئِيَّات مِن أَجلِ تَقَدُّمِ الأَروَاح،
كُلُّ دِين، كُلُّ الأَشيَاءِ الصَّلدَةِ، وَالفُنُون، وَالحُكُومَاتُ– كُلُّ مَا كَانَ أَو مَا يُرَى عَلَى هَذَا الكَوكَب أَو أَيِّ كَوكَب، يَهوِي إِلَى الكُوَى وَالأركَانِ قَبلَ انطِلَاقِ مَوكِبِ الأَروَاحِ عَلَى الطُّرُقِ العَظِيمَةِ لِلعَالَم.

وَفِي تَقَدُّمِ أَروَاحِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى الطُّرُقِ العَظِيمَةِ لِلعَالَم، كُلُّ تَقَدُّمٍ آخَر هُو الرَّمزُ وَالقُوتُ المَطلُوب.

أَحيَاءً إِلَى الأَبَد، أَمَامًا إِلَى الأَبَد، .
بِجَلَالٍ، مَهِيبِين، مَحزُونِين، مُنسَحِبِين، حَائِرِين، مَجنُونِين، مُضطَرِبِين، وَاهِين، مُمتَعِضِين، يَائِسِين، فَخُورِين، مُحِبِّين، مُعتَلِّين، مَقبُولِين مِن أُنَاسٍ، مَرفُوضِين مِن آخَرِين،
يَمضُون! يَمضُون! أَعرِفُ أَنَّهُم يَمضُون، لَكِنِّي لَا أَعرِفُ إِلَى أَينَ يَمضُون،
لَكِنِّي أَعرِفُ أَنَّهُم يَمضُون نَحوَ الأَفضَل – نَحوَ شَيءٍ مَا عَظِيم.

فَأَيًّا مَن تَكُون، هَيَّا! رَجلاً أَم امرَأَةً هَيَّا!
فَلَا يَنبَغِي أَن تَبقَى نَائِمًا وَعَابِثًا هُنَاك بِالمَنزِل، وَأَنتَ الذِي بَنَيتَه، أَو رغمَ أَنَّه بُنِي مِن

أَجلِك.

خُرُوجًا مِن المخَاضِ المظلِم! خُرُوجًا مِن وَرَاءِ الحِجَاب!
فَلَا جَدوَى مِن أَن تحتَج، فَأَنَا أَعرِفُ كُلَّ شَيءٍ وَأَعرِضُ كُلَّ شَيء.

انظُر خِلَالَ نَفسِكَ الرَّدِيئَةِ كَمَا البَاقِين،
خِلَالَ الضَّاحِك، وَالرَّاقِص، وَالمُتَغَدِّين، وَالمُتَعَشِّين، مِن النَّاس،
دَاخِلَ المَلَابِسِ وَالزِّينَة، دَاخِلَ ذَوِي الوُجُوهِ المَغسُولَةِ وَالمتَأَنِّقَة،
انظُر إِلَى اشمِئزَازٍ وَيَأسٍ سِرِّيَّين وَصَامِتَين.

لَا زَوجَ، لَا زَوجَة، لَا صَدِيق، يُوثَقُ بِه لِيَسمَعَ الاعتِرَاف،
فَذَاتٌ أُخرَى، قَرِينٌ لِكُلِّ شَخص، تَمضِي مُتَهَرِّبَةً مُختَبِئَة،
بِلَا شَكلٍ وَلَا كَلِمَةٍ خِلَالَ شَوَارِعِ المدُن، مُهَذَّبَةً وَلَطِيفَةً فِي الأَحَادِيث،
فِي عَرَبَاتِ السَّكَكِ الحَدِيدِيَّة، فِي القَوَارِبِ البُخَارِيَّة، فِي الاجتِمَاع العَام،
تَعُودُ إِلَى مَنَازِلِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء، إِلَى المَائِدَة، فِي غُرفَةِ النَّوم، فِي كُلِّ مَكَان،
بِمَلَابِسَ أَنِيقَةٍ، وَرَصَانَةٍ مُبتَسِمَة، وَشَكلٍ مُنتَصِب، وَالمَوتُ تحتَ عِظَامِ الصَّدر، وَالجَحِيمُ تحتَ عَظَامِ الجُمجُمَة،
تحتَ الجُوخ وَالقُفَّازَات، تحتَ الأَشرِطَةِ وَالزُّهُورِ الصِّنَاعِيَّة،
مُنسَجِمَةً مَعَ التَّقَالِيد، بِدُون حَدِيثٍ عَن أَدنَى شَيءٍ بِذَاتِه،
مُتَحَدِّثَةً عَن أَيِّ شَيءٍ لَكِن لَا عَن ذَاتِهَا أَبَدًا.

[14]

هَيَّـا! خِلَالَ النِّضَالَاتِ وَالحُرُوب!
فَالهَدَفُ الذِي تَم تحدِيدُه لَا يُمكِنُ أَن يَبطُل.

هَل نَجَحَت نِضَالَاتُ المَاضِي؟
مَا الذِي نَجَح؟ أَنتَ نَفسُك؟ أُمَّتُك؟ الطَّبِيعَة؟
فَلتَفهَمنِي الآنَ جَيِّدًا- إِنَّه مَجبُولٌ فِي جَوهَرِ الأشيَاء أَن مِن ثِمَارِ النَّجَاح، أَيًّا مَا كَان،
سَيَنتُج شَيءٌ مَا لِيَجعَلَ نِضَالًا أَعظَمَ ضَرُورِيًّا.

نِدَائِي هُو نِدَاءُ المعرَكَة، إِنَّنِي أَغتَذِي بِالتَّمَرُّدِ الفَعَّال،
فَمَن سيَمضِي مَعِي لَابُد أَن يَمضِي مُدَجَّجًا بِالسِّلَاح،
مَن يَمضِي مَعِي كَثِيرًا مَا يَحتَمِلُ الغِذَاءَ الشَّحِيح، وَالفَقرَ، وَالأعدَاءَ الغَاضِبِين،
وَالهِجرَان.

[15]

هَيَّـا! أَمَامَنَا الطَّرِيق!
إِنَّه آمِن- لَقَد جَرَّبتُه- جَرَّبَته قَدَمَاي جَيِّدًا- فَلَا تَتَأَخَّر!

اترُك الوَرَقَةَ عَلَى المِنضَدَةِ غَيرَ مَكتُوبَة، وَالكِتَابَ عَلَى الرَّفِّ غَيرَ مَفتُوح!
اترُك الأدَوَات لِتَبقَى فِي الوَرشَة! اترُك النُّقُودَ بِلَا اكتِسَاب!
فَلتَتَوَقَّف المدرَسَة! لَا تَكتَرِث بِصَرخَةِ المُدَرِّس!
فَليَعِظ الوَاعِظُ فِي مِنبَرِه! وَليَتَرَافَع المُحَامِي فِي المَحكَمَة، وَليُفَسِّر القَاضِي القَانُون.

أَيُّهَا الرَّفِيق، أُعطِيكَ يَدِي!
أُعطِيكَ حُبِّي الأغلَى مِن النُّقُود،
أُعطِيكَ نَفسِي بِلَا وَعظٍ أَو قَانُون؛
فَهَل سَتُعطِينِي نَفسَك؟ هَل سَتَأتِي لِلسَّفَرِ مَعِي؟
هَل سَنَلتَحِمُ بِبَعضِنَا البَعض طُوَالَ حَيَاتِنَا؟

عابرًا معبَـــر بروكلين

[1]

يَا مَد الفَيضَان تَحتِي! أَرَاكَ وَجهًا لِوَجه!
يَا غُيُومُ الغَرب – وَالشَّمسُ هُنَاكَ عَالِيَةٌ بِمِقدَارِ نِصفِ سَاعَة – أَرَاكِ أَيضًا وَجهًا لِوَجه.

وَيَا حُشُودًا مِن رِجَالٍ وَنِسَاءٍ يَرتَدُون بَذلَاتِهِم العَادِيَّة، كَم أَنتُم غَرِيبُون بِالنِّسبَةِ لِي!
وَفِي قَوَارِبِ العُبُور المِئَاتُ وَالمِئَاتُ الذِين يَعبُرُون، عَائِدِين إِلَى بيُوتِهِم، أَكثَرُ غَرَابَةً بِالنِّسبَةِ لِي مِمَّا تَظُنُّون،
وَأَنتُم الذِين سَتَعبُرُون مِن شَاطِئٍ إِلَى شَاطِئٍ لأعوَامٍ قَادِمَةٍ أَكثَرُ غَرَابَةً بِالنِّسبَةِ لِي، وَأَكثَر فِي تَأَمُّلَاتِي، مِمَّا قَد تَظُنُّون.

[2]

غِذَائِي غَيرُ المحسُوس مِن كُلِّ الأشيَاء فِي جَمِيع سَاعَاتِ اليَوم،
وَالخُطَّةُ البَسِيطَةُ، المُكَثَّفَةُ، المُحكَمَةُ، فِيمَا أَنَا نَفسِي مُفَكَّك، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مُفَكَّك لَكِنَّه جُزءٌ مِن الخُطَّة،
وَتَشَابُهَاتُ المَاضِي وَتَشَابُهَات المُستقبَل،
وَالرَّوَائِعُ المنظُومَةُ كَخَرَزٍ فِي أَدنَى مَا أَرَى وَأَسمَع، خِلَالَ التَّمشِيَةِ بِالشَّارِع وَالطَّرِيقِ

أَعلَى النَّهر،
وَالتَّيَّارُ المُندَفِعُ بِرَشَاقَةٍ وَالمُستَحِم مَعِي بَعِيدًا،
وَالآخَرُون مِمَّن يَتبَعُونَنِي، وَالرَّوَابِطُ بَينِي وَبَينَهُم،
وَيَقِينُ الآخَرِين، حَيَاةُ الآخَرِين، وَحُبُّهم، وَرُؤيَتُهُم، وَسَمعُهُم.

آخَرُون سَيَدخُلُون مِن بَوَّابَاتِ المَعبَر وَيَعبُرُون مِن شَاطِئٍ إِلَى شَاطِئ،
وَآخَرُون سَيُشَاهِدُون جَريَانَ مَدِّ الفَيضَان،
وَآخَرُون سَيَرَون تَحمِيلَ سُفُن مَانهَاتن إِلَى الشَّمَالِ وَالغَربِ، وَمُرتَفَعَات برُوكلِين إِلَى الجَنُوب وَالشَّرق،
وَآخَرُون سَيَرَون الجُزرَ الكَبِيرَةَ وَالصَّغِيرَة؛
بَعدَ خَمسِين عَامًا مِن الآن، سَيَرَاهَا آخَرُون وَهُم يَعبُرُون، وَالشَّمس عَالِيَةٌ بِمِقدَار نِصفِ سَاعَة،
بَعد مَائةِ عَامٍ مِن الآن، أَو حَتَّى بَعد مِئَاتٍ عَدِيدَةٍ مِن الأعوَام مِن الآن، سَيَرَاهَا آخَرُون،
وَسَيَستَمتِعُون بِغُرُوبِ الشَّمس، وَتَدَفُّق مَدِّ الفَيضَان، وَارتِدَادِ جَزرِ البَحر.

[3]

لَا جَدوَى، مِن الزَّمَان وَلَا المَكَان – لَا جَدوَى مِن المَسَافَة،
فَأَنَا مَعكُم، يَا رِجَالَ وَنِسَاءَ جِيل، أَو حَتَّى أَجيَالٍ عَدِيدَةٍ مِن الآن،
تَمَامًا مِثلَمَا تُحِسُّون حِين تَنظُرُون إِلَى النَّهرِ وَالسَّمَاء، هَكَذَا أَحسَستُ،
تَمَامًا مِثلمَا يُمَثِّل أَيٌّ مِنكُم وَاحِدًا مِن جَمعٍ حَي، فَقَد كُنتُ وَاحِدًا مِن جَمع،
تَمَامًا مِثلَمَا تَنتَعِشُون بِابتِهَاجِ النَّهرِ وَالفَيضِ المُشرِق، كُنتُ أَنتَعِش،
تَمَامًا مِثلَمَا تَقِفُون وَتَنحَنُون عَلَى السِّيَاج، لَكِنَّكُم تُسرِعُون مَعَ التَّيَّارِ السَّرِيع، فَقَد وَقَفتُ لَكِنِّي أَسرَعتُ،

تَمَامًا مِثلَمَا تَنظُرُون إِلَى أَشرِعَةِ السُّفُن بِلَا حَصرٍ وَالمَدَاخِن السَّمِيكَةِ لِلقَوَارِب البُخَارِيَّة، فَقَد نَظَرت.

أَنَا أَيضًا عَبَرتُ النَّهرَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً وَعَدِيدَةً فِي المَاضِي،
وَشَاهَدتُ نَوَارِسَ الشَّهرِ **الثَّانِي عَشر**، رَأيتُهُم عَالِيًا فِي الفَضَاء يَطفُون بِأَجنِحَةٍ سَاكِنَة، يُذَبذِبُون أَجسَادَهُم،
رَأَيتُ كَيفَ أَضَاءَ الأصفَرُ المُتَلألِئُ أَجزَاءً مِن أَجسَادِهِم وَتَرَكَ البَاقِي فِي ظِلٍّ دَاكِن،
رَأيتُ الحَلقَات الدَّوَّارَةَ بِبُطءٍ وَالتَّقَدُّمَ التَّدرِيجِيَّ نَحوَ الجَنُوب،
رَأَيتُ انعِكَاسَ سَمَاءِ الصَّيفِ فِي المَاء،
وَانبَهَرَت عَينَايَ بِالآثَارِ الوَامِضَةِ لِلأشِعَّة،
نَظَرتُ إِلَى أَشِعَّةِ الضَّوءِ الجَمِيلَةِ المُندَفِعَةِ حَولَ شَكلِ رَأسِي فِي المَاءِ المُشمِس،
نَظَرتُ إِلَى الضَّبَابِ عَلَى التِّلَالِ نَحوَ الجَنُوبِ وَالجَنُوبِ الغَربِي،
نَظَرتُ إِلَى البُخَارِ يَطفُو فِي صُوفٍ مُشبَعٍ بِالبَنَفسَجِي،
نَظَرتُ نَحوَ الخَلِيج الأدنَى لأُلَاحِظ وُصُولَ السُّفُن،
رَأَيتُ اقتِرَابَهَا، رَأَيتُ مَا عَلَى مَتنِ تِلكَ التِي كَانَت قَرِيبَةً مِنِّي،
رَأيتُ الأشرِعَةَ البَيضَاءَ لِمَرَاكِب الاسكُونَة وَالاسلُوب[*]، وَرَأَيتُ السُّفُن رَاسِيَة،
وَالبَحَّارَةَ يُجَهِّزُون المَرَاكِب بِالدَّاخِل أَو بِالخَارِج عِندَ مُفتَرَقِ الصَّوَارِي،
وَالأشرِعَةَ الدَّائِرِيَّة، وَالحَرَكَةَ المُتَأرجِحَةَ لأجسَادِ السُّفُن، وَالأعلَامَ الثُّعبَانِية النَّحِيلة،
وَالبَوَاخِرَ الكَبِيرَة وَالصَّغِيرَة تَتَحَرَّك، وَالقَبَاطِنَةَ فِي كَبَائِن القِيَادَة،
وَالأثَرَ الأبيَض الذِي تَرَكَه المُرُور، وَالدَّوَرَانَ السَّرِيعَ المُرتَعِش لِلعَجَلَات،
وَأَعلَامَ جَمِيعِ الأُمَم، وَإِنزَالَهَا عِندَ الغُرُوب،
وَالأموَاجَ بِحَوَاف نَاتِئَةٍ فِي الغَسَق، وَالكُؤُوسَ المُترَعَة، وَالذُّرَى المرِحَةَ وَالمُتَلألِئَة،
وَالامتِدَادَ البَعِيدَ الذِي يَزدَاد قَتَامَةً وَقَتَامَةً، وَالجُدرَانَ الرَّمَادِيَّةَ لِلمَخَازِن الجَرَانِيتِيَّة

[*] **الاسكونه** schooner: مركب ذو شراعين. **الاسلوب** sloop: مركب ذو شراع واحد.

عِندَ أَرصِفَةِ السُّفُن،
وَالمَجمُوعَةَ الظَّلِيلَةَ عَلَى النَّهر، وَزَورَقَ السَّحبِ البُخَارِي الكَبِيرَ المحَاطَ مِن كُلِّ
جَانِبٍ بِمَرَاكِب شَحن، وَمَركَبَ التِّبن، وَالصَّندَلَ المتَأَخِّر،
وَعَلَى الشَّاطِئِ المُجَاوِر تَشتَعِل عَالِيًا النِّيرَانُ مِن مَدَاخِنِ المسبَك مُتَوَهِّجَةً فِي اللَّيل،
مُطلِقَةً شَرَرَهَا الأسوَدَ المتنَاقِضَ مَع الأحمَرِ الدَّاكِنِ وَالأصفر الفَاتِح عَلَى سُطُوحِ
المَنَازِل، وهُبُوطًا إِلَى شُقُوقِ الشَّارِع.

[4]

هَؤلاء وَكُلُّ شَيءٍ آخَر كَانُوا بِالنِّسبَةِ لِي مِثلَمَا هُم بِالنِّسبَةِ إِلَيكُم،
أَحبَبتُ كَثِيرًا هَذِه المُدُنَ، أَحبَبتُ كَثِيرًا النَّهرَ المهِيبَ وَالسَّرِيع،
وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الذِين رَأَيتُهُم كَانُوا جَمِيعًا قَرِيبِين مِنِّي،
وَالآخَرُون مِثلهُم– الآخَرُون الذِين يَنظُرُون إِلَى مَاضِيَّ لأَنِّي تَطَلَّعتُ إِلَى مُستَقبَلِهِم،
(سَيَؤُون الأَوَان، رغمَ أَنَّنِي أَتَوَقَّفُ هُنَا اليَومَ وَاللَّيلَة).

[5]

فَمَا الذِي يَكمُنُ بَينَنَا إِذَن؟
مَا حِسَابُ الأَرصِدَةِ أَو مِئَاتِ الأعوَامِ فِيمَا بَينَنَا؟
أَيًّا مَا يَكُون، فَهوَ لَا يُجدِي – لَا تُجدِي المَسَافَةُ، وَلَا يُجدِي المكَان،
أَنَا أَيضًا عِشتُ، وَبرُوكلِين ذَات التِّلَالِ الفَسِيحَة كَانَت لِي،
أَنَا أَيضًا مَشَيتُ فِي شَوَارِع جَزِيرَةِ مَانهَاتن، وَاستَحمَمتُ فِي المِيَاهِ المُحِيطَةِ بِهَا،
أَنَا أَيضًا أَحسَستُ بِالتَّسَاؤُلَات الغَرِيبَةِ المَفَاجِئَةِ تَنبَثِقُ دَاخِلِي،
فِي النَّهَار وَسطَ جُمُوع النَّاس كَانَت أَحيَانًا مَا تَخطُر بِبَالِي،
وَفِي تَمشِيَاتِي إِلَى المنزِلِ مُتَأَخِّرًا فِي اللَّيل، أَو وَأَنَا مُمَدَّدٌ فِي سَرِيرِي كَانَت تَخطُرُ لِي،
أَنَا أَيضًا صُدِمتُ مِن طَفوِهَا أَبَدًا مُتَمَسِّكَةً بِإِجَابَةٍ مَا،

أَنَا أَيضًا تَلَقَّيتُ الهَوِيَّةَ مِن جَسَدِي،
فَمَا عَرَفتُه كَانَ مِن جَسَدِي، وَمَا كَان يَجدُر بِي مَعرِفَتُه كَانَ مِن جَسَدِي.

[6]

لَيسَ فَوقَكَ وَحدَكَ تَسقُطُ اللَّطخَاتُ السَّودَاء،
فَالظَّلَامُ يَرمِي بِلَطخَاتِه فَوقِي أَيضًا،
وَأَفضَلُ مَا فَعَلتُه كَانَ يَبدُو لِي فَرَاغًا وَمَوضِعَ شَك،
وَأَفكَارِي العَظِيمَةُ كَمَا ظَنَنتُهَا، أَلَم تَكُن فِي الوَاقِعِ هَزِيلَة؟
أَم أَنَّك أَنتَ وَحدَكَ مَن يَعرِف مَاذَا يَعنِي الشَّر،
أَنَا مَن عَرِفَ مَا الذِي كَانَه الشَّر،
أَنَا أَيضًا عَقدتُ العُقدَةَ القَدِيمَةَ لِلتَّنَاقُض،
ثَرثَرتُ، خَجِلتُ، اغتَظتُ، كَذَبتُ، سَرَقتُ، تَذَمَّرت،
كَانَ لَدَيَّ المَكرُ، وَالغَضَبُ، وَالشَّهوَةُ، وَالأُمنِيَاتُ السَّاخِنَةُ التِي لَم أَجرُؤ عَلَى النُّطقِ بِهَا،
كُنتُ مُتَمَرِّدًا، عَقِيمًا، شَرِهًا، سَطحِيًّا، حَكِيمًا، جَبَانًا، حَقُودًا،
الذِّئب، وَالثُّعبَان، وَالخنزِير، لَا أَخلُو مِنهُم،
وَالنَّظرَةُ المخَادِعَةُ، وَالكَلِمَةُ العَابِثَةُ، وَالرَّغبَةُ الإِبَاحِيَّةُ، لَيسَت غَائِبَة،
الرَّفضُ، وَالكَرَاهِيَةُ، وَالتَّأجِيلَاتُ، وَالوَضَاعَةُ، وَالكَسَلُ، لَا شَيءَ مِن ذَلِك غَائِب،
كُنتُ وَاحِدًا مَعَ البَاقِين، أَيَّامَ وَأَحدَاث البَاقِين،
نُودِيتُ بِاسمِي المبَاشِر بِأَصوَاتٍ عَالِيَةٍ وَاضِحَةٍ لِشُبَّان حِين كَانُوا يَرَونَنِي أَقتَرِبُ أَو أَمُر،
أَحسَستُ بِأَذرُعِهِم عَلَى رَقَبَتِي حِين كُنتُ أَقِف، أَو بِالانحِنَاءِ اللَاوَاعِي لِجسَدِهِم عَلَيَّ وَأَنَا جَالِس،
رَأَيتُ الكَثِيرِين مِمَّن أَحبَبتُهُم فِي الشَّارِع أَو قَارِبِ العُبُورِ أَو اجتِمَاعٍ عَام، لَكِنِّي مَا نَطَقتُ لَهُم أَبَدًا بِكَلِمَة،

عِشتُ نَفسَ الحَيَاةِ مَعَ البَاقِين، نَفسَ الضَّحِكِ القَدِيم، وَالمضَايَقَةِ، وَالنَّوم،
لَعِبتُ الدَّورَ الذِي مَا يَزَالُ يَستَدعِي الممَثِّل أَو الممَثِّلَة،
نَفسَ الدَّورِ القَدِيم، الدَّورَ الذِي نَقُومُ بِه، عَظِيمًا بِقَدرِ مَا نُحِب،
أَو صَغِيرًا بِقَدرِ مَا نُحِب، أَو عَظِيمًا وَصَغِيرًا مَعًا.

[7]

بِجِوَارِك لَكِنِّي أَتَقرَّبُ إِلَيك،
فَمَاذَا تَظُن بِي الآنَ، فَلَدَيَّ الكَثِيرُ لَك –ادَّخَرتُ نَفسِي مُقَدَّمًا،
وَفَكَّرتُ طَوِيلًا وَبِجِدِّيَّةٍ فِيكَ قَبلَ أَن تُولَد.

فَمَن كَانَ لَه أَن يَدرِي مَا الذِي سَيَأتِي إِلَى بَيتِي لِي؟
مَن يَدرِي أَنَّنِي لَا أَستَمتِعُ إِلَّا بِذَاك؟
مَن يَدرِي، بِالرَّغمِ مِن المسَافَة، سِوَى أَنَّنِي عَلَى مَا يُرَامُ وَأَنَا أَنظُرُ إِلَيك، بِالرَّغمِ مِن أَنَّكَ لَا يُمكِن أَن تَرَانِي؟

[8]

آهِ، مَا الذِي يُمكِنُ أَن يَكُون أَكثَر رَصَانَةً وَجَاذِبِيَّةً لِي مِن مَانهَاتن الموَشَّاةِ بِالصَّوَارِي؟
مِن النَّهرِ وَغُرُوبِ الشَّمسِ وَأَموَاجِ مَدِّ الفَيضَان بِحَوَافِّهَا النَّاتِئَة؟
مِن النَّوَارِسِ التِي تُرعِشُ أَجسَادَهَا، وِقَارِب القَشِّ فِي الغَسَق، وَالصَّندَلِ المتَأَخِّر؟
أَيَّةُ أَربَابٍ يُمكِنُ أَن تَفُوقَ هَؤُلَاء الذِين يُمسِكُون بِيَدِي، وَبِأَصوَاتٍ أُحِبُّهَا يُنَادُونَنِي فَجأَةً وَعَالِيًا بِاسمِي المبَاشِر وَأَنَا أَقتَرِب؟
مَا الأَسمَى مِمَّا يَربِطُنِي بِالمَرأَةِ أَو الرَّجُل الذِي يَنظُر فِي وَجهِي؟
الذِي يَصهِرُنِي فِيك الآن، وَيَصُبُّ مَعنَايَ فِيك؟
أَلَا نُدرِكُ إِذَن؟
فَمَا وَعَدتُ بِه دُون ذِكرِه، أَلَم تَقبَله؟

مَا لَا يُمكِن لِلدِّرَاسَةِ أَن تُعَلِّمَه- مَا لَا يُمكِنُ لِلوَعظِ أَن يُحَقِّقه، أَلَيسَ كَذَلِك؟

[9]

فَلتَجرِ، أَيُّهَا النَّهر! اجرِ مَعَ مَدِّ الفَيَضَان، وَانحَسِر مَع الجَزْر!

وَامرَحِي، أَيَّتُهَا الأَموَاجُ المُزبِدَةُ نَاتِئَةُ الحَوَاف!

يَا غُيُومَ الغُرُوبِ الشَّهوَانِيَّة! فَلتَغمُرِينِي بِرَوعَتِك، أَو اغمُرِي أَجيَالَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِن بَعدِي!

يَعبُرُون مِن شَاطِئٍ إِلَى شَاطِئ، جُمُوعَ مُسَافِرِين بِلَا حَصر!

وَانتَصِبِي، يَا صَوَارِي مَانهَاتن الطَّوِيلَة! انتَصِبِي، يَا تِلَالَ برُوكلِين الجَمِيلَة!

وَلتَنبِض، أَيُّهَا العَقلُ الحَائِرُ الغَرِيبُ! اطرَح إِلَى الخَارِج الأَسئِلَةَ وَالأَجوِبَة!

تَعَلَّق هُنَا وَفِي كُلِّ مَكَان، أَيُّهَا الطَّفوُ الأَبدِيُّ لِلجَوَاب!

وَحَدِّقِي، أَيَّتُهَا العُيُونُ العَاشِقَةُ الظَّمأَى، فِي المَنزِلِ أَو الشَّارِعِ أَو الاجتِمَاعِ العُمُومِي!

وَانطَلِقِي، يَا أَصوَاتَ الشُّبَّان! عَالِيًا وَمُوسِيقِيًّا نَادِينِي بِاسمِي المُبَاشِر!

عِيشِي، أَيَّتُهَا الحَيَاةُ العَجُوز! العَبِي الدَّورَ الذِي يَستَدعِي المُمَثِّلِ أَو المُمَثِّلَة!

العَبِي الدَّورَ القَدِيم، الدَّورَ الذِي يَكُون عَظِيمًا أَو صَغِيرًا حَسبَ مَا يُؤَدِّيه المَرء!

وَتَأَمَّل، يَا مَن تَتبَعُنِي، مَا إِذَا كُنتُ- بِطُرُقٍ مَجهُولَة- لَا أَتَطَلَّعُ إِلَيك؛

فَلتَكُن صَارِمًا، وَسَيِّج النَّهرَ، لِتَدعَمَ هَؤلَاء المُتَّكِئِينَ بِكَسَل، لَكن أَسرِع مَعَ التَّيَّارِ المُسرِع؛

وَلتُحَلِّقِي، أَيَّتُهَا النَّوَارِس! حَلِّقِي إِلَى الأَجنَاب، أَو دُورِي فِي حَلقَاتٍ شَاسِعَة عَالِيًا فِي الهَوَاء؛

وَلتَتَلَق سَمَاءَ الصَّيفِ، أَيُّهَا المَاءُ، وَتَشَبَّث بِهَا بِإِخلَاصٍ إِلَى أَن يَتَّسِعَ الوَقتُ لِكُلِّ العُيُون المُكتَئِبَةِ لِتَأخُذَهَا مِنك!

وَتَشَعَّبِي، يَا أَشِعَّةَ الضَّوءِ الرَّائِعَة، مِن شَكلِ رَأسِي، أَو رَأسِ أَيِّ شَخص، فِي المَاءِ المُشمِس!

هَيَّا، أَيَّتُهَا السُّفُن القَادِمَةُ مِن الخَلِيجِ الأدنَى! مُرِّي إِلَى الأعلَى أَو الأسفَل، أَيَّتُهَا الصَّنَادِلُ، السكُونَات، السلُوبَات ذَات الأشرِعَةِ البَيضَاء!

وَرَفرِفِي بَعِيدًا، يَا أَعلَامَ جَمِيعِ الأُمَم! وَانزِلِي كَمَا يَنبَغِي فِي الغُرُوب!

أَحرِقِي عَالِيًا نِيرَانَك، يَا مَدَاخِنِ المَسبَك! ارمِي ظِلَالًا سَودَاءَ عِندَ حُلُولِ اللَّيل! ارمِي ضَوءًا أَحمَرَ وَأَصفَرَ عَلَى سُطُوحِ المَنَازِل!

أَيَّتُهَا المَظَاهِر، فَلتُحَدِّدِي مَاهِيَّتَكِ، الآن أَو مِن الآنَ فَصَاعِدًا،

أَيَّتُهَا الغشَاوَةُ الضَّرُورِيَّةُ، وَاصِلِي تَغلِيفَ الرُّوح،

وَلتَنتَشِر أَيُّهَا الشَّذَى السَّمَاوِي حَولَ جَسَدِي مِن أَجلِي، وَجَسَدِكَ مِن أَجلِك،

وَازدَهِرِي، أَيَّتُهَا المُدُن– هَاتِي حُمُولَتَكِ، هَاتِي عُرُوضَكِ، أَيَّتُهَا الأنهَارُ الفَسِيحَةُ الوَافِيَة،

امتَدِّي، لِتَكُونِي بِحَيثُ لَا يَفُوقُكِ شَيءٌ آخَر فِي الرُّوحَانِيَّة،

حَافِظِي عَلَى مَوَاقِعِكِ، وَأَشيَائِك بِحَيثُ لَا يُصبِحُ شَيءٌ آخَر أَكثَر دَيمُومَة.

لَقَد انتَظَرتُم، دَائِمًا تَنتَظِرُون، أَيُّهَا المبعُوثُون الصُّم، الجَمِيلُون،

وَنَستَقبِلُكُم بِإِحسَاسٍ حُر فِي النِّهَايَة، وَنَهم مِن الآنَ فَصَاعِدًا،

لَن تَكُونُوا بَعدَ الآن قَادِرِين عَلَى إِحبَاطِنَا، أَو كَبح أَنفُسِكُم عَنَّا،

فَنحنُ نَفِيدُ مِنكُم، وَلَا نُزِيحُكُم جَانِبًا– نَحنُ نَزرَعُكُم دَائِمًا دَاخِلَنَا،

لَا نُفَتِّش أَغوَارَكُم – نُحِبُّكَم – فَفِيكُم كَمَالٌ أَيضًا،

فَأَنتُم تُؤَثِّثُون أَدوَارَكُم نَحوَ الأَبَدِيَّة،

عَظِيمَةً أَو صَغِيرَةً، تُؤَثِّثُون أَدوَارَكُم نَحوَ الرُّوح.

أغنيـة المستَجيـب

[1]

الآن فَلتُسَجِّل فِي حِكَايَتِي الصَّبَاحِيَّة، إِنَّنِي أفَسِّر إِشَارَاتِ المُستَجِيب،
وَإِلَى المُدُنِ وَالمزَارِعِ أُغَنِّي وَهِيَ تَتَمَدَّدُ أَمَامِي فِي الشُّرُوق.

يَأتِي شَابٌّ إلَيَّ حَامِلًا رِسَالَةً مِن شَقِيقِه،
كَيفَ سَيَعرِفُ الشَّابُّ مَا إِذَا كَانَ شَقِيقُه سَيَجِيءُ وَمَتَى؟
أَخبِره بِأَن يُرسِلَ لِي الإِشَارَات.

أَقِفُ أَمَامَ الشَّاب وَجهًا لِوَجهٍ، وَآخُذُ يَدَه اليُمنَى فِي يَدِي اليُسرَى، وَيُسرَاه فِي يُمنَاي،
وَأُجِيبُ مِن أَجلِ أَخِيهِ وَمِن أَجلِ الرِّجَال، وَأُجِيبُ مِن أَجلِه الإِجَابَاتِ الصَّالِحَةَ لِلجَمِيع، وَأُرسِلُ هَذِهِ الإِشَارَات.
هُو مَن يَنتَظِرُ الجَمِيعُ مِن أَجلِه، مَن يَستَسلِمُ لَه الجَمِيع، وَكَلِمَتُه حَاسِمَةٌ وَنِهَائِيَّة،
هُوَ مَن يَتَقَبَّلُونَه، مَن يَغتَسِلُون فِيه، وَفِيه يُدرِكُون أَنفُسَهُم مِثلَمَا وَسطَ النُّور،
هُو مَن يَنغَمِرُون فِيه وَيَنغَمِر فِيهِم.

النِّسَاءُ الجَمِيلَات، الأُمَمُ الأَكثَر غَطرَسَةً، القَوَانِين، المَنَاظِرُ الطَّبِيعِيَّة، النَّاس، الحَيَوَانَات،
الأَرضُ العَمِيقَةُ وَسِمَاتُهَا وَالمُحِيطُ الهَائِج (هَكَذَا أَنطِقُ بِحِكَايَتِي الصَّبَاحِيَّة)،

كُلُّ المَبَاهِجِ وَالممتَلَكَات وَالأموَال، وَأَيًّا مَا يَشتَرِيه المَال،
أَفضَلُ المَزَارِع، الآخَرُون يَكِدُّون وَيَغرِسُون، وَهوَ- بِلَا مَفر- مَن يَحصُد،
أَنبَلُ المُدُن وَأَغلَاهَا، الآخَرُون يُمَهِّدُون وَيَبنُون، وَهوَ مَن يَسكُنُ هُنَاك،
لَا شَيءَ لأحَدٍ سِوَى مَا لَه، القَرِيبُ وَالبَعِيدُ لَه، السُّفُن فِي عرضِ البَحر،
العُرُوضُ وَالمسِيرَاتُ الدَّائِمَةُ عَلَى الأرضِ هِي لَه إِن كَانَت لأحَد.

يَضَعُ الأشيَاءَ فِي اتِّجَاهَاتِهَا،
يَضَعُ اليَومَ خَارِجَ ذَاتِه بِالليُونَةِ وَالحُب،
يَضَعُ أَوقَاتَه، وَذِكرَيَاتِه، وَآبَاءَه، وَأَشِقَّاءَه، وَشَقِيقَاتِه، وَعِلَاقَاتِه، وَأَعمَالَه، وَسِيَاسَاتِه، حَتَّى لَا يُخزِيهم البَاقِي أَبَدًا فِيمَا بَعد، وَلَا يَدَّعِي السَّيطَرَةَ عَلَيهِم.

إِنَّه المُستَجِيب،
فَمَا يُمكِنُ الاستِجَابَةُ إِلَيه يَستَجِيبُ لَه، وَمَا لَا يُمكِنُ الاستِجَابَةُ إِلَيه يُوَضِّحُ كَيفَ لَا يُمكِن الاستِجَابَةُ لَه.

الإِنسَان هُو دَعوَةٌ وَتَحَدٍّ،
(فَسُدًى تَهرَب- أَتَسمَعَ هَذِه السُّخرِيَةَ وَالضَّحِك؟ أَتَسمَعَ الأصدَاءَ المُتَهَكِّمَة؟)

الكُتُبُ، وَالصَّدَاقَاتُ، وَالفَلَاسِفَةُ، وَالكَهَنَةُ، وَالفِعلُ، وَاللَّذَّةُ، وَالكِبرِيَاءُ، وَالكَدحُ فِي كُل مَكَانٍ بَحثًا عَن الإِشبَاع،
يَدُل عَلَى الإِشبَاع، وَيَدُل عَلَى مَن يَكدَحُونَ فِي كُل مَكَانٍ أَيضًا.

وَأَيًّا مَا كَان الجِنسُ، أَيًّا مَا كَانَ المَوسِمُ أَو المَكَان، فَسَوفَ يَمضِي مُنتَعِشًا وَرَقِيقًا وَآمِنًا بِاللَّيلِ أَو بِالنَّهَار،
لَدَيه مفتَاح المُرُورِ إِلَى القُلُوبِ، وَإِلَيهِ استِجَابَةُ الأيدِي المتَطَفِّلَةِ عَلَى مَقَابِضِ الأبوَاب.

ترحِيبُه شَامِلٌ، وَانسِيَابُ الجَمَالِ لَيسَ أَكثَر ترحِيبًا أَو شُمُولًا مِنه،
وَمُبَارَكٌ الشَّخصُ الذِي يُفَضِّلُه فِي النَّهَارِ، أَو يَنَامُ مَعَه فِي اللَّيلِ.

لِكُلِّ وُجُودٍ لَهجَتُه، وَلِكُلِّ شَيءٍ لَهجَةٌ وَلِسَان،
وَهوَ يَحلُّ كُلَّ الألسِنَة فِي لِسَانِه وَيَمنَحُه لِلنَّاس، وَلأَي إِنسَانٍ يُتَرجِم، وَأَي إِنسَانٍ يُتَرجِمُ ذَاتَه أَيضًا،
وَكُلُّ جُزءٍ لَا يُنَاقِضُ الآخَرَ، فَهُو الرَّابِطُ بَينَهُمَا، وَيَعرِفُ كَيفَ يَرتَبِطَان.

يَقُولُ بِلَا مُبَالَاةٍ وَبِالطَّرِيقَةِ نَفسِهَا *كَيفَ حَالُكَ يَا صَدِيقِي؟* إِلَى الرَّئِيسِ وَزَائِرِيه،
وَيَقُول *نَهَارًا سَعِيدًا يَا أُختِي*، إِلَى الفَأسِ التِي تَعزِقُ حَقلَ قَصَبِ السُّكَّر،
وَيَفهَمُه كِلَاهُمَا وَيَعرِفُ أَن كَلَامَه حَق.

يَمشِي بِسَلَاسَةٍ تَامَّةٍ فِي العَاصِمَة،
يَمشِي وَسطَ الكُونجرِس، وَأَحَد النُّوَّابِ يَقُول لآخَر، *يَبدُو أَنَّه أَحدُ أَقرَانِنَا الجُدُد*.

آنَئِذٍ يَعتَبِرُه المِيكَانِيكِيُّون أَحَدَهُم،
وَالجُنُودُ يَعتَبِرُونه جُندِيًّا، وَالبَحَّارَةُ يَعتَبِرُونَ البَحرَ حِرفَتَه،
وَالمُؤَلِّفُون يَعتَبِرُونَه مُؤَلِّفًا، وَالفَنَّانُون فَنَّانًا،
وَالعُمَّالُ يُظُنُّون أَنَّه يُمكِنُه العَمَلُ مَعَهُم وَيُحِبُّهُم،
أَيًّا مَا كَانَ العَمَل، فَهوَ العَمَلُ الذِي سَيمتَهِنُه أَو امتَهَنَه،
وَأَيًّا مَا كَانَت الأُمَّة، فَسَيَجِدُ فِيهَا أُخوَتَه وَأَخَوَاتِه.

يَعتَقِدُ الإِنجلِيزُ أَنَّه أَتَى مِن أَصلِهِم الإِنجلِيزِي،
وَيَبدُو لِليَهُودِيِّ يَهُودِيًّا، وَلِلرُّوسِيِّ رُوسِيًّا، مَألُوفًا وَقَرِيبًا، لَيسَ مَقطُوعًا مِن العَدَم.

وَكُل مَن يَنظُرُ إلَيه فِي مَقهَى المُسَافِرِين يَنسِبُه إلَى نَفسِه،
الإِيطَالِيُّ أَو الفِرنسِيُّ عَلَى يَقِين، وَالألمَانِي عَلَى يَقِين، وَالأسبَانِيُّ عَلَى يَقِين، وَالكُوبِيُّ عَلَى يَقِين،
يَنسِبُه إِلَى نَفسِه المُهَندِسُ، وَالبَحَّارُ العَادِيُّ عَلَى البُحَيرَاتِ العُظمَى، أَو عَلَى نَهرِ المِيسِيسِيبِّي أَو سَانت لُورَنس أَو سَاكرَامِنتُو، أَو هَدسُون أَو لِسَانِ بُومَانُوك.

السَّيِّدُ المنحَدِرُ مِن سُلَالَةٍ رَفِيعَةٍ يُقِر بِسُلَالَتِه الرَّفِيعَة،
وَالعُدوَانِيُّ، وَالعَاهِرَةُ، وَالشَّخص الغَضُوبُ، وَالشَّحَّاذُ، يَرَون أَنفُسَهُم فِي سُلُوكِيَّاتِه، وَيُحَوِّلُهم بِغَرَابَةٍ،
لَا يَعُودُون فَاسِدِين، بِالكَادِ يَعرِفُون أَنفُسَهُم بِأَنَّهُم الآن نَاضِجُون تَمَامًا.

[2]

إِشَارَاتُ وَسِجِلُّ الزَّمَن،
الصِّحَّةُ التَّامَّةُ تُمَايِزُ السَّيِّدَ وَسطَ الفَلَاسِفَة،
وَالزَّمَن، بِلَا انقِطَاعٍ دَائِمًا، يُشِيرُ إِلَى نَفسِه بِالأجزَاء،
وَمَا يُشِيرُ إِلَى الشَّاعِرِ دَائِمًا هُو جَمعُ الصُّحبَةِ السَّعِيدَةِ مِنَ المُغَنِّين، وَكَلمَاتُهُم،
فَكَلِمَاتُ المُغَنِّين هِي سَاعَاتُ أَو دَقَائِقُ النُّورِ أَو الظَّلَام، لَكِن كَلمَاتِ صَانِعِ القَصَائِدِ هِي النُّورُ أَو الظَّلَامُ العَمِيم،
صَانِعُ القَصَائِد يُقِر العَدلَ، وَالوَاقِعَ، وَالأبَدِيَّة،
وَبَصِيرَتُه وَقُوَّتُه تُحِيطُ بِالأشيَاءِ وَالجِنسِ البَشَرِي،
هُو المَجدُ وَخُلَاصَةُ الأشيَاءِ وَالجِنسِ البَشَرِي.

المغَنُّون لَا يُنجِبُون، **الشُّعَرَاءُ** وَحدَهُم يُنجِبُون،
وَالمغَنُّون مَوضِعُ تَرحِيبٍ، مَفهُومُون، يَظهَرُون كَثِيرًا بِمَا يَكفِي، لَكِنَّهُم نَادِرًا مَا كَانَ لَهُم يَومُ ومَكَانُ مِيلَادِ صَانِعِ القَصَائِد، **المُستَجِيب**،

(لَا كُلَّ قَرنٍ وَلَا كُلَّ خَمسَةِ قُرُونٍ قَد انطَوَت عَلَى مِثلِ هَذَا اليَوم، بِكُلِّ أَسمَائِهَا).

مُغَنُّو السَّاعَاتِ المُتَوَاصِلَةِ لِلقُرُون قَد تَكُون لَهُم أَسمَاءٌ مُستَعَارَة، لَكِن اسمَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهم هُو اسمٌ لِلمُغَنِّين،
اسمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهم هُو، مُغَنِّي العَين، مُغَنِّي الأُذُن، مُغَنِّي الرَّأس، المُغَنِّي العُذُوبَة، مُغَنِّي اللَّيل، مُغَنِّي القَاعَة، مُغَنِّي الحُب، مُغَنِّي الغَرَابَة، أَو شَيءٌ آخَر.

وَطُوَالَ هَذَا الوَقت وَفِي جَمِيعِ الأَوقَات تَنتَظِرُ كَلِمَاتُ القَصَائِدِ الحَقِيقِيَّة،
كَلِمَاتُ القَصَائِدِ الحَقِيقِيَّةِ لَا تُبهِجُ فَحَسب،
وَالشُّعَرَاءُ الحَقِيقِيُّون لَيسَوا تَابِعِين لِلجَمَال لَكِنهُم سَادَةُ الجَمَالِ الأَجِلَّاء؛
وَعَظَمَةُ الأَبنَاءِ تَكمُن فِي تَجَلِّي عَظَمَةِ الأُمَّهَاتِ وَالآبَاء،
وَكَلِمَاتُ القَصَائِدِ الحَقِيقِيَّةِ هِي العُنقُودُ وَالإِطرَاءُ النِّهَائِيُّ لِلمَعرِفَة.

الغَرِيزَةُ السَّمَاوِيَّةُ، اتِّسَاعُ الرُّؤيَةِ، قَانُونُ العَقلِ، الصِّحَّةُ، عَافِيَةُ الجَسَد، الانعِزَال، المَرَحُ، سُمرَةُ الشَّمس، عُذُوبَةُ الهَوَاء، تِلكَ بَعضُ كَلِمَاتِ القَصَائِد.

البَحَّارُ وَالمسَافِرُ يُؤسِّسَان صَانِعَ القَصَائِد، **المُستَجِيب**،
وَالبَنَّاءُ، وَمَسَّاحُ الأَرَاضِي، وَالكِيمِيَائِي، وَطَبِيبُ التَّشرِيح، وَالعَالِمُ بِفِرَاسَةِ الدِّمَاغ، وَالفَنَّان، كُلُّ هَؤلَاءِ يُؤَسِّسُون صَانِعَ القَصَائِدِ، المُستَجِيب.

كَلِمَاتُ القَصَائِدِ الحَقِيقِيَّةِ تَمنَحُكَ مَا هُو أَكثَر مِن القَصَائد،
تَسمَحُ لَكَ بِأَن تُشَكِّلَ لِنَفسِكَ قَصَائِد، وَأَديَانًا، وَسِيَاسَات، وَحَربًا، وَسَلَامًا، وَسُلُوكًا، وَتَوَارِيخ، وَمَقَالَاتٍ، وَحَيَاةً يَومِيَّةً، وَكُلَّ شَيءٍ آخَر،
إِنَّهَا تُوَازِنُ الصُّفُوف، وَالأَلوَانَ، وَالأَجنَاسَ، وَالعَقَائِدَ، وَالأَنوَاعَ الجِنسِيَّة،

لَا تَسعَى إِلَى الجَمَال، فَهيَ المَسعَى،
فَمُلَامَستُهَا أَو التَّوَافُقُ مَعَهَا أَبَدًا يَتبَعُ الجَمَالَ، وَالشَّوق، وَالسُرُور، وَاللَّوعَة.

إِنَّهَا تُمَهِّدُ لِلمَوت، لَكِنَّهَا لَيسَت النِّهَايَةَ، بِل بِالأَحرَى البِدَايَة،
فَهيَ لَا تُفضِي بِأَحَدٍ إِلَى نِهَايَتِه أَو نِهَايَتِهَا أَو بِالرِّضَاءِ وَالاكتِمَال،
وَمَن تَأخُذُه تَأخُذُه إِلَى فَضَاءٍ لِيَرَى مِيلَادَ النُّجُومِ، لِيَتَعَلَّم أَحَدَ المعَانِي،
لِيَنطَلِقَ بِإِيمَانٍ مُطلَق، لِيَندَفِعَ خِلَالَ الحلقَاتِ اللَّا نِهَائِيَّةِ وَلَا يَستَعِيدُ الهُدُوءَ أَبَدًا.

أَورَاقُ شَجـرِنَا القَدِيمَة

دَائمًا أَورَاقُ شَجرِنَا القَدِيمَة!

دَائِمًا شِبهُ جَزِيرَةِ فلُورِيدَا الخَضرَاء- دَائمًا دِلتَا لوِيزِيَانَا النَّفِيسَة- دَائِمًا حُقُولُ القُطنِ فِي أَلَابَامَا وَتِكسَاس،

دَائِمًا تِلَالُ وَودِيَانُ كَالِيفُورنيَا الذَّهَبِيَّة، وَالجِبَالُ الفِضِّيَّةُ لِنيُو مِيكسِيكُو- دَائِمًا كُوبَا ذَات الأَرِيجِ العَذب،

دَائِمًا المُنحَدَرُ الشَّاسِعُ الذِي استَنزَفُه البَحرُ الجَنُوبِي، بِلَا انفِصَالٍ عَن المُنحَدَرَاتِ التِي استَنزَفَتهَا البِحَارُ الشَّرقِيَّةُ وَالغَربِيَّة،

مَدَى الثَّلَاثَةِ وَالثَّمَانِينَ عَامًا لِهَذِه الولَايَات، وَالثَّلَاثَةُ وَالنِّصفِ مَلَايِينَ مِيل مُرَبَّع،

الثَّمَانِيَةُ عَشر أَلفَ مِيلٍ مِن سَاحِلِ البَحر وَسَاحِلِ الخَلِيج عَلَى الأَغلَب، وَالثَّلَاثُون أَلف مِيل مِن الملاحةِ النَّهرِيَّة،

السَّبعَةُ مِليُون مِن عَائِلَاتٍ مُتَمَايِزَةٍ وَنَفسُ العَدَدِ مِن المقِيمِين- دَائِمًا هَؤلَاء، وَأَكثَر، مُتَفَرِّعِين قُدُمًا إِلَى فُرُوعٍ بِلَا حَصر،

دَائِمًا السُّلَالَةُ الحُرَّةُ وَالتَّنوع- دَائِمًا قَارَّة الدِّيمُوقرَاطِيَّة؛

دَائِمًا البَرَارِي، وَالمرَاعِي، وَالغَابَاتُ، وَالمُدُنُ الشَّاسِعَة، وَالمسَافِرُون، وَكَنَدَا، وَالثُّلُوج؛

دَائِمًا هَذِه الأَرَاضِي المُكتَنِزَةُ المَربُوطَةُ مِن خَاصِرَتِهَا بِحِزَامٍ يَنظُمُ البُحَيرَاتِ البَيضَوِيَّةَ الهَائِلَة؛

دَائِمًا الغَربُ مَعَ أَشخَاصٍ مَحَلِّيِّين أَشِدَّاء، وَالكَثَافَةِ المتَزَايِدَةُ هُنَاكَ، وَالسُّكَّانِ، بِمَوَدَّةٍ،

يَتوَعَّدُون، فِي تَهَكُّم، وَيَزدَرُون الغُزَاة؛
كُل المَشَاهِد، جَنُوبًا، شَمَالاً، شَرقًا– كُل الأفعَال، التِي تَتِم بِصُورَةٍ مُختَلطَةٍ فِي كُلِّ الأوقَات،
كُل الشَّخصِيَّات، وَالحَرَكَات، وَالتَّنَامِي، الملحُوظِ بِالكَاد، وَعَشَرَات الآلَافِ التِي لَا تُلحَظ،
خِلَالَ شَوَارِعِ مَانهَاتِن أَمشِي، وَهَذِه الأشيَاءُ تَتجَمَّع،
وَعَلَى الأنهارِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي اللَّيلِ فِي وَهَج عُقَدِ الصُّنُوبَر، تَتَزَوَّد القَوَارِبُ البُخَارِيَّةُ بِالأخشَاب،
وَضَوءُ الشَّمسِ فِي النَّهَارِ عَلَى وَادِي سُوسكِيهَانَّا وَعَلَى أَودِيَةِ بُوتُومَاك وَرَبَّاهَانُّوك، وَأَودِيَةِ رُونُوك وَدِيلَاوِير،
بِحَيَوَانَاتِهَا البَرِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الفَرَائِسِ التِي تَحُومُ فِي تِلَالِ أَدِيرُونداكس، أَو تَلعَقُ مِيَاهَ سَاجِينَاو كَي تَشرَب،
وَفِي خَلِيجٍ صَغِيرٍ مَعزُولٍ بَطَّةٌ ضَائِعَةٌ مِن السِّرب، وَهي جَالِسَةٌ عَلَى المِيَاهِ تَتَأَرجَحُ فِي صَمت،
وَفِي مَخَازِنِ الفَلَاحِ الثِّيرَانُ فِي الحَظِيرَة، وَقَد تَمَّت أَعمَالُ الحَصَادِ، تَستَرِيحُ وَاقِفَةً، مُرهَقَةً لِلغَايَة،
وَعَن بُعدٍ عَلَى ثُلُوجِ القُطبِ الشَّمَالِي تَتَمَدَّدُ أُنثَى الفَظ[*] نَاعِسَةً فِيمَا جِرَاؤُهَا تَلعَبُ حَولَهَا،
وَالصَّقرُ يُبحِرُ حَيثُ لَم يُبحِرِ الرِّجَالُ بَعد، وَأَبعَدُ بَحرٍ قُطبِي، مُتَرَقرِقًا، كَالكِرِيستَال، مَفتُوحٌ، فِيمَا وَرَاءَ الأطوَافِ الجَلِيدِيَّة،
وَجَرفٌ أَبيَض يَتجَوَّفُ فِي الأمَام حَيثُ تَصطَدِمُ السَّفِينَةُ فِي العَاصِفَة،
وَمَا اكتَمَلَ فِي المدُنِ عَلَى أَرضٍ صَلدَةٍ إذ تَدُقُّ الأجرَاسُ مُنتَصَفَ اللَّيلِ مَعًا،
وَفِي الغَابَاتِ البِدَائِيَّةِ تُدَوِّي الأصوَاتُ أَيضًا هُنَاك، وَعُوَاءُ الذِّئبِ، وَصَرخَةُ النَّمِر،

[*] حيوان ثديي بحري شبيه بالفقمة.

وَالخُوَارُ الأَجَش لِلأيل،

وَفِي الشِّتَاءِ تَحتَ الثُّلُوجِ الزَّرقَاءِ القَاسِيَةِ بِبُحَيرَةِ مُوسِيهِيد، وَفِي الصَّيفِ مَرئِيَّةً خِلَالَ المِياهِ الصَّافِيَة، تَسبَحُ سَمَكَةُ التُّروتَة العَظِيمَة،

وَقُربَ خَطِّ الاستِوَاءِ فِي هَوَاءٍ دَافِئٍ فِي كَارُولَينَا يَطفُو الصَّقرُ الأَسوَدُ الكَبِيرُ بَطِيئًا عَالِيًا فِيمَا وَرَاءَ قِمَمِ الأَشجَار،

وَفِي الأَسفَل، الأَرزُ الأَحمَرُ مُزَيَّنٌ بِزهُورِ التِّيلَاندريَا، وَالصُّنُوبَر وَالسَّرو يَنمُون فِي الرِّمَالِ البَيضَاءِ التِي تَمتَد مُسَطَّحَةً بَعِيدًا،

وَالقَوَارِبُ البِدَائِيَّةُ تَهبِطُ نَهرَ "بِيدِيه" الكَبِير، وَنَبَاتَاتٌ مُتَسَلِّقَة، نَبَاتَاتٌ طُفَيلِيَّةٌ بِأزهَارٍ وَتُوتٍ مُلَوَّن تَلُف أَشجَارًا ضَخمَة،

وَالسَّتَائِرُ المُرَفرِفَةُ عَلَى السِّندِيَانِ الحَي[*] تَتجَرجَرُ طَوِيلَةً وَبَطِيئَة، بِلَا صَوتٍ تُرَفرِفُ بِفِعلِ الرِّيح،

وَمُخَيَّم سَائِقِي العَرَبَاتِ بِجُورجيَا عَقبَ الظَّلَامِ مُبَاشَرَةً، وَنِيرَانُ العَشَاءِ وَالطَّبخ وَالأَكلِ لِبِيضٍ وَزُنُوج،

وَثَلَاثُون أَو أَربَعُون عَرَبَةً كَبِيرَةً، وَالبِغَالُ، وَالقَطِيعُ، وَالأَحصِنَةُ، يَأكُلُون مِن المَذَاوِد،

وَالظِّلَالُ، وَالوَمضَاتُ، تَحتَ أَورَاقِ أَشجَارِ الجِمِّيزِ العُجُوز، وَاللَّهِيبُ ذُو الدُّخَانِ الأَسوَد يَلتَف وَيَصَّاعَد مِن مَنطِقَةِ الصُّنُوبَر؛

وَصَيَّادُو الأَسمَاكِ الجَنُوبِيُّون يَصِيدُون، وَأَصوَاتُ وَخُلجَانُ شَاطِئِ كَارُولَينَا الشَّمَالِيَّة،

وَصَيدُ أَسمَاكِ الصَّابُوغَة وَالرِّنجَةِ، وَشِبَاكُ الصَّيدِ الضَّخمَةُ الجَارِفَةُ، وَالرَّافِعَاتُ عَلَى الشَّاطِئِ تُدِيرُهَا الأَحصِنَةُ، وَمَحلَّاتُ التَّنظِيف، والتَّملِيح، وَالتَّعلِيب؛

وَعَمِيقًا فِي الحَرجِ فِي غَابَاتِ الصُّنُوبَر يَقطُر التَّربَنتِين من شُقُوقِ الأَشجَار، فَهُنَاكَ مَا يَقُومُ بِه التَّربَنتِين،

وَهُنَاكَ الزُّنُوجُ يَعمَلُون فِي صِحَّةٍ جَيِّدَةٍ، وَالأَرضُ فِي كُلِّ الاتِّجَاهَات مُغَطَّاةٌ بِقَشِّ الصُّنُوبَر؛

---

[*] نوع من السنديان الأميركي، دائم الخُضرة.

وَفِي تِينِيسِي وَكِنتَاكِي العَبِيدُ مَشغُولُون بِالتَّزَوُّدِ بِالفَحم، عِندَ كِيرِ الحَدَّاد، عِندَ لَهِيبِ الفُرن، أَو فِي تَقشِيرِ الذُّرَة،

وَفِي فِرجِينيَا، يَعُودُ ابنُ المزَارِع بَعدَ غِيَابٍ طَوِيل، فَتَستَقبلُه المُرَبِّيةُ الخِلَاسِيَّةُ العَجُوزُ مُبتَهِجَةً وَتُقَبِّلُه،

وَفِي الأنهَار يَرسُو المرَاكِبِيَّةُ بِأَمَانٍ عِندَ حُلُولِ اللَّيلِ في قَوَارِبِهم فِي حِمَى الضِّفَافِ العَالِيَة،

وَبَعضُ الشُّبَّانِ يَرقُصُون عَلَى مُوسِيقَى البَانجو أَو الكَمَان، وَآخَرُون يَجلسُون عَلى حَافَّةِ المركَبِ يُدَخِّنُون وَيَتَحَدَّثُون؛

فِيمَا بَعدُ فِي الأَصِيل يُغَنِّي الطَّائِرُ المحَاكِي، المقَلِّدُ الأَمِيرِيكِي، فِي المستَنقَعِ الكَبِيرِ الكَئِيب،

وَهُنَاكَ المِيَاهُ المخضَرَّة، وَرَائِحَةُ الرَّاتِينج، وَالطَّحَالِبُ الكَثِيفَةُ، وَشَجَرَةُ السَّرو، وَشَجَرَةُ العَرعَر؛

وَفِي اتِّجَاهِ الشَّمَال، شُبَّانُ مَانهَاتن، الصُّحبَةُ المنتَظَرَةُ تَعُودُ إِلَى دَارِهَا فِي المسَاءِ مِن رِحلَةٍ، وَفُوَّهَاتُ البَنَادِق تَحمِلُ بَاقَاتٍ مِن وُرُودٍ قَدَّمَتهَا لَهُم نِسَاء؛

وَالأَطفَالُ يَلعَبُون، أَو فِي حِجرِ أَبِيه يَسقُط طِفلٌ فِي النَّوم (كَيفَ تَتَحَرَّك شَفَتَاه! كَيفَ يَبتَسِمُ فِي نَومِه!)

وَالمُستَكشِفُ يَمضِي عَلَى ظَهرِ حِصَانٍ فِي السُّهُولِ غَربِ المِيسِيسِيبِّي، يَنزِلُ هَضَبَةً صَغِيرَةً وَيَمسَحُ بَعَينَيه حَولَه؛

وَحَيَاةُ كَالِيفُورنيَا، وَعَامِلُ المنجَم، المُلتَحِي، يَرتَدِي مَلَابِسَه الخَشِنَة، وَصَدَاقَةُ كَالِيفُورنيَا المخلِصَة، وَالهَوَاءُ العَذبُ، وَالقُبُورُ التِي يُقَابِلُهَا المرءُ لَدَى مُرُورِه مُنعَزِلَةً إِلَى جَانِب مَمَر الأَحصِنَة؛

وَأَسفَل فِي تِكسَاس حَقلُ القُطن، وَأَكوَاخُ الزُّنُوج، وَالسَّائِسُون يَقُودُون البِغَالَ أَو الثِّيرَان أَمَامَ العَرَبَاتِ البِدَائِيَّة، وَبَالَاتُ القُطن مُكَوَّمةٌ عَلَى الشَّوَاطِئ وَالأَرصِفَة؛

وَالرُّوحُ الأميرِيكِيَّةُ تُحِيطُ بِالجميع، مُندَفِعَةً شَاسِعَةً وَعَالِيًا، بِنِصفَي كُرةٍ مُتَسَاوِيَين،
الحُب نِصفٌ، وَالرَّحَابَةُ أَو الكِبرِيَاء نِصف؛
وَفِي الوَرَاءِ حَدِيثُ السَّلَامِ مَع الإيرُوكوَا السُّكَّانِ الأصلِيِّين، وَالغَلْيُونُ، غَليُونُ صَفَاءِ
النِّيَّة، وَالتَّحكِيمُ، وَالمُوَافَقَة،
وَالزَّعِيمُ الهندِيُّ يَنفُخُ الدُّخَانَ أَولًا نَحوَ الشَّمسِ ثُم نَحوَ الأرض،
تَدُور دِرَامَا رَقصةِ سَلخ فَروَةِ الرَّأس بِوُجُوهٍ مُلَوَّنَةٍ وَصَيحَاتِ الحنجرَة،
وَانتِهَاءُ حَفلِ الحرب، وَالمَسِيرَةُ الطَّوِيلَةُ المنسَلَّةُ،
وَالطَّابُورُ المفرَدُ، وَالبَلطَةُ المُتَأرجِحَةُ، وَالمُفَاجَأةُ وَذَبحُ الأعدَاء؛
كُل الأفعَالِ، وَالمَشَاهِد، وَالطُّرُق، وَالأشخَاص، وَالميُولِ فِي هَذِه الوِلَايَات، وَالذِّكرَيَاتِ،
وَالأَعرَاف،
كُل هَذِه الوِلَايَات المندَمِجَة، كُل مِيلٍ مُرَبَّع مِن هَذِه الوِلَايَات بِلا استِثنَاءٍ لِذَرَّة وَاحِدَة؛
مَسرُورٌ أَنَا، مُتجَوِّلًا فِي مَجَازَاتِ وَحُقُولِ البَلَد، حُقُولِ بُومَانُوك،
مُلَاحِظًا الطَّيرَانَ اللَّولَبِي لِفَرَاشَتَين صَفرَاوَين صَغِيرَتَين تَدلِفَانِ بَينَ بَعضِهِمَا البَعض،
صَاعِدَتَين عَالِيًا فِي الأثِير،
وَالسُّنُونُو المنقض، مُدَمِّرَ الحشَرَاتِ، مُسَافِرَ الخَرِيفِ نَحوَ الجَنُوبِ، لَكِنَّه عَائِدٌ نَحوَ
الشَّمَالِ فِي الرَّبِيع،
وَصَبِيَّ القَريَةِ فِي آخِرِ النَّهَارِ يَقُودُ قَطِيعَ الأبقَارِ وَيَصِيحُ فِيهِم إذ يَتَسَكَّعُون لِيَرعَوا عَلَى
جَانِبِ الطَّرِيق،
وَأَرصِفَةَ المَدِينَة، بُوسطُن، فِيلَادِلفيَا، بَالتِيمُور، شَارلِستُون، نيُو أُورلِيَانز، سَان
فَرَانسِيسكُو،
وَالسُّفُنَ الرَّاحِلَةَ حِين يَرفَعُ البَحَّارَةُ المرسَاة؛
وَالمسَاءَ - وَأَنَا فِي غُرفَتِي - وَالشَّمسَ الغَارِبَة،
وَشَمسَ الصَّيفِ الغَارِبَة تَتَوَهَّجُ فِي نَافِذَتِي المفتُوحَة، فَيَرَى سِربُ الفرَاشَاتِ، مُعَلَّقًا،
مُتَوَازِنًا فِي الهوَاءِ وَسَطَ الغُرفَةِ، مُندَفِعًا عَرضِيًّا، إِلَى أَعلَى وأَسفَل، فَيَرِي بِظِلَالٍ

سَرِيعَةٍ فِي بُقَعٍ عَلَى الحَائِطِ المقَابِل حَيث الوَهَج؛
وَقَائِدَةَ الرِّيَاضِيِّين الأميركِيِّين تَتَحَدَّث عَلَنًا إِلَى حُشُودِ المستَمِعِين،
وَذُكُورًا، وَإِنَاثًا، وَمُهَاجِرِين، وَاتِّحَادَاتٍ، وَالكَثَافَة، وَفرَدَانِيَّةَ الوِلَايَات، وَكُلٌّ مِنهَا لِذَاتِهَا
- وَجَامِعِي الأموَال،
وَالمَصَانِعَ، وَالآلَات، وَالقُوَى المِيكَانِيكِيَّة، وَالأونَاش، وَالرَّوَافِعَ، وَالبَكَرَات، كُلُّه
حقَائِق،
حَقِيقَةُ الفَضَاء، وَالتَّنَامِي، وَالحُرِيَّة، المُستَقبَلِيَّة،
وَفِي الفَضَاءِ، الأرخَبِيلَات، وَالجُزُرُ المُبَعثَرَة، وَالنُّجُوم – عَلَى الأرض الصَّلدَةِ،
وَالأَرَاضِي، أَرَاضِيَّ،
أَيَّتُهَا الأَرَاضِي! يَا كُلَّ مَا هُو عَزِيزٌ عَلَيَّ – أَيًّا مَا تَكُونِين (أَيًّا مَا يَكُون)، سَأَضَعه
عَشوَائِيًّا فِي هَذِه الأغَانِي، فَيُصبِحَ جُزءًا مِن ذَلِك، أَيًّا مَا يَكُون،
وَهُنَاكَ نَحوَ الجَنُوب، أَصرُخُ، بِأجنِحَةٍ تُرَفرِفُ بَطِيئَةً، مَع آلَافِ النَّوَارِس الَتِي تَقضِي
الشِّتَاءَ عَلَى طُولِ شَوَاطِئِ فلُورِيدَا،
وَفِي جِهَاتٍ أُخرَى هُنَاكَ بَينَ شَوَاطِئِ أَركَانسُو، وَرِيُو جرَاند، وَنُوسِيز، وَبرَازُوس،
وَتُومبِيجبِي، وَالنَّهرِ الأحمَر، وِسَاسكَاتشَاوَان أو أُوساج، أَنَا مَع مِيَاهِ النَّبع
نَضحَك، نَنزَلِق وَنَجرِي،
وَنَحوَ الشَّمَال، عَلَى الرِّمَال، عَلَى خَلِيجٍ ضَحلٍ فِي بُومَانُوك، أَنَا مَع مَجمُوعَاتٍ مِن البَلشُون
الثَّلجِي نَخُوضُ فِي البَلَلِ بَحثًا عَن دُودٍ وَنَبَاتَاتٍ مَائِيَّة،
ومُتَرَاجِعًا، مُغَرِّدًا بِانتِصَارٍ، مَلِكُ العَصَافِير، بَعدَ طَعنِ الغُرَابِ بِمِنقَارِه، لِلتَّسلِيَة – وَأَنَا
أُغَرِّد بِانتِصَار،
وَالسِّربُ المهَاجِر لِلأوز البَرِّي يَتَرَجَّلُ فِي الخَرِيفِ لِيُنعِشَ نَفسَه، وَغَالِبِيَّةُ السِّربِ
يَأكُلُون، وَالحُرَّاسُ بِالخَارِجِ يَتَحَرَّكُون حَولَهُم بِرُؤُوسٍ مُنتَصِبَةٍ يُرَاقِبُون، وَمِن
وَقتٍ لآخَر يُستَبدَلُون بِحُرَّاسٍ آخَرِين– وَأَنَا آكُلُ وآخُذُ دَورِي مَعَ البَاقِين،
وَفِي الأحرَاجِ الكَنَدِيَّة حَيَوَانُ المُوظ، ضَخمًا كَثَور، وَقَد حَاصَرَه الصَّيَّادُون فِي رُكنٍ،

وَهوَ يَشبُّ فِي يَأسٍ عَلَى قَائِمَتَيه الخَلفِيَّتَين، وَيَندَفِعُ بِقَائِمَتَيه الأَمَاميَّتَين،
وَحَوَافِرُه حَادَّةٌ كَسِكِّين– وَأَنَا، مُندَفِعًا نَحوَ الصَّيَّادِين، مُحَاصَرٌ فِي الرُّكن
وَيَائِس،

وَفِي مَانهَاتِن، الشَّوَارِعُ، وَأَرصِفَةُ البَحر، وَتَحمِيلُ السُّفُن، وَالمخَازِن، وَمَا لَا يُحصَى مِن
العُمَّال العَامِلِين فِي الدَّكَاكِين،

وَأَنَا أَيضًا مِن مَانهَاتِن، أُغَنِّي مِن هُنَاك– وَلَستُ أَقَل فِي ذَاتِي مِن كُل مَانهَاتِن فِي ذَاتِهَا،
أُغَنِّي أُغنِيَةَ أَرَاضِيَّ المُتَّحِدَةِ أَبَدًا، هَذِه – فَجَسَدِي مُوَحَّدٌ بِصُورَةٍ حَتمِيَّة، جُزءًا لِجُزء،
صَانِعًا هَوِيَّةً وَاحِدَةً مِن أَلفِ مُسَاهَمَةٍ مُختَلِفَة، مِثلَمَا تَوَحَّدَت أَرضِي بِصُورَةٍ
حَتمِيَّةٍ وَشَكَّلَت هَوِيَّةً وَاحِدَة؛

وَأصُولُ السُّلَالَات، وَالمنَاخَاتُ، وَعُشبُ السُّهُولِ الرَّعوِيَّة الكُبرَى،

وَالمُدُنُ، وَالأعمَالُ، وَالموتُ، وَالحَيَوَانَاتُ، وَالمنتجَاتُ، وَالحَربُ، وَالخَيرُ وَالشَّر – تِلكَ
هِيَ أَنَا،

إِنَّهَا تَمنَح، فِي كُلِّ مُفرَدَاتِهَا، أَورَاقَ الشَّجرِ القَدِيمَةَ لِي وَلأَمِيرِيكَا، فَكَيف يُمكِنُنِي
القِيَامُ بِمَا هُو أَقَل مِن أَن أَمنَحَهُم سِر اتِّحَادِهِم، لأَمنَحَكَ المِثَال؟

فَأَيًّا مَن تَكُون! كَيفَ يُمكِنُنِي إِلَّا أَن أَمنَحُكَ أَورَاقَ الشَّجَرِ السَّمَاوِيَّة، لِتَكُونَ أَنتَ
أَيضًا مُؤَهَّلًا مِثلِي؟

كَيفَ يُمكِنُنِي إِذ أُغَنِّي هُنَا إِلَّا أَن أَدعُوكَ لِذَاتِكَ كَي تَجمَعَ بَاقَاتِ الأَورَاقِ بِلَا مَثِيل
بِهَذِهِ الوِلَايَات؟

أُغنيَـةٌ لِلمبـاهج

آهِ لَو أَكتُبُ الأُغنِيَةَ الأكثَرَ بَهجَـةً!
مُفعَمَةً بِالمُوسِيقَى – مُفعَمَةً بِالرُّجُولَة، بِالأُنُوثَـة، بِالطُّفُولَة!
مُفعَمَةً بِالانشِغَالَاتِ العَامَّة – مُفعَمَةً بِالبذُورِ وَالأشجَار.

آهِ لِأَصوَاتِ الحَيَوَانَات – آهِ لِرَشَاقَةِ وَتَوَازُن الأسمَاك!
آهِ لِتَسَاقُطِ قَطرَاتِ المطَرِ فِي أُغنِيَة!
آهِ لِشُرُوقِ الشَّمسِ وَحَرَكَةِ الأموَاجِ فِي أُغنِيَة!

يَا لَبَهجَةِ رُوحِي – غَيرَ مَحبُوسَةٍ – تَندَفِعُ كَالبَرق!
فَلَا يَكفِي أَن تَمتَلِكَ هَذَا الكَونَ أَو زَمَنًا مَا،
فَسَأمتَلِكُ آلَافَ الأكوَانِ وَكُلَّ الأزمَان.

يَا لَبَهجَةِ المهَندِس! وَهوَ يَذهَبُ بِقَاطِرَة!
لِيَسمَعَ هَسِيسَ البُخَار، وَالصَّرخَةَ المَرِحَة، وَصَفِيرَ البُخَار، وَضَحكَ القَاطِرَة!
لِتَندَفِعَ عَارِمَةً، وَتقطَعَ المسَافَة.

يَا لَلمَشي الهُوَينَى البَهِيجِ فِي الحُقُولِ وَالتِّلَال!

يَا لَأوراقِ الشَّجَرِ وَالأزهَارِ فِي الغَابَات العَادِيَّةِ، وَسُكُونِ الغَابَات الرَّطبِ المُنعِش، وَالرَّائِحَةِ الرَّهِيفَةِ لِلأَرضِ فِي الفَجر، وَطُوَالَ مَا قَبلَ الظَّهِيرَة.

يَا لَمَبَاهِجِ سَائِسٍ وَسَائِسَةِ الخُيُول!
يَا لَلسَّرجِ، والعَدْو، والضَّغطِ عَلَى المقعَدَةِ، والقَرقَرَةِ البَارِدَةِ مِن الأُذُنَين وَالشَّعر.

يَا لَمَبَاهِجِ رَجُلِ الإطفَاء!
أَسمَعُ الإنذَارَ فِي سُكُونِ اللَّيل،
أَسمَعُ الأجرَاسَ، وَالصَّيحَات! أَمُر بالحَشدِ، أَعدُو!
وَمَنظَرُ اللَّهِيبِ يُصِيبُنِي بِجُنُون اللَّــذَّة.

يَا لَبَهجَةِ المقَاتِلِ القَوِيِّ مَفتُولِ العَضَلَات، شَامِخًا فِي الميدَانِ فِي حَالَةٍ مِثَالِيَّة، وَاعِيًا بِالقُوَّة، مُتعَطِّشًا لمقَابَلَةِ غَرِيمِه.
يَا لَبَهجَةِ التَّعَاطُفِ الأوَّلِي الرَّحِيبِ الذِي لَا تَقدِر إِلَّا الرُّوحُ الإِنسَانِيَّةُ عَلَى بَثِّه وَابتِعَاثِه فِي فيُوضٍ مُضطَرِدَةٍ بِلَا حُدُود.

يَا لَمَبَاهِجِ الأُم!
يَا لَلرِّعَايَةِ، وَالاحتِمَالِ، وَالحب الغَالِي، وَالكَربِ، وَالحَيَاةِ الطَّيِّعَةِ الصَّبُور.

يَا لَمَبَاهِجِ الزِّيَادَةِ، وَالتَّنَامِي، وَالتَّعَافِي،
بَهجَةِ التَّهدِئَةِ وَالمسَالَمَة، بَهجَةِ التَّوَافُقِ وَالتَّنَاغُم.

آهِ لَو أَعُودُ إِلَى المكَانِ الذِي وُلِدتُ فِيه،
أَن أَسمَعَ الطُّيُورَ تُغَنِّي مَرَّةً أُخرَى،

أَن أَتَجَوَّل حَولَ المَنزِلِ وَالحَظِيرَةِ وَفِي الحُقُولِ مَرَّةً أُخرَى،
وَخِلَالَ بُستَانِ الفَاكِهَةِ وَعَلَى طُولِ الدُّرُوبِ مَرَّةً أُخرَى.

آهِ لَو أَجِدُ نَفسِي عَلَى الخُلجَان، وَالبُحَيرَاتِ الضَّحلَةِ، وَالجَدَاوِل، أَو عَلَى امتِدَادِ الشَّاطِئ،
أَن أُوَاصِلَ وَأنشَغِلَ هُنَاك طُوَالَ حيَاتِي،
مَعَ الرَّائِحَةِ المَالِحَة النَّدِيَّة، وَالشَّاطِئ، وَالطَّحَالبُ المِلحِيَّةُ مَرئِيَّةٌ فِي مَاءٍ ضَحل،
وَأَشغَالِ صَيَّادِي السَّمَك، أَشغَالِ صَيَّادِي الأنقَلِيس وَالبَطلَينُوس؛
فَأَجِيءَ بِمِدَمَّةِ البَطلَينُوس وَالجَارُوف، أَجِيءَ بِحَربَة الأنقَلِيس[*]،
أَلَيسَ هُنَاكَ مَد؟ أَنضَم إِلَى مَجمُوعَةِ حَفَّارِي البَطلَينُوس عَلَى المسَطَّحَات،
أَضحَكُ وَأَعمَلُ مَعَهُم، أَمزَحُ عَلَى عَمَلِي كَشَابٍّ يَتَوَقَّد نَشَاطًا؛
وَفِي الشِّتَاءِ آخُذُ سَلَّةَ الأنقَلِيس وَحَربَةَ البَطلَينُوس وَأَرحَلُ مَشيًا عَلَى الثُّلُوج – مَعِي فَأسٌ صَغِيرَةٌ لأحفُرَ فَجَواتٍ فِي الثَّلج،
انظُر إِلَيَّ وَأَنَا أَمضِي مُهَندَمًا مَرِحًا أَو أَعُودُ فِي الأصِيل، وَصِغَارِي الأولَادُ المشَاكِسُون يُرَافِقُونَنِي،
وَصِغَارِي مِن الأولَادِ الكِبَارِ وَشِبه الكِبَار، الذِين لَا يُحِبُّون مُرَافَقَةَ أَي شَخصٍ آخَر مِثلَمَا يُحِبُّون مُرَافَقَتِي،
يعَمَلُون مَعِي فِي النَّهَار، وَيَنَامُون مِعِي فِي اللَّيل.

فِي وَقتٍ آخَر فِي طَقسٍ دَافِئٍ أَخرُجُ فِي قَارب، لأرفَعَ شِرَاكَ جَرَادِ البَحر حَيثُ غَطسَت بِأحجَارٍ ثَقِيلَة، (أَعرِف العَوَّامَات)،
يَا لَعُذُوبَةِ صَبَاحِ الشَّهرِ الخَامِس عَلَى المِيَاهِ وَأَنَا أُجَذِّف أَمَامَ شُرُوقِ الشَّمسِ مُبَاشَرَةً نَحوَ العَوَّامَات،

---

[*] **البطلينوس**: حيوان من الرخويات أو السمك الصدفي؛ **الأنقليس**: نوع من الأسماك.

أَسحَبُ سَلَّةَ الشَّرَاك بِصُورَةٍ مَائِلَة، وَجَرَادُ البَحرِ الأخضَرُ الدَّاكِن مُتَهَوِّرٌ بِمَخَالِبِه
وَأَنَا أُخرِجُه، فَأَدُسُّ إسفِينًا خَشَبِيًّا فِي مَفَاصِل كُلَّابَاتِه،
أَذهَبُ إِلَى المَوَاضِعِ وَاحِدًا بَعدَ الآخَر، وَبَعدَهَا أجَذِّفُ عَائِدًا إِلَى الشَّاطِئ،
هُنَاكَ فِي بَرَّادٍ ضَخمٍ مِن مَاءٍ يَغلِي سَيُسلَقُ جَرَادُ البَحر إِلَى أَن يُصبِحَ لَونُه قُرمُزِيًّا.

فِي وَقتٍ آخَر صَيدُ سَمَكِ الاسقُمرِي،
شَرِهًا، مَجنُونًا عَلَى الصِّنَّارَة، قُربَ السَّطحِ، يَبدُو كَأَنَّه يَملأُ المِيَاهَ لأميَال؛
وَفِي وَقتٍ آخَر صَيدُ سَمَكِ الصُّخُورِ فِي خَلِيج شِيسَابِيك، وَأَنَا أَحَدُ أَفرَادِ الطَّاقِمِ ذَوِي الوُجُوهِ البُنِّيَّة؛
وَفِي وَقتٍ آخَر أَتَعَقَّب السَّمَكَةَ الزَّرقَاءَ خَارِجَ بُومَانُوك، أَقِفُ بِجَسَدٍ نَشِط،
قَدَمِي اليُسرَى عَلَى حَافَّةِ المركب، وَذِرَاعِي اليُسرَى تَرمِي بَعِيدًا لُفَافَات الحَبل التَّحِيل،
وَعَلَى مَرمَى البَصَر حَولِي الانجِرَافُ وَالاندِفَاعُ السَّرِيعَان لِخَمسِين مَركبًا شِرَاعِيًّا صَغِيرًا، رِفَاقِي.

يَا لَإبحَارِ القَوَارِبِ فِي الأنهَار،
يَا لَلرِّحلَةِ أَسفَل نَهر سَانت لُورَنس، وَالمشهَدِ الطَّبِيعِي الخَلَّاب، وَالبَوَاخِر،
وَالسُّفُنِ المُبحِرَةِ، وَالألفِ جَزِيرَة، وَالطَّوفِ الخَشَبِي بَينَ الحِينِ وَالحِينِ وَبَحَّارَةِ الأطوَافِ بِمَجَاذِيفِهم الطَّوِيلَةِ الجَارِفَة،
وَالأكوَاخِ الصَّغِيرَةِ عَلَى الأطوَافِ، وَتَيَّارِ الدُّخَانِ حِين يَطبُخُون العَشَاءَ فِي المسَاء.

(يَا لَشَيءٍ مَا خَبِيثٍ وَمُخِيف!
شَيءٍ مَا بَعِيدًا عَن حَيَاةٍ وَرِعَةٍ وَسَقِيمَة!
شَيءٍ مَا غَير مُؤَكَّد! شَيءٍ مَا فِي حَالَةِ نَشوَة!
شَيءٍ مَا هَارِبٍ مِن المرسَى وَيَنطَلِقُ حُرًّا).

يَا لَلعمَلِ فِي المَنَاجِم، أَو طَرقِ الحَدِيد،
فِي سَبكِ المعَادِن، وَالمسبَكِ ذَاتِه، وَالسَّقفِ العَالِي الصَّلد، وَالفَضَاءِ الفَسِيحِ الظَّلِيلِ،
وَالفُرنِ، وَالسَّائِلِ السَّاخِنِ يَنصَبُّ وَيَجرِي.

آهٍ لِاستِعَادَةِ مَبَاهِجِ الجُنــدِي!
لِلشُّعُورِ بِحُضُورِ ضَابِطٍ قَائِدٍ شُجَاع – الشُّعُورِ بِتَعَاطُفِه!
لِرُؤيَةِ سَكِينَتِه – لِلتَّدفِئَةِ فِي أَشِعَّةِ ابتِسَامَتِه!
لِلذِّهَابِ إِلَى المعرَكَة – لِسَمَاعِ الأبوَاقِ تُدَوِّي وَالطُّبُولِ تُقرَع!
لِسَمَاعِ هَدِيرِ المدفَعِيَّة – لِرُؤيَةِ وَمِيضِ الحِرَابِ وَمَوَاسِيرِ بَنَادِقِ المَسكِيتِ فِي الشَّمس!
لِرُؤيَةِ الرِّجَالِ يَسقُطُون وَيَمُوتُون بِلَا شَكوَى!
لِتَذَوُّقِ المَذَاقِ الوَحشِي لِلدَّم – لِلتَّحَوُّلِ هَكَذَا إِلَى شَخصٍ شَيطَانِي!
أَن تَنظُرَ فِي إِعجَابٍ إِلَى جَرحَى وَمَوتَى العَدُو.

يَا لَمَبَاهِجِ صَيَّادِ الحِيتَان! لَو أُبحِرُ فِي رِحلَتِي البَحرِيَّةِ القَدِيمَةِ مِن جَدِيد!
أَن أُحِسَّ بِحَرَكَةِ السَّفِينَةِ تَحتِي، أُحِس بِنَسِيمِ الأطلَنطِي يُرَوِّحُ عَلَيَّ،
أَسمَعَ الصَّرخَةَ مِن جَدِيدٍ هَابِطَةً مِن أَعلَى الصَّارِي، ***هُنَاك – تَهب!***
وَأَنطَلِقَ مِن جَدِيدٍ إِلَى أعلَى حِبَالَ الصَّوَارِي لأنظُرَ مَعَ البَاقِين – نَهبِط، مُهتَاجِين بِالإثَارَة،
أَقفِزَ فِي القَارِب المُتَدَلِّي، نُجَذِّفَ نَحوَ فَرِيسَتِنَا حَيثُ تَستَلقِي،
نَقتَرِبَ مُنسَلِّين صَامِتِين، فَأَرَى الكُتلَةَ الضَّخمَةَ، نَاعِسَةً، تَتَشَمَّس،
أَرَى رَامِي الرُّمحِ يَنتَصِب، أَرَى السِّلَاحَ يَندَفِعُ مِن يَدِه القَوِيَّة؛
آهِ سَرِيعًا مِن جَدِيدٍ بَعِيدًا فِي المحِيطِ يَجرِي الحُوتُ الجَرِيح، هَامِدًا، فِي مَهَبِّ الرِّيح، يَسحَبُنِي،
مِن جَدِيدٍ أَرَاه يَرتَفِع لِيَتَنَفَّس، فَنُجَذِّفَ مُقتَرِبِين مِن جَدِيد،

أَرَى حَرِبَةً تنغرس فِي جَانِبِه، عَمِيقًا، مُنعَطِفَةً فِي الجُرح،
وَمِن جَدِيدٍ نَتَرَاجَعُ إِلَى الوَرَاء، أَرَاه يَهمَد مِن جَدِيدٍ، وَالحَيَاةُ تُغَادِرُه سَرِيعًا،
وَإِذ يَظهَر مُندَفِقًا بِالدَّم، أَرَاه يَسبَح فِي دَوَائِر أَضيَق فَأَضيَق، شَاقًّا المِيَاه بِسُرعَة – أَرَاه يَمُوت،
يَقُومُ بِقَفزَةٍ مُتَشَنِّجَةٍ فِي مَركَز الدَّائِرَة، ثُم يَهوِي مُسطَّحًا وَيَسكُن فِي رَغوَةٍ دَموِيَّة.

يَا لَرُجُولَتِي القَدِيمَةِ، أَنبَل مَبَاهِجِي جَمِيعًا!
يَا لأَطفَالِي وَأَحفَادِي، شَعرِي وَذَقنِي البَيضَاء،
ضَخَامَتِي، سَكِينَتِي، مَهَابَتِي، حَتَّى انتِهَاءِ امتِدَادِ حَيَاتِي الطَّوِيل.

أَيَّتُهَا البَهجَةُ النَّاضِجَةُ لِلأُنُوثَة! أَيَّتُهَا السَّعَادَةُ فِي النِّهَايَة!

أَنَا أَكثَرُ مِن ثَمَانِينَ عَامًا مِن العُمر، أَنَا الأُم الأَكثَر مَهَابَة،
كَم هُو صَافٍ ذِهنِي – كَم يَتَقَرَّبُ مِنِّي جَمِيعُ النَّاس!
فَأَيَّةُ جَاذِبِيَّةٍ تِلكَ الأَبعَد مِن أَيَّة جَاذِبِيَّةٍ سَابِقَة؟ أَيُّ ازدِهَارٍ أَكبَر مِن ازدِهَارِ الشَّبَاب؟
أَيُّ جَمَالٍ هَذَا الذِي يَتَنَزَّل عَلَيَّ وَيَصدُرُ عَنِّي؟

يَا لَمَبَاهِج الخَطِيب المفَوَّه!
أَن تَنفُخَ الصَّدر، وَتُطلِقَ رَعدَ الصَّوتِ مِن الضُّلُوعِ وَالحنجرَة،
أَن تَدفَعَ النَّاسَ إِلَى الاهتِيَاج، وَالتَّحِيب، وَالكَرَاهِيَةِ، وَالشَّهوَةِ، مَعَ نَفسِك،
أَن تَقُودَ أَمِيرِيكَا – أَن تُخضِعَ أَمِيرِيكَا بِلِسَانٍ عَظِيم.

يَا لَبَهجَةِ رُوحِي المُتَّكِئَةِ بِاتِّزَانٍ عَلَى نَفسِهَا، مُتَلَقِّيَةً الهَوِيَّةَ مِن خِلَالِ أَشيَاء مَادِّيَّةٍ وَمُحِبَّةً لَهَا، مُلَاحِظَةً الشَّخصِيَّات وَمُتَمَثِّلَةً لَهَا،

رُوحِي تَهتَزُّ عَائِدَةً إِلَيَّ مِنهم، مِن النَّظَرِ، وَالسَّمعِ، وَاللَّمسِ، وَالعَقلِ، وَالنُّطقِ، وَالمقَارَنَةِ،
وَالذَّاكِرَةِ، وأَمثَالِهَا،
فَالحَيَاةُ الحَقِيقِيَّةُ لِحَوَاسِّي وَجَسَدِي تَسمُو بِحَوَاسِّي وَجَسَدِي،
جَسَدِي مُتَوَافِقٌ مَع مَا هُو مَادِّي، وَبَصَرِي مُتَوَافِقٌ مَع عَينَيَّ المادِّيَّتَين،
لَقَد ثَبتَ لِي هَذَا اليَومِ فِيمَا وَرَاءَ الاعتِرَاضَاتِ التَّافِهَةِ بِأَنَّ عَينَيَّ المادِّيَّتَين لَيسَتَا هُمَا
مَا تَرَيَان فِي النِّهَايَة،
وَلَا جَسَدِي المادِّيُّ هُو مَا يُحِبُّ فِي النِّهَايَة، وَيَمشِي، وَيَضحَكُ، وَيَصِيحُ، وَيُعَانِق،
وَيُنجِب.

يَا لَمَبَاهِجِ المُزَارِع!
مَبَاهِجِ أُوهيُو، وَإِلِينُوي، وَوِيسكُونسِن، وَكَندَا، وَأَيوَا، وَكَانسَاس، وَمِيسُورِي، وَأُورِيجُون!
أَن يَنهَضَ مَع أَوَّل ضَوءٍ لِلنَّهَارِ وَيَمضِي قُدُمًا بِرَشَاقَةٍ إِلَى العَمَل،
أَن يَحرُثَ الأَرضَ فِي الخَرِيفِ مِن أَجلِ بَذرِ مَحَاصِيلِ الشِّتَاء،
أَن يَحرُثَ الأَرضَ فِي الرَّبِيعِ مِن أَجلِ الذُّرَة،
أَن يُشَذِّبَ البَسَاتِين، أَن يُطَعِّمَ الأَشجَارَ، أَن يَجمَع التُّفَّاحَ فِي الخَرِيف.

آهِ لَو أَستَحِم فِي حَمَّامِ السِّبَاحَةِ، أَو فِي مَكَانٍ جَيِّدٍ عَلَى امتِدَادِ الشَّاطِئ،
أَن أَنثُر المَاءَ! أَن أَمشِي وَكَاحِلِي يَنغَرِس، أَو أَركُضُ عَارِيًا بِامتِدَادِ الشَّاطِئ.

آهِ لَو أُدرِكُ الفَضَاء!
غَزَارَةَ كُلِّ شَيءٍ، تِلكَ الَتِي لَا تَعرِفُ الحُدُود،
أَن أَنبَثِقَ وَأُصبِحَ ضِمن السَّمَاء، ضِمنَ الشَّمسِ وَالقَمَرِ وَالغُيُومِ المُحَلِّقَة، كَوَاحِدٍ مِنهَا.

يَا لَبَهجَةِ الذَّاتِيَّةِ الرُّجُولِيَّة!

أَلَّا تكُونَ عَبدًا لأحَد، أَلَّا تُذعِنَ لأحَد، لَا لأيِّ طَاغِيَةٍ مَعرُوفٍ أو مجهُول.

أَن تَمشِي مُنتَصِبَ القَامَةِ، بخُطوَةٍ نَشِطَةٍ وَسَلِسَة،
أَن تَتَطَلَّعَ بِنَظرَةٍ هَادِئَةٍ أَو بِعَينٍ وَامِضَة،
أَن تَتَكَلَّمَ بِصَوتٍ مُفعَمٍ وَمُجَلجِلٍ مِن صَدرٍ عَرِيض،
أَن تُوَاجِهَ بِشَخصِيَّتِك جَمِيعَ الشَّخصِيَّاتِ الأُخرَى عَلَى وَجهِ الأرض.

فَهَل تَدرِي مَا هِي أَجمَلُ مَبَاهِجِ الشَّبَاب؟
مَبَاهِجِ الرِّفَاقِ الأعِزَّاءِ ذَوِي الحَدِيثِ المَرِحِ وَالوَجهِ الضَّاحِك؟
بَهجَةِ اليَومِ السَّعِيدِ المُشرِق، بَهجَةِ الألعَابِ ذَات النَّفَسِ العَرِيض؟
بَهجَةِ الموسِيقَى العَذبَة، بَهجَةِ قَاعَةِ الرَّقصِ المُنِيرَة وَالرَّاقِصِين؟
بَهجَةِ العَشَاءِ الوَفِير، وَالاحتِفَالِ الصَّاخِب وَالشُّرب؟

لَكِنَّك يَا رُوحِي السَّامِيَة!
هَل تَعرِفِين مَبَاهِجَ الفِكرِ المتَأمِّل؟
مَبَاهِجَ القَلبِ الحُر وَالمُنعَزِل، القَلبِ الكَئِيبِ، وَالحَنُون؟
مَبَاهِجَ التَّمشِيَةِ المنعَزِلَة، وَإِطرَاقَةَ الرُّوحِ الأَبِيَّة، وَالمعَانَاةَ وَالكِفَاح؟
الآلَامَ المُعَذِّبَة، وَالنَّشوَاتِ، وَمَبَاهِجَ تَسلِيَاتٍ رَصِينَةٍ ذَاتِ نَهَارٍ أَو لَيل؟
مَبَاهِجَ فِكرَةِ المَوت، وَالكَوَاكِبَ العُظمَى لِلـزَّمَنِ وَالفَضَاء؟
وَالمبَاهِجَ النَّبوِيَّةَ لِمُثُل الحُب الأسمَى، الأفضَل، وَالزَّوجَةَ السَّمَاوِيَّة، وَالرَّفِيقَ الحَنُون، الأبَدِي، الكَامِل؟
هِي مَبَاهِجُك جَمِيعًا يَا مَن لَا تَموتِين، مَبَاهِجُ جَدِيرَةٌ بِك أَيَّتُهَا الرُّوح.

آهِ فِيمَا أَعِيشُ لأُصبِحَ سَيِّدَ الحَيَاةِ، لَا عَبدًا لَهَا،

لأُقَابِلَ الحَيَاةَ كَقَاهِرٍ مُفعَمٍ بِالقُوَّة،
لَا دُخَان، لَا ضَجَر، لَا شَكَاوَى بَعدَ الآن وَلَا انتِقَادَاتٍ مُزدَرِيَة،
لِهَذِه القَوَانِين الأَبِيَّةِ لِلهَوَاءِ، وَالمِيَاهِ وَالأَرض، التِي تُثبِتُ رُوحِي الدَّاخِلِيَّةَ العَصِيَّةَ،
وَلَا شَيءَ خَارِجِيًّا سَيملِكُ السَّيطَرَةَ عَلَيَّ.

فَمَا مِن أَجلِ مَبَاهِجِ الحَيَاةِ وَحدَهَا أُغَنِّي، مِرَارًا – إِنَّهَا بَهجَةُ المَوت!
اللَّمسَةُ الجَمِيلَةُ لِلـمَوت، المهَدِّئَةُ وَالمخَدِّرَةُ لِبِضعِ دَقَائِق، عَن عَمد،
وَنفسِي تُفرِغُ جَسَدِي المتَبَرِّز لِيُحرَق، أَو لِيستَحِيلَ إِلَى غُبَار، أَو يُدفَن،
وَجَسَدِي الحَقِيقِي يُترَكُ لِي بِلَا شَكٍّ مِن أَجلِ كَوَاكِب أُخرَى،
وَجَسدَي الخَاوِي لَم يَعُد لِي، عَائِدًا إِلَى عَمليَّاتِ تَطهِير، إِلَى وَظَائِف أَبعَد،
وَاستِخدَامَاتٍ أَبَدِيَّةٍ لِلأَرض.

آهِ لَو أَجتَذِب بِمَا هُو أَكثَر مِن الجَاذِبِيَّة!
كَيف لِي أَلَّا أَعرِف ذَلِك – لَكِن انظُر! الشَّيء الذِي لَا يُطِيعُ أَحدًا مِن البَاقِين،
إِنَّه مُستَفِز، وَلَيس دِفَاعِيًّا أَبَدًا – لَكِن كَم يَجتَذِب بِفِتنَة.

آهِ لَو أُنَاضِل ضِد الغَرَائِبِ الكَبِيرَة، أَن أَلتَقِي بِالأَعدَاءِ البَوَاسِل!
أَن أَكُون وَحِيدًا تَمَامًا مَعَهُم، لأَعرِفَ كَم يُمكِن لِلمَرءِ الصُّمُود!
أَن أَنظُرَ وَجهًا لِوَجهٍ إِلَى الكِفَاح، وَالتَّعذِيب، وَالسِّجن، وَالعَارِ الشَّعبِي!
أَن أَصعَد المِشنَقَة، أَن أَتَقَدَّمَ إِلَى فُوهَات البَنَادِقِ بِلَا مُبَالَاةٍ تَامَّة!
أَن أَكُونَ إِلَهًا حَقًّا!

آهِ لَو أُبحِر فِي البَحر بِسَفِينَة!
لَو أَترُك هَذِه الأَرضَ الرَّاسِخَةَ التِي لَا تُطَاق،

لَو أَترُك التَّمَاثُلَ المُرهِقَ لِلشَّوَارِع، لِلمَمَاشِي وَالمنَازِل،
لَو أَترُككِ أَنتِ أَيَّتُهَا الأَرضُ الصَّلدَةُ السَّاكِنَة، وَأدخُل سَفِينَة،
لأُبحِرَ وَأُبحِرَ وَأُبحِر!
آهِ لَو أَمتَلِكُ حَيَاةً مِن الآنَ فَصَاعِدًا كقَصِيدَةٍ مِن مَبَاهِج جَدِيدَة!
لَو أَرقُص، أَشبِك اليَدَين، أَنتَشِي، أَصِيح، أَنزَلِق، أَقفِز، أَتَدحرَج، أَطفُو!
لَو أَكُون بَحَّارًا لِلعَالَم المَربُوطِ بِكُل المَوَانِئ،
بَل سَفِينَةً بِذَاتِهَا (فَلتَنظُر حَقًّا إِلَى هَذِهِ الأشرِعَةِ التِي أَنشُرهَا لِلشَّمسِ وَالهَوَاء)،
سَفِينَةً سَرِيعَةً ذَات أُبَّهَةٍ مَلِيئَةً بِكَلِمَاتٍ خِصبَةٍ، مُفعَمَةٍ بِالمبَاهِج.

أُغنيَــة الفأس العريضَــة

[1]

سِلَاحٌ جَمِيلٌ، عَارٍ، شَاحِب،
رَأسٌ مَجبُولَةٌ مِن أَحشَاءِ الأُم،
جَسَدٌ خَشَبِيٌّ وَعَظمٌ مَعدَنِي، وَعُضوٌ وَاحِدٌ فَحَسب وَشَفَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسب،
وَرَقَةُ شَجَرٍ زَرقَاءُ رَمَادِيَّةٌ كَبُرت بِالحَرَارَةِ الحَمرَاء، وَمِقبَضٌ نَجَمَ عَن بِذرَةٍ صَغِيرَةٍ مَزرُوعَة،
ظَلَّت وَسطَ العُشبِ وَفوقَه، لِتَتَّكِئَ عَلَيهِ وَيَتَّكِئَ عَلَيهَا.

أَشكَالٌ قَوِيَّةٌ وَسِمَاتٌ لأشكَالٍ قَوِيَّة، وَحِرَفٌ ذُكُورِيَّةٌ، وَمَنَاظِرُ وَأَصوَات،
سِلسِلَةٌ طَوِيلَةٌ مُتنَوِّعَةٌ لِشِعَارٍ ما، وَلَمَسَاتٌ مِن مُوسِيقَى،
وَأَصَابِعُ عَازِفِ الأرغُن تنزَلِقُ مُتَقَطِّعَةً عَلَى مَفَاتِيح الأُرغُن الكَبِير.

[2]

أَهلًا بِكُلِّ بُلدَانِ الأرض، كُلٌّ حَسبَ نوعِه،
أَهلًا بِبُلدَانِ الصُّنُوبَرِ وَالسِّندِيَان،
أَهلًا بِبُلدَانِ اللَّيمُونِ وَالتِّين، أَهلًا بِبُلدَان الذَّهَب،
أَهلًا بِبُلدَان القَمحِ وَالذُّرَة، أَهلًا بِبُلدَانِ الكُرُوم،

أَهلًا بِبُلدَان السُّكَّر وَالأُرز،
أَهلًا بِبُلدَانِ القُطن، أَهلًا بِبُلدَان البَطَاطِس البَيضَاءِ وَالبَطَاطَا،
أَهلًا بِالجِبَالِ، بِالسُّهُولِ، بِالرِّمَالِ، بِالأحرَاجِ، بِالبَرَارِي،
أَهلًا بِالحُدُودِ الغَنِيَّةِ بِالأنهَار، بُلدَانِ النُّجُودِ، وَالخَلَاءَات،
أَهلًا بِبُلدَانِ الرَّعي بِلَا نَظِير، أَهلًا بِالتُّربَةِ المنجِبَةِ لِبَسَاتِين الفَوَاكِه، وَالكِتَّانِ، وَعَسَلِ النَّحلِ، وَالقِنَّب؛
أَهلًا بِنَفسِ القَدرِ بِالبُلدَانِ الأُخرَى لِذَوِي الوُجُوهِ الصَّارِمَة،
البُلدَانِ الغَنِيَّةِ كَبُلدَانِ الذَّهَبِ أَو القَمح وبُلدَان الفَاكِهَة،
بُلدَانِ المنَاجِم، بُلدَانِ المعَادِنِ النَّفِيسَةِ الرُّجُولِيَّةِ وَالصَّلدَة،
بُلدَانِ الفَحمِ، وَالنُّحَاس، وَالرَّصَاصِ، وَالقَصدِير، وَالزِّنك،
بُلدَان الحَدِيد، بُلدَان صُنعِ الفَأس.

[3]

الزِّندُ فِي كَومَةِ الأخشَاب، الفَأسُ مدعُومَةٌ بِهَا،
الكُوخُ الغَابِي، وَالكَرمَةُ فَوقَ المَدخَل، وَالمسَاحَةُ مُخلَاةٌ مِن أَجلِ حَدِيقَة،
الطَّرقُ المتَقَطِّعُ لِلمطَر عَلَى أَورَاقِ الأشجَارِ بَعد سُكُون العَاصِفَة،
العَوِيلُ وَالأنِينُ المتقَطِّع، التَّفكِيرُ فِي البَحر،
التَّفكِيرُ فِي سُفُن مَضرُوبَةٍ بِالعَاصِفَة مُلقَاةً عَلَى جَنبِهَا، وَتَمزِيقِ الصَّوَارِي،
الإحسَاسُ بِالعَوَارِضِ الخَشَبِيَّةِ الضَّخمَةِ بِالمنَازِلِ وَالحَظَائِرِ عَتِيقَةِ الطِّرَاز،
النُّسخَةُ أَو الحكَايَةُ التِي تَم تَذكُّرهَا، وَالرِّحلَةُ فِي مُغَامَرَةِ الرِّجَال، وَالعَائِلَاتُ، وَالبَضَائِع،
النُّزُولُ مِن السَّفِينَة، وَالعُثُورُ عَلَى مَدِينَةٍ جَدِيدَة،
رِحلَةُ هَؤلَاءِ البَاحِثِين عَن نيُو إنجلَند وَعثُورُهُم عَلَيهَا، وَالانطلاقُ إِلَى أَيِّ مَكَان،
مُستَوطَنَاتُ أَركَانسَاس، كُلُورَادُو، أُوتَاوَا، وِيلَامِيت،
التَّقَدُّمُ البَطِيء، المسَافِرُ بِلَا مَتَاع، الفَأسُ، البُندُقِيَّةُ، حَقَائِبُ السَّرج؛
جَمَالُ جَمِيعِ الأشخَاصِ المُغَامِرِين وَالمجتَرِئِين،

جَمَالُ صِبيَانِ الغَابَةِ وَرِجَالِ الغَابَةِ بِوُجُوهِهِم الصَّافِيةِ بِلَا أَنَاقَة،
جَمَالُ الاستِقلَال، وَالارتِحَال، وَالأفعَالِ التِي تعتَمِدُ عَلَى ذَاتِهَا،
الازدِرَاءُ الأمِيرِيكِي لِلتَّشرِيعَات وَالاحتِفَالَات، نَفَادُ الصَّبرِ بِلَا حُدُودٍ عَلَى الكَبح،
الميلُ المتَحَرِّرُ لِلشَّخصِيَّة، الإلمَاعَةُ خِلَالَ الأنمَاطِ الاعتِبَاطِيَّة، الصَّلَابَة؛
الجَزَّارُ فِي مَبنَى المَجزَر، وَالأيدِي عَلَى مَتنِ قَوَارِب السكُونَر وَمَرَاكب السلُوب، صَانِعُ الأطوَاف، الرَّائِد،
الحَطَّابُون فِي مُخَيَّم الشِّتَاء، ظُهُورُ الفَجرِ فِي الغَابَات، شَرَائِحُ الثَّلج عَلَى أَغصَانِ الأشجَار، العَضَّةُ العَابِرَة،
النَّبرَةُ الصَّافِيَةُ السَّعِيدَةُ فِي صَوتِ شَخصٍ مَا، الأُغنِيَةُ المرِحَة، الحَيَاةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلغَابَات، العَمَلُ القَوِيُّ لِليَوم،
تَوَهُّجُ النَّارِ فِي اللَّيل، المذَاقُ العَذبُ لِلعَشَاء، الحَدِيثُ، سَرِيرُ أَغصَانِ الشُّوكرَان وَجِلد الدُّب؛
بَنَّاءُ المنَازِل يَعمَل فِي المُدُنِ أَو فِي أَيِّ مَكَان،
الرَّبطُ الأوَّلِي، التَّربِيع، القَطعُ بِالمنشَار، التَّثبِيت،
رَفعُ العَوَارِض، دَفعُها فِي مَوَاضِعِهَا، تَمدِيدُهَا بِصُورَةٍ مُنتَظِمَة،
نَصبُ الأعمِدَةِ الخَشَبِيَّةِ بِأَلسِنَتِهَا فِي التَّجَاوِيفِ المُعَدَّةِ لِذَلِك،
ضَرَبَاتُ المطَارِقِ وَالشَّوَاكِيش، أَمزِجَةُ الرِّجَال، أَعضَاؤُهُم المحنِيَّة،
الانحِنَاءُ، الوُقُوفُ، العَوَارِضُ مُنفَرِجَة، غَرسُ المسَامِير، ضَمُّهَا مَعًا بِالأعمِدَةِ وَالدُّعَامَات،
الذِّرَاعُ المعقُوفَةُ فَوقَ العَارِضَةِ الأُفُقِيَّة، وَالذِّرَاعُ الأُخرَى تَلحِم المحوَر،
رِجَالُ الأرضِيَّةِ يَدفَعُون الألوَاحَ إِلَى الالتِصَاقِ لِيُسَمِّرُوهَا،
أَوضَاعُهُم تُوَجِّه أَدَوَاتِهِم إِلَى الأسفَل عَلَى الحَوَامِل،
وَالأصدَاءُ تَرِن خِلَال المبنَى الخَاوِي؛
وَالمستَودَعُ الضَّخمُ أُقِيم فِي المدِينَة أَسفَلَ الطَّرِيقِ تَمَامًا،

وَرِجَالُ الهَيكَلِ السِّتَّة، اثنَانِ فِي المنتَصَفِ وَاثنَان عِندَ كُلِّ طَرَف، يَحمِلُون بِعِنَايَةٍ عَلَى أَكتَافِهِم لَوحًا ثَقِيلًا كَعَارِضَةٍ مُتقَاطِعَة،

الطَّابُورُ المحتَشِدُ مِن البَنَّائِين بِالأَدَوَاتِ فِي أَيدِيهِم اليُمنَى يَتمَدَّدُ بِسُرعَةٍ عَلَى امتِدَادِ جانِب الحَائِط، مَائِتَا قَدَمٍ مِن المقدِّمَةِ إِلَى المؤَخِّرَة،

النُّهُوضُ وَالانحِنَاءُ المَرِنُ لِلظُّهور، الطَّرقَةُ الدَّائِمَةُ لِلمَسطَرِين عَلَى الطُّوب،

الطُّوبُ وَاحِدَةٌ بَعدَ الأُخرَى وَكُلُّ طُوبَةٍ مَنصُوبَةٌ بِبَرَاعَةٍ كَبِيرَة فِي مَكَانِهَا، وَتَستَقِر بِضَربَةٍ مِن مِقبَض المسطَرِين،

أَكوَامُ الأَدوَات، المِلَاطُ عَلَى أَلوَاحِ المِلَاط، وَالتَّزوِيدُ الدَّائِم المنتَظِمُ مِن مُسَاعِدِي البَنَّائِين ؛

صُنَّاعُ العَمُودِ القَائِمِ فِي فِنَاءِ العَمُود، الصَّفُّ المحتَشِدُ مِن صِبيَانِ العَمَل الكِبَار،

تَأَرجُحُ فُؤُوسِهِم عَلَى العَمُودِ المُرَبَّع لِيَأخُذَ شَكلِ الصَّارِي،

الفَرقَعَةُ القَصِيرَةُ المفَاجِئَةُ لِلحَدِيد المندَفِع بِصُورَةٍ مُنحَرِفَةٍ فِي خَشَبِ الصُّنُوبَر،

السُّفُن بِلَونِهَا السَّمنِي تَطفُو فِي شَظَايَا وَقُشُورٍ كَبِيرَة،

الحَرَكَةُ الرَّشِيقَةُ لأَذرُعٍ فَتِيَّةٍ مَفتُولَةٍ وَأَفخَاذٍ فِي مَلَابِس فَضفَاضَة،

مُهَندِسُ إِنشَاءِ أَرصِفَةِ التَّحمِيل، وَالكبَارِي، وَأَرصِفَةِ البَحر، وَالحَوَاجِز، يَطفُو، يَبقَى أَمَامَ البَحر؛

رِجَالُ إِطفَاءِ المَدِينَة، وَالنَّارُ الَتِي تَنفَجِرُ فَجأَةً فِي المَيدَان الضَّيِّقِ المكَدَّس،

وُصُولُ الأَدوَات، الصَّيحَاتُ الخَشِنَة، الخَطو الرَّشِيقُ الجَرِيء،

الأمرُ القَوِي مِن خِلَالَ أَبوَاقِ النَّار، الهبُوطُ فِي طَابُور، ارتِفَاعُ وَانخِفَاضُ الأَيدِي الدَّافِعَةِ لِلمِيَاه،

الدَّفقَاتُ النَّحِيلَةُ البَيضَاءُ المزرَقَّة، فِي نَوبَاتٍ، إِحضَارُ الخَطَاطِيفِ وَالسَّلَالِم وَنَصبُهَا،

تَحطِيمُ وَكَسرُ الرَّوَابِطِ الخَشَبِيَّة، أَو مِن خِلَالِ الطَّوَابِقِ لَو كَانَت النِّيرَانُ كَامِنَةً تَحتَهَا،

الحَشدُ بِوُجُوهِهِم المضَاءَةِ يَتفَرَّجُون، وَالظِّلَالُ المُتَوَهِّجَةُ وَالكَثِيفَة؛

الحَدَّادُ أَمَامَ فُرنِ الصَّهر وَوَرَاءَه مُستَخدِمُ الحَدِيد،

صَانِعُ الفُؤُوسِ الكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَة، وَاللَّحَّام وَسَقَّاءُ الحَدِيد،
المُشتَرِي يَنفُثُ أَنفَاسَه عَلَى الحَدِيدِ البَارِدِ وَيُجَرِّبُ حَافَّتَه بِإِبهَامِه،
العَامِلُ الذِي يُشَذِّبُ المقبَضَ وَيَضَعُه بِقُوَّةٍ فِي الفَتحَة؛
المَوَاكِبُ الظَّلِيلَةُ لِصُوَرٍ وُجُوهِ المستَخدِمِين القدَامَى أَيضًا،
المِيكَانِيكِيُّون الأَوَائِلُ الصَّبُورُون، المعمَارِيُّون وَالمهَندِسُون،
الصَّرحُ الآشُورِيُّ البَعِيدُ وَصَرحُ مِيزرَا،
رِجَالُ التَّشرِيفَات الرُّومَان يَتَقَدَّمُون القَنَاصِل،
المُقَاتِلُ الأُورُوبِّي القدِيم بِفَأسِه فِي المعرَكَة،
الأَذرُعُ المَرفُوعَةُ، قَعقَعَةُ الضَّربَات عَلَى الرُّؤُوسِ ذَات الخَوذَات،
عُوَاءُ المَوت، الجَسَدُ المُرتَعِشُ المتَرَنِّح، اندِفَاعُ الأَصدِقَاءِ وَالأَعدَاءِ إِلَى هُنَاك،
حِصَارُ الأَتبَاعِ المتَمَرِّدِين المصَمِّمِين عَلَى الحُرِيَّة،
الدَّعوَاتُ إِلَى الاستِسلَام، مُهَاجَمَةُ بَوَّابَاتِ القَلعَة، الهُدنَةُ وَالتَّفَاوُض،
نَهبُ مَدِينَةٍ قَدِيمَة فِي زَمَنِهَا،
اندِفَاعُ المرتَزَقَة وَالمتَعَصِّبِين فِي هِيَاجٍ وَفَوضَى،
هَدِيرٌ، لَهِيبٌ، دِمَاءٌ، سُكرٌ، جُنُون،
سَلبُ البَضَائِعِ بِحُرِيَّةٍ مِن المَنَازِلِ وَالمعَابِد، صَرخَاتُ النِّسَاء فِي قَبضَةِ قُطَّاعِ الطُّرُق،
خِدَاعُ وَلُصُوصِيَّةُ تَابِعِي المُعَسكَر[*]، رَكضُ الرِّجَالِ، وَيَأسُ العَجَائِز،
جَحِيمُ الحَرب، فَظَاظَاتُ العَقَائِد،
قَائِمَةُ جَمِيعِ الأَفعَالِ وَالأَوَامِرِ التَّنفِيذِيَّةِ الصَّحِيحَةِ أَو غَيرِ الصَّحِيحَة،
قُوَّةُ الشَّخصِيَّةِ الصَّحِيحَةِ أَو غَيرِ الصَّحِيحَة.

[4]

العَضَلَاتُ وَالعَزِيمَةُ أَبَدًا!

[*] الملتحقون بالمعسكرات، بلا صفة رسمية، كالغسَّالات والعاهرات، إلخ..

مَا يُنعِشُ الحَيَاةَ يُنعِشُ المَوت،
وَالميِّتُ يَتقَدَّم بِقَدرِ مَا يَتقَدَّمُ الحَي،
وَالمستَقبَلُ لَيسَ بِأَكثَر التِبَاسًا مِن الحَاضِر،
ذَلِكَ أَن فَظَاظَةَ الأَرض وَالإِنسَان تَنطَوِي عَلَى مَا تَنطَوِي عَليهِ رَهَافَةُ الأَرض وَالإِنسَان،
وَلَا يَبقَى سِوَى السِّمَاتِ الشَّخصِيَّة.

فَمَا الذِي يَبقَى فِي ظَنِّك؟
هَل تَظُن أَن مَدِينَةً عَظِيمَة تَبقَى؟
أَو حَالَةَ تَصنِيعٍ مُتَزَايِد؟ أَو دُستُورًا جَاهِزًا؟ أَو أَفضَلَ البَوَاخِرِ بِنَاءً؟
أَم فَنَادِقَ الجَرَانِيتِ وَالحَدِيد؟ أَم أَيَةَ رَائِعَةٍ مِن رَوَائِعِ الهَندَسَةِ، أَو الحُصُونِ، أَو العَتَادِ الحَربِي؟

مُطلَقًا! فَتِلكَ لَا تُقَدَّرُ لِذَاتِهَا،
إِنَّهُم يَشغَلُون سَاعَتَهم، يَرقُصُ الرَّاقِصُون، يَعزِفُ لَهُم المُوسِيقِيُّون،
يَمُر العَرضُ، يَقُوم الجَمِيعُ بِمَا يَنبَغِي بِالطَّبع،
يَقُومُ الجَمِيعُ بِمَا يَنبَغِي تَمَامًا إِلَى أَن تَنطَلِقَ إِحدَى وَمضَاتُ التَّحَدِّي.

المَدِينَةُ العَظِيمَةُ هِي التِي تَضُم رِجَالًا وَنِسَاءً عُظَمَاء،
وَلَو كَانَت بِضعَ أَكوَاخٍ مُهلهَلَةٍ فَستَظَل المَدِينَةَ الأَعظَمَ فِي العَالَم أَجمَع.

[5]

المَكَانُ الذِي تَنتَصِبُ فِيه المَدِينَةُ العَظِيمَةُ لَيسَ مَكَانَ أَرصِفَةِ التَّحمِيلِ المَمدُودَةِ،
وَأَحوَاضِ السُّفُن، وَالمَصَانِع، وَعَرَابِين المُنتَجَاتِ فَقَط،
وَلَا مَكَانَ التَّحِيَّاتِ بِلَا نِهَايَةٍ لِلقَادِمِين الجُدُد أَو رَافِعِي مِرسَاةِ الرَّحِيل،

وَلَا مَكَانَ أَطوَل وَأَغلَى المبَانِي أَو المحلات التِي تَبيعُ بَضَائِعَ قَادِمَةً مِن بَقِيَّة الأَرض،
وَلَا مَكَانَ أَفضَلِ المَكتَبَاتِ وَالمدَارِس، وَلَا المَكَانَ الذِي تَكثُر فِيه الأموَال،
وَلَا المَكَان الأكثَر كَثَافَةً فِي السُّكَّان.

بَل حَيثُ تَنتَصِبُ المَدِينَةُ بِأَبنَائِهَا الأشِدَّاءِ مِن الخُطَبَاءِ وَالمُغَنِّين،
حَيثُ تَنتَصِبُ المَدِينَةُ مَحبُوبَةً مِن هَؤلَاء، وَمَحبُوبِين مِنهَا فِي المقَابِل وَتَفهَمُهُم،
حَيثُ لَا صُرُوحَ لأبطَالٍ إِلَّا بِالكَلِمَاتِ وَالأفعَالِ العَادِيَّة،
حَيثُ العَافِيَةُ فِي مَوضِعِهَا، وَالحصَافَةُ فِي مَوضِعِهَا،
حَيثُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قَلِيلًا مَا يُفَكِّرُون فِي القَوَانِين،
حَيثُ يَنتَهِي العَبِيدُ، وَيَنتَهِي سَادَةُ العَبِيد،
حَيثُ يَهُبُّ النَّاسُ فِي الحَالِ ضِد بَلَاهَةِ الأشخَاصِ المُنتَخَبِين اللَّانِهَائِيَّة،
حَيثُ يَندَفِقُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الشَّرِسُون قُدُمًا مِثلَ البَحرِ مَعَ صَفِيرِ الموتِ الذِي يَدفقُ أَموَاجَه الجَارِفَةَ الممَزِّقَة،
حَيثُ السُّلطَةُ الخَارِجِيَّةُ تَدخُل دَائِمًا بَعدَ أَسبَقِيَّةِ السُّلطَةِ الدَّاخِلية،
حَيثُ المواطِنُ هُو دَائِمًا الرَّأسُ وَالمثَال، أَمَّا الرَّئِيسُ، وَالعُمدَةُ، وَالحَاكِمُ وَغَيرِهِم، فَهُم مُوَظَّفُون بِأَجر،
حَيثُ الأطفَالُ يَتَعَلَّمُون أَن يَكُونُوا قَوَانِين أَنفُسِهِم، وَأَن يَعتَمِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم،
حَيثُ الرَّصَانَةُ مُرتَسِمَةٌ فِي العلَاقَات،
حَيثُ التَّأمُّل فِي الرُّوح مَوضِعُ تَشجِيع،
حَيثُ النِّسَاءُ يَمشِين فِي مَوَاكِبَ عَامَّةٍ فِي الشَّوَارِع شَأنَ الرِّجَال،
حَيثُ يَدخُلن الاجتِمَاعَ العَام وَيَتَّخِذنَ أَمَاكِنَهُن شَأنَ الرِّجَال؛
حَيثُ تَنتَصِبُ مَدِينَةُ أَخلَصِ الأصدِقَاء،
حَيثُ تَنتَصِبُ مَدِينَةُ نَظَافَةِ الجِنسَين،
حَيثُ تَنتَصِبُ مَدِينَةُ الآبَاءِ الأعفَى،

حَيثُ تَنتَصِبُ مَدِينَةُ الأُمَّهَاتِ الأفضَل جَسَدًا،
هُنَالِك تَنتَصِب المَدِينَةُ العَظِيمَة.

[6]

كَم يَبدُو الجِدَالُ بَائِسًا إِزَاءَ فِعلٍ مُتَحَدٍّ!
كَم تَذوِي زَخرَفَةُ مَوَاد المدُن أَمَامَ نَظرَةِ رَجُلٍ أَو امرَأة!

الجَمِيعُ يَنتَظِرُون أَو يَمضُون مُغَيَّبِين إِلَى أَن يَظهَرَ كَائِنٌ قَوِي؛
فَكَائِنٌ قَوِي هُو بُرهَانُ الجِنسِ البَشَرِي وَقُدرَةِ الكَون،
حِين يَظهَرُ أَو تَظهَر تَرتَعِدُ الموَاد،
يَتَوَقَّف النِّزَاعُ عَلَى الرُّوح،
وَالعَادَاتُ وَالعِبَارَاتُ القَدِيمَةُ تَتِم مُوَاجَهَتُهَا، تَنقَلِب، أَو يُطَاحُ بِهَا.

مَا هُو مَصدَرُ رِزقِكَ الآن؟ مَا الذِي يُمكِنُ فِعلُه الآن؟
مَا هِي قَابِلِيَّتُك لِلاحتِرَام الآن؟
مَا هِو لَاهُوتُك، تَعلِيمُك، مُجتَمَعُك، تُرَاثُك؟ كُتبُك التَّشرِيعِيَّة، الآن؟
أَين هِي الآن أَشرِعَةُ كَينُونَتِك؟
أَين هِي الآن اعتِرَاضَاتُك التَّافِهَةُ بِشَأنِ الرُّوح؟

[7]

مَشهَدٌ طَبِيعِيٌّ عَقِيمٌ يُغَطِّي المعدَنَ النَّفِيس، هُنَاكَ فِي الوَاقِع مَا هُو أَفضَل مِن كُل مَظهَرٍ مُنَفِّر،
هُنَاكَ المنجَم، وَهُنَاكَ عُمَّالُ المنَاجِم،
فُرنُ الحَدَّادِ هُنَاك، وَالانصِهَارُ اكتَمَل، وَرِجَالُ المطَارِقِ بِالملَاقِطِ وَالمطَارِقِ فِي أَيدِيهِم،
فَمَا استُخدِمَ وَيُستَخدَمُ دَائِمًا فِي مُتَنَاوَل اليَد.

سِوَى ذَلِك لَم يُستَخدَم مَا هُو أَفضَل، لَقَد استُخدِم فِي كُل شَيء،
استَخدَمَه اليُونَانِيُّون المُرهَفُون الفُصَحَاء، وَطَوِيلًا قَبلَ اليُونَانِيِّين،
استُخدِم فِي بِنَاءِ المَبَانِي التِي دَامَت أكثَر مِن سِوَاهَا،
استَخدَمَه العبرَانِيُّون، وَالفُرسُ، وَهندُوستَان الأقدَم،
استَخدَمَه رَافِعُو المَتَارِيسِ عَلَى المِيسِيسِبِّي، استَخدَمَه هَؤلَاء الذِين بَقِيَت نَفَائِسُهُم فِي أَمِيرِيكَا الوُسطَى،
وَاستُخدِمَ فِي مَعَابِد الأَلبِ فِي الغَابَاتِ أَو السُّهُول، مَعَ نُصُبٍ غَير مَنحُوتَةٍ وَكَهَنَة،
استُخدِمَ فِي الصُّدُوعِ الاصطِنَاعِيَّةِ، الشَّاسِعَةِ، العَالِيَةِ، الصَّامِتَةِ، عَلَى التِّلَالِ المغَطَّاةِ بِالثُّلُوجِ فِي اسكَندِينَافيَا،
استَخدَمَه هَؤلَاء الذِين نَقَشُوا عَلَى الجُدرَانِ الجرَانِيت- دُونَ اعتِبَارٍ لِلزَّمَن- رُسُومًا تَخطِيطِيَّةً لِلشَّمسِ، وَالقَمَر، وَالنُّجُومِ، وَالسُّفُن، وَأَموَاجِ المُحِيط،
وَاستُخدِمَ فِي مَمَرَّاتِ إِغَارَاتِ القُوط[*]، وَاستُخدِمَ لَدَى القَبَائِلِ الرَّعَوِيَّةِ وَالبَدو،
استَخدَمَه الكِلتِيُّون البَعِيدُون[**]، والقَرَاصِنَةُ المجتَرِئُون فِي البَلطِيق،
استَخدَمَه قَبلَ أَيٍّ مِن هَؤلَاء الرِّجَالُ الأَجِلَاءُ المُسَالِمُون فِي إِثيُوبيَا،
وَاستُخدِمَ فِي صُنعِ الخَوذَاتِ لسُفُنِ المُتعَة وَصُنعِهَا مِن أَجلِ الحَرب،
وَاستُخدِمَ فِي جَمِيعِ الأعمَالِ العَظِيمَةِ عَلَى الأرض وَجَمِيعِ الأعمَالِ العَظِيمَةِ عَلَى البَحر، فِي العُصُورِ الوُسطَى وَقَبلَ العُصُورِ الوُسطَى،
استُخدِمَ لَا مِن أَجلِ الأحيَاءِ فَقَط كَمَا الآن، بَل أَيضًا مِن أَجل المَوتَى.

[8]

أَرَى الجَلَادَ الأُورُوبِّي،
يَقِفُ وَاضِعًا القِنَاعَ، بِمَلَابِسَ حَمرَاءَ، بِقَدَمَين ضَخمَتَين وَذِرَاعَين قَوِيَّتَين عَارِيَتَين،

[*] القوط: شعب جرماني مشرقي، لعب دورًا هامًّا في سقوط الامبراطورية الرومانية، وظهور أوروبا في العصر الوسيط.

[**] الكلتيون Kelt أو السلتيون Celt: عرق هندي أوروبي، كان يقطن أجزاء واسعة من أوروبا الغربية.

وَيَنحَنِي عَلَى فَأسٍ ثَقِيلَة.

(فَمَن الذِي ذَبَحتَه مُؤَخَّرًا أَيُّهَا الجَلَادُ الأُورُوبِّي؟
لِمَن ذَلِكَ الدَّمُ مَا يَزَالُ طَرِيًّا وَمُتَخَثِّرًا عَلَيكَ؟)

أَرَى الغُرُوبَ الصَّافِي لِلشُّهَدَاء،
أَرَى مِن المَشَانِقِ الأشبَاحَ الهَابِطَة،
أَشبَاحَ سَادَةٍ مَوتَى، وَسَيِّدَاتٍ غَير مُتَوَّجَات، وَوُزَرَاءَ مُتَّهَمِين، وَمُلُوكًا مَطرُودِين،
خُصُومًا، خَوَنَةً، مُفسِدِين، رُؤسَاءَ عِصَابَاتٍ وَقَبَائِل وَالبَاقِين.

أَرَى هَؤلَاءِ الذِينَ مَاتُوا – فِي أَيِّ بَلَدٍ– مِن أَجلِ قَضِيَّةٍ عَادِلَة،
البِذرَةُ مَحفُوظَة، لَكِن المحصُولَ لَن يَنفَدَ أَبَدًا،
(فَتَذَكَّرُوا أَيُّهَا المُلُوكُ الأجَانِب، أَيُّهَا الكَهَنَة، إِن المحصُولَ لَن يَنفَدَ أَبَدًا).

أَرَى الدَّمَ قَد أُزِيلَ تَمَامًا عَن الفَأس،
وَالمِقبَضُ وَالشَّفرَةُ نَظِيفَان.

لَن يُهرِقُوا بَعدَ الآن دَمَ النُّبَلَاءِ الأُورُوبِّيِّين، لَن يُمسِكُوا بَعدَ الآن بِأَعنَاقِ المَلِكَات.

أَرَى الجَلَادَ يَنسَحِب وَيُصبِحُ بِلَا جَدوَى،
أَرَى المِشنَقَةَ بِلَا أَحَدٍ وَبَالِيَة، وَلَم أَعُد أَرَى عَلَيهَا أَيَّةَ فَأس،
أَرَى الشِّعَارَ القَوِيَّ وَالصَّدِيقَ لِقُوَّةِ جِنسِيَ البَشَرِي، الجِنسِ الأحدَث، الأكبر.

[9]

(أَمِيرِيكَا! لَا أَتَبَجَّحُ بِحُبِّي لَك،
فَأنَا أَملِكُ مَا أَملِك).

الفَأسُ تَقفِـز!

الغَابَةُ الصَّلدَةُ تُصدِرُ كَلَامًا سَائِلًا،

يَتَدَفَّق مُختَلِطًا، يَنبَثِقُ وَيَتَشَكَّل،

كُوخًا، خَيمَةً، رَصِيفَ مِينَاء، مَسَّاحَ أَرَاض،

مِدرَاسًا، مِحرَاثًا، مِعوَلًا، عَتَلَةً، جَارُوفًا،

لَوحًا خَشَبِيًّا، سِيَاجًا، دُعَامَةً، كِسَاءَ جِدَارٍ، إِطَارَ بَابٍ وَنَافِذَة، شَرِيحَةً خَشَبِيَّةً، لَوحَةً، جَمَلُونًا،

قَلعَةً، سَقفًا، قَاعَةً، أَكَادِيمِيَّةً، أُرغُنًا، قَاعَةَ مَعرَض، مَكتَبَة،

إِفرِيزًا، تَعرِيشَةً، عَمُودًا، شُرفَةً، نَافِذَةً، بُرجًا، رُوَاقًا،

مِعزَقَةً، مِدَمَّةً، مِذرَاةً، قَلَمَ رَصَاص، عَرَبَةً، عَارِضَةً، مِنشَارًا، مِسحَاجًا، مِطرَقَةً، وَتَدًا، مِقبَضًا،

مِقعَدًا، حَوضَ غَسِيل، طَوقًا، مِنضَدَةً، بَابًا صَغِيرًا، مِروَحَةً، إِطَارًا، طَابِقًا،

عُلبَةَ أَدَوَات، خِزَانَةً، آلَةً وَتَرِيَّةً، قَارِبًا، إِطَارًا، وَمَا لَيسَ كَذَلك،

مَبَانِي بَرلَمَانَات الوِلَايَات، وَمَبنَى بَرلَمَان شَعبِ الوِلَايَات،

الطَّوَابِيرَ الطَّوِيلَةَ المهِيبَةَ فِي الطُّرُق الكُبرَى، وَمُستَشفيَات الأيتَامِ أَو الفُقَرَاءِ أَو المرضَى،

قَوَارِبَ مَانهَاتِن البُخَارِيَّةَ وَالسُّفُنَ الشِّرَاعِيَّةَ التِي تَتَّخِذ الاستِعدَادَاتِ لِجَمِيعِ البِحَار.

الأشكَالُ تَنبَثِق!

أَشكَالُ استِخدَامِ الفُؤُوس أَيًّا مَا كَانَت، وَالمستَخدِمِين وَكُلِّ مَا يُجَاوِرُهُم،

قَاطِعُو الأَخشَابِ وَنَاقلُوهَا إِلَى بِينُوبسكُوت أَو كِينِّيبِيك،

القَاطِنُون فِي أَكوَاخٍ وَسطَ جِبَالِ كَالِيفُورنيَا أَو بِجِوَارِ البُحَيرَاتِ الصَّغِيرَة، أَو عَلَى بُحَيرَةِ كُولُومبيَا،

القَاطِنُون فِي الجَنُوبِ عَلَى شَوَاطِئِ "جِيلَا" أَو "رِيُو جرَاند"، تَجَمُّعَاتٌ مُتَآلِفَة، وَالسُّلُوكُ

وَالمرَح،
القَاطِنُون عَلَى امتِدَادِ سَانت-لُورَنس، أَو فِي الشَّمَالِ فِي كَنَدَا، أَو فِي الأسفَل عِندَ يِلُوستُون، وَالقَاطِنُون عَلَى السَّوَاحِل وَبَعِيدًا عَن السَّوَاحِل،
صَيَّادُو الفَقمَات، وَصَيَّادُو الحِيتَان، وَبَحَّارَةُ القُطبِ الشَّمَالِي يَختَرِقُون مَمَرَّاتٍ خِلَالَ الثُّلُوج.

الأشكَالُ تَنبَثِق!
أَشكَالُ المصَانِعِ، وَالتِّرسَانَات، وَالمسَابِك، وَالأسوَاق،
أَشكَالُ السِّكَكِ الحَدِيدِيَّةِ مُزدَوَجَةِ الخُطُوط،
أَشكَالُ عَوَارِضِ الجُسُور، وَالهيَاكِلِ الشَّاسِعَة، وَالعَوَارِضِ، وَالأقوَاس،
أَشكَالُ أَسَاطِيلِ مرَاكِب النَّقل، وَالبَوَاخِر المقطُورَة، وَحِرَفِ البُحَيرَة وَالقَنَال، وَحِرَف النَّهر،
أَحوَاضُ السُّفُنِ وَالأحوَاضُ الجَافَّةُ عَلَى امتِدَادِ البِحَارِ الشَّرقِيَّةِ وَالغَربِيَّة، وَفِي كَثِيرٍ مِن الخُلجَان وَالأمَاكِن المُجَاوِرَة،
قَوَاعِدِ السِّندِيَانِ الحَي، أَلوَاحُ الصُّنُوبَر، الصَّوَارِي، جُذُورُ أشجَارِ اللَّارِكس كَالرُّكَب،
السُّفُنُ ذَاتُهَا فِي طُرُقِهَا، صُفُوفُ السَّقَّالَات، العُمَّالُ مَشغُولُون بِالخَارِجِ وَالدَّاخِل،
الأدَوَاتُ مَرمِيَّةٌ قَرِيبَةً، وَالمِثقَابُ الكَبِيرُ وَالمِثقَابُ الصَّغِير، وَالقَدُّوم، وَالمِسمَارُ المُلَولَب، السِّلكُ، القَالِبُ، الإزمِيلُ المُقَعَّر، وَالسَّطحُ ذُو العُقَد.

[10]

الأشكَالُ تَنبَثِق!
الأشكَالُ تَم قِيَاسُهَا، وَنَشرُهَا، وَرَفعُهَا، وَلَصقُهَا، وَدِهَانُهَا،
شَكلُ التَّابُوتِ لِيَتَمَدَّدَ فِيهِ المَيِّتُ فِي كَفَنِه،
الشَّكلُ الذِي يُستَخرَجُ فِي أَعمِدَة، فِي أَعمِدَةِ هَيكَلِ السَّرِير، فِي أَعمِدَةِ سَرِيرِ العَرُوس،

شَكلُ المِذوَدِ الصَّغِير، شَكلُ الهَزَّاز فِي الأسفَل، شَكلُ مَهدِ الرَّضِيع،
شَكلُ أَلوَاحِ الأرضِيَّة، أَلوَاحِ الأرضِيَّةِ لأقدَامِ الرَّاقِصِين،
شَكلُ أَلوَاحِ بَيتِ الأُسرَة، بَيتِ الآبَاءِ وَالأطفَالِ الوَدُودِين،
شَكلُ سَقفِ بَيتِ الشَّاب وَالمَرأَةِ السَّعِيدَين، السَّقفِ فَوق رَجُلٍ وَامرَأَةٍ مُتَزَوِّجَين بِسَعَادَة،
السَّقفُ فَوقَ العَشَاءِ المَطهِيِّ بِبَهجَةٍ زَائِدَةٍ مِن الزَّوجَةِ المخلِصَة، ويَتَنَاوَلُه بِبَهجَةٍ الزَّوجُ المخلِصُ، الرَّاضِي بَعدَ يَومِ عَمَلِه.

الأشكَالُ تَنبَثِق!
شَكلُ مَكَانِ السَّجِين فِي قَاعَةِ المحكَمَة، وَشَكلُه أَو شَكلُهَا لَدَى الجُلُوسِ فِي المكَان،
شَكلُ المَشرَبِ الذِي يَتَّكِئُ عَلَيه شَارِبُ الرُّوم الشَّاب وَشَارِبُ الرُّوم العَجُوز،
شَكلُ السَّلَالِم الخَجُولَةِ وَالغَاضِبَةِ التِي وَطأَتهَا أَقدَامٌ مُتَسَلِّلَة،
شَكلُ الأرِيكَةِ الكَتُومِ، وَالثُّنَائِي الفَاسِدِ الإبَاحِي،
شَكلُ طَاوِلَةِ المقَامَرَة بِمَكَاسِبِهَا وَخَسَائِرِهَا الشَّيطَانِيَّة،
شَكلُ سُلَّم الدَّرَج لِلمُدَانِين وَالمحكُومِ عَلَيهِم بِأَنَّهُم قَتَلَة، وَالقَتَلَةِ بِوُجُوهٍ مُنهَكَةٍ وَأَذرُعٍ مُكَبَّلَة،
وَشَكلُ الشِّرِيفِ الحَاضِرِ مَعَ مُسَاعِدِيه، وَالحَشدِ الصَّامِتِ ذِي الشِّفَاهِ المُبيَضَّة، وَتَدَلِّي الحَبل.

الأشكَالُ تَنبَثِق!
أَشكَالُ الأبوَاب التِي تُتِيحُ مَرَّات خُرُوجٍ وَدُخُولٍ عَدِيدَة،
وَالبَابِ الذِي يُمَرِّر الصَّدِيقَ الأعزَبَ مُضَرَّجًا بِالحُمرَةِ وَعَلَى عَجَل،
البَابِ الذِي يَسمَحُ بِأخبَارٍ طَيِّبَةٍ وَأَخبَارٍ سَيِّئَة،
البَابِ الذِي تَرَكَ مِنه الإبنُ البَيتَ وَاثِقًا وَمُنتَفِخًا،

وَالبَابِ الذِي دَخَل مِنه مِن جَدِيدٍ مِن غَيَابٍ طَوِيلٍ فَضَائِحِي، عَلِيلًا، مُحَطَّمًا، بِلَا بَرَاءَةٍ، وَبِلا مَورِد.

[11]

أَشكَالُهَا تنبَثِق،
هِي أَقَل احتِرَاسًا مِن ذِي قَبل، لَكِنَّهَا أَكثَر احتِرَاسًا مِن ذِي قَبل،
الفَظَاظَةُ وَالوَسَخُ التِي تَتحَرَّك وَسطَهمَا لَا يَجعَلَانَها فَظَّةً وَوَسخَة،
تُدرِكُ الأفكَارَ وَهيَ تَمُر، لَا شَيءَ يَخفَى عَنهَا،
لَيسَت مُطلَقًا أَقَلَّ مُرَاعَاةً لِلآخَرِين أَو صَدَاقَةً بِالتَّالِي،
فَهيَ المحبُوبَةُ القُصوَى، بِلَا استِثنَاءٍ، وَلَا سَببَ لَدَيهَا لِلخَوفِ وَهيَ لَا تَخَاف،
وَالتَّجدِيفَاتُ، وَالمُشَاجَرَاتُ، وَأَغَانِي المصَابِين بِالفُوَاق، وَالتَّعبِيرَاتُ البَذِيئَةُ، هِي بِلَا قِيمَةٍ بِالنِّسبَةِ لَهَا وَهيَ تَمُر،
صَامِتَةٌ، مُتَمَالِكَةٌ لِنَفسِهَا، لَا يَستَطِيعُون استِفزَازَهَا،
تَتَلَقَّاهُم مِثلَمَا تَتَلَقَّاهُم قَوَانِينُ الطَّبِيعَة، وَهيَ قَوِيَّة،
هِي أَيضًا قَانُونٌ لِلطَّبِيعَة – وَلَا قَانُونَ لِلطَّبِيعَةِ أَقوَى مِنهَا.

[12]

الأشكَالُ الكُبرَى تَنبَثِق!
أَشكَالُ الدِّيمُوقرَاطِيَّة الكُلِّيَّة، نِتَاجِ القُرُون،
أَشكَالٌ تَتَكشَّفُ دَائِمًا عَن أَشكَالٍ أُخرَى،
أَشكَالُ مُدُنٍ هَائِجَةٍ رُجُولِيَّة،
أَشكَالُ الأَصدِقَاءِ وَمَانِحِي البيُوت بِالأَرضِ كُلِّهَا،
أَشكَالٌ تُقَوِّي الأَرض وَتتَقَوَّى بِالأَرضِ كُلِّهَا.

أُغنيَـة المعـرَض

[1]

(آه، قَلِيلًا مِن الاهتِمَامِ بِالعَامِل،
كَم يَدفَعُ بِه عَمَلُه قَرِيبًا مِن الله،
العَامِلُ المُحِب عَبرَ الفَضَاء وَالزَّمَان).

فِي النِّهَايَةِ لَيسَت المسألَةُ أَن تَخلِقَ فَحَسب، أَو تَكتَشِفَ فَحَسب،
بَل رُبَّمَا أَن تَأتِي مِن بَعِيدٍ بِمَا تَم اكتِشَافُه،
أَن تمنَحَه هَوِيَّتَنَا، المتَوَسِّطَةَ، اللَّامَحدُودَة، الحُرَّة،
أَن تُفعِمَ جَسَدَكَ البَلِيدَ بِالنَّارِ الدِّينِيَّةِ الحيَوِيَّة،
لَا لِتَتَمَرَّدَ أَو تُخَرِّبَ بَل لِتَقبَلَ، وَتَنصَهِرَ، وَتَتَأَهَّلَ مِن جَدِيد،
أَن تُطِيعَ مِثلَمَا تَأمُر، أَن تَتبَعَ بِأَكثَرَ مِمَّا تَقُود،
هَذِه أَيضًا هِي دُرُوسُ عَالَمِنَا الجَدِيد؛
بَينَمَا كَم الجَدِيد قَلِيلٌ فِي النِّهَايَةِ، وَكَم هُو كَثِيرٌ العَالَمُ القَدِيم، القَدِيم!

طَوِيلًا وَطَوِيلًا كَان العُشبُ يَنمُو،
طَوِيلًا وَطَوِيلًا كَانَ المطَر يَهمِي،
طَوِيلًا كَانَت الكُرَةُ الأَرضِيَّةُ تَدُور حَول نَفسِهَا.

[2]

تَعَالَي يَا رَبَّةَ الشِّعرِ المُهَاجِرَةَ مِن اليُونَانِ وَإِيُونيَا،
فَلتعبُرِي مِن فَضلِكِ تِلكَ الحِسَابَاتِ الزَّائِدَةَ بِشَكلٍ هَائِل،
مَسأَلَةَ طُروَادَةَ وَغَضَبَ أَخِيل، وَأَينِيَاس، وَتجوَالَات أُودِيسيُوس،
وَلَافِتَة "أُزِيل" وَ"مَسمُوح" عَلَى صُخُورِ بَارنَاسُّوس الثَّلجِيَّة،
تَتَكَرَّرُ فِي القُدسِ، فَيَضَعُون الإِعلَان عَالِيًا عَلَى بَوَّابَةِ يَافَا وَجَبَل مُريَّا[*]،
نَفسُ الأمرِ عَلَى قِلَاعِكِ الألمَانِيَّةِ، الفِرنسِيَّةِ، الأسبَانِيَّةِ، وَالمجمُوعَاتِ الإِيطَالِيَّة،
وَلمعرِفَةِ عَالَمٍ أَفضَل، أَنشَط، أَكثَر انشِغَالًا، يَنتَظِرُكُم مجَالٌ غَيرُ مَطرُوق، وَيَطلُبُكُم.

[3]

مُستَجِيبَةً لِنِدَاءَاتِنَا،
أَو بِالأحرَى لِنُزُوعِهَا الذِي احتُضِن طَوِيلًا،
مُتَرَافِقًا مَعَ جَاذِبِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ، لَا تُقَاوَم،
تَأتِي! أَسمَعُ حَفِيفَ ثَوبِهَا،
أَشُم عِطرَ الأرِيجِ الشَّهِي لأنفَاسِهَا،
أَرصُدُ خَطوَهَا السَّمَاوِي، التِفَاتَةَ وَانحِدَارَ عَينَيهَا الفضُولِيَّتَين،
عَلَى هَذَا المشهَد.

سَيِّدَةُ السَّيِّدَات! هَل يُمكِنُنِي التَّصدِيق إِذَن،
أَنَّ هَذِه المَعَابِدَ القَدِيمَةَ، وَالمنحُوتَاتِ الكلَاسِيكِيَّةَ، لَا يُمكِن لأيٍّ مِنهَا أَن يَستَعِيدَهَا؟
أَلَا يجتَذِبُهَا وَيُمسِكُ بِهَا أَطيَافُ فِرجِيل وَدَانتِي، وَلَا آلَافَ الذِّكرَيَات، وَالقَصَائِد،
وَالعِلَاقَاتِ القَدِيمَة؟
إِلَّا مَا تَرَكَته جَمِيعًا – وَهُنَا؟

[*] أحد جبال "العهد القديم"، مذكور في واقعة تضحية إبراهيم بابنه. سِفر التكوين 22-2.

نَعَم، إِن سَمَحتُم لِي بِقَولِ ذَلِك،
فَأَنَا، يَا أَصدِقَائِي، إِن لَم تَسمَحُوا، يُمكِنُنِي أَن أَرَاهَا بِوضُوح،
هِي نَفسُ التَّعبِيرِ عَن الرُّوحِ الخَالِدَةِ لِلأَرضِ، وَالفَاعِلِيَّةِ، وَالجَمَالِ، وَالنَّزعَةِ البُطُولِيَّة،
تَأتِي مِن تَحَوُّلَاتِهَا إِلَى هُنَا، وَقَد أَنهَت طَورَ أَفكَارِهَا السَّابِقَة،
خَبِيئَةً مُغَطَّاةً بِمَا فِي العَصرِ الرَّاهِن، بِأَسَاسِ العَصرِ الرَّاهِن،
وَانتَهَى صَوتُهَا، وَقَضَى عَبرَ الزَّمَن، عِند نَبعِ قَشتَالَه،
صَامِتَةٌ شِفَاهُ أَبِي الهَولِ المكسُورَةُ فِي مِصر، صَامِتَةٌ تِلكَ المَقَابِرِ التِي أَعيَت القُرُون،
انتَهَت إِلَى الأَبَدِ مَلَاحِمُ آسيَا، وَمُقَاتِلُو أُورُوبَّا ذَوُو الخُوذَات، انتَهَى النِّدَاءُ البِدَائِي لِرَبَّاتِ الفُنُون،
صَمَتَ نِدَاءُ كَالِيُوب إِلَى الأَبَد، وَكلِيُو، وَمِيلبُومِين، وَثَالِيَا مَوتَى[*]،
انتَهَى الإِيقَاعُ المهِيبُ لأُونَا وَأُورِيَانَا[**]، انتَهَى البَحثُ عن الطَّبقِ المقدَّس،
وَالقُدسُ قَبضَةُ رَمَادٍ نَفَخَتهَا الرِّيح، بَائِدَة،
وَسُيُولُ الصَّلِيبِيِّين مِن قُوَّاتِ مُنتَصَفِ اللَّيلِ المبهَمَةِ انطَلَقَت مَعَ شُرُوقِ الشَّمس،
انتَهَى تَمَامًا أَمَادِيس، تَانكرِيد، وَانتَهَى شَارلمَان، رُولَان، أُولِيفَر [***]،
رَحَل بَالمِيرِين، الغُولُ، وَتَلَاشَت الأَبرَاجُ التِي كَانَت "يُوسك" تنعَكِسُ فِي مِيَاهِهَا[****]،

---

[*] **كاليوب** Calliope: ربة البلاغة والشعر الملحمي في الأساطير اليونانية؛ **كليو** Clio: ربة التاريخ لدى الإغريق؛ **ميلبومين** Melpomene: ربة الغناء، ثم تحولت إلى ربة التراجيديا؛ **ثاليا** Thalia: ربة الكوميديا والشعر الرعوي.

[**] **أونا** Una، **أوريَانا** Oriana: لم يُستدل على ماهيتهما؛ **الطَّبق المقدس** holy Graal: طبق أو وعاء يمثل جزءًا من آداب زمن الملك آرثر. ووفقًا للأسطورة المتعلقة بهذا "الطبق"، فإنه يمتلك قوًى خاصة قادرة على منح السعادة والشباب الأبدي والطعام بوفرة كبيرة.

[***] **أماديس** Amadis: بطل إحدى روايات الفروسية الكبرى في العصر الوسيط، التي ذاعت في أسبانيا؛ **تانكريد** Tancred: قائد من نورماندي للحملة الصليبية الأولى، أصبح فيما بعد أميرًا على الجليل؛ **شارلمان** Charlemagne: ملك ما يعرف الآن باسم فرنسا، ثم امبراطورًا، قام بتوحيد أوروبا؛ **رولان** Roland: القائد العسكري تحت حكم شارلمان؛ **أوليفَر** Oliver: لم يُستدل على ماهيته المحددة.

[****] **بالمرين** Palmerin: أحد فرسان العصور الوسطى الأبطال، وثمة شخصية "بالمرين الإنجليزي" كأحد

تَلَاشَى آرثَر مَع فُرسَانِه جَمِيعًا، وَمِيرلِين وَلَانسيلُوت وَجَالَاهَاد[*]، اختَفَوا جَمِيعًا،
ذَابُوا تَمَامًا كدُخَان؛
مَضَوا! مَضَوا! بِالنِّسبَةِ لَنَا، مَضَوا إِلَى الأبَد، ذَلِكَ العَالَم القَوِيُّ ذَاتَ يَوم، الآنَ خَوَاء،
بِلَا حَيَاةٍ، عَالَم شَبَحِي،
عَالَمٌ مُوَشَّى، مُبهِرٌ، غَرِيبٌ، بِكُل خُرَافَاتِه وَأَسَاطِيرِه الفَاتِنَة،
بِمُلُوكِه وَقِلَاعِه الأبِيَّة، بِكَهَنَتِه وَسَادَاتِه المُولَعِين بِالحَرب وَسَيِّدَاتِه اللَّطِيفَات،
عَبَرَ إِلَى سِردَابِ حِفظِ الجُثَامِين، مُكَفَّنًا بِالتَّاج وَالعَتَاد،
مُوَشًّى بِصَفحَةِ شِيكسبِير القُرمُزِيَّة،
وَمَصحُوبًا بِتَرنِيمَةٍ مُقَفَّاةٍ وَعَذبَةٍ حَزِينَةٍ مِن تِينِيسون[**].

أَقُول إِنِّي أَرَى، يَا أَصدِقَائِي، إن لَم تَسمَحُوا، اللَاجِئَة الشَّهِيرَة (إِذ كَانَ ذَلِكَ حَقِيقِيًّا فِي
زَمَنِهَا، رغمَ أَنَّه أَيضًا قد تَغَيَّر، ارتَحَلَ بَعِيدًا)،
تَنطَلِقُ رَأسًا إِلَى هَذَا الموعِد، وَهِيَ تَشُق بِحَمِيَّةٍ مَمَرًّا لِنَفسِهَا، مُختَرِقَةً الفَوضَى بِخُطوَاتٍ
وَاسِعَة،
لَم تَفزَع مِن ضَربَةِ آلَةٍ وَصَفِيرِ بُخَارِي حَاد،
لَم تَنخَدِع أَبَدًا بِمَاسُورَةِ الصَّرف، وَخَزَّانِ الغَاز، وَالمخَصِّبَاتِ الاصطِنَاعِيَّة،
مُبتَسِمَةً وَمَسرُورَةً مَع النِّيَّةِ الوَاضِحَةِ لِلبَقَاء،
هَا هِي ذِي، تَنتَصِبُ وَسَطَ أَدَوَاتِ المطبَخ!

فرسان العصور الوسطى في سلسلة روايات للكاتب البرتغالي فرانشيسكو دي موراييس (1500-1572)؛ **يُوسك** Usk: مدينة على نهر يوسك، بويلز.

[*] **آرثر** Arthur: الملك آرثر، قائد بريطاني أسطوري في أواخر القرن الخامس وبدايات السادس، قاد الدفاع عن بريطانيا ضد الغزاة الساكسون في بدايات القرن السادس؛ **ميرلين** Merlin: شخصية عراف/ساحر خيالية ضمن أسطورة الملك آرثر؛ **لانسلوت** Lancelot: أحد فرسان "المائدة المستديرة" بأسطورة الملك آرثر؛ **جالاهاد** Galahad: أحد فرسان "المائدة المستديرة" بأسطورة الملك آرثر.

[**] هو الفريد **لورد تينيسون** Tennyson (1809-1892): من أهم أصوات الشعر الإنجليزي في التاريخ.

[4]

لَـكِن انتَظِرُوا – أَلَم أَنسَ كيَاسَتِي؟
لأُقَدِّم الغَرِيبَ (فَمَا الذي أعِيشُ حَقًّا لأُغَنِّي لَه سِوَاه؟) إِلَيكِ يَا كُولُومبِيَا؛
بِاسمِ الحُرِّيَّةِ أَهلًا بِالخَالِدة! فَلنَشُد عَلَى الأَيدِي،
وَمِن الآن فَصَاعِدًا فَلتَكُونُن يَا أَخَوَاتِي أَعِزَّاء مَعًا.

فَلَا تَخَافِي أَيَّتُهَا الرَّبَّة! تَقَبَّلِي حَقًّا الأَسَالِيبَ وَالأَيَّامَ الجَدِيدَة، حَولَك،
أَعتَرِفُ لَكِ صَرَاحَةً أَنَّنَا جِنسٌ غَرِيبٌ، غَرِيبٌ، ذُو نَمطٍ جَدِيد،
وَمَعَ ذَلِكَ فَهوَ الجِنسُ البَشَرِي القَدِيم، نَفسُه بِالدَّاخِل، بِالخَارِج،
هِيَ نَفسُهَا الوُجُوهُ وَالقُلُوب، نَفسُهَا المَشَاعِر، نَفسُهَا الأَشوَاق،
الحُبُّ القَدِيمُ نَفسُه، نَفسُه الجَمَالُ وَالضَّرُورَة.

[5]

نَحنُ لَا نَلُومُك أَيُّهَا العَالَمُ العَجُوز، وَلَا حَقًّا نَفصِلُ أَنفُسَنَا عَنك،
(فَهَل يَفصِلُ الإِبنُ نَفسَه عَن الأَب؟)
وَإِذ نَنظُرُ إِلَيكَ فِي الوَرَاءِ، فَنَرَاكَ فِي مَهَامِّك، وَعَظَمَتِك، عَاكِفًا خِلَالَ العُصُورِ المَاضِيَة، بَنَّاءً،
فَإِنَّنَا نَبنِي لِعَصرِنَا الرَّاهِن.

أَعظَمَ مِن مَقَابِرِ مِصر،
أَجمَلَ مِن مَعَابِدِ اليُونَانِ وَرُومَا،
أَكثَر شُمُوخًا مِن كَاتِدرَائِيَّةِ مِيلَان الشَّاهِقَةِ، المَلِيئَةِ بِالتَّمَاثِيل،
أَكثَر تَصوِيرِيَّةً مِن قِلَاعِ الرِّين،
نَحنُ نُخَطِّط حَتَّى الآنَ لأَن نَسمُو، أَعلَى مِنهم جَمِيعًا،

بِالكَاتِدرَائِيَّةِ العَظِيمَةِ لِلصِّنَاعَةِ المُقَدَّسَة، بِلَا مَقَابِر،
قَلعَةً مِن أَجلِ الحَيَاةِ مِن أَجلِ الاختِرَاعِ العَمَلِي.

كَمَا فِي حُلم يَقِظَة،
حَتَّى فِيمَا أُغَنِّي فَإِنَّنِي أَرَاهَا تَعلُو، أُمعِنُ النَّظَرَ وَأَتَنَبَّأ بِالخَارِجِ وَالدَّاخِل،
إِنَّه كُلٌّ مُتَعَـدِّد.

حَولَ قَصرٍ مَا، أَعلَى، أَجمَل، أَوسَعَ مِن أَيٍّ مَا كَان حَتَّى الآن،
العَجِيبَةُ الحَدِيثَةُ للأَرض، عَجِيبَةُ التَّارِيخِ السَّابِعَة،
تَعلُو طَابِقًا عَلَى طَابِقٍ بِوَاجِهَاتِ الزُّجَاجِ وَالحَدِيد،
مُبهِجَةً لِلشَّمسِ وَالسَّمَاءِ، مُلَوَّنَةً بِأَلوَانٍ مُفرِحَة،
البرُونزِي، اللَّيلَكِي، لَونِ بَيض أَبِي الحِنَّاءِ، البَحرِي وَالقُرمُزِي،
وَعَلَى سُطُوحِهَا الذَّهَبِيَّة سَتَتَمَاوَج، تَحتَ أَعلَام الحُرِّيَّـة،
أَعلَامُ الوِلَايَاتِ وَبَيَارِقُ كُلِّ البُلدَان،
نِتَاجًا لِلسُّمُو، وَالعَدل، لَكِن مَع عَدَدٍ أَقل مِن القُصُور.

فِي مَكَانٍ مَا بَينَ جُدرَانِهَا سَتَنطَلِقُ قُدُمًا كُلُّ تِلكَ الحَيَاةِ الإِنسَانِيَّةِ المِثَالِيَّة،
مُحَاوِلَةً، مُتَعَلِّمَةً، مُتَقَدِّمَةً، مَرئِيَّة لِكُلِّ ذِي عَينَين.

لَا عَالَمَ الأَشغَالِ، وَالتِّجَارَةِ، وَالمُنتَجَات، فَحَسب،
بَل كُل شَغِّيلَة العَالَم سَيُمَثَّلُون هُنَا.

هُنَا سَوف تَرصُدُون فِي عَمَلِيَّة مُنسَابَة، .
فِي كُلِّ حَالَةٍ مِن حَرَكَةٍ عَمَلِيَّةٍ، مُنشَغِلَة، اندِفَاقَاتِ الحَضَارَة،
لَسَوفَ تُغَيِّرُ المَوَادُّ هُنَا تَحتَ عُيُونِكُم شَكلَهَا كَمَا لَو بِالسِّحر،

لَسَوفَ يَتِم التِقَاطُ القُطنِ تَقرِيبًا مِن حَقلِه،
وَسَوفَ يَتِم تَجفِيفُه، وَتَنظِيفُه، وَحَلجُه، وَوَضعُه فِي بَالَات، وَغَزلُه إِلَى خُيُوطٍ وَمَلَابِس أَمَامَكُم،
وَسَوفَ تَرَون الأَيدِي فِي الشُّغلِ خِلَالَ كُلِّ العَمَلِيَّات القَدِيمَةِ وَالجَدِيدَة،
وَسَوفَ تَرَون الحُبُوبَ المُختَلِفَةَ وَكَيفَ تَحَوَّلَت إِلَى طَحِينٍ ثُم إِلَى خُبزٍ يُنضِجُه الخَبَّاز،
وَسَوفَ تَرَون المَعَادِنَ النَّفِيسَةَ الخَام لِكَالِيفُورنِيَا وَنِيفَادَا تَعبُر وَتَعبُر إِلَى أَن تُصبِحَ سَبِيكَة،
سَوفَ تَرَون كَيفَ يَصُفُّ الطَّابِعُ الصَّفحَةَ، وَتَعلَمُون مَا هُو المِصَف،
سَوفَ تَلحَظُون فِي دَهشَةٍ مَطبَعَة "هُو" وَاسطُوَانَاتُهَا تُدَوِّم، عَازِلَةً الأَورَاقَ المطبُوعَةَ، بِانتِظَامٍ وَسُرعَة،
وَسَتُبتَدَع أَمَامَكُم الصُّورَةُ الفُوتُوغرَافِيَّةُ، وَالنُّمُوذَجُ، وَالمِيقَاتِي، وَالدَّبُّوس، وَالمسمَار.

فِي قَاعَاتٍ شَاسِعَةٍ هَادِئَة، سَيُعَلِّمُكُم مُتحَفٌ فَخِيم الدُّرُوسَ اللَانِهَائِيَّةَ عَن المَعَادِن،
وَفِي أخرَى، سَوفَ تَرتَسِم الغَابَاتُ، وَالنَّبَاتَاتُ، وَالزِّرَاعَة – وَفِي أُخرَى، الحَيَوَانَاتُ، وَحَيَاةُ وَتَطَوُّرُ الحيَوَانَات.

وَمَنزِلٌ فَخِيمٌ سَيُصبِحُ مَركَزًا لِلموسِيقَى،
وَأُخرَى لِلفُنُونِ الأُخرَى – التَّعلِيم، وَالعُلُوم، سَتَكُون جَمِيعًا هُنَا،
لَا شَيءَ سَيُزَاحُ جَانِبًا، لَا شَيءَ إِلَّا وَسَيُكَرَّمُ هُنَا، وَيُدعَم، وَيُصبِحُ مِثَالًا.

[6]

(هَذَا، هَذَا وَهؤلَاء، يَا أَمِيرِيكَا، سَيُصبِحُون أَهرَامَك وَمِسَلَّاتِك،
فَرَاعِنَتِكِ السَّكَندَرِيِّين، وَحَدَائِقَكِ البَابِلِيَّة،
مَعبَدَكِ فِي الأُولِيمب).
وَالذُّكُورُ وَالإِنَاثُ الكَثِيرُون بِلَا عَمَل،

سَيُوَاجِهُون هُنَا أَبَدًا الكَثِيرَ مِن العَمَل،
مَعَ فَوائِدَ ثَمِينَةٍ لِلطَّرفَين، فَالمَجدُ لِلجَمِيع،
لَكِ يَا أَمِيرِيكَا، وَلَكِ يَا رَبَّةَ الشِّعر.

وَهُنَا سَوفَ تُقِيم حَقًّا عَقِيلَاتٌ قَوِيَّات!
أَعظَم فِي حَالَتِكِ العَظِيمَة مِن جَمِيع السَّابِقَات،
فَيَتَرَدَّد صَدَاهُن عَبرَ القُرُونِ الطَّوِيلَةِ، الطَّوِيلَةِ القَادِمَة،
فَيَرِن بِأُغنِيَاتٍ مُختَلِفَة، فَخُورَةٍ، ذَات أَفكَارٍ أَقوَى،
عَن الحَيَاةِ العَمَلِيَّة، المُسَالِمَة، حَيَاةِ الشَّعب، بَل **الشَّعب** نَفسه،
مُتَسَامِيًا، مُستَنِيرًا، يَتَحَمَّم فِي بَهجَةِ السَّلَام – تَيَّاهًا، آمِنًا فِي سَلَام.

[7]

تَبًّا لِأَفكَارِ الحَرب! تَبًّا لِلحَربِ ذَاتِهَا!
مِن الآن، مِن نَظَرِي المُرتَعِدِ، لِئَلَّا يَعُود مَرَّةً أُخرَى أَبَدًا ذَلِكَ المَشهَدُ لِجُثَامِين مُسوَدَّةٍ، مَبتُورَة!
ذَلِكَ الجَحِيمُ غَيرُ المَكبُوت وَغَارَاتُ الدَّم، بِمَا يَلِيقُ بِنُمُورٍ أَو ذِئَابٍ بِأَلسِنَةٍ مُتَدَلِّيَةٍ، لَا أُنَاسٍ عَاقِلِين،
وَعَلَى سُرعَةِ رِبحِهَا حَمَلَاتُ الصِّنَاعَة،
بِجُيُوشِهَا البَاسِلَة، وَهَندَسَتِهَا،
بِأَعلَامِهَا العُمَّالِيَّة، مُرتَخِيَةً فِي النَّسِيم،
وَأَبوَاقُهَا تُدَوِّي عَالِيًا وَصَافِيَة.

تَبًّا لِلحِكَايَةِ القَدِيمَة!
تَبًّا لِلرِّوَايَاتِ، وَالحَبكَاتِ، وَمَسرَحِيَّات القُصُورِ الأَجنَبِيَّة،
تَبًّا لِقَصَائِدِ الحُب المحَلَّاةِ بِالقَافِيَة، وَالأَحَابِيل، وَغَرَامِيَّات المتَبَطِّلِين،

الملَائِمَةِ فَقَط لِوَلَائِمِ اللَّيلِ حَيثُ يَنزَلِقُ الرَّاقِصُون عَلَى الموسِيقَى الأخِيرَة،
وَالملَذَّاتِ المرَضِيَّةِ، وَإِسرَافِ القِلَّة المُفرِط،
مَعَ العُطُورِ، وَالحَرَارَةِ وَالنَّبِيذِ، تَحتَ الثُّرَيَّاتِ المبهِرَة.

إِلَيكُن أَيَّتُهَا الأخَوَاتُ الرَّصِينَاتُ الجَلِيلَات،
أَرفَعُ صَوتًا بِأَفكَارٍ أَروَعَ بِكَثِيرٍ مِن أَجلِ الشِّعرَاءِ وَالفَن،
لأُمَجِّدَ الرَّاهِنَ وَالحَقِيقِي،
لأُعَلِّمَ الرَّجُلَ العَادِيَّ مَجدَ مَسِيرَتِه وَحِرفَتِه اليَومِيَّة،
لأُغَنِّي كَيفَ أَن التَّجرِبَةَ وَالحيَاةَ الكِيميَائِيَّة غَير مَمنُوعَةٍ أَبَدًا،
لِلعَمَلِ اليَدَوِيِّ لِكُل وَاحِدٍ وَلِلجَمِيع، لِلحَرثِ، وَالعَزقِ، وَالحَفر،
لِغَرسِ وَرِعَايَةِ الأشجَار، وَالتُّوتِ، وَالخُضرَوَات، وَالزُّهُور،
لِكَي يرَى كُلُّ رَجُلٍ فِي ذَلِكَ أَنَّه يَفعَل شَيئًا مَا، وَكُلُّ امرَأَةٍ أَيضًا؛
لِيَستَخدِمَ الشَّاكُوشَ وَالمنشَارَ (يَشُق، أَو يَقطَعُ بِالعَرض)،
لِرِعَايَةِ دَورَةٍ فِي النِّجَارَةِ، وَاللَّصقِ، وَالدِّهَان،
لِلعَمَلِ خَيَّاطًا، خَيَّاطَةً، مُمَرِّضًا، سَائِسًا، حَمَّالًا،
لاختِرَاعِ شَيءٍ مَا، صَغِير، عَبقَرِي، لِلمُسَاعَدَةِ فِي الغَسلِ، أَو الطَّبخ، أَو التَّنظِيف،
وَعَدَم الشُّعُورِ بِأَيِّ خِزيٍ مِن المُشَارَكَةِ فِيهِم بِأَنفسِهِم.

أَقُولُ إِنَّنِي أَجِيءُ إِلَيكِ أَيَّتُهَا الرَّبَّةُ هُنَا وَالآن،
بِجَمِيعِ الأشغَالِ، وَالوَاجِبَاتِ الكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَة،
بِالمشَقَّة، مشَقَّةِ وعَرَقِ العَافِيَة، بِلَا انتِهَاءٍ، بِلَا تَوَقُّف،
بِالأعبَاءِ، وَالاهتِمَامَاتِ العَمَلِيَّةِ، وَالمبَاهِج القَدِيمَةِ، القَدِيمَةِ،
بِالأُسرَةِ، وَالأُبُوَّةِ، والطُّفُولَةِ، وَالزَّوجِ وَالزَّوجَة،
بِكَمَالِيَّاتِ المنزِل، بِالمنزِلِ ذَاتِه وَكُلِّ مُتَعَلَّقَاتِه،

بِالطَّعَام وَحِفظِه، بِالكِيميَاءِ المُطَبَّقَةِ عَلَيه،
بِأَيَّةِ أَشكَالٍ يَتَّخِذهَا الرَّجُلُ أَو المرأَةُ، العَادِيُّ، القَوِي، الكَامِل، خَفِيفُ الرُّوح،
وَالشَّخصِيَّة الكَامِلَة طَوِيلَة العُمر،
وَيُسَاعِد حَيَاتَهَا الحَالِيَّةَ نَحوَ الصِّحَّةِ وَالسَّعَادَة، وَيَصُوغ رُوحَهَا،
مِن أَجلِ الحَيَاةِ الحَقِيقِيَّةِ الأَبَدِيَّةِ القَادِمَة.

بِآخِرِ الرَّوَابِطِ، وَالأعمَالِ، وَالنَّقلِ المتَبَادَلِ فِي العَالَم،
بِقُوَّةِ البُخَارِ، بِالخُطُوطِ الحَدِيدِيَّةِ ذَات السُّرعَةِ الهَائِلَة، بِالغَازِ، بِالبترُول،
انتِصَارَاتِ عَصرِنَا هَذِه، بِالكَابِلِ الرَّهِيفِ للأطلَنطِي،
بِخَط السِّكَكِ الحَدِيدِيَّةِ لِلبَاسِيفِيك، وَقَنَاةِ السُّوِيس، وَأَنفَاقِ "مُونت سينِيس" و"جُوثَارد" وَ"هُوسَاك"، وَجِسر برُوكلِين،
بِهَذِهِ الأَرضِ كُلِّهَا المُتَّصِلَةِ بِجُسُورٍ مِن قُضبَانٍ حَدِيدِيَّة، بِخُطُوطٍ مِن بَوَاخِر تَشُق كُلَّ البِحَار،
أَجِيءُ لَكِ بِدَائِرَتِنَا، بِالعَالَم الرَّاهِن.

[8]

وَأَنتِ يَا أَمِيرِيكَا،
بِنَسلِكِ يَسمُو عَالِيًا أَبَدًا، بَل أَعلَى مِن كُل سُمُو،
بِـالنَّصرِ عَن يَمِينِك، وَعَن يَسَارِك القَانُون؛
وَاتِّحَادُكِ الذِي يَضُم الجَمِيع، يَصهِر، وَيَمتَص، وَيُسَامِحُ الجَمِيع،
أَنتِ، أَنتِ أَبَدًا، أُغنِيَتِي.

أَنتِ، أَيضًا أَنت، عَالَم،
بِكُلِّ جُغرَافِيَّاتِك الشَّاسِعَة، المتَعَدِّدَة، المختَلِفَةِ، البَعِيدَة،
تُحِيطُ بِك لُغَةٌ كَونِيَّةٌ مُشتَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ – وَاحِدَة،

بِمَصِيرٍ مُشتَرَكٍ مَرئِي لِلـجَمِيع.

وَبِالرُّقَى التِي تَمنَحِينَهَا لِوُكَلَائِكِ هَؤلَاء الجَادِّين،
فَإِنِّني هُنَا أُجَسِّدُ وَأَدعُو أفكَارِي، لأجعَلَهَا تَمُر أَمَامَك.

انظُرِي، يَا أَمِيرِيكَا! (وَأَنتِ، أَيَّتُهَا الضَّيفَةُ الشَّقِيقَةُ العَصِيَّةُ عَلَى التَّعبِير!)
إِلَيكِ تَأتِي مُحتَشِدَةً مِيَاهُكِ وَأَرَاضِيكِ؛
انظُرِي! فَحُقُولُكِ وَمَزَارِعُكِ، غَابَاتُكِ وَجِبَالُكِ النَّائِيَة،
قَادِمَةٌ كَأَنَّمَا فِي مَوكِب.

انظُرِي، البَحرَ نَفسَه،
وَعَلَى صَدرِهِ الخَفَّاقِ، اللَّامَحدُود، السُّفُن؛
انظُرِي، حَيثُ أَشرِعَتُهَا البَيضَاءُ، مُتَرَاقِصَةً فِي الرِّيح، تُبَرقِشُ الأخضَر وَالأزرَق،
انظُرِي، فَالبَوَاخِرُ تَأتِي وَتَرُوح، تَمخُر دَاخِلَةً وَخَارِجَةً مِن المِينَاء،
انظُرِي، غَسَقِيَّةً وَمُتَمَاوِجَةً، بَيَارِقُ الدُّخَانِ الطَّوِيلَة.

انظُرِي، فِي أُورِيجُون، بَعِيدًا فِي الشَّمَالِ وَالغَرب،
أَو فِي مِين، بَعِيدًا فِي الشَّمَالِ وَالشَّرقِ، مُزَارِعِيكِ المَرِحِين،
يَستَخدِمُون فُؤُوسَهُم طُوَالَ النَّهَار.

انظُرِي، عَلَى البُحَيرَات، قَبَاطِنَتُك عِندَ عَجَلَاتِ القِيَادَة، وَمُجَذِّفُوك،
كَيفَ يَنطَوِي الشُّحُوبُ تَحتَ هَذِهِ الأذرُعِ الرُّجُولِيَّة!

وَهُنَاكَ عِندَ الفُرن، هُنَاكَ عِندَ السِّندَان،
انظُرِي الحَدَّادِين الأقوِيَاءَ يُؤَرجِحُونَ مِرزَبَّاتِهِم،

بِانتِظَامٍ فَوقَ الكَتِف، مِن أَعلَى يَستَدِيرُون وَيَهوون بِضَربَاتٍ مُبتَهِجَة،
كانفِجَارَةِ ضَحِك.

فَلتَرصُدِي رُوحَ الاختِرَاعِ فِي كُلِّ مَكَان، بَرَاءَاتِ الاختِرَاعِ السَّرِيعَة،
الوِرَش وَالمسَابِكَ الدَّائِمَة، القَائِمَةَ أَو التِي تُقَام،
انظُرِي، مِن مَدَاخِنِهَا كَيفَ يُرسِلُ الدُّخَانَ لَهِيبُ النِّيرَان.

وَلتَرصُدِي المزَارِعَ اللَّامُتَنَاهِيَة، فِي الشَّمَالِ، فِي الجَنُوب،
وَالوِلَايَاتِ الوَلِيدَةَ الغَنِيَّة، الشَّرقِيَّةَ وَالغَربِيَّة،
وَالمنتَجَاتِ المتَنَوِّعَةَ لأُوهيُو، وَبِنسِلفَانيَا، وَمِيسُّورِي، وَجُورجِيَا، وتِكسَاس، وَالبَاقِين،
وَالمحَاصِيلَ، وَالأعشَاب، وَالقَمح، وَالسُّكَّر، وَالذُّرَة، وَالأُرز، وَالقِنَّب، بِلَا حُدُود،
وَمخَازِنَ الحُبُوبِ المُمتَلِئَةَ كُلَّهَا، وَقِطَارَ الشَّحنِ اللَانِهَائِي وَالمخزَنَ المنتَفِخ،
وَالأعنَابَ تَنضُجُ فِي أَشجَارِهَا، وَالتُّفَّاحَ بِعَشَرَاتِ الآلَاف،
الفَائِضَ بِلَا حَصرٍ، وَالثِّيرَانَ، وَالخَنَازِيرَ، وَالبَطَاطِس، وَالفَحمَ، وَالذَّهَبَ وَالفِضَّة،
وَالحَدِيدَ الذِي لَا يَنفَدُ فِي المنَاجِم.

كُلُّه لَكَ أَيُّهَا الاتِّحَادُ المقَدَّس!
سُفُنٌ، مَزَارِع، محَلَّات، مَخَازِن، مَصَانِع، مَنَاجِم،
مَدِينَة وَوِلَايَة، شَمَالًا، جُنُوبًا، بِالقَطَّاعِي وَالجُملَة،
نُهدِي، أَيَّتُهَا الأُم الجَلِيلَة، كُلَّ شَيءٍ لَك!

الحَامِيَةُ المطلَقَةُ، أَنت! حِصنُ الجَمِيع!
فَنَحنُ نَعرِفُ جَيِّدًا أَنَّكِ فِيمَا تَمنَحِين كُلَّ وَاحِدٍ وَالجَمِيع (كَرِيمَةً كَالرَّب)،
فَبِدُونِك مَا مِن وَاحِدٍ وَلَا الجَمِيع، مَا مِن أَرضٍ، وَلَا بَيت،

مَا مِن سَفِينٍ، وَلَا مِنجَم، وَلَا أَمَانَ هُنَا اليَوم،
وَلَا فِي أَيِّ يَومٍ، أَبَدًا.

[9]

وَأَنت، أَيُّهَا الشِّعَارُ المُرَفرِفُ فَوقَ الجَمِيع!
أَيُّهَا الجَمَالُ المُرهَف، ثَمَّةَ كَلِمَةٌ لَك (قَد تَكُون كَلِمَةَ تَحِيَّة)،
فَلتَتَذكَّر أَنَّكَ لَم تَكُن دَائِمًا مِثلَمَا هُنَا الآن ذَا سِيَادَةٍ تَامَّة،
فَفِي مَشَاهِدَ أُخرَى غَيرَ هَذِهِ لَاحَظتُ عَلَمَك،
لَيسَ مُتَأَنِّقًا تَمَامًا هَكَذَا وَمُكتَمِلًا وَمُزدَهِرًا بِحَيَوِيَّةٍ فِي طَيَّاتٍ مِن حَرِيرٍ بِلَا شَائِبَة،
لَكِنِّي رَأَيتُ رَايَتَك، بَالِيَةً إِلَى أَسمَال عَلَى السَّارِيَةِ المكسُورَة،
أَو يُمسِكُ بِهَا إِلَى صَدرِهِ حَامِلُ رَايَةٍ شَاب بِيَدَين يَائِسَتَين،
بِوَحشِيَّةٍ نَاضَلَ مِن أَجلِهَا، مِن أَجلِ الحَيَاةِ أَو الموتِ، قَاتَلَ طَوِيلًا،
وَسطَ هَدِيرِ المَدَافِعِ وَالكَثِيرِ مِن اللَّعنَاتِ وَالتَّأَوُّهَات وَالصُّرَاخ، وَوَابِلِ الفَرقَعَاتِ الحَادَّةِ لِلبَنَادِق،
وَالحُشُودُ المتحَرِّكَةُ كَشَيَاطِين وَحشِيَّةٍ تَندَفِع، وَتَمضِي كَأَنَّمَا بِلَا مُخَاطَرَة،
فَالبَقِيَّةُ المتَاخِمَة اكتَسَوا بِالوَسَخِ وَالدُّخَان وَنُقِعُوا فِي الدَّم،
مِن أَجلِ ذَلِك، يَا جَمِيلَتِي، وَلِتَكُون أَروَعُ مُدَاعَبَاتِك الآنَ آمِنَةً هُنَا،
رَأَيتُ كَثِيرًا مِن الرِّجَالِ الطَّيِّبِين يَهلَكُون.

الآنَ هُنَا وَهَؤلَاء وَهُنَالِك، كُل شَيءٍ فِي سَلَام، أَيُّهَا **العَلَم!**
وَهُنَا وَهُنَالِكَ مِن أَجلِك، أَيَّتُهَا **الرَّبَّةُ** الكُونِيَّة! وَأَنتِ مِن أَجلِهِم!
وَهُنَا وَهُنَالِكَ أَيُّهَا **الاتِّحَاد**، كُل الأشغَالِ وَالشَّغِّيلَةِ لَك!
لَا أَحَدَ يَنفَصِلُ عَنكَ – مِن الآنَ فَصَاعِدًا وَاحِدٌ فَحَسب، نَحن وَأَنت،
(فَدَم الأَطفَال، مَاذَا يَكُون، إِن لَم يَكُن سِوَى الدَّم الأُمومِي؟

وَالحَيَوَاتُ وَالأشغَالُ، مَاذَا تَكُون فِي النّهَايَة، إلَا طُرُق الإيمَانِ وَالموت؟)

وَفِيمَا نَجتَازُ ثَروَتَنَا الفَرِيدَةَ، فَهِيَ لَكِ، أَيَّتُهَا الأُم العَزِيزَة،
فَنَحنُ نَملِكُهَا كُلَّهَا وَالكَثِيرُ الآنَ سَرمَدِيٌّ فِيك؛
فَلَا تَظُنِّي أَن أُنشُودَتَنَا، وَعَرضَنَا، مُخَصَّصٌ لِلإنتَاجِ بِالجُملَةِ أَو الأربَاحِ فَحَسب - فَهِيَ
مِن أَجلِك، لِلرُّوحِ الكَامِنَةِ فِيكِ، مُثِيرَةً، رُوحِيَّة!
فَمَزَارِعُنَا، وَاختِرَاعَاتُنَا، وَمَحَاصِيلُنَا، نَملِكُهَا فِيكِ! المُدُنُ وَالوِلَايَاتُ فِيك!
حُرِّيَّتُنَا كُلُّهَا فِيكِ! حَيَوَاتُنَا الحَمِيمَةُ فِيك!

أُغنيَــة الشَّجــرة الحمرَاء

[1]

أُغنِيَــةٌ لِكَاليفُورنيَــا،
نُبُوءَةٌ وَمُوَارَبَه، فِكرَةٌ غَيرُ مَلمُوسَةٍ بِأن نَنتَشِرَ كَالهَوَاء،
جُوقَةٌ مِن حُورِيَّاتِ الغَابَة، وَهيَ تَذوِي، تَرحَل، أَو الصَّل المقَدَّس يَرتَحِل،
صَوتٌ عِملَاقٌ، مُغَمغِم، قَدَرِي، صَادِرٌ مِن الأرض وَالسَّمَاء،
صَوتُ شَجَرَةٍ جَبَّارَةٍ تُحتَضَر فِي غَابَةِ الأشجَار الحَمرَاء الكَثِيفَة.

وَدَاعًا يَا أُخوَتِي،
وَدَاعًا أَيَّتُهَا الأَرضُ وَالسَّمَاء، وَدَاعًا أَيَّتُهَا المِيَاه المُجَاوِرَة،
انتَهَى زَمَنِي، وَآنَ أَوَانِي.

عَلَى امتِدَادِ السَّاحِلِ الشَّمَالِي،
تَمَامًا فِيمَا وَرَاء الشَّاطِئ الصَّخرِي وَالكُهُوف،
فِي الهَوَاءِ المِلحِي القَادِم مِن البَحر فِي بَلدَة مِندُوشِينُو،
مَع التَّلَاطُمِ الخَفِيضِ وَالأَجَش لمَا هُو جَهِيرٌ ومُرَافِق[*]،

[*] الجهير والمرافق base and accompaniment: مصطلحان ينتميان إلى الموسيقى. "**الجهير**" صوت عميق وخفيض؛ و"**المرافق**" صوتٌ يرافق- في الخلفية- نغمةً أو صوتًا أساسيًّا.

مَع الضَّربَاتِ الجيَّاشَةِ للفُؤُوس التِي تَتَرَدَّدُ بِشَكلٍ مُوسِيقِي بِأَذرُع قَوِيَّة،
تَشُقُّ عَمِيقًا بِأَلسِنَةِ الفُؤُوسِ الحَادَّة، هُنَاكَ فِي غَابَةِ الأشجَار الحَمرَاءِ الكَثِيفَة،
أَسمَعُ الشَّجَرَةَ الجَبَّارَة تُنشِدُ أُنشُودَةَ مَوتِهَا.

لَم يَسمَع الحَطَّابُون، لَم تُرَدِّد الصَّدَى أَكوَاخُ المُخَيَّم،
لَم يَسمَع السَّائِسُون ذَوُو الآذَانِ المُرهَفَةِ وَعُمَّالُ الرَّافِعَةِ وَالسَّلاسِل،
إِذ جَاءَت أَروَاحُ الغَابَةِ مِن مَكَامِنِهَا عَلَى بُعد أَلفِ عَامٍ لِتَلحَقَ بِاللَّازِمَة،
لَكِنِّي فِي أَعمَاقِ رُوحِي سَمِعتُ بِوُضُوح.

مُغَمغِمَةً مِن بَين الآلَافِ مِن أَورَاقِ الشَّجَر،
نُزُولًا مِن قِمَّتِهَا السَّامِيَةِ مُتَصَاعِدَةً إِلَى ارتِفَاعِ أَلفَي قَدَم،
مِن بَينِ جِذعِهَا وَأَعضَائِهَا القَوِيَّة، مِن وَقعِ قَدَمِهَا الثَّقِيلَة،
تِلكَ الأُنشُودَةُ عَن الفُصُولِ وَالزَّمَن، لَا أُنشُودَةً عَن المَاضِي وَحدَه بَل عَن المستقبَل.
يَا حَيَاتِي غَير المَروِيَّة،
وَأَنتِ يَا كُلّ المَبَاهِجِ المهيبَةِ وَالبَرِيئَة،
يَا حَيَاتِي الخَالِدَةَ الجَسُورَ بِالمَبَاهِج وَسطَ المَطَر وَشُمُوسِ الصَّيفِ الكَثِيرَة،
وَالثُّلُوجِ البَيضَاءِ وَاللَّيلِ وَالرِّيَاحِ الوَحشِيَّة؛
أَيَّتُهَا المَبَاهِجُ العَظِيمَةُ الفَظَّةُ الصَّامِدَة، أَيَّتُهَا المَبَاهِجُ القَوِيَّةُ لِرُوحِي التِي لَم يَكسِرهَا إِنسِي،
(فَأَنَا أَعرِفُ أَنَّنِي أَحمِلُ رُوحًا تَلِيقُ بِي، وَأَنَا أَيضًا أَمتَلِك الوَعيَ وَالهَوِيَّة،
وَلِي جَمِيعُ الصُّخُورِ وَالجِبَالِ، وَالأَرض كُلُّهَا)،
فَيَا مَبَاهِجَ الحَيَاةِ اللَّائِقَةَ بِي وَبِأُخوَتِي،
لَقَد حَانَ وَقتُنَا، وَآنَ أَوَانُنَا.

وَلَا نَستَسلِم يَا أُخوَتِي الأَجِلَاءُ فِي حُزن،

فَنحنُ مَن مَلأنَا زَمَنَنَا بعَظمَة؛
بِرِضَاءِ الطَّبِيعَةِ الهادِئ، بِبهجَةٍ هَائِلَةٍ صَامِتَة،
نُرَحِّبُ بِمَا جَاهَدنَا مِن أَجلِهِم فِي المَاضِي،
وَنُخلِي المَجَالَ لَهُم.

لَهُم هُم المُنتَظَرُون طَوِيلًا،
لِجِنسٍ أَسمَى، لِيملأُوا هُم أَيضًا زَمَنَهُم بِعَظَمَة،
لَهُم نَتَنَازَل، نَحنُ مُلُوك الغَابَة فِيهِم!
فِيهِم هَذِه السَمَاوَاتُ وَالأجوَاء، ذُرَى الجِبَالِ هَذِه، شَاسِتَا، نِيفَادَا،
تِلكَ المنحَدَرَاتُ العِملَاقَة شَدِيدَةُ الانحِدَار، هَذا المَدَى، هَذِه الوِديَان، يُوسِمِيت البَعِيدَة،
لِتُمتَص فِيهِم، وَتُستَوعَب.

ثُم مِن وَتَرٍ أَسمَى،
أكثَر كِبريَاءً أَيضًا، أَكثَر نَشوَةً تَصَّاعَدُ الأُنشُودَة،
كَأَن الوَرَثَة، أَربَابَ الغَرب،
يَلتَحِقُون مُشَارِكِين بِلِسَانٍ عَظِيم.

لَا شَاحِبًا مِن مَعبُودَاتِ آسيَا،
وَلَا أَحمَر مِن مَجزَرِ الأُسَرِ الأُورُوبِّيَةِ القَدِيمَة،
(مَجَال مُؤَامَرَات العُرُوشِ لِلقَتل، مَع رَائِحَةٍ بَاقِيَةٍ حَتَّى الآن مِن الحرُوبِ وَالمَشَانِق المنصُوبَةِ فِي كُلِّ مَكَان)،
بَل يَأتِي مِن نِضَالِ الطَّبِيعَةِ العَنِيفِ الطَّوِيل بِلَا إِيذَاء، المتَزَايِدِ مُسَالِمًا بِالتَّالِي،
مِن هَذِه الأَرَاضِي العَذرَاء، أَرَاضِي الشَّاطِئِ الغَربِي،

إِلَى الإِنسَانِ الجَدِيدِ المتَوّج، إِلَيك، أَيَّتُهَا الامبرَاطُورِيَّةُ الجَدِيدَة،
أَنتِ المَوعُودَةُ طَوِيلًا، نَستَودِعُكِ، وَنُهدِيك.

أَنتِ تُخفِين إِرَادَةً عَمِيقَة،
أَيَّتُهَا الرُّجُولَةُ الرُّوحِيَّةُ العَادِيَّة، يَا غَايَةَ الجَمِيع، المعتَمِدَةُ عَلَى نَفسِك، المانِحَةُ القَوَانِين
لَا الآخِذَة،
أَيَّتُهَا الأُنُوثَةُ السَّمَاوِيَّة، يَا سَيِّدَةَ وَمَنبَعَ الكُل، الحَيَاةِ وَالحُب وَأَيِّ مَا يَأتِي مِن الحَيَاةِ
وَالحُب،
أَيُّهَا الجَوهَرُ الأَخلَاقِي الخَفِي لِكُل المَوَاد الهَائِلَةِ لأَمِيرِيكَا (عَصرًا بَعدَ عَصرٍ مُتَفَاعِلًا
فِي الموتِ كَمَا فِي الحَيَاة)،
أَنتَ، أَيُّهَا المعرُوفُ أَحيَانًا، المجهُولُ غَالِبًا، مَن تُشَكّل حَقًّا وَتَصُوغ العَالَم الجديد،
وَتَضبِطُه وِفقًا لِلزّمَان وَالمكَان،
أَيَّتُهَا الإِرَادَةُ الوَطَنِيَّةُ الخَفِيَّةُ الكَامِنَةُ فِي مَهَاوِيك، خَبِيئَةً لَكِن يَقِظَةً أَبَدًا،
أَيَّتُهَا الغَايَاتُ المَاضِيَةُ وَالحَاضِرَةُ المستَهدَفَةُ بِصُورَةٍ عَنِيدَة، رُبَّمَا بَلَا وَعيٍ مِنكُم،
بَلَا انحِرَافٍ بِفِعلِ الأَخطَاءِ العَابِرَة، وَتَشَوُّشَاتِ السَّطح؛
أَيَّتُهَا البُذُورُ الحَيَوِيَّةُ، الكَونِيَّةُ، الخَالِدَة، تَحتَ كُلِّ العَقَائِد، وَالفُنُون، وَالتَّشرِيعَات،
وَالآدَاب،
الأَفضَلُ أَن تُؤَسِّسِي بَيتَكِ هَا هُنَا، فَلتُقِيمِي هُنَا، فَكُل هَذِهِ المَنَاطِق، أَرَاضِي السَّاحِلِ
الغَربِي،
نَهَبُهَا، نُهدِيهَا لَك.

إِلَى الإِنسَانِ الكَامِنِ فِيك، إِلَى جِنسِك الجَوهَرِي،
فَهُنَا قَد يَشِبُّ عِملَاقًا، عَذبًا، جَرِيئًا، هُنَا يَسمُق مُتَنَاسِبًا مَع الطَّبِيعَة،
هُنَا يَتَسَلَّق الفَضَاءَاتِ الشَّاسِعَةَ الطَّاهِرَة، بِلَا رَادِعٍ مِن حَائِطٍ وَسَقف،

هُنَا يَضحَكُ مَعَ الشَّمسِ أَو العَاصِفَة، هُنَا يَبتَهج، هُنَا يَتمَرَّس بِصَبر،
هُنَا يَعتَنِي بِنفسِه، يَتفَتَّحُ بِنفسِه (لَا وِفقَ صِيغَةِ الآخَرِين)، هُنَا يَشغَلُ وَقتَه،
لِيَهوِي فِي حِينِه، لِيُسَاعِد، بِلَا مُبَالَاةٍ فِي النِّهَايَة،
لِيَتَلَاشَى، لِيَخدِم.

هَكَذَا عَلَى الشَّوَاطِئِ الشَّمَالِيَّة،
عَلَى صَدَى نِدَاءَاتِ السَّائِسِين وَقَرقَعَةِ السَّلَاسِل، وَمُوسِيقَى فُؤُوسِ الحَطَّابِين،
وَالجِذعِ وَالأَغصَانِ السَّاقِطَة، وَالانهِيَارِ، وَالشَّهقَةِ المكبُوتَة، وَالآهَة،
وَتِلكَ الكَلِمَاتِ المُدغَمَةِ مِن الشَّجرَةِ الحَمرَاء، كَمَا مِن أَصوَاتٍ مُنتَشِيَة، قَدِيمَةٍ ذَات حَفِيف،
تُغَنِّي، وَتَنسَحِب الحُورِيَّاتُ الخَفِيَّةُ، البَاقِيَةُ بِالقَرن،
تُغَادِر مَكَامِنهَا بِالغَابَاتِ وَالجِبَال،
مِن نِطَاقِ الشَّلَّالِ إِلَى وَاهسَاتش، أَو إِيدَاهُو البَعِيدَة، أَو أُوتَاه،
إِلَى الرَّبَّاتِ المُستَسلِمَاتِ مِن الآنَ فَصَاعِدًا لِمَا هُو حَدِيث،
فَالجُوقَةُ وَالإِشَارَاتُ، وَآفَاقُ الإنسَانِيَّةِ القَادِمَة، وَالمستَوطَنَاتُ، وَكُل المَلَامِح،
أَلمحُهَا فِي غَابَاتِ مِندُوشِينُو.

[2]

أُبَّهَةُ كَالِيفُورنيَا الوَامِضَةُ الذَّهَبِيَّة،
الدِّرَامَا المُفَاجِئَةُ وَالفَاتِنَة، الأَرَاضِي المُشمِسَةُ وَالفَسِيحَة،
الامتِدَادُ الطَّوِيلُ المُتَنَوِّعُ مِن بُوجِيه العَمِيقَةِ حَتَّى كُولُورَادُو جَنُوبًا،
كَانَت الأَرَاضِي تَتَحَمَّم فِي أَعذَب، وَأَندَر، وَأَنقَى هَوَاء، وَالوِديَانُ وَمُنحَدَرَاتُ الجِبَال،
وَحُقُولُ الطَّبِيعَةِ المستَرِيحَةُ وَالمُعَدَّةُ طَوِيلًا، وَالكِيمِيَاءُ الصَّامِتَةُ الدَّورِيَّة،
وَالعُصُورُ المُنتَظِمَةُ البَطِيئَة المتَهَادِيَة، وَالسَّطحُ السَّاكِن الذِي يَتَعَتَّق، وَالمعَادِنُ

النَّفِيسَةُ التِي تَتَشَكَّل فِي العُمق؛
وَفِي النِّهَايَةِ يَأتِي الجدِيدُ القَادِمُ، المدَّعِي، المهَيمِن،
جِنسٌ مُحتَشِدٌ وَمَشغُولٌ يَستَوطِن وَيَنتَظِم فِي كُل مَكَان،
سُفُنٌ تَأتِي مِن العَالَم المحِيطِ كُلِّه، وَتَمضِي إِلَى العَالَم كُلِّه،
إِلَى الهِندِ وَالصِّين وَاستُرَاليَا وَفَرَادِيسِ الألفِ جَزِيرَةٍ فِي البَاسِيفِيك،
مُدُنٌ حَاشِدَةٌ، آخِرُ الاختِرَاعَات، وَالبَوَاخِرُ فِي الأنهَار، وَالسِّكَكُ الحَدِيدِيَّة، مَع العَدِيدِ
مِن المَزَارِعِ المزدَهِرَة، مَعَ الآلات،
وَالصُّوفُ وَالقَمحُ وَالكُرُوم، وَحَفرِيَّاتُ الذَّهَبِ الأصفَر.

[3]

لَكِن فِيكِ مَا هُو أَكثَر مِن ذَلِك، يَا أَرَاضِي الشَّاطِئِ الغَربِي،
(فَذَلِكَ لَيسَ سِوَى الوَسَائِل، الأدَوَات، الأرضِيَّة)،
أَرَى فِيكِ، وَاثِقًا مِن مَجِيئِه، وَعدَ آلَافِ السِّنِين، المُؤَجَّلَ حَتَّى الآن،
مَوعُودًا بِتَحَقُّقِه، نَوعُنَا المشتَرَك، الجِنسُ البَشَرِي.

المجتَمَعُ الجَدِيدُ فِي النِّهَايَة، متوَافِقٌ معَ الطَّبِيعَة،
فِي الرَّجُلِ الكَامِنِ فِيك، بِأَكثَر مِمَّا فِي ذُرَى جِبَالِك أَو أَشجَارِك الرَّاسِخَة السَّامِقَة،
بِالأَحرَى فِي المرأَةِ، أَكثَر بِكَثِير مِمَّا فِي ذَهَبِك أَو كرُومِك، أَو حَتَّى الهَوَاءِ الحَيَوِي.

فَهَيَّا مُنتَعِشِين، إِلَى عَالَمٍ جَدِيدٍ حَقًّا، لَكِن طَوِيل الإِعدَاد،
فَأَنَا أَرَى عَبقَرِيَّ (العَالَم) الحَدِيث، ابنَ الوَاقِعِي وَالمثَالِي،
يُنَظِّفُ الأرض مِن أَجلِ إِنسَانِيَّةٍ شَاسِعَة، أَمِيرِيكَا الحَقِيقِيَّة، وَرِيثَةِ المَاضِي العَظِيم،
لِيُؤَسِّسَ مُستَقبَلًا أَعظَم.

أُغنيَــة الأشــغَال

[1]

أُغنيَةٌ مِن أَجلِ الأشغَال!

فِي عَمَل المحَرِّكَاتِ وَالحِرَف وَشُغل الحُقُولِ أَعثُر عَلَى التَّطَوُّرَات،

وَأعثُر عَلَى المعَانِي الأَبدِيَّـة.

أَيُّهَا العُمَّالُ وَالعَامِلَات!

هَل انتَشَرَ جَيِّدًا كُل التَّعلِيم العَمَلِي وَالزُّخرُفِي انطِلَاقًا مِنِّي، وَإِلَى أَيِّ مَدًى؟

هَل كُنتُ– بِاعتِبَارِي رَئِيسَ المعَلِّمِين– مَالِكًا خَيِّرًا، رَجُلَ دَولَةٍ حَكِيمًا، وَإِلَى أَيِّ مَدًى؟

هَل كُنتُ– بِالنِّسبَةِ لَكُم– كَالرَّئِيس الذِي يَقُومُ بِتَوظِيفِكُم وَدَفعِ أُجُورِكُم، هَل يَكفِيكُم هَذَا؟

العلَّامَةُ، الفَاضِلُ، الخَيِّـر، وَالصِّفَاتُ المَعهُودَة،

هُو رَجلٌ مِثلِي لَا كَمِثلِ الصِّفَات المَعهُودَةِ أَبَدًا.

لَا سَيِّدًا وَلَا خَادِمًا، أَنَا،

مَا إِن أَتَلَقَّى ثَمَنًا أَكبَرَ مِن أَن يَكُون بَخسًا، حَتَّى أجعَلَ ثَمَنِي أَيًّا مَا كَانَ يُبهِجُنِي،

وَسَأَكُون مُسَاوِيًا لَكُم وَتَكُونُون مُسَاوِين لِي.

وَإِن صَمَدتُم فِي العَمَلِ بِدُكَّانٍ مَا فَسَأَصمِد قُربَكُم كَأقرَب وَاحِدٍ مِنكُم فِي نَفس الدُّكَّان،
وَإِن مَنَحتُم هَدَايَا إِلَى أَخِيكُم أَو أَعَز الأصدِقَاءِ فَسَأطلُبُ مِثلَهَا شَأنِي شَأن أَخِيكُم أَو أَعَز الأصِدِقَاء،
وَإِذَا مَا كَان الحَبِيبُ، أَو الزَّوجُ، أَو الزَّوجَةُ، مَوضِعَ تَرحِيبٍ لَيلَ نَهَار، فَلَابُد أَن أَكُونَ شَخصِيًّا مَوضِعَ تَرحِيبٍ مِثلَهُم،
وَإِن انهَرتُم، أَجرَمتُم، مَرِضتُم، فَآنئِذٍ سَأُصبِحُ كَذَلِكَ مِن أَجلِكُم،
وَإِن تَتَذَكَّرُوا أَفعَالَكُم الحمقَاءَ وَالخَارِجَةَ عَلَى القَانُون، فَهَل تَظُنُّون أَنَّنِي لَا يُمكِنُنِي تَذَكُّر أَفعَالِي الحمقَاءِ وَالخَارِجَةِ عَلَى القَانُون؟
وَلَو عَربَدتُم عَلَى المِنضَدَةِ فَإِنَّنِي أُعَربِدُ عَلَى الجَانِب المُقَابِل مِن المنضَدَة،
وَإِن قَابَلتُم أَحَدَ الغُربَاءِ فِي الشَّوَارِعِ وَأَحبَبتُمُوه أَو أَحبَبتُمُوهَا، فَذَلِك هُو السَّبَبُ فِي أَنَّنِي كَثِيرًا مَا أُقَابِلُ غربَاء وَأُحِبُّهُم.

فَمَاذَا تَظُنُّون بِأَنفُسِكُم؟
أَأَنتُم إِذَن مَن تُبخِسُون قَدرَ أَنفُسِكُم؟
أَأَنتُم مَن تَظنُّون أَن الرَّئِيسَ أَعظَم مِنكُم؟
أَو أَن الأَثرِيَاءَ أَفضَل بِكَثِيرٍ مِنكُم؟ أَو أَن المتَعَلِّمَ أَكثَر حِكمَةً مِنكُم؟

(لأَنَّكُم مُلَطَّخُون بِالشَّحمِ أَو بِالبُثُور، أَو كُنتُم ذَاتَ مَرَّةٍ مَخمُورِين، أَو لُصُوصًا،
أَو مَرضَى، أَو مَسلُولِين، أَو عَاهِرَة،
أَو عَانَيتُم مِن الطَّيشِ أَو العِنَّة، أَو لَم تَدرِسُوا وَلَم تَروا اسمَكُم مَطبُوعًا أَبَدًا،
فَهَل تُسَلِّمُون بِذَلِك بِأَنَّكُم أَدنَى مِن الآخَرِين؟)

[2]

فَيَا أَروَاحَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ! لَستُم أَنتُم مَن أُنَادِي مُخفِيِّين، غَير مَسمُوعِين، لَا يُلمَسُون

أَو يَلمَسُون،
لَستُم أَنتُم مَن أُجَادِلُ بِشَأنِهِم مُدَافِعًا فِي صَفِّهِم، وَأُحَدِّد مَا إِن كُنتُم أَحيَاءً أَم لَا،
فَأَنَا أَعتَرِفُ عَلَنًا بِكَينُونَتِكُم، إِن لَم يَعتَرف أَحدٌ آخَر.

كِبَارًا، شِبهَ كِبَارٍ وَرُضَّعًا، مِن هَذَا البَلَد وَمِن كُلِّ بَلَد، بِالدَّاخِلِ أَو بِالخَارِج، أَرَى الوَاحِدَ شَأنَ الآخَر تَمَامًا،
وَأَرَى الجَمِيعَ غَيرَهُم فِيمَا وَرَاءهُم أَو خلَاهُم.

الزَّوجَة، وَهيَ لَيسَت أَقَل بِذَرَّةٍ مِن الزَّوج،
الإِبنَة، وَهي جَيِّدَةٌ شَأنَ الإِبن،
الأم، وَهيَ شَأنُ الأب تَمَامًا.

نَسلُ الجَاهِلِ وَالفَقِير، الصِّبيَةُ المُتَدَرِّبُون عَلَى الحِرَف،
الرِّفَاقُ الشُّبَّانُ العَامِلُون فِي المزَارِع وَالرِّفَاقُ الكِبَارُ العَامِلُون فِي المزَارِع،
البَحَّارَةُ، التُّجَّارُ، العَامِلُون بِالسَّوَاحِل، المهَاجِرُون،
كُل هَؤُلَاء أَرَاهُم، سَوَاء كُنتُ أَرَاهُم قَرِيبِين أَو بَعِيدِين،
فَلَا شَيءَ يُفلِتُ مِنِّي وَلَا شَيءَ سَيُرِيدُ الإِفلَاتَ مِنِّي.

إِنَّنِي آتِي بِمَا تَمَسُّ حَاجَتُكُم إِلَيه وَإِن كُنتُم تَمتَلِكُونَه دَائِمًا،
لَا النُّقُودَ، الغَرَامِيَّات، المَلَابِس، الطَّعَام، المعرِفَةَ الوَاسِعَة، رغمَ أَنَّهَا جَيِّدَة،
لَا أُرسِلُ مَندُوبًا وَلَا وَسِيطًا، لَا أُقدِّمُ مُمَثِّلًا لِلقِيمَة، بَل أُقَدِّم القِيمَةَ ذَاتَهَا.

هُنَاكَ شَيءٌ مَا يَأتِي لِلمرءِ الآنَ وَدَائِمًا،
لَيسَ مَا هُو مَكتُوبٌ، مَا بُشِّر بِه، مَا نُوقِش، فَهوَ يَرُوغُ مِن المنَاقَشَةِ وَالكِتَابَة،
لَيسَ مِمَّا يُوضَع فِي كِتَاب، لَيس فِي هَذَا الكتَاب،

هُو لَك أَيًّا مَن تَكُون، وَلَيسَ بِالنِّسبَةِ لَك أَبعَدَ مِن سَمعِك وَبَصَرِك،
وَأَومَأ إِلَيه مَا هُو أَكثَر قُربًا، وَمُشَارَكَةً، وَاستِعدَادًا، وَيُوحُون بِه دَائِمًا.

قَد تَقرَأ بِعِدَّةِ لُغَات، لَكِنَّك لَم تَقرَأ عَنه،
قَد تَقرَأ رِسَالَةَ الرَّئِيس وَلَا تَقرأ عَنه شَيئًا فِيهَا،
لَا شَيءَ فِي تَقَارِيرِ وِزَارَة الخَارِجِيَّةِ أَو وِزَارَةِ الخزَانَة، لَا فِي الصُّحُفِ اليَومِيَّة أَو الصُّحُفِ الأُسبُوعِيَّة،
وَلَا فِي إِحصَاءِ السُّكَّانِ أَو عَائِدَاتِ الدَّخلِ، وَسِعرِ العُملَة، أَو أَيَّةِ حِسَابَاتٍ للبُورصَة.

[3]

الشَّمسُ وَالنُّجُومُ التِي تَطفُو فِي الهَوَاءِ الطَّلق،
وَالأَرض بِشَكلِ التُّفَّاحَةِ وَنَحنُ فَوقَهَا، لَابُد أَن اندِفَاعَهُم شَيءٌ عَظِيم،
لَا أَعرِفُ إِلَّا مَا هُو عَظِيم، وَمَا هُو السَّعَادَة،
وَأَن المعنَى الكَامِنَ لَنَا هُنَا لَيسَ تَخمِينًا أَو مُلَاحَظَةً طَرِيفَةً أَو استِقرَاءً،
وَأَنه لَيسَ شَيئًا مَا قَد يُصبِحُ جَيِّدًا لَنَا بِضَربَة حَظ، وَبِدُونِ الحظ لَابُد أَن يَكُون فَشَلًا لَنَا،
وَلَيسَ شَيئًا مَا يُمكِن حَتَّى الآن أَن يَتَقَلَّصَ إِلَى مُصَادَفَةٍ ما.
الظِّل وَالضَّوءُ، الإِحسَاسُ الغَرِيبُ لِلجَسَدِ وَالكَينُونَةِ، الشَّرَاهَةُ التِي تَلتَهِمُ كُلَّ شَيءٍ بِكُل كَيَاسَة،
الكِبرِيَاءُ وَالامتِدَادُ اللَّانِهَائِي لِلإِنسَان، المبَاهِجُ وَالأَحزَانُ العَصِيَّةُ عَلَى التَّعبِير،
الأُعجُوبَةُ التِي يَرَاهَا كُل وَاحِدٍ فِي كُلِّ وَاحِدٍ يَرَاه، وَالأَعَاجِيبُ التِي تَملأُ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِن الزَّمَن إِلَى الأَبَد،
مِن أَجلِ مَاذَا تَظُنُّونَهُم، يَا رِفَاق؟

هَل ظَنَنتُم أَنَّهُم مِن أَجلِ حِرَفِكُم أَو أَشغَالِ مَزَارِعِكُم؟ أَم مِن أَجلِ أَربَاحِ

دَكَاكِينِكُم؟
أَم لِتَحقِيقِ مَكَانَةٍ لأنفُسِكُم؟ أَم لِقَضَاءِ وَقتِ فَراغ سَيِّدٍ مَا، أَو وَقتِ فَرَاغ سَيِّدَةٍ مَا؟

هَل ظَنَنتُم أَن المشهَدَ الطَّبِيعِي يَتَّخِذُ مَادَّتَه وَشَكلَه لِيُمكِن أَن يُرسَمَ فِي لَوحَةٍ ما؟
أَو لِمَا قَد يُكتَب عَن الرِّجَالِ وَالنِّسَاء، وَتُغَنَّى الأُغنِيَات؟
أَو لاتِّخَاذِ الجَاذِبِيَّة الأرضِيَّةَ، وَالقَوَانِينَ العَظِيمَةَ وَالتَّوَافُقَاتِ المتنَاغِمَةَ وَاندِفَاقَاتِ الهَوَاء، كَموضُوعَاتٍ لِلعُلَمَاء؟
أَو أَنَّ الأرض البُنِّيَّةَ وَالبَحرَ الأزرَقَ هُمَا مِن أَجلِ الخَرَائِطِ وَالرُّسُومِ البَيَانِيَّة؟
أَو أَن النُّجُومَ مِن أَجلِ تَجمِيعِهَا فِي مَجَرَّاتٍ وَتَسمِيتِهَا بِأَسمَاءٍ خَيَالِيَّة؟
أَو أَن نُمُو البُذُور إِنَّمَا هُو مِن أَجلِ الجَدَاوِلِ الزِّرَاعِيَّة، أَو الزِّرَاعَةِ نَفسِهَا؟

وَالتَّشرِيعَاتُ القَدِيمَة، هَذِه الفُنُونُ، المكتَبَاتُ، الأَسَاطِيرُ، الجَمَاعَاتُ، وَاليَدُ العَامِلَةُ عَلَى امتِدَادِ الوِرَش، هَل سَنُبَالِغُ فِي تَقدِيرِهَا؟
هَل سَنُبَالِغُ فِي تَقدِيرِ أَموَالِنَا السَّائِلَةِ وَأَشغَالِنَا؟ لَا اعتِرَاضَ عِندِي،
إِنِّنِي أُقَدِّرُهَا كَأَعلَى مَا يَكُون – وَبَعدَهَا أُقَدِّرُ طِفلًا يُولَد مِن امرَأَةٍ وَرَجُلٍ أَبعَدَ مِن أَيِّ تَقدِير.

كُنَّا نَظُن أَن اتِّحَادَنَا عَظِيم، وَأَن دُستُورَنَا عَظِيم،
وَلَا أَقُولُ إِنَّهُمَا لَيسَا عَظِيمَين وَجَيِّدَين، فَهُمَا كَذَلِك،
وَأَنَا اليَوم أُحِبُّهَمَا كَثِيرًا مِثلَكُم،
إِذَن فَأَنَا أُحِبُّكُم، وَأُحِبُّ جَمِيعَ رِفَاقِي عَلَى الأَرض.

نَحنُ نَعتَبِرُ الأَنَاجِيلَ وَالأَديَانَ سَمَاوِيَّةً- وَلَا أَقُولِ إِنَّهُم لَيسَوا سَمَاوِيِّين،
إِنِّنِي أَقُولُ إِنَّهُم قَد نَشَأوا مِنكُم، وَقَد يُوَاصِلُون النُّشُوءَ مِنكُم،

فَهُم لَيسَوا مَا يَمنَحُ الحَيَاة، فَأَنتُم مَن يَمنَحُون الحَيَاة،
وَالأوراقُ أيضًا لَا تَنبُتُ مِن الأشجَار، وَلَا الأشجَارُ تَنبُتُ مِن الأرض، بِأَكثَر مِمَّا يَنبُتُون مِنكُم أَنتُم.

[4]

وَكُلّ جَلَالٍ مَعرُوفٍ أُضِيفُه إِلَيكُم أَيًّا مَن تَكُونُون،
وَالرَّئِيسُ مُوجُودٌ فِي البَيتِ الأَبيَض مِن أَجلِكُم، فَلَستُم أَنتُم مَن تُوجَدُون مِن أَجلِه،
وَالوزَارَاتُ تَعمَلُ فِي مَكَاتِبِهَا مِن أَجلِكُم، وَلَستُم هُنَا مِن أَجلِهَا،
وَالكُونجِرِس يَنعَقِد كُلَّ دِيسَمبر مِن أَجلِكُم،
وَالقَوَانِينُ، والمحَاكِم، وتَشكِيلُ الوِلَايَات، وسِمَاتُ المدُن، والذَّهَابُ وَالمجِيءُ لِلتِّجَارَةِ وَالبَرِيد، هِي جَمِيعًا مِن أَجلِكُم.

فَلنَرصُد عَن كَثَبٍ أَعِزَّائِي البَاحِثِين،
أَن العَقَائِدَ، وَالسِّيَاسَات وَالحَضَارَةَ تَنبَثِقُ مِنكُم،
وَالنَّحتَ وَالنُّصُبَ التذكَارِيَّةَ وَأَيَّ شَيءٍ مَنقُوشًا فِي أَيِّ مَكَانٍ مُسَجَّلٌ فِيكُم،
أَن لُبَّ التَّوَارِيخِ وَالإِحصَائِيَّات القَدِيمَةِ إِلَى أَقدَمِ مَا تَصِل السَّجِلَاتُ كَامِنٌ فِيكُم فِي هَذِه السَّاعَة، وَالأَسَاطِيرَ وَالحِكَايَات عَلَى السَّوَاء،
وَإِن لَم تَكُونُوا تَتَنَفَّسُون وَتَتَمَشُّون هُنَا، فَأَينَ يُمكِن لِلجَمِيع أَن يَكُون؟
فَأَشهَر القَصَائدِ سَتَكُون رَمَادًا، وَالخُطَبُ وَالمسرَحِيَّاتُ سَتَكُون خَوَاءً.

كُلُّ مِعمَارٍ هُو مَا تُضِيفُونَه إِلَيهِ عِندَمَا تَنظُرُون عَلَيه،
(هَل كُنتُم تَظُنُّون أَنَّه الحَجَرُ الأبيضُ أَو الرَّمَادِي؟ أَو خُطُوطُ القِبَابِ وَالزَّخرَفَات؟)

كُل الموسِيقَى هِي مَا يَستَيقِظُ مِنكُم حِين تُذَكِّرُكُم الآلَات،
إِنَّهَا لَيسَت الكمَانَات وَالأَبوَاق، لَيسَت الأُوبوَا وَلَا الطُّبُولَ القَارِعَة، وَلَا مَقطُوعَة

المغَنِّي البَارِيتُون الذِي يُغَنِّي قِصَّةَ حُبِّه العَذبَة، وَلَا مَا تُغَنِّيه جُوقَةُ الرِّجَال، وَلَا مَا تُغَنِّيه جُوقَةُ النِّسَاء،
إِنَّهَا أَقرَبُ وَأَبعَدُ مِنهُم.

[5]

فَهَل سَيَعُودُ الجَمِيعُ إِذَن؟
أَيُمكِن لِكُل وَاحِدٍ أَن يَرَى إِشَارَات الأفضَل بِنَظرَةٍ مَا فِي المرآة؟ أَلَا يُوجَدُ مَا هُو أَعظَم أَو أَكثَر؟
هَل يَجلِسُ الجَمِيعُ مَعَكُم هُنَاك، مَعَ الرُّوحِ الخَفِيَّةِ البَاطِنِيَّة؟

غَرِيبَةٌ وَعَصِيَّةٌ هَذِه المفَارَقَةُ الحَقِيقِيَّةُ التِي أُقَدِّمُهَا،
فَالأَشيَاءُ الضَّخمَةُ وَالرُّوحُ الخَفِيَّةُ وَاحِد.

بِنَاءُ المنَازِل، القِيَاسُ، نَشرُ الأَلوَاح،
الحِدَادَةُ، نَفخُ الزُّجَاج، صُنعُ المسَامِير، أَشغَالُ النُّحَاس، التَّسقِيفُ بالقَصدِير، قَصَّةُ الشَّعرِ النِّسوِيَّةِ القَصِيرَة،
تَجمِيعُ أَجزَاءِ السَّفِينَةِ، بِنَاءُ السَّطحِ، تَملِيحُ الأسمَاك، حَامِلُو الأعلَام يَرفَعُون الأعلَامَ عَلَى الأرصِفَة،
المضَخَّةُ، مِدَقُّ الرَّكَائِز، الرَّافِعَةُ العَظِيمَة، فُرنُ الفَحم وَفُرن القِرمِيد،
مَنَاجِمُ الفَحمِ وَكُلُّ مَا يُستَخرَجُ هُنَاك، المصَابِيحُ فِي الظَّلَام، الأصدَاءُ، الأغَانِي، أَيَّةُ تَأَمُّلَات، أَيَّةُ أَفكَارٍ شَاسِعَةٍ فِطرِيَّة تتَبَدَّى خِلَالَ الوُجُوهِ الملَطَّخَة،
أَشغَالُ الحَدِيد، نِيرَان الصَّهرِ فِي الجِبَالِ أَو عَلَى شَواطِئ النَّهر، الرِّجَالُ المُحِيطُون يَشعرُون بِالذَّوبَانِ مَع العَتَلَات الضَّخمَة، كُتَلُ المعدَنِ النَّفِيس، الدَّمجُ المطلُوبُ لِلمَعدَنِ النَّفِيس، وحَجَرِ الجِير، وَالفَحم،

الفُرنُ العَالِي وَفُرن الحَدِيد، كُتلَةُ الحَدِيدِ فِي قَاعِ المَصهُورِ فِي النِّهَايَة، المصقَلُ الدَّوَّار،
القُضبَانُ السَّمِيكَةُ مِن حَدِيدٍ مَسبُوك، القَضِيبُ القَوِي عَلَى شَكل T دَقِيقٌ لِلسِّكَكِ الحَدِيدِيَّة،

أَشغَالُ الزَّيت، أَشغَالُ الحَرِير، أَشغَالُ الرَّصَاصِ الأبيَض، مَعمَلُ السُّكَّر، المَنَاشِيرُ البُخَارِيَّة، الطَّوَاحِينُ وَالمعَامِل،

قَطعُ الأحجَار، الزَّخَارِفُ الجَمِيلَةُ لِلوَاجِهَاتِ أَو النَّوَافِذ أَو إِطَارَاتِ الأبوَاب، المطرَقَة، الإزمِيلُ، ذِرَاعُ الرَّافِعَة الذِي يَحمِي الحِليَة،

الحَدِيدُ الوَاقِي، غَلَّايَة أَسمَنت القُبَّةِ المغلِي، وَالنَّارُ تَحتَ الغَلَّايَة،

بَالَةُ القُطن، خُطَّافُ تَحمِيل وَتَفرِيغ السُّفُن، المنشَارُ وَصَبِّي النَّشَّار، قَالَبُ البَنَّاء، سِكِّينُ العَمَل لَدَى الجَزَّار، مِنشَارُ الثَّلج، وَكُل أَشغَالِ الثُّلُوج،

شُغلُ وَأَدَوَاتُ عَامِلِ الإصلَاح، وَعَامِلِ المَرسَى، وَصَانِعِ الأشرِعَة، وَصَانِعِ القَوالِب،

سِلَعُ الجَاتَّا-بِرشَا[*]، الوَرَقُ المعجُون، الألوَانُ، الفُرَش، صُنع الفُرَش، تَطبِيقَاتُ الزُّجَاج،

القِشرَةُ الخَارِجِيَّةُ وَقَارُورَةُ اللَّاصِق، زَخَارِفُ الحلوَانِي، الدَّورَقُ وَالأكوَابُ، المقَصَّاتُ الكَبِيرَةُ وَالحَدِيدُ المسَطَّح،

المخرَزُ وَرِبَاطُ الرُّكبَة، مِعيَارُ البَاينت[**] وَرُبع المعيَار، المنضَدَةُ الطَّوِيلَةُ وَالكُرسِي العَالِي، قَلَم الكِتَابَةِ مِن الرِّيشِ أَو المعدَن، صُنعُ كُل أَنوَاعِ الأدوَات الحَادَّة،

مَصنَعُ البِيرَة، التَّخمِيرُ، الشَّعِيرُ، أَوعِيَةُ التَّخمِير، كُل مَا قَامَ بِه صُنَّاعُ البِيرَة، وَالنَّبِيذ، وَالخَل،

حِيَاكَةُ الجِلد، صِنَاعَةُ الحَافِلَات، صِنَاعَةُ الغَلَّايَات، بَرمُ الحِبَال، التَّقطِيرُ، تَلوِينُ اللَّافِتَاتِ، حَرقُ الجِير، التِقَاطُ القُطنِ، الطِّلَاءُ الكَهرَبَائِي، الطِّبَاعَةُ الكَهرَبَائِيَّة، التَّنمِيط،

---

[*] الجَاتَّا-بِرشَا gutta-percha: مادة شبيهة بالمطاط.

[**] مكيال للسوائل، يساوي ثُمن جالون.

آلَات الثَّقبِ، آلَاتُ التَّخطِيط، آلاتُ الحَصَادِ، آلَاتُ الحَرث، آلَاتُ الدِّرَاس، العَرَبَاتُ البُخَارِيَّة،

عَرَبَةُ صَاحِبِ الكَارُّو، الحَافِلَة، عَرَبَةُ الأثقَالِ الخَرقَاء،

عَرضُ الألعَابِ النَّارِيَّة، إِطلَاقُ الألعَابِ النَّارِيَّةِ الملَوَّنَةِ فِي اللَّيل، أَشخَاصٌ وَاندِفَاقَاتٌ وَهمِيَّة ؛

أَبقَارٌ فِي حَظِيرَةِ الجَزَّار، مجزَر الجَزَّار، وَالجَزَّارُ فِي مَلَابِس الذَّبح،

قُطعَانٌ صَغِيرَةٌ مِن خَنَازِير حَيَّة، مِطرَقَةُ القَتل، خُطَّافُ الخَنَازِير، حَوضُ التَّنظِيف، إِخرَاجُ الأحشَاء، السَّاطُور، مِدَقَّةُ التَّجهِيز، وشُغلُ الشِّتَاءِ الكَثِيرُ فِي تَعلِيبِ الخِنزِير،

أَشغَالُ الدَّقِيق، طَحنُ القَمح، الجَاوِدَار، الذُّرَة، الأُرز، البَرَامِيلُ وَأَنصَافُ وَأَربَاعُ البَرَامِيل، مَرَاكِبُ التَّحمِيل، الأكوَامُ العَالِيَةُ عَلَى أَرصِفَةِ التَّحمِيل وَأَرصِفَةِ المينَاء،

الرِّجَالُ وَأَشغَالُ الرِّجَالِ عَلَى المعَدِّيَات، وَالسِّكَكِ الحَدِيدِيَّة، وَالشَّوَاطِئ، وَقَوَارِبِ صَيدِ السَّمَك، وَالقَنَوَات؛

الرُّوتِينُ الدَّائِمُ لِحَيَاتِك أَو حَيَاةِ أَيِّ شَخص، الدُّكَّان، الفِنَاء، البِقَالَة، أَو المَعمَل،

هَذِه العُرُوض جَمِيعًا القَرِيبَةُ مِنكَ نَهَارًا وَلَيلًا- أَيُّهَا العَامِل! أَيًّا مَن تَكُون، هِي حَيَاتُك اليَومِيَّة!

فِي ذَلِكَ وَفِيهِم ثِقَلُ مَا هُو أَثقَل - فِي ذَلِكَ وَفِيهِم بِأَكثَر كَثِيرًا مِمَّا قَدَّرتَ (وَأَقَلَّ كَثِيرًا أَيضًا)،

فِيهِم حَقَائِقُ لَكَ وَلِي، فِيهِم قَصَائِدُ لَكَ وَلِي،

فِيهِم، لَا نَفسَك -- فَأَنتَ وَرُوحُك تحتَوِيَان كُلَّ شَيء، بِصَرفِ النَّظَرِ عَن التَّقدِير،

فِيهِم التَّطَوُّرُ الجَيِّد – فِيهِم كُلُّ الأفكَار، وَالإِيمَاءَات، وَالاحتِمَالَات.

لَا أُؤَكِّد أَن مَا تَرَونَه فِي البَعِيدِ بِلَا جَدوَى، وَلَا أَنصَحُكُم بِالتَّوَقُّف،

لَا أَقُول إِن المَبَادَرَات التِي تَظُنُّونَهَا عَظِيمَةً لَيسَت عَظِيمَة،
لَكِنِّي أَقُول إِن مَا مِن شَيءٍ يَقُودِ إِلَى مَا هُو أَعظَم مِمَّا يَقُودُ إِلَيه هَؤلَاء.

[6]

هَل سَتَبحَثُون بَعِيدًا؟ بِالتَّأكِيد سَوفَ تَعُودُون فِي النِّهَايَة،
فِي الأشيَاء المعرُوفَةِ لَكُم جَيِّدًا سَتَجِدُون الأفضَل، أَو مَا هُو بِمُستَوَى الأفضَل،
وَفِي الأقرَبِين سَتَجِدُون الأعذَب، وَالأقوَى، وَالأكثَر مَحَبَّة،
وَالسَّعَادَةُ، وَالمعرِفَةُ، لَيسَت فِي مَكَانٍ آخَرَ سِوَى هَذَا المكَان، لَا مِن أَجلِ وَقتٍ آخَر بَل هَذَا الوَقت،
وَالإِنسَان الذِي تَرَونه أَو تَلمَسُونه فِي البِدَايَة، سَيَكُون دَائِمًا صَدِيقًا، شَقِيقًا، أَقرَب جَار — سَيَكُونُ أُمًّا، أُختًا، زَوجَة،
وَالأذوَاقُ وَالاستِخدَامَاتُ الشَّعبِيَّةُ لَهَا السَّبقُ فِي القَصَائِدِ أَو فِي أَيِّ مَكَان،
فَأَنتُن أَيَّتُهَا العَامِلَاتُ أَيُّهَا العُمَّالُ بِهَذِهِ الوِلَايَات لَكُم حَيَاتُكُم السَّمَاوِيَّةُ القَوِيَّة،
وَكُلُّ شَيءٍ آخَر يُخلِي مَكَانَه لِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مِثلَكُم.
حِين تُنشِدُ التَّرنِيمَةُ بَدَلًا مِن المُغَنِّي،
حِينَ يَبتَهِلُ النَّصُّ بَدَلًا مِن المُبتَهِل،
حِينَ يَهبِطُ الوَاعِظُ وَيَمشِي بَدَلًا مِن النَّقَّاشِ الذِي نَقَش المقرَأَة،
حِين يُمكِنُنِي مُلَامَسَة جَسَد الكُتُبِ لَيلَ نَهَار، وَحِين يَلمَسُون جَسَدِي بِدَورِهِم مِن جَدِيد،
حِين تَكُون الدَّورَةُ الدِّرَاسِيَّةُ بِالجَامعَةِ مُقنِعَةً مِثلَمَا تُقنِعُ امرَأَةٌ وَطِفلٌ يَنعَسَان،
حِينَ يَبتَسِمُ الذَّهَبُ المسكُوكُ فِي القَبو كَابنَةِ الحَارِس اللَّيلِي،
حِين تَستَرخِي أفعَالُ التَّكَافُل فِي الكَرَاسِي المُقَابِلَة وَتُصبِحُ رِفَاقِي الأصِدَقاء،
أَنوِي أَن أَمُدَّ يَدِي إِلَيهَا، وَأَن أُكثِرَ مِنهَا مِثلَمَا أَفعَلُ مَع الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِثلَكُم.

أُغنيَـةُ الأرض الدَّوَّارة

[1]

أُغنيَةٌ لِلأَرضِ الدَّوَّارَة، وَلِلكَلِمَاتِ بِالتَّالِي،
هَل كُنتُم تَظُنُّون أَن تِلكَ هِي الكَلمَات، تِلكَ السُّطُور المُنتَصِبَة؟ تِلكَ الانحِنَاءَات،
وَالزَّوَايَا، وَالنِّقَاط؟
لَا، لَيسَت تِلكَ بِالكَلِمَات، فَالكَلمَاتُ الجَوهَرِيَّةُ تَكمُن فِي الأرض وَالبَحر،
تَكمُن فِي الهَوَاءِ، تَكمُن فِيكُم.

هَل تَظُنُّون أَن تِلكَ هِي الكَلِمَات، تِلكَ الأَصوَاتُ العَذبَةُ الصَّادِرَةُ مِن أَفوَاهِ
أَصدِقَائِكُم؟
لَا، فَالكَلِمَاتُ الحَقِيقِيَّةُ أَعذَبُ مِن ذَلِك.

الأَجسَادُ الإِنسَانِيَّةُ كَلِمَات، آلَافُ الكَلِمَات،
(فِي أَفضَلِ القَصَائِدِ يُعَاوِدُ الجَسَدُ الظُّهُور، جَسَدُ الرَّجُلِ أَو المرأَة، مَمشُوقًا، طَبِيعِيًّا،
مَرِحًا،
وَكُل عُضو قَادِرٌ، نَشِطٌ، مُرَحِّبٌ، بِلَا خَجَلٍ أَو حَاجَةٍ إِلَى خَجَل).

الهَوَاءُ، التُّرَابُ، المَاءُ، النَّار – كَلِمَات،
أَنَا نَفسِي كَلمَةٌ مَعَهُم– وَسِمَاتِي تَتَدَاخَلُ مَع سِمَاتِهِم – وَاسمِي لَا شَيءَ بِالنِّسبَةِ لَهُم،

وَبرغمِ أَنَّه نُطِق بِثَلَاثَةِ آلَافِ لُغَة، فَمَاذَا يَعرِف عَنِّي الهَوَاءُ، وَالتُّرَابُ، وَالمَاءُ، وَالنَّار؟

حُضُورٌ عَفِي، سِيمَاءٌ صَدِيقَةٌ أَو آمِرَة، هِي الكَلِمَاتُ، وَالأَقوَالُ، وَالمعَانِي،
وَالمَفَاتِنُ التِي تُصَاحِب هَيئَات بَعضِ الرِّجَال وَالنِّسَاء، هِي أَقوَالٌ وَمَعَانٍ أَيضًا.

بَرَاعَةُ الأَروَاحِ تَكمُنُ فِي هَذِهِ الكَلِمَاتِ غَير المسمُوعَةِ لِلأَرض،
وَالخُبَرَاءُ يَعرِفُون كَلِمَاتِ الأَرض وَيَستَخدِمُونَهَا بِأَكثَر مِن الكَلِمَاتِ المَسمُوعَة.

التَّحَسُّن إِحدَى كَلمَاتِ الأَرض،
وَالأَرض لَا تَتَبَاطَأُ وَلَا تَتَسَرَّع،
لَدَيهَا جَمِيعُ الخَوَاص، وَالتَّنَامِيَات، وَالتَّأثِيرَات، كَامِنَةً فِي ذَاتِهَا عَن أَيَّةِ طَفرَة،
وَهيَ لَيسَت شِبهَ جَمِيلَةٍ فَحَسب، فَالنَّقَائِصُ وَالزَّوَائِدُ تُوَضِّح تَمَامًا بِقَدرِ مَا يُوَضِّحُ الكَمَال.

وَالأَرضُ لَا تَمنَع، فَهيَ كَرِيمَةٌ تَمَامًا،
وَحَقَائِقُ الأَرض بِاستِمرَارٍ فِي الانتِظَار، وَهيَ أَيضًا لَيسَت مَخفِيَّة،
هِي هَادِئَةٌ، رَهِيفَةٌ، عَصِيَّةٌ عَلَى الكِتَابَة،
كَامِنَةٌ تَتَخَلَّلُ كُل الأَشيَاء وَهي تَنقِلُ نَفسَهَا طَوَاعِيَةً،
تَنقِلُ إِحسَاسًا وَدَعوَة، وَأَنَا أَنطِقُ وَأَنطِق،
لَا أَتَكَلَّم، لَكِنَّكُم إِن لَم تَسمَعُونِي فَمَا جَدوَاي لَكُم؟
أَن تَتَحَمَّلُوا، أَن تَرتَقُوا، مُفتَقِرِين إِلَى جَدوَاي لَكُم؟

(تَوالَد! تَوَالَدُوا!
فَهَل سَتُعَفِّنُون ثِمَارَكُم دَاخِلَ أَنفُسِكُم؟
هَل سَتَجثُمُون وَتَختَنِقُون؟)

الأَرض لَا تجَادِل،
بِلا أَحزَانٍ، بِلا تَسوِيَات،
لَا تصرُخ، لَا تُسرِعُ، لَا تَستَحِث، لَا تُهَدِّدُ، لَا تَعِد،
لَا تَقُومُ بِأَيِّةِ تَميِيزَات، وَلَا فَشَلَ يُمكِن تخَيُّلُه لَهَا،
لَا تُغلِقُ شَيئًا، لَا تَرفُضُ شَيئًا، لَا تحبِسُ أَحَدًا،
مِن بَينِ جَمِيعِ القُوَى، وَالأَشيَاءِ، وَالحَالَات، التِي تُلَاحِظُهَا، لَا تحبِسُ أَحدًا.

لَا تَستَعرِضُ الأَرضُ ذَاتَهَا وَلَا تَرفُضُ استِعرَاضَ ذَاتِهَا، فَمَا تَزَالُ تمتَلِك مَا تَحتَ السَّطح،
تَحتَ سَطحِ الأَصوَاتِ الظَّاهرِيَّة، وَالجُوقَةِ الجَلِيلَةِ لِلأَبطَال، وَعَوِيلِ العَبِيد،
وَإِغوَاءَاتِ العُشَّاق، وَاللَّعنَاتِ، وَشَهقَاتِ المُحتَضِرِين، وَضَحِكِ الشُّبَّان، وَنَبرَاتِ المسَاوِمِين،
تَحتَ ذَلِكَ الكَلِمَاتُ المُقتَدِرَةُ التِي لَا تَنقَطِع أَبَدًا.

كَلِمَاتُ الأُم العَظِيمَةِ البَلِيغَةِ الخَرسَاء إِلَى أَطفَالِهَا لَا تَنقَطِع أَبَدًا،
الكَلِمَاتُ الحَقِيقِيَّةُ لَا تَنقَطِع، فَالحَرَكَةُ لَا تَنقَطِع، وَالتَّفكِيرُ لَا يَنقَطِع،
وَأَيضًا لَا يَنقَطِعُ النَّهَارُ وَاللَّيل، وَالرِّحلَةُ التِي نَقُومُ بِهَا لَا تَنقَطِع.

عَن الأَخوَاتِ اللَامُتَنَاهِيَات،
عَن الرَّقصَاتِ التِي لَا تَتَوَقَّفُ لِلأَخوَات،
عَن أَخوَاتِ الجَذبِ المركَزِي وَالطَّردِ المركَزِي، كُبرَى الأَخوَاتِ وَصُغرَاهُن،
الأُخت الجَمِيلَة التِي نَعرِفُهَا تُوَاصِلُ الرَّقصَ مَعَ البَاقِين.

بِظَهرِهَا الشَّاسِعِ تجَاه جَمِيعِ النَّاظِرِين،
بِمَفَاتِنِ الشَّبَابِ وَالمفَاتِنِ المَاثِلَةِ لِلكِبَر،

تَجلِسُ مَن أُحِبُّهَا كَثِيرًا شَأنَ البَاقِين، تَجلِسُ بِلَا قَلَق،
مُمسِكَةً فِي يَدِهَا بِمَا لَه هَيئَةُ مِرآة، فِيمَا عَينَاهَا تُحَدِّقَان فِيمَا وَرَاءهَا،
تَحَدِّقَان وَهيَ جَالِسَة، لَا تَدعُو أَحَدًا، لَا تُنكِرُ أَحَدًا،
مُمسِكَةً بِمِرآةٍ لَيلَ نَهار بِلَا كَلَلٍ أَمَامَ وَجهِهَا.

مَرئِيِّين عَن قُربٍ أَو عَن بُعد،
فِي الموعِدِ يَظهَرُ الأَربَعَةُ وَالعِشرُون جَهَارًا كُلَّ يَوم،
فِي الموعِدِ يَقتَرِبُون وَيَمُرُّون مَعَ رِفَاقِهِم أَو مَع رَفِيق،
لَا يَبدُون مِن خِلَالِ وُجُوهِهِم، بَل مِن خِلَالِ وُجُوهِ هَؤلَاءِ المَرَافِقِين لَهُم،
مِن خِلَال وُجُوهِ الأَطفَالِ أَو النِّسَاءِ أَو الوُجُوهِ الرُّجُولِيَّة،
مِن خِلَال الوُجُوهِ الصَّرِيحَةِ لِلحَيَوَانَات أَو مِن الأَشيَاء الجَامِدَة،
مِن خِلَالِ المشهَدِ الطَّبِيعِي أَو المِيَاهِ أَو التَّجَلِّي الفَاتِنِ لِلسَّمَاء،
مِن خِلَالِ وُجُوهِنَا، وَجهِي وَوَجهِك، اللَّذين يَعكِسَانَهُم بِأَمَانَة،
وَكُلَّ يَومٍ يَظهَرُون عَلَنًا بِلا انقِطَاع، لَكِن لَيسَ مَرَّتَين مَعَ نَفسِ الرِّفقَة.

معَانِقِين الإِنسَان، مُعَانِقِين الجَمِيع، مُتَقَدِّمِين الثَّلَاثمائة وَالخمسِةِ وَالسِّتِّين بِإِصرَارٍ حَولَ الشَّمس؛
مُعَانِقِين الجَمِيع، مُلَاطِفِين، دَاعِمِين، يَتبَعُون عَن كَثَبٍ ثَلَاثمَائَةً وَخَمسَةً وَسِتّين تَغَيُّرًا للأَوَّلِ، الأَكِيدِ، الضَّرُورِي، مِثلَمَا هُم كَذَلِك.

مُنقَلِبِين بِانتِظَام، بِلَا خَوف،
شُرُوقُ الشَّمس، وَالعَاصِفَةُ، وَالبَرد، وَالحر، صَامِدِين أَبَدًا، عَابِرِين، مُرتَحِلِين،
مُورِثِين تَحَقُّقَ وَتَصمِيمَ الرُّوح،
مُدرِجِين وَمُقَسِّمِين الخَوَاءَ السَّائِلَ المُحِيطَ وَفِي الأَمَام،

بِلَا إِعَاقَةٍ مِن عَائِق، بِلَا مِرسَاةٍ تُرسِي، بِلَا اصطِدَامٍ بحَجَر،
رَشِيقِين، سَعَدَاء، رَاضِين، بِلَا حِرمَانٍ، بِلَا افتِقَارٍ لِشَيء،
عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَادِرُون وَجَاهِزُون فِي أَيِّ وَقتٍ لِتَقدِيم وَصفٍ دَقِيق،
فَالسَّفِينَةُ السَّمَاوِيَّةُ تُبحِرُ فِي البَحرِ السَّمَاوِي.

[2]

أَيًّا مَن تَكُون! فَالحَرَكَةُ وَالفِكرَةُ خِصِّيصًا مِن أَجلِك،
وَالسَّفِينَةُ السَّمَاوِيَّةُ تُبحِرُ فِي البَحرِ السَّمَاوِي مِن أَجلِك.

أَيًّا مَن تَكُون! فَأَنتَ مَن مِن أجلِه أَو أَجلِهَا الأَرضُ جَامِدَةٌ وَسَائِلَة،
أَنتَ مَن تَتَعَلَّقُ الشَّمسُ وَالقَمَرُ فِي السَّمَاء مِن أجلِه أَو أَجلِهَا،
فَلَيسَ إِلَّا مِن أَجلِك هُنَاكَ الحَاضِرُ وَالمَاضِي،
لَيسَ إِلَا مِن أَجلِكَ هُنَاكَ الأَبَدِيَّة.
كُلُّ رَجُلٍ لِذَاتِه وَكُل امرَأةٍ لِذَاتِهَا، هِي كَلِمَةُ المَاضِي وَالحَاضِر، وَالكَلِمَةُ الحَقِيقِيَّةُ لِلأَبَدِيَّة؛
لَا أَحَدَ يُمكِنُه الاكتِسَاب بَدلًا مِن آخَر – لَا أَحَد،
لَا أَحَدَ يُمكِنُه أَن يَكبُر بَدَلًا مِن آخَر – لَا أَحَد.

الأُغنِيَةُ مَرهُونَةٌ بِالمغَنِّي، وَغَالِبًا مَا تَعُود إِلَيه،
التَّعلِيمُ مَرهُونٌ بِالمعَلِّم، وَغَالِبًا مَا يَعُود إِلَيه،
القَتلُ مَرهُونٌ بِالقَاتِل، وَغَالِبًا مَا يَعُودُ إِلَيه،
السَّرِقَةُ مَرهُونَةٌ بِالسَّارِق، وَغَالِبًا مَا تَعُود إِلَيه،
الحُب مَرهُونٌ بِالحَبِيب، وَغَالِبًا مَا يَعُود إِلَيه،
الهَدِيَّةُ مَرهُونَةٌ بِالمُهدِي، وَغَالِبًا مَا تَعُودُ إِلَيه– لَا يُمكِن أَن تُنكَص،
الخُطبَةُ مَرهُونَةٌ بِالخَطِيب، وَالتَّمثِيلُ بالمُمَثِّلِ وَالممَثِّلَة لَا بِالمتفَرِّجِين،

وَلَا أَحَدَ يَفهَم أَيَّةَ عَظَمَةٍ أَو طِيبَةٍ سِوَى مَا يَتَمَتَّعُ بِهَا، أَو مَا يُشِيرُ إِلَيهَا.

[3]

أُقسِم أَن الأَرض سَتَبلُغُ بِالتَّأكِيدِ الكَمَالَ لِمَن سَيَبلُغ أَو تبلُغُ الكَمَال،
وَتَبقَى الأَرض مَشدُوخَةً وَمكسُورَةً فَحَسب لِمَن يَبقَى أَو تَبقَى مَشدُوخَةً وَمَكسُورَة.

أُقسِم أَلَّا عَظَمَةَ أَو قُوَّة لَا تُضَاهِي تِلكَ الكَائِنَةَ فِي الأَرض،
وَلَا يُمكِن أَن تُوجَدَ نَظرِيَّةٌ أَيًّا مَا كَانَت إِن لَم تُؤَيِّدهَا نَظَرِيَّةُ الأَرض،
لَا سِيَاسَةَ، أَو أُغنِيَةَ، أَو دِينَ، أَو سُلُوكَ، أَو أَيَّ شَيء، لَه اعتِبَار، إِن لَم يَتَوَافَق مَع رَحَابَةِ الأَرض،
إِن لَم يُقَابِل دِقَّة، وَحَيَوِيَّةَ، وَكُلِّيَّـةَ، وَاستِقَامَةَ الأَرض.

أُقسِم أَن أَبدَأ فِي رُؤيَة الحُب بِفَورَاتٍ أَعذَبَ مِن تِلكَ المستَجِيبَةِ لِلحُب،
هِي تِلكَ التِي تَحتَوِي ذَاتها، التِي لَا تَدعُو أَبَدًا أَو تَرفُض.

أُقسِم أَن أَبدَأ فِي رُؤيَة القَلِيلِ أَو لَا شَيءَ فِي الكَلِمَاتِ المسمُوعَة،
فَالكُل يَندَمِجُ نَحوَ تَقدِيم المعَانِي غَير المنطُوقَةِ لِلأَرض،
نَحوَ مَن يُغَنِّي أُغنِيَاتِ الجَسَدِ وَحَقَائِقَ الأَرض،
نَحوَ مَن يَصنَعُ قَوَامِيسَ الكَلمَات التِي لَا تَستَطِيعُ الطِّبَاعَةُ لَمسَهَا.

أُقسِم أَن أَرَى مَا هُو أَفضَل مِن قَولِ الأَفضَل،
أَن تَترُكَ دَائِمًا الأَفضَلَ بِلَا قَول.

حِينَ أَشرَعُ فِي قَولِ الأَفضَل أَجِد نَفسِي لَا أَستَطِيع،
فَلِسَانِي عَاجِزٌ عَلَى مَحَاوِرِه،

وَنَفسِي لَن يَكُون مُطِيعًا لأعضَائِه،
أُصبِحُ إِنسَانًا أَبكَم.
وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ فَأَفضَلُ مَا فِي الأرض لَا يُمكِنُ قولُه، وَالكُل أَو أَيُّ جُزءٍ هُو أَفضَل،
هُو لَيسَ مَا تَوَقَّعتَه، هُو أَهوَن، أَيسَر، أَقرَب،
وَالأشيَاءُ لَا تَتَخَلَّى عَن مَوَاقِعِهَا التِي احتَلَّتهَا مِن قَبل،
فَالأرضُ إِيجَابِيَّةٌ وَمُبَاشِرَةٌ كَمَا كَانَت مِن قَبل،
وَالحَقَائِقُ، وَالأديَانُ، وَالتَّحسِينَاتُ، وَالسِّيَاسَات، وَالتِّجَارَة، وَاقِعِيَّةٌ كَمَا مِن قَبل،
لَكِن الرُّوحَ أيضًا وَاقِعِيَّة، وَهِيَ أَيضًا إِيجَابِيَّةٌ وَمُبَاشِرَة،
لَا تَبرِيرَ وَلَا بُرهَان قَد أَقَامَهَا،
فَالازدِهَارُ الأكِيدُ قَد أَقَامَهَا.

[4]

هَؤلَاء الذِين يُرَدِّدُون صَدَى نَبرَاتِ الرُّوحِ وَعِبَارَاتِ الرُّوح،
(فَإِن لَم يُرَدِّدُوا صَدَى عِبَارَات الرُّوحِ فَمَاذَا يَكُونُون إِذَن؟
إِن لَم تَكُن لَدَيهِم إِحَالَةٌ إِلَيك بِشَكلٍ خَاص فَمَاذَا يَكُونُون إِذَن؟)

أُقسِمُ أَنَّنِي- مِن الآنَ فَصَاعِدًا – لَن أَتَعَامَلَ أَبَدًا مَع الإِيمَانِ الذِي يَنطِق بِالأفضَل،
سَأَتَعَامَلُ فَحَسب مَعَ الإِيمَانِ الذِي يَترُكَ الأفضَل بِلَا نُطق.

فَلتَقُولُوا، أَيُّهَا القَوَّالُون! فَلتُغَنُّوا، أَيُّهَا المغَنُّون!
نَقِّبُوا! صُوغُوا! كَدِّسُوا كَلِمَاتِ الأرض!
وَاصِلُوا العَمَلَ، عَصرًا بَعدَ عَصر، فَلَا شَيءَ يَضِيع،
قَد يَكُون عَلَيه أَن يَنتَظِرَ طَوِيلًا، لَكِنَّه بِالتَّأكِيد سَيَأتِي أَوَانُ استِخدَامِه،
فَعِندَمَا تَكُون المَوَادُّ جَمِيعًا مُعَدَّةً وَجَاهِزَة، سَيَظهَرُ المعمَارِيُّون.

أُقسِمُ لَكُم أَن المعمَارِيِّين سَيَظهَرُون بِلَا تَأخِير،
أُقسِمُ لَكُم أَنَّهُم سَيَفهَمُونَكُم وَيُبَرِّرُونَكُم،
وَأَعظَمُهُم هُو مَن سَيَكُون أَفضَل مَعرِفَةً بِكُم، وَيَحتَوِي الكُلَّ وَيُخلِصُ لِلكُل،
هُو وَالبَاقُون لَن يَنسَوكُم، سَيُدرِكُون أَنَّكُم لَستُم أَقَل مِنهُم بِمِثقَالِ ذَرَّة،
وَلَسَوفَ تَتَمَجَّدُون تَمَامًا فِيهِم.

الشَّباب، النَّهار، الشَّيخوخة وَالليل

أَيُّهَا الشَّبَابُ، العَظِيمُ، الشَّهوَانِي، العَاشِق– الشَّبَابُ المُفعَمُ بِالوَسَامَةِ، وَالقُوَّةِ، وَالفِتنَة، هَل تَعرِفُ أَن الشَّيخُوخَةَ تَأتِي فِي أَعقَابِك بِوَسَامَةٍ، وَقُوَّةٍ، وَفِتنَةٍ مُمَاثِلَة؟

النَّهَار مُكتَمِلُ التَّفَتُّح وَالرَّائِع– نَهَارٌ مِن شَمسٍ، وَفِعلٍ، وَطُمُوحٍ، وَضَحِكٍ هَائِلِين، يَتبَعُه اللَّيلُ عَن كَثَبٍ بِمَلَايِينِ الشُّمُوسِ، وَالنَّومِ وَالظَّلَامِ الذِي يُعِيدُ الإِحيَاء.

طُيُــور المَــر

أغنيـــة الكَــوني

[1]

تَعَالَ قَالَت رَبَّةُ الشِّعر،
فَلتُغَنِّي أُغنِيَةً لَم يُنشِدهَا مِن قَبل شَاعِر،
غَنِّي الكَونِي.

فِي أَرضِنَا هَذِهِ الشَّاسِعَة،
وَسطَ الضَّخَامَةِ وَالخَبَثِ بِلَا حُدُود،
كَامِنَةً وَآمِنَةً فِي قَلبِهَا المَركَزِي،
تأوِي البِذرَةُ فِي كَمَالِهَا.

فِي كُلِّ حَيَاةٍ مُشَارَكَةٌ إِلَى هَذَا الحَدِّ أَو ذَاك،
لَم تَلِد بَل وُلِدَت، مَخفِيَّةً أَو غَيرَ مَخفِيَّةٍ تَنتَظِرُ البِذرَة.

[2]

انظُر! فَالعِلمُ الشَّاهِقُ ثَاقِبُ النَّظَر،
مِثلَمَا مِن ذُرَى عَالِيَةٍ يُطِلُّ الحَدَاثِي،
مُصدِرًا إِجَازَاتِه المُطلَقَةَ المتوَالِيَة.

لَكِن مِن جَدِيدٍ، انظُر! فَالرُّوحُ فَوقَ كُلِّ عِلم،
لأنَّ لَدَيهَا تَارِيخًا تَجمَّع كَالقُشُورِ حَولَ الكُرَةِ الأرضِيَّة،
وَمِن أَجلِهَا تَتقَلَّب آلَافُ النُّجُومِ جَمِيعًا خِلَالَ السَّمَاء.

فِي طُرُقٍ لَولَبِيَّةٍ ذَات انعِطَافَاتٍ طَوِيلَة،
(مِثلَ سَفِينَةٍ تَتَّخِذ مَسَارًا مُتَعَرِّجًا بِجِدَّةٍ فِي البَحر)،
مِن أَجلِهَا يَنسَابُ الجُزئِي إِلَى الدَّائِم،
مِن أَجلِهَا يَتَّكِئُ الوَاقِعِيُّ عَلَى المِثَالِي.

مِن أَجلِهَا التَّطوُّرُ البَاطِنِي، مُبَرَّر،
لَا الصَّوَابَ فَحَسب، فَمَا نَعتَبِرُه شَرًّا مُبَرَّرٌ أَيضًا.

قُدُمًا مِن أَقنِعَتِهِم، بِغَضِّ النَّظَر عَن مَاهِيَّتِهِم،
مِن الجِذعِ الهَائِل المتقَرِّح، مِن الخِدَاعِ وَالرِّيَاءِ وَالدُّمُوع،
تَنبَثِقُ العَافِيَةُ وَالبَهجَةُ، البَهجَةُ الكَونِيَّة.
مِن الجَسَد، المَرَضِيِّ وَالضَّحل،
مِن الأغلَبِيَّةِ الرَّدِيئَةِ، وَالمكَائِد المتَنَوِّعَةِ بِلَا حَصرٍ لِلنَّاسِ وَالطَّبقَات،
مُثِيرًا، مُطَهِّرًا مَعَ ذَلِكَ، مُختَرِقًا، غَامِرًا الجَمِيع،
وَحدَه الخَيرُ كَونِي.

[3]

فَوقَ بَرَاعِمِ الجَبَل، المَرَضُ وَالحُزن،
طَائِرٌ عَصِيٌّ يُرَفرِفُ أَبَدًا، وَيُرَفرِف،
عَالِيًا فِي الأَثِيرِ الأَصفَى، الأَبهَج.

وَمِن غُيُومِ النُّقصَانِ القَاتِمَة،
دَائِمًا مَا يَندَفِعُ قُدُمًا شُعَاعٌ وَحِيدٌ مِن الضَّوءِ المثَالِي،
وَمضَةٌ وَحِيدَةٌ مِن رَوعَةِ السَّمَاء.

إِلَى تَنَافُر العَادَة، وَالنَّمَط،
إِلَى ضَجِيج بَابِل المَجنُون، وَالعَربَدَاتِ التِي تَصمُّ الآذَان،
يُسمَعُ لحَنٌ يُهَدهِدُ كُل هُدُوء، يُسمَعُ تَمَامًا،
وَمِن شَاطِئٍ مَا بَعِيدٍ يَتَرَدَّدُ صَوتُ الجُوقَةِ الخِتَامِي.
أَيَّتُهَا العُيُونُ المبَارَكَة، أَيَّتُهَا القُلُوبُ الهَانِئَة،
التِي تَرَى، التِي تَعرِفُ الخَيطَ الهَادِي بَالغَ الرَّهَافَة،
عَلَى امتِدَادِ المتَاهَةِ الرَّائِعَة.

[4]

وَأَنتِ يَا أَمِيرِيكَا،
مِن أَجلِ ذُروَةِ التَّخطِيط، فِكرِه وَحَقِيقَتِه،
مِن أَجلِ ذَلِك (لَا مِن أَجلِ نَفسِك) قَد نَجَحتِ.

أَنتِ أَيضًا تحُيطِين بِالجَمِيع،
تُعَانِقِين تُرَافِقِين تُرَحِّبِين بِالجَمِيع، أَنتِ أَيضًا، بِالطُّرُقِ الوَاسِعَةِ الجَدِيدَة،
التِي تُفضِي إِلَى المثَال.

وَالعَقَائِدُ المعتَدِلَةُ لِلبُلدَانِ الأُخرَى، وَعُظَمَاءُ الماضِي،
لَيسَوا مِن أَجلِك، بَل عُظَمَاء لَكِ أَنتِ،
وَالعَقَائِدُ وَالعَظَمَاتُ الإِلَهِيَّة، التِي تحَتَوِي وتَشمَلُ الجَمِيع،

جُمِيعُهَا جَدِيرٌ بِالجَمِيع.

الجَمِيعُ، الجَمِيعُ مِن أَجلِ الأبَدِيَّة،
وَالحُبُّ يُشبِه الضَّوءَ الذِي يَلُف فِي صَمتِ الجَمِيع،
وَتَحسِينُ الطَّبِيعَةِ يُبَارِكُ الجَمِيع،
وَالبَرَاعِمُ، وَثِمَارُ العُصُور، وَالبَسَاتِينُ السَّمَاوِيَّةُ وَالأكِيدَة،
الأشكَالُ، وَالأشيَاءُ، والازدِهَارَاتُ، وَالإِنسَانِيَّاتُ، تَنضُجُ فِي صُوَرٍ رُوحِيَّة.

فَهَبْ لِي أَيُّهَا الرَّبُّ أَن أُغَنِّي هَذِهِ الفِكرَة،
هَبْ لِي، هَبْ لِمَن أُحِب- لَه أَو لَهَا- هَذَا الإِيمَانَ الذِي لَا يَنطَفِئ،
بِكَ كُلِّك، فَأَيُّ شَيءٍ يَكبَحُ مَكبُوحًا لَيسَ مِنَّا،
وَالإِيمَان بِغَايَتِك كَامِنٌ فِي الزَّمَانِ وَالمَكَان،
وَالصِّحَّةِ، وَالسَّلَامِ، وَالخَلَاصِ الكَونِي.

أَهوَ حُلـم؟
لَا لَكِنَّ الافتِقَارَ إِلَيهِ هُو الحُلم،
وَانقِطَاعُه عَن مُعتَقَدِ الحَيَاةِ وَثَرائِهَا حُلم،
وَالعَالَم جَمِيعُه حُلـم.

يا رُوَّاد! أيهَا الرُّوَّاد!

تَعَالَوا يَا أَطفَالِي مَسفُوعِي الوُجُوه،
اتبَعُونِي جِيِّدًا فِي انتِظَامٍ، وَأَسلِحَتُكُم مُشرَعَة،
أَمَعَكُم مُسَدَّسَاتُكُم؟ أَمَعَكُم فُؤُوسُكُم ذَوَاتُ ذَوَات الشَّفرَاتِ الحَادَّة؟
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

فَلَا يُمكِنُنَا هُنَا أَن نَتَوَانَى،
لا بدَّ مِن المسِير يَا أَعِزَّائِي، لَابُد مِن احتِمَالِ وَطأَةَ الخَطَر،
فَنَحنُ الأَجنَاسُ القَوِيَّةُ الشَّابَّةُ، وَالبَاقُون جَمِيعًا يَعتَمِدُون عَلَينَا،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

يَا أَنتُم الشُّبَّان، الشُّبَّانُ الغَربِيُّون،
الملهُوفُون، المُفعَمُون بِالعُنفُوَان، المُفعَمُون بالكِبرِيَاءِ والصدَاقَةِ الرُّجُولِيَّة،
وَاضِحِين أَرَاكُم أَيُّهَا الشُّبَّانُ الغَربِيُّون، أَرَاكُم تَمشُون مَعَ الأَوَائِل،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

هَل تَوَقَّفَت الأَجنَاسُ الأَقدَم؟
هَل أَوقَفُوا وَأَنهَوا دَرسَهُم، مُتعَبِين هُنَاكَ فِيمَا وَرَاءَ البِحَار؟

نَحنُ نَلتَقِطُ المُهِمَّةَ الأَبَدِيَّة، وَالعِبءَ وَالدَّرسَ،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

الماضِي كُله نَترُكُه فِي الوَرَاء،
نَتَدَفَّق عَلَى عَالَمٍ أَكثَر جِدَّةً وَقُوَّة، عَالَمٍ مُتَنَـوِّع،
عَفِيٌّ وَقَوِيٌّ العَالَمُ الذِي نُعَانِقُه، عَالَمُ الشُّغلِ وَالمسِير،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

نَرمِي بِعُزلَاتِنَا الرَّاسِخَة،
أَسفَل الجرُوفِ، خِلَال الممَرَّات، عَلَى مُنحَدَرِ الجِبَال،
جَارِفِين، صَامِدِين، جَرِيئِين، مُغَامِرِين وَنَحنُ نَمضِي فِي الطُّرُقِ المجهُولَة،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

نَقطَع أَحرَاجَ العُصُورِ الوُسطَى،
نَشُق الأنهَار، نَستَفِز وَنَخترِقُ أَعمَاقَ المَنَاجِم،
نُعَايِنُ السَّطحَ الشَّاسِع، نُقَلِّبُ التُّربَةَ العَذرَاء،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

رِجَالُ كُلُورَادُو نَحن،
مِن الذُّرَى السَّامِقَةِ، مِن سَلَاسِلِ الجِبَالِ وَالهِضَابِ العَالِيَة،
مِن المنجَمِ وَالأُخدُود، مِن قَافِلَةِ الصَّيد نَجِيء،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

مِن نِبرَاسكَا، مِن أَركَانسَاس،
جِنسٌ مِن الدَّاخِلِ المركَزِي نَحن، مِن مِيسُّورِي، يَتَخَلَّلُنَا الدَّمُ القَارِّي،

وَكُل أَيدِي الرِّفَاقِ مُتَشَابِكَةٌ، كُلُّ الجَنُوبِيِّين، وَكُل الشَّمَالِيِّين،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

أَيُّهَا الجِنسُ العَصِي الدَّءُوب!
أَيُّهَا الجِنسُ المحبُوبُ جَمِيعًا! يَا أَشوَاقَ القَلبِ بِحُبٍّ رَهِيفٍ لِلجَمِيع!
هَا أَنَا أَنُوحُ وَأَتَهَلَّل، مُنتَشِيًا بِالحُب لِلجَمِيع،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

ارفَعُوا العَاهِلَةَ الأُمَّ القَوِيَّة،
لَوِّحُوا عَالِيًا بِالعَاهِلَةِ الرَّهِيفَة، فَوقَ جَمِيعِ العَاهِلَاتِ المرَصَّعَاتِ بِالنُّجُوم (فَلتُحنُوا رُؤُوسَكُم جَمِيعًا)،
عَالِيًا بِالعَاهِلَةَ ذَات النَّابِ، المولَعَة بِالحَرب، الصَّارِمَةَ، الرَّصِينَة، المُدَجَّجَة،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

وَانظُرُوا إِلَى أَطفَالي، أَطفَالٌ حَازِمُون،
بِهَذِه الحُشُودِ فِي ظَهرِنَا لَابُد أَلَا نَتَخَاذَل أَو نَتَرَدَّد،
تَستَحِثُّنَا عُصُورٌ قَدِيمَةٌ بِمَلَايين شَبَحِيَّةٍ عَابِسَةٍ هُنَاكَ فِي الوَرَاء،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

قُدُمًا قُدُمًا يَصطَفُّ المنضَمُّون،
بِالمزِيد المُنتَظِر دَائِمًا، بِأَمَاكِن الموتَى التِي سرعَان مَا امتَلأت،
خِلَالَ المعرَكَة، خِلَالَ الهَزِيمَة، لَكِنَّهُم يَتَحَرَّكُون وَأَبَدًا لَا يَتَوَقَّفُون،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

آهِ لَو أَمُوتُ وَأَنَا أَتَقَدَّمُ إِلَى الأمَام!

أَهُنَاكَ مَن يَخُورُ مِنَّا وَيَمُوت؟ هَل تَحِين السَّاعَة؟
آنَئِذٍ خِلَالَ المَسِير نَمُوتُ نَحنُ الأعفَى، وَسَرِيعًا وَأَكِيدًا تَمتَلِئُ الفَجوَة،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

كُلُّ نَبَضَاتِ العَالَم،
المنهَمِرَةِ تَدُقُّ مِن أَجلِنَا، مَعَ دَقَّات الحَرَكَةِ الغَربِيَّة،
مُتَمَاسِكِين أَفرَادًا أَو مَعًا، ثَابِتِين نَمضِي إِلَى المَقَدِّمَة، مِن أَجلِنَا جَمِيعًا،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

المَوَاكِبُ المتَنَوِّعةُ وَالمتَشَابِكَةُ لِلحَيَاة،
كُلُّ الأشكَالِ وَالعُرُوض، كُلُّ الشَّغِّيلَةِ فِي أَشغَالِهِم،
كُلُّ رِجَالِ البَحرِ وَاليَابِسَة، كُلُّ السَّادَةِ مَع عَبِيدِهِم،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

كُلُّ العُشَّاقِ الصَّامِتِين مَنكُودِي الحَظ،
كُلُّ المسَاجِين فِي السُّجُون، كُلُّ الطَّيِّبِين وَالأوغَاد،
كُلُّ المبتَهِجِين، وَالمحزُونِين، وَالأحيَاء، وَالمحتَضِرِين،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

أَنَا أَيضًا بِرُوحِي وَجَسَدِي،
نَحن، كَثُلَاثِي غَرِيب، نَنتَقِي، نَهِيمُ عَلَى طَرِيقِنَا،
عَبرَ هَذِه الشُّطآنِ وَسطَ الظِّلَالِ، مَع حَشدِ التَّجَلِّيَات،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

انظُرُوا! لِهَذَا الكَوكَبِ المندَفِع المقتَحِم!

انظُرُوا! لِلكَوَاكِبِ الشَّقِيقَةِ القَرِيبَة، لِكُل الشُّمُوسِ وَالأجرَامِ المُتَجَمِّعَة،
لِكُلِّ الأَيَّامِ المُبهِرَة، كُل اللَّيَالِي السِّرِيَّةِ بِالأحلَام،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

هُم مِنَّا، هُم مَعَنَا،
الجَمِيعُ لِلعَمَلِ الأوَّلِي الضَّرُورِي، فِيمَا التَّابِعُون هُنَاكَ فِي حَالَةٍ جَنِينِيَّةٍ يَنتَظِرُون فِي الوَرَاء،
نَحنُ اليَوم نَتَقَدَّم الموكِبَ، نُنَظِّفُ الطَّرِيقَ لِلسَّفَر،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

وَأَنتُن يَا بَنَاتِ الغَرب!
أَنتُن أَيَّتُهَا البَنَاتُ اليافِعَاتُ النَّاضِجَات! أَيَّتُهَا الأُمَّهَاتُ وَأيتُهَا الزَّوجَات!
لَابُد أَلَّا تَتَبَعثَرن أبدًا، تَحَرَّكنَ فِي صُفُوفِنَا مُتَّحِدَات،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

أَيُّهَا المغَنُّون الكَامِنُون فِي البَرَارِي!
(أَيُّهَا المنشِدُون الضَّبَابِيُّون لِلبُلدَانِ الأُخرَى، يُمكِنُكُم أَن تَستَرِيحُوا، لَقَد قُمتُم بِمَا عَلَيكُم)،
فَسرعَانَ مَا أَسمَعُكُم قَادِمِين مُنشِدِين، سرعَانَ مَا تَظهَرُون وَتَخطُون وَسطَنَا،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!
لَا مِن أَجلِ المبَاهِجِ العَذبَة،
لَا الوِسَادةَ وَلَا الخُف، لَا الآمِنَ وَالمدرُوس،
لَا الثَّروَات الآمِنَةَ وَالمضجِرَة، لَا مِن أَجلِنَا المتعَةُ الأَلِيفَة،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

هَل يَحتَفِلُ المحتَفِلُون الشَّرهُون؟
هَل يَنَامُ النَّائِمُون البَدِينُون؟ هَل أَغلَقُوا وَأَحكَمُوا رِتَاجَ الأبوَاب؟
فَليَظَل لَنَا الغِذَاءُ المُتَقَشِّف، وَالبَطَّانِيَّةُ عَلَى الأرض،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

هَل حَلَّ اللَّيل؟
هَل الطَّرِيقُ مُرهِقٌ حِين نَتَأَخَّر؟ هَل تَوَقَّفنَا عَن الإِيمَاءِ الخَائِرِ فِي طَرِيقِنَا؟
لَكِنِّي أَمنَحُكُم سَاعَةً عَابِرَةً فِي دُرُوبِكُم لِتَتَوقَّفُوا فِي حَالَةِ نِسيَان،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

فَلتَقُولُوا عَلَى صَوتِ البُوق،
بَعِيدًا، بَعِيدًا عَن نِدَاءِ الفَجر – أَنصِتُوا! كَم عَالِيًا وَصَافِيًا أَسمَعُه يُدَوِّي،
سَرِيعًا! إِلَى مُقَدِّمَةِ الجَيش! – سَرِيعًا! انطَلِقُوا إِلَى أَمَاكِنِكُم،
يَا رُوَّاد! أَيُّهَا الرُّوَّاد!

إلَيــك

أَيًّا مَن تَكُون، أَخشَى أَنَّكَ تَمشِي فِي مَمَاشِي الحُلم،
أَخشَى أَن تَذُوبَ هَذِه الحَقَائِقُ المفتَرَضَةُ مِن تَحتَ قَدَمَيكَ وَيَدَيك،
فَحَتَّى الآن، تَتَبَدَّدُ بَعِيدًا عَنك مَلَامِحُك، مَبَاهِجُك، حَدِيثُك، مَنزِلُك، حِرفَتُك،
عَادَاتُك، هُمُومُك، حَمَاقَاتُك، سُلُوكِيَّاتُك، جَرَائِمُك،
وَيَبدُو أَمَامِي جَسَدُك وَرُوحُك الحَقِيقِيَّان،
يَنتَصِبَان مُنبَثِقَين مِن المشَاغِل، مِن التِّجَارَةِ، وَالدَّكَاكِين، وَالعَمَل، وَالمزَارِع، وَالملَابِس،
وَالمنزِل، وَالشِّرَاء، وَالبَيع، وَالأكل، وَالشُّرب، وَالمعَانَاة، والاحتِضَار.

أَيًّا مَن تَكُون، أَضَع الآنَ يَدِي عَلَيك، فَتَكُونَ قَصِيدَتِي،
أَهمِس بِشَفَتَيَّ مُلَاصِقَتَين لأُذنِك،
لَقَد أَحبَبتُ نِسَاءً وَرِجَالًا كَثِيرِين، لَكِنِّي لَم أَحِب أَحَدًا أَكثَر مِنك.

آهِ كُنتُ مُعَوِّقًا وَأَبكَم،
كَان لَابُد لِي أَن أَشُق طَرِيقِي مُبَاشَرَةً إِلَيك مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد،
كَان لَابُد لِي أَلَّا أَنطِق إِلَا بِك، كَانَ لَابد لِي أَلَّا أُغَنِّي إِلَّاك.

سَأَترُكُ الجَمِيعَ وَأَجِيءُ فَأَصُوغ التَّرَاتِيلَ عَنك،
لَا أَحَد استَطَاعَ فَهمَك، لَكِنِّي فَهِمتُك،

لَا أَحَدَ أَنصَفَك، وَمَا أَنصفتَ نَفسَك،
لَا أَحَدَ إِلَّا وَرَآكَ مَنقوصًا، أَنَا وَحدِي مَن لَم يَر نَقِيصَةً فِيك،
لَا أَحَد إِلَّا وَانحَطَّ بِمَقَامِك، أَنَا وَحدِي مَنَ لَن يَرضَى بِالحَطِّ مِن مَقَامِك،
أَنَا وَحدِي مَن لَا يُعلِي عَلَيكَ أَيَّ سَيِّد، مَالِكٍ، أَفضَل، رَب، أَبعَد مِمَّا يَنتَظِر بِصُورَةٍ جَوهَرِيَّةٍ دَاخِلَك.

رَسَم الرَّسَّامُون مَجَامِيعَهُم الحَاشِدَة وَالشَّخصِيَّةَ المحوَرِيَّةَ لِلجَمِيع،
مِن رَأس الشَّخصِيَّةِ المحوَرِيَّة تَنتَشِر هَالَةٌ مِن ضَوءٍ ذَهَبِي،
لَكِنِّي أَرسُم آلَافَ الرُّؤُوس، وَلَا أَرسُم رَأسًا بِلَا هَالَتِهَا مِن الضَّوءِ الذَّهَبِي،
فَمِن يَدِي تَنسَابُ (الهَالَةُ) مِن عَقلِ كُل رَجُلٍ وَامرَأَةٍ، مُتَدَفِّقَةً سَاطِعَةً إِلَى الأَبَد.

لَو يُمكِنُنِي أَن أُغَنِّي هَذِه العَظَمَةَ وَالأَمجَادَ عَنكَ!
فَلَم تَعرِف مَا أَنت، لَقَد تَنَاوَمتَ عَن نَفسِك طُوَالَ حَيَاتِك،
وَجَفنَاكَ كَانَا كَأَنَّهُمَا مُغمَضَان مُعظَمَ الوَقت،
وَمَا قُمتَ بِه يَرتَدُّ فِي شَكلِ تَهَكُّمَات،
(نَمَاؤُك، مَعرِفَتُك، صَلَوَاتُك، إِن لَم تَرتَد فِي شَكلِ تَهَكُّمَات، فَمَاذا تَرتَد؟)

التَّهَكُّمَاتُ لَيسَت أَنت،
تَحتَهَا وَخِلَالَهَا أَرَاكَ كَامِنًا،
أَقتَفِي أَثَرَكَ إِلَى حَيثُ لَم يَقتَفِ أَثَرَك شَخصٌ آخَر،
وَالصَّمتُ، المنضَدَةُ، التَّعبِيرُ الوَقِح، اللَّيلُ، الرُّوتِينُ المعتَادُ، لَو أَخفَوك عَن الآخَرِين أَو عَن نَفسِك، فَلَن يُخفُوكَ عَنِّي،
وَالوَجهُ الحَلِيقُ، العَينُ الزَّائِغَةُ، البَشرَةُ غَير الصَّافِيَة، لَو أَعَاقَ ذَلِكَ الآخَرِين فَلَا يَعُوقُنِي،
فَالمظهَرُ الأَنِيقُ، وَالمزَاجُ المُعتَكِرُ، وَالسُّكرُ، وَالشَّرَاهَةُ، وَالموتُ قَبلَ الأَوَان، كُل ذَلِك

أُنَحِّيه جَانِبًا.

مَا مِن مَوهِبَةٍ فِي رَجُلٍ أَو امرَأَةٍ لَيسَت مُتحَقِّقَةً فِيك،
مَا مِن فَضِيلَةٍ، وَلَا جَمَالٍ فِي رَجُلٍ أَو امرَأة، إِلَّا وَهوَ فِعلِيًّا فِيك،
مَا مِن جُرأةٍ، وَلَا جَلَد لَدى آخَرِين، إِلَّا وَهوَ فِعلِيًّا فِيك،
مَا مِن لَذَّةٍ تَنتَظِرُ الآخَرِين، إِلَّا وَتَنتَظِرُك لَذَّةٌ مُكَافِئَة.

أَمَّا أَنَا، فَلَا أَمنَحُ شَيئًا لأحَدٍ إِلَّا وَأَمنَحُكَ بِحِرصٍ مَثِيلَه،
لَا أُغَنِّي أُغنِيَاتِ التَّمجِيدِ لأحَدٍ، وَلَا الرَّب، إِلَّا بَعدَمَا أُغَنِّي أُغنِيَاتِ تَمجِيدِك.

فَأَيًّا مَن تَكُون! فَلتُعلِن عَن هَوِيَّتِك أَيًّا مَا تَكُون المُخَاطَرَة!
فَهَذِه العُرُوضُ مِن الشَّرقِ وَالغَربِ أَلِيفَةٌ مُقَارَنَةً بِك،
هَذِه المرُوجُ الشَّاسِعَةُ، هَذِه الأنهَارُ اللَامُتَنَاهِيَة، أَنتَ شَاسِعٌ وَلَا مُتَنَاهٍ مِثلَهَا،
وهَذِهِ الاهتِيَاجَاتُ، وَالعَنَاصِر، وَالعَوَاصِفُ، وَحَرَكَاتُ الطَّبِيعَة، وَمَخَاضَاتُ الانحِلَالِ الوَاضِح، أَنتَ أَو أَنتِ السَّيِّدُ أَو السَّيِّدَةُ عَلَيهَا،
سَيِّدٌ أَو سَيِّدَةٌ بِحُكمِ الحَقِّ الشَّخصِي عَلَى الطَّبِيعَة، وَالعَنَاصِر، وَالأَلَم، وَالشَّغَف، وَالانحِلَال.

تَتَسَاقَطُ عَن كَاحِلِك الأغلَالُ، وَتمتَلِك كَفَاءَةً بِلَا نُقصَان،
عَجُوزًا أَو شَابًّا، ذَكَرًا أَو أُنثَى، فَظًّا، وَاهِنًا، يُنكِرُه البَاقُون، أَيًّا مَا تُعلِنُه ذَاتُه،
عَبرَ المِيلَادِ، وَالحيَاةِ، وَالمَوتِ، وَالدَّفنِ، الأَدَوَاتُ مُتَاحَةٌ، وَلَا شَيءَ مَنقُوص،
عَبرَ الغَضبَاتِ، وَالخَسَارَاتِ، وَالطُّمُوحِ، وَالجَهلِ، وَالضَّجَرِ، مَا تَكُونُه يَشُق طَرِيقَه.

فرنسَــا

العام الثامن عشر من عُمر هذه الولايات

عَامٌ وَمَكَانٌ عَظِيمَان،
صَرخَةٌ خَشِنَةٌ نَشَازٌ طَبِيعِيَّةٌ تَنفَجِر مُدَوِّيَةً، لِتُلَامِسَ قَلبَ الأُم الأقرَبَ آنئِذٍ مِن أَيِّ قَلب .

كُنتُ أَتَمَشَّى عَلَى شُطآنِ بَحرِي الشَّرقِي،
فَسَمِعتُ عَلَى الأَموَاج الصَّوتَ الصَّغِير،
وَرَأيتُ الطِّفلَةَ السَّمَاوِيَّةَ تَمشِي مُنتَحِبَةً فِي حُزن، وَسطَ هَدِيرِ المدفَعِ، وَاللَّعنَاتِ، وَالصَّيحَاتِ، وَتَحَطُّم المَبَانِي المتهَاوِيَة،
لَم أَكُن مُتقَزِّزًا مِن الدَّمِ المنسَابِ إِلَى قَنَوَاتِ البَالُوعَات، وَلَا مِن الجُثَثِ المتنَاثِرَة، وَلَا تِلكَ المُكَوَّمَةِ، وَلَا تِلكَ المحمُولَةِ بَعِيدًا فِي العَرَبَات،
لَم أَكُن يَائِسًا إِزَاءَ مَجَازِرِ الموتِ لِلعُزَّل– لَم أَكُن مَصدُومًا مِن الوَابِل المتَكَرِّر لِلرَّصَاص.
شَاحِبًا، صَامِتًا، عَابِسًا، مَاذَا يُمكِنُنِي أَن أَقُولَ لِذلِكَ العِقَابِ المتَرَاكِمِ طَوِيلًا؟
أَيُمكِن لِي أَن أَتَمَنَّى إِنسَانِيَّةً مُختَلِفَة؟
أَيُمكِن لِي أَن أَتَمَنَّى لَو كَانَ النَّاسُ مَجبُولِين مِن خَشَبٍ وَحَجَر؟
أَم لَيسَت هُنَاكَ عَدَالَةٌ فِي القَدَرِ وَالزَّمَان؟

أَيَّتُهَا الحُرِّيَّة! يَا رَفِيقَتِي!
هُنَا أَيضًا اللَّهَبُ، وَقُنبُلَةُ الشَّظَايَا وَالفَأس، فِي الاحتِيَاطِ، لِنُخرِجَهُم عِندَ الحَاجَة،
هُنَا أَيضًا، بِرغمِ كَبحِهَا الطَّوِيل، فَلَا يُمكِن تَدمِيرُهَا أَبَدًا،
هُنَا أَيضًا يُمكِنُهَا أَن تَظهَرَ عِندَ القَتلِ وَالنَّشوَةِ الأَخِيرَة،
هُنَا أَيضًا تُطَالِبُ بِدُيُونِ الانتِقَامِ الكَامِلَة.

هَا هُنَا أُوَقِّعُ هَذِهِ التَّحِيَّةَ فَوقَ البَحر،
وَلَا أُنكِر ذَلِكَ المِيلَادَ وَالتَّعمِيدَ الأَحمَرَ المرِيع،
لَكِنِّي أَتَذَكَّرُ الصَّوتَ الصَّغِيرَ الذِي سَمِعتُه يَنتَحِب، وَأَنتَظِر بِثِقَةٍ تَامَّة، لَا يَهم إِلَى مَتَى،
وَمِن اليَوم أَحتَفِظُ حَزِينًا وَمُصَمِّمًا بِالقَضِيَّةِ المورُوثَةِ، مِثلَمَا لِكُلِّ البُلدَان،
وَأُرسِلُ هَذِه الكَلِمَات إِلَى بَارِيس مَع حُبِّي،
وَأُخَمِّن أَن بَعضَ المغنِّين هُنَاكَ سَيَفهَمُونَهَا،
فَأَظُن أَنَّ هُنَاكَ مَا تَزَالُ بَعضُ الموسِيقَى كَامِنَةً فِي فَرَنسَا، سَيُولُ مِنهَا،
آهِ إِنَّنِي أَسمَعُ بِالفِعل صَرِيرَ الآلَاتِ الموسِيقِيَّة، وَسرعَانَ مَا سَيُغرِقُون كُلَّ مَا يُشَوِّشُهُم،
آهِ أَظُن أَن الرِّيَاحَ الشَّرقِيَّةَ تَأتِي بِمَارش ظَافِر وَحُر،
يَصِلُ إِلَى هُنَا، وَيُفعِمُنِي بِالجنُونِ البَهِيج،
سَأُسرِعُ فِي تَرجَمَتِه فِي كَلِمَات، لأَمنَحَه التَبرِير،
بَل سَأُغَنِّي أُغنِيَةً لَكِ يَا امرَأَتِي.

نَفسِـي ومَا لِي

نَفسِي وَمَا لِي يَتلَاعبُون أَبَدًا،
لِمَقَاوَمَةِ البَرِدِ أَو الحَر، لاتِّخَاذِ هَدَفٍ جَيِّدٍ لِلبُندُقِيَّة، لِلإِبحَارِ فِي قَارب، لِلتَّعَامُلِ مَعَ الأحصِنَة، لإِنجَابِ أَطفَالٍ رَائِعِين،
لأتَكَلَّمَ بِطَلَاقَةٍ وَوُضُوح، لأُحِس بِأنِّي عَلَى رَاحَتِي وَسطَ النَّاسِ العَادِيِّين،
وَأَن أصمُدَ فِي المَوَاقِفِ الرَّهِيبَةِ عَلَى البَحرِ وَالأَرض.

لَا مِن أَجلِ أَحَدِ المُطَرِّزِين،
(فَسَيَكُون هُنَاكَ دَائِمًا الكَثِيرُ مِن المطَرِّزِين، فَأهلًا بِهِم جَمِيعًا أَيضًا)،
بَل مِن أَجلِ نَسِيجِ الأَشيَاءِ وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ المتَأَصِّلِين.

لَا مِن أَجلِ نُقُوشِ الإِزمِيل،
بَل مِن أَجلِ الإِزمِيل بِضَربَةٍ حُرَّةٍ مِنه عَلَى رُؤُوسِ وَأَعضَاءِ الآلِهَةِ السَّامِيَةِ الكَثِيرَة، التِي سَتَجعَلُهَا الوِلَايَاتُ تَمشِي وَتَتَكَلَّم.
فَلأَتَّخِذ طَرِيقِي الخَاص،
وَليَنشُر الآخَرُون القَوَانِين، فَلَن أَضَع أَيَّ اعتِبَارٍ لِلقَوَانِين،
فَليَمتَدِح الآخَرُون الرِّجَالَ البَارِزِين وَيُحَقِّقُوا السَّلَام، فَأَنَا أُحَقِّقُ الهِيَاجَ وَالصِّرَاع،
لَا أَمتَدِحُ أَيَّ شَخصٍ بَارِز، بَل أُوَبِّخُ فِي وَجهِه الشَّخصَ الذِي يُظَن أَنَّه الأَجدَر.

(فَمَن أَنت؟ وَمَاذَا أَذنَبتَ فِي السِّرِّ طُوَالَ حَيَاتِك؟
هَل سَتَنزَوِي طُوَالَ حَيَاتِك؟ هَل تظَل تَنبِش الأَرضَ وَتُثَرثِر طُوَالَ حَيَاتِك؟
وَمَن أَنتَ، أَيُّهَا المُثَرثِر بِالهُرَاء، لِسَنَوَاتٍ، وَصَفحَاتٍ، وَلُغَاتٍ، وَذِكرَيَاتٍ،
دُونَ وَعيٍ اليَومَ أَنَّكَ لَا تَدرِي كَيفَ تَنطِق بشَكلٍ صَحِيحٍ كَلمَةً وَاحِدَة؟)

فَليُنهِ الآخَرُون نَمَاذِجَهُم، فَأَنَا لَا أُنهِي نَمَاذِجِي أَبَدًا،
أَشرَعُ فِيهَا بِقَوَانِينَ لَا تَنفَد كَمَا تَفعَلُ **الطَّبِيعَة**، جَدِيدَةٍ وَحَدِيثَةٍ دَائِمًا.

لَا أَقُومُ بِشَيءٍ كَوَاجِب،
فَمَا يَقُومُ بِه الآخَرُون كَوَاجِبٍ أَقُومُ بِه كَدَوَافِعَ حَيَوِيَّة،
(فَهَل سَأَقُومُ بِفِعلِ القَلبِ كَوَاجِب؟)

فَليَطرَح الآخَرُون الأَسئِلَةَ، فَأَنَا لَا أَطرَحُ شَيئًا، إِنَّنِي أَستَثِيرُ أَسئلَةً بِلَا أَجوِبَة،
فَمَن هُم مَن أَرَى وَأَلمس، وَمَاذَا عَنهُم؟
مَاذَا عَن هَؤلَاءِ الشَّبِيهِين بِنَفسِي الذِين يَجتَذِبُونَنِي إِلَيهِم بِمُبَاشَرَةٍ وَمُوَارَبَةٍ رَهِيفَة؟

إِنَّنِي أَدعُو العَالَمَ إِلَى عَدَمِ الثِّقَةِ بِأَقوَالِ أَصدِقَائِي، بَل الإِنصَاتِ إِلَى أَعدَائِي، كَمَا أَفعَلُ أَنَا نَفسِي،
أُوصِيكُم إِلَى الأَبَد بِرَفضِ هَؤلَاء الذِين سَيُفَسِّرُونَنِي، فَأَنَا لَا أَستَطِيعُ تَفسِيرَ نَفسِي،
أُوصِيكُم بِأَلَا تَكُون هُنَاكَ نَظَرِيَّاتٌ أَو مَدَارِس تُؤَسِّسُ انطِلَاقًا مِنِّي،
أُوصِيكُم بِأَن تَترُكُوا الجَمِيعَ أَحرَارًا، مِثلَمَا تَرَكتُ الجَمِيعَ أَحرَارًا.

وَرَائِي، أُفُـق!
آهِ لَا أَرَى الحَيَاةَ قَصِيرَة، بَل طَوِيلَةً بِلَا حُدُود،
وَمِن الآنَ فَصَاعِدًا أَخطُو فِي العَالَمِ الطَّاهِر، الزَّاهِد، مُستَيقِظًا مُبَكِّرًا، مُتَنَامِيًا أَبَدًا،

وَكُلُّ سَاعَةٍ هِيَ مَنِيُّ القُرُون، وَتَبقَى مَنِيَّ القُرُون.

لَابُد أَن أُتَابِعَ هَذِهِ الدُّرُوسَ الدَّائِمَةَ مِن الأَثِير، وَالمَاءِ، وَالأَرض، فَأَظُن أَن لَا وَقتَ لَدَيَّ لأُضَيِّعَه.

عَــام النَّيَــازك
(60-1859)

يَا عَامَ النَّيَازِك! يَا عَامَ فَقسِ البَيض!
سَأُوثِقُ فِي كَلِمَاتٍ مُستَعِيدَةٍ بَعضَ أَفعَالِك وَإِشَارَاتِك،
سَأُغَنِّي نِضَالَكَ مِن أَجلِ الرِّئَاسَةِ التَّاسِعَة عَشرَة،
سَأُغَنِّي كَيفَ صَعَد رَجُلٌ عَجُوزٌ، طَوِيلٌ، بِشَعرٍ شَائِب، إِلَى المِشنَقَةَ فِي فِرجِينيَا،
(كُنتُ هُنَاكَ، صَامِتًا وَقَفتُ بِأَسنَانٍ مُطبَقَة، وَشَاهَدت،
وَقَفتُ قَرِيبًا جِدًّا مِنكَ أَيُّهَا العَجُوزُ حِين صَعَدتَ إِلَى المِشنَقَة، فَاتِرًا لَامُبَالِيًا، لَكِن مُرتَعِشًا بِفِعلِ العُمر وَجِرَاحِكَ غَيرِ المندَمِلَة)؛
سَأُغَنِّي فِي أُغنِيَتِي المسهَبَةِ نَتَائِجَ إِحصَاءَاتِك لِلوِلَايَات،
قَوَائِمَ السُّكَّان وَالمنتجَاتِ، سَأُغَنِّي عَن سُفُنِك وَحُمُولَاتِهَا،
عَن وُصُولِ سُفُن مَانهَاتِن السَّوْدَاء الأَبِيَّة، وَبَعضُهَا مُتخَمٌ بِالمَهَاجِرِين، وَالبَعضُ مِن المَضَايِقِ بِحُمُولَاتٍ مِن الذَّهَب،
سَأُغَنِّي أُغنِيَاتٍ عَن ذَلِك، وَإِلَى أُولَئِكَ القَادِمِين إِلَى هُنَا سَأُقَدِّم التَّرحِيبَ،
وَسَأُغَنِّيكَ أَنت، أَيُّهَا الغُلَامُ الجَمِيل! لَكَ مِنِّي التَّرحِيب، يَا أَمِيرَ انجلترَا الصَّغِير!
(هَل تَذكُرُ وَأَنتَ تَخترِقُ حُشُودَ مَانهَاتِن فِيمَا كُنتَ تَمُر بِمَوكِبِكَ مِن النُّبَلَاء؟
هُنَاكَ فِي الحُشُودِ كُنتُ أَقِف، وَمَيَّزتُكَ بِمَوَدَّة)؛
وَلَا أَنسَى أَن أُغَنِّي الأُعجُوبَةَ، السَّفِينَةَ وَهي تَمخُر خَلِيجِي،

جَمِيلَةً مهِيبَةً كَانَت الشَّرقِيَّةُ العَظِيمَةُ تَمخُر خَلِيجِي، وَهِيَ بِطُولِ 600 قَدَم،
وَحَركَتُهَا الرَّشِيقَةُ مُحَاطَةٌ بِآلَافٍ مِن الحِرَفِيِّين الصِّغَارِ لَا أَنسَى أَن أُغَنِّيهم؛
وَلَا الشِّهَابَ الذِي أَتَى بِلَا إِنذَارٍ مِن الشَّمَالِ مُتَوَهِّجًا فِي السَّمَاء،
وَلَا انطِلَاقَ النَّيزَكِ الهَائِل الغَرِيبِ مُبهِرًا مُندَفِعًا فَوقَ رُؤُوسِنَا،
(لِلَحظَةٍ، لِلَحظَةٍ وَجَّه كُرَاتٍ مِن ضَوءٍ لَا أَرضِي فَوقَ رُؤُوسِنَا،
ثم ارتَحَل، هَوَى فِي اللَّيل، وَاختَفَى)؛
عَن ذَلِك، وبِصُورَةٍ مُتَقَطِّعَةٍ مِثلَهَا، أُغَنِّي – بِوَمضَاتٍ مِنهَا أُومِضُ وَأُبَرقِش هَذِه الأُغنِيَات،
أُغنِيَاتك، أَيُّهَا العَامُ الملَوَّنُ بِالشَّر وَالخَير – عَجَبًا! فَحَتَّى هُنَا فَالمَرءُ عَابِرٌ وَغَرِيب عَلَى حَدٍّ سَوَاء!
وَإِذ أَمُر بِسُرعَةٍ خِلَالَك، لأهوِي بِسُرعَةٍ وَأَختَفِي، فَمَا هَذِهِ الأُغنِيَة،
مَا أَنَا نَفسِي، سِوَى أَحَد نَيَازِكِك؟

مَع الأســلَاف

[1]

مَعَ الأسلَاف،
مَعَ آبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَتَرَاكُمَاتِ العُصُورِ الغَابِرَة،
مَع الجَمِيع الذِين، لَو لَم يَكُونُوا، لَمَا كُنتُ الآنَ هُنَا، مِثلَمَا أَنَا،
مَع مِصر، وَالهِند، وَفِينِيقيَا، وَاليُونَان، وَرُومَا،
مَع السِّلتِيِّين، وَالاسكَندِينَافِيِّين، وأَهلِ الألب والسَّاكسُون،
مَعَ المغَامَرَاتِ البَحرِيَّةِ، وَالقَوَانِين، وَالحِرَف، وَالحُرُوبِ وَالرحلَاتِ القَدِيمَة،
مَع الشَّاعِر، وَالمؤَرِّخ، وَالحَكِيم، وَالأُسطُورَة، وَالنُّبُوءَة،
مَعَ سُوقِ العَبِيد، مَعَ المتحَمِّسِين، مَعَ الشَّاعِرِ الجَوَّال، وَالمقَاتِلِ الصَّلِيبِي، وَالرَّاهِب،
مَع تِلكَ القَارَّاتِ القَدِيمَةِ التِي جِئنَا مِنهَا إِلَى هَذِه القَارَّةِ الجَدِيدَة،
مَع المَمَالِكِ وَالملُوكِ الغَابِرِين هُنَاك،
مَعَ الأديَانِ وَالكَهنَةِ الغَابِرِين،
مَعَ الشَّوَاطِئِ الصَّغِيرَةِ التِي نَنظُرُ إِلَيهَا وَرَاءَنَا مِن شُطآنِنَا الحَالِيَّةِ الشَّاسِعَة،
مَع الأعوَامِ بِلَا حَصرٍ التِي تُجَرجِرُ نَفسَهَا إِلَى الأمَام لِتَصِل إِلَى هَذِهِ الأعوَام،
وَصَلنَا أَنَا وَأَنت – وَصلَت أَمِيرِيكَا وَالتَّقدُّم هَذَا العَام،
هَذَا العَام! دَافِعَةً نَفسَهَا إِلَى الأمَام سَنَوَاتٍ قَادِمَةً بِلَا حَصر.

[2]

آهِ لَكِنهَا لَيسَت الأعوَام – إِنَّهَا أَنَا، إِنَّهَا أَنت،
نَلمَسُ كُلَّ القَوَانِين وَنَرصُدُ كُلَّ الأسلَاف،
نَحن المؤَرِّخُ، وَالعَرَّافُ، وَالرَّاهِبُ، وَالفَارِسُ، بِسُهُولَةٍ نُدرِجُهُم وَأَكثَرَ مِنهُم،
نَقِفُ وَسطَ زَمَنٍ بِلَا بِدَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ، نَقِفُ وَسطَ الشَّر وَالخَير،
وَالكُل يَدُورُ حَولَنَا، وَثَمَّة ظَلَامٌ بِقَدرِ الضَّوء،
وَالشَّمسُ نَفسُهَا تُدِيرُ نَفسَهَا وَمجَرَّةَ كَوَاكِبِهَا حَولَنَا،
شَمسُهَا، وَتَوَابِعُهَا جَمِيعًا، يَدُورُون حَولَنَا.

أَمَّا أَنَا، (مُستَنزَفًا، عَاصِفًا، وَسطَ هَذِهِ الأَيَّامِ الملتَهِبَة)،
فَلَدَيَّ فِكرَةُ الجَمِيع، وَأَنَا الجَمِيعُ وَأُؤمِنُ بِالجَمِيع،
أُؤمِن بِأَن المادِّيَّةَ صَائِبَةٌ وَالرُّوحَانِيَّةَ صَائِبَةٌ، وَلَا أُنكِرُ أَيَّ جَانِب.
(هَل نَسَيتُ أَيَّ جَانِب؟ أَيَّ شَيءٍ فِي المَاضِي؟
فَتعَالَوا إِلَيَّ أَيًّا مَن تَكُونُون وَمَا تَكُونُون، إِلَى أَن أَمنحَكُم الاعتِرَاف).

إِنَّنِي أَحتَرِم آشُور، وَالصِّين، وَتيُوتُونيَا، وَالعبرَانِيِّين،
أَتبَنَّى كُلَّ نَظرِيَّةٍ، وَأُسطُورَةٍ، وَإِلَه، وَشِبه إِلَه،
أَرَى النُّصُوصَ القَدِيمَةَ، وَالأنَاجِيلَ، وَالسُّلَالَات، صَائِبَةً، بِلَا استِثنَاء،
أُؤَكِّد أَن الأَيَّامَ الماضِيَةَ جَمِيعًا كَانَت مَا لَابُد أَن تَكُون،
وَأَنَّهَا مَا كَانَ لَهَا مُطلَقًا أَن تَكُون أَفضَل مِمَّا كَانَت،
وَأَنَّ اليَومَ مَا لَابُد أَن يَكُون، وَأَنَّ أَمِيرِيكَا كَذَلِك،
وَأَن اليَومَ وَأَمِيرِيكَا لَا يُمكِن مُطلَقًا أَن يَكُونَا أَفضَل مِمَّا هُمَا الآن.

[3]

بِاسمِ هَذِهِ الوِلَايَاتِ وَبِاسمِك وَبِاسمِي، الماضِي،

بِاسمِ هَذِهِ **الوِلَايَاتِ** وَبِاسمِك وَبِاسمِي، **الحَاضِر**.

أَعرِفُ أَنَّ المَاضِي كَان عَظِيمًا وَأَن المستَقبَلَ سَيَكُون عَظِيمًا،
وَأَعرِف أَن الاثنَين مُتَلَاحِمَان بِصُورَةٍ غَرِيبَة فِي الحَاضِر،
(مِن أَجلِه أَرمُز، مِن أَجلِ الإِنسَانِ العَادِيِّ، مِن أَجلِكَ لَو كُنتَ هُو)،
وَأَينَمَا أَكُون أَو تَكُون فِي هَذَا اليَومِ الحَاضِر، فَهنَاكَ مَركَزٌ لِكُلِّ الأَيَّامِ، كُل الأَجنَاس،
وَهُنَاك مَعنًى لَنَا مِن كُل مَا جَرَى مِن الأَجنَاسِ وَالأَيَّام، أَو سَيَجرِي.

مهرجَــان في برُودواي

[1]

فَوق البَحرِ الغَربِي يَأتِي إِلَى هُنَاكَ مِن نِيفُون،
دَمِثِين، مَبعُوثُون دَاكِنُو الخُدُود يَتَمَنطَقُون بِسَيفَين،
مُنحَنِين إِلَى الوَرَاءِ فِي عرَبَاتِهِم المكشُوفَة، هَادِئِين، رُؤُوسُهُم عَارِيَة،
يَرتَحِلُون اليَومَ عَبر مَانهَاتِن.

أَيَّتهَا الحرِّيَّة! لَا أَدرِي مَا إِذَا كَانَ الآخرُون يَرون مَا أَرَى،
فَفِي الموكِبِ مَعَ نُبَلَاءِ نِيفُون، ثَمَّةَ حَامِلُو الرِّسَالَة،
يَستَوقِفُون مَن بِالوَرَاءِ، يَحُومُون عَالِيًا، في الأجنَاب، أَو فِي الصُّفُوفِ السَّائِرَة،
لَكِنَّنِي سَأغَنِّي لَكُم أُغنِيَةً عَمَّا أَرَاه **حُرِيَّة.**

حِين تَهبِط مَانهَاتِن المنطَلِقَةُ ذَات المليُون قَدَمٍ إِلَى أَرصِفَتِهَا،
حِين تَستَثِيرُنِي البَنَادِقُ المقَرقِعَةُ بالرُّعُودِ بِالزَّئِير الأَبِيَّةِ التِي أُحِبُّهَا،
حِين تُلقِي تَحِيَّتَهَا البَنَادِقُ بِفُوَّهَاتِهَا المستَدِيرَةِ خِلَال الدُّخَانِ وَالرَّائِحَةِ التِي أُحِبُّهَا،
حِين تُنَبِّهُنِي تَمَامًا البَنَادِقُ ذَات الوَمِيضِ النَّارِي، وَتُظَلِّلُ غُيُومُ السَّمَاء مَدِينَتِي
بِضَبَابٍ نَحِيلٍ رَهِيف،
حِينَ تَكُون فَاتِنَةً السِّيقَانُ المُستَقِيمَةُ بِلَا حَصر، وَالأَحرَاجُ فِي أَرصِفَة التَّحمِيل،

كَثِيفَةً بِالألوَان،
حِين تَحمِلُ كُلُّ سَفِينَةٍ مُتَأَنِّقَةٍ بِفَخَامَةٍ عَلَمَهَا فِي القِمَّة،
حِين تُعَلَّق أَطرَافُ الأعلَامِ وَزِينَاتُ الشَّوَارِعِ مِن النَّوَافِذ،
حِين تَستَسلِم برُودواي تَمَامًا لِعَابِرِي السَّبِيل وَالمارَّة، وَحِين تَكُون كَثَافَةُ الجُمُوعِ فِي أَشُدِّهَا،
حِين تَكُون وَاجِهَاتُ المَنَازِل حَيَّةً بِالنَّاسِ، وَحِين تُحَدِّق مَبهُورَةً نَظَرَاتُ العيُون بِعَشَرَاتِ الآلَافِ كُلَّ مَرَّة،
حِينَ يَتَقَدَّم الضُّيُوفُ القَادِمُون مِن الجُزُر، وَحِين يَتَحَرَّك المهرَجَانُ مَرئِيًّا إِلَى الأمَام،
حِين تُعقَد الاجتِمَاعَات، وَحِين تُجِيبُ الإجَابَات التِي انتَظَرَت آلَافَ السِّنِين،
أَنَا أَيضًا، نَاهِضًا، مُجِيبًا، هَابِطًا إِلَى الأرصِفَةِ، أَمتَزِجُ بِالحَشدِ، وَأُحَدِّق مَعَهُم.

[2]

مَانهَاتِن ذَات الوَجه الفَاتِن!
أَيُّهَا الرِّفَاقُ الأَمِيرِيكِيُّون! إِلَينَا، ثُم يَأتِي الشَّرقُ فِي النِّهَايَة.

إِلَينَا، يَا مَدِينَتِي،
حَيثُ مَفَاتِنُ الرُّخَامِ وَالحَدِيدِ الشَّاهِقَةِ تَصطَف عَلَى الجَانِبَين، لِنَمشِي فِيمَا بِينَهَا،
اليَومَ يَأتِي أَهلُ الجِهَاتِ المقَابِلَة.

تَأتِي الخَلَّاقَة،
عُش اللُّغَاتِ، مُورِثَةُ القَصَائِد، الجِنسُ الغَابِر،
مُتَوَرِّدَةً بِالدَّم، مُتَأَمِّلَةً، مُنتَشِيَةً بِالمزَاح، سَاخِنَةً بِالشَّغَف،
مُتَّقِدَةً بِالعِطر، بِثِيَابٍ مُنسَابَةٍ فَضفَاضَة،
بِسِيمَاءٍ مَسفُوعَةٍ بِالشَّمسِ، بِرُوحٍ عَاطِفِيَّة وَعَينَين وَامِضَتَين،

تَأتِي سُلَالَةُ برَاهمَا.

فَانظُرُوا طَرِيقَتِي الغِنَائِيَّة! فَهَؤلَاء وَأَكثَر يُومِضُون لَنَا مِن الموكِب،
وَفِيمَا يَتحَرَّكُ مُتغَيِّرًا، يَتحَرَّك كَالِيدُوسكُوب[*] سَمَاوِيٌّ مُتَغَيِّرًا أَمَامَنَا.
لَا مِن أَجلِ المبعُوثِين وَلَا مِن أَجلِ اليَابَانِي المسفُوعِ مِن جَزِيرَتِه فَحَسب،
فَرَشِيقًا صَامِتًا يَظهَر الهِندُوسِي، تَظهَر القَارَّةُ الآسيَوِيَّةُ ذَاتُهَا، وَالماضِي، وَالمَوتَى،
وَاللَّيلُ المرَصَّعُ بِالنُّجُوم – نَهَارُ الدَّهشَةِ وَالخُرَافَةِ العَصِيَّة،
الأسرَارُ المخفِيَّة، نَحلُ العَسَلِ القَدِيمُ وَالمجهُول،
الشَّمَالُ، الجَنُوبُ المتَصَبِّبُ عَرَقًا، آشُورُ الشَّرقِيَّة، العِبرَانِيُّون، قُدَمَاءُ الأقدَمِين،
مُدُنٌ شَاسِعَةٌ مَهجُورَة، وَالحَاضِرُ المنسَل، كُل هَؤلَاء وَأَكثَر فِي مَوكِب المهرجَان.

الجغرَافيَا، العَالَم، كَامِنٌ فِيه،
البَحرُ العَظِيم، وَصِغَارُ الجُزُر، وَبُولِينِيزيَا، وَالسَّاحِلُ فِي الوَرَاء،
السَّاحِلُ الذِي تُوَاجِهِينَه مِن الآنَ فَصَاعِدًا – أَيَّتُهَا الحُرِّيَّة! مِن شَوَاطِئِك الغَربِيَّةِ الذَّهَبِيَّة،
هُنَاكَ البُلدَانُ بِسُكَّانِهَا، وَهُنَا الملَايِينُ المحتَشِدَة بَغَرَابَة،
الدَّكَاكِينُ المزدَحِمَة، المعَابِدُ بِالأوثَانِ مَصفُوفَةٌ بِامتِدَادِ الأجنَابِ أَو فِي العُمق، بُوذِيَّةً، برَاهمِيَّة، وَمِن إِلَامَا[**]،
موَظَّفٌ كَبِيرٌ، مُزَارِعٌ، تَاجِرٌ، مِيكَانِيكِي، وَصَيَّادُ سَمَك،
المُغَنِّيَةُ، وَالرَّاقِصَةُ، وَالأشخَاصُ المُنتَشُون، وَالأبَاطِرَةُ المعزُولُون،
كُونفُوشيُوس نَفسُه، وَالشُّعَرَاءُ وَالأبطَالُ العِظَام، وَالمُحَارِبُون، وَالشُّخُوص، جَمِيعًا،

[*] كاليدوسكوب kaleidoscope: أداة تضم قطعًا متحركة من الزجاج الملون، ما إن تتغير أوضاعها حتى تعكس مجموعة لا نهائية من الأشكال الهندسية مختلفة الألوان.

[**] إحدى مدن هوندوراس.

يَحتَشِدُون، يَتزَاحَمُون مِن جَمِيع الاتِّجَاهَات، مِن جِبَال التَّاي[*]،
مِن التِّيبِيت، مِن أَنهَارِ الصِّين الأربَعَةِ الموَّارَةِ المُتَدَفِّقَةِ بَعِيدًا،
مِن أَشبَاهِ الجُزُر الجَنُوبِيَّة وَالجُزُرِ شِبهِ القَارِّية، مِن مَالِيزيَا،
هَؤلَاء وَأَيٌّ مَا يَنتَمِي إِلَيهِم يَتَبَدَّى لِي وَاضِحًا، وَمَربُوطًا بِي،
وَأَنَا مَربُوطٌ بِهِم، وَيَضُمُّونَنِي بِمَحَبَّة،
إِلَى أَن أُغَنِّيهِم جَمِيعًا مِثلَمَا هُنَا، أَيتُهَا الحُرِيَّة! مِن أَجلِهِم وَمِن أَجلِك.

فَأَنَا أَيضًا أَنضَم رَافِعًا صَوتِي إِلَى صُفُوفِ هَذَا المهرجَان،
أَنَا المنشِدُ، أُنشِدُ عَالِيًا فَوقَ المهرَجَان،
أُنشِدُ العَالَم عَلَى بَحرِي الغَربِي،
أُنشِدُ رَوعَةَ الجُزُر فِي البَعِيد، كَثِيفَةً كَمَا النُّجُوم فِي السَّمَاء،
أُنشِدُ الامبِرَاطُورِيَّةَ الجَدِيدَةَ الأعظَم مِن أَيَّةِ سَابِقَة، وَهِيَ تَأتِينِي كَمَا فِي رُؤيَا،
أُنشِدُ أَمِيرِيكَا السَّيِّدَة، أُنشِدُ سِيَادَةً أَعظَم،
أُنشِدُ أَلفَ مَدِينَةٍ مُزدَهِرَةٍ مُتَخَيَّلَةٍ لَكِن فِي أَوَانِهَا القَادِمِ عَلَى هَذِهِ المجمُوعَات مِن الجُزُر البَحرِيَّة،
وَسُفُنِي الشِّرَاعِيَّةُ وَالبُخَارِيَّةُ تَمخُر الأرخَبِيلَات،
وَنُجُومِي وَأَعلَامِي تُرَفرِفُ فِي الرِّيح،
هُو افتِتَاحُ التِّجَارَة، وَنَومُ العُصُورِ التِي قَامَت بِوَاجِبِهَا، أَجنَاسٌ تُولَد مِن جَدِيدٍ، مُنتَعِشَة،
حيَوَاتٌ، وَأَشغَالٌ تُستَكمَل– مَا لَا أَدرِي– لَكِن القَدِيم، الآسَيَوِي المُجَدَّد كَمَا يَنبَغِي،
يَبدَأ مِن هَذَا اليَومِ مُحَاطًا بِالعَالَم.

[3]

وَأَنتِ يَا حُرِيَّـةَ العَالَم!

---

[*] سلسلة جبال بأسيا الوسطى، تمتد فيما بين روسيا والصين ومنغوليا وكازاخستان.

سَتَجلِسِين فِي المنتَصَفِ رَاسِخَةً لآلَافِ وَآلَافِ السِّنِين،
حَيثُ يَأتِي إِلَيكِ اليَومَ نُبَلَاءُ آسيَا مِن أَحَدِ الأجنَاب،
وَمِن الجَانِبِ الآخَر تُرسِلُ مَلِكَةُ انجِلترَا غَدًا ابنَهَا الأكبَرَ لَك.

الإِشَارَةُ تَنعَكِس، وَالمدَارُ يَنغَلِق،
الحَلقَةُ تَستَدِير، وَالرِّحلَةُ تَكتَمِل،
وَغِطَاءُ الصُّندُوقِ مَفتُوحٌ فِي الخَيَالِ فَحَسب، وَمَع ذَلِك فَالعِطرُ يَنسَابُ بِفِتنَةٍ خَارِجَ الصُّندُوقِ كُلِّه.

أَيَّتُهَا **الحُرِيَّةُ** الفَتِيَّة! مَعَ آسيَا الجَلِيلَةِ، الأُم الكُلِّيَّة،
فَلتَكُونِي مُرَاعِيَةً لَهَا الآنَ وَحَارَّةً أَبَدًا أَيَّتُهَا **الحُرِيَّة**، فَأَنتِ الكُل،
فَلتُطَأطِئِي رَأسَكِ الفَخُورَ إِلَى الأُم المُعوِزَةِ طَوِيلًا المرسِلَةِ الآنَ لَك الرَّسَائِلَ منَ الأرخَبِيلَات،
طَأطِئِي رَأسَكِ الفَخُورَ خَفِيضَةً لمرَّةٍ، أَيَّتُهَا **الحُرِيَّةُ** الفَتِيَّة.

هَل كَان الأطفَالُ يَهِيمُون نَحوَ الغَربِ طَوِيلًا؟ فِي تَسَكُّعٍ شَاسِع؟
أَكَانَت العصُورُ الكَابِيَةُ السَّالِفَةُ تَندَفِقُ نَحوَ الغَربِ مِن **الفِردَوسِ** مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد؟
أَكَانَت القُرُون تَذهَبُ إِلَيه سَيرًا عَلَى الأقدَامِ بِانتِظَامٍ عَلَى هَذَا النَّحو، مَجهُولَةً طُولَ الوَقتِ، بِالنِّسبَةِ لَكِ، لأَسبَابٍ مَا؟

إِنَّهَا مُبَرَّرَة، مُكتَمِلَة، وَسَوفَ تَستَدِيرُ الآن نَحوَ الاتِّجَاهِ الآخَر أَيضًا، لِتُسَافِرَ إِلَيكِ بِالتَّالِي،
سَوفَ تَسِيرُ الآنَ أَيضًا طَائِعَةً نَحوَ الشَّرقِ مِن أَجلِكِ أَيَّتُهَا **الحُرِيَّة**.

رُكَام البَحــر

خَارِجَ المهـد الذِي يهتَـز أبدًا

خَارِجَ المهدِ الذِي يَهتَز أَبَدًا،
خَارِجَ حُنجُرَةِ الطَّائِرِ المحَاكِي، المكُّوكِ المُوسِيقِي،
خَارِجَ مُنتَصَفِ لَيلِ الشَّهر التَّاسِع،
فَوقَ الرِّمَالِ العَقِيم وَالحُقُولِ فِي الوَرَاء، حَيثُ يَهِيمُ الطِّفلُ وَحِيدًا مُغَادِرًا فِرَاشَه، حَافِيًا،
عَارِي الرَّأسِ،
هَابِطًا مِن الهَالَةِ المنهَالَة،
صَاعِدًا مِن اللُّعبَةِ السِّريَّةِ لِلظِّلَالِ المُزدَوجَةِ وَالمُلتَوِيَةِ كَأَنَّهَا ظِلَالٌ حَيَّة،
خَارِجًا مِن بُقَعِ الوَردِ البَرِّي وَالتُّوتِ الأسوَد،
مِن ذِكريَاتِ العُصفُورِ الذِي غَرَّدَ لِي،
مِن ذِكريَاتِك يَا أَخِي الحَزِين، مِن النُّهُوضِ وَالسُّقُوطِ المتَكَرِّرَين اللذَين سَمِعتُهمَا،
مِن تَحت ذَلِكَ الهِلَالِ الأصفَر الذِي ظَهَر وَانتَفَخَ مُتَأخِّرًا كَأنَّمَا بِالدُّمُوع،
مِن تِلكَ النَّغمَاتِ الافتِتَاحِيَّةِ لِلشَّوقِ وَالحُب هُنَالِكَ فِي الضَّبَاب،
مِن الاستِجَابَاتِ الألفِ لِقَلبِي التِي لَا تَتَوَقَّف أَبَدًا،
مِن آلَافِ الكَلمَاتِ المُستَثَارَةِ بِالتَّالِي،
مِن الكَلِمَةِ الأقوَى وَالأشهَى مِن سِوَاهَا،
مِن مِثل ذَلِك الآن يَبدأُون زِيَارَةَ المشهَدِ مِن جَدِيد،
كَسِربٍ، مُغَرِّد، صَاعِدٍ، أَو عَابِر فَوقَ الرُّؤُوس،

مَولُودًا قَرِيبًا مِن هُنَا، قَبل أَن يُضَلِّلَنِي الجَمِيعُ، عَلَى عَجَل،
رَجُلًا، لَكِنِّي بِهَذِه الدُّمُوعِ صَبِيٌّ مِن جَدِيد،
طَارِحًا نَفسِي عَلَى الرِّمَالِ، مُوَاجِهًا الأَموَاج،
أَنَا، مُغَنِّي الآلَامِ وَالمَبَاهِج، مُوَحِّد الهُنَا وَالهُنَاك،
أَلتَقِطُ كُلَّ الإِيمَاءَات لأَستِخدِمَهَا، لَكِن قَافِزًا فِيمَا وَرَاءَهَا بِرَشَاقَة،
أُغَنِّي إِحدَى الذِّكرَيَات.

فِي بُومَانُوك ذَات مَرَّة،
حِينَ كَانَ أَرِيجُ اللَّيلَك فِي الهَوَاء وَعُشبُ الشَّهر الخَامِس يَنمُو،
أَعلَى هَذَا الشَّاطِئ وَسَطَ بَعضِ الوَردِ البَرِّي،
كَانَ هُنَاكَ ضَيفَانِ مِن رِيشٍ مِن آلَابَامَا، اثنَان معًا،
وَعُشُّهُمَا، وَأَربَعُ بَيضَاتٍ فَاتِحَةُ الخُضرَة مُنقَّطَةٌ بِالبُنِّي،
وَكُلَّ يَومٍ يَرُوحُ الطَّائِرُ الذَّكَرُ وَيَجِيء قُربَ المَكَان،
وَكُلَّ يَومٍ تَرقُد الأُنثَى فِي عُشِّهَا، صَامِتَةً، بِعَينَين مُشرِقَتَين،
وَكُلَّ يَومٍ وَأَنَا، كَصَبِي فُضُولِي، لَا أَقتَرِبُ كَثِيرًا أَبَدًا، لَا أُزعِجهُمَا أَبَدًا،
بِحَذَرٍ أَستَرِقُ النَّظَر، أَستَوعِبُ، أُتَرجِم.

أَشرِقِي! أَشرِقِي! أَشرِقِي!
اسكُبِي فِي الأَسفَل دِفئَكِ، أَيَّتُهَا الشَّمسُ العَظِيمَة!
فِيمَا نَستَدفِئ، نَحنُ الاثنَين مَعًا.

اثنَان مَعًا!
الرِّيَاحُ تَهب جَنُوبًا، أَو تَهُبُّ الرِّيَاحُ شَمَالًا،
يَأتِي النَّهَارُ أَبيَض، أَو يَأتِي اللَّيلُ أَسوَد،

بِالبَيتِ، أَو بَعِيدًا عَن البَيت بِأَنهَارٍ وَجِبَال،
نُغَنِّي طُولَ الوَقت، لَا وَقتَ لِلتَّفكِير،
فِيمَا نَظَل نَحن الاثنَين مَعًا.

إِلَى حِينِ فَجَأة،
رُبَّمَا قَتِيلَةً، مَجهُولَةً لِرَفِيقِهَا،
ذَاتَ ضُحًى لَم تَرقُد الأُنثَى فِي العُش،
وَلَا عَادَت فِي ذَلِكَ الأَصِيل، وَلَا التَّالِي،
وَلَا ظَهَرت مِن جَدِيدٍ أَبَدًا.

وَمِن الآنَ فَصَاعِدًا طُوَالَ الصَّيفِ فِي وَشِيشِ البَحر،
وَفِي اللَّيلِ تَحتَ القَمَر المُكتَمِلِ فِي جَوٍّ أَهدَأ،
فَوقَ الاصطِخَابِ الأَجَش لِلبَحر،
أَو مُنتَقِلًا مِن وَردَةٍ بَرِّيَّةٍ إِلَى وَردَةٍ بَرِّيَّةٍ فِي النَّهَار،
رَأَيتُ، وَسَمِعتُ عَلَى فَتَرَاتٍ الطَّائِر البَاقِي، الذَّكَر،
الضَّيفَ الوَحِيدَ مِن آلَابَامَا.

هُبِّي! هُبِّي! هُبِّي!
هُبِّي عَالِيًا يَا رِيَاحَ البَحر عَلَى طُولِ شَاطِئِ بُومَانُوك؛
فَأَنَا أَنتَظِر وَأَنتَظِر إِلَى أَن تَهُبِّي بِرَفِيقَتِي إِلَيّ.

حَقًّا، عِندَمَا التَمَعَت النُّجُوم،
طُوَالَ اللَّيلِ المدِيدِ عَلَى فَرعٍ لِوَتَدٍ مُغَطًّى بِالطَّحَالِب،
فِي الأَسفَل تَقرِيبًا وَسطَ الأَموَاجِ المتَلَاطِمَة،

جَلَسَ المُغَنِّي الوَحِيدُ المُدهِشُ يَذرِفُ الدُّمُوع.

كَانَ يُنَادِي رَفِيقَتَه،
كَانَ يَسكُبُ المَعَانِي التِي لَا يَعرِفُهَا مِن الرِّجَالِ سِوَاي.

حَقًّا يَا شَقِيقِي أَعرِف،
رُبَّمَا لَا أَعرِفُ البَاقِي، لَكِنِّي ادَّخرتُ كُلَّ نَغمَة،
لِأكثر مِن مَرَّةٍ انسَلَلتُ خَفِيًّا إِلَى الشَّاطِئِ فِي الأسفَل،
صَامِتًا، مُتَفَادِيًا أَشِعَّةَ القَمَر، دَامِجًا نَفسِي فِي الظِّلَال،
مُتَذَكِّرًا الآن الأشكَالَ الغَامِضَة، والأصدَاءَ، وَالأصوَات وَالمشَاهِدَ بِأَنوَاعِهَا،
وَالأذرُعُ البَيضَاءُ الممدُودَةُ فِي الأموَاجِ المتلَاطِمَةِ تَتخَبَّط بِلَا كَلَل،
وَأَنَا، حَافِي القَدَمَين، طِفلًا، تَتَلَاعَب الرِّيحُ بِشَعرِي،
أَنصَتُّ طَوِيلًا طَوِيلَا.

أَنصَتُّ لأحفَظَ، لأُغَنِّي، مُتَرجِمًا الآنَ النَّغمَات،
مُتَابِعًا لَك يَا شَقِيقِي.

اهدَئِي! اهدَئِي! اهدَئِي!
مَوجَتُه القَرِيبَةُ تُهَدِّئُ الموجَةَ وَرَاءَهَا،
وَمِن جَدِيدٍ أُخرَى فِي الوَرَاءِ تُعَانِق وَتَتَلَاطَم، كُل مَوجَةٍ قَرِيبَة،
لَكِنَّ حَبِيبَتِي لَا تُهَدِّئُنِي، لَا تُهَدِّئُنِي.

خَفِيضًا يَتَعَلَّق القَمَر، لَقَد ظَهَر مُتَأَخِّرًا،
يَتَوانَى – آه أَظُنُّه مُثقَلًا بِالحُب، بِالحُب.

آهِ بِجُنونٍ يَندَفِعُ البَحرُ عَلَى اليَابِسَة،
بِحُب، بِحُب.

أَيُّهَا اللَّيل! أَلَا أَرَى حُبِّي يُرفرِف وَسطَ الأَموَاجِ المتَكَسِّرَة؟
فَمَا هَذَا الشَّيءُ الأَسوَدُ الصَّغِيرُ الذِي أَرَاه هُنَاكَ فِي البَيَاض؟

عَالِيًا! عَالِيًا! عَالِيًا!
عَالِيًا أُنَادِيكِ، يَا حُبِّي!

عَالِيًا وَوَاضِحًا أُطلِقُ صَوتِي فَوقَ الأَموَاج،
لَابُد أَنَّكِ تَعرِفِين مَن هُنَا، مَن هُنَا،
لَابُد أَنَّكِ تَعرِفِين مَن أَنَا، يَا حُبِّي.

أَيُّهَا القَمَرُ المُعَلَّقُ خَفِيضًا!
مَا هَذِه البُقعَةُ القَاتِمَةُ فِي لَونِكَ الأَصفَر البُنِّي؟
آهِ هِي الشَّكلُ، شَكلُ رَفِيقَتِي!
أَيُّهَا القَمَر لَا تُبعِدهَا عَنِّي أَكثَر مِن ذَلِك.

أَيَّتُهَا اليَابِسَةُ! اليَابِسَةُ! اليَابِسَةُ!
أَي طَرِيقٍ أَستَدِيرُ إِلَيه، آهِ أَظُن أَنَّكِ يمكِن أَن تُعيدِي إِلَيّ مِن جَدِيدٍ رَفِيقَتِي فَقَط لَو أَردت،
فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ تَقرِيبًا مِن أَنِّي أَرَاهَا بِصُورَةٍ شَبَحِيَّةٍ أَينَمَا أَنظُر.

أَيَّتُهَا النُّجُومُ الطَّالِعَة!

رُبَّمَا سَتطلَعُ الوَحِيدَةُ التِي أَشتَاقُ إِلَيهَا كَثيرًا، سَتطلُعُ مَعَ بَعضٍ مِنك.

أَيَّتُهَا الحنجُرَة! أَيَّتُهَا الحنجُرَةُ المُرتَعِشَة!
فَلتُطلِقِي صَوتَكِ صَافِيًا فِي الأثِير!
اختَرِقِي الغَابَات، وَالأرض،
فَلَابُد أَن مَن أُرِيدُهَا تُرهِفُ السَّمعَ فَتَلتَقِطك.

انتَشِرِي أَيَّتُهَا التَّرَانِيم!
وَحِيدَةٌ هُنَا، تَرَانِيمُ اللَّيـل!
تَرَانِيمُ الحُبِّ المعزُول! تَرَانِيمُ الموت!
تَرَانِيم تَحتَ ذَلِكَ القَمَرِ المتَوَانِي، الأصفَر، الذَّاوِي!
آهِ تَحتَ ذَلِكَ القَمَر حَيثُ تَلُوذُ فِي الأسفَل بِالبَحر!
أُيَّتهَا التَّرَانِيمُ الطَّائِشَةُ اليَائِسَة.

لَكِن بِرِقَّة! غُوصِي إِلَى أَسفَل!
بِرِقَّة! دَعِينِي أُغَمغِم فَحَسب،
وَلتَنتَظِر بُرهَةً أَيُّهَا البَحرُ الغَسَقِي الصَّاخِب،
فَفِي مَكَانٍ مَا أَظُن أَنَّنِي سَمِعتُ رَفِيقَتِي تَستَجِيبُ لِي،
بِوَهَنٍ بَالِغ، فَلَابُد أَن أَظَل سَاكِنًا، سَاكِنًا لأَسمَع،
لَكِن لَيسَ سَاكِنًا تَمَامًا، فَآنَئِذٍ قَد لَا تَجِيءُ مُبَاشَرَةً إِلَيّ .

حَبِيبَتِي القَرِيبَة!
هَا أَنَا هُنَا! هُنَا!
بِهَذِه النَّغمَةِ الوَاضِحَةِ بِالكَاد أُعلِنُ عَن نَفسِي لَكِ،

وَهَذَا النِّدَاءُ الرَّقِيقُ مِنِ أَجلِكِ يَا حَبِيبَتِي، مِن أَجلِك .

فَلَا تَنخَدِعِي فِي أَيِّ مَكَان،
فذَلِكَ صَفِيرُ الرِّيحِ، لَيسَ صَوتِي،
وَذَلِكَ هُو الحَفِيف، حَفِيفُ الغُصنِ المُزهِرِ،
وَهَؤلَاء ظِلَالُ أَوراقِ الشَّجَر.

أَيُّهَا الظَّلَام! آهِ لَا جَدوَى!
آهِ عَلِيلٌ أَنَـا وَحَزِين.

أَيَّتُهَا الهَالَةُ البُنِّيَّةُ فِي السَّمَاءِ قُربَ القَمَر، المُعَلَّقِ فَوقَ البَحر!
أَيُّهَا الانعِكَاسُ المُضطَرِبُ فِي البَحر!
أَيَّتُهَا الحنجُرَة! أَيُّهَا القَلبُ النَّابِض!
وَأَنَا بِلَا جَدوَى أُغَنِّي، أُغَنِّي طُوَالَ اللَّيلِ بِلَا جَدوَى.

أَيُّهَا الماضِي! أَيَّتُهَا الحَيَاةُ السَّعِيدَة! يَا أَغَانِي البَهجَة!
فِي الهَوَاءِ، فِي الغَابَات، فَوقَ الحُقُول،
أُحبُّك! أُحبُّك! أُحبُّك! أُحبُّك! أُحبُّك!
لَكِن بِدُونِ رَفِيقَتِي، فَلَم تَعُد مَعِي!
لَم نَعُد مَعًا نَحنُ الاثنَين.

النَّغَمُ يغُوص،
وَكُل مَا سِوَاه يَتَوَاصَل، إشرَاقُ النُّجُوم،
هُبُوبُ الرِّيَاح، زَقزَقَاتُ العُصفُورِ يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا المتَوَاصِل،

بِتَأَوهَاتٍ غَاضِبَةٍ تَئِن بِلَا انقِطَاعٍ الأُم العَجُوزُ الوَحشِيَّة،
وَعَلَى رِمَالِ شَاطِئِ **بُومَانُوك** الرَّمَادِي الذِي يُصدِر الحَفِيف،
نِصفُ القَمَر الأَصفَر الذِي كَبُر، مُعَلَّقًا لأسفَل، مُتَدَلِّيًا، يَكَادُ يُلَامِسُ وَجهَ البَحر،
وَالصَّبِيُّ المُنتَشِي، بِقَدَميه الحَافِيَتَين فِي الأموَاج، وَشَعرِه الذِي يُدَاعِبُه الهَوَاء،
وَالحُبُّ المكتُومُ طَوِيلًا فِي القَلبِ، فَاتِرًا حِينًا، وَحِينًا مُنفَجِرًا مُتَلَاطِمًا فِي النِّهَايَة،
وَمَعنَى النَّغَم، وَالآذَان، وَالرُّوح، التِي سرعَانَ مَا تَستَقِر،
وَالدُّمُوعُ الغَرِيبَةُ المنسَابَةُ أَسفَل الخَدَّين،
وَالمحَادَثَةُ هُنَاكَ، الثُّلَاثِيَّة، وَكُل وَاحِدٍ يَتَكَلَّم،
وَالصَّوتُ الخَفِيض، وَوَحشِيَّةُ الأُم العَجُوزِ التِي لَا تَكُف عَن الصُّرَاخ،
إِلَى أَسئِلَةِ الرُّوحِ الغَاضِبَةِ المنتَظِمَةِ لَدَي الصَّبِي، وَبَعضُهَا يَغرِقُ وِهوَ يَئِزُ فِي صَمت،
إِلَى الشَّاعِر الذِي يَبتَدِئ.

شَيطَانٌ أَم طَائِر! (قَالَت رُوحُ الصَّبِي)،
أَحَقًّا تُغَنِّي مِن أَجلِ رَفِيقَتِك؟ أَم مِن أَجلِي فِعلًا؟
فَأَنَا، مَن كُنتُ طِفلًا، وَاستِخدَامُ لِسَانِي نَائِم، سَمِعتُكَ الآن،
الآن فِي بُرهَةٍ أَعرِفُ غَايَةَ وُجُودِي، أَصحُو،
وَأَلفُ مُغَنٍّ حَقًّا، أَلفُ أُغنِيَةٍ، أَصفَى، أَعلَى وَأَكثَر حُزنًا مِن أُغنِيَاتِك،
أَلفُ صَدًى مُغَرِّدٍ بَدَأُوا فِي الميلَادِ دَاخِلِي، لَا أَبَدًا لِيَمُوتُوا.

أَيُّهَا المغَنِّي الوَحِيد، الذِي تُغَنِّي بِنَفسِك، مُتَخَيِّلًا لِي،
أَيُّهَا الوَحِيدُ أَنَا مُستَمِعٌ لَك، وَلَن أَكُفَّ أَبَدًا بَعدَ الآن عَن تَخلِيدِك،
أَبَدًا لَن أَهرُبَ بَعدَ الآن، لَا تَرَدُّدَ بَعدَ الآن،
وَلَن تَغِيبَ عَنِّي صَرخَاتُ الحُب غَيرِ المُشبَع بَعدَ الآن،
فَلَا تَترُكنِي مِن جَدِيدٍ أَبَدًا لأكُونَ الطِّفلَ المسَالِمَ الذِي كُنتُه قَبلَ مَا جَرَى فِي اللَّيل،

عِندَ البَحرِ تَحتَ القَمَرِ الأصفَرِ المتَدَلِّي،
فَالرَّسُولُ هُنَاكَ قَد استَثَارَ النَّارَ، وَالجَحِيمَ العَذبَ الكَامِن،
وَالرَّغبَةَ المجهُولَة، وَالمصِيرَ الخَاص بِي.

آهِ امنَحنِي السِّر! (إنَّه يُومِضُ فِي اللَّيلِ فِي مَكَانٍ مَا هُنَا)،
آهِ لَو كَانَ لِي أَن أَمتَلِكَ الكَثِير، دَعنِي أَمتَلِك الأَكثَر!

كَلمَةً إذَن (ذَلِكَ أَنِّي سَأهزِمهَا)،
الكَلِمَةَ النِّهَائِيَّةَ، الأسمَى مِن الكُل،
الرَّهِيفَةَ، المقَدَّرَة – مَا هِي؟- إنَّنِي أُرهِفُ السَّمع؛
أَتَهمِسِين بِهَا، وَكُنتِ تَهمِسِين بِهَا طُولَ الوَقت، يَا أَموَاجَ البَحر؟
أَهيَ مِن قَوَافِيكِ السَّائِلَةِ وَرمَالِكِ البَلِيلَة؟

حَيثُمَا يُجِيب، البَحر،
بِلَا تَأخِيرٍ، بِلَا استِعجَال،
هَمَسَ لِي خِلَالَ اللَّيل، وَبوُضُوحٍ تَام قَبلَ مَشرِقِ النَّهَار،
تَلَعثَمَ لِي بِالكَلِمَةِ الخَفِيضَةِ وَالشَّهِيَّة **الموت،**
وَمِن جَدِيدٍ المَوت، المَوت، المَوت، المَوت،
هَسِيسٌ مُتَنَاغِمٌ، لَا يُشبِه العُصفُورَ وَلَا قَلبَ طِفلِي المهتَاج،
لَكِنَّه يَتَقَدَّم وَئِيدًا قُربِي كَأَنَّه يُصدِر خَفِيفًا بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ لِي عِندَ قَدَمَيْ،
زَاحِفًا مِن هُنَالِك بِاتِّئَادٍ لأعلَى إلَى أُذُنَيَّ لِيَغسِلَنِي كُلِّي بِرِقَّة،
المَوت، المَوت، المَوت، المَوت.

ذَلِكَ مَا لَا أَنسَاه،

لَكِنِّي أَبُث أُغنِيَةَ شَيطَانِي وَشَقِيقِي الغَسَقِي،
التِي غَنَّاهَا لِي فِي ضَوءِ القَمَر عَلَى شَاطِئِ بُونَامُوك الرَّمَادِي،
مَع الألف أُغنِيَةٍ مُتَجَاوِبَةٍ كَيفَمَا اتُّفِق،
فَمُنذُ تِلكَ السَّاعَةِ استَيقَظَت أُغنِيَاتِي،
وَمَعَهَا السِّر، الكَلِمَةُ المُنبَثِقَةُ مِن الأموَاج،
كَلِمَةُ أَعذَبِ أُغنِيَةٍ وَكُل الأغَانِي،
تِلكَ الكَلِمَةُ القَوِيَّةُ الشَّهِيَّة التِي، وَهِي تَزحَفُ إِلَى قَدَمَيَّ،
(أَو كَعَجُوزٍ شَمطَاء تَهُز المَهد، مُلتَفَّةً فِي ثِيَابٍ جَمِيلَةٍ، مُحَنِيَّةً جَانِبًا)،
هَمَسَ بِهَا البَحَرُ لِي.

حِين كُنتُ أنحسِـر مع محيط الحيَـاة

[1]

حِين كُنتُ أنحَسِرُ مَعَ مُحِيطِ الحَيَاة،
حِين كنتُ أَمضِي عَلَى الشُّطآنِ التِي أَعرِفُهَا،
حَين كُنتُ أَسِيرُ حَيثُ تَغسِلُك التَّمَوُّجَات دَائِمًا يَا **بُومَانُوك**،
حَيثُ تُصدِرُ الوَشِيشَ أَجَشَّ صَافِرًا،
حَيثُ الأُم الوَحشِيَّةُ العَجُوزُ تَصرُخُ بِلَا انتِهَاءٍ عَلَى مَطَارِيدِهَا،
كُنتُ أَتَسَلَّى فِي أَوَاخِرِ يَومٍ خَرِيفِي، مُحَدِّقًا نَحوَ الجَنُوب،
تَتشَبَّثُ بِي هَذِه الذَّاتُ المثِيرَةُ بِفِعلِ الكِبرِيَاءِ الذِي أَنطِقُ مِنه بِالقَصَائِد،
مُكَبَّلًا بِالرُّوح التِي تَتَجرجَر فِي خُطُوطٍ عَلَى الأرض،
بِالحَافَّة، بِالثُّفل الذِي يُكَافِح كُلَّ المَاءِ وَكُلَّ اليَابِسَةِ عَلَى الكَون.

مَفتُونًا، وَعَينَاي تَرتَدَّانِ عَن الجَنُوب، هَابِطَتَين، لِتُتَابِعَا هَذِه الصُّفُوفَ النَّحِيلَةَ مِن الرُّكَام،
تِبنٌ، قَش، بَقَايَا أَخشَابٍ، أَحطَابٌ، وَغِرَاء البَحر،
زَبَدٌ، رَقَائِقُ مِن صُخُورٍ سَاطِعَة، أَورَاقُ خَس مِلحِي، تَرَكَهَا الجَزر،
المشيُ لأميَالٍ، وَصَوتُ الأموَاجِ المتكَسِّرَةِ عَلَى الجَانِبِ الآخَر مِنِّي،
كَانَت **بُومَانُوك** هُنَاك وَآنَئِذٍ فَكَّرتُ فِي الفِكرَةِ القَدِيمَةِ لِلتَّشَابُهَات،

فَهَذَا مَا قَدَّمتِه لِي أَيَّتُهَا الجَزِيرَةُ فِي شَكلِ سَمَكَة،
حِين كُنتُ أَمضِي عَلَى الشَّطآنِ التِي أَعرِفُهَا،
حِين كُنتُ أَسِير مَعَ هَذِهِ الذَّات المثِيرَة بحثًا عَن أنمَاط.

[2]

حِين أمضِي عَلَى الشُّطآنِ التِي لَا أَعرِفُهَا،
حِين أُنصِتُ إِلَى اللَّحنِ الحَزِين، إِلَى أَصوَاتِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ غَرقَى،
حِين أَستَنشِق النَّسَائِمَ الرَّهِيفَةَ التِي تَمُر بِي،
حِين يَتَدحرَجُ المُحِيطُ بَالِغُ الغُمُوضِ نَحوِي أَقرَبَ فَأَقرَب،
وَأَنَا أَيضًا أُومِئُ فَحَسب – فِي الحَدِّ الأَقصَى – إِلَى مَوجَةٍ صَغِيرَة مَغسُولَة،
أُلَمْلِم بَعضَ الرِّمَالِ وَأَورَاقِ الأَشجَارِ الميِّتَة،
أُلَمْلِم، وَأَمزِجُ نَفسِي كجُزءٍ مِن الرِّمَالِ وَالمَوجة.

آهِ حَائِرًا، محُبَطًا، مُنكَفِئًا حَتَّى الأَرض،
مَغمُومًا مِن نَفسِي مِن أَنَّنِي تجَرَّأتُ عَلَى فَتحِ فَمِي،
مُدرِكًا الآنَ أَن وَسَط تِلكَ الثَّرثَرَةِ التِي تَرتَدُّ أَصدَاؤُهَا عَلَيَّ لَم تَكُن لَدَيَّ أَدنَى فِكرَةٍ
أَبَدًا عَن مَن أَو مَاذَا أَكُون،
لَكِن أَمَامَ كُل قَصَائِدِي المتَعَجرِفَةِ تَنتَصِبُ أَنَـا الحَقِيقِيَّةُ، غَيرَ مَلمُوسَةٍ، غَيرَ مَنطُوقَة،
عَصِيَّةَ المنَالِ تَمَامًا،
مُنسَحِبَةً بَعِيدًا، سَاخِرَةً مِنِّي بِإِشَارَاتٍ وَانحِنَاءَاتِ تَهنِئَةٍ سَاخِرَة،
مَع جَلجَلَاتِ ضَحِكٍ تَهَكُّمِي بَعِيدٍ عَلَى كُل كَلِمَةٍ كَتَبتُهَا،
مُشِيرةً فِي صَمتٍ إِلَى هَذِه الأَغَانِي، ثُم إِلَى الرِّمَالِ فِي الأَسفَل.

أَعرِفُ أَنَّنِي فِعلًا لَم أَفهَم أَيَّ شَيء، أَيَّ شَيءٍ وَاحِد، وَذَلِكَ مَا لَا يَستَطِيعُه أَحَدٌ أَبَدًا،

وَالطَّبِيعَةُ هُنَا عَلَى مَرأًى مِن البَحرِ تَستَغِلُّنِي فِي أَن تَنقَضَّ عَلَيَّ وتَلدَغنِي،
لأَنَّنِي تَجَرَّأتُ عَلَى فتحِ فَمِي لأُغَنِّي.

[3]

أَيُّهَا المحِيطَان، إِنَّنِي أَقتَرِبُ مِنكُمَا،
نُصدِرُ الحَرِيرَ عَلَى السَّوَاء لَائِمِين لِلرِّمَالِ وَالموجِ المتَدحرِج، دُون أَن نَدرِي السبَب،
وَهَذِه الشَّظَايَا الصَّغِيرَةُ حَقًّا هِي رَمزٌ لَكُمَا وَلِي وَلِكُل شَيء.

أَيُّهَا الشَّاطِئُ الهَش مَع بَقَايَا الحُطَام،
أَيَّتُهَا الجَزِيرَةُ فِي شَكلِ سمَكَة، إِنَّنِي آخُذُ مَا تَحت قَدَمِي،
فَمَا لَك هُو لِي يَا أَبِي.

أَنَا أَيضًا يَا **بُومَانُوك**،
أَنَا أَيضًا تدَفَّقتُ، طَفوتُ الطَّفوَ الفَرِيدَ، وَاغتَسَلتُ عَلَى شُطآنِك،
أَنَا أَيضًا لَستُ سِوَى بَقَايَا مَوجٍ وَحُطَام،
أَنَا أَيضًا أَترُكُ بَقَايَا حُطَامٍ صَغِيرَةً عَلَيكِ، أَيَّتُهَا الجَزِيرَةُ فِي شَكلِ سمَكَة.

أَرمِي بِنَفسِي عَلَى صَدرِكَ يَا أَبِي،
أَتَشَبَّثُ بِك فَلَا تَستَطِيعُ أَن تُفلِتَنِي،
أُمسِكُ بِك بِقُوَّةٍ إِلَى أَن تُجِيبَ لِي عَن شَيءٍ مَا.

قَبِّلنِي يَا أَبِي،
المسنِي بِشَفَتَيكَ مِثلَمَا أَلمسُ مَن أُحِب،
انفُخ فِيَّ وَأَنَا أَحتَضِنُك سِرَّ الحَرِير الذِي أَحسِدُه.

[4]

فلتَنحَسِر، يَا مُحِيطَ الحَيَاة، (لَسَوفَ يَعُودُ المَد)،
وَلَا تَكُفِّي عَن أَنِينِكِ أَيَّتُهَا الأُم الوَحشِيَّةُ العَجُوز،
اصرُخِي بِلَا انتِهَاءٍ مِن أَجلِ مَطَارِيدِك، لَكِن لَا تَخَافِي، لَا تُنكِرِينِي،
لَا تُصدِرِي حَفِيفًا أَجَشَّ وَغَاضِبًا عَلَى قَدَمَيَّ وَأَنَا أَلمَسُكِ أَو أُلَمِلم مِنكِ.
أَعنِي بِرِقَّةٍ مِنكِ وَمِن الجَمِيع،
أُلَمِلم لِنَفسِي وَلِهَذَا الشَّبَحِ الذِي يَبدُو فِي الأسفَل حَيثُ نَمضِي، وَيَتبَعُنِي وَمَا لِي.

أَنَا وَمَا لِي، رُكَامٌ مُبَعثَر، جَثَامِينُ صَغِيرَة،
زَبَدٌ، أَبيَضُ ثَلجِي، وَفَقَاقِيع،
(فَانظُر، مِن شَفَتَيَّ المَيِّتَتَين يَخرُجُ الطَّميُ فِي النِّهَايَة،
انظُر، الألوَانُ البَرَّاقَةُ تَلتَمِع وَتَتَدَحرَج)،
حِزَمُ قَش، رِمَالٌ، مِزَق،
طَافِيَة هُنَاكَ مِن طَبَائِعَ مُختَلِفَة، وَكُلٌّ مِنهَا يُنَاقِضُ الآخَر،
مِن العَاصِفَة، وَالسَّكِينَةِ الطَّوِيلَة، وَالظَّلَام، وَالانتِعَاش،
تَسلِيَةٌ، تَأَمُّل، نَفَسٌ، دَمعَةٌ مَالِحَةٌ، بَعضٌ مِن سَائِلٍ أَو تُرَاب،
مَا يَنجُمُ عَن أَشغَالٍ بِلَا أَغوَارٍ وَقَد تَخَمَّرَ وَرُمِي،
زَهرَةٌ مُتَرَنِّحَةٌ أَو اثنَتَان، مُمَزَّقَتَان، تَطفُوَان عَلَى الأموَاج، تَتَخَبَّطَان كَيفَمَا اتُّفِق،
فَهوَ مِن أَجلِنَا تَمَامًا ذَلِكَ اللَّحنُ الحَزِينُ النَّائِحُ لِلطَّبِيعَة،
وَتَمَامًا مِن حَيثُ نَأتِي إِلَى ذَلِكَ الدَّوِي لِأَبوَاقِ الغَيمَة،
أَتَينَا إِلَى هُنَاك، غَرِيبِي الأَطوَار، لَا نَدرِي مِن أَين،
فَيَا مَن هُنَاكَ فِي الأَعَالِي تَتَمشَّى أَو تَجلِس، مُتَجَلِّيًا أَمَامَنَا،
أَيًّا مَن تَكُون، نَحنُ أَيضًا نَستَلقِي فِي رُكَامٍ عِندَ قَدَمَيك.

دمُــوع

دُمُــوع ! دُمُــوع ! دُمُــوع !
فِي اللَّيلِ، فِي الوحدَة، دُمُــوع،
عَلَى الشَّاطِئ الأبيَض تَقطُر، تقطُر، تَمتصُّهَا الرِّمَال،
دُمُــوعٌ، بِلَا إِشرَاقِ نَجمَة، وَكُل شَيءٍ مُظلِمٌ وَكَئِيب،
دُمُــوعٌ نَدِيَّةٌ مِن عُيُونِ رَأسٍ خَامِدَة ؛
آهِ مَن هَذَا الشَّبَح؟ ذَلِكَ الطَّيفُ فِي الظَّلَام، مَعَ الدُّمُوع؟
أَيَّةُ هَيئَةٍ بِلَا شَكلٍ هِي، مَحنِيَّةً، مُقعِيَةً هُنَاك عَلَى الرِّمَال؟
دُمُوعٌ مُنسَابَةٌ، دُمُوعٌ نَاشِجَةٌ، نَوبَاتُ أَلَمٍ، مُختَنِقَةٌ بِصَرخَاتٍ وَحشِيَّة ؛
أَيَّتُهَا العَاصِفَةُ، المتَجَسِّدَةُ، المتَصَاعِدَةُ، المُندَفِعَةُ بِخُطًى خَاطِفَةٍ بِامتِدَادِ الشَّاطِئ !
أَيتُها العَاصِفَةُ اللَّيلِيَّةُ الوَحشِــيَّةُ الموحِشَةُ، مَعَ الرِّيح – أَيَّتُهَا الجَارِفَــةُ اليَائِسَة !
أَيُّهَا الظِّل الرَّصِينُ المحتَشِمُ فِي النَّهَار، بِسِيمَاء هَادِئَةٍ وَخطوٍ مُنتَظِم،
لَكِن بَعِيدًا فِي اللَّيل إِذ تُحَلِّق، لَا شَيءَ يَبدُو- آهِ آنئِذٍ المحِيطُ المنسَاب،
مِن دُمُوع ! دُمُوع ! دُمُوع !

إلى عُصفُور الحرب الإنسان

أَنتَ يَا مَن نِمتَ اللَّيلَ كُلَّه عَلَى ظَهرِ العَاصِفَة،
مُستَيقِظًا مِن جَدِيدٍ عَلَى أَجنِحَتِك الهَائِلَة،
(هَل فَجَّرتَ العَاصِفَةَ الوَحشِيَّة؟ وَفَوقَهَا حَطَطتَ،
وَبَقيتَ فِي السَّمَاء، جَارِيتِك التِي تُهَدهِدُك)،
الآنَ، (أَنتَ) نُقطَةٌ زَرقَاء، بَعِيدًا، بَعِيدًا تَطفُو فِي السَّمَاء،
وَأَتَفَرَّجُ عَلَيكَ مِثلَ الضَّوءِ المُنبَثِقِ هُنَا عَلَى سَطحِ المركبِ،
(أَنَا نَفسِي بُقعَةٌ، نُقطَةٌ عَلَى رَحَابَةِ العَالَم الطَّافِيَة).

بَعِيدًا، بَعِيدًا فِي البَحر،
بَعدَ أَن غَطَّت اجتِيَاحَاتُ اللَّيلِ الوَحشِيَّةُ الشَّاطِئَ بِالحُطَام،
مَعَ النَّهَارِ العَائِدِ كَالآن بَالِغَ السَّعَادَةِ وَالسَّكِينَة،
ظَهَرَ الفَجرُ الوَردِي وَالسَّلِس، الشَّمسُ الوَامِضَة،
وَالانتِشَارُ الشَّفِيفُ لِلأَثِيرِ اللَازوردِي،
وَأَنتَ أَيضًا ظَهرتَ.

وُلدتَ لِتُبَارِي العَاصِفَة (فَأَنتَ كُلك أَجنِحَة)،
لِتَتَوَافَقَ مَع السَّمَاءِ وَالأَرضِ وَالبَحرِ وَالإِعصَار،

وَسَفِينَتُك الهَوائِيَّةُ التِي لَم تَطوِ أَشرِعَتَهَا أَبدًا،
لأيَّامٍ، حَتَّى لأسَابِيع بِلَا كَلَلٍ وَإِلَى الأمَام، عَبر الفَضَاءَات، تُدَوِّمُ فِي العَوَالِم،
فِي الغَسَق تَبدُو فِي السِّنغَال، فِي الصَّبَاح بِأَمِيرِيكَا،
لَاهِيًا وَسطَ وَمِيضِ البَرقِ وَغَيمِ الرَّعد،
وَفِيهِم، فِي تَجَارِبِك، أَخَذتَ رُوحِي،
فَأيَّة مَبَاهِج! أَيَّة مَبَاهِج هِي مَبَاهِجُك!

عندَ دفَّــةِ سَفينَة

عِند دَفَّة سَــفِينَة،
يُدِيرُ قُبطَانٌ شَاب الدَّفَّة بِحِرص.

وَخِلَال الضَّبَابِ عَلَى سَاحِلِ بَحرٍ يَرِن كَئِيبًا،
جَرَسُ مُحِيط – آهِ جَرَسُ تَحذِير، تُهزهِزُه الأموَاج.

آهِ كَم تُقَدِّم تَنبِيهًا جَيِّدًا حَقًّا، أَيُّهَا الجَرَسُ الذِي تَرِن بِفِعلِ صُخُورِ البَحر،
تَرِن، تَرِن، لِتَحذِيرِ السَّفِينَةِ مِن مَوضِعِ تَحطِيمِهَا.

فَإِذ يَتَوَاصَل التَّحذِيرُ أَيُّهَا القُبطَان، تَنتَبِه لِلتَّنبِيهِ عَالِي الصَّوت،
تَستَدِيرُ الدَّفَّــة، وَالسَّفِينَةُ المرغُوبَةُ تُغَيِّر اتِّجَاهَهَا سَرِيعًا بَعِيدًا تَحتَ أَشرِعَتِهَا الرَّمَادِيَّة،
تُسرِعُ السَّفِينَةُ الجَمِيلَةُ النَّبِيلَةُ بِثروَاتِهَا القَيِّمَة بَعِيدًا بِمَرَحٍ وَأَمَان.

لَكِن آهٍ لَلسَّفِينَة، السَّفِينَةِ الخَالِدَة! أَيَّتُهَا السَّفِينَةُ عَلَى مَتنِ السَّفِينَة!
فَسَفِينَةُ الجَسَد، سَفِينَةُ الرُّوح، تُبحِر، تُبحِر، تُبحِر.

على الشَّـاطئ في اللَّيـل

عَلَى الشَّاطِئِ فِي اللَّيـل،
تَقِفُ طِفلَةٌ مَع أَبِيهَا،
يُشَاهِدَان الشَّرق، وَسَمَاءَ الخَرِيف.

عَالِيًا خِلَالَ الظَّلَام،
فِيمَا تَنتَشِرُ غُيُومٌ ضَارِيَةٌ، غُيُومٌ جنَائِزِيَّةٌ، فِي كُتَلٍ سَودَاء،
خَفِيضَةً كَئِيبَةً وَعَرضِيَّةً بِثَبَاتٍ أَسفَل السَّمَاء،
وَسَطَ حِزَامٍ شَفِيفٍ صَافٍ مِن الأثِيرِ لَكِن يَسَارًا إِلَى الشَّرق،
يَصَّاعَد هَائِلًا وَهَادِئًا سَيِّدُ الكَوَاكِبِ المشتَرَى[*] ،
وَقَرِيبًا فِي مُتَنَاوَلِ اليَد، إِلَى الأعلَى قَلِيلًا فَحَسب،
تَعُومُ الشَّقِيقَاتُ الرَّقِيقَاتُ نُجُومُ الثُّرَيَّـا.

مِن الشَّاطِئِ تَرقُبُ الطِّفلَةُ الممسِكَةُ بِيَدِ أَبِيهَا،
هَذِه الغُيُومَ الجَنَائِزِيَّةَ التِي تَهوِي ظَافِرَةً لِتَلتَهِمَ الجَمِيعَ بِسُرعَةٍ،
مُنتَحِبَةً فِي صَمت.

[*] هو جوبيتر Jupiter، على اسم جوبيتر/زيوس، كبير الآلهة، وأب الآلهة، لدى الإغريق والرومان. وثمة "أنسنةٌ" ما للكواكب، في القصيدة، بالاستفادة من أسمائها.

لَا تَنتَحِبِي، يَا طِفلَتِي،
لَا تَنتَحِبِي، يَا عَزِيزَتِي،
وَلأَمحُ بِهَذِهِ القُبلَات دُمُوعَك،
فَالغُيُومُ الضَّارِيَةُ لَن تَبقَى طَوِيلًا ظَافِرَة،
لَن تَمتَلِكَ طَوِيلًا السَّمَاءَ، تَلتَهِمَ مَا يَظهَر مِن نُجُوم فَحَسب،
وَلَسَوفَ يَبزُغُ المشتَرَى، فَاصبِرِي، وارقُبِي مِن جَدِيدٍ لَيلَةً أُخرَى، فَسَوفَ تَبزُغُ نُجُومُ الثُّرَيَّـا،
وَهُم خَالِدُون، وكُل هَذِهِ الكَوَاكِبِ الفِضِّيَّةِ وَالذَّهَبِيَّةِ سَتُشرِق مِن جَدِيد،
وَالكَوَاكِبُ العَظِيمَةُ وَالصَّغِيرَةُ سَتُشرِقُ مِن جَدِيدٍ، إِنَّهَا بَاقِيَة،
وَالشُّمُوسُ الهَائِلَةُ الخَالِدَةُ وَالأقمَارُ الحَزِينَةُ البَاقِيَةُ طَوِيلًا سَتُشرِق مِن جَدِيد.

أَتبكِين إِذَن يَا طِفلَتِي العَزِيزَة مِن أَجلِ المُشتَرَى وَحدَه؟
أَلَا تُفكِّرِين إِلَا فِي جنَازَةِ الكَوَاكِب؟
هُنَاكَ شَيءٌ مَا،
(وَشَفَتَايَّ تُهَدِّئَانَك، أَهمِسُ مُضِيفًا،
أُقَدِّمُ لَك الاقتِرَاحَ الأَوَّل، المُشكِلَةَ وَالإِجرَاء)،
فَهُنَاكَ شَيءٌ مَا أَكثَر خُلُودًا حَتَّى مِن الكَوَاكِب،
(كَثِيرَةٌ هِي الجنَائِز، كَثِيرَةٌ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، التِي تَرحَل)،
شَيءٌ مَا سَيَدُومُ أَطوَلَ حَتَّى مِن المشتَرَى اللَّامِع،
أَطوَلَ مِن الشَّمسِ أَو أَي قَمَرٍ دَوَّار،
أَو شَقِيقَاتِ الثُّرَيَّا المتوَهِّجَات.

عَـالَم ما تحتَ البَحـر

عَالَم مَا تَحتَ البَحر،
أَحرَاجٌ فِي قَاعِ البَحر، الأغصَانُ وَأَورَاقُ الشَّجَر،
خَس البَحر، نَبَاتَاتُ الأُشنَة الهَائِلَه، زُهُورٌ وَبُذُورٌ غَرِيبَة، الطَّحَالِبُ الكَثِيفَة، فَجوَاتٌ، وَأَرضِيَّةٌ عُشبِيَّةٌ قُرمُزِيَّة،
أَلوَانٌ مُختَلِفَة، رَمَادِيٌّ وَأَخضَر فَاتِح، أُرجُوَانٌ، أَبيَض، وَذَهَبِي، لُعبَةُ الأضوَاءِ خِلَالَ المِيَاه،
سَبَّاحُون بُكمٌ هُنَاكَ وَسطَ الصُّخُور، مُرجَانٌ، غِرَاء، عُشبٌ، أَسَل، وَغِذَاءُ السَّبَّاحِين،
كَائِنَاتٌ كَسُولَةٌ تَرعَى هُنَاكَ مُعَلَّقَة، أَو تَزحَفُ بَطِيئَةً قُربَ القَاع،
حُوتُ العَنبَر عَلَى السَّطح يَنفُثُ هَوَاءً وَرَذَاذًا، أَو يَلهُو بِذَنَبِه،
وَالقِرشُ ذُو العَين الرَّصَاصِيَّة، وَحَيَوَانُ الفَظ[*]، وَالسُّلَحفَاةُ، وَنَمِر البَحر كَثِيفُ الشَّعر، وَالسَّمَكُ اللَّادِغ،
هُنَاكَ الشَّغَفُ، وَالحُرُوبُ، وَالمطَارَدَاتُ، وَالقَبَائِلُ، وَالرُّؤيَةُ فِي أَعمَاقِ المُحِيطِ هَذِه، وَاستِنشَاقُ هَذَا الهَوَاء الكَثِيفِ، مِثلَمَا يَفعَلُ الكَثِيرُون،
وَهُنَا التَّغَيُّر بِالتَّالِي عَن المشهَد، وَعَن الأثِيرِ الرَّهِيفِ الذِي تَتَنَفَّسه كَائِنَاتٌ مِثلَنَا تَمشِي عَلَى هَذَا الكَوكَب،
التَّغير قُدُمًا عَمَّا نَحنُ فِيه إِلَى مَا فِيه تِلكَ الكَائِنَات التِي تَمشِي عَلَى كَوَاكِب أُخرَى.

[*] حيوان الفظ walrus : من الثدييات البحرية الضخمة.

وحيدًا على الشَّـاطئ في الليـل

وَحِيدًا عَلَى الشَّاطِئ فِي اللَّيل،
فِيمَا الأُم العَجُوزُ تُؤَرجِحُه ذِهَابًا وَإِيَابًا مُغَنِّيَةً أُغنِيَتَهَا المبحُوحَة،
فِيمَا أَرقُب النُّجُوم المتَوَهِّجَة تُشرِق، تَخطُر لِي فِكرَةُ مفتَاح الأكوَانِ وَالمستَقبَل.

تَشَابهٌ هَائِلٌ يُشَابِكُ كُلَّ شَيء،
كُلَّ الأجرَام، النَّامِيَةِ، غَيرِ النَّامِيَةِ، الصَّغِيرَةِ، الكَبِيرَةِ، وَالشُّمُوسَ، وَالأقمَارَ، وَالكَوَاكِب،
وَكُلَّ المسَافَات مَعَ ذَلِكَ شَاسِعَة،
كُلُّ مَسَافَاتِ الزَّمَن، وَكُل الأشكَال الجَامِدَة،
كُلُّ الأروَاحِ، وَكُل الأجسَادِ الحَيَّةِ رغمَ أَنَّهَا بَالِغَةُ الاختِلَافِ أَبَدًا، أَو فِي عَوَالِمَ مُختَلِفَة،
كُلُّ العَمَلِيَّات الغَازِيَّة، وَالمَائِيَّةِ، وَالنَّبَاتِيَّة، وَالمعدَنِيَّة، وَالأسمَاك، وَالبَهَائِم،
كُلُّ الأُمَم، وَالألوَانِ، وَالبَربَرِيَّات، وَالحَضَارَات،.وَاللُّغَات،
كُلُّ الهَوِيَّات التِي وُجِدَت أَو قَد تُوجَد عَلَى هَذَا الكَوكَب، أَو أَيِّ كَوكَب،
كُلُّ الحَيَوَات وَالمِيتَات، كُل الماضِي، وَالحَاضِر، وَالمستَقبَل،
هَذَا التَّشَابُه الهَائِلُ يَستَغرِقُهُم، وَدَائِمًا مَا استَغرَقَهُم،
وَسَيَستَغرِقُهُم أَبَدًا وَيَضُمُّهُم وَيُطَوِّقُهُم بِصُورَةٍ مُحكَمَة.

أغنيـةٌ لكُل البحَـار، لكُل السُّـفن

[1]

اليَوم سَردِيَّةٌ قَصِيرَةٌ بَسِيطَة،
عَن السُّفُن المبحرَةِ فِي البِحَار، وَكُلٌّ مِنهَا بِعَلَمِهَا الخَاص أَو شَارَة السَّفِينَة،
عَن الأبطَالِ المجهُولِين فِي السُّفُن – عَن الأموَاجِ المنتَشِرَةِ وَالمنتَشِرَةِ بَعِيدًا بِقَدرِ مَا يُمكِن لِلعَينِ أَن تَرَى،
عَن الرَّذَاذِ المندَفِع، وَالرِّيَاح التِي تَعوِي وَتَهُب،
وَخَارِج هَؤُلَاءِ أُنشُودَةٌ لِلبَحَّارَة مِن كُلِّ الأُمَم،
مُتَقَطِّعَةٌ، كَمَوجَة.

عَن قَبَاطِنَةِ السُّفُن الصِّغَارِ أَو الكِبَار، وَالرِّفَاقِ، وَعَن البَحَّارَةِ البَوَاسِل،
عَن القِلَّة، الصَّفوَةِ، الصَّمُوتِيين، الذِين لَا يُمكِنُ لِلقَدَر أَن يُبَاغِتَهُم أَو لِلمَوتِ أَن يُفزِعَهُم،
تَنتَقِيهِم فِي نُدرَةٍ بِلَا صَوتٍ أَيُّهَا المحِيطُ العَجُوز، تَختَارُهُم،
أَيُّهَا البَحرُ الذِي يَنتَقِي وَيَصطَفِي السُّلَالَةَ فِي الوَقتِ الملَائِم، وَيُوَحِّد الأُمَم،
وَقَد رَضعَت مِنك، أَيَّتُهَا المرَبِّيَةُ الهَائِلَةُ، فَاندَمَجَت فِيك،
وَحشِيَّةً، لَا تُقهَر، مِثلَك.

(الأبطَالُ فِي المَاءِ أَو عَلَى اليَابِسَة، يَظهَرُون فَرَادَى أَو مَثنًى دَائمًا،

وَالرَّصِيدُ دَائِمًا مَحفُوظٌ وَلَا يَنفد أَبَدًا، بِرغمِ النُّدرَة، مَحفُوظٌ مَا يَكفِي مِن البُذُور).

[2]

فَلتُرَفرِف أَيُّهَا البَحرُ بِأَعلَامِكَ المنفَرِدَة لِلأُمَم!
رَفرِف مَرئِيًّا مِثلَ إِشَارَات السُّفُن المختَلِفَة!
لَكِن احتَفِظ لِنَفسِكَ وَلِرُوحِ الإِنسَان بِعَلَمٍ وَاحِدٍ أَعلَى مِن البَاقِين،
شَارَةً رُوحِيَّةً مُرَفرِفَةً لِجَمِيعِ الأُمَم، رَمزًا لِتَبَاهِي الإِنسَان فَوقَ الموت،
تَذكَارًا لِجَمِيعِ القَبَاطِنَةِ الشُّجعَانِ وَجَمِيعِ البَحَّارَةِ وَالمسَاعِدِين البَوَاسِل،
وَكُلِّ مَن غرقَ وَهو يُؤَدِّي وَاجِبَه،
ذِكرَى لَهُم، مَجدُولَةً مِن جَمِيعِ القَبَاطِنَةِ البَوَاسِل الشُّبَّانِ وَالكِبَار،
بَيرَقًا كَونِيًّا، مُرَفرِفًا طُوَال الوَقتِ بَرَهَافَةٍ، فَوقَ جَمِيع البَحَّارَةِ الشُّجعَان،
فَوقَ جَمِيعِ البِحَار، وَجَمِيع السُّفُن.

خفيـرًا علَى بَارنجَـات[*]

وَحشِيَّةٌ، وَحشِيَّةٌ العَاصِفَةُ، وَالبَحرُ يَنطَلِقُ عَالِيًا،
مُنتَظِمٌ هَدِيرُ الرِّيحِ الهَوجَاء، مَعَ صَوتٍ خَفِيضٍ يُغمغِم بِلَا انقِطَاع،
صَيحَاتُ ضَحِكٍ شَيطَانِي تَختَرِقُ وَتُجَلجِل مُتَقَطِّعَة،
أَموَاجُ، هَوَاءٌ، مُنتَصفُ اللَّيل، ثَالُوثهم الوَحِشِي الذِي يَجلِدُ بِالسِّيَاط،
وَفِي الظِّلَالِ بِالخَارِج هُنَاك جِيَادٌ فِي بَيَاضِ الحَلِيبِ تَنطَلِق فِي العَدو،
عَلَى أَوحَالِ الشَّاطِئِ وَاندِفَاقَاتِ الرِّمَالِ بِالثُّلُوج المنحَدِرَةِ بِوحشِيَّة،
حَيثُ تُقَاوِم رِيَاحُ الموتِ الشَّرقِيَّةُ خِلَالَ الظُّلمَةِ،
خِلَالَ الدوَّامَةِ والرَّذَاذِ المتَقَاطِعِين الذِين يَتَقدَّمُون بِصَرامَةٍ وَحَذَر،
(ذَلِكَ البَعِيد! أَهوَ حُطَام؟ هَل تُومِضُ الإِشَارَةُ الحَمرَاء؟)
أَوحَالُ وَرِمَالُ الشَّاطِئِ تَشُقُّ طَرِيقَهَا بِلَا كَلَلٍ حَتَّى بُزُوغِ النَّهار،
بِانتِظَامٍ، بِبُطءٍ، خِلَال الهَدِيرِ الأَجَش الذِي لَا يَخبُو أَبَدًا،
عَلَى امتِدَادِ حَافَّةِ مُنتَصَفِ اللَّيلِ بِهَذِهِ الجِيَادِ بِلَونِ الحَلِيبِ المنطَلِقَةِ فِي العَدو،
مَجمُوعَةُ أَشكَالٍ غَرِيبَةٍ، دَاكِنَةٍ، تُصَارِع، وَتُوَاجِه اللَّيل،
ذَلِكَ الثَّالُوثُ الوَحشِي الذِي يُرَاقِبُ بِاحتِرَاس.

[*] بلدة تقع على المحيط الأطلنطي، بنيوجيرسي.

فِي أعقَاب الحَــالَةِ البحريَّة

فِي أعقَاب الحَالَةِ البَحرِيَّة، فِي أَعقَابِ الرِّيحِ الصَّافِرَة،
فِي أَعقَابِ الأشرِعَةِ البَيضَاءِ الرَّمَادِيَّةِ المشدُودَةِ إِلَى صَوَارِيهَا وَحِبَالِهَا،
فِي الأسفَل، آلَافُ الآلَافِ مِن الأموَاجِ تُسرِع، تَشبُّ بِأَعنَاقِهَا،
مُتَّجِهَةً فِي انسِيَابٍ بِلَا انتهَاءٍ نَحوَ مَسَارِ السَّفِينَة،
وَأَموَاجُ المحِيطِ تُزبِد وَتُقَرقِر، مُتَدَاخِلَةً بِمَرَح،
أَموَاجٌ، أَمَوَاجٌ مُتَمَاوِجَةٌ، أَموَاجٌ سَائِلَةٌ، مُتَقَطِّعَةٌ، مُتَنَافِسَة،
نَحوَ ذَلِكَ التَّيَّارِ المدَوِّم، المُقَهقِه وَالمبتَهِج، مَعَ المنحَنَيَات،
حَيثُ السَّفِينَةُ العَظِيمَةُ المبحِرَةُ المُحَوِّلَةُ لِوجهَتِهَا تُزِيحُ السَّطح،
وَأَموَاجٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ فِي امتِدَادِ المحِيطِ تَنسَابُ فِي لَهفَة،
يَقَظَةُ الحَالَةِ البَحرِيَّةِ بَعدَ مُرُورِهَا، وَامِضَةٌ مَرِحَةٌ تَحتَ الشَّمس،
مَوكِبٌ مُتَعَدِّدُ الألوَان بِبُقَعٍ كَثِيرَةٍ مِن الزَّبَد وشَظَايَا كَثِيرَة،
تُتَابِع السَّفِينَةَ المهِيبَةَ السَّرِيعَةَ، فِي أَثَرِ السَّفِينَة.

إِلَى جانب الطَّـــريق

قصيدة غنائية من بوسطُن

(1854)

لِأكُونَ فِي بُوسطُن فِي مَوعِدِي نَهضتُ مُبَكِّرًا هَذَا الصَّبَاح،
هَا هُنَا مَكَانٌ جَيِّدٌ فِي الرُّكن، لَابُد أَن أَقِفَ وَأَرَى العَرض.

الطَّرِيقُ خَالٍ هُنَاكَ يَا جُونَاثَان!
طَرِيقٌ لِمَسئُولِ مَرَاسِمِ الرَّئِيس- طَرِيقٌ لِمدفَعِ الحُكُومَة!
طَرِيقٌ لِلمُشَاةِ وَالفُرسَانِ الفِيدرَالِيِّين (وَالتَّجَلِّيَاتُ تَندَفِق بِغَزَارَة).

أُحِبُّ النَّظَرَ إِلَى **النُّجُومِ وَالشَّرَائِط**[*] ، آمُل أَن تَعزِفَ النَّايَات أغنية "يَانكِي دُودل".

كَم تُشرِقُ مُلتَمِعَةً سُيُوفُ القُوَّاتِ الأُولَى!
كُل رَجُلٍ يُمسِك بِمُسَدَّسِه، وَهوَ يَمشِي مُشدُودًا خِلَالَ مَدِينَة بُوسطُن.

تَشَوُّش يَلِي ذَلِك، آثَارٌ عَتِيقَةٌ مُمَاثِلَةٌ تَأتِي مُتَرَنِّحَة،
يَظهَر البَعضُ بِسِيقَانٍ خَشَبِيَّة، وَيَظهَرُ البَعضُ شَاحِبِين فِي أَربِطَة.

[*] إشارة إلى مكونات العلَم الأميريكي.

فَلِمَاذَا يُعتَبَرُ هَذَا عَرضًا حَقًّا- لَقَد استَدعُوا الأموَات مِن بَاطِنِ الأرض!
أَسرَعَت مَقَابِرُ التِّلَالِ لِتَتَفَرَّج!
أَشبَاح! أَشبَاحٌ بِلَا حَصرٍ بِخَوَاصِر وَمُؤخِّرَات!
قُبّعَاتٌ مُنتَصِبَةٌ مِن طِرَازٍ تَآكلته العِثَّة- وَعَكَاكِيز مِن سَدِيم!
أَذرُع مُعَلَّقَة- رِجَالٌ عَجَائِز يَستَنِدُون إِلَى أَكتَافِ شُبَّان.

مَا الذِي يُزعِجُكِ يَا أَشبَاحَ اليَانكِي؟ مَا كُل هَذِه الثَّرثَرَةِ مِن الأَصمَاغ العَارِيَة؟
هَل تُشَنِّجُ القُشَعرِيرَةُ أَعضَاءَك؟ هَل تَظُنِّينَ عَكَاكِيزَكِ بَنَادِق تُصَوِّبِينَهَا؟

لَو تُعمِين عُيُونَك بِالدُّمُوع فَلَن تَرَي مَرَاسِمَ الرَّئِيس،
وَلَو تَأَوَّهتِ هَذِه التَّأَوُّهَات فَقَد تَعُوقِين مِدفَعَ الحُكُومَة.

يَا لَلعَارِ أَيُّهَا المجَانِين القُدَامَى- أَنزِلُوا أَذرُعَكُم المرفُوعَةَ هَذِه، وَلتَترُكُوا شَعرَكُم الأبيَض وَاضِحًا،
فَهُنَا يَفغَر أَحفَادُكُم العِظَامُ أَفوَاهَهُم، وَزَوجَاتُهم يُحَدِّقن فِيهِم مِن النَّوَافِذ،
فَانظُرُوا كَم هُم مُهندَمُون، انظُرُوا كَم يَتَصَرَّفُون بِلَبَاقَة.

أَسوَأ فَأَسوَأ- أَلَا تَحتَمِلُون ذَلِك؟ هَل تَنسَحِبُون؟
أَهَذِه السَّاعَة مَع الأحيَاءِ مَيِّتَةٌ أَيضًا بِالنِّسبَةِ لَكُم؟

فَلتَنسَحِبُوا إِذَن- شَذَر مَذَر!
إِلَى قُبُورِكُم- عُودُوا- عُودُوا إِلَى التِّلَالِ أَيُّهَا المتَرَنِّحُون القدَامَى!
فَلَا أَظُن أَنَّكُم تَنتَمُون إِلَى هُنَا بِأَيَّةِ حَال.

لَكِن هُنَاكَ شَيئًا وَاحِدًا يَنتَمِي إِلَى هُنَا- هَل أُخبِرُكُم بِه، يَا سَادَة بُوسطُن؟

سَأَهمِسُ بِه إِلَى العُمدَة، وَسَيُرسِلُ لَجنَةً إِلَى انجِلترَا،
سَيَحصُلُون عَلَى مِنحَةٍ مِن البَرلَمَان، ويَذهَبُون بِعَرَبَةِ كَارُّو إِلَى القُبَّةِ المَلَكِيَّة،
يَنبِشُون تَابُوتَ المَلِكِ جُورج، وَيُخرِجُونَه بِسُرعَةٍ مِن ثِيَابِ الدَّفن، يُعَلِّبُون عِظَامَه مِن أَجلِ السَّفَر،
وَيَجِدُون شَخصًا رَشِيقًا سَرِيعًا مِن اليَانكِي[*]، هَا هِيَ حُمُولَةٌ لَك، أَيُّهَا السَّرِيعُ المنتَفِخ الأَسوَد،
فَلتَرفَع المرسَاة- وَلتَنشُر أَشرِعَتَك- وَانطَلِق مُبَاشَرَةً إِلَى خَلِيج بُوسطُن.

فَلتُنَادُوا الآن عَلَى مَسئُول المَرَاسِم الرِّئَاسِيَّة مِن جَدِيد، أَخرِجُوا المدفَعَ الحُكُومِي،
أَحضِرُوا مِن البيُوت الصَّاخِبِين فِي الكُونجِرِس، وَقُومُوا بِمَوكِبٍ آخَر، وَاحرُسُوه بِالمشَاةِ وَالخَيَّالَة.

هَذِه القِطعَةُ المركَزِيَّةُ مِن أَجلِهِم؛
فَانظُرُوا، أَيُّهَا المَوَاطِنُون المهَندَمُون- انظُرن مِن النَّوَافِذِ، أَيَّتُهَا النِّسَاء!

تَفتَحُ اللَّجنَةُ الصُّندُوق، تَستَخرِجُ الضُّلُوعَ الملَكِيَّة، تُلصِق مَا لَا يَتمَاسَكُ مِنهَا،
يَحشُرُون الجمجُمَةَ فِي قِمَّةِ الضُّلُوع، وَيَحشُرُون تَاجًا فِي قِمَّةِ الجُمجُمَة.

لَقَد حَقَّقتَ انتِقَامَك، أَيُّهَا المغَفَّلُ العَجُوز- فَالتَّاجُ عَادَ إِلَى مُستَقَرِّه، لَا بَل أَكثَر مِن مُستَقَرِّه.

فَلتَغرِس يَدَيكَ فِي جَيبَيك، يَا جُونَاثَان- فَأَنتَ مِن اليَومِ رَجلٌ كَامِلُ الأَهلِيَّة،
أَنتَ بَارِعٌ رَائِع- وَهَا هِي إِحدَى صَفقَاتِك الرَّابِحَة.

[*] الأميريكيون.

أُورُوبَّـــا

العام الثاني والسبعون والثالث والسبعون من عُمر هذه الولايات

فَجأَةً خَارِجًا مِن وَكرِهِ البَالِي النَّعسَان، وَكرِ العَبِيد،
قَفَز كَالبَرق إِلَى الأَمَامِ شِبهَ جَافِلٍ مِن نَفسِه،
قَدَمَاه عَلَى الرَّمَادِ وَالأسمَال، وَيَدَاه مُطبِقَتَان عَلَى أَعنَاقِ الملُوك.

أَيُّهَا الأَمَلُ وَالإِيمَان!
أَيَّتُهَا النِّهَايَةُ الموجِعَةُ لِحَيَوَاتِ الوَطَنِيِّين المنفِيِّين!
أَيَّتُهَا القُلُوبُ الكَثِيرَةُ المتَأَلِّمَة!
استَدِيرُوا إِلَى هَذَا اليَوم وَأَنعِشُوا أَنفُسَكُم.

وَأَنتِ، كَم دَفَعتِ لِتَشوِيه الشَّعب- أَيَّتُهَا الأَوكَار، تذَكَّرِي!
لَا مِن أَجلِ عَذَابَاتٍ، وَجَرَائِم قَتلٍ، وَشَهوَاتٍ بِلَا حَصر،
بَل مِن أَجلِ سَرقَةِ البَلَاطِ فِي أَشكَالِهَا الوَضِيعَةِ المتَنَوِّعَة، مُنتَزِعةً أَجرَ الفَقِير بِالتَّحَايُلِ عَلَى سَذَاجَتِه،
مِن أَجلِ وُعُودٍ كَثِيرَةٍ أَقسَمَت عَلَيهَا شِفَاهٌ مَلَكِيَّةٌ وَكُسِرَت وَاستُهزِئَ بِهَا فِي فَترَاتِ الرَّاحَة،
آنَئِذٍ لَا مِن أَجلِ هَذَا أَنزَلَت الضَّرَبَاتُ الانتِقَامَ بِفِعلِ سُلطَانِهَا، أَو تَهَاوَت رُؤُوس

النُّبَلَاء؛
فَقَد كَان الشَّعبُ يَزدَرِي وَحشِيَّةَ المُلُوك.

لَكِن عُذُوبَةَ الرَّحمَة أَنزَلَت دمَارًا مَرِيرًا، وَتَرَاجَعَ الملُوك المرعُوبُون،
كُلٌّ مِنهُم يَأتِي فِي حَالَة سَيِّئَةٍ مَع حَاشِيَتِه، الجَلَادِ، الكَاهِنِ، مُحَصِّلِ الضَّرَائِب،
الجُندِي، وَالمحَامِي، وَالمَالِكِ، وَالسَّجَّانِ، وَالمتَمَلِّقِ الذَّلِيل.

لَكِن فِيمَا وَرَاء السَّرِقَةِ الوَضِيعَةِ كُلِّهَا، انظُرُوا، فَهُنَاكَ شَكلٌ مَا،
غَائِمٌ كَاللَّيل، مُغَطًّى تَمَامًا، رَأسٌ، وَجَبِينٌ وَقَوَام، فِي طَيَّاتٍ قُرمُزِيَّة،
وَلَا يُمكِن لأَحَدٍ رُؤيَة وَجهِه وَعَينَيه،
وَخَارِجَ ثِيَابِه هَذِهِ فَحَسب، الثِّيَابِ الحمرَاءِ المرفُوعةِ بِالذِّرَاع،
كَانَ يَبدُو إِصبَعٌ وَاحِدٌ مَعقُوفٌ يُشِير عَاليًا فَوقَ القِمَّة، كَرأسِ ثُعبَان.

فِي نَفسِ الوَقت تَتَمَدَّدُ الجَثَامِينُ فِي قُبُورٍ حَدِيثَة، جَثَامِينُ دَامِيَةٌ لِشُبَّان،
وَيَتَدَلَّى حَبلُ المشنَقَةِ ثَقِيلًا، وَرَصَاصَاتُ الأُمَرَاءِ تَتَطَاير، وَمَخلُوقَاتُ السُّلطَةِ تُقَهقِه عَالِيًا،
فَكُل هَذِه الأَشيَاء مُثمِرَةٌ، جَيِّدَة.

جَثَامِينُ الشُّبَّان تِلك،
هَؤلَاء الشُّهَدَاءِ المُعَلَّقِين فِي المشَانِق؛ هَذِهِ القُلُوبِ التِي اختَرَقَهَا الرَّصَاصُ الرَّمَادِي،
بَارِدُون بِلَا حِرَاكٍ فِيمَا يَبدُون أَحيَاءً فِي مَكَانٍ آخَر بِحَيَوِيَّةٍ غَيرِ ذَبِيحَة.

إِنَّهُم يَعِيشُون فِي شُبَّانٍ آخَرِين أَيُّهَا المُلُوك!
يَعِيشُون مِن جَدِيدٍ فِي أَشِقَّاء مُستَعِدِّين لَتَحَدِّيكُم،
لَقَد تَطَهَّرُوا بِالمَوتِ، تَعَلَّمُوا وَتَسَامَوا.

فَلَا قَبرَ لِقَتلَى الحُرِيَّة، بَل بِذرَة تَنمُو مِن أَجلِ الحُرِيَّة، لِتُنجِب بِدَورِهَا بِذرَة،
تَحمِلُهَا الرِّيحُ بَعِيدًا وَتُعِيدُ غرسَهَا، وَتُغَذِّيهَا الأمطَارُ وَالثُّلُوج.

لَا رُوحَ غَير مُتَجَسِّدَة يُمكِن لأسلِحَةِ الطُّغَاةِ أَن تَترُكَهَا طَلِيقَة،
بَل تَطوفُ لَا مَرئِيَّةً فَوقَ الأرض، هَامِسَةً، نَاصِحَةً، مُحَذِّرَة.

أَيَّتُهَا **الحُرِيَّــة**، فَليَيأَس مِنكِ الآخَرُون– فَأَنَا لَا أَيأَسُ مِنكِ أَبَدًا.

هَل المنزِلُ مُوصَد؟ هَل السَّيِّدُ بِالخَارِج؟
مَع ذَلِك، فَلتَكُن مُستَعِدًّا، لَا تَتعَب مِن المرَاقَبَة،
فَسرعَانَ مَا سَيَعُود، فَمَبعُوثُوه سَيَأتُون حَالًا.

مِـــرآةُ يَـــد

امسِكهَا مَرفُوعَةً بِقُوَّة– انظُر لمَا تَعكِسُه (مَا هَذَا؟ أَهو أَنت؟)
دُونَ البَذلَةِ الجَمِيلَة، فِي الرَّمَادِ وَالأقذَار،
بِلَا عَينٍ وَامِضَةٍ بَعد، بِلَا صَوتٍ جَهوَرِي أَو خُطوَةٍ رَشِيقَة بَعد،
الآن هِيَ عَينُ عَبدٍ مَا، وَصَوتُه، وَيَدَاه، وَخُطوَتُه،
أَنفَاسُ مَخمُورٍ، وَجهُ شَرِهٍ فَاسِد، جَسَدُ مُصَابٍ بِمَرَضٍ تَنَاسُلِي،
الرِّئَتَان تَتَعَفَّنَان شَيئًا فَشَيئًا، وَالأمعَاءُ نَتِنَةٌ مُتَآكِلَة،
المَفَاصِلُ مُصَابَةٌ بِالرُّومَاتِيزم، وَالأحشَاءُ مُتَخَثِّرَةٌ بَشَيءٍ كَرِيه،
الدَّمُ الجَارِي يَنسَابُ دَاكِنًا وَسَامًّا،
الكَلِمَاتُ هَذَيَانٌ، السَّمعُ وَاللَّمسُ مُتَصَلِّبَان،
لَا مُخ، لَا قَلبَ، لَا فِتنَةَ الجِنس؛
ذَلِكَ مِن نَظرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي هَذِهِ المِرآةِ قَبلَ أَن تَمضِي إِلَى هُنَاك،
تِلكَ نَتِيجَةٌ فَورِيَّة– وَمِن مِثلِهَا ثَمَّة بِدَايَة!

آلهـــة

أَيُّهَا العَاشِقُ السَّمَاوِي **وَالرَّفِيقُ** **الرَّائِع**،
المنتَظِرُ رَاضِيًا، وَإِن كَانَ خَفِيًّا، لَكِن بِيَقِين،
فَلتَكُن **إِلَهِـي**.

أَنتَ، أَنتَ، أَيُّهَا **الإِنسَانُ المِثَالِي**،
الوَسِيمُ، القَادِرُ، الجَمِيلُ، الرَّاضِي، وَالعَاشِق،
مُكتَمِلُ الجَسَد وَشَاسِعُ الرُّوح،
فَلتَكُن **إِلَهِي**.

أَيُّهَا **المَوت** (لأن **الحَيَاةَ** قَامَت بِوَاجِبِهَا)،
أَيُّهَا البوَّابُ وَالحَاجِبُ لِلقَلعَةِ السَّمَاوِيَّة،
فَلتَكُن **إِلَهِي**.

لَا أَحَدَ، لَا أَحدَ مِن العُتَاةِ، كَمَا أَرَى جَيِّدًا، يَتَصَوَّر، أَو يَدرِي
(لِكَسرِ الرَّابِطَةِ الآسِنَة– فَلِتَتَحَرَّرِي أَنتِ، أَنتِ، أَيَّتُهَا الرُّوح)،
فَلتَكُونِي **إِلَهِي**.

أَيَّتُهَا الأفكَارُ العَظِيمَةُ جَمِيعًا، يَا طُمُوحَات الأجنَاس،

يَا كُلَّ البُطُولَات، وَأَفعَالَ المُتَحَمِّسِين المنتَشِين،
فَلتَكُونِي آلِهَتِي.

أَو أَيُّهَا الزَّمَان وَالمكَان،
أَو يَا شَكل الأَرضِ السَّمَاوِيَّةِ الرَّائِعَة،
أَو يَا شَكلًا جَمِيلًا مَا، أَرَاه، وَأُبَجِّلُه،
أَو أَيَّتُهَا الشَّمسُ أَو النَّجمَةُ الكَوكَبُ المضِيءُ فِي اللَّيل،
فَلتَكُونُوا آلِهَتِي.

بــذُور

الأشكَالُ، وَالسِّمَاتُ، وَالحَيَوَاتُ، وَالإنسَانِيَّةُ، وَاللُّغَةُ، وَالأفكَار،
المعرُوفَةُ، وَالمجهُولَةُ، وَالموجُودَةُ عَلَى الكَوَاكِب،
وَالكَوَاكِبُ نَفسُهَا، وَبَعضُهَا ذُو شَكلٍ، وَأُخرَى بِلَا شَكل،
وَالعَجَائِبُ كَعَجَائِبِ تِلكَ البُلدَان، وَالتُّربَةُ، وَالأشجَارُ، وَالمُدُنُ، وَالسُّكَّان، أَيًّا مَا يَكُونُون،
وَالشُّمُوسُ الرَّائِعَةُ، وَالأقمَارُ وَالمدَارَاتُ، وَمَا لَا يُحصَى مِن تَوَافُقَاتٍ وَتَأثِيرَات،
عَلَى هَذَا النَّحو، وَالجَيِّدَةُ عَلَى هَذَا النَّحو، مَرئِيَّةٌ هُنَا أو فِي أَيِّ مَكَان، تَصمُدُ لِتَحمِل
العِبءَ فِي حِفنَةٍ مِن فَضَاءٍ، حَيثُ أَمُد ذِرَاعِي وَأَحتَوِيهَا تَقرِيبًا بِيَدِي،
تِلكَ التِي تَشمَل بِدَايَةَ كُل شَيءٍ وَجَمِيعِ الأشيَاء، وَالفَضَائِل، تَشمَلُ بُذُورَ كُل شَيء.

أفكَــار

عَن المِلكِيَّة– كَأَن المَرءَ كَفِيلٌ بِملكِيَّةِ أَشيَاءٍ لَا يُمكِنُ عِندَ البَهجَةِ إِشرَاكُ الجَمِيع
فِيهَا، وإِدمَاجُهَا فِي ذَاتِه أَو ذَاتِهَا؛
عَن آفَاقٍ– افتَرِض نَظرَةً مَا إِلَى الوَرَاءِ خِلَال السَّدِيم التَّكوِينِي، مُسَلِّمًا بِالتَّنَامِي،
وَالاكتِمَالِ، وَالحَيَاةِ، التِي تَحَقَّقَت فِي الرِّحلَة،
(لَكِنِّي أَرَى الطَّرِيقَ مُتَوَاصِلًا، وَالرِّحلَةَ دَائِمًا مُتَوَاصِلَة)؛
عَمَّا كَانَ ذَاتَ يَومٍ غَائِبًا عَن الأَرض، وَفِي الوَقتِ المَلَائِم تَوَفَّر– وَعَمَّا سَيَتِم تَوفِيرُه بَعد،
لِأَنَّنِي أَظُن أَن كُلَّ مَا أَرَاه وَأَعرِفُه يَملِكُ مَعنَاه الرَّئِيسِيَّ فِي مَا سَيَتِم تَوفِيرُه مِن بَعد.

حين سمعتُ الفَلَكي الخبير

حِين سَمِعتُ الفَلَكِيَّ الخَبِير،
حِين صُفَّت البَرَاهِينُ، وَالأشكَالُ، فِي صُفُوفٍ أَمَامِي،
حِين عُرِضَت عَلَيَّ الخَرَائِطُ وَالرُّسُومُ البَيَانِيَّة، لأُضِيفَ، لأُقَسِّم، وَأَقِيسَهَا،
حِين سَمِعتُ وَأَنَا جَالِسٌ الفَلَكِيَّ فِي مُحَاضَرَتِه مَع كَثِيرٍ مِن الإِطرَاءِ فِي قَاعَةِ المحَاضَرَات،
كَم أَصبَحتُ بِسُرعَةٍ مُرهَقًا وَعَلِيلًا بِلَا تَفسِير،
إِلَى أَن نَهَضتُ وَانسَلَلتُ إِلَى الخَارِج فَهِمتُ بِلَا هُدًى،
فِي هَوَاءِ اللَّيلِ النَّدِي الغَامِض، وَمِن آنٍ لآن،
كُنتُ أَتَطَلَّع عَالِيًا فِي صَمتٍ مُطبِق إِلَى النُّجُوم.

كمَــال

هُم أَنفُسُهُم فَحسب يَفهَمُون أَنفُسَهُم وَأَشبَاهَ أَنفُسِهِم، مِثلَمَا لَا تَفهَم الأَروَاحَ سِوَى الأَروَاح.

آه يَا لِي! آه يَا لَلحيــاة!

آهِ يَا لِي! آهِ يَا لَلحَيَاة! حَيَاةٍ مِن أَسئِلَةٍ عَن هَذِه التَّكرَارَات،
عَن السَّلَاسِلِ اللَّانِهَائِيَّةِ مِن الملحِدِين، وَالمدُنِ المَلِيئَةِ بِالحَمقَى،
عَن نَفسِي اللَّائِمَةِ دَائِمًا لِنَفسِي (فَمَن الأكثَر حُمقًا مِنِّي، وَمَن الأكثَر إلحَادًا؟)
عَن العُيُونِ التِي تَهفُو إِلَى الضَّوءِ بِلَا جَدوَى، عَن الغَايَاتِ الوَضِيعَة، عَن النِّضَالِ المتَجَدِّدِ أَبَدًا،
عَن النتَائِجِ البَائِسَةِ لِكُل شَيء، عَن الجُمُوعِ الكَادِحَةِ الصَّمَّاء التِي أَرَاهَا حَولِي،
عَن الأعوَامِ الخَاوِيَةِ وَالعَبَثِيَّةِ لِلبَاقِين، وَمَع البَاقِين أَنَا مَجدُول،
وَالسُّؤَال، آهِ يَا لِي! بَالِغُ الحُزن، مُتَكَرِّر- أَي جَدوَى وَسطَ هَذَا، يَا لِي، يَا لَلحَيَاة؟

إجــابَة

أَن تَكُونَ هُنَا– أَن تُوجَدَ الحَيَاةُ وَالكَينُونَة،
أَن تَتَوَاصَلَ اللُّعبَةُ القَوِيَّة، وَقَد تُسَاهِم بِقَصِيدَة.

إلى رئيـــس

كُل مَا تَفعَلُه وَتَقُولُه هُو بِالنِّسبَةِ لِأمِيرِيكَا سَرَابٌ مُعَلَّق،

فَلَم تَتَعَلَّم مِن **الطَّبِيعَة**- مِن سِيَاسَاتِ **الطَّبِيعَة** لِم تَتَعَلَّم الاتِّسَاع الشَّاسِع،

وَالاستِقَامَة، وَالنَّزَاهَة،

لَم تَرَ أَن ذَلِك فَحَسب مَا تَحتَاجُه هَذِه **الوِلَايَات،**

وَأَن مَا هُو أَقَل مِنهَا سَيَزُول إِن عَاجِلًا أَو آجِلًا مِن هَذِه الوِلَايَات.

أجلس وَأتطلّع

أَجلِسُ وَأَتَطَلّع إِلَى أَحزَانِ العَالَم،
وَإِلَى كُل قَمعٍ وَعَار،
أَسمَع نَشِيجًا سِرِّيًا مُتَشَنِّجًا مِن شُبَّان مَغمُومِين مِن أنفُسِهِم، نَادِمِين بَعد ارتِكَابِ الأفعَال،
أَرَى فِي الحَيَاةِ الوَضِيعَةِ الأُمَّ التِي أَسَاءَ أَبنَاؤُهَا إِلَيهَا، مُحتَضرَةً، مَهجُورَةً، هَزِيلَةً، يَائِسَة،
أَرَى الزَّوجَةَ التِي أَسَاءَ زَوجُهَا إِلَيهَا، أَرَى المُغوِي الغَادِرَ بِالفَتَيَات،
أَرصُد فَوَرَانَاتِ الغِيرَةِ وَالحُبَّ مِن طَرَفٍ وَاحِدٍ الذِي يُحَاوِل التَّخَفِّي، أَرَى هَذِهِ المَشَاهِدَ عَلَى الأرض،
أَرَى نَتَائِجَ المعرَكَةِ، وَالطَّاعُونَ، وَالطُّغيَانَ، أَرَى الشُّهَدَاءَ وَالمسجُونِين،
أَرقُبُ مَجَاعَةً فِي البَحر، أَرقُبُ البَحَّارَةَ يَجرُون قُرعَةَ مَن سَيُقتَل لِلمُحَافَظَةِ عَلَى حَيَوَاتِ الآخَرِين،
أَرقُبُ الازدِرَاءَ وَالانحِطَاط مِن أَشخَاصٍ مُتَغَطرِسِين عَلَى الشَّغِّيلَةِ، الفُقَرَاء، وَعَلَى الزُّنُوج، وَأَشبَاهِهِم؛
كُل هَذَا- كُل الوَضَاعَةِ وَالعَذَاب بِلَا انتِهَاءٍ أَجلِسُ وَأَتَطَلَّعُ فِيه،
أَرَى، أَسمَع، وَأَنَا صَامِت.

إلى مُتبرِّعيـن أثريـاء

مَا تَمنَحُه لِي أَتَقبَّله بِابتِهَاج،
قَلِيلًا مِن طَعَام، كُوخًا وَحَدِيقَة، قَلِيلًا مِن النُّقُود، فِيمَا أَتَوَاعَد مَعَ قَصَائِدِي،
إِقَامَةَ وَإِفطَارَ مُسَافِرٍ وَأنَا أُسَافِر عَبرَ الوِلَايَات-، فِلِمَ يَنبَغِي أَن أَخجَلَ مِن الحصُولِ عَلَى
مِثلِ هَذِه الهَدَايَا؟ وَلِمَ أُعلِن عَنهَا؟
فَأَنَا نَفسِي لَستُ مَن لَا يَمنَح الرَّجُلَ وَالمرأَة،
فَأَنَا أَمنَحُ أَيَّ رَجُلٍ أو امرأَةٍ بَوَّابَةَ الدُّخُولِ إِلَى جَمِيع هَدَايَا الكَون.

مداعبَـة النُّسُـور

هَائِمًا علَى طَرِّيقِ النَّهر (تَمشِيَتِي وَرَاحَتِي فِي الضُّحَى)،
ثَمَّة صَوتٌ مَكتُومٌ مُفَاجِئ جِهَةَ السَّمَاء، مُدَاعَبَةُ النُّسُور،
التَّوَاصُلُ العَاشِقُ المندَفِعُ عَالِيًا فِي الفَضَاءِ مَعًا،
المخَالِبُ المتَشَابِكَةُ المشتَبِكَةُ، وَدَوَرَانٌ حَي، وَحشِي، حَلَزُونِي،
أَربَعَةُ أَجنِحَةٍ خَفَّاقَة، وَمِنقَارَان، كُتلَةٌ دَوَّامَةٌ موثَقَةٌ بِإِحكَام،
فِي انقِلَابَاتٍ عُنقُودِيَّةٍ مُتَشَقلِبَة مُنعَطِفَةٍ، وَهُبُوطٍ مُستَقِيمٍ لِأَسفَل،
إِلَى أَن يَتَوَازَنَا فَوقَ النَّهر، وَالثُّنَائِي مَا يَزَالُ وَاحِدًا، خُمُودٌ لِبُرهَة،
تَوَازُنٌ سَاكِن بِلَا حِرَاكٍ فِي الهَوَاء، ثُم افتِرَاقٌ، وَالمخَالِبُ مُتَحَرِّرَة،
وَإِلَى الأعلَى مِن جَدِيد فِي مَيلَانٍ بَطِيء صَارِمٍ لِلأجنِحَة، وَطَيَرَانُهُمَا مُنفَصِلٌ مُتَنَوِّع،
وَيُوَاصِل كُلٌّ مِنهُمَا.

هائمًا في التفكير

(بعد قراءة هيجل)

هَائِمًا فِي التَّفكِيرِ فِي الكَون، رَأَيتُ الخَيرَ القَلِيلَ يُسرِع بِاضطِرَادٍ نَحو الأَبَدِيَّة، وَالكَثِير مِن كُل مَا يُدعَى الشَّر رَأيتُه يُسرِع لِيَستَهلِكَ ذَاتَه، وَيَضِيع، وَيَمُوت.

صُـورة مزرعَـة

مِن خِلَال البَابِ الوَاسِعِ المفتُوحِ لِمَخزَنِ الغِلَالِ القَرَوِي الهَادِئ،
حَقلٌ أَخضَر مُضَاءٌ بِالشَّمسِ مَعَ قَطِيع مَاشِيَةٍ وَأَحصِنَةٍ تَرعَى،
وَضَبَابٌ وَمَشهَد، وَالأُفُقُ البَعِيدُ يَتَلَاشَى فِي البَعِيد.

دهشـــة طِفـــل

صَامِتًا وَمُندَهِشًا حَتَّى عِندَمَا كُنتُ صَبِيًّا صَغِيرًا،
أَتَذَكَّرُ أَنَّنِي كُنتُ أَسمَع الوَاعِظَ كُلَّ أَحَدٍ يَضَع الرَّب فِي أَحَادِيثِه،
وَهو يُجَادِل ضِد أَحَدِ الكَائِنَات أَو التَّأثِيرَات.

العـــدَّاء

عَلَى طَرِيقٍ مُنبَسِطٍ يَعدُو العَدَّاءُ المدَرَّب جَيِّدًا،
وَهو نَحِيلٌ وَقَوِي بِسَاقَين مَفتُولَتَين،
يَرتَدِي مَلَابِسَ خَفِيفَةً، وَيَنحَنِي إِلَى الأَمَام وَهو يَعدُو،
بِقَبضَتَين مَضمُومَتَين قَلِيلًا وَذِرَاعَين مَرفُوعَتَين نَوعًا مَا.

نسَــاءٌ جميــلات

تَجلِسُ النِّسَاءُ أَو يَتَحَرَّكنَ ذِهَابًا وَإِيَابًا،
بَعضُهُن عَجَائِز، بَعضُهُن شَابَّات،
الشَّابَّاتُ جَمِيلَات– لَكِن العَجَائِز أَجمَل مِن الشَّابَّات.

الأُم والطِّفــل

أَرَى الطِّفلَ النَّائِمَ يَرضَعُ ثَديَ أُمِّه؛
الأُم والطِّفلُ النَّائِمَان– فِي صَمتٍ، أَدرِسُهُمَا طَوِيلًا طَوِيلَا.

فِكــرة

عَن الطَّاعَةِ، وَالإِيمَان، وَالتَّلَاحُم؛

فِيمَا أَقِفُ مُنعَزِلًا أَرنُو ثمَّة شَيءٌ مَا بِالنِّسبَةِ لِي يُؤَثِّر بِعُمقٍ عَلَى جُمُوعٍ كَبِيرَةٍ مِن النَّاسِ الذِين يَتبَعُون طَلِيعَةَ هَؤلَاء الذِين لَا يُؤمِنُون بِالنَّاس.

مُقنَّعــة

قِنَــاع، مُتَخَفِّيَةً بِشَكلٍ طَبِيعِيٍّ دَائِمًا عَن نَفسِهَا،
مُخفِيَةً وَجهَهَا، مُخفِيَةً شَكلَهَا،
وتَغَيُّرَاتٌ وَتَحَوُّلَاتٌ كُلَّ سَاعَة، كُلَّ دَقِيقَة،
تَطرَأُ عَلَيهَا حَتَّى حِين تَنَام.

فِكــرة

عَن العَدَالَة– كَأَن العَدَالَةَ يُمكِن أَن تَكُونَ أَيَّ شَيءٍ سِوَى القَانُونِ الرَّحبِ ذَاتِه،
الذِي يُفَسِّره قُضَاةٌ وَمُخَلِّصُون طَبِيعِيُّون،
كَأَنَّهَا يُمكِن أَن تَكُون هَذَا الشَّيءَ أَو ذَاك، حَسبَ الإِرَادَة.

مُنسَـلًّا فوق الجميع

مُنسَلًّا فَوقَ الجَمِيع، خِلَالَ الجَمِيع،
خِلَالَ الطَّبِيعَة، وَالزَّمَان، وَالمكَان،
كَسَفِينَةٍ تَتَقَدَّم عَلَى المِيَاه،
فِي رِحلَة الرُّوح- لَا الحَيَاةَ وَحدَهَا،
وَالمَوت، بَل سَأُغَنِّي مِيتَاتٍ كَثِيرَة.

أَلَم تَأتِك أبدًا سَاعة

أَلَم تَأتِك أَبَدًا سَاعَة،
وَمضَةٌ سَمَاوِيَّةٌ مُفَاجِئَة، مُندَفِعَةٌ، مُنفَجِرَةٌ بِكُل هَذِهِ الفَقَاقِيع، وَالأنمَاطِ، وَالثَّرَاء؟
هَذِهِ الغَايَاتُ العَمَلِيَّةُ المَلهُوفَة- الكُتُب، السِّيَاسَة، الفَن، الغَرَامِيَّات،
لِتُسفِر عَن لَا شَيء؟

فِكــرة

عَن المسَاوَاة– كَأَنَّمَا يُؤذِينِي مَنحُ الآخَرِين الفُرَصَ وَالحقُوقَ ذَاتَهَا شَأنُهُم شَأنِي– كَأَن لَم يَكُن أَسَاسِيًّا لِحُقُوقِي أَن يَمتَلِكَ الآخَرُون نَفسَ الحقُوق.

إلى الشَّيخُوخَة

أَرَى فِيكِ المَصَبَّ الذِي يُوَسِّع وَيَمُد نَفسَه بِعَظَمَةٍ
وَهوَ يَنصَب فِي البَحرِ العَظِيم.

أمكنَـة وأزمنَــة

أَمَكِنةٌ وَأَزمِنَة– مَا الذِي يَكمُن دَاخِلِي مُتَوَافِقًا مَعَهُم جَمِيعًا، فِي أَيِّ وَقتٍ وَمَكَان، وَيَجعَلُنِي عَلَى رَاحَتِي؟

أَشكَالٌ، أَلَوانٌ، كَثَافَاتٌ، رَوَائِح– مَا الذِي يَكمُن دَاخِلِي مُتَجَاوِبًا مَعَهُم؟

قرابيـــن

أَلفُ رَجُلٍ وَامرَأَةٍ مِثَالِيِّين يَظهَرون،
حَولَ كُلٍّ مِنهُم تَتَجَمَّع مجمُوعَةٌ مِن الأصدِقَاء،
وَأَطفَالٌ وَشُبَّانٌ مَرِحُون،
بِالقَرَابِين.

إلى الولايَــات

رصدًا للرئاسة السادسة عشرة، والسابعة عشرة، والثامنة عشرة

لِمَاذَا الاضطِجَاع، وَالتَّسَاؤُل؟ لِمَاذَا أَتَكَاسَل أَنَا نَفسِي وَالجَمِيع؟
أَيُّ شَفَقٍ يَعمُق– زَبَدٌ يَطفُو عَلَى سَطحِ المِيَاه،
فَمَن هُم أَشبَاهُ الخَفَافِيشِ وَكِلَابِ اللَّيل المتَعِظُون فِي العَاصِمَة؟
أَيَّة رِئَاسَةٍ فَاحِشَة! (أَيُّهَا الجَنُوبُ، يَا لَشُمُوسِكَ المتَّقِدَة! أَيُّهَا الشَّمَال! يَا لَصَقِيعِكَ القُطبِ شَمَالِي!)
أَهَؤلَاء حَقًّا رَجَالُ بَرلَمَان؟ أَهَؤلَاء هُم **القُضَاةُ** العِظَام؟ أَذَلِكَ هُو **الرَّئِيس؟**
إِذَن فَسَأَنَام لِبُرهَةٍ الآن، لِأَنَّنِي أَرَى هَذِهِ الوِلَايَات تَنَام، لِسَبَبٍ مَا؛
(مَعَ ظُلُمَاتٍ مُتَكَاثِفَة، مَع رَعدٍ مُدَمدِم وَقَصفَاتٍ وَامِضَة سَوفَ نَصحُو فِي الأَوَان، الجَنُوب، الشَّمَال، الشَّرق، الغَرب، عَلَى اليَابِسَةِ وَعَلَى البَحر، بِالتَّأكِيد سَوفَ نَصحُو).

قَــرع الطُّبُــول

يَا أُغنيات الاستهلَال في البدَاية

يَا أُغنِيَاتِ الاستِهلَالِ فِي البِدَايَة،
فَلتَنطَلِقِي بِخِفَّةٍ عَن الكِبريَاءِ وَالبَهجَةِ ذَات المَقَاطِع المدِيدَةِ فِي مَدِينَتِي،
كَيفَ قَادَت البَاقِين إِلَى السِّلَاح، كَيفَ أَطلَقَت الإِشَارَة،
كَيفَ قَفَزَت فِي الحَال بِأَعضَاءٍ رَشِيقَة دُون لَحَظَةِ انتِظَار،
(أَيَّتُهَا الرَّائِعَة! يَا مَانهَاتِن، يَا مَدِينَتِي، بِلَا نَظِير!
أَيَّتُهَا الأقوَى فِي سَاعَةِ الخَطَر، فِي الأزمَة! أَيَّتُهَا الأصدَقُ مِن الصُّلب!)
كَيفَ قَفَزتِ– كَيفَ خَلَعتِ ثِيَابَ السَّلَام بِيَدٍ لَا مُبَالِيَة،
كَيفَ تَغَيَّرَت مُوسِيقَاكِ الأُوبرَالِيَّةُ الرَّهِيفَة، وَسُمِعَت الطُّبُولُ وَالمزَامِيرُ بَدَلًا مِنهَا،
كَيفَ انقَدتِ إِلَى الحَرب (سَيُفِيدُنَا ذَلِكَ كَاستِهلَالٍ لَنَا، كَأُغنِيَاتٍ لِلجُنُود)،
كَيفَ قَادَ قَرعُ الطُّبُولِ مَانهَاتِن.

لأربَعِين عَامًا كُنتُ أَرَى فِي مَدِينَتِي الجُنُودَ فِي استِعرَاضَاتِهِم،
لأربَعِينَ عَامًا كَمِهرَجَان، إِلَى أَن قَامَت بِغتَةً سَيِّدَةُ هَذِهِ المَدِينَةِ المضطَرِمَة وَالمحتَشِدَة،
السَّاهِرَةُ وَسطَ سُفُنِهَا، وَمَنَازِلِهَا، وَثَروَتِهَا الفَادِحَة،
مَعَ أَطفَالِهَا المليُون حَولَهَا، فَجأَةً،
فِي خَدَرِ اللَّيل، لَدَى الأخبَارِ القَادِمَةِ مَن الجَنُوب،
قَامَت مُهتَاجَةً بِضَرب أَرضِ الشَّارِع بِيَدٍ مُطبَقَة.

صَدمةٌ مُروِّعَة، دَعَّمها اللَّيل،
إِلَى أَن اندَفقَت إِلَى الخَارِج حُشُودُنا بِالآلَافِ بِهَمهَمَةٍ مُنذِرَة.

مِن المَنَازِلِ وَالوِرَش، وعَبرَ جَمِيع الأَبوَابِ آنَئِذٍ،
قَفَزُوا مُضطَرِمِين، وَانظُرُوا! فَمَانهَاتِن مُدَجَّجَةٌ بِالسِّلَاح.

عَلَى وَقعِ الطُّبُول،
اصطَفَّ الشُّبَّانُ مُسَلَّحِين،
وَالحِرَفِيُّون مُسَلَّحُون (وَالمسطَرِين، وَالمسحَاج، وَقَادُومُ الحَدَّاد، أُطِيحَ بِهِم جَانِبًا فِي عُنف)،
وَالمحَامِي يَترُك مَكتَبَه وَيَتَسَلَّح، وَالقَاضِي يَترُكُ المحكَمَة،
يَهجُر السَّائِقُ عَجَلَةَ القِيَادَة فِي الشَّارِع، قَافِزًا هَابِطًا، رَامِيًا بِالأَعِنَّةِ فَوقَ ظُهُورِ الأَحصِنَةِ بِصُورَةٍ مُفَاجِئَة،
يَترُكُ البَائِعُ المتجَر، وَالمدِيرُ، والمحَاسِبُ، والحَمَّالُ، يُغَادِرُ الجَمِيع؛
تَتَجَمَّعُ الكَتَائِبُ فِي كُل مَكَانٍ بِاتِّفَاقٍ عَام وَيَتَسَلَّحُون،
وَالمُتَطَوِّعُون الجُدُد، حَتَّى الأَولَاد، يُرِيهِم الشُّيُوخُ كَيفَ يَحمِلُون عَتَادَهُم، وَيَعقِدُون الأَربِطَةَ فِي عِنَايَة،
خَارِجَ البيُوتِ يَتَسَلَّحُون، فِي البِيُوتِ يَتَسَلَّحُون، مَع وَمضَة خَزَائِن البَنَادِق،
الخِيَامُ البَيضَاءُ تَتَجَمَّعُ فِي مُعَسكَرَاتٍ، حَولَهَا الحُرَّاسُ المسَلَّحُون، وَانطِلَاقُ المدفَعِ فِي الشُّرُوق وَمِن جَدِيدٍ فِي الغُرُوب،
فَيَالِقُ مُدَجَّجَةٌ تَصِل كُلَّ يَوم، تَمُر خِلَالَ المدِينَة، وَتُعَسكِر عِند أَرصِفَةِ المينَاء،
(كَم يَبدُون رَائِعِين وَهُم يَخطُون إِلَى النَّهرِ فِي الأَسفَل، مُتَعَرِّقِين، بِبَنَادِقِهِم عَلَى أَكتَافِهِم!
كَم أُحِبُّهُم! كَم يُمكِنُنِي مُعَانَقَتهم، بِوُجُوهِهِم الدَّاكِنَةِ وَمَلَابِسِهِم وَمِخلَاتِهِم

المترِبَة!)
دَمُ المدِينَةِ يفُور– إِلَى السِّلَاح! إِلَى السِّلَاح! الصَّيحَةُ فِي كُلِّ مَكَان،
الأعلَامُ تُرَفرِفُ فِي أَبرَاجِ الكَنَائِس وَفِي جَمِيعِ المبَانِي العَامَّةِ وَالمتَاجِر،
الفِرَاقُ الدَّامِع، الأُم تُقَبِّل ابنَهَا، الابنُ يُقَبِّلُ أُمَّه،
(الأُم كَارِهَةٌ لِلفرَاق، لَكِنهَا لَا تنطِقُ بِكَلِمَةٍ لِاستِبقَائِه)،
الرِّفقَةُ المُضطَرِمَة، صُفُوفُ رِجَالِ الشُّرطَةِ تَتَقَدَّم، تُخلِي الطَّرِيق،
الحَمَاسَةُ المتَفجِّرَة، الهتَافَاتُ المجنُونَةُ لِلحَشد عَلَى أَحِبَّائِهِم،
المدفَعِيَّة، المدَافِعُ الصَّامِتَةُ لَامِعَةٌ كَالذَّهَب، تُسحَبُ قُدُمًا، تُغمغِمُ خَفِيضَةً عَلَى الأحجَار،
(أَيَّتُهَا المدَافِعُ الصَّامِتَة، سرعَانَ مَا سَتَكسِرِين صَمتَكِ،
سرعَانَ مَا تَتَجَهَّزِين لِتَبدَئِي العَمَلَ النَّارِي)؛
كُلُّ غَمغمَات الاستِعدَاد، كُلُّ التَّسلِيح بِعَزم،
خَدمَاتُ المستَشفَى، الضِّمَادَاتُ، الأربِطَةُ وَالأدوِيَة،
النِّسَاءُ يَتَطَوَّعن مُمَرِّضَات، وَالعَمَلُ يَبدَأ بِجِدِّيَّة، لَا مَوَاكِبَ الآن؛
الحَرب! سُلَالَةٌ مُسَلَّحَةٌ تَتَقَدَّم! التَّرحِيبُ بِالمعرَكَة، لَا تَرَاجُع؛
الحَرب! فَلتَكُن لأَسَابِيع، شُهُورٍ، أَو أَعوَام، فَسُلَالَةٌ مُسَلَّحَةٌ تَتَقَدَّم لِتُرَحِّبَ بِهَا.

إِلَى الأمَام يَا مَانهَاتِن– فَأَهلًا بِالغِنَاءِ لَهَا!
أَهلاً بِالحَيَاةِ الرُّجُولِيَّةِ فِي المعَسكَرَات.

وَالمدفَعِيَّةُ الهَادِرَة،
والبَنَادِقُ مُلتَمِعَةٌ كَالذَّهَب، عَمَلٌ يَلِيقُ بِالعَمَالِقَة، أَن تُجِيدَ استخِدَامَ البَنَادِق،
جَهِّزُوهَا! (لَا كَالأربَعِين عَامًا المَاضِيَة مِن أَجلِ التَّحِيَّةِ وَالتَّشرِيفَاتِ فَحَسب،
احشوهَا بِمَا هُو أَكثَر مِن البَارُود وَاللِّبَّاد).

وَأَنتِ يَا سَيِّدَةَ السُّفُن، أَنتِ يَا مَانهَاتِن،

العَاهِلَةُ القَدِيمَةُ لِهَذِه المَدِينَةِ الأَبِيَّةِ، الوَدُود، المضطَرِمَة،

يَا مَن كُنتِ وَقتَ السَّلَامِ وَالرَّخَاءِ مَشغُولَةَ الفِكر أَو مُقَطِّبَةً عَابِسَةً وَسطَ جَمِيع أَبنَائِك،

لَكِنكِ الآن تبتَسِمِين بِفَرَحٍ مُتَهَلِّلَةً يَا مَانهَاتِن القَدِيمَة.

أَلف وثمانمئة وواحدٌ وستون

أَيُّهَا العَامُ المدَجَّج– عَام النِّضَال،
مَا مِن قَوَافٍ أَنِيقَةٍ أَو قَصَائِد حُب عَاطِفِي مِن أَجلِكَ أَيُّهَا العَامُ الرَّهِيب،
فَلَستَ شَاعِرًا يَجلِسُ إِلَى طَاوِلَةٍ تُغَمغِم بِالإِيقَاعِ الرَّهِيف،
لَكِنَّكَ كَرَجُلٍ قَوِي مُنتَصِب، يَرتَدِي مَلَابِسَ زَرقَاء، مُتَقَدِّمًا، حَامِلًا بُندُقِيَّةً عَلَى كَتِفِك،
بِجَسَدٍ مَفتُولٍ وَوَجهٍ وَيَدَين لَوَّحَتهُم الشَّمس، بِسِكِّين فِي الحِزَامِ بِجَنبِك،
حِين سَمِعتُكَ تَصِيحُ عَالِيًا، وَصَوتُك الجَهوَرِي يَرِن عَبرَ القَارَّة،
صَوتُك الرُّجُولِي أَيُّهَا العَام، كَأَنَّه يَنبَثِق وَسطَ المدُنِ الكُبرَى،
وَسطَ رِجَالِ مَانهَاتِن رَأَيتُك كَأَحَد الشَّغِّيلَة، سُكَّانِ مَانهَاتِن،
أَو بِخُطَى عِملَاقَةٍ تَعبُر البَرَارِي خَارِجًا مِن إِلِينُوي وَإِندِيَانَا،
عَابِرًا بِسُرعَةٍ الغَربَ بِبَهجَةٍ مَرِحَة وَهَابِطًا جِبَالَ الِّيجَانِي،
أَو مِن البُحَيرَاتِ الكُبرَى أَو فِي بِنسِلفَانيَا، أَو عَلَى ظَهرِ مَركِبٍ بِامتِدَادِ نَهرِ أُوهيُو،
أَو نَحوَ الجَنُوب بِامتِدَادِ نَهرَي تِينِيسِي أَو كَمبَرلَاند، أَو عَلَى قِمَّةِ الجَبَل فِي شَاتَانُوجَا،
رَأَيتُ فَرحَك وَأَعضَاءَكَ المفتُولَةَ مُرتَدِيَةً الأَزرَق، حَامِلًا الأَسلِحَةَ، أَيُّهَا العَام القَوِي،
سَمِعتُ صَوتَكَ الصَّارِمَ مُنطَلِقًا قُدُمًا مِن جَدِيدٍ مِن جَدِيد،
أَيُّهَا العَامُ الذِي غَنَّى فَجأَةً بِفُوَّهَاتِ المَدَافِعِ ذَاتِ الشِّفَاه المستَدِيرَة،
إِنَّنِي أُرَدِّدُك، أَيُّهَا العَام الرَّاكِض، الصَّادِم، الحَزِين، المرتَبِك.

اقرَعِي! اقرَعِي! يَا طُبُـــول!

اقرَعِي! اقرَعِي! يَا طُبُول!- وَأَيُّهَا النَّفِير! انطَلِق!
خِلَالَ النَّوَافِذِ- خِلَالَ الأبوَاب- انفَجِرُوا كَقُوَّةٍ بِلَا رَحمَة،
إِلَى الكَنِيسَةِ المهِيبَةِ، وَبَعثِرِي الجُمُوع،
إِلَى المدرَسَةِ حَيث يَدرِسُ التَّلَامِيذ؛
لَا تَترُكِي العَرِيسَ هَادِئًا- فَلَيسَ لَه أَن يَنعَم الآنَ بِالسَّعَادَةِ مَعَ عَرُوسِه،
وَلَا أَن يَنعَم المُزَارِعُ المسَالِمُ بِالسَّلَام، وَهو يَحرُثُ حَقلَه أَو يَجمَعُ حَصَادَه،
فَأَطلِقِي بِوَحشِيَّةٍ هَدِيرَكِ وَاقرَعِي أَيَّتُهَا الطُّبُول- اصرُخ عَالِيًا أَيُّهَا النَّفِير.

اقرَعِي! اقرَعِي! يَا طُبُول!- وَأَيُّهَا النَّفِير! انطَلِق!
فَوقَ زِحَامِ المدُن- فَوقَ قَعقَعَةِ العَجَلَات فِي الشَّوَارِع؛
هَل الأَسِرَّةُ مُعَدَّةٌ فِي المنَازِل لِلنَّائِمِين فِي اللَّيل؟ لَا يَنبَغِي لأَحَدٍ أَن يَنَامَ فِي هَذِهِ الأَسِرَّة،
لَا يُسَاوِمِ مُسَاوِمٌ فِي النَّهَار- لَا سَمَاسِرَة أَو مُضَارِبُون- هَل يُوَاصِلُون عَمَلَهُم؟
هَل يَتَحَدَّث المتَحَدِّثُون؟ هَل يُحَاوِلُ المغَنِّي أَن يُغَنِّي؟
هَل يَنهَضُ المحَامِي فِي المحكَمَةِ لِيَعرِضَ قَضِيَّتَه أَمَام القَاضِي؟
إِذَن فَجَلجِلِي أَسرَعَ، أَقوَى أَيَّتُهَا الطُّبُول- وَانطَلِق أَيُّهَا النَّفِير أَكثَر وَحشِيَّة.

اقرَعِي! اقرَعِي! يَا طُبُول!- وَأَيُّهَا النَّفِير! انطَلِق!

لَا تَسمَحُوا بِوَسَاطَة– لَا تَوَقُّف مِن أَجلِ جِدَال،
لَا تَكتَرِثُوا بِالجَبَانِ– لَا تَكتَرِثُوا بِالبَاكِي أَو المصَلِّي،
لَا تَكتَرِثُوا بِالرَّجُلِ العَجُوزِ المتَوَسِّلِ لِلشَّاب،
لَا تَسمَحُوا بِسَمَاعِ صَوتِ الطِّفل، وَلَا تَوَسُّلَات الأُم،
بَل حَتَّى اجعَلُوا كُل حَامِلٍ يَهُز الميِّت أَينَمَا يَرقُد فِي انتِظَارِ النَّعش،
هَكَذَا اضرِبِي بِقُوَّةٍ أَيَّتُهَا الطُّبُولُ الرَّهِيبَة– وَانطَلِق عَالِيًا أَيُّهَا النَّفِير.

مُنطلقًا من بُومَانُوك أُحلِّق مثل طائر

مُنطَلِقًا مِن بُومَانُوك أُحَلِّقُ مِثلَ طَائِر،
أُحَوِّم وَأُحَوِّم مُحَلِّقًا لأُغَنِّي جَوهَرَ كُلِّ شَيء،
إِلَى الشَّمَالِ أَتَّجِه لأُغَنِّي هُنَاكَ أُغنِيَاتٍ قُطبِيَّة،
إِلَى كَنَدَا إِلَى أَن أَتَشَرَّبَ كَنَدَا دَاخِلِي، ثُم إِلَى مِيتشِيجَان،
إِلَى وِيسكُونسِن، أَيوَا، مِينِّيسُوتَا، لأُغَنِّي أُغنِيَاتِهِم (أُغنِيَات بِلَا تَقلِيد لَهَا)؛
ثُم إِلَى أُوهيُو وَإِندِيَانَا لأُغَنِّي أُغنِيَاتِهِمَا، وَإِلَى مِيسُّورِي وَكَانسَاس وَأَركَانسَاس لأُغَنِّي أُغنِيَاتِهِم،
إِلَى تِينِيسِي وَكِنتَكِي، إِلَى كَارُولَينَا وَجُورجِيَا لأُغَنِّي أَغنِيَاتِهِم،
إِلَى تِكسَاس ثُم نَحوَ كَالِيفُورنِيَا، لأَطُوفَ مُرَحَّبًا بِي فِي كُل مَكَان؛
لأُغَنِّي أَوَّلًا (عَلَى قَرعِ طُبُولِ الحَرب- عِند الضَّرُورَة)،
جَوهَرَ كُلِّ شَيء، عَن العَالَم الغَربِي الوَاحِد غَير المنفَصِل،
ثُم أُغنِيَةَ كُل وِلَايَةٍ مِن هَذِهِ الوِلَايَات.

أغنية الرَّايَــة عند مَطلع الفَجر

الشَّــاعر:

آهِ أُغنِيَةٌ جَدِيدَة، أُغنِيَةٌ حُـرَّة،
تُرَفرِفُ، تُرَفرِفُ، تُرَفرِفُ، تُرَفرِفُ، بِأَصوَاتٍ، وَأَصدَاءٍ أَصفَى،
بِصَوتِ الرِّيح وَصَوتِ الطَّبل،
بِصَوتِ الرَّايَةِ وَصَوتِ الطِّفلِ وَصَوتِ البَحر وَصَوتِ الأب،
خَفِيضَةً إِلَى الأَرض وَعَالِيَةً فِي الأَثِير،
عَلَى الأَرض حَيثُ يَقِفُ الأَبُ وَالطِّفل،
وَفِي الأَثِير عَالِيًا حَيثُ تَستَدِيرُ عُيُونُهُمَا،
حَيثُ الرَّايَةُ تُرَفرِفُ عِند مَطلَعِ الفَجر.

أَيَّتُهَا الكَلِمَات! يَا كَلِمَاتِ الكِتَاب! مَا أَنتِ؟
لَا كَلِمَات بَعدَ الآن، فَلتُنصِتُوا وَتَرَوا،
فَأُغنِيَتِي هُنَاك فِي الهَوَاءِ الطَّلق، وَلَابُد أَن أُغَنِّي،
مَعَ الرَّايَةِ وَالعَلَمِ الثُّلَاثِي المُرَفرِفَين

سَأَنسِجُ النَّغَمَ وَأَندَمِجُ فِيه،
رَغبَة الرَّجُلِ وَرَغبَة الطِّفلِ، سَأَندَمِجُ فِيهِمَا، سَأَبُث فِيهِمَا الحَيَاة،

سَأَشحَذُ نَصلَ السُّونكِي الوَامِض، سَأَجعَل الطَّلقَات والرَّصَاصَ يَئِز،
(كَمَن يَرفَع رَمزًا وَوَعِيدًا غَائِرًا فِي المُستَقبَل،
صَارخًا بِصَوتِ البُوق، *انهَضُوا وانتَبِهُوا! انتَبِهُوا وَانهَضُوا!*)
سَأَسكُبُ الشِّعرَ مَعَ يَنَابِيع الدَّم، مُفعَمًا بِالعَزِيمَةِ، مُفعَمًا بِالبَهجَة،
ثُم مُتَحَرِّرًا، أُطلِقُه قُدُمًا، لِيَمضِي وَيُصَارِع،
مَع الرَّايَة وَالعَلَم المُثَلَّثِ المُرَفرِفَين.

العلَم المُثَلَّث :

تَعَالَ هُنَا عَالِيًا، أَيُّهَا المُنشِدُ، المُنشِد،
تَعَالَي هُنَا عَالِيًا، أَيَّتُهَا الرُّوحُ، الرُّوح.
تَعَالَ هُنَا عَالِيًا، أَيُّهَا الطِّفلُ الصَّغِيرُ الأَثِير،
لِتُحَلِّقُوا فِي الغُيُوم وَتَدُورُوا مَعِي، وَتَلعَبُوا مَعَ الضَّوءِ بِلَا حُدُود.

الطِّفــــل :

مَا هَذَا الذِي يُشِيرُ لِي بِإِصبَعٍ طَوِيلٍ فِي السَّمَاء يَا أَبِي؟
وَمَاذَا يَقُول لِي طُولَ الوَقت؟

الأب :

أَنتَ لَا تَرَى شَيئًا فِي السَّمَاء،
وَلَا شَيءَ أَبَدًا يَقُولُه لَك- لَكِن انظُر يَا طِفلِي،
انظُر إِلَى هَذِه الأَشيَاءِ المبهِرَةِ فِي المَنَازِل، وَانظُر إِلَى محلَّات النُّقُودِ تَنفَتِح،
وَانظُر إِلَى المركَبَاتِ تَستَعِد لِلزَّحفِ عَلَى طُولِ الشَّوَارِعِ بِالسِّلَع؛
هِي، آهِ هِيَ، كَم هِي غَالِيَةٌ وَمِن أَجلِهَا يُعَانُون!
كَم هِي محسُودَةٌ مِن الأَرض كُلِّهَا.

الشَّـــاعر:

مُنتَعِشَةً وَحَمرَاء وَردِيَّةً تَصَّاعَدُ الشَّمسُ عَالِيًا،
يَطفُو البَحرُ فِي الأزرَق البَعِيد مُنسَابًا فِي مَجَارِيه،
تَطفُو الرِّيحُ عَلَى صَدرِ البَحرِ جَاثِمَةً فِي اتِّجَاه اليَابِسَة،
وَالرِّيحُ العَظِيمَةُ المُضطَرِدَةُ مِن الغَربِ أَو الغَرب الجَنُوبي،
طَافِيَةٌ مَائِجَةٌ بِزَبَدٍ أَبيَض لَبَنِي عَلَى المِيَاه.

لَكِنِّي لَستُ البَحر وَلَا الشَّمسَ الحَمرَاء،
لَستُ الرِّيحَ بِضحكَةِ فَتَاة،
ولَا الرِّيحَ الهَائِلَةَ التِي تَقوَى، وَلَا الرِّيحَ اللَّاسعَة،
لَا الرُّوحَ التِي تَلسَعُ أَبَدًا جَسَدَهَا حَتَّى الرُّعبِ وَالموت،
لَكِنَّنِي أَنَا مَن يَجِيءُ خَفِيًّا أُغَنِّي، أُغَنِّي، أُغَنِّي،
مَن أُتَهتِه فِي الغَدَائِر وَأَنطَلِقُ فِي وَابِلٍ عَلَى الأرض،
مَن تَعرِفُه الطُّيُورُ فِي الغَابَاتِ صَبَاحَ مَسَاء،
وَرِمَالُ الشَّاطِئ تَعرِفُه وَالموجُ ذُو الوَشِيش،
وَتِلكَ الرَّايَةُ وَالعَلَمُ الثُّلَاثِي،
عَالِيًا هُنَاكَ يُرَفرِفَان وَيُرَفرِفَان.

الطِّفـــل:

آهِ يَا أَبِي هُو حَي- مُفعَمٌ بِالبَشَر- لَدَيه أَطفَال،
آهِ الآنَ يَبدُو لِي أَنَّه يُكَلِّم أَطفَالَه،
أَسمَعُه- يُكَلِّمُنِي- آهِ إِنَّه رَائِع!
آهِ إِنَّه يَمتَد-يَنتَشِر وَيَجرِي سَرِيعًا- آهِ يَا أَبِي،
شَاسِعٌ حَتَّى لَيُغَطِّي السَّمَاءَ كُلَّهَا.

الأب :

كَفَى، كَفَى، يَا طِفلِي الأحمَق،
فَمَا تَقُولُه مُحزِنٌ لِي، يُتعِسُنِي كَثِيرًا؛
أَقُولُ لَكَ مِن جَدِيدٍ انظُر مَعَ البَاقِين، لَا تَنظُر إِلَى الرَّايَات وَالأعلَامِ الثُّلَاثِيَّة عَالِيًا،
بَل انظُر إِلَى الشَّوَارِعِ المعَدَّةِ جَيِّدًا،
وَارقُب المَنَازِلَ ذَات الجُدرَانِ القَوِيَّة.

الرَّايــة والعلَم الثُّلاثي :

فَلتَتَحَدَّث إِلَى الطِّفلِ أَيُّهَا المنشِدُ القَادِمُ مِن مَانهَاتِن،
إِلَى أَطفَالِنَا جَمِيعًا، أَو شَمَال أَو جَنُوب مَانهَاتِن،
ارصُد هَذَا اليَومَ، تَارِكًا البَاقِي كُلَّه، لَنَا عُمُومًا– دُون أَن نَدرِي مَعَ ذَلِك السَّبَب،
فَمَا نَحن، إِلا أَشرِطَة قُمَاشٍ بِلَا فَائِدَة،
سِوَى الرَّفرفَة فِي الرِّيح؟

الشَّــاعر:

إِنَّنِي أَسمَع وَأَرَى لَا أَشرِطَةَ القُمَاشِ وَحدَهَا،
أَسمَعُ خُطَى الجيُوشِ، أَسمَعُ الحُرَّاسَ المتَحَدِّين،
أَسمَعُ الصَّيحَات المُتَهَلِّلَةَ لِمِليُونِ إِنسَان، أَسمَعُ الحُرِيَّة!
أَسمَعُ قَرعَ الطُّبُولِ وَنَفخَ الأبوَاق،
أَنَا نَفسِي أَمضِي إِلَى الخَارِج رَشِيقًا– ثُم أَنطَلِقُ مُحَلِّقًا،
أَستَخدِمُ أَجنِحَةَ الطَّائِرِ الأرضِي وَأَجنِحَةَ الطَّائِرِ البَحرِي، وَأَنظُر إِلَى أَسفَل كَأنمَا مِن الأعَالِي،
لَا أُنكِر ثِمَارَ السَّلَامِ الثَّمِينَة، فَأَرَى مُدُنًا حَاشِدَةً بِثَروَةٍ فَوقَ الحَصر،
أَرَى مَزَارِعَ بِلَا عَدَد، أَرَى مُزَارِعِين يَعمَلُون فِي حُقُولِهِم وَمَخَازِنِهِم،

أَرَى حِرَفِيِّين يَعمَلُون، أَرَى أَبنِيَةً تُقَام فِي كُل مَكَان، تَعلُو، أَو اكتمَلَت،
أَرَى طَوَابِيرَ عَرَبَاتٍ تَمضِي مُسرِعَةً بِامتِدَادِ خُطُوطِ السِّكَكِ الحَدِيدِيَّة تَجُرُّهَا القَاطِرَات،
أَرَى المحلَّات، وَالمستَودَعَات، فِي بُوسطُن، وبَالتِيمُور، وَشَارلِستُون، وَنيُو أُورليَانز،
أَرَى بَعِيدًا فِي الغَرب المسَاحَةَ الشَّاسِعَةَ لِلحُبُوب، أَمكُثُ بُرهَةً مُرَفرِفًا،
أَمُر إِلَى غَابَاتِ الأَخشَابِ بِالشَّمَال، وَمِن جَدِيدٍ إِلَى مَزَارِعِ الجَنُوب، وَمِن جَدِيدٍ إِلَى كَالِيفُورنيَا؛
مُستَوعِبًا كُل شَيءٍ أَرَى المَكسَب اللَامَحدُودَ، المجمُوعَاتِ المنهَمِكَةَ، وَالأُجُورَ المُكتَسَبَة،
أَرَى الهوِيَّةَ المُشَكَّلَةَ مِن ثَمَانٍ وَثَلَاثِين وِلَايَة شَاسِعَة سَامِيَة (وَالأَكثَر مِنهَا مِمَّا سَيَأتِي)،
أَرَى قِلَاعًا عَلَى شُطآن المَوَانِئ، أَرَى سُفُنًا تَدخُل وَتخرُج؛
ثُم فَوقَ كُلِّ شَيء (آي! آي!) عَلَمِي الثُّلَاثِي الصَّغِيرَ وَالطَّوِيلَ وَقَد اتَّخَذ شَكلَ سَيف،
يَخفِق فِي الأَعَالِي مُعلِنًا الحَربَ وَالتَّحَدِّي– وَالآن رَفَعَته الجِبَال،
جَنبَ رَايَتِي العَرِيضَةِ الزَّرقَاء، جَنبَ رَايَتِي المرَصَّعَةِ بِالنُّجُوم،
نَاشِرًا السَّلَامَ عَلَى البَحرِ وَاليَابِسَة.

الرَّايـة والعلَم الثُّلاثي :

لَكِن أَيُّهَا المُنشِد، بِصَوتٍ أَعلَى، وَأَشَد، وَأَقوَى! لَكِن يَا أَبِي، فَلتَشُق طَرِيقَكَ بِشَكلٍ أَرحَب!
فَلَن نَدَع أَطفَالَنَا بَعدَ الآن يَنظُرُون إِلَينَا وِفقَ الثَّروَات وَالسَّلَام فَحَسب،
فِيُمكِنُنَا أَن نَكُون رُعبًا وَمَجزَرَةً،
وَهَا نَحنُ الآن،
لَسنَا الآن إِحدَى هَذِه الوِلَايَاتِ الشَّاسِعَة السَّامِيَة (وَلَا أَيَّةَ خَمس، أَو عَشر وِلَايَات)،

وَلَا نَحنُ سُوقًا وَلَا مُستودَعًا، وَلَا بَنكَ نُقُودٍ فِي المدِينَة،
لَكِن كُل هَذَا وَكُل شَيء، وَالأرضُ الدَّاكِنَةُ الفَسِيحَةُ، وَالمنَاجِمُ فِي القَاع، نَحن،
وَشَوَاطِئُ البَحر نَحن، وَالأنهَارُ الصَّغِيرَةُ وَالكَبِيرَة،
وَالحُقُولُ التِي يرؤُونَهَا، وَالمحَاصِيلُ وَالفَوَاكِه نَحن،
الخُلجَانُ وَالقَنَوَاتُ وَالسُّفُن المُبحِرَةُ دَاخِلَةً وَخَارِجَةً نَحن- فِيمَا نَحنُ فوقَ كُل شَيء،
فَوقَ المسَاحَةِ الممدُودَةِ فِي الأسفَل، وَالثَّلَاثَة وَالأربَعَة مَلَايِين مِيلٍ مُرَبَّع، وَالعَوَاصِم،
وَالأربَعِين مليُونًا مِن النَّاس،- أَيُّهَا المُنشِد! فِي الحَيَاةِ وَالموتِ السَّامِيِين،
نَحنُ، حَتَّى نَحن، مِن الآنَ فَصَاعِدًا نَزدَهِي مُتَسَيِّدِين مُتَسَامِين، فِي الأعَالِي،
لَا فِي الحَاضِر وَحدَه،
بَل لِألف عَامٍ نُنشِد خِلَالَك،
هَذِه الأُغنِيَة إِلَى رُوحِ طِفلٍ صَغِيرٍ فَقِير.

الطِّفــل :

لَا أُحِب يَا أَبِي المنَازِل،
فَلَن تُمَثِّلَ لِي أَيَّ شَيءٍ، وَلَا أُحِبُّ النُّقُود،
بَل أُحِب الصُّعُودَ عَالِيًا هُنَاك، يَا أَبِي العَزِيز، أُحِب هَذِه الرَّايَة،
سَأَكُون وَلَابُد أَن أَكُونَ هَذَا العَلَم الثُّلَاثِي.

الأب :

إِنَّك تُفعِمُنِي بِالغَم يَا طِفلِي،
سَيَكُون مُخِيفًا أَن تَكُون هَذَا العلَمَ الثُّلَاثِي،
فَأَنتَ لَا تَعرِفُ سِوَى القَلِيل عَمَّا يَكُون هَذَا اليَوم، وَمَا بَعدَ اليَوم، إِلَى الأبَد،
فَلَن تَجنِي شَيئًا، سِوَى المخَاطَرَةِ وَتَحَدِّي كُل شَيء،
أَن تَنتَصِبَ فِي الأَمَام فِي مُقَدِّمَةِ الحُرُوب- وَآه، يَا لَتِلكَ الحُرُوب!- فَمَا الذِي سَتَفعَلُه

مَعَهَا؟
مَع أَهوَاءِ الشَّيَاطِين، وَالذَّبح، وَالموتِ قَبلَ الأوَان؟

الرَّايــة :
سَأُغَنِّي إِذَن لِلشَّيَاطِين وَالموت،
أَقُومُ بِكُل شَيءٍ، نَعَم بِكُل شَيء، عَلَمًا ثُلَاثِيًّا فِي شَكلَ سَيفٍ لِلحَرب،
وَلَذَّةً جَدِيدَةً وَنَشوَانَةً، وَلَهفَةَ الأطفَالِ المهذَارَة،
مَمزُوجَةً بِأَصوَاتِ الأرضِ المسَالِمَةِ وَاندِفَاعِ أموَاجِ البَحر،
وَالسُّفُنِ السَّودَاءِ المقَاتِلَةِ فِي البَحر مُلتَفَّةً بِالدُّخَان،
وَالبَردِ الثَّلجِي لِلشَّمَالِ البَعِيدِ، البَعِيد، مَعَ حَفِيفِ الأرزِ وَالصُّنُوبَر،
وَهَدِيرِ الطُّبُولِ وَوَقعَ خُطَى الجُنُود، وَالشَّمسِ الحَارِقَةِ تُشرِق فِي الجَنُوب،
وَأَموَاجِ الشَّاطِئِ تَضرِب الشَّاطِئ عَلَى سَاحِلِي الشَّرقِي، وَسَاحِلِي الغَربِي عَلَى السَّوَاء،
وَكُلِّ مَا بَين هَذِه السَّوَاحِل، ونَهرِي المسِيسِيبِّي الجَارِي أَبَدًا بِانعِطَافَاتِه وَمُنحَدَرَاتِه،
وَحُقُولِي بِإِلينُوي، وَحُقُولِي بِكَانسَاس، وَحُقُولِي بِمِيسُّورِي،
وَالقَارَّةُ، مُكَرِّسَةُ الهَوِيَّةَ كُلَّهَا بِلَا استِثنَاءٍ لِذَرَّة وَاحِدَة،
فَانطَلِقُوا! فَلتَغمُرُوا مَن يَسَأل، مَن يُغَنِّي، مَعَ الجمِيع وَنِتَاج الجَمِيع،
دَامِجِين وَدَاعِمِين، دَاعِين، غَامِرِين الجَمِيع،
لَا بِشَفَةٍ رَهِيفَة بَعد الآن، لَا بِصَوتٍ مُوسِيقِي عَذب،
بَل خَارِجِين مِن اللَّيلِ أَبَدًا، وَلَن يَكُون صَوتُنَا بَعد مُقنِعًا،
بَل نَاعِقِين كَالغِربَان هُنَا فِي الرِّيح.

الشَّــاعر :
أَعضَائِي، شَرَايِينِي تَتَمَدَّد، وَغَايَتِي وَاضِحَةٌ فِي النِّهَايَةِ،
فَأَيَّتُهَا الرَّايَةُ الشَّاسِعَةُ المتَقَدِّمَةُ خَارِجَةً مِن اللَّيل، أُغَنِّي لَك بِسُمُو وَعَزِيمَة،

أتفجّر حيثُمَا انتظَرتُ طَويلًا، طَويلًا طَويلًا، أَصَمَّ وَأَعمَى،
فَيَعُود إِلَيَّ سَمعِي وَلِسَانِي (عَلَّمَنِي طِفلٌ صَغِير)،
أَسمَع مِن الأَعَالِي أَيُّهَا العَلَمُ المثَلَّثُ لِلحَرب نِدَاءَكَ ودَعوتَكَ السَّاحِرَة،
أَيُّهَا الأحمَق! الأحمَق! (لَكِنَّنِي فِي جَمِيع الأحوَالِ أُغَنِّيك) أَيُّهَا العَلَم!
لَستُم حَقًّا مَنَازِلَ سَلَام، وَلَا أَيًّا مِنهَا وَلَا رَخَاءَهَا (عِندَ الحَاجَةِ، سَتَستولُون مِن جَدِيدٍ
عَلَى كُل مَنزِلٍ مِنهَا لِتُدَمِّرُوهَا،
لَم تُفَكِّرُوا مِن قَبل فِي تدمِيرِ هَذِه المَنَازِل الثَّمِينَة، الشَّامِخَةِ الرَّاسِخَة، المتخَمَةِ بِوَسَائِل
الرَّفَاهِيَة، بَاهِظَةِ البِنَاء،
قَد تَشمَخ رَاسِخَةً، فَمَاذَا؟ وَلَا لسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا إِن تَشَامَختُم رَاسِخِين فَوقَهَا وَفَوقَ
الجَمِيع)؛
أَيُّهَا العَلَم الثُّلَاثِي، لَستَ المَالَ الثَّمِين، وَلَا نِتَاجَ المزرَعَة، وَلَا الغِذَاءَ الطَّيِّبَ المَادِي،
لَا المحلَّات الفَاخِرَة، وَلَا حَطَطتَ عَلَى أَرصِفَة المِينَاءِ مِن السُّفُن،
وَلَا السُّفُنَ الرَّائِعَةَ بِقُوَّةِ الشِّرَاعِ أَو بِقُوَّةِ البُخَار، التِي تَجلِبُ وَتَحمِل الشُّحنَات،
لَا الآلَاتِ، أَو المَركَبَاتِ، أَو التِّجَارَة، وَلَا العَوَائِد- بَل أَنتَ كَمَا أَرَاكَ هُنَا الآن،
مُرتَفِعًا خَارِجًا مِن اللَّيل، آتِيًا بِمَجمُوعَةِ نُجُومِك (نُجُومٌ تَكبُر دَائِمًا)،
أَنتَ مَن يُحَدِّد شُرُوقَ النَّهَار، قَاطِعًا الأَثِيرَ، مُلَامِسًا الشَّمسَ، تَقِيس السَّمَاء،
(بِشَغَفٍ يَرَاكَ وَيَهفُو إِلَيك طِفلٌ صَغِيرٌ فَقِير،
فِيمَا الآخَرُون مَشغُولُون أَو يَتَحَدَّثُون بِبَرَاعَةٍ، يُنَادُون أَبَدًا بِالاقتِصَاد، الاقتِصَاد)؛
يَا أَنتَ العَالِي هُنَاك! أَيُّهَ العَلَم الثُّلَاثِي! أَينَمَا تَتَمَاوَج كَثُعبَانٍ يَفِح بِصُورَةٍ غَرِيبَة،
عَصِيَّ المَنَال، مُجَرَّدَ فِكرَة، لَكِن مِن أَجلِه حَارَبُوا بِشَرَاسَةٍ، خَاطَرُوا بالموتِ الدَّامِي،
وَأَعشَقُه،
أَعشَقُك كَثِيرًا- أَيُّهَا العَلَم الذِي يَقُود النَّهَارَ بِنُجُومٍ مَجلُوبَةٍ مِن اللَّيل!
بِلَا ثَمَنٍ، هَدَفًا لِلعُيُون، فَوقَ الجَمِيع مُستَدعِيًا الجَمِيع- (المَالِكُ المُطلَقُ لِلجَمِيع)-
أَيَّتُهَا الرَّايَةُ وَالعَلَمُ الثُّلَاثِي!

أَنَا أَيضًا أَترُك البَاقِي– عَظِيمًا كَمَا هُو، لَكِنَّه لَا شَيء– المَنَازِلُ، الآلَاتُ لَا شَيء– لَا أَرَاهَا،
لَا أَرَى سِوَاك، يَا عَلَم الحَرب الثُّلَاثِي! أَيَّتُهَا الرَّايَةُ العَرِيضَةُ، بِالأشرِطَة، لَا أُغَنِّي سِوَاكِ،
وَأَنتِ تُرَفرِفِين هُنَاكَ فِي الأَعَالِي فِي الرِّيح.

أَشرِقي أيتها الأيامُ مِن أغوارِكِ السَّحيقَة

[1]

أَشرِقِي أَيَّتُهَا الأَيَّامُ مِن أَغوَارِكِ السَّحِيقَة، إِلَى أَن تَغمُرِي الجَمِيعَ شَامِخَةً سَاحِقَة،
لَطَالَمَا التَهَمتُ مَا مَنحَته الأَرضُ لِي، بِرُوحِي الشَّرِهَةِ الرِّيَاضِيَّة،
لَطَالَمَا هِمتُ فِي غَابَاتِ الشَّمَال، لَطَالَمَا رَاقَبتُ انهِمَارَ نِيَاجَارَا،
سَافَرتُ عَبرَ البَرَارِي وَنِمتُ عَلَى صَدرِهَا، عَبَرتُ صَحَارَى النِّيفَادَا، عَبَرتُ الهِضَاب،
تَسَلَّقتُ الصُّخُورَ الشَّاهِقَةَ عَلَى امتِدَادِ البَاسِيفِيك، أَبحَرتُ إِلَى البَحر،
أَبحَرتُ خِلَالَ العَاصِفَةِ، فَانتَعَشتُ بِالعَاصِفَة،
شَهِدتُ بِفَرَحٍ الأَفوَاهَ المتَوَعِّدَةَ لِلأَموَاج،
وَلَاحَظتُ انكِسَارَات (المَوج) البَيضَاءَ حَيثُمَا كَانَت تَنطَلِقُ عَالِيَةً، مُتَدَحرِجَة،
وَسَمِعتُ الرِّيحَ تَصفُر، رَأَيتُ الغُيُومَ السَّودَاء،
رَأَيتُ مِن الأَسفَل مَا يَنبَثِق وَيَصَّاعَد (يَا لَه مِن رَائِع! يَا لَه مِن وَحشِي كَقَلبِي، وَقَوِي!)
سَمِعتُ الرَّعدَ الدَّائِمَ إِذ انفَجَر بَعدَ البَرق،
رَصَدتُ الخُيُوطَ النَّحِيلَةَ المفلُولَةَ لِلبرقِ مُفَاجِئَةً وَخَاطِفَةً وَسطَ الصَّخَبِ وَهي تُطَارِدُ بَعضَهَا البَعضَ عَبرَ السَّمَاء؛
هَذِهِ الأَشيَاءُ، وَأَشبَاهُهَا، رَأَيتُهَا، فِي ابتِهَاج— رَأَيتُهَا فِي اندِهَاش، لَكِن فِي تَأَمُّلٍ وَاحتِوَاء،
انبَثَقَت حَولِي كُلُّ القُوَّةِ المُهَدِّدَةِ لِلكَون،

لَكِنَّنِي اغْتَذَيتُ مِنهَا أَنَا وَرُوحِي، اغتَذَيتُ رَاضِيًا، شَامِخًا.

[2]

كَانَ ذَلِكَ جَيِّدًا، يَا رُوحِي– كَانَ استِعدَادًا جَيِّدًا قُمتِ بِه لِي،
الآن نَتَقَدَّم لِنُشبِع جُوعَنَا الشَّاسِعَ الكَامِن،
الآن نَمضِي قُدُمًا لِنَتَلَقَّى مَا لَم تَمنَحه لَنَا أَبَدًا الأَرضُ وَالبَحر،
لَا خِلَالَ الغَابَاتِ العَاتِيَةِ نَمضِي، بَل خِلَالَ المُدُن الأَعتَى،
فَهُنَاكَ مَا يَنهَمِرُ لَنَا الآنَ بِأَكثَر مِمَّا يَنهَمِر نِيَاجَارَا،
سُيُولٌ مِن رِجَالٍ (أَيَّتُهَا اليَنَابِيعُ وَالغُدرَان فِي الغَربِ الشَّمَالِي، أَلَا تَنفَدُون حَقًّا؟)
فَمَاذَا كَانَت تَعنِي، بِالنِّسبَةِ لِلشَّوَارِع والبُيُوتِ هُنَا، عَوَاصِفُ الجِبَالِ وَالبَحرِ هَذِه؟
مَاذَا كَانَت تَعنِي، بِالنِّسبَةِ لِلعَوَاطِف التِي أَرَاهَا حَولِي اليَوم؟ فَهَل فَاضَ البَحر؟
هَل الرِّيحُ تَصفُرُ صَفِيرَ الموتِ تَحتَ الغُيُومِ السَّودَاء؟
انظُرُوا! مِن الأَعمَاقِ بِلَا أَغوَارٍ، شَيءٌ مَا أَكثَر وَحشِيَّةً وَتَهدِيدًا بِالموت،
مَانهَاتِن تَنهَض، تَتَقَدَّم بِجَبِينٍ مُتَوَعِّد– سِينسِينَاتِي وَشِيكَاغُو، مُتَحرِّرَتَان؛
مَا هَذَا العُنفُوَانُ الذِي رَأَيتُه فِي المُحِيط؟ انظُرُوا مَا يَجِيءُ إِلَى هُنَا،
كَيفَ يَصَّاعَدُ بِأَقدَامٍ وَأَيدٍ جَرِيئَة– كَيفَ يَنطَلِق!
كَيفَ يَنفَجِر الرَّعدُ الحَقِيقِي بَعدَ البَرق– كَم هِي مُشرِقَةٌ وَمَضَاتُ البَرق!
كَيفَ تَتَقَدَّم **الدِّيمُوقرَاطِيَّةُ** بِطَرِيقَةٍ انتِقَامِيَّةٍ خَارِقَة، تُضِيئُهَا خِلَالَ الظَّلَام وَمضَاتُ البَرقِ هَذِه!
(لَكِنِّي تَخَيَّلتُ أَنَّنِي أَسمَعُ خِلَالَ الظَّلَامِ عَوِيلًا حَزِينًا وَنَشِيجًا خَفِيضًا،
فِي الهُدُوء المُؤَقَّتِ لِلفَوضَى العَارِمَة).

[3]

هَيَّا أَيُّهَا الرَّعد! تَقَدَّمِي، أَيَّتُهَا **الدِّيمُوقرَاطِيَّة!** اضرَبِي بِقَبضَةٍ انتِقَامِيَّة!

وَارتَفِعِي أَعلَى مِن ذِي قَبل أَيَّتُهَا الأَيَّام، أَيَّتُهَا المُدُن!
اجرِفِي أَكثَر، بَل أَكثَر أَيَّتُهَا العَوَاصِف! لَقَد فَعَلتِ بِي خَيرًا،
وَرُوحِي التِي تَأَهَّبَت فِي الجِبَالِ تَمتَص غِذَاءَكِ القَوِيَّ الخَالِد،
فَلَطَالَمَا سِرتُ فِي مُدُنِي، فِي طُرقَاتِ بَلَدِي خِلَالَ المَزَارِع، عَلَى مَضَض،
وَشَكٌّ مُقرِفٌ يَتَلَوَّى دَاخِلِي كَثُعبَانٍ، زَاحِفًا عَلَى الأَرضِ أَمَامِي،
يَسبِقُ خُطَايَ دَائِمًا، وَكَثِيرًا مَا يَستَدِيرُ إِلَيَّ، وَهو يَفِحُّ بِسُخرِيَة؛
وَالمُدُنُ التِي أَحبَبتُهَا كَثِيرًا هَجَرتُهَا وَغَادَرتُهَا، وَسَارَعتُ إِلَى اليَقِينِ المُلَائِمِ لِي،
جَائِعًا، جَائِعًا، جَائِعًا، إِلَى الطَّاقَات الأَوَّلِيَّةِ وَجَسَارَةِ الطَّبِيعَة،
بِهَا وَحدَهَا أَنعَشتُ نَفسِي، بِهَا وَحدَهَا يُمكِنُنِي الاستِمتَاع،
انتَظَرتُ انفِجَارَ النَّارِ الحَبِيسَةِ– عَلَى المِيَاهِ وَالهَوَاءِ انتَظَرتُ طَوِيلًا؛
لَكِنِّي الآنَ لَم أَعُد أَنتَظِر، فَأَنَا مُشبَعٌ تَمَامًا، أَنَا مُتخَم،
فَقَد شَهِدتُ البَرقَ الحَقِيقِي، شَهِدتُ مُدُنِي المثِيرَة،
لَقَد عِشتُ لأَرَى الإِنسَانَ يَنفَجِر وَأَمِيرِيكَا الحَربِيَّةَ تَنهَض،
وَمِن الآن لَن أَبحَث بَعد الآن عَن طَعَامِ البَرَارِي الشَّمَالِيَّةِ المعزُولَة،
وَلَا تجوَالَ بَعدَ الآن فِي الجِبَالِ وَلَا إِبحَارَ فِي بَحر العَوَاصِف.

ڤرچينيا– الغَــرب

السَّيِّدُ النَّبِيلُ هَوَى فِي أَيَّامِ النَّحس،
رَأَيتُه بِيَدٍ مَرفُوعَةٍ، مُهَدِّدَةٍ، مُلَوِّحَة،
(ذِكرَيَاتٌ قَدِيمَةٌ مُجَمَّدَة، حُب وَإِخلَاصُ مُجَمَّدَان)،
وَالسِّكِّينُ المجنُونَةُ مُوَجَّهَةٌ إِلَى أُم الجَمِيع.

الإِبنُ النَّبِيلُ يَتَقَدَّم بِقَدَمَين مَفتُولَتَين،
رَأَيتُه، خَارِجًا مِن أَرضِ البَرَارِي،
أَرضِ المِيَاهِ فِي أُوهيُو وَإِندِيَانَا،
وَيُسرِعُ العِملَاقُ القَوِي بِدَفعِ أَبنَائِه الكَثِيرِين لِلإِنقَاذ،
فِي ثِيَابٍ زَرقَاء، حَامِلِين بَنَادِقَهُم المَوثُوقَةَ عَلَى أَكتَافِهِم.

آنَئِذٍ تَتَكَلَّم أُم الجَمِيع بِصَوتٍ هَادِئ،
أَمَّا أَنتُم أَيُّهَا المتَمَرِّدُون (بَدَا لِي أَنَّنِي أَسمَعُهَا تَقُول)، لِمَاذَا تَسعُون ضِدِّي، وَلِمَاذَا
تَسعُون وَرَاءَ حَيَاتِي؟
إِذَا كُنتُم أَنفُسكُم تَقُومُون بِالدِّفَاعِ عَنِّي أَبَدًا؟
ذَلِكَ أَنَّكُم قَدَّمتُم لِي وَاشنطُن– وَالآن هؤلَاء أَيضًا.

مدينـــة السُّـــفُن

يَا مَدِينَةَ السُّفُن!
(أَيَّتُهَا السُّفُنُ السَّودَاء! أَيَّتُهَا السُّفُنُ الشَّرِسَة!
أَيَّتُهَا السُّفُنُ الجَمِيلَةُ حَادَّةُ الانحِنَاء، البُخَارِيَّةُ وَالشِّرَاعِيَّة!)
يَا مَدِينَةَ العَالَم! (فَجِمِيعُ الأجنَاسِ هُنَا،
كُل بُلدَانِ الأرضِ تُقَدِّم مُسَاهَمَاتِهَا هُنَا)؛
يَا مَدِينَةَ البَحر! مَدِينَةَ أَموَاجِ المَدِّ المُهَروِلَةِ الوَامِضَة!
مَدِينَةٌ دَائِمًا مَا تَتَقَدَّم أَو تَتَرَاجَعُ أَموَاجُ مَدِّهَا مَرِحَةً، مُندَفِعَةً فِي الدُّخُولِ وَالخُرُوج مَع الدَّوَّامَاتِ وَالزَّبَد!
مَدِينَةُ أَرصِفَة السُّفُن وَالشَّوَاطِئ- مَدِينَةُ الوَاجِهَاتِ الطَّوِيلَةِ مِن رُخَامٍ وَحَدِيد!
أَيَّتُهَا المَدِينَةُ الأَبِيَّةُ الفَخُورَة- المَدِينَةُ الحَمَاسِيَّةُ، المجنُونَةُ، والمتَهَوِّرَة!
انطَلِقِي عَالِيًا أَيَّتُهَا المدِينَة- لَا مِن أَجلِ السَّلَامِ وَحدَه، بَل فَلتَكُونِي نَفسَكِ حَقًّا، مُولَعَةً بِالحَرب،
لَا تَخَافِي- لَا تَخضَعِي لأيَّةِ نَمَاذِج سِوَى نَفسِك أَيَّتُهَا المدِينَة!
انظُرِي إِلَيَّ- تَجَسَّدِي فِيَّ مِثلَمَا تَجَسَّدتُ فِيكِ!
لَم أَرفُض أَيَّ شَيءٍ قَدَّمتِه لِي- مَا تَبَنَّيتِه تَبَنَّيتُه،
لَا أَسأَلكِ أَبَدًا إِن كَانَ جَيِّدًا أَو سَيِّئًا- فَأَنَا أُحِب الكُل- لَا أُدِينُ أَيَّ شَيء،

إِنَّنِي أُغَنِّي وَأَحتَفِلُ بِكُل مَا يَنتَمِي إِلَيكِ- لَكِن كَفَى سَلَامًا بَعد الآن،
فِي السَّلَامِ غَنَّيتُ السَّلَام، لَكِن طُبُولَ الحَربِ الآن هِي طُبُولِي،
فَالحَربُ، الحَربُ الحَمرَاءُ هِي أُغنِيَتِي فِي شَوَارِعِك، أَيَّتُهَا المدِينَة!

حكايَــة المئــوي

متطوِّعًا عام 1861–62 (في واشنطن بارك، بروكلين، مساعدًا لذِي المائة عام)

اعطِني يَدَك أَيُّهَا الثَّورِيُّ العَجُوز،
فَقِمَّةُ التَّل قَرِيبَةٌ، بِضع خُطوَاتٍ فَحَسب (أَفسِحُوا أَيُّهَا السَّادَة)،
لَقَد تَبِعتَنِي جَيِّدًا أَعلَى الطَّرِيق، بِالرُّغمِ مِن أَعوَامِك المِئة وَأَكثَر،
وَيُمكِنُك المَشي أَيُّهَا العَجُوز، بِالرُّغمِ مِن أَن عَينَيكَ لَا تَريَان تَقرِيبًا،
فَقُدرَاتُك تُسَاعِدُك، وَالآن لَا بُد لِي مِن دَفعِهِمَا إِلَى مُسَاعَدَتِي.

فَلتَستَرِح، فِيمَا أُخبِرُكَ بِمَا يَعنِيه الحَشدُ المحِيطُ بِنَا،
فَفِي السَّهلِ الأسفَل يَتَعَلَّم وَيَتَدَرَّب المجَنَّدُون الجُدُد،
هَا هُو المعَسكَر، غدًا تَرحَلُ مِنه كَتِيبَة،
أَتَسمَع الضُّبَّاطَ يُصدِرُون الأَوَامِر؟
أَتَسمَع قَرقَعَة البَنَادِق؟

مَا الذِي جَاءَ بِك إِلَى هُنَا الآنَ أَيُّهَا العَجُوز؟
لِمَاذَا تَرتَعِد وَتَتَشَبَّث بِيَدِي فِي تَشَنُّجٍ هَكَذَا؟
فَالقُوَّاتُ تَتَدَرَّبُ فَحَسب، مُحَاطَةً حَتَّى الآن بِالابتِسَامَات،
حَولَهُم عَن مَقرُبَةٍ الأَصدِقَاءُ وَالنِّسَاءُ المتَأَنِّقُون،

فِيمَا شَمسُ الأُصِيل تُشرِق رَائِعَةً دَافِئَة،
وَخَضرَاءُ نَضَارَةُ مُنتَصَفِ الصَّيف وَمُنعِشًا يَهُب النَّسِيمُ المدَاعِب،
عَلَى المدُنِ الأبِيَّةِ المسَالِمَةِ وَذِرَاعُ البَحرِ بينَهَا.

لَكِن التَّدرِيبَ وَالاستِعرَاضَ انتَهَيَا، وَيَسِيرُون عَائِدِين إِلَى الثُّكنَات،
فَلتَسمَع فَحسب استِحسَانَ الأيدِي ذَاك! يَا لَه مِن تَصفِيق!

مُنطَلِقَةً فِي طَرِيقِهَا تَرحَلُ الحشُودُ الآن وَتَتَفَرَّق– لَكِنَّنَا أَيُّهَا العَجُوز،
لَم أَجِئ بِك إِلَى هُنَا عَبَثًا– فَلَابُد أَن نَبقَى،
أَنتَ لِتَتَكَلَّم بِدَورِك، وَأَنَا لأَسمَعَ وَأَحكِي.

المثــوي

حِين تَشَبَّثتُ بِيَدِك لَم يَكُن عَن رُعب،
لَكِن فَجأَةً يَنهَمِر حَولِي هُنَا فِي كُل جَانِب،
وَهُنَاكَ فِي الأسفَل حَيثُ الأولَاد يَتَدَرَّبُون، وَأَعلَى المنحَدَرَات رَكَضُوا،
وَحَيثُ نُصِبَت الخِيَامُ، وأَينَمَا تَنظُر جَنُوبًا وَفِي الجنُوبِ الشَّرقِي وَالجنُوبِ الغَربِي،
فَوقَ التِّلَالِ، عَبرَ الأرَاضِي الوَطِيئَة، وَحَوَاف الغَابَات،
وَعَلَى امتِدَادِ الشُّطآن، فِي المستَنقَع (المُمتَلِئ عَن آخِرِه الآن) أَتَى مِن جَدِيد وَاهتَاجَ فَجأَة،
مِثلَمَا مُنذ خَمسَةٍ وَثَمَانِين عَامًا لَم يَكُن مُجَرَّد استِعرَاضٍ يَلقَى استِحسَانَ الأصدِقَاء،
بَل مَعرَكَةً شَارَكتُ فِيهَا بِنَفسِي– آي، مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد، شَارَكتُ فِيهَا،
سَائِرًا آنَذَاكَ عَلَى قِمَّةِ التَّل هَذِه، هَذِه الأرض نَفسهَا.

آي، هَا هِي الأرض،
حَتَّى عَينَاي العَميَاوَان تَرَيَانهَا مَأهُولَةً مِن جَدِيد بِالقُبُورِ وَأَنَا أَتَكَلَّم،
تَتَرَاجَع الأعوَامُ، وَالشَّوَارِعُ وَالمَنَازِلُ الفَخِيمَةُ تَتَلَاشَى،
تَظهَر مِن جَدِيدٍ قِلَاعٌ حَصِينَة، وَتُنصَبُ المَدَافِعُ القَدِيمَةُ ذَاتُ الحَلقَات،
أَرَى خُطُوطَ الأرض المرتَفِعَةَ تَمتَد مِن النَّهرِ إِلَى الخَلِيج،
أَرصُد مَشهَدَ المِيَاه، أَرصُد المرتَفعَات وَالمنحَدَرَات؛
هُنَا نَستَلقِي فِي مُخَيَّم، كَان ذَلِكَ الحِين فِي الصَّيفِ أَيضًا.

وَأَنَا أَتَكَلَّم أَتَذَكَّر كُل شَيء، أَتَذَكَّر إِعلَانَ الاستِقلَال،
قُرِئ هُنَا، وَقَامَ الجَيشُ كُلُّه بِاستِعرَاض، قُرِئ عَلَينَا هُنَا،
كَانَ القَائِد يَقِف فِي المنتَصَفِ مُحَاطًا بِمُسَاعِدِيه، رَافِعًا سَيفَه المُشهَر،
كَانَ يَلتَمِع فِي الشَّمس عَلَى مَرأًى مِن الجَيش.

كَان ذَلِكَ فِعلًا جَسُورًا آنذَاك– كَانَت السُّفُنُ الحَربِيَّةُ الإنجلِيزِيَّةُ قَد وَصَلَت لِلتَّو،
وَكَانَ يُمكِنُنَا أَن نَرَى فِي الأَسفَل الخَلِيجَ الأَدنَى حَيثُ تَرسُو،
وَنَاقِلَاتُ الجُنُود تَحتَشِدُ بِالعَسكَر.

بَعدَ بِضعَةِ أَيَّام رَسَت، وَبَعدَهَا المَعرَكَة.

عِشرُون أَلفًا جِيء بِهِم لِقِتَالِنَا،
قُوَّةٌ مُحنَّكَة مُزَوَّدَةٌ بِمَدفَعِيَّةٍ جَيِّدَة.

لَا أَحكِي الآن عَن المعرَكَةَ كُلِّهَا،
بَل عَن كَتِيبَةٍ وَاحِدَةٍ صَدَرَت لَهَا الأَوَامِر فِي بِدَايَةِ الضُّحَى بِالتَّقدُّم لِلاشتِبَاكِ مَع

المعَاطِفِ الحَمرَاء،
فَعَن هَذِه الكَتِيبَةِ أَحكِي، وَكيفَ سَارَت فِي ثَبَات،
وَكَم وَكيفَ وَقَفَت فِي مُواجَهَةِ الموت.

مَن ذَا الذِي تَظُنُّه كَان يَسِير بِثَبَاتٍ وَرَصَانَةٍ مُوَاجِهًا الموت؟
كَانَت الكَتِيبَةُ مِن الشُّبَّان، أَلفَين مِن الأَشِدَّاء،
تَرَبَّوا فِي فِرچِينيَا وَمِيرِيلَاند، وَمُعظَمُهُم مَعرُوفُون شَخصِيًّا لِلقَائِد.

فِي خُيَلَاءٍ مَضَوا إِلَى الأَمَامِ بِخُطوَةٍ سَرِيعَةٍ نَحوَ مِيَاه "جوَانُوس"،
إِلَى أَن تَقَدَّم البِرِيطَانِيُّون، فَجأَةً عَلَى غَيرِ انتظَارٍ مِن الشِّعَابِ خِلَالَ الغَابَات التِي احتَلُّوهَا فِي اللَّيل،
مُحِيطِين بِهِم مِن الشَّرق، مُطلِقِين نِيرَانَهُم بِوَحشِيَّة،
تَمَزَّقَت هَذِه الكَتِيبَةُ مِن الشُّبَّان وَأَصبَحُوا تَحتَ رَحمَةِ العَدُو.

كَان القَائِدُ يُشَاهِدُهُم مِن هَذَا التَّل،
قَامُوا بِمُحَاوَلَاتٍ يَائِسَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ لاختِرَاقِ حِصَارِهِم،
ثُم تَقَارَبُوا مِن بَعضِهِم البَعض، مُندَمِجِين تَمَامًا، وَعَلَمُهُم يُرَفرِفُ فِي المنتَصَف،
لَكِن آه كَم كَان المدفَعُ مِن أَعلَى التَّل يأكُل مِنهُم وَيأكُل!

إِنَّهَا حَتَّى الآن تُصِيبُنِي بِالغَثَيَان، تِلكَ المجزَرَة!
رَأَيتُ العَرَقَ يَتَجَمَّعُ قَطَرَاتٍ عَلَى وَجهِ القَائِد.
رَأَيتُ كَيف اعتَصَرَ يَدَيه فِي غَضَب.

فِي نَفسِ الوَقت نَاوَرَ البِرِيطَانِيُّون لِيَسحَبُونَا إِلَى مَعرَكَةٍ مُتَلَاحِمَة،

لَكِنَّنَا لَم نَكُن وَاثِقِين مِن فُرَصِ مَعرَكَةٍ مُتَلَاحِمَة.

خُضنَا المعرَكَة فِي مَجمُوعَاتٍ مُنفَصِلَة،
مُهَاجِمِين قَاتَلنَا فِي عِدَّةِ نِقَاطٍ، لَكِن فِي كُلٍّ مِنهَا كَان الحَظ ضِدَّنَا،
كَان عَدُوُّنَا يَتَقَدَّم، مُحتَلًّا بِثَبَاتٍ أَفضَلَ المَوَاقِع، وَدَفَعَنَا القَهقَرَى إِلَى تَحصِينَاتِ هَذَا التَّل،
إِلَى أَن استَدَرنَا مُهَدِّدِين لَه هُنَا، وَآنَئِذٍ تَرَكْنَا.

كَانَ ذَلِكَ مَآلَ كَتِيبَةِ الشُّبَّان، الألفَين الأَشِدَّاء،
لَم يَعُد سِوَى القَلِيل، وَبَقِي الكُل تَقرِيبًا فِي برُوكلِين.

ذَلِك وَهُنَا كَانَت المعرَكَةُ الأُولَى لِقَائِدِي،
لَا تَظهَر نِسَاءٌ وَلَا شُرُوقُ الشَّمسِ لِنَدفَأ، وَلَم تُختَتَم بِالتَّصفِيق،
آنَئِذٍ مَا مِن أَحدٍ صَفَّق.

لَكِن فِي الظَّلَام فِي الضَّبَابِ عَلَى الأَرض تَحتَ مَطَرٍ صَقِيعِي،
مُتعَبِين رَقَدنَا فِي تِلكَ اللَّيلَةِ مُحبَطِين وَغَاضِبِين،
فِيمَا كَان يَضحَكُ بَاحتِقَارٍ سَادَةٌ مُتَغطرِسُون كَثِيرُون كَانُوا يُعَسكِرُون فِي مُوَاجَهَتِنَا،
عَلَى مَسمَعٍ مِنَّا تَمَامًا، مُحتَفِلِين بِالانتِصَار، قَارِعِين كُؤُوس النَّبِيذِ بِبَعضِهَا البَعض.

يَومٌ آخَر مُكفَهِر وَبَلِيل،
لَكِن فِي لَيلِه، انقَشَع الضَّبَاب، وَتَوَقَّفَ المطَر،
صَامِتًا كَشَبَح، فِيمَا كَانُوا يَظُنُّون أَنَّهُم قَد نَالُوا مِنه، انسَحَبَ قَائِدِي.

رَأيتُه عَلَى جَانِبِ النَّهر،
فِي الأسفَل عِندَ المعَدِّيَّةِ التِي تُضِيؤُهَا المشَاعِل، مُتعَجِّلًا الرُّكُوب؛
انتَظَر قَائِدِي إِلَى أَن رَكِب جَمِيعُ الجُنُودِ وَالجرحَى،
وَبَعدَهَا (كَان ذَلِك قَبل الشُّرُوقِ تَمَامًا) حَطَّت عَلَيه هَاتَان العَينَان لِلمَرَّةِ الأخِيرَة.

كَان الآخَرُون مُفعَمِين جَمِيعًا بِالكَآبَة،
وَلَا شَك فِي أَن الكَثِيرِين قَد فَكَّرُوا فِي الاستِسلَام.

لَكِن حِين مَرَّ بِي قَائِدِي،
وَهو وَاقِفٌ فِي القَارب وَنَظَر إِلَى الشَّمسِ البَازِغَة،
رَأَيتُ شَيئًا آخَر غَير الاستِسلَام.

خاتمَــة

كَفَى، حِكَايَةُ المِئَوِي تَنتَهِي،
الاثنَان، المَاضِي وَالحَاضِر، تَبَادَلَا المكَان،
أَنَا نَفسِي بِاعتِبَارِي الرَّابِط بَينَهُمَا، مُغَنِّي مُستَقبَلٍ عَظِيم، مَن يَتَكَلَّم الآن.

وَهَل هَذِه هِي الأَرضُ التِي خَطَا عَلَيهَا وَاشنطُون؟
وَتِلك المِيَاه التِي أَعبُرُهَا يومِيًّا فِي فُتُور، أَهي المِيَاه التِي كَانَ يَعبُرُهَا،
رَاسِخَ العَزِيمَةِ فِي الهَزِيمَةِ شَأن القَادَةِ الآخَرِين فِي أَزهَى انتِصَارَاتِهِم؟

لَابُد لِي مِن نَسخِ الحِكَايَة، وإِرسَالِهَا شَرقًا وَغَربًا،

لَابُد لِي مِن الاحتِفَاظِ بِتِلك النَّظرَة مِثلَمَا وَمَضَت عَلَيكِ يَا أَنهَارَ برُوكلِين.

انظُرُوا– فَحِين تَعُودُ الحلقَةُ السَّنوِيَّةُ تَعُودُ الأطيَاف،
إِنَّه السَّابِعُ والعِشرُون مِن أَغسطُس وَقَد رَسَا البرِيطَانِيُّون،
تَبدَأ المعرَكَةُ وَتَمضِي ضِدَّنَا، فَانظُرُوا خِلَالَ الدُّخَان إِلَى وَجهِ وَاشِنطُون،
سَارَت كَتيبَةُ فِرجِينيَا ومِيرِيلَاند قُدُمًا لِاعتِرَاضِ العَدُو،
لَكِنَّهَا حُوصِرَت، وَانهَالَت عَلَيهِم مَدفَعِيَّةٌ دَمَوِيَّةٌ مِن التِّلَال،
يَتَسَاقَط صَفٌّ بَعدَ صَف، فِيمَا يَهوِي فَوقَهُم فِي صَمتِ العَلَم،
مُعَمَّدًا فِي ذَلِكَ اليَومِ بِالجِرَاحِ الدَّامِيَةِ لِلشُّبَّان الكَثِيرِين،
بِالموتِ، بِالهَزِيمَة، وَدُمُوعِ الأخوَاتِ وَالأُمَّهَات.

آه، يَا تِلَالَ وَمُنحَدَرَاتِ برُوكلِين! أَظُن أَنَّكُم أَغلَى مِمَّا افتَرَض مُلَّاكُكُم؛
فِي وَسطِكُم يَنتَصِبُ مُعَسكَرٌ غَابِر،
يَنتَصِبُ إِلَى الأبَدِ مُعَسكَرُ تِلكَ الكَتِيبَةِ القَتِيل.

خيَّالـة يعبرون مخاضةَ نَهر

طَابُورٌ طَوِيلٌ يَتَسَلَّل مُتَلَوِّيًا فِيمَا بَين جُزُر خَضرَاء،
يَتَّخِذُون مَسَارًا ثُعبَانِيًّا، وَأَسلِحَتُهُم تُومِض فِي الشَّمس- اسمَعُوا القَرقَعَةَ الموسِيقِيَّة،
وَانظُرُوا إِلَى النَّهرِ الفِضِّي، فِيه تَتَسَكَّع الأحصِنَةُ لِتَشرَب نَاثِرَةً لِلرَّذَاذ،
انظُرُوا إِلَى الرِّجَالِ دَاكِنِي الوُجُوه، وَكُلٌّ مَجمُوعَة، كُل وَاحِدٍ لَوحَةٌ، وَالاستِرَاحَةُ خَلِيَّةُ البَال
عَلَى السُّرُوج،
البَعضُ يَظهَرُون علَى الضِّفَّةِ المقَابِلَة، وَآخَرُون يَدخُلُون لِتَوِّهِم المخَاضَة،
فِيمَا، قُرمُزِيَّةٌ وَزَرقَاء وَفِي بَيَاضِ الثَّلج،
تُرَفرِفُ الرَّايَاتُ الصَّغِيرَةُ بِمَرَحٍ فِي الرِّيح.

مُعسكر مؤقّت على سفح جبَل

أَرَى الآنَ أَمَامِي جَيشًا مُرتَحِلًا يَتوقّف،
فِي الأسفَل يَمتَد سَهلٌ خَصِيبٌ، فِيه مَخَازِنُ غِلَالٍ وَبَسَاتِين الصَّيف،
فِي الوَرَاء، السُّفُوحُ ذَات المَصَاطِب لأحَدِ الجِبَال، تَرتَفِعُ عَالِيَةً بِصُورَةٍ حَادَّة،
مُتَكَسِّرَةً، ذَات صُخُور، وَأَشجَارُ أَرزٍ تَتَشَبَّث بِهَا، مَعَ أَشكَالٍ طَوِيلَةٍ مَرئِيَّةٍ بِالكَاد،
النِّيرَانُ الكَثِيرَةُ لِلمُعَسكَر مُتَنَاثِرَةٌ هُنَا وَهُنَاك، وَبَعضُهَا بَعِيدٌ عَالِيًا عَلَى الجَبَل،
الأشكَالُ الشَّبَحِيَّةُ لِلرِّجَالِ وَالأحصِنَة، تَبدُو ضَخمَةً، وَامِضَة،
وَفَوقَ الجَمِيع السَّمَاء– السَّمَاء! بَعِيدَة، بَعِيدةَ المَنَال، وَبَارِزَةٌ، مُتَنَاثِرَةً هُنَا وَهُنَاك النُّجُومُ الأَبَدِيَّةُ.

فيالق عسكريَّة في المسير

مَعَ حَشدِ مُقَاتِلِيهَا خِلَالَ التَّقدُّم،
مَع صَوتِ طَلقَةٍ وَاحِدَةٍ تَصفُر كَالسَّوطِ حينًا، وَحِينًا مَعَ وَابِلٍ مُفَاجِئ،
تَتَقَدَّم الصُّفُوفُ الحَاشِدَةُ وَتَتَقَدَّم، الكَتَائِبُ الكَثِيفَةُ تَتَقَدَّم،
تُومِضُ فِي وَهَنٍ، تُعَانِي تَحتَ الشَّمس- وَالرِّجَالُ المترِبُون،
فِي طَوَابِير يَصعَدُون وَيَسقُطُون فِي تَمَاوُجَاتِ الأَرض،
مَع مَدَافِع مُتَنَاثِرَةٍ هُنَا وَهُنَاك- المركَبَاتُ تُقَرقِع، وَالخيُولُ تَعرَق،
فِيمَا تَتَقَدَّم فَيَالِقُ الجَيش.

عند شُعلة المعسكر المتذَبذِبَة

عِندَ شُعلَةِ المَعسكَرِ المُتذَبذِبَة،
يَنعَطِفُ حَولِي مَوكِبٌ، مهِيبًا وَجَمِيلًا وَبَطِيئًا- لَكِنَّ أَوَّلَ مَا أَلحَظُه،
خِيَامُ الجَيشِ النَّائِم، الخَطُّ الخَارِجي المعتِمُ لِلحُقُولِ وَالغَابَات،
الظَّلَامُ الذِي تُضِيئُه نِقَاطٌ مِن نِيرَانٍ مُشتَعِلَة، الصَّمت،
وَكَشَبَحٍ بِعِيد أَو قَرِيبٍ يَتَحَرَّك شَخصٌ مَا بَين الحِين وَالحِين،
وَالشُّجَيرَاتُ وَالأشجَار (حِين رَفَعتُ عَينَيَّ بَدَت لِي كَأَنَّهَا تَستَرِقُ النَّظَرَ إِلَيَّ)،
فِيمَا الأفكَارُ تَدُورُ فِي شَكلِ مَوكِب، يَا لَهَا مِن أَفكَارٍ رَهِيفَةٍ وَعَجِيبَة،
عَن الحَيَاةِ وَالموتِ، عَن البَيتِ وَالمَاضِي وَالأحِبَّاء، وَعَن أُولَئِك البَعِيدِين؛
مَوكِبٌ مهِيبٌ وَبَطِيءٌ هُنَاكَ حَيثُ أَجلِسُ عَلَى الأرض،
عِندَ الشُّعلَةِ المُتَذبذِبَةِ لِلمُعَسكَر.

فلتعُد من الحقــل يَا أبي

فَلتَعُد مِن الحقلِ يَا أَبِي، هَا هُو خِطَابٌ مِن عَزِيزِنَا "بِيت"،
وَتَعَالَي إِلَى البَابِ الأمَامِي يَا أُمِّي، فَهَا هُو خُطَابٌ مِن ابنِك العَزِيز.

انظُرُوا، هُو الخَرِيف،
انظُرُوا، حَيثُ الأشجَارُ، دَاكِنَةُ الخُضرَة، أَكثَر اصفِرَارًا وَحُمرَة،
تُنعِشُ وَتُضفِي العُذُوبَةَ عَلَى قُرَى أُوهيُو بِأَورَاقٍ تُرفرِفُ فِي النَّسِيمِ الوَاهِي،
حَيثُ يَنضُج التُّفَّاحُ مُتدلِّيًا فِي البَسَاتِين وَالأعنَابُ فِي تَعرِيشَاتِ الكُرُوم،
(هَل تَشُم رَائِحَةَ الأعنَابِ فِي الكُرُوم؟
هَل تَشُم الحِنطَةَ السَّودَاء حَيثُ كَانَ يَطِن النَّحلُ مُنذُ قَلِيل؟)
وَفَوقَ كُل شَيءٍ، انظُرُوا، السَّمَاءُ بَالِغَةُ الهُدُوء، بَالِغَةُ الشَّفَافِيَة بَعدَ المَطَر، بِغُيُومٍ رَائِعَة،
فِي الأسفَل أَيضًا، كُل شَيءٍ هَادِئ، حَيَوِيٌّ وَجَمِيل، وَالمزرَعَةُ مُزدَهِرَة.

فِي الأسفَل فِي الحقُول يَزدَهِرُ كُل شَيء،
لَكِن الآن تَعَالَ مِن الحقلِ يَا أَبِي، تَعَالَ عَلَى نِدَاءِ الإِبنَة،
وَتَعَالَي إِلَى المدخَلِ يَا أُمِّي، إِلَى البَابِ الأمَامِي تَعَالَي فِي الحَال.

بِأَسرَعَ مَا تَستَطِيع تُسرِع، ثَمة شَيءٌ مَا مَشئُوم، خُطَاهَا تَرتَعِد،

لَا تَتَوَانَى لِتَسَوِّي شعرَهَا وَلا لِتَضبِطَ قُبَّعَتَهَا.

افتح المظرُوفَ سَرِيعًا،
آهِ لَا لَيسَ خَط ابنِنَا، وَلَا تَوقِيعَ بِاسمِه،
آهِ إِنَّهَا يَدٌ غَرِيبَةٌ تَكتُب لابنِنَا العَزِيز، يَا لَرُوحِ الأُم المصدُومَة!
كُل شَيءٍ يَتَمَاوَج أَمَامَ عَينَيهَا، يُومِض أَسوَد، لَا تَلتَقِط سِوَى الكَلِمَاتِ الأَسَاسِيَّة،
عِبَارَاتٌ مُتَكَسِّرَة، *جُرحُ رَصَاصَةٍ فِي الصَّدر، مُنَاوَشَةٌ لِخَيَّالَة، نُقِلَ إِلَى المستَشفَى،*
حَالِيًّا حَالَتُه سَيِّئَة، لَكِنَّه سرعَانَ مَا سَيَتَحَسَّن.

آهِ هُو الآنَ الشَّخصُ الوَحِيدُ لِي،
وَسطَ كُل أُوهيُو الحَاشِدَةِ وَالثَّرِيَّة بِكُل مُدُنِهَا وَمَزَارِعِهَا،
بِبَيَاضِ المَرَضِ فِي وَجهِهَا وَالتَّشَوُّشِ فِي رَأسِهَا، بَالِغَةَ الوَهَن،
تَستَنِد بِجَانِبِهَا إِلَى أَحَدِ الأَبوَاب.

لَا تَحزَنِي هَكَذَا، يَا أُمِّي العَزِيزَة (تَتَكَلَّم الإِبنَةُ الشَّابَّةُ خِلَالَ نَشِيجِهَا،
تَلتَف حَولَهَا الأَخوَاتُ الصَّغِيرَاتُ بِلَا كَلَام مُحبَطَات)،
انظُرِي، يَا أُمِّي العَزِيزَة، فَالخِطَابُ يَقُولُ إِن بِيت سرعَانَ مَا سَيَتَحَسَّن.

وَا أَسَفَاه عَلَى الصَّبِي البَائِس، فَلَن يَتَحَسَّن أَبَدًا (وَقَد لَا تَحتَاجُ إِلَى التَّحَسُّن، تِلكَ الرُّوحُ الجَسُورَةُ البَسِيطَة)،
فَفِيمَا كَانُوا يَقِفُون إِلَى بَابِ البَيتِ كَان قَد مَاتَ بِالفِعل،
الإِبنُ الوَحِيدُ مَات.

لَكِن الأُم بِحَاجَةٍ إِلَى التَّحَسُّن،

بِقَوَامٍ نَحِيلٍ تَرتَدِي الأَسوَدَ الآن،
طَعَامُهَا لَا يُمَس طُوَالَ اليَوم، ثُم تَنَام فِي اللَّيلِ بِصُورَةٍ مُتَقَطِّعَةٍ، مُستَيقِظَةً غَالِبًا،
مُستَيقِظَةً فِي مُنتَصَفِ اللَّيل، مُنتَحِبَةً، مَلهُوفَةً لهفَةً عمِيقَة،
آهِ إِلَى حَدِّ أَن تَنسَحِبَ خِفيَةً، صَامِتَةً تَهرُب مِن الحَيَاةِ وَتَنسَحِب،
لَتَتبَع، لِتَبحَث، لِتَكُون مَعَ ابنِهَا العَزِيز المَيِّت.

ذات ليلةٍ قضيتُ سهرةً غريبةً في حقل

ذَات لَيلَةٍ قَضَيتُ سَهرَةً غَرِيبَةً فِي حَقل؛
حِين سَقَطْتَ إِلَى جِوَارِي ذَلِكَ اليَوم يَا ابنِي وَرَفِيقِي،
لَم أُلقِ عَلَيكَ سِوَى نَظرَةٍ وَاحِدَةٍ رَدَّتهَا عَينَاكَ العَزِيزَتَان بِنَظرَةٍ لَن أَنسَاهَا أَبَدًا،
لَمسَةٌ وَاحِدَةٌ مِن يَدِكَ لِيَدِي أَيُّهَا الوَلَد، بَلَغَتنِي وَأَنتَ تَستَلقِي عَلَى الأرض،
ثُم أَسرَعتُ إِلَى الأَمَام فِي المعرَكَة، المعرَكَةِ السِّجَال،
إِلَى أَن أَنهَيتُ نَوبَتِي أَوَاخِرَ اللَّيل فِي النِّهَايَةِ وَأَخَذتُ طَرِيقِي مِن جَدِيدٍ إِلَى مَكَانِي،
فَوَجَدتُكَ يَا رَفِيقِي العَزِيز فِي مَوتٍ بَارِد، وَجَدتُ جَسَدَكَ ابنَ القُبلاتِ المتَجَاوِبَة (لَن تَتَجَاوَب أَبَدًا عَلَى وَجهِ الأرض مِن جَدِيد)،
عَرَّيتُ وَجهَكَ عَلَى ضَوءِ النُّجُوم، مَشهَدٌ غَرِيب، كَانَ نَسِيمُ اللَّيل الوَاهِي يَهُب بَارِدًا،
وَطَوِيلًا هُنَاكَ وَآنَذَاك وَقَفتُ سَاهِرًا، وَمَيدَانُ المعرَكَةِ يَمتَد حَولِي مُعتِمًا،
سَهرَةٌ عَجِيبَةٌ وَسَهرَةٌ عَذبَةٌ هُنَاك فِي اللَّيل الصَّامِتِ العَطِر،
لَكِن مَا مِن دَمعَةٍ سَقَطَت، وَلَا حَتَّى تَنهِيدَة طَوِيلَة، طَوِيلًا، طَوِيلًا حَدَّقتُ،
ثُم عَلَى الأرض جَلَستُ شِبه مُمَدَّدٍ إِلَى جَانِبِك مُسنِدًا ذَقنِي فِي يَدَيّ،
لِأَقضِي سَاعَاتٍ عَذبَةً، سَاعَاتٍ خَالِدَةً وَصُوفِيَّةً مَعَك يَا رَفِيقِي الأَعَز– بِلَا دَمعَةٍ، بِلَا كَلِمَة،
سَهرَةُ صَمتٍ، وَحُب وَمَوت، سَهرَةٌ مِن أَجلِك يَا ابنِي وَجُندِيَّ،
فِيمَا النُّجُومُ فِي الأَعَالِي تَتَقَدَّم فِي صَمت، ونَجمَاتٌ جَدِيدَةٌ انسَلَّت فِي الأَعَالِي نَحوَ

الشَّرق،
سَهرَةٌ أَخِيرَةٌ مِن أَجلِكَ أَيُّهَا الوَلَدُ الشُّجَاع (لَم أَستَطِع إِنقَاذَك، كَانَ مَوتُك خَاطِفًا،
أَحبَبتُك بِإِخلَاصٍ وَرَعَيتُكَ فِي حَيَاتِك، وَأَظُن أَننَا سَنَلتَقِي مِن جَدِيدٍ بِالتَّأكِيد)،
إِلَى أَن لَفَفتُ رَفِيقِي فِي بَطَّانِيَّتِه، لَفَفتُ جَيِّدًا جَسَدَه،
فِي الهَزِيعِ الأَخِيرِ مِن اللَّيل، مَا إِن ظَهَر الفَجرُ حَقًّا،
فَطَوَيتُ البَطَّانِيَّةَ جَيِّدًا، وَثَنَيتُهَا بِعِنَايَةٍ فَوقَ الرَّأسِ وَتَحتَ القَدَمَين،
وَهُنَاكَ وَآنَذَاك، متَحَمِّمًا بِالشَّمسِ المشرِقَة، وَضَعتُ ابنِي فِي قَبرِه، قَبرِهِ المحفُورِ بِبِدَائِيَّة،
مُختَتِمًا سَهرَتِي الغَرِيبَةَ بِذَلِك، سَهرَةَ لَيلَةٍ وَمَيدَانِ مَعرَكَةٍ مُعتِم،
سَهرَةَ ابن القُبلَاتِ المُتَجَاوِبَةِ (لَن تَتَجَاوَب أَبَدًا عَلَى وَجهِ الأَرض مِن جَدِيد)،
سَهرَةٌ مِن أَجلِ رَفِيقٍ اغتِيل بِصُورَةٍ خَاطِفَة، سَهرَةٌ لَا أَنسَاهَا أَبَدًا، كُلَّمَا طَلَعَ نَهَار،
نَهَضتُ مِن الأَرضِ الثَّلجِيَّةِ وَلَفَفتُ جُندِيَّ جَيِّدًا فِي بَطَّانِيَّتِه،
وَدَفَنتُه حَيثُ هَوَى.

مسيرةٌ في الصفُوف المأزومة، والطريق المجهول

مَسِيرَةٌ فِي الصُّفُوفِ المأزُومَةِ، وَالطَّرِيقِ المجهُول،
دَربٌ خِلَالَ غَابَةٍ كَثِيفَةٍ بِوَقعِ خُطَى مُختَنِقَةٍ فِي الظَّلَام،
جَيشُنَا أُصِيبَ بِخسَارَةٍ فَادِحَة، وَالبَقِيَّةُ المغمُومَة تَترَاجَع،
إِلَى أَن تُومِض فَوقَنَا بَعد مُنتَصَفِ اللَّيل أَضوَاءُ مَبنًى كَامِدِ الضَّوء،
نَصِلُ إِلَى مَكَانٍ مَفتُوح فِي الغَابَات، وَنَتَوَقَّف عِندَ المبنَى الكَامِد،
هُو كَنِيسَةٌ قَدِيمَةٌ كَبِيرَة فِي مُفتَرَقِ الطُّرُق، الآنَ مُستَشفًى مُرتَجلة،
أَرَى عِندَ دُخُولِي لِدَقِيقَةٍ مَشهَدًا يَتَجَاوَز كُلَّ اللَّوحَاتِ وَالقَصَائِد التِي أُنجِزَت مِن قَبل،
ظِلَالٌ مِن أَعمَقِ أَعمَقِ سَوَاد، لَا يُضِيئُهَا سِوَى شُمُوع وَمَصابِيح مُتَحَرِّكَة،
وَعِندَ مِشعَلٍ كَبِيرٍ دَبِقٍ وَثَابِت ذِي شُعلَةٍ حَمرَاء وَغُيُومٍ مِن دُخَان،
عِنده، جُمُوعٌ، وَمَجمُوعَاتٌ مِن أَشكَالٍ أَرَاهَا بِصُورَةٍ غَائِمَةٍ عَلَى الأَرض، بَعضُهُم مُمَدَّد عَلَى الدَّكك،
وَعِندَ قَدَمَيَّ جُندِيٌّ بِصُورَةٍ وَاضِحَة، مُجَرَّدُ شَاب، فِي خَطَر النَّزفِ حَتَّى المَوت (أُصِيبَ فِي بَطنِه)،
أُوقِفُ النَّزِيفَ مُؤَقَّتًا (وَجهُ الفَتَى أَبيَض كَالزَّنبَق)،
ثُم قَبلَ أَن أَرحَل أَمُر بِعَينَيَّ عَلَى المشهَدِ حَتَّى أَستَوعِبَه كُلَّه،
وُجُوهٌ، تَنوِيعَاتٌ، أَوضَاعٌ فَوقَ الوَصف، مُعظَمُهَا فِي العَتمَة، بَعضُهُم مَوتَى،
وَجَرَّاحُون يُجرُون عَملِيَّات، وَمُسَاعِدُون يَحمِلُون أَضوَاء، وَرَائِحَةُ الإِثِير، وَرَائِحَةُ الدَّم،

الزِّحَام، آهِ زِحَامُ الأشكَالِ الدَّامِيَة، وَالفِنَاءُ أَيضًا مُمتَلِئ،
البَعضُ عَلَى الأرضِ العَارِيَة، وَالبَعضُ عَلَى أَلوَاحِ خَشَبٍ أَو مِحَفَّات، وَالبَعضُ فِي عَرَقِ
تَشَنُّجَاتِ الاحتِضَار،
صَرخَةٌ أَو آهَةٌ بَينَ الحِينِ وَالحِين، أَوَامِرُ أَو نِدَاءَاتُ الطَّبِيبِ الصَّارِخَة،
وَالتِمَاعَةُ الأدَوَاتِ الحَدِيدِيَّةِ الصَّغِيرَةِ تَلتَقِي بِوَمِيضِ المشَاعِل،
هَذَا مَا أَستَعِيدُه وَأَنَا أُنشِد، أَرَى مِن جَدِيدٍ الأشكَال، أَشُم الرَّائِحَة،
ثُم أَسمَعُ بِالخَارِجِ الأَوَامِرَ تُلقَى، *اصطَفُّوا، يَا رِجَالِي، اصطَفُّوا*؛
لَكِنَّنِي أَنحَنِي أَوَّلًا عَلَى الفَتَى المحتَضِر، عَينَاه مَفتُوحَتَان، وَشِبه ابتِسَامَةٍ يُقَدِّمُهَا لِي،
ثُم أُغمِضُ العَينَين، أُغمِضُهُمَا بِهُدُوءٍ، وَأُسرِعُ قُدُمًا إِلَى الظَّلام،
مُستَذكِرًا، سَائِرًا، دَائِمًا سَائِرًا فِي الظَّلَام، فِي الصُّفُوف،
وَالطَّرِيقُ المجهُولُ مَا يَزَالُ يَسِير.

مشهدٌ في معسكر عند مطلع الفَجر الرمَادي المعتم

مَشهَدٌ فِي مُعُسكَرٍ عِندَ مَطلَعِ الفَجرِ الرَّمَادِي المعتِم،
فِيمَا أَخرُجُ مِن خَيمَتِي مُبَكِّرًا لِلغَايَةِ بِلَا نَوم،
فِيمَا أَتَمَشَّى الهُوَينَى فِي الهَوَاءِ البَارِدِ المنعِش بِالمَمر القَرِيبِ مِن خَيمَةِ المستَشفَى،
أَرَى ثَلَاثَة أَشكَالٍ تَستَلقِي عَلَى مِحَفَّات، أُخرِجُوا إِلَى هُنَاكَ يَستَلقُون بِلَا رِعَايَة،
عَلَى كُلٍّ مِنهُم البَطَّانِيَّةُ مَفرُودَة، بَطَّانِيَّةٌ بَائِسَةٌ صُوفِيَّةٌ بُنِّيَّة،
بَطَّانِيَّةٌ ثَقِيلَةٌ وَرَمَادِيَّة، مَطوِيَّة، تُغَطِّي الكُل.

أَتَوَقَّفُ فِي فُضُولٍ وَأَقِف صَامِتًا،
ثُم بِأَصَابِعَ خَفِيفَةٍ أَرفَع البَطَّانِيَّةَ عَن وَجهِ الأَوَّل الأقرَب مِنِّي؛
مَن أَنتَ أَيُّهَا الرَّجُل العجُوزُ شَدِيدُ النُّحُولِ وَالجَهَامَة، بِشَعرٍ رَمَادِيٍّ تَمَامًا، وَالجِلدِ الغَائِرِ حَولَ العَينَين؟
مَن أَنتَ يَا رَفِيقِي العَزِيز؟

ثُم أَخطُو إِلَى الثَّانِي– وَمَن أَنتَ يَا طِفلِي يَا عَزِيزِي؟
مَن أَنتَ أَيُّهَا الوَلَدُ العَذبُ بِخَدَّين مَا يَزَالَان مُتَوَرِّدَين؟

ثُم إِلَى الثَّالِث– وَجهٌ لَا بِالطُّفُولِي وَلَا بِالعَجُوز، بَالِغُ الهُدُوء، كَأَنَّه مِن عَاجٍ أَبيَض

مُصفَر جَمِيل؛
أَيُّهَا الشَّاب أَظُن أَنِّي أَعرِفُك– أَظُن أَن هَذَا الوَجهَ هُو وَجهُ المسِيح ذَاتِه،
مَيِّتًا وَسَمَاوِيًّا وَشَقِيقًا لِلجَمِيع، وَهُنَا مِن جَدِيدٍ يَستَلقِي.

مُرهقًا تَجولتُ في غابات ڤرچينيا

مُرهَقًا تَجَوَّلتُ فِي غَابَاتِ ڤِرچِينيَا،
عَلَى مُوسِيقَى حَفِيفِ أَورَاقِ الشَّجِرِ التِي تركُلهَا قَدَمَاي (فَقَد كَانَ الخَرِيفِ)،
لَاحظتُ أَسفَل شَجَرَةٍ قَبرَ جُندِي؛
أُصِيبَ إِصَابَةً قَاتِلَةً وَدُفِن عِندَ الانسِحَاب (يُمكِنُنِي بِبَسَاطَة فَهمَ كُل ذَلِك)،
لَا وَقتَ لِلتَّوَقُّفِ سَاعَةً فِي الظَّهِيرَة، عِندَ الاستِرَاحَة!– لَكِن هَذهِ الإِشَارَةَ مَترُوكَة،
عَلَى لَوحٍ نُقِشَ وَسُمِّر فِي الشَّجَرَةِ المجَاوِرَة لِلقَبر،
جَسُورٌ، مُحَاذِرٌ، أَصِيل، وَرَفِيقِي الحَبِيب.

طَوِيلًا، طَوِيلًا أُفَكِّر، آنَئِذٍ هَائِمًا فِي طَرِيقِي،
تَتَتَابَع فُصُولٌ مُتَغَيِّرَة، وَمَشَاهِدُ عَدِيدَةٌ لِلحَيَاة،
لَكِنِّي بَينَ الحِينِ وَالحِين خِلَالَ الفَصلِ وَالمشهَدِ المُتَغَيِّر، فَجأَةً، وَحِيدًا، أَو فِي الشَّارِعِ المزدحِم،
يُوَاجِهُنِي قَبرُ الجُندِي المجهُولِ، يُواجِهُنِي النَّقشُ البِدَائِي فِي غَابَاتِ ڤِرچِينيَا،
جَسُورٌ، مُحَاذِرٌ، أَصِيل، وَرَفِيقِي الحَبِيب.

ليس القُبطــان

لَا القُبطَان الذِي حَمَّل نَفسَه مَسئُولِيَّةَ قِيَادَةِ السَّفِينَةِ إِلَى الميِنَاء، بِرغمِ التَّقهقُر وَالارتِبَاكِ مَرَّات؛

وَلَا المستَكشِفَ المختَرِقَ طَوِيلًا لِليَابِسَةِ مُرهَقًا،

مُحتَرِقًا فِي الصَّحَارَى، مَقرُورًا بِالثُّلُوج، مَبلُولًا بِالأنهَار، صَامِدًا حَتَّى بُلُوغ غَايَتِه،

بأكثَر مِمَّا حَمَّلتُ نَفسِي، بِقَصدٍ أَو غَيرِ قَصد، بِأَن أُنَظِّمَ مَسِيرَةً لِهَذِه **الوِلَايَات**،

نِدَاءً لِلمَعرَكَة، وَتَحرِيضًا عَلَى حَملِ السِّلَاحِ عِندَ الحَاجَة، لِلسَّنَوَاتِ، لِلقُرُونِ القَادِمَة.

أيها العام الذي ارتعَد وَاضطَرب تحتي

أَيُّهَا العَامُ الذِي ارتَعَدَ وَاضطَرَبَ تَحتِي!
كَانَت رِيَاحُكَ الصَّيفِيَّةُ دَافِئَةٌ، لَكِن الهَوَاءَ الذِي استَنشَقتُه أَثلَجَنِي،
وَكَآبَةٌ كَثِيفَةٌ كَانَت تَهوِي خِلَالَ إِشرَاقِ الشَّمسِ وَتُظلِمُنِي،
فَهل عَلَيَّ أَن أُغَيِّرَ أُغنِيَاتِي الظَّافِرَة؟ قُلتُ لِنَفسِي،
هَل عَلَيَّ أَن أَتَعَلَّمَ حَقًّا إِنشَادَ تَرَانِيم الحَائِرِين البَارِدَة؟
وَتَرَاتِيل المهزُومِين الحَزِينَة؟

مُضمِّد الجــرَاح

[1]

حِينَ أَصبَحتُ عَجُوزًا مَحنِيَّ الظَّهرِ تعرَّفتُ عَلَى وُجُوهٍ كَثِيرَة،
مُتَطَلِّعًا إِلَى الأعوَامِ فِي الوَرَاءِ مُستَعِيدًا الإِجَابَةَ عَلَى الأطفَال،
هَيَّا احكِ لَنَا أَيُّهَا العَجُوز، مِثلَمَا يَقُولُ شُبَّانٌ وَفَتَيَاتٌ أَحَبُّونِي،
(مُهتَاجًا وَغَاضِبًا، فَكَّرتُ فِي إِطلَاقِ صُفَّارَةِ الإِنذَار، وَإِشعَالِ حَربٍ بِلا انتِهَاء،
لَكِن أَصَابِعِي سرعَانَ مَا خَذَلَتنِي، وَتَهَدَّل وَجهِي وَاستَسلَمْت،
لأجلِسَ إِلَى جِوَارِ الجَرحَى وَأُوَاسِيهِم، أَو أَرقُبَ بِهُدُوءٍ الموتَى)؛
بَعدَ سَنَوَاتٍ مِن هَذِهِ المشَاهِد، مِن هَذِهِ العَوَاطِفِ المجنُونَة، وَهَذِهِ المصَادَفَات،
لأبطَالٍ بِلَا نَظِير (أَكَانَ أَحَدُ الأطرَافِ بَالِغَ الشَّجَاعَة؟ كَانَ الآخَر أَيضًا شُجَاعًا)؛
فَلتَكُن الآنَ شَاهِدًا مِن جَدِيد، فَلتُصَوِّر أَقوَى جَيشَين عَلَى وَجهِ الأرض،
مِن هَذَين الجَيشَين بَالِغَي السُّرعَةِ وَالرَّوعَة، مَاذَا رَأَيتَ لِتَحكِي لَنَا؟
مَا آخِر وَأَعمَق مَا تَبَقَّى لَدَيك؟ مِن أَشكَالِ الفَزَع الغَرِيبَة،
مِن الاشتِبَاكَاتِ المحتَدِمَةِ أَو الحِصَارَاتِ الرَّهِيبَةِ، مَا أَعمَقُ مَا يَبقَى؟

[2]

يَا فَتَيَاتِي وَفِتيَانِي الذِين يُحِبُّونَنِي وَأُحِبُّهُم،

مَا تَسأَلُون عَنه مِن أَيَّامِي يُعِيدُ إِلَيَّ الأكثَر مُفَاجَأَةً وَغَرَابَة،
جُندِيًّا مُحتَشِدًا أَصِلُ بَعدَ مَسِيرٍ طَوِيلٍ مُغَطًّى بِالعَرَقِ وَالغُبَار،
أَجِيءُ فِي الوَقتِ الحَرِج، مُنغَمِسًا فِي القِتَال، أَصِيحُ عَالِيًا فِي اندِفَاعَةِ الهُجُومِ النَّاجِح،
أَقتَحِم الغَنَائِم– لَكِن انظُرُوا، كَنَهرٍ يَنسَابُ سَرِيعًا يَتلَاشُون،
يَمُرُّون وَيَذهَبُون وَيَتَلَاشُون– لَا أَتَوَقَّفُ عِند مَخَاطِرِ الجُنُود أَو مَبَاهِجِ الجُنُود،
(أَتَذَكَّرُهَا كُلَّهَا تَمَامًا، الأشغَالُ الشَّاقَّةُ كَثِيرَةٌ، وقَلِيلَةٌ المبَاهِج، لَكِنِّي كُنتُ رَاضِيًا).

لَكِن فِي صَمت، فِي مَوَاكِبِ الأحلَام،
فِيمَا يَمضِي عَالَمُ المكَاسِبِ وَالمظَاهِرِ وَالمرَح،
سرعَانَ مَا يُنسَى مَا مَضَى، وَالأموَاجُ تُزِيلُ آثَارَ الخُطَى مِن الرِّمَال،
وَعَائِدًا بِرُكبَتَين مَثنِيَّتَين أَدخُل الأبوَابَ (أَمَّا أَنتُم هُنَاكَ فِي الأعلَى،
أَيًّا مَن تَكُونُون، فَاتبَعُونِي أَقوِيَاءَ القُلُوبِ بِلَا صَخَب).

حَامِلًا الضِّمَادَات، وَالمَاءَ وَالاسفِنج،
أَمضِي مُبَاشَرَةً وَسَرِيعًا إِلَى جَرحَاي،
حَيثُ يَستَلقُون عَلَى الأرضِ بَعد جَلبِهِم إِلَى هُنَا بَعدَ المعرَكَة،
حَيثُ دَمُهُم الغَالِي يَصبغُ العُشبَ وَالأرضَ بِالاحمِرَار،
أَو إِلَى صُفُوفِ خَيمَةِ المستَشفَى، أَو تَحت المستَشفَى المسقُوفَة،
أَو أَعُودُ إِلَى الصُّفُوفِ الطَّوِيلَةِ مِن الأسِرَّةِ النَّقَّالَةِ فِي الأعلَى وَالأسفَل مِن كُل جَانِب،
إِلَى كُلٍّ مِنهم وَإِلَيهِم جَمِيعًا وَاحِدًا وَاحِدًا أَقتَرِبُ، لَا أَترُك أَحَدًا،
يَتبَعُنِي مُسَاعِدٌ حَامِلًا صِينِيَّةً، وَهوَ يَحمِلُ دِلوًا لِلنِّفَايَات،
سرعَان مَا يَمتَلِئ بِأَربِطَةٍ مُتَلَبِّدَةٍ وَدِمَاءٍ، وَيفرُغ، وَيَمتَلِئ مِن جَدِيد.

أَمضِي إِلَى الأمَام، أَتَوَقَّف،

بِرُكبَتَين مَثنِيَّتَين وَيَدٍ ثَابِتَةٍ لأُطَبِّبَ الجِرَاح،
أَنَا صَارِمٌ مَع كُلٍّ مِنهُم، فَالآلَامُ حَادَّةٌ لَكِن لَا مَفر مِنهَا،
أَحَدُهُم يُدِير نَحوِي عَينَيه المتَوَسِّلَتَين- أَيُّهَا الصَّبِي البَائِس! لَم أَعرِفكَ أَبَدًا،
لَكِنِّي أَظُن أَنَّنِي غَيرُ قَادِرٍ عَلَى رَفضِ الموت بَدَلًا مِنكَ فِي هَذِهِ اللَّحظَة، إِن كَان ذَلِكَ سَيُنقِذُك.

[3]

قُدُمًا، أَمضِي قُدُمًا (فَانفَتِحِي يَا أَبوَابَ الزَّمَن! انفَتِحِي يَا أَبوَابَ المستَشفيَات!)
أُطَبِّب الرَّأس المسحُوقَة (فَأَيَّتُهَا اليَدُ البَائِسَةُ المجنُونَةُ لَا تَنزَعِي الأَربِطَة)،
أَفحَص رَقَبَةَ جُندِي الخَيَّالَةِ المصَابَةَ بِرَصَاصَة،
بِصُعُوبَةٍ تُخَشخِشُ أَنفَاسُه، وَالعَين أَصبَحَت زُجَاجِيَّةً بِالفِعل، لَكِن الحَيَاةَ تُصَارِع بِقُوَّة،
(تَعَالَ أَيُّهَا الموتُ العَذب! فَلتَقتَنِع أَيُّهَا الموتُ الجَمِيل!
تَعَالَ سَرِيعًا فِي رَحمَة).

مِمَّا تَبَقَّى مِن الذِّرَاع، بَعدَ اليَد المَبتُورَة،
أَفُكّ الأَربِطَةَ المتَخَثِّرَة، أُزِيلُ كُتلَةَ الأَنسجَةِ الميِّتَة، أُزِيلُ الدَّمَ وَالصَّدِيد،
يَنثَنِي الجُندِيُّ عَائِدًا إِلَى وِسَادَتِه بِرَقَبَةٍ مَحنِيَّةٍ وَرَأسٍ مَائِلَةٍ إِلَى الجَانِب،
عَينَاه مُغمَضَتَان، وَجهُه شَاحِبٌ، لَا يَجرُؤ عَلَى النَّظَرِ إِلَى مَا تَبَقَّى مِن ذِرَاعِه الدَّامِية،
وَلَم يَنظُر إِلَيه حَتَّى الآن.

أُضَمِّدُ جُرحًا فِي الجَانِب، عَمِيقًا، عَمِيقًا،
لَكِن لَم يَبقَ لَه سِوَى يَومٍ أَو اثنَين، بِالنَّظَرِ إِلَى جَسَدِه الذَّاوِي الضَّائِع،

وَوَجهِه ذِي الصُّفرَةِ المُزرَقَّة.

أُدَاوِي الكَتِف المتَهَتِّكَ، وَجُرحَ الرَّصَاصَةِ بِالقَدَم،
أُنَظِّفُ القَدَمَ المصَابَةَ بِالغَنغَرِينَة النَّاخِرَةِ وَالعَفِنَة، المقرِفَةِ وَالكَرِيهَة،
فِيمَا المسَاعِد يَقِفُ إِلَى جَانِبِي فِي الوَرَاءِ حَامِلًا الصِّينِيَّةَ وَالأربِطَة.

إِنَّنِي مُخلِص، لَا أَستَسلِم،
الفَخذُ المهَشَّم، الرُّكبَة، الجُرحُ فِي البَطن،
هَذَا وَأَكثَر أُدَاوِيه بِيَدٍ ثَابِتَة (وَفِي أَعمَاقِ صَدرِي نَارٌ، لَهِيبٌ مُحرِق).

[4]

هَكَذَا فِي صَمتٍ فِي مَوَاكِبِ الأحلَام،
عَائِدًا، مُحتَشِدًا، أَتَّخِذُ طَرِيقِي خِلَالَ المستَشفَيَات،
أُهَدِّئ المتَأَلمِين وَالجَرحَى بِيَدٍ مُرَبِّتَة،
أَجلِس إِلَى جِوَارِ القَلِقِين طُوَالَ اللَّيلِ الحَالِك، وَبَعضُهُم شُبَّان،
بَعضُهُم يُعَانِي كَثِيرًا، فَأَستَدعِي التَّجَارِبَ الحُلوَةَ وَالمرَّة،
(كَثِيرًا مَا التَفَّت ذِرَاعَا جُندِي مُحِبَّتَان حَولَ هَذِهِ الرَّقَبَةِ وَاستَقَرَّتَا،
وَكَثِيرًا مَا حَطَّت قُبلَاتٌ كَثِيرَةٌ لِجُندِي عَلَى هَاتَين الشَّفَتَين الملتَحِيَتَين).

لِوقتٍ طويلٍ، طـويلٍ جدًّا يا أميريكَا

لِوَقتٍ طَويــلٍ، طَوِيلٍ جِدًّا يَا أَمِيرِيكَا،
إِذ قَطَعتِ طُرُقًا مُمَهَّدَةً وَآمِنَةً لَم تَتَعَلَّمِي إِلَّا مِن المبَاهِج وَالازدِهَار،
لَكِن الآنَ، آهٍ الآن، تَتَعَلَّمِين مِن أَزمَاتِ الألَم، مُتَقَدِّمَةً، تَتَصَارَعِين مَعَ قَدَرٍ قَاسٍ بِلَا نُكُوص،
وَعَلَيكِ الآن أَن تُعَبِّري وَتَكشِفِي لِلعَالَم مَاهِيَّةَ أَولَادِكِ حَقًّا حِين يَتَجَمَّعُون،
(فَمَن حَتَّى الآنَ سِوَايَ قَد عَبَّر عَن مَاهِيَّةِ أَولَادِكِ حِين يَتَجَمَّعُون حَقًّا؟).

اعطِني الشَّمس الرائعةَ الصامتة

[1]

اعطِني الشَّمسَ الرَّائِعَةَ الصَّامِتَةَ بِكُل أَشِعَّتِهَا المُبهِرَة،
اعطِني ثَمَرَةَ خَرِيفٍ مُفعَمَةً نَاضِجَةً وَحَمرَاءَ مِن البُستَان،
اعطِني حَقلًا يَنمُو فِيه العُشبُ بِلَا تَشذِيب،
اعطِني شَجَرَةً، اعطِني كَرمَةً مُعتَرِشَة،
اعطِني أُذرَةً وَقَمحًا طَازِجين، اعطِني حَيَوَانَاتٍ هَادِئَةَ الحَرَكَةِ تُعَلِّم الرِّضَى،
اعطِني لَيَالِيَ هَادِئَةً تَمَامًا مِثلَمَا فِي الهَضَابِ العُليَا غَربَ الميسِيسِيبِّي، وَأَنَا أنظُرُ عَالِيًا إِلَى النُّجُوم،
اعطِني حَدِيقَةً مِن زُهُورٍ جَمِيلَةٍ تَفُوحُ بِالأَرِيجِ فِي مَطلَعِ الشَّمسِ حَيثُ يُمكِنُنِي أَن أَتَمَشَّى بِلَا إِزعَاج،
اعطِني لِلزَّوَاجِ امرَأَةً عَذبَةَ الأنفَاسِ لَن أَفتَرِقَ عَنهَا أَبدًا،
اعطِني طِفلًا رَائِعًا، اعطِني حَيَاةً مَنزِلِيَّةً رِيفِيَّةً بَعِيدًا عَن ضَوضَاءِ العَالَم،
اعطِني القُدرَةَ عَلَى تَغرِيدِ أُغنِيَاتٍ عَفَوِيَّةً مُنعَزِلَةً بِنَفسِي، وَلِنَفسِي وحدَهَا،
اعطِني العُزلَة، اعطِني **الطَّبِيعَةَ**، وَاعطِنِي مِن جَدِيدٍ أَيَّتُهَا **الطَّبِيعَةُ** رَصَانَتَكِ الجَوهَرِيَّة!

هَذِهِ المطَالَبَةُ بِنَيلِ ذَلِك (مُرهَقًا مِن الإِثَارَةِ الدَّائِمَة، مُعَذَّبًا بِمُعَانَاةِ الحَرب)،

هَذَا مَا أَطلُبُ أَن أَنَالَه دَائِمًا، مُنبَثِقًا فِي صَرخَاتٍ مِن قَلبِي،
وَمَعَ ذَلِكَ فَفِيمَا أُطَالِبُ دَائِمًا مَا أَزَالُ مُلتَصِقًا بِمَدِينَتِي،
يَومًا بَعد يَومٍ وَعَامًا بَعدَ عَامٍ أَيَّتُهَا المدِينَة، أَسِيرُ فِي شَوَارِعِك،
حَيثُ تُحكِمِين وثَاقِي لِوَقتٍ مَا رَافِضَةً الإِفرَاجَ عَنِّي،
لَكِنَّكِ تَمنَحِين مَا يُتخِمُنِي، وَيُثرِي رُوحِي، تَمنَحِينَنِي وُجُوهًا إِلَى الأَبَد؛
(آه إِنَّنِي أَرَى مَا سَعَيتُ إِلَى اجتِنَابِه، مُوَاجِهًا، عَاكِسًا صَرخَاتِي،
أَرَى رُوحِي ذَاتِهَا تَدُوسُ مَا كَانَت تَطلُبُه).

[2]

احتَفِظِي بِشَمسِكِ الرَّائِعَةِ الصَّامِتَة،
احتَفِظِي بِغَابَاتِك أَيَّتُهَا الطَّبِيعَة، وَالأَمَاكِنِ الهَادِئَةِ عِندَ الغَابَات،
احتَفِظِي بِحُقُولِكِ مِن البَرسِيمِ وَعُشبِ التِّيمُوثِي، وَحُقُولِكِ الذُّرَة وَبَسَاتِينِك،
احتَفِظِي بِحُقُولِكِ مِن الحِنطَةِ السَّودَاءِ المُزدَهِرَةِ حَيث يَطِن نَحلُ الشَّهرِ التَّاسِع؛
اعطِينِي وُجُوهًا وَشَوَارِع– اعطِينِي هَذِهِ الأَطيَافَ التِي لَا تَتَوَقَّفُ بِلَا انتِهَاءٍ عَلَى امتِدَادِ الأَرصِفَة!
اعطِينِي عُيُونًا لَا مُتَنَاهِيَة– اعطِينِي نِسَاءً– اعطِينِي رِفَاقًا وَمُحِبِّينَ بِالآلَاف!
اجعَلِينِي أَرَى الجَدِيدَ مِنهُم كُلَّ يَوم– اجعَلِينِي أُمسِك بِالجَدِيدِ مِنهُم بِاليَد كُل يَوم!
اعطِينِي هَذِه المَنَاظِر– اعطِينِي شَوَارِع مَانهَاتِن!
اعطِينِي برُودوَاي، بِالجنُودِ فِي مَسِيرِهِم– اعطِينِي صَوتَ البُوقِ وَالطُّبُول!
(الجنُود فِي مَجمُوعَاتٍ أَو فَيَالِق– بَعضُهم يَنطَلِقُون بَعِيدًا، مُتَورِّدِين وَطَائِشِين،
وَالبَعضُ، وَقَد انتَهَت جُندِيَّتُهُم، يَعُودُون بِصُفُوفٍ أَقَل، شُبَّانًا، لَكِنَّهُم شَائِخُون لِلغَايَة، مُنهَكِين، يَسِيرُون، لَا يَرَون شَيئًا)؛
اعطِينِي السَّوَاحِلَ وَأَرصِفَةَ السُّفُن المتخَمَةَ بِسُفُن سَودَاء!

آهٍ فَليَكُن لِي هَذَا! آه حَيَاةٌ كَثِيفَةٌ، مُترَعَةٌ حَتَّى الحَافَّةِ وَمُتَنوِّعَة!
حَيَاةُ المسرَح، وَالحَانَات، وَالفَنَادِق الضَّخمَة، لِي!
صَالُونُ السَّفِينَةِ البُخَارِيَّة! الرِّحلَاتُ البَحرِيَّةُ المزدَحِمَة لِي! وَمَوكِبُ المشَاعِل!
الوِحدَة العَسكَرِيَّةُ المحتَشِدَةُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الحَرب، تَتبَعُهَا عَرَبَاتٌ عَسكَرِيَّةٌ مُحَمَّلَة؛
نَاسٌ، بِلَا انتِهَاءٍ، يَتَدَفَّقُون، بِأَصوَاتٍ قَوِيَّةٍ، وَعَوَاطِف، وَمَوَاكِب،
شَوَارِع مَانهَاتِن بِنَبضِهَا القَوِي، بِقَرعِ الطُّبُولِ كَمَا الآن،
الجُوقَةُ الصَّاخِبَةُ اللَّانِهَائِيَّة، صَلصَلَةُ وَقَرقَعَة البَنَادِق (حَتَّى مَشهَد الجَرحَى)،
حُشُود مَانهَاتِن، مَعَ جُوقَاتِهِم المُوسِيقِيَّةِ المضطَرِمَة!
وُجُوه وَعُيُونُ مَانهَاتِن إِلَى الأَبَدِ لِي.

مرثيــةٌ لاثنين من قُدماء المحَاربين

شُعَاعُ الشَّمسِ الأخِير،
يَسَّاقَطُ ذَاوِيًا مِن يَومِ الأحَدِ المنتَهِي،
عَلَى أَرضِ الشَّارِعِ هُنَا، وَهُنَاكَ فِي الوَرَاء يَبدُو،
أَسفَل قَبرٍ مُزدَوَجٍ حَدِيث.

انظُرُوا، القَمَر يَصَّاعَد،
عَالِيًا مِن الشَّرق القَمَرُ المستَدِيرُ الفِضِّي،
جَمِيلًا فَوقَ أَسطُحِ المنَازِل، شَاحِبًا، قَمَرٌ شَبَحِي،
قَمَرٌ هَائِلٌ وَصَامِت.

أَرَى مَوكِبًا حَزِينًا،
وَأَسمَع صَوتَ النَّفِيرِ القَادِمِ الزَّاعِق،
يَفِيضُون عَلَى كُل قَنَوَاتِ شَوَارِعِ المدِينَة،
كَأَنَّمَا بِأَصوَاتٍ وَدُمُوع.

أَسمَعُ الطُّبُولَ الضَّخمَةَ تُدَوِّي،
وَالطُّبُولَ الصَّغِيرَةَ بِانتِظَامٍ تَطِن،

وَكُلُّ ضَربَةٍ عَلَى الطُّبُولِ الضَّخمَةِ المتشَنِّجَة،
تَختَرِقُنِي كُلِّي وَتَختَرِقُنِي.

فَالابنُ أَتَوا بِه مَع أَبِيه،
(فِي الصُّفُوفِ الأُولَى مِن الهُجُومِ الوَحشِي سَقَطَا،
مُحَارِبَانِ قَدِيمَان ابنٌ وَأَبٌ سَقَطَا مَعًا،
وَالقَبرُ المزدَوَجُ فِي انتِظَارِهِمَا).

الآن يَنطَلِقُ النَّفِيرُ أَكثَر اقتِرَابًا،
وَالطُّبُولُ تُقرَعُ أَكثَر تَشَنُّجًا،
وَضَوءُ النَّهَارِ الهَادِئُ فَوقَ أَرضِ الشَّارِعِ قَد ذَوَى،
وَيَلُفُّنِي الموكِبُ الجنَائِزِي القَوِي.

فِي السَّمَاءِ الشَّرقِيَّةِ عَالِيًا– طَافِيًا،
يَتَحَرَّك الطَّيفُ الشَّاسِعُ الحَزِينُ مُستَضِيئًا،
(هُو وَجه شَفَّافٌ هَائِلٌ لإِحدَى الأُمَّهَات،
يَزدَادُ إِشرَاقًا فِي السَّمَاء).

أَيُّهَا الموكِبُ الجنَائِزِي القَوِي أَنتَ تَسُرُّنِي!
أَيُّهَا القَمَرُ الشَّاسِعُ بِوَجهِكَ الفِضِّي أَنتَ تُهَدِّئنِي!
يَا جُندِيَّي المتَرَافِقَين! يَا جُندِيَّي الذَّاهِبَينِ إِلَى الدَّفن!
أَمنَحُكُمَا أَيضًا مَا أَملِك.

القَمَر يَمنَحُكُمَا الضِّيَاء،

وَالنَّفِيرُ وَالطُّبُولُ تَمنَحُكُمَا الموسِيقَى،
وَقَلبِي، يَا جُندِيَّي، يَا مُحَارِبَيَّ القَدِيمَين،
قَلبِي يَمنَحُكمَا الحُب.

فوق المذبحة تصاعد صوتٌ نبوئي

فَوقَ المذبَحَةِ تَصَاعَد صَوتٌ نُبُوئِي،
لَا تَيأَسُوا، فَالحُب سَوفَ يَحل مَشَاكِلَ الحُرِّيَّة،
هَؤلَاء الذِين يُحِبُّون بَعضَهُم البَعض لَن يُغلَبُوا،
لَكِنَّهُم سَيَجعَلُون كُولُومبيَا ظَافِرَة.

يَا أَبنَاءَ أُم الجَمِيع، سَتَكُونُون ظَافِرِين،
سَتَضحَكُون ازدِرَاءً لِهَجَمَاتِ بَقِيَّةِ الأَرض.

لَا خَطَرَ سَيُحبِطُ عُشَّاقَ كُولُومبِيَا[*]،
وَعِندَ الحَاجَةِ سَيُضَحِّي أَلفُ شَخصٍ بِأَنفُسِهِم بِرِصَانَةٍ مِن أَجلِ وَاحِد.

مَن يَنتَمِي إِلَى مَاسَّاتشُوسِتس سَيُصبِحُ رَفِيقًا لمَن يَنتَمِي إِلَى مِيسُّورِي،
وَمَن يَنتَمُون إِلَى مِين وَكَارُولَينَا الحَارَّة، وَأُورِيجُون، سَيُصبِحُون ثُلَاثِيًّا أَصدِقَاء،
أَكثَر قِيمَةً لِبَعضِهِم البَعضِ مِن كُل ثَروَاتِ الأَرض.

إِلَى مِيتشِيجَان، سَتَصِل عُطُورُ فلُورِيدَا رَهِيفَة،

[*] المقصود: الولايات المتحدة الأمريكية.

لَا عُطُورَ الزُّهُور، بَل أَعذَب، تَتَوَاصَل فِيمَا وَرَاءَ المَوت.

سَيَكُون مِن العَادِي فِي الشَّوَارِعِ وَالمَنَازِلِ أَن نَرَى العَاطِفَةَ الرُّجُولِيَّة،
وَالأكثَرُ بِدَائِيَّةً وَبَسَالَةً سَيَتَلَامسُون وَجهًا لِوَجهٍ بِرِقَّة،
وَأَنصَارُ الحُرِّيَّة سَيُصبِحُون عُشَّاقًا،
وَدُعَاةُ المَسَاوَاةِ سَيُصبِحُون رِفَاقًا.

ذَلِكَ مَا سَيربِطُكُم وَيُوثِقُكُم بِأَقوَى مِن سَلَاسِلِ الحَدِيد،
وَأَنَا، نَشوَانًا، أَيُّهَا الرِّفَاقُ! أَيَّتُهَا الأرض! مَربُوطٌ بِكُم بِحُب المحِبِّين.

(أَكُنتُم تَتَطَلَّعُون إِلَى أَن يَربِطَ بَينَكُم المحَامُون؟
أَو أَيُّ تَعَاقُدٍ مَكتُوب؟ أَو بِفِعلِ السِّلَاح؟
لَا، لَا العَالَم، وَلَا أَي شَيء حَي، سَيَربِطُنَا عَلَى هَذَا النَّحو).

رأيتُ قائدًا عجوزًا في ورطة

رَأيتُ قَائِدًا عَجُوزًا فِي وَرطَة،
(عَجُوزًا تَمَامًا، لَكِن عَينَيه الرَّمَادِيَّتَين تُومضَان فِي المعرَكَة كَنَجمَتَين)،
كَانَت وِحدَتُه الصَّغِيرَةُ قَد حُوصِرَت الآنَ تَمَامًا، فِي تَحصِينَاتِه،
طَالَبَ بِمُتَطوِّعِين لِاختِرَاقِ خُطُوطِ العَدُو، فِي مُحَاوَلَةٍ يَائِسَة،
رَأَيتُ مِئَةً وَأَكثَر يَتَقَدَّمُون مِن الصُّفُوف، لَكِن اثنَين أَو ثَلَاثَةً هُم مَن اختِيرُوا،
رَأَيتُهُم يَتَلَقُّون أَوامِرَهُم جَانِبًا، أَنصَتُوا بِاهتِمَام، وَالجُندِي المنَاوِبُ بَالِغُ الجِديَّة،
رَأَيتُهُم يَرحَلُون بِابتِهَاج، مُخَاطِرِين بِحَيَاتِهِم فِي حُرِيَّة.

رؤيــة المدفعجــي

فِيمَا كَانَت زَوجَتِي تَنعَسُ مُستَلقِيَةً بِجِوَارِي، وَالحُرُوبُ انتَهَت مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد،
وَرَأسِي تَستَقِر عَلَى الوِسَادَةِ فِي مَنزِلِي، وَمُنتَصَفُ اللَّيلِ الخَاوِي يَمُر،
وَخِلَالَ السُّكُون، خِلَالَ الظَّلَام، أَسمَع، أَسمَعُ فَحَسب، أَنفَاسَ طِفلِي،
هُنَاكَ فِي الغُرفَةِ إِذ أَصحُو مِن النَّومِ تَغمُرُنِي هَذِهِ الرُّؤيَة؛
تَندَلِعُ الاشتِبَاكَاتُ هُنَاكَ وَآنَذَاكَ بِصُورَةٍ خَيَالِيَّة غَير وَاقِعِيَّة،
يَبدَأُ المناوِشُون، يَزحَفُون بِحَذَرٍ إِلَى الأَمَام، أَسمَع الفَرقَعَة! الفَرقَعَةَ غَير المنتَظِمَة!
أَسمَع أَصوَات المقذُوفَاتِ المُختَلِفَة، وَالـ تِـ-يـ-ت! تِـ-يـ-ت! القَصِيرَ لِطَلقَاتِ البَنَادِق،
أَرَى انفِجَارَ القَنَابِل مُخَلِّفًا غُيُومًا بيضَاءَ صَغِيرَة، وَأَسمَع القَنَابِلَ الكَبِيرَةَ تَصفُر وَهيَ تَعبُر،
القُنبُلَةُ تُشبِه هَمهَمَةَ وَصَفِيرَ الرِّيح خِلَالَ الأَشجَار (يَتَأَجَّجُ الصِّرَاعُ مُضطَرِمًا الآن)،
تَنبَثِقُ أَمَامِي مِن جَدِيدٍ بِالتَّفصِيل كُلُّ مشَاهِد بَطَّارِيَّاتِ المدفَعِيَّة،
الانفِجَارُ وَالدُّخَانُ، وَزَهوُ الرِّجَالِ بِأَسلِحَتِهِم،
وَقَائِدُ المدفَعِيَّة يُحكِم وَيُصَوِّبُ مِدفَعَه وَيَختَارُ فَتِيلَ الوَقتِ الصَّحِيح،
بَعدَ الإِطلَاقِ أَرَاه يَنحَنِي جَانِبًا وَيَنظُرُ بِلَهفَةٍ بَعِيدًا لِيَرَى التَّأثِير؛
فِي مَكَانٍ آخَر أَسمَعُ صُرَاخ فِرقَةٍ تُهَاجِم (وَالكُولُونِيل الشَّاب يَقُودُهَا بِنَفسِهِ هَذِه المرَّة بِسَيفٍ مُشهَر)،

أَرَى الثُّغرَات النَّاجِمَةَ عَن قَذَائِف العُدُو (سرعَانَ مَا يَتِم سَدُّهَا، بِلَا تَأخِير)،
أَنشَقُ الدُّخَانَ الخَانِق، ثُم تُحَلِّق الغُيُومُ المنبَسِطَةُ خَفِيضَةً فَتُخفِي كُل شَيء؛
يَحل الآنَ صَمتٌ غَرِيبٌ لِبِضع ثَوَانٍ، بِلَا طَلقَةٍ مِن أَيِّ جَانِب،
ثُم يُستَعَادُ العَمَاءُ أَعلَى مِن ذِي قَبل، مَع نِدَاءَاتٍ وَأَوَامِر مُلِحَّةٍ مِن الضُّبَّاط،
فِيمَا مِن جَانِبٍ بَعِيدٍ مِن الميدَان تَحمِلُ الرِّيحُ إِلَى أُذنَيَّ صَيحَةَ استِحسَان (لِنَجَاحٍ مَا خَاص)،
وَدَائِمًا صَوتُ المدفَع بَعِيدًا أَو قَرِيبًا (مُستَثِيرًا حَتَّى فِي أَحلَامِي نَشوَةً شَيطَانِيَّةً وَجَمِيعَ المَبَاهِج المجنُونَةِ القَدِيمَةِ فِي أَعمَاقِ رُوحِي)،
وَدَائِمًا مُسَارَعَةُ المشَاةِ إِلَى تَغيِير المَوَاقِع، وَالبَطَّارِيَّات، وَالخَيَّالَة، مُتَحَرِّكِين هُنَا وَهُنَاك،
(لَا أَلتَفِتُ إِلَى السَّاقِطِين، المحتَضرِين، لَا أَلتَفِتُ إِلَى الجَرحَى النَّازِفِين الدَّامِين، وَالبَعضُ يَعرُجُون إِلَى الصُّفُوفِ الخَلفِيَّة)،
سُخَامٌ، وَحَر، وَاندِفَاعٌ، وَضُبَّاطٌ مُعَاوِنُون يَركُضُون أَو يَجرُون بِأقصَى سُرعَة،
مَعَ دَمدَمَةِ الأسلِحَةِ الصَّغِيرَة، س-س-ت المنذِر بالبَنَادِق (أَسمَع أَو أَرَى ذَلِكَ فِي رُؤيَاي)،
وَالقَنَابِلُ تَنفَجِر فِي الهوَاء، وَفِي اللَّيلِ المقذُوفَاتُ مُتَعَدِّدَةُ الأَلوَان.

إثيوبيَـا تُحيِّي الألــوَان

مَن أَنتِ أَيَّتُهَا المرأَةُ الغَسَقِيَّة، بَالِغَةُ الشَّيخُوخَةِ وَبِالكَادِ إِنسَانِيَّة،
بِرَأسِكِ الصُّوفِيَّةِ البَيضَاءِ وَالمُعَمَّمَة، وَقَدَمَيكِ الحَافِيَتَين العَظمِيَّتَين؟
لِمَاذَا تنهَضِين إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ هُنَا، هَل تُحَيِّين الألوَان؟

(ذَلِكَ فِيمَا كَان جَيشُنَا يَصطَف فِي رِمَالِ وَصنُوبَر كَارُولَينَا،
خَارِجَةً مِن بَابِ كُوخِك تَأتِين يَا إِثيُوبيَا نَحوِي،
فِيمَا أَسِيرُ بِقِيَادَةِ "شِيرمَان" الشُّجَاع نَحوَ البَحر)،

سَيِّدِي مُنذُ أَلفِ عَامٍ انتَزَعُونِي مِن أَبَوَيْ،
طِفلَةً صَغِيرَةً، أَمسَكُوا بِي مِثلَمَا يُمسِكُون بِحَيوانٍ بَرِّي،
ثُم إِلَى هُنَا أَحضَرَنِي تَاجِر العَبِيدِ القَاسِي عَبرَ البَحر.

لَا تَقُولُ المزِيدَ، لِكِنَّهَا بَقِيَت طُوَالَ اليَوم،
تَهز رَأسَهَا المُعَمَّمَةَ كَرِيمَةَ الأَصلِ، وَتُدِيرُ عَينَيهَا الدَّاكِنَتَين،
وَتُحَيِّي الفَيَالِقَ، وَالرَّايَاتِ العَابِرَة.

مَا الأمرُ أَيَّتُهَا المرأَةُ المشئُومَة، الدَّامِعَةُ، الإِنسَانِيَّةُ بِالكَاد؟
لِمَاذَا تَهُزِّين رَأسَكِ المَربُوطَةَ بِعِمَامَةٍ صَفرَاء، وَحَمرَاء وَخَضرَاء؟
أفمَا تَرِين أَو مَا رَأَيتِ أَشيَاءً غَرِيبَةً وَمُدهِشَة؟

الشَّبَاب لا يلائمني

الشَّبَابُ لَا يُلَائِمُنِي،
وَلَا اللَّبَاقة، فَلَا أَستَطِيعُ خِدَاعَ الزَّمَنِ بِالكَلَام،
أَخرَقُ فِي الحَدِيث، لَا رَاقِصًا وَلَا وَسِيمًا،
فِي الوَسَطِ الثَّقَافِي أَجلِسُ مُتَحَفِّظًا وَسَاكِنًا، فَالاعتِيَادُ عَلَى الثَّقَافَةِ لَيسَ لِي،
الجَمَالُ، وَالمعرِفَةُ، لَستُ مُتمَرِّسًا عَلَيهِمَا- لَكِن هُنَاكَ شَيئَين أَو ثَلَاثَةً مُتمَرِّسٌ عَلَيهَا،
لَقَد أَطعَمتُ الجَرحَى وَوَاسَيتُ الكَثِيرِين مِن الجُنُودِ المحتَضرِين،
وَفِي فَتَرَات الانتِظَارِ أَو وَسطَ المعَسكَر،
أَلَّفتُ هَذِه الأُغنِيَات.

سُـلالة المحاربيــن

سُلَالَةُ المحَارِبِين– سُلَالَة المُنتَصِرِين!

سُلَالَةُ الأرض، المستَعِدُّون لِلصِّرَاع– سُلَالَة المسِيرَةِ الغَالِبَة!

(لَا سُلَالَةَ السَّذَاجَة، سُلَالَة التَّنَازُلَات)،

سُلَالَةٌ لَا تَملِكُ قَانُونًا مِن الآن فَصَاعِدًا سِوَى قَانُونِ ذَاتِهَا،

سُلَالَةُ الشَّغَفِ وَالعَاصِفَة.

أيها العـالَم انتَبــه جيِّدًا

أَيُّهَا العَالَم انتَبِه جَيِّدًا، أَيَّتُهَا النُّجُومُ الفِضِّيَّةُ الذَّاوِيَة،
يَا دَربَ اللَّبَّانَةِ الجَرِيء، المنسُوجَ مِن أَبيَض فَرِيد،
يَا ثَمَانِي وَثَلَاثِين قِطعَةً مِن فَحم، مُضطَرِمَةً مُتَّقِدَة،
قُرمُزِيَّةً، خَطِرَةً، مُنذِرَةً بِكَف الأَيدِي،
مِن الآنَ فَصَاعِدًا فَلتُرَفرِفِي مِن هَذِه الشُّطآن.

يا صَبِي البرَاري بالوجه المسفُوع

يَا صَبِيَّ البَرَارِي بِالوَجهِ المسفُوع،
قَبلَ أَن تَجِيءَ إِلَى المُعَسكَر جَاءَت بِكُل ترحَابٍ هَدَايَا كَثِيرَة،
جَاءَ الثَّنَاءُ وَالهِبَاتُ وَالطَّعَامُ المُغَذِّي، إِلَى أَن أَتَيتَ أَنتَ فِي النِّهَايَة،
وَسطَ المجَنَّدِين، صَمُوتًا، لَا تَملِكُ مَا تَمنَح– نَظَر أَحَدُنَا إِلَى الآخَر فَحَسب،
وَقتَهَا انظُر! لَقَد مَنَحتَنِي مَا هُو أَكثَر مِن جَمِيع هَدَايَا العَالَم.

أيها القمَر الجميلُ انظُر فِي الأسفل

أَيُّهَا القَمَر الجَمِيلُ انظُر فِي الأسفَل وَحَمِّم هَذَا المشهَد،
اسكُب بِرِقَّةٍ فِي الأسفَل سُيُولَ اللَّيلِ النُّورَانِيَّةِ عَلَى الوُجُوهِ الجهمَةِ، المنتَفِخَةِ، الأُرجوَانِيَّة،
وَعَلَى الموتَى الرَّاقِدِين عَلَى ظُهُورِهِم بِأَذرُع مَفرُودَةٍ عَلَى اتِّسَاعِهَا،
اسكُب هَالَتَكَ النُّورَانِيَّةَ بِلَا حُدُودٍ أَيُّهَا القَمَرُ المقَدَّس.

مصـــالحة

كَلِمَةٌ فَوقَ الجَمِيع، جَمِيلَةٌ كَالسَّمَاء،
جَمِيلَةٌ إِلَى حَد أَن الحَربَ وَكُلَّ مَا تَرتَكِبُه مِن مَذَابِح لَابُد أَن يَطوِيهَا الزَّمَنُ تَمَامًا،
إِلَى حَد أَن أَيدِي الشَّقِيقَتَين المَوت وَاللَّيل تَغسِل بِرِقَّةٍ بِلَا انتِهَاءٍ مِن جَدِيدٍ، وَمِن جَدِيدٍ أَبَدًا، هَذَا العَالَمَ الملَوَّث؛
فَعَدُوِّي مَيِّت، رَجُلٌ سَمَاوِيٌّ مِثلِي مَيِّت،
أَنظُر إِلَى حَيثُ يَستَلقِي أَبيَضَ الوَجهِ سَاكِنًا فِي تَابُوتِه- أَقتَرِب،
أَنحَنِي وَأَلمَسُ بِخِفَّةٍ بِشَفَتَيَّ الوَجهَ الأَبيَضَ فِي التَّابُوت.

كَم هو مهيبٌ أن نكون واحدًا إثر الآخَر

(مدينة واشنطن، 1865)

كَم هُو مهِيبٌ أَن نَكُونَ وَاحِدًا إثرَ الآخَر،
إذ تَعُودُ الصُّفُوفُ مُنهَكَةً وَعَارِقَةً، إِذ يَمُر الرِّجَالُ بِي حَيثُمَا أَقِف،
إذ تَبَدُو الوُجُوهُ كَالأقنِعَة، إِذ أَنظُر فِي الوُجُوه مُتَمَعِّنًا فِي الأقنِعَة،
(إِذ أَرفَعُ بَصَرِي عَن هَذِه الصَّفحَة مُتَمَعِّنًا فِيكَ، أَيُّهَا الصَّدِيقُ العَزِيز، أَيًّا مَن تَكُون)،
كَم هِي مهِيبَةٌ فِكرَةُ أَن تَهمِسَ رُوحِي لِكُل مَن بِالصُّفُوف، وَلَك،
أن أَرَى فِيمَا وَرَاءَ كُلِّ قِنَاعٍ رَوعَةَ تِلكَ الرُّوحِ الشَّقِيقَة،
آهِ لَيسَ للرَّصَاصَةِ أَبَدًا أَن تَقتُلَ جَوهرَ مَا تَكُونُه، يَا صَدِيقِي العَزِيز،
وَلَا لِلسُّونكِي أَن يَطعَن جَوهَرَ مَا تَكُون؛
أَيَّتُهَا الرُّوح! أَرَاكِ نَفسَك، عَظِيمةً كَأيِّ وَاحِدٍ، طَيِّبَةً كَمَا الأفضَل،
فِي انتِظَارِ الأمَانِ وَالرِّضَى، اللَّذين لَا يُمكِن لِلرَّصَاصَةِ أَن تَقتُلهُمَا أَبَدًا،
وَلَا لِلسُّونكِي أَن يَطعَنَهمَا، يَا صَدِيقِي.

فيما أستلقي ورأسي في حِجرك يا رفيقي

فِيمَا أَستَلقِي وَرَأسِي فِي حِجرِكَ يَا رَفِيقِي،
أَستَعِيدُ مَا قَدَّمتُ مِن اعتِرَاف، أَستَعِيدُ مَا قُلتُه لَك وَلِلهَوَاءِ الطَّلق،
أَعرِفُ أَنَّنِي شَخصٌ قَلِق وَأَجعَلُ الآخَرِين كَذَلِك،
أَعرِفُ أَن كَلِمَاتِي أَسلِحَةٌ حَافِلَةٌ بِالخُطُورَة، حَافِلَةٌ بِالموت،
لأَنَّنِي أُوَاجِه السَّلَامَ، وَالأَمَان، وَجَمِيعَ القَوَانِين المستَقِرَّةِ، لأُزَعزِعَهَا،
وَأَنَا أَكثَر تَصمِيمًا لأن الجَمِيع قَد أَنكَرُونِي دُون أَن أَتَمَكَّن أَبَدًا مِن جَعلِ الجَمِيع يَقبَلُون بِي،
لَا أُبَالِي وَلَم أُبَالِ أَبَدًا بِالتَّجرِبَه، وَلَا التَّحذِيرَات، وَلَا الأَغلَبِيَّة، وَلَا السُّخرِيَة،
وَالتَّهدِيدُ بِمَا يُدعَى الجَحِيم بِالنِّسبَةِ لِي تَافِهٌ أَو لَا شَيء،
وَالإغوَاءُ بِمَا يُدعَى الفِردَوس بِالنِّسبَةِ لِي تَافِهٌ أَو لَا شَيء؛
رَفِيقِي العَزِيز! أَعتَرِفُ أَنَّنِي قَد حَرَّضتُكَ عَلَى التَّقَدُّم مَعِي، وَمَا أَزَالُ أُحَرِّضُك، دُونَ أَدنَى فِكرَةٍ عَن مَقصدِنَا،
أَو مَا إِذَا كُنَّا سَنَنتَهِي مُنتَصِرِين، أَم مُنسَحِقِين مَهزُومِين تَمَامًا.

أيها العنقودُ الرهيف

أَيُّهَا العُنقُودُ الرَّهِيف! يَا رَايَةَ الحَيَاةِ المحتَشِدَة!
تُغَطِّي جَمِيعَ أَرَاضِيَّ– تَصُوغُ جَمِيعَ شَوَاطِئِي!
يَا رَايَةَ المَوت! (كَم كُنتُ أَنظرُ إِلَيكِ خِلَالَ دُخَانِ المَعَارِكِ المحتَدِمَة!
كَم كُنتُ أَسمَعُكَ تَصطَفِقُ وَتَخفِق، أَيُّهَا القُمَاشُ المتحَدِّي!)
رَايَةٌ لَازورِدِيَّة– رَايَةٌ شَمسِيَّة، مُبَرقَشَةٌ بِأَفلَاكِ اللَّيل!
آهِ يَا جَمَالِي الفِضِّي– آهِ أَيُّهَا الأبيَضُ الصُّوفِي وَالقُرمُزِي!
آهِ إِنَّنِي أُغَنِّي أُغنِيَةً عَنكِ، أَيَّتُهَا العَاهِلَةُ العَتِيَّة!
يَا مُقَدَّسَتِي، يَا أُمِّي.

إلى شخصٍ مدني

هَل طَلَبتَ مِنِّي أَشعَارًا عَذبَة؟
هَلَ بحثتَ عَن الأشعَارِ الرَّخوَةِ المسَالِمَةِ لِلشَّخصِ المدَنِي؟
هَل وَجَدتَ أَن مَا غَنَّيتُه حَتَّى الآن مِن الصَّعبِ مُتابَعَتُه؟
لَا لَم أَكُن أَغَنِّي لَكَ حَتَّى الآن لِتَتبَعَنِي، لِتَفهَمَنِي– وَلَا أَفعَل الآن؛
(لَقَد وُلِدتُ حَيثُ وُلِدَت الحَرب،
وَقَعقَعَةُ طُبُول الكتَائِب هِي دَائِمًا مُوسِيقَى عَذبَةٌ بِالنِّسبَةِ لِي، وَأُحِب التَّرانِيمَ الجنَائِزِيَّة،
بِعَوِيلِهَا البَطِيء وَنَهنَهَتِهَا المتَشَنِّجَة التِي تَتَقَدَّم جنَازَةَ الضَّابِط)؛
فَمَا جَدوَى شَاعِرٍ مِثلِي لِشَخصٍ مِثلك؟ لِهَذَا اترُك أعمَالِي،
وَاذهَب رَفِّه عَن نَفسِك بِمَا يُمكِنُكَ أَن تَفهَمَه، مَع نَغَمَاتِ البِيَانُو،
فَأَنَا لَا أُرَفِّه عَن أَحَد، وَلن تَفهَمَنِي أَبَدًا.

انظُري، أيتها الظَّافـرة على القمَم

انظُرِي، أَيَّتُهَا الظَّافِرَةُ عَلَى القِمَم،
أَينَمَا تَرقُبِين العَالَمَ بِجَبِين سَامٍ،
(العَالَم أَيَّتُهَا المُتَحَرِّرَةُ، الذِي تَآمَر عَلَيكِ بِلَا جَدوَى)،
خَارِجَةً مِمَّا لَا يُحصَى مِن شِرَاكِهِ المحَاصِرَة، بَعدَ إِحبَاطِهَا جَمِيعًا،
مُهَيمِنَةً، تُحِيطُ بِكِ الشَّمسُ البَاهِرَة،
تَزدَهِين الآن بِلَا سُوءٍ فِي سِيمَاء خَالِدَةٍ مُزدَهِرَة– انظُرِي، فِي هَذِهِ السَّاعَاتِ السَّامِيَة،
مَا مِن قَصِيدَةٍ افتِخَارٍ أَجِيءُ لأُغَنِّيهَا لَك، وَلَا مِن شِعرِ البَرَاعَةِ المُنتَشِي،
بَل عُنقُودًا يَحتَوِي ظُلمَةَ اللَّيلِ وَالجِرَاحِ التِي تَقطُرُ الدَّم،
وَتَرَانِيمَ الموتَى.

الرُّوح التي انتهَى دَورها

(مدينة واشنطن، 1865)

أَيَّتُهَا الرُّوحُ التِي انتَهَى دَورُهَا– رُوح السَّاعَاتِ الرَّهِيبَة!
قَبلَ أَن تَرحَلِي فَلتزِيلِي عَن نَاظِرِي غَابَاتِ حِرَابِك؛
يَا رُوحَ المخَاوِفِ وَالشُّكُوكِ الكَئِيبَة (مَعَ ذَلِكَ تُوَاصِلِين التَّقَدُّمَ أَبَدًا بِلَا تَرَدُّد)،
يَا رُوحَ أَيَّامٍ جَلِيلَةٍ كَثِيرَة وَمَشَاهِدَ وَحشِيَّةٍ كَثِيرَة– رُوحٌ مُثِيرَة،
مَن بِصَوتِكِ المُغَمغِم خِلَالَ الحَربِ التِي انتهَت الآن، حَلَّقتِ كَشَبَحٍ لَا يَكِل،
مُستَثِيرَةً الأَرضَ بِأَنفَاسِ اللَّهبِ، فِيمَا تقرَعِين وَتقرَعِين الطَّبل،
وَالآنَ إِذ يَتَرَدَّد حَولِي صَوتُ الطَّبل، أَجوَف وَأَجَشّ إِلَى النِّهَايَة،
إِذ تَعُودُ طَوَابِيرُكِ، طَوَابِيرُكِ الخَالِدَة، تَعُودُ مِن المعَارِك،
إِذ مَا تَزال البَنَادِقُ تَتَدَلَّى مِن أَكتَافِ شُبَّانِك،
إِذ أَنظُرُ إِلَى السَّنَاكِي تُومِض عَلَى أَكتَافِهِم،
إِذ تَبدُو فِي البَعِيد هَذِهِ السَّنَاكِي المَائِلَةُ غَابَاتٍ كَامِلَةً مِنهَا، تَقتَرِبُ وَتَمُر، عَائِدَةً إِلَى الوَطَن،
تَتَقَدَّم بِحَرَكَةٍ مُنتَظِمَة، مُتَأَرجِحَةً ذِهَابًا وَإِيَابًا إِلَى اليَمِين وَالشِّمَال،
تَعلُو وَتَهبِط بِخِفَّةٍ وَاتِّسَاقٍ فِيمَا الخُطَى تُحَافِظُ عَلَى الإِيقَاع؛
يَا رُوحَ السَّاعَاتِ التِي عَرفتُهَا، حَمرَاءَ مُتَوَقِّدَةً فِي يَوم، لَكِنَّهَا شَاحِبَةٌ كَالموتِ فِي اليَومِ

التَّالِي،
المسِي فَمِي قَبلَ رَحِيلِك، اضغَطِي بِقُوَّةٍ عَلَى شَفَتَيْ،
اترُكِي لِي نَبضَاتِ غَضَبِك-- أَورِثِيهَا لِي– أَفعِمِينِي بِتَيَّارَاتٍ مُزَلزِلَة،
اجعَلِيهَا تَسفَع وَتَلذَع بِأَنَاشِيدِي حِين تَذهَبِين،
اجعَلِيهَا تُوَحِّدكِ بِالمستَقبَلِ فِي هَذِهِ الأَغَانِي.

وداعُ الجنــدي

وَدَاعًا أَيُّهَا الجُندِي،
فَأَنتَ مِن ضِمنِ الحَملَةِ الوَحشِيَّة (التِي تَشَارَكنا فِيهَا)،
السَّير السَّرِيع، حَيَاة المَعسكَر،
الاشتِبَاك الحَاد لِجبهَتَين مُتقَابِلَتِين، المنَاوَرَة الطَّوِيلَة،
المَعَارِك الدَّامِيَة بِمَجَازِرِهَا، الحوَافِز، المنَافَسَة القَوِيَّة المرعِبَة،
فِتنَة كُل القُلُوبِ الشُّجَاعَةِ الرُّجُولِيَّة، سَرَيَانُ الزَّمَنِ فِيكَ وَفِي أَقرَانِك المحتَشِدِين،
بِالحَرب وَتَعبِير الحَرب.

وَدَاعًا يَا رَفِيقِي العَزِيز،
مُهِمَّتُك اكتَمَلَت- لِكِنَّنِي، المولَع أَكثَر بِالحَرب،
أَنَا نَفسِي وَرُوحِي المشَاكِسَة هَذِه،
مَا نَزَالُ مَحكُومَين بِحَملَتِنَا،
خِلَالَ طُرُقٍ لِم يَطَأهَا أَحدٌ تُخفِي أَعدَاءً كَامِنِين،
خِلَالَ هَزَائِمَ كَثِيرَةٍ قَاصِمَة وَأَزَمَاتٍ كَثِيرَة، بِلَا جَدوَى غَالِبًا،
سَائِرِين هُنَا، أَبَدًا نَسِيرُ قُدُمًا، نَخُوضُ حَربًا- آي هُنَا،
لِنَمنَح تَعبِيرًا لِمَعَارِكَ أَكثَر ضَرَاوَةً، وَوَطأَة.

فلتعُودي أيتها الحريَّــة

فَلتَعُودِي أَيَّتُهَا الحُرِيَّــة، فَالحَربُ انتَهَت.
مِنهَا وَمِن الآن فَصَاعِدًا امتَدِّي، بِلَا شُكُوكٍ بَعدَ الآن، عَن تَصمِيم، مُجتَاحَةً العَالَم،
عُودِي مِن أَرَاضِي المَاضِي التِي تُسَجِّلُ شَوَاهِدَ مَا جَرَى،
مِن المغَنِّين الذِين يَتَغَنُّون بِأَمجَادِ المَاضِي الزَّاحِفَة،
مِن أَنَاشِيد العَالَمِ الإِقطَاعِي، وَانتِصَارَاتِ الملُوك، وَالعبُودِيَّة، وَالطَّائِفَة،
عُودِي إِلَى العَالَم، وَالانتِصَارَات المُدَّخَرَةِ وَالقَادِمَة- دَعِي ذَلِكَ العَالَمَ الخَلفِي،
اترُكِي لِمُنشِدِي المَاضِي، امنَحِيهِم المَاضِي المتَجَرجِر،
لَكِن مَا يَبقَى يَبقَى لِمَن يُنشِدُونَكِ-
فَالحُرُوبُ القَادِمَةُ لَكِ،
(انظُرِي، كَيفَ صَلَبَتْ عُودَكِ حُرُوبُ المَاضِي، وَحُرُوبُ الرَّاهِنِ أَيضًا تَصلِبُ العُود)؛
فَعُودِي إِذَن، وَلَا تَتَوَجَّسِي أَيَّتُهَا الحرِيَّة- أَدِيرِي وَجهَكِ الأَبدِي،
إِلَى حَيثُ المستَقبَل، الأَعظَم مِن المَاضِي كُلِّه،
يَتَهَيَّأ سَرِيعًا، أَكِيدًا، لَكِ.

إلَى الأرض الخصبة التي سارُوا عليها

إلَى الأرض الخِصبَةِ التِي سَارُوا عَلَيهَا أَهتِفُ إِنِّي أُغَنِّي لِلمَرَّةِ الأخِيرَة،
(أَخرُجُ مِن خَيمَتِي نِهَائِيًّا، مُرخِيًا، مُفَكِّكًا حِبَالَ الخَيمَة)،
فِي نَدَاوَةِ هَوَاءِ الضُّحَى، فِي الدَّوَائِرِ وَالآفَاقِ مُترَامِيَةِ الأطرافِ التِي أُعِيدَ إِلَيهَا السَّلَام،
إِلَى الحقُولِ المضطَرِمَةِ المثمِرَة وَالآفَاقِ اللَّانِهَائِيَّةِ فِي الوَرَاء، إِلَى الشَّمَالِ وَالجَنُوب،
إِلَى الأرضِ الخِصبَةِ لِلعَالَم الغَربِي عُمُومًا لِأُشهِرَ أُغنِيَاتِي،
إِلَى تِلَالِ أَلِيغَانِي وَنَهرِ المِيسِيسِيبِّي الذِي لَا يَكِل،
إِلَى الصُّخُور أُغَنِّي مُنَادِيًا، مَعَ جَمِيع أَشجَارِ الغَابَات،
إِلَى سُهُولِ قَصَائِدِ الأبطَال، إِلَى البَرَارِي مُتَرَامِيَةِ الأطرَاف،
إِلَى البَحرِ البَعِيد وَالرِّيَاحِ الخَفِيَّة، وَالهَوَاءِ الصَّافِي الرَّهِيف؛
وَفِي تَجَاوبٍ يَرُدُّون عَلَيَّ جَمِيعًا (لَكِن لَيسَ بِالكَلِمَات)،
الأَرضُ المشَاع، شَاهِدَةُ الحَربِ وَالسَّلَام، تُقِر فِي صَمت،
وَالبَرَارِي تَشُدُّنِي إِلَيهَا، مِثلَمَا يَشُد الأبُ ابنه إِلَى صَدرِه العَرِيض،
وَالثَّلجُ والمطَرُ الشَّمَالِيَّان اللَّذَان بَدَآنِي يُغَذِّيَانَنِي حَتَّى النِّهَايَة،
لَكِن شَمسَ الجَنُوبِ الحَارَّةَ هِي مَا سَتُنضِج تَمَامًا أُغنِيَاتِي.

ذكرَى الرئيس لِنكُولن

حين أزهر اللَّيلَك أخيرًا في الباحَة

[1]

حِين أَزهَر اللَّيلَكُ أَخِيرًا فِي البَاحَة،
وَالنَّجمُ الكَبِيرُ تَدَلَّى مُبَكِّرًا فِي السَّمَاءِ الغَربِيَّةِ فِي اللَّيل،
انتَحَبتُ، وَسَأَنتَحِبُ كُلمَا عَادَ الرَّبِيعُ أَبَدًا.

أَيُّهَا الرَّبِيعُ العَائِدُ أَبَدًا، أَنتَ تَأتِي لِي بِثَلَاثَة أَشيَاء،
اللَّيلَكِ المُزهِرِ أَبَدًا وَالنَّجمِ المتدَلِّي فِي الغَرب،
وَذِكرَى مَن أُحِب.

[2]

أَيُّها النَّجمُ الغَربِي الهَائِلُ الذِي هَوَى!
يَا أَطيَافَ اللَّيل– أَيُّهَا اللَّيلُ الكَئِيبُ، الدَّامِع!
أَيُّهَا النَّجمُ العَظِيمُ المتَلَاشِي– يَا لَلغَيمَةِ السَّودَاءِ التِي تُخفِي النَّجم!
أَيَّتُهَا الأيدِي القَاسِيَةُ التِي تَستَلِبُنِي خَائِرًا– يَا رُوحِي العَاجِزَة!
أَيَّتُهَا الغَيمَةُ الفَظَّةُ المحِيطَةُ بِي بِلَا فِكَاكٍ لِرُوحِي.

[3]

فِي البَاحَةِ المَوَاجِهَةِ لِمَنزِلٍ رِيفِي قَدِيم قُربَ الأسيجَةِ المطلِيَّةِ بِالأبيَض،
تَنتَصِبُ أَجَمَةُ اللَّيلَك طَوِيلَةً- نَامِيَةً بِأَورَاقٍ دَاكِنَةِ الخُضرَةِ لَهَا شَكلُ القَلبِ،
بِأَزهَارٍ كَثِيرَةٍ مُدَبَّبَةٍ تَشبُّ رَهِيفَةً، مَعَ الأَرِيجِ الذِي أُحِب،
وَمَع كُل وَرَقَةٍ مُعجِزَة- وَمِن هَذِه الأَجَمَة فِي البَاحَة،
بِزُهُورٍ رَهِيفَةِ اللَّونِ وَأَورَاقٍ بِشَكلِ القَلبِ دَاكِنَةِ الخُضرَة،
أَكسِر غُصنًا صَغِيرًا بِزَهرَتِه.

[4]

فِي المكَامِنِ المعزُولَة فِي المستَنقَع،
طَائِرٌ خَجُولٌ وَخَفِي يُغَرِّد أُغنِيَة.

مَعزُولٌ الطَّائِرُ المغَرِّد،
التَّاسِكُ المُنفَرِدُ بِنَفسِه، مُتَفَادِيًا المسَاكِن،
يُغَنِّي بِنَفسِه أُغنِيَة.

أُغنِيَةُ الحنجرَةِ الدَّامِيَة،
أُغنِيَةٌ نَابِعَةٌ مِن الموتِ عَن الحَيَاة (فَأَنَا أَعلَم جَيِّدًا يَا أَخِي العَزِيز،
أَنَّكَ لَو لَم تُغَنِّ فَستَمُوتُ بِالتَّأكِيد).

[5]

عَلَى صَدرِ الرَّبِيع، الأَرضِ، وَسَط المدُن،
وَسَط الممَرَّاتِ وَخِلَالَ الغَابَاتِ القَدِيمَة، حَيثُ أَطَلَّ البَنَفسَجُ أَخِيرًا مِن التُّربَة، مُرَصِّعًا

الأنقاضَ الرَّمَادِيَّة،
وَسطَ العُشبِ فِي الحُقُولِ عَلَى جوَانِبِ الممَرَّات، عَابِرًا العُشبَ اللَّانِهَائِي،
عَابِرًا القَمحَ ذَا السَّنَابِلِ الصَّفرَاء، وَكُلُّ حَبَّةٍ بَارِزَةٌ مِن كَفَنِهَا فِي الحقُولِ البُنِّيَّةِ الدَّاكِنَة،
عَابِرًا أزهَارَ شَجَرِ التُّفَّاحِ البيضَاءَ وَالقُرمُزِيَّةَ فِي البَسَاتِين،
حَامِلًا جُثمَانًا إِلَى حَيثُ سَيَرقُد فِي القَبر،
لَيلَ نَهَار يَرتَحِل كَفَن.

[6]

كَفَنٌ يَعبُر خِلَالَ الممَرَّاتِ وَالشَّوَارِع،
خِلَالَ النَّهَارِ وَاللَّيل مَعَ الغَيمَةِ الهَائِلَةِ التِي تُظلِمُ الأرض،
مَع مَهَابَةِ الرَّايَاتِ الحزِينَةِ التِي تَطُوفُ المدُنَ المُجَلَّلَةَ بِالسَّوَاد،
مَعَ مَنظَرِ الوِلَايَاتِ نَفسِهَا كَنِسَاءٍ يَقِفن مُتَّشِحَاتٍ بِالحِدَاد،
مَعَ مَوَاكِبَ طَوِيلَةٍ مُتَلَوِّيَةٍ وَمَشَاعِلِ اللَّيل،
مَع المشَاعِلِ المضَاءَةِ بِلَا حَصر، مَع البَحرِ الصَّامِت مِن الوُجُوه وَالرُّؤُوسِ غَيرِ العَارِيَة،
مَعَ النَّعشِ المنتَظِر، وَالكَفَنِ القَادِم، وَالوُجُوهِ الكَئِيبَة،
مَع التَّرَانِيمِ الجنَائِزِيَّةِ فِي اللَّيل، مَع آلَافِ الأصوَاتِ المتَصَاعِدَةِ قَوِيَّةً مهيبَة،
مَعَ كُلِّ الأصوَاتِ النَّائِحَةِ لِلتَّرَانِيم المسكُوبَةِ حَولَ الكَفَن،
وَالكَنَائِسِ مُعتِمَةِ الإِضَاءَةِ وَالأرَاغِنِ الرَّاجِفَة- حَيثُ وَسطَهَا تَرحَل،
مَع الأجرَاسِ التِي تُقرَع وَتُقرَع فِي قَرقَعَةٍ دَائِمَة،
هُنَا، مَعَ الكَفَن الذِي يَمُر وَئِيدًا،
أَمنَحُكَ غُصنِي اللَّيلَكِي.

[7]

(لَا إِلَيك، إِلَى شَخصٍ وَاحِد،

بَل آتِي بِالزُّهُورِ وَالأَغصَانِ الخَضرَاءِ إِلَى جَمِيعِ الأَكفَان،
وَلأَنِّي مُنتَعِشٌ كَالصَّبَاح، سَأُنشِدُ أُغنِيَةً لَك أَيُّهَا المَوتُ الخَالِصُ المقَدَّس.

فِي كُل مَكَانٍ بَاقَاتٌ مِن الوُرُود،
أَيُّهَا المَوتُ، إِنَّنِي أُغَطِّيكَ كُلَّكَ بِالوُرُودِ وَاللَّيَالِكِ المُبَكِّرَة،
لَكِن غَالِبًا وَالآن يُزهِر اللَّيلَكُ أَوَّلًا،
أَقَطَعُ الكَثِير، أَقطَعُ الأَغصَانَ الصَّغِيرَةَ مِن الأَجمَات،
وَآتِي بِذِرَاعَين مُثقَلَين، أَصُبهمَا مِن أَجلِك،
مِن أَجلِك وَمِن أَجلِ الأَكفَانِ كُلِّهَا أَيُّهَا المَوت).

[8]

أَيُّهَا الكَوكَبُ الغَربِي المبحِرُ فِي السَّمَاء،
الآنَ أَعرِفُ بِمَا لَابُد قَصَدتَه مُنذُ شَهرٍ حِين كُنتُ أَتَمَشَّى،
حِين كُنتُ أَتَمَشَّى صَامِتًا فِي اللَّيلِ الظَّلِيلِ الشَّفَّاف،
إِذ رَأَيتُك تُرِيدُ إِخبَارِي بِشَيءٍ مَا وَأَنتَ تَنحَنِي لِي لَيلَةً بَعدَ لَيلَة،
إِذ تَدَلَّيتَ مِن السَّمَاءِ خَفِيضًا كَأَنَّمَا إِلَى جِوَارِي (فِيمَا كَانَت النُّجُومُ الأُخرَى تَرقُب)،
إِذ تَمَشَّينَا مَعًا فِي اللَّيل المهِيب (فقَد كَانَ هُنَاك شَيءٌ مَا لَا أَدرِيه مَنَعَنِي مِن النَّوم)،
إِذ تَقَدَّم اللَّيل، وَرَأَيتُ عَلَى حَافَّةِ الغَربِ كَم كُنتَ مُفعَمًا بِالبَلَاء،
إِذ وَقَفتُ عَلَى الأَرض المرتَفِعَةِ فِي نَسِيم اللَّيلِ الشَّفَّافِ المنعِش،
إِذ شَهِدتُ مَوضِعَ مُرُورِك وَضَيَاعِكَ فِي السَّوَادِ السُّفلِي لِلَّيل،
إِذ غَاصَت رُوحِي فِي قَلَقِهَا مُنزَعِجَةً، حَيثُمَا كُنتَ أَيُّهَا الكَوكَبُ الحَزِين،
مُنتَهِيَةً، مُتَهَاوِيَةً فِي اللَّيل، وَرَحَلَت.

[9]

فَلتُغَنِّ هُنَاكَ فِي المستَنقَع،
أَيُّهَا المغَنِّي الخَجُولُ الرَّقِيق، أَسمَعُ نَغمَاتِك، أَسمَعُ نِدَاءَك،
أَسمَع، فَأَجِيءَ حَالًا، وَأَفهَمُك،
لَكِنِّي أَتَوانَى بُرهَةً، فَالنَّجمُ اللَّامِعُ أَعَاقَنِي،
يُمسِكُنِي وَيَعُوقُنِي النَّجمُ يَا رَفِيقِي الرَّاحِل.

[10]

آهِ كَيفَ سَأُغَرِّد مِن أَجلِ المَيِّتِ هُنَاكَ الذِي أَحبَبتُه،
وَكَيفَ سَأُوَشِّي أُغنِيَتِي مِن أَجلِ الرُّوحِ العَذبَةِ العَظِيمَةِ التِي رَحَلَت؟
وَكَيفَ سَيَكُون عِطرِي مِن أَجلِ قَبرِ مَن أُحِب؟

الرِّيَاحُ البَحرِيَّةُ التِي تَهُب مِن الشَّرقِ وَالغَرب،
التِي تَهُبُّ مِن البَحرِ الشَّرقِي وَمِن البَحرِ الغَربِي، إِلَى أَن تَلتَقِي عَلَى البَرَارِي هُنَاك،
هَذِه وَبِهَذِه مَعَ أَنفَاسِ نَشِيدِي،
سَأُعَطِّر قَبرَ مَن أُحِب.

[11]

آهِ مَاذَا سَأُعَلِّقُ عَلَى حَوَائِطِ الغُرفَة؟
مَاذَا سَتَكُونُ الصُّوَرُ التِي أُعَلِّقُهَا عَلَى الحَوَائِط،
لأُجَمِّلَ ضَرِيحَ مَن أُحَب؟

صُوَرٌ لِلرَّبِيع وَالمزَارِعِ وَالمنَازِل المتنَامِيَة،

مَع مَسَاءٍ أَبرِيلِي عِندَ الغُرُوبِ، وَالدُّخَانِ الرَّمَادِي الشَّفَّافِ وَالبَهِي،
مَعَ فَيضَانَاتِ الأصفَرِ الذَّهَبِي لِلشَّمسِ الغَارِبَة، الذَّاوِيَةِ، الفَاتِنَة، التِي تُحرِق وَتَنشُرُ الهَوَاء،
مَعَ العُشبِ المنعِشِ العَذبِ تَحتَ القَدَم، وَالأوراقِ الخَضرَاءِ الشَّاحِبَةِ للأشجَارِ المثمِرَة،
والسَّطحِ الأملَسِ المنسَابِ عَن بُعد، صَدرِ النَّهر، مَع نَفثَاتِ رِيحٍ هُنَا وَهُنَاك،
مَع التِّلَالِ المتَدَرِّجَةِ عَلَى الشُّطآن، مَع خُطُوطٍ كَثِيرَةٍ عَلَى السَّمَاء، وَالظِّلَال،
وَالمدِينَةُ فِي متنَاوَلِ اليَد بِمَسَاكِنِهَا الكَثِيفَة، وَأَعمِدَةِ المدَاخِن،
وَجَمِيع مَشَاهِد الحَيَاةِ وَالمشَاغِل، وَالشَّغِّيلَة العَائِدِين إِلَى البيُوت.

[12]

انظُرُوا، رُوحٌ وَجَسَدٌ- هَذِه الأرض،
حَبِيبَتِي مَانهَاتِن بِالأبرَاج، وَالمَد الوَامِضِ المهَروِل، وَالسُّفُن،
بِالأرضِ الفَسِيحَةِ المتنَوِّعَة، وَالجَنُوبِ وَالشَّمَالِ فِي الضَّوء، وَشُطآن أُوهيُو وَمِيسُّورِي الوَامِضَة،
وَدَائِمًا البَرَارِي المَدِيدَة فِي البَعِيد مُغَطَّاةً بِالعُشبِ وَالذُّرَة.

انظُرُوا، هِي أَروَعُ شَمسٍ هَادِئَةٍ وَسَامِيَة،
وَالصَّبَاحُ البَنَفسَجِي وَالأرجُوَانِي مَعَ النَّسَائِم الرَّهِيفَة،
وَالضَّوءُ الوَلِيدُ بِرِقَّةٍ بِلَا حُدُود،
وَالمعجِزَةُ المنتَشِرَةُ تُحَمِّم الجَمِيع، هِي الظَّهِيرَةُ المكتَمِلَة،
المسَاءُ الشَّهِي المتقَدِّمُ، وَاللَّيلُ وَالنُّجُومُ مَوضِعُ التَّرحِيب،
تَسطَعُ جَمِيعًا عَلَى مُدُنِي، فَتَلُف الإنسَانَ وَالأرض.

[13]

فَلتُغَنِّ، غَنِّ أَيُّهَا الطَّائِرُ البُنِّي الرَّمَادِي،
غَنِّ مِن المستَنقَعَات، وَالمكَامِن، اسكُب أُنشُودَتَك مِن الأجمَات،
بِلَا حُدُودٍ مِن الغَسَق، مِن أَشجَارِ الأَرزِ وَالصُّنُوبَر.

غَنِّ يَا أَخِي العَزِيز، غَرِّد أُغنِيَتَك عَلَى المزمَار،
أُغنِيَةً إِنسَانِيَّةً عَالِيَة، بِصَوتِ الأَسَى الأقصَى.

أَيُّهَا الرَّقرَاقُ وَالحُر وَالرَّهِيف!
أَيُّهَا الوَحشِي المفتُوحُ عَلَى رُوحِي– أَيُّهَا المغَنِّي الرَّائِع!
أَنتَ وَحدَك مَن أَسمَع– لَكِن النَّجمَ يُمسِكُ بِي (لَكِنَّه سرعَانَ مَا سَيَرحَل)،
لَكِن اللَّيلَكَ يُمسِكُ بِي بِأَرِيجٍ قَاهِر.

[14]

الآن فِيمَا كُنتُ أجلِسُ فِي النَّهَارِ أَتطَلَّع إِلَى الأمَام،
فِي نِهَايَةِ النَّهَار بِضَوئِه الذَّاوِي وَحُقُولِ الرَّبِيع، وَالمزَارِعُون يُعِدُّون مَحَاصِيلَهُم،
فِي المشهَدِ الشَّاسِع اللَّاوَاعِي لأَرضِي بِبُحَيرَاتِهَا وَأَحرَاجِهَا،
فِي الجَمَالِ الأَثِيرِي السَّمَاوِي (بَعدَ الرِّيَاح وَالعَوَاصِف المضطَرِبَة)،
تَحتَ السَّمَاوَات المقَوَّسَةِ لِلأصِيلِ العَابِر سَرِيعًا، وَأَصوَاتِ الأطفَالِ وَالنِّسَاء،
مَعَ مَدِّ البَحر العَارِمِ الوَافِر، وَرَأَيتُ كَيفَ كَانَت السُّفُنُ تُبحِر،
وَالصَّيفُ المقتَرِب بِثَرَاء، وَالحُقُولُ جَمِيعًا مَشغُولَةً بِالعَمَل،
وَالمَنَازِلُ المنفَصِلَة بِلَا حُدُود، كَيفَ مَضَوا جَمِيعًا، كُل مِنهُم بِطَعَامِه وَدَقَائِق تَفَاصِيلِه اليَومِيَّة،

وَالشَّوَارِع كَيفَ تَنبضُ نَبَضَاتُهَا، وَالمدُن الكَظِيمَة– انظُرُوا، هُنَا وَهُنَاك،
مُتَهَاوِيَةٌ عَلَيهَا جَمِيعًا وَوسطَهَا جَمِيعًا، تَلُفُّنِي مَعَ البَاقِين،
ظَهَرَت الغَيمَة، ظَهَر الذَّيلُ الأَسوَدُ الطَّوِيل،
وَعَرفتُ الموتَ، وَفِكرَتَه، وَمَعرِفَةَ الموتِ المقَدَّسَة.

آنَئِذٍ مَع مَعرِفَةِ المَوتِ إذ تَسِيرُ إِلَى جِوَارِي مِن نَاحِيَة،
وَفِكرَةُ الموتِ تَسِيرُ مُلتَصِقَةً بِي مِن النَّاحِيَةِ الأُخرَى،
وَأَنَا فِي المنتَصَفِ مِثلَمَا مَع رِفَاق، وَمِثلَمَا أُمسِكُ بِأَيدِي رِفَاق،
فَرَرتُ إِلَى الأَمَامِ إِلَى اللَّيلِ المستَقبِلِ المُخفِي الذِي لَا يَنطِق،
هَابِطًا إِلَى شُطآن المِيَاه، فَالمَمَر الملاصِقِ لِلمستَنقَع فِي العَتمَة،
إِلَى أَشجَار الأَرزِ الشَّبَحِيَّةِ وَأَشجَارِ الصُّنُوبَر الطَّيفِيَّةِ السَّاكِنَة.

وَالمغَنِّي الخَجُولُ مِنَ الآخَرِين تَلَقَّانِي،
وَالطَّائِرُ البُنِّي الرَّمَادِي الذِي أَعرِفُه تَلَقَّانَا نَحنُ الرِّفَاق الثَّلَاثَة،
وَغَنَّى تَرنِيمَةَ الموتِ، وَقَصِيدَةً لِمَن أُحِب.

مِن مَكَامِن خَفِيَّةٍ عَمِيقَة،
مِن الأَرزِ الفَوَّاحِ وَالصُّنُوبَر الطَّيفِي السَّاكِن،
أَتَت تَرنِيمَةُ الطَّائِر.

غَمَرَنِي سِحرُ التَّرنِيمَةِ بِالنَّشوَة،
كَأَنَّمَا تُمسِكُ بِي أَيدِي رِفَاقِي فِي اللَّيل،
وَتَوَافَقَ صَوتُ رُوحِي مَعَ أُغنِيَةِ الطَّائِر.

تَعَالَ أَيُّهَا المَوتُ الجَمِيلُ المهَدِّئ،
فَلتَتَمَاوَج حَولَ العَالَم، قَادِمًا، قَادِمًا بِسَكِينَة،
فِي النَّهَارِ، فِي اللَّيل، إِلَى الجَمِيع، إِلَى كُلّ وَاحِد،
عَاجِلًا أَو آجِلًا أَيُّهَا الموتُ الرَّهِيف.

مُبَارَكٌ الكَونُ بِلَا أَغوَار،
مِن أَجلِ الحَيَاةِ وَالبَهجَة، مِن أَجلِ الأَشيَاءِ وَالمعرِفَةِ المثِيرَة،
وَمِن أَجلِ الحُب، الحُب العَذب- لَكِن مُبَارَكٌ! مُبَارَكٌ! مُبَارَكٌ!
مِن أَجلِ الأَذرُعِ الوَاثِقَةِ المحتَضِنَةِ لِلمَوتِ البَارِدِ الذِي يَلُف المَرء.

أَيَّتُهَا الأُم المظلِمَةُ المنسَلَّةُ دَائِمًا مُقتَرِبَةً بِأَقدَامٍ رَقِيقَة،
أَلَم يُنشِد لَك أَحَدٌ أُنشُودَةَ أَجمَل تَرحِيب؟
إِذَن فَأَنَا أُنشِدُهَا لَك، أُمَجِّدُكِ فَوقَ الجَمِيع،
آتِي لَكِ بِأُغنِيَةٍ حَتَّى تَجِيئِي بِلَا تَرَدُّدٍ، حِين يَكُونُ عَلَيكِ حَقًّا أَن تَجِيئِي.

فَلتَقتَرِب أَيُّهَا المُخَلِّصُ القَوِي،
حِين يَحدُثُ ذَلِك، حِين تَأخُذهُم أُغَنِّي لِلمَوتَى بِابتِهَاج،
ضَائِعًا فِي مُحِيطِك العَاشِقِ الطَّافِي،
مُغتَسِلًا فِي فَيضَان بَركَتِك أَيُّهَا المَوت.

لَكَ مِنِّي أَلحَانٌ لَيلِيَّةٌ سَعِيدَة،
لَك رَقصَاتٌ أَنتَوِيهَا تَحِيَّةً لَك، زِينَاتٌ وَاحتِفَالَات لَك،
وَمَشَاهِدُ الطَّبِيعَةِ المفتُوحَة وَالسَّمَاءُ الشَّاسِعَةُ فِي الأَعَالِي تَلِيقُ بِك،
وَالحَيَاةُ وَالحُقُول، وَاللَّيلُ الهَائِلُ المتَأَمِّل.

اللَّيلُ الصَّمُوتُ تَحتَ نُجُومٍ كَثِيرَة،
شَاطِئُ المحِيط وَالموجَةُ الهَامِسَةُ المبحُوحَةُ التِي أَعرِفُ صَوتَهَا،
وَالرُّوحُ التِي تَستَدِيرُ إِلَيكَ أَيُّهَا الموتُ الشَّاسِعُ الخَفِي،
وَالجَسَدُ الذِي يَأوِي إِلَيكَ فِي عِرفَان.

عَلَى ذُرَى الأَشجَارِ أُرسِلُ إِلَيكَ أُغنِيَةً طَافِيَة،
عَلَى الأَموَاجِ الصَّاعِدَةِ وَالغَائِرَة، عَلَى آلَافِ الحقُولِ وَالبَرَارِي الشَّاسِعَة،
عَلَى المُدُنِ الكَثِيفَةِ المَرصُوصَة جَمِيعًا وَأَرصِفَةِ المَوَانِئِ وَالطُّرقَات،
أَدفَعُ هَذِه التَّرنِيمَةَ طَافِيَةً بِالبَهجَةِ، بِالبَهجَةِ إِلَيكَ أَيُّهَا المَوت.

[15]

عَلَى إِيقَاعِ رُوحِي،
وَاصَلَ الطَّائِرُ الرَّمَادِي البُنِّي بِصَوتٍ عَالٍ وَقَوِي،
بِنَغَمَاتٍ صَافِيَةٍ بَطِيئَة تَنتَشِر فَتَملأُ اللَّيل.

بِصَوتٍ عَالٍ فِي الأَرزِ وَالصُّنُوبَرِ المعتِم،
جَلِيًّا فِي الانتِعَاشِ النَّدِي وَرَائِحَةِ المستَنقَع،
وَأَنَا مَع رِفَاقِي هُنَاكَ فِي اللَّيل.

فِيمَا بَصَرِي الذِي كَانَ حَبِيسًا فِي عَينَيَّ غَير مُغمَض،
كَأَنَّمَا بِإِزَاءِ آفَاقٍ شَاسِعَةٍ مِن الرُّؤَى.

وَرَأَيتُ بِطَرفِ عَينِي الجُيُوش،
رَأَيتُ كَأَنَّمَا فِي أَحلَامٍ بِلَا صَوتٍ مِئَاتِ أَعلَامِ المعَارِك،

رَأَيتُهم يَنبَثِقُون خِلَالَ دُخَانِ المعَارِك وَتَختَرِقُهُم المقذُوفَات،
مُنتَقِلَةً إِلَى هُنَا وَهُنَاك خِلَالَ الدُّخَان، مُمَزَّقَةً، وَدَامِيَة،
وَفِي النِّهَايَةِ لَا يَبقَى مِنهَا سِوَى بِضعِ مِزَق فِي العِصِي (وَكُل شَيءٍ فِي صَمت)،
وَعِصِيُّ الأعلَام مَكسُورَةٌ مُهَشَّمَةٌ تَمَامًا.

رَأَيتُ جُثَثَ المعرَكَة، آلَافًا مِنهَا،
وَالهَيَاكِلَ العَظمِيَّةَ البَيضَاءَ لِلشُّبَّان، رَأَيتُهَا،
رَأَيتُ الرُّكَامَ وَرُكَامَ جُنُودِ الحَربِ المَذبُوحِين جَمِيعًا،
لَكِنِّي رَأَيتُ أَنَّهُم لَم يَكُونُوا كَمَا الظَّن،
كَانُوا مُرتَاحِين تَمَامًا، بِلَا مُعَانَاة،
الأحيَاءُ عَاشُوا وَعَانَوا، عَانَت الأُم،
وَالزَّوجَةُ وَالطِّفلُ وَالرَّفِيقُ المتَأَمِّل عَانَوا،
وَالجُيُوش التِي تَبَقَّت عَانَت.

[16]

عَابِرًا الرُّؤَى، عَابِرًا اللَّيـل،
عَابِرًا، مُرخِيًا تَشَبُّثَ أَيدِي رِفَاقِي،
عَابِرًا أُغنِيَةَ الطَّائِرِ النَّاسِك وَالأغنِيَةَ المتَجَاوِبَةَ لِرُوحِي،
أُغنِيَةٌ ظَافِرَةٌ، أُغنِيَةُ مَوت، لِكِنَّهَا أُغنِيَةٌ مُتَغَيِّرَةٌ مُتَبَدِّلَةٌ أَبَدًا،
خَفِيضَةٌ مُنتَحِبَة، لَكِن نَغَمَاتِهَا وَاضِحَةٌ، تَصَّاعَد وَتَهوِي، فَتَغمُر اللَّيل،
تَغُوصُ وَتَذوِي فِي حُزن، كَتَحذِيرٍ وَتَحذِير، لَكِنَّهَا مِن جَدِيد تَنفَجِر بِالبَهجَة،
مُغَطِّيَةً الأرض وَمُفعِمَةً بَرَاحَ السَّمَاء،
مِثل ذَلكَ المزمُورِ القَوِي الذِي سَمِعتُه فِي اللَّيل مُنبَعِثًا مِن المكَامِن الخَفِيَّة،
عَابِرًا، أَترُكُكَ أَيُّهَا اللَّيلَكُ بِالأوراقِ بِشَكلِ القَلب،

أَترُكُكَ هُنَاكَ فِي البَاحَة، مُزهِرًا، عَائِدًا مَعَ الرَّبِيع.

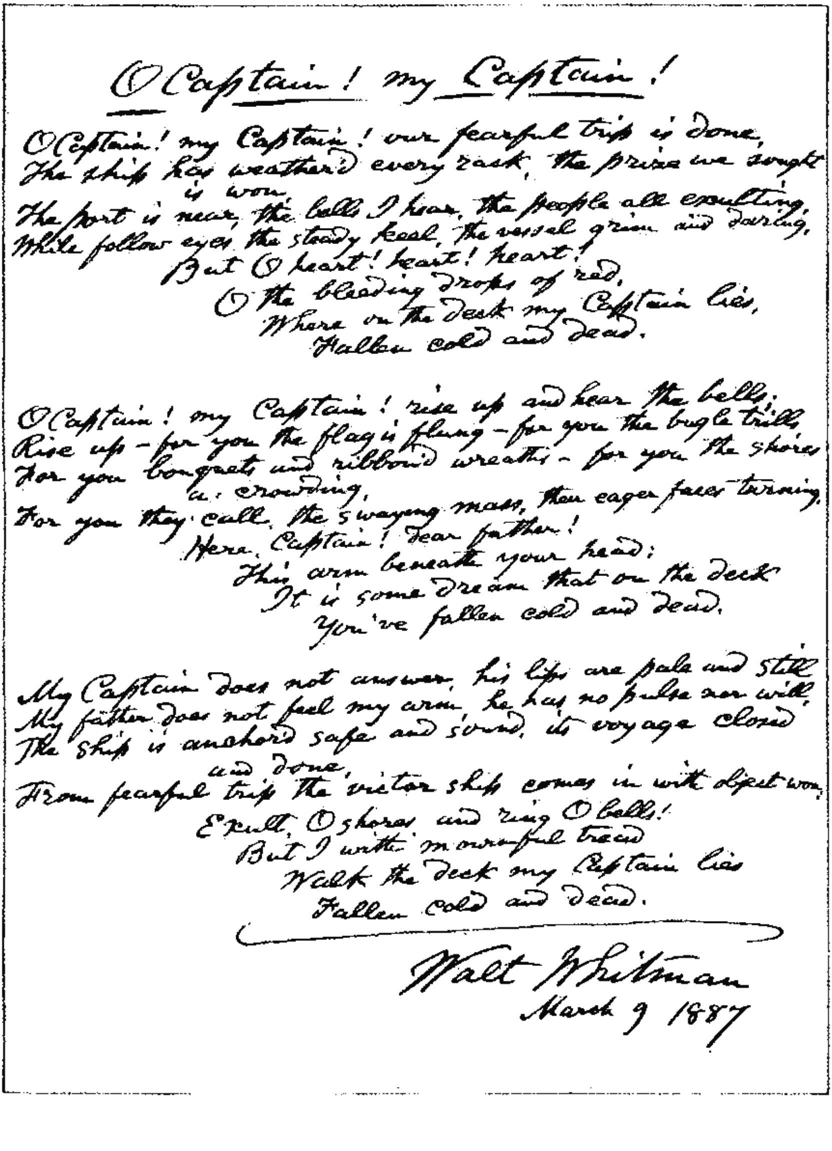
أَتَوَقَّفُ عَن أُغنِيَتِي لَك،
عَن حَملَقَتِي فِيك فِي الغَرب، مُوَاجِهًا الغَرب، مُتَنَاجِيًا مَعَك،
أَيُّهَا الرَّفِيقُ اللَامِعُ ذُو الوَجهِ الفِضِّي فِي اللَّيل.

لَكِن فَليَحتَفِظ كُل وَاحِدٍ وَالجَمِيع، بِمَا استعَدنَاه مِن اللَّيل،
الأَغنِيَة، الأُنشُودَةَ الرَّائِعَةَ لِلطَّائِرِ البُنِّي الرَّمَادِي،
وَالأُنشُودَةَ المجَاوِبَة، الصَّدَى المتَصَاعِدَ فِي رُوحِي،
مَعَ النَّجمِ اللَّامِع المتَدَلِّي بِسِيمَائِه المفعَمَةِ بِالعَذَاب،
مَعَ الشُّهُودِ المسكِين بِيَدِي عِندَ الاقتِرَابِ مِن نِدَاءِ الطَّائِر،
رِفَاقِي وَأَنَا فِي المنتَصَف، وَذِكرَاهُم مَحفُوظَةٌ أَبَدًا، مِن أَجلِ المَيِّتِ الذِي أَحبَبتُه كَثِيرًا،
مِن أَجلِ الرُّوحِ الأَعذَب، الأَكثَر حِكمَةً فِي كُل أَيَّامِي وَأَرَاضِيَّ- وَمِن أجلِ خَاطِرِه العَزِيز،
التَحَمَ اللَّيلَكُ وَالنَّجمُ وَالطَّائِر مَع أُنشُودَة رُوحِي،
هُنَاكَ فِي أَشجَارِ الصُّنُوبَر الفَوَّاحَة وَأَشجَارِ الأَرز الغَسَقِيَّةِ المُعتِمَة.

أيها القـائد! يا قـائدي!

أَيُّهَا القَائِد! يَا قَائِدِي! رِحلَتُنَا المُرعِبَةُ انتَهَت.
نَجَت السَّفِينَةُ مِن كُل خَطَر، وَالجَائِزَةُ التِي سَعَينَا إِلَيهَا كَسبنَاهَا،
المِينَاءُ قَرِيب، أَسمَعُ الأجرَاس، وَالنَّاسُ مُنتَشُون،
فِيمَا العُيُونُ تُتَابِعِ السَّفِينةَ المضطَرِدَة، السَّفِينَة الجهمَةَ المقتَحِمَة :
لَكِن يَا قَلبِي! يَا قَلبِي! يَا قَلبِي!
أَيَّتُهَا القَطَرَاتُ الدَّامِيَةُ مِن الأحمَر،
حَيثُ يَرقُد قَائِدِي عَلَى السَّطح،
مُتَهَاوِيًا بَارِدًا وَمَيِّتًا.

أَيُّهَا القَائِد! يَا قَائِدِي! انهَض وَاسمَع الأجرَاس؛
انهَض– فَمِن أَجلِكَ انتَصَبَت الرَّايَة– مِن أَجلِكَ يُدَوِّي البُوق،
مِن أَجلِكَ البَاقَاتُ والأكَالِيلُ المُزَيَّنَة– مِن أَجلِكَ تَزدَحِمُ الشَّوَاطِئ،
مِن أَجلِكَ يُنَادُون، وَالحَشدُ المتَمَاوِجُ، وُوُجُوهُهم الملهُوفَةُ تَستَدِير؛
أَيُّهَا القَائِد! يَا أَبِي العَزِيز!
هَذِه الذِّرَاعُ تَحتَ رَأسِك!
هُو حُلمٌ مَا عَلَى السَّطح،
وَقَد هَويتَ بَارِدًا وَمَيِّتًا.



O Captain! my Captain!

O Captain! my Captain! our fearful trip is done,
The ship has weather'd every rack, the prize we sought is won,
The port is near, the bells I hear, the people all exulting,
While follow eyes the steady keel, the vessel grim and daring;
But O heart! heart! heart!
O the bleeding drops of red,
Where on the deck my Captain lies,
Fallen cold and dead.

O Captain! my Captain! rise up and hear the bells;
Rise up—for you the flag is flung—for you the bugle trills,
For you bouquets and ribbon'd wreaths—for you the shores a-crowding,
For you they call, the swaying mass, their eager faces turning;
Here Captain! dear father!
This arm beneath your head;
It is some dream that on the deck
You've fallen cold and dead.

My Captain does not answer, his lips are pale and still,
My father does not feel my arm, he has no pulse nor will,
The ship is anchor'd safe and sound, its voyage closed and done,
From fearful trip the victor ship comes in with object won;
Exult, O shores, and ring O bells!
But I with mournful tread
Walk the deck my Captain lies
Fallen cold and dead.

Walt Whitman
March 9 1887

قَائِدِي لَا يُجِيب، شَفَتَاه شَاحِبَتَان سَاكِنتَان،

أَبِي لَا يُحِس بِذِرَاعِي، لَا نَبض لَدَيه وَلَا إِرَادَة،

رَسَت السَّفِينَةُ سَالِمَةً رَاسَخَة، وَرِحلَتُهَا اختُتِمَت وَانتَهَت،

وَمِن رِحلَةٍ مُرعِبَةٍ وَصَلَت السَّفِينَةُ الظَّافِرَةُ مَع الغَايَةِ المتحَقِّقَة؛
فَتَهَلَّلِي أَيَّتُهَا الشُّطآن، وَدُقِّي أَيَّتُهَا الأجرَاس!
لَكِنِّي بِخُطًى نَائِحَةٍ،
أَقطَعُ السَّطحَ الذِي يَرقُد عَلَيه قَائِدِي،
مُتَهَاوِيًا بَارِدًا وَمَيِّتًا.

صمتًا في المعسكرات اليوم

(4 مايو 1865)

صَمتًا فِي المَعسكَرَاتِ اليَوم،
وَأَيُّهَا الجُنُودُ فَلنُغَطِّ أَسلِحَتَنَا المتَهَالِكَة،
وَليَنسَحِب كُلُّ وَاحِدٍ بِرُوحٍ مُتَأَمِّلَةٍ لِيُحَيِّي
ذِكرَى مَوتِ قَائِدِنَا العَزِيز.

لَا مَزِيدَ مِن صِرَاعَاتِ الحَيَاةِ العَاصِفَةِ بِالنِّسبَةِ لَه،
لَا انتِصَارَ، وَلَا هَزِيمَة- لَا مَزِيدَ مِن أَحدَاثِ الزَّمَنِ السَّودَاء،
المهَاجِمَةِ كَغُيُومٍ لَا تَنتَهِي عَبرَ السَّمَاء.

لَكِن فَلتُغَن بِاسمِنَا أَيُّهَا الشَّاعِر،
غَنِّ عَن الحُب الذِي نُكِنُّه لَه- لأَنَّكَ، المقِيمُ فِي المَعسكَرَات، تَعرِفُه حَقًّا.

إذ يَهبِطُون بِالنَّعشِ هُنَالِك،
غَنِّ- إِذ يُوصِدُون أَبوَابَ الأَرضِ عَلَيه- قَصِيدَةً وَاحِدَة،
مِن أَجلِ قُلُوبِ الجُنُودِ المُثقَلَة.

هذا التُّراب كان الرجلَ ذات يوم

هَذَا التُّرَابُ كَانَ الرَّجُلَ ذَاتَ يَوم،
رَقِيقًا، وَاضِحًا، عَادِلًا وَذَا عَزِيمَة، بِيَدِه الحَرِيصَة،
ضِد أَكثَر الجرَائِم شَنَاعَةً فِي التَّارِيخ المعرُوفِ فِي كُل البُلدَانِ وَالعُصُور،
وَأَنقَذَ وِحدَةَ هَذِهِ الولَايَات.

عَلَى شاطئ أونتَاريـُو الأزرق

[1]

عَلَى شَاطِئِ أُونتَاريُو الأزرَق،
إذ تَأَمَّلتُ أَيَّامَ الحَربِ هَذِهِ وَالسَّلَامَ العَائِدَ، وَالموتَى الذِين لَا يَعُودُون،
بَادَرَنِي بِالكَلَام شَبَحٌ هَائِلٌ رَائِع، بِسِيمَاء صَارِمَة،
أَنشِد لِي القَصِيدَة، قَال، *التِي تَصدُرُ عَن رُوح أَمِيرِيكَا، أَنشِد لِي تَهلِيلَةَ النَّصر،*
وَافتَتِح مَسِيرَاتِ الحُرِّيَّة، مَسِيرَاتٍ أَكثَر عُنفُوَانًا مِن ذِي قَبل،
وَغَنِّنِي قَبلَ أَن تَمضِي أُغنِيَةَ مَخَاضَاتِ الدِّيمُوقرَاطِيَّة.

(الدِّيمُوقرَاطِيَّةُ، المنتَصِرُ القَدَرِي، لَكِن ابتِسَامَاتٍ خَائِنَةً عَلَى الشِّفَاه فِي كُل مَكَان،
وَالموتُ وَالغَدرُ فِي كُل خُطوَة).

[2]

أُمَّةٌ تُعلِن عَن نَفسِهَا،
أَنَا نَفسِي أَصنَعُ النَّمَاءَ الوَحِيدَ الذِي يُمكِن بِه أَن أَكُونَ مَوضِعَ تَرحِيب،
لَا أُنكِر أَحَدًا، أَقبَل الجَمِيعَ، ثُم أُعِيدُ إِنتَاجَ الجَمِيع بِأَشكَالِي الخَاصَّة.

نَسلٌ بُرهَانُه يَكمُن فِي الزَّمَنِ وَالأفعَال،

فَنَحنُ مَا نَحن، فَالأصلُ إِجَابَةٌ شَافِيَةٌ عَلَى الاعتِرَاضَات،
نَحنُ نَستَخدِمُ أَنفُسَنَا مِثلَمَا يُستَخدَمُ السِّلَاح،
أَقوِيَاءُ وَهَائِلُون فِي ذَوَاتِنَا،
عَمَلِيُّون فِي ذَوَاتِنَا، مُكتَفُون فِي تَنَوُّع ذَوَاتِنَا،
نَحنُ الأجمَلُ فِي ذَوَاتِنَا لِذَوَاتِنَا،
نَقِف مُتَوَازِنِين ذَاتِيًّا فِي المنتَصَفِ، نَمُد أَغصَانَنَا مِن هُنَا عَلَى العَالَم،
مِن مِيسُّورِي، نِبرَاسكَا، أَو كَانسَاس، ضَاحِكِين عَلَى الهَجَمَات إِلَى حَدِّ الازدِرَاء.

لَا شَيء آثِمٌ بِالنِّسبَةِ لَنَا خَارِجَ ذَوَاتِنَا،
وأَيًّا كَان مَا يَبدُو، أَيًّا كَانَ مَا لَا يَبدُو، فَنَحنُ جَمِيلُون أَو آثِمُون فِي ذَوَاتِنَا فَحَسب.

(يَا أُمِّي– يَا أَخوَاتِي العَزِيزَات!
لَو أَنَّنَا ضِعنَا، فَلَن يَكُونَ قَد دَمَّرنَا مُنتَصِرٌ آخِر،
فَبِأَيدِينَا نَحنُ نَنحَدِرُ إِلَى اللَّيلِ الأَبدِي).

[3]

هَل فَكَّرتَ فِي أَنَّه لَا يُمكِن أَن يُوجَدَ إِلَّا كَائنٌ أَسمَى وَحِيد؟
يُمكِن أَن يَكُون هُنَاك عَدَدٌ مِن الكَائِنَاتِ السَّامِيَة– فَالوَاحِدُ لَم يَعُد يُعَوِّض عَن الآخَر مِثلَمَا يُعَوِّض بَصَرُ العَين عَن الآخَر، أو تُعَوِّضُ حَيَاةٌ عَن الأُخرَى.

الكُل مَرغُوبٌ مِن الكُل،
الكُل مِن أَجلِ الأفرَاد، الكُل مِن أَجلِك،
مَا مِن شَرطٍ مَانِع، لَا مِن الرَّب أَو أَيِّ أَحَد.

كُلُّ شَيءٍ يَأْتِي مِن الجَسَد، وَالصِّحَّةُ وَحدَهَا تَجعَلُكَ عَلَى وِئَامٍ مَع الكَون.

فَلتُنجِبُوا أَشخَاصًا عُظَمَاء، وَالبَقِيَّةُ تَأْتِي.

[4]

التَّقوَى وَالامتِثَالُ بِالنِّسبَةِ لَهُم هِي المُرَاد،
السَّكِينَةُ، وَالسِّمنَةُ، وَالوَلَاءُ، بِالنِّسبَةِ لَهُم هِي المُرَاد،
وَأَنَا مَن يُخضِعُ بِالتَّوبِيخِ السَّاخِرِ الرِّجَالَ، وَالنِّسَاءَ، وَالأُمَم،
صَارِخًا، أَقفِز مِن مَقَاعِدكُم وَأُنَاضِلُ مِن أَجلِ حَيَوَاتِكُم!

أَنَا مَن يَسِيرُ فِي الوِلَايَاتِ بِلِسَانٍ لَاذِع، مُستَجوِبًا كُلَّ مَن أُقَابِل،
فَمَن أَنتَ يَا مَن لَا تُرِيدُ إِلَّا أَن تَعرِفَ مَا عَرفتَه مِن قَبل؟
مَن أَنتَ يَا مَن لَا تُرِيدُ إِلَّا كِتَابًا يُرَافِقُكَ فِي هُرَائِك؟

(بِالوَخزَاتِ وَالصَّرخَاتِ كَوَخزَاتِك وَصَرخَاتِك أَيُّهَا المنجِبُ لأطفَالٍ كَثِيرِين،
أَمنَح هَذَا الصَّخَبَ الوَحشِي إِلَى جِنسٍ ذِي كِبريَاء).

أَيَّتُهَا الأَرَاضِي، هَل سَتَكُونِين أَكثَر حُرِيَّةً مِن كُل مَا سَبَق؟
إِن كُنتِ سَتُصبِحِين أَكثَر حُرِّيَّةً مِن كُل مَا سَبَق، فَتَعَالَي أَنصِتِي لِي.

فَلتَخشَي الجَمَالَ، وَالوَسَامَةَ، وَالحَضَارَة، وَاللَّبَاقَة،
فَلتَخشَي الرَّخِيمَ العَذبَ، وَامتِصَاصَ رَحِيقِ العَسَل،
احذَرِي النُّضجَ القَاتِلَ المتَقَدِّمَ لِلطَّبِيعَة،
احذَرِي مَا يَسبِقُ فَنَاءَ عَزِيمَةِ الوِلَايَاتِ وَالنَّاس.

[5]

العُصُورُ، وَالسَّابِقُون، رَاكَمُوا طَوِيلًا مَوَاد بِلَا هَدَف،
وَتَأْتِي أَمِيرِيكَا بِالبَنَّائِين، وَتَأْتِي بِأَسَالِيبِهَا الخَاصَّة.

وَالشُّعَرَاءُ الخَالِدُون مِن آسيَا وَأُورُوبَّا أَنجَزُوا عَمَلَهُم وَعَبَرُوا إِلَى آفَاقٍ أُخرَى،
وَيَبقَى عَمَلٌ ما، العَمَلُ عَلَى تَجَاوِز كُل مَا أَنجَزُوه.

أَمِيرِيكَا، الفضُولِيَّةُ تِجَاهَ السِّمَاتِ الأجنَبِيَّة، تَقِف مُستَقِلَّةً فِي جَمِيع الظُّرُوف،
تَقِف نَائِيَةً، شَاسِعَةً، مُرَكَّبَةً، رَاسِخَةً، تَستَهِل الاستِفَادَةَ الحَقِيقِيَّةَ مِن السَّابِقِين،
لَا تُزِيحُهُم هُم أَو المَاضِي أَو مَا أَنجَزُوا بِصِيغَاتِهِم،
تَتلَقَّى الدُّرُوسَ فِي هُدُوء، تُدرِك الجُثمَانَ الذِي نُقِلَ فِي بُطءٍ مِن المنزِل،
تُدرِك أَنَّه يَنتَظِرُ بُرهَةً عَلَى البَاب، أَنَّه كَانَ الأَنسَبَ لِزَمَنِه،
أَن حَيَاتَه قَد أُحِيلَت إِلَى الوَرِيثِ قَوِيِّ البِنيَةِ حَسَنِ الشَّكل الذِي يَقتَرِب،
وَأَنه (الوَرِيث) سيَكُون الأنسَبَ لِزَمَنِه.

فِي أَيَّةِ فَترَةٍ لَابُد لأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ أَن تَقُود،
بَلَدٌ وَاحِدٌ لَابُد أَن يَكُون وَعدَ وَرَكِيزَةَ المستَقبَل.

هَذِه الوِلَايَاتُ هِي القَصِيدَةُ الأَرحَب،
هُنَا لَيسَت فَحَسب أُمَّةً، بَل أُمَّة مُوَحَّدَة مِن أُمَم،
هُنَا تَتجَاوَبُ أَعمَالُ الإِنسَانِ مَع الأعمَالِ وَاسِعَةِ الانتِشَارِ لِلَّيلِ وَالنَّهَار،
هُنَا مَا يَمضِي فِي حُشُودٍ رَائِعَةٍ بِلَا اعتِبَارٍ لِلتَّفَاصِيل،
هَا هُنَا الخَشِنُون، وَاللِّحَى، وَالصَّدَاقَةُ، وَالمنَافَسَةُ، وَعِشقُ الرُّوح،
هُنَا الطَّوَابِيرُ المندَفِقَة، هُنَا الجُمُوع، المسَاوَاةُ، التَّنَوُّع، عِشقُ الرُّوح.

أَرضُ الأرَاضِي وَالشُّعرَاءُ يُبَرهِنُون!

مِن بَينِهِم وَاقِفًا وَسطَهُم، يَرفَعُ أَحَدُهُم إِلَى النُّور وَجهًا ذَا سِيمَاء غَرِبيَّة،

بِالنِّسبَةِ لَه فَالسِّيمَاءُ المَورُوثَةُ مُستَمَدَّةٌ مِن سِيمَاءِ الأُم وَالأب،

أُولَى مُمتَلَكَاتِه، الأرضُ، المِيَاهُ، الحيَوَانَاتُ، الأشجَار،

مُستَمَدَّةٌ مِن الرَّصِيد المشتَرَك، فَلَدَيه مُتَّسَعٌ لِمَا هُو بَعِيدٌ وَقَرِيب،

مُعتَادًا عَلَى الاستِغنَاءِ عَن الأرَاضِي الأُخرَى، عَاكِفًا عَلَى هَذِه الأرض،

مُجتَذِبًا لَهَا جَسَدًا وَرُوحًا إِلَى نَفسِه، مُتَعَلِّقًا إِلَى رَقَبَتِهَا بِعِشقٍ بِلَا نَظِير،

مُقحِمًا عَضَلَته الخَلَّاقَةَ فِي مَزَايَاهَا وَعُيُوبِهَا،

صَانِعًا مُدُنَهَا، بِدَايَاتِهَا، أَحدَاثَهَا، تَنوعَاتِهَا، حُرُوبَهَا، مُعَبِّرَةً فِيه،

صَانِعًا أَنهَارَهَا، بُحَيرَاتِهَا، خُلجَانَهَا، مَصَبَّاتِهَا فِيه،

المِيسِيسِيبِّي بِفَيَضَانَاتِه السَّنَوِيَّة وَمسَاقِطِه المتَغَيِّرَة، كُولُومبِيَا، نيَاجَارَا، هَدسُون، تَبذُلُ نَفسَهَا بِحُب فِيه،

وَإِذَا مَا كَانَ السَّاحِلُ الأطلَنطِي يَمتَد أَو يَمتَد السَّاحِلُ البَاسِيفِيكِي، فَهوَ يَمتَد مَعَهُمَا شَمَالًا أَو جَنُوبًا،

مُجتَازًا فِيمَا بَينَهُمَا الشَّرقَ وَالغَرب، مُتَمَاسًّا مَع مَا بَينَهُمَا أَيًّا مَا كَان،

تَتَنَامَى الثِّمَارُ مِنه لِتُعَادِل ثِمَارَ الأَرزِ، والصُّنُوبَر، وَالشُّوكرَان، وَالبَلُّوطِ الحَي، وَالخَرنُوب، وَالكِستِنَاء، وَالجوز، وَالحُورِ القُطنِي، وَالبُرتُقَال، وَالمَاجنُولِيَا،

تَشَابُكَاتٌ إِذ تَتَشَابَكُ فِيه مِثلَ أَية أَجَمَة خَيزَرَانٍ أَو مُستَنقَع،

يُشبِه سُفُوحَ وَذُرَى الجِبَال، وَالأحرَاج، المُغَطَّاةَ بِثُلُوجٍ شَمَالِيَّةٍ شَفَّافَة،

مِنه المرعَى العَذبُ وَالطَّبِيعِي كَالسَّافَانَا، وَالنُّجُود، وَالبَرَارِي،

وَخِلَالَه التَّحلِيقُ، وَالتَّدوِيمُ، وَالصُّرَاخُ، يُجَاوِبُون عَلَى مَا يَقُوم بِه الصَّقرُ، وَالطَّائِرُ المحَاكِي، وَمَالِكُ الحَزِين، وَالنَّسر،

وَرُوحُه تُحِيطُ بِرُوحِ وَطَنِه، مَفتُوحَةً عَلَى الخَير وَالشَّر،

تُحِيطُ بجَوَاهِرِ الأشيَاءِ الحَقِيقِيَّة، فِي الأزمَانِ القَدِيمَةِ وَالرَّاهِنَة،
تُحِيطُ بالشَّوَاطِئ، وَالجُزُر، وَالقَبَائِلِ الأصلِيَّةِ الحمرَاء، المُكتَشَفَةِ لِتَوِّهَا،
بالسُّفُن التِي تُصَارِعُ الطَّقس، وَالرُّسُو، وَالتَّفرِيغ، وَوَضع وَقُوَّة الانطِلَاق،
وَالتَّحَدِّي السَّامِي لِـ **العَام الأوَّل**، وَالحَربِ، وَالسَّلَامِ، وَصِيَاغَةِ **الدُّستُور**،
وَالوِلَايَات المنفَصِلَة، وَالخُطَّةِ المرِنَة البَسِيطَة، وَالمهَاجِرين،
وَالاتِّحَادِ الحَافِلِ دَائِمًا بِالحَمقَى، ودَائِمًا رَاسِخ وَمَنِيع،
وَالدَّاخِلِ غَير المَدرُوس، وَالمنَازِلِ الخَشَبِيَّةِ، وَالفَرَاغَات، وَالحَيَوَانَات البَرِّيَّةِ، وَالصَّيَّادِين، وَوَاضِعِي الفِخَاخ،
وَفِي المحِيطِ الزِّرَاعَةُ مُتَعَدِّدَةُ الأشكَال، وَالمنَاجِمُ، وَالطَّقسُ، وَالحَملُ بِولَايَاتٍ جَدِيدَة،
وَالبَرلَمَانُ المنعَقِدُ كُل **اثنَي عَشر** شَهرًا، وَالأعضَاءُ القَادِمُون فِي الموعِد مِن أَبعَد الأمَاكِن،
فِي المحِيطِ الشَّخصِيَةُ النَّبِيلَةُ لِلحِرَفِيِّين وَالمزَارِعِين، وبخَاصةٍ الشُّبَّان،
مُتَجَاوِبِين مَع عَادَاتِهِم، وَحَدِيثِهِم، وَمَلبَسِهِم، وَصَدَاقَاتِهِم، وَمشيَة أَشخَاصٍ مِنهُم لَم يَعرِفُوا أَبَدًا كَيفَ يُمكِن الوُقُوفُ فِي حُضُورِ مَن هُم أَرفَع مَقَامًا،
وَنَدَاوَةُ وَصِدقُ مَلَامِحِهِم، وَغَزَارَةُ وَحَسمُ فِرَاسَتِهِم،
وَالحُرِّيَّةُ الفَاتِنَةُ لِحَرَكَتِهِم، وَشَرَاسَتُهم حِين يُخطِئُون،
وَالطَّلَاقَةُ فِي الحَدِيث، وَمَرحُهم مَعَ الموسِيقَى، وَفُضُولهم، وَالمزَاجُ الطَّيِّب وَالانفِتَاح، وَالتَّكوِينُ المُرَكَّب كُله،
الحمَاسَةُ وَالمغَامَرَةُ السَّائِدَة، وَالنُّزُوعُ الكَبِيرُ إِلَى الحُب،
المسَاوَاةُ التَّامَّةُ لِلمَرأَةِ مَعَ الرَّجُل، وَالحَرَكَةُ المنسَابَةُ لِلسُّكَّان،
الأُسطُولُ البَحرِي الرَّائِع، وَالتِّجَارَةُ الحُرَّة، وَصَيدُ الأسمَاك، وَصَيدُ الحِيتَان، وَالتَّنقِيب عَن الذَّهَب،
المدُن المحفُوفَةُ بِأَرصِفَةِ الموَانِئ، وَالسِّكَكِ الحَدِيدِيَّةِ وَخُطُوطِ السُّفُنِ البُخَارِيَّة المتَشَابِكَةِ فِي كُلِّ النِّقَاط،

المصَانِعُ، وَالحَيَاةُ التُّجَارِيَّة، وَآلَاتُ توفِير العمَل، وَالشَّرقُ الشَّمَالِي، وَالغَربُ الشَّمَالِي، وَالشَّرقُ الجَنُوبِي،
رِجَالُ إِطفَاء مَانهَاتِن، وَمُقَايَضَةُ اليَانكِي، وَالحَيَاةُ الزِّرَاعِيَّةُ الجَنُوبِيَّة،
العبُودِيَّة- التَّآمُر الخَائِن، القَاتِلُ لِرَفعِهَا فوقَ أَنقَاضِ البَاقي،
المزِيدُ وَالمزِيد إِلَى حَد المشَاجَرَة- أَيُّهَا القَاتِل! آنئِذٍ حَيَاتُك أَو حَيَاتُنَا هِي الرِّهَان، وَلَا إِرجَاءَ بَعد الآن.

[7]

(انظُر، عَالِيًا نَحو السَّمَاء، هَذَا النَّهَار،
عَادَت الحُرِيَّةُ مِن مَيدَان الانتِصَار،
وَأُلَاحِظُ الهَالَةَ الجَدِيدَةَ حَولَ رَأسِك،
لَم تَعُد سَامِيَةً رَقِيقَة، بَل مُبهِرَة وَحشِيَّة،
مَع لِهِيبِ الحَرب وَبُرُوقِ الصِّرَاعِ الخَفَّاقَة،
وَالمخرَجِ الرَّاسِخ حَيثُ تَقِف،
بِالنَّظرَةِ الصَّارِمَةِ مَا تَزَال وَالقَبضَةِ المطبَقَةِ المرفُوعَة،
وَقَدَمُك عَلَى رَقَبَةِ الشَّخصِ المتَوَعِّد، المزدَرِي الذِي انسَحَق تَمَامًا تَحتَك،
الشَّخصِ المتَوَعِّد المتَعَجرِف الذِي خَطَا وَتَقَدَّم بِازدِرَائِه البَارِد، حَامِلًا السِّكِّينَ القَاتِلَة،
الشَّخصِ المُنتَفِخ عَن آخِـرِه، المتَبَجِّح الذِي كَانَ لَه أَن يَفعَل الكَثِير البَارِحَة،
اليَوم جِيفَةٌ مَيِّتَةٌ وَمَلعُونَة، الأَكثَر احتِقَارًا عَلَى وَجهِ الأَرض،
نِفَايَةٌ عَفِنَة، كَومَةُ رَوثٍ مُزدَرَاةٌ نَهبًا لِلدِّيدَان).

[8]

يَنهَزِم البَعض، لَكِن الجُمهُورِيَّة تُوَاصِل البِنَاءَ أَبَدًا وَتُحَافِظُ أَبَدًا عَلَى أُفُق،

يُقَدِّسُ البَعضُ الماضِي، لَكِنَّكِ يَا أَيَّامَ الرَّاهِنِ، أُقَدِّسُكِ،
يَا أَيَّامَ المستَقبَل أُؤمِنُ بِكِ– مِن أَجلِكِ أَعزِلُ نَفسِي،
وَلأَنَّكِ يَا أَمِيرِيكَا تَبنِين مِن أَجلِ العَالَم فَإِنَّنِي أَبنِي مِن أَجلِكِ،
يَا قَاطِعَاتِ الصُّخُورِ الحَبِيبَة، إِنَّنِي أَقُود مَن يُخَطِّطُون بِالعَزمِ والعِلم،
أَقُود الحَاضِرَ بِيَدٍ صَدِيقَةٍ نَحوَ المستَقبَل.

(مَرحَى لِجَمِيع الحَوَافِز التِي تُرسِل أَطفَالًا أَصِحَّاء إِلَى العَصر التَّالِي!
لَكِن مَلعُونٌ مَا يَستَهلِكُ نَفسَه بِلَا تَفكِيرٍ فِي الوَصمَةِ، وَالآلَامِ، وَالفَزَع، وَالوَهَن، إِنَّه مَاضَوِي).

[9]

استَمَعتُ إِلَى **الطَّيف** عَلَى شَاطِئِ أُونتَارِيُو،
سَمِعتُ الصَّوتَ يَصَّاعَدُ مُطَالِبًا بِالشُّعَرَاء،
فَبِهِم كُل شَيءٍ أَصِيلٌ وَعَظِيم، بِهِم وَحدَهُم يُمكِن لِهَذِه **الوِلَايَات** أَن تَنصَهِرَ إِلَى تَكوِين عُضوِي مُندَمِج لـ **أُمَّة**.

لَا قِيمَةَ لأَن تَضُم النَّاسَ مَعًا بِالوَرَقِ وَالخَتم أَو بالإِكرَاه،
فَمَا يَضُم النَّاس مَعًا هُو وَحدَه مَا يَلُم الجَمِيعَ فِي مَبدَأ حَي، كَالتِئَام الأَعضَاء فِي الجَسَد أَو أَليَافِ النَّبَاتَات.

وَمِن بَينِ كُل الأَجنَاسِ وَالأَحقَاب هَذِه **الوِلَايَاتُ** ذَات الشَّرَايِين المُفعَمَةِ بِمَادَّةٍ شِعرِيَّةٍ أَحوَجُ إِلَى الشُّعَرَاء، وَلَهَا أَن تَمتَلِكَ الأَعظَمَ، وَتَستَخدِم الأَعظَم،
وَرُؤَسَاؤُهَا لَن يَكُونُوا حَكَمَهَا العَادِي بِقَدرِ مَا سَيَكُون الشُّعَرَاء.

(رُوح الحُب وَلِسَان النَّار!

عَينٌ لاختِرَاقِ أَعمَق الأعمَاقِ وَاكتِسَاح العَالَم!
آهِ يَا أُمِّي، خَصِيبَةٌ وَمُفعَمَةٌ فِي كُل الجَوَانِب، لَكِن كَم كُنتِ طَوِيلًا مُقفِرَة، مُقفِرَة؟)

[10]

فِي هَذِه الوِلَايَاتِ الشَّاعُرُ هُو الإِنسَانُ الرَّصِين،
لَا فِي ذَاتِه بَل خَارِجَه الأشيَاءُ غَرَائِبِيَّةٌ، غَرِيبَةُ الأطوَار، فَاشِلَةٌ فِي عَودَتِهَا الكَامِلَة،
فَلَا شَيءَ خَارِجَ مَكَانِه جَيِّد، وَلَا شَيء فِي مَكَانِه سَيء،
إِنَّه يُضفِي عَلَى كُل شَيءٍ أَو سِمَةٍ الأبعَادَ اللَّائِقَة، لَا أَكثَر وَلَا أَقَل،
هُو وَسِيطُ التَّنوُّع، هُو المفتَاح،
هُو المعَادِلُ لِزَمَنِه وَأَرضِه،
يُمِد بِمَا يَحتَاجُ إِلَى إِمدَاد، يَختَبِر مَا يَحتَاج إِلَى اختِبَار،
فِي السَّلَام تَنطِقُ خَارِجَه رُوحُ السَّلَام، عَظِيمَةٌ، ثَرِيَّةٌ، مُزدَهِرَة، مُشَيِّدَةً مُدُنًا حَافِلَة،
حَافِزَةً عَلَى الزِّرَاعَة، وَالفُنُونِ، والتِّجَارَة، مُضِيئَةً دِرَاسَةَ الإِنسَان، وَالرُّوح،
وَالصِّحَّةِ، وَالخُلُود، وَالحكم،
فِي الحَرب هُو أَفضَلُ نَصِيرٍ لِلحَرب، يُوَجِّه المدفَعِيَّةَ بِامتِيَازِ المهَندِس، ويُمكِنه أَن يَجعَل
مِن كُل كَلمَةٍ يَنطِقُهَا تَستَثِيرُ الدِّمَاء،
وَالسَّنَوَاتُ الضَّالَّة نَحوَ الإِلحَاد يَكبَحُهَا بِإِيمَانِه الرَّاسِخ،
لَيسَ بِمُجَادِل، هُو الحُكم (تَقبَل بِه الطَّبِيعَةُ بِصُورَةٍ مُطلَقَة)،
لَا يَحكُم كَالقُضَاة بَل كَالشَّمسِ السَّاقِطَةِ حَولَ شَيءٍ بِلَا حِيلَة،
وَإِذ يَرَى الأَقصَى يَكُون لَدَيه الإِيمَانُ الأَقصَى،
أَفكَارُه هِي تَرَانِيمُ فِي مَدِيح الأشيَاء،
وَهوَ صَامِتٌ فِي النِّزَاع حَولَ الرَّب وَالأَبدِيَّة،
يَرَى الأَبدِيَّةَ أَقَل شَبَهًا بِمَسرَحِيَّةٍ ذَات استِهلَالٍ وحَل العُقدَة،

يَرَى الأبَدِيَّةَ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاء، وَلَا يَرَى الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ كَأَحلَامٍ أَو نِقَاط.

أَمَا الفِكرَةُ العَظِيمَةُ، فِكرَةُ الأفرَادِ الأحرَارِ المُكتَمِلِين،
فَإن الشَّاعِر يَسِير فِي المقَدِّمَة، قَائِدًا لِلقَادَة،
وَمَوقِفُه يُبهِجُ العَبِيدَ وَيُفزِع الطُّغَاةَ الأجَانِب.

بِلَا تَميِيزٍ هِي الحُرِيَّة، بِلَا تَرَاجُعٍ هِي المسَاوَاة،
إِنَّهُمَا يَعِيشَان فِي أَحَاسِيسِ الشُّبَّان وَأَفضَلِ النِّسَاء،
(فَلَيسَ عَبثًا أَن كَانَت الرُّؤُوسُ التِي لَا تُقهَر عَلَى الأرض مُستَعِدَّةً دَائِمًا لأن تَهوِي مِن أَجلِ الحُرِّيَّـة).

[11]

مِن أَجلِ الفِكرَةِ العَظِيمَة،
تِلك، آهِ يَا أُخوَتِي، هِي مُهمَّةُ الشُّعَرَاء.

أُغنِيَاتٌ لِلتَّحَدِّي الصَّارِم جَاهِزَةٌ أَبَدًا،
أَغنِيَاتُ التَّسلُّح السَّرِيع وَالمَسِير،
فَسرعَانَ مَا طُوِيَت رَايَةُ السَّلَام، وَبَدَلًا مِنهَا حَلَّت الرَّايَةُ التِي نَعرِفُهَا،
الرَّايَةُ الحَربِيَّةُ لِلـفِكرَةِ العَظِيمَة.

(رَأَيتُ هُنَالِك قِطعَةَ قُمَاشٍ غَاضِبَةً تَتَقَافز!
فَأَقِفُ مِن جَدِيدٍ فِي المطَرِ الرَّصَاصِي أُحَيِّي طَيَّاتِكَ الخَفَّاقَة،
أُغَنِّيكَ كُلَّك، مُحَلِّقًا مُومِئًا خِلَالَ التَّحلِيق- أَيُّهَا التَّحلِيقُ صَعبُ المرَاس!
تَفتَح المدَافِعُ فُوهَاتِهَا الوَامِضَةَ الوَردِيَّة- وَالقَذَائِفُ المندَفِعَةُ تَصرُخ،
تَتَشَكَّل جَبهَةُ القِتَالِ وَسَطَ الدُّخَان- يَنصَب وَابِلُ القَذَائِف بِلا تَوَقُّف مِن الخَط،

أَنصِت، الكَلِمَة المُدَوِّيَة *اشحِنُوا!*– الآن يَستَعِر الصِّرَاعُ وَسُعَارُ الجُنُون،
الآن تَهوِي الجُثَثُ مُلتَوِيَةً عَلَى الأرض،
بَارِدَةً، بَارِدَةً فِي الموتِ، مِن أَجلِ حَيَاتِك الثَّمِينَة،
وَهُنَاكَ رَأَيتُ قِطعَةَ قُمَاشٍ غَاضِبَةً تَتَقَافَز).

[12]

أَأَنتَ مَن سَتَتَّخِذُ مَكَانًا لِتُعَلِّم أَو لِتَكُون شَاعِرًا هُنَا فِي **الوِلَايَات؟**
المكَانُ مهِيب، وَالكَلِمَاتُ فَظَّة.

مَن سَيَتَّخِذُ مَكَانًا لِلتَّعلِيم هُنَا فَعَلَيه أَن يُهَيِّئَ نَفسَه جَيِّدًا جَسَدًا وَعَقلًا،
عَلَيه أَن يَدرِسَ، يَتَأَمَّل، يُسَلِّحَ نَفسَه، يَدعَمَهَا، يُقَوِّيهَا، يَجعَلَهَا مَرِنَة،
فَسَوفَ يُسَاءَل بِالتَّأكِيدِ مُقَدَّمًا مِنِّي بِأَسئِلَةٍ كَثِيرَةٍ صَارِمَة.

فَمَن أَنتَ حَقًّا يَا مَن سَتَتَكَلَّم أَو تُغَنِّي لأَمِيرِيكَا؟
هَل دَرَستَ الأَرضَ، لَهجَاتِهَا وَنَاسَهَا؟
هَل تَعَلَّمتَ عِلمَ وَظَائِف الأعضَاءِ، وَفِرَاسَةَ الدِّمَاغ، وَالسِّيَاسَةَ، وَالجغرَافيَا، وَالكِبرِيَاءَ، وَالحُرِيَّةَ، وَالصَّدَاقَةَ مَعَ الأَرض؟ طَبَقَاتِهَا وَأَشيَائِهَا؟
هَل تَأَمَّلتَ الاندِمَاجَ العُضوِي فِي اليَوم الأَوَّل مِن العَامِ الأَوَّل لِلاستِقلَال، الذِي وَقَّعَه المفَوَّضُون، وَصَادَقَت عَلَيه الوِلَايَاتُ، وَقَرأَه وَاشنطُن عَلَى رَأسِ الجَيش؟
هَل حُزتَ أَنتَ نَفسك **الدُّستُورَ الفِيدرَالِي؟**
هَل تَرَى مَن تَرَكُوا كُلَّ العَمَلِيَّات وَالقَصَائِدِ الإِقطَاعِيَّةِ وَرَاءَ ظُهُورِهِم، وَاتَّخَذُوا القَصَائِدَ وَالعمَلِيَّات الدِّيمُوقرَاطِيَّة؟
هَل أَنتَ مُخلِصٌ لِلأَشيَاء؟ هَل تُعَلِّم مَا تُعَلِّمُه الأَرضُ وَالبَحر، أَجسَادُ الرِّجَال، وَالأُنُوثَةُ، وَالنُّزُوعُ إِلَى الحُب، وَالغَضَبَاتُ البُطُولِيَّة؟

هَل أُنهِكتَ خِلَالَ العَادَاتِ وَالموضَاتِ العَابِرَة؟
هَل يُمكِنُك أَن تَكُفَّ يَدَك عَن كُل المغريَاتِ، وَالحمَاقَات، وَالدَّوَّامَات، وَالجِدَالَات الشَّرسَة؟ أَأَنتَ بَالِغُ القُوَّة؟ أَأَنتَ فِعلًا مِن عَامَّةِ الشَّعب؟
أَلَستَ مِن زُمرَةٍ مَا؟ بِمَدرَسَةٍ أَو دِينٍ مَا؟
هَل انتَهَيتَ مِن مُرَاجَعَاتِ وَانتِقَادَاتِ الحَيَاة؟ مُتَّجِهًا الآنَ إِلَى الحَيَاةِ نَفسِهَا؟
هَل أَفعَمتَ نَفسَكَ بِالحَيَوِيَّةِ مِن أُمُومَةِ هَذِه الوِلَايَات؟
هَل لَدَيكَ أَيضًا الصَّبرُ وَالنَّزَاهَةُ القَدِيمَةُ حَيَوِيَّةً أَبَدًا؟
هَل تُكِن الحُب المشَابِهَ لِهَؤُلَاءِ المخشَوشِنِين نَحو النُّضج؟ لِلمَولُودِ الأَخِير؟ صَغِيرًا أَم ضَخمًا؟ وَلِلضَّال؟

مَا هَذَا الذِي تَأتِين بِه يَا أَمِيرِيكَاي؟
أَهوَ شَكلٌ مُوَحَّدٌ يَا بَلَدِي؟
أَلَيسَ شَيئًا مَا قِيلَ أَو فُعِل مِن قَبل بِشَكلٍ أَفضَل؟
أَلَم تَستَورِدِي هَذَا أَو رُوحَه فِي سَفِينَةٍ مَا؟
أَلَيسَ مُجَرَّد حِكَايَة؟ قَافِيَة؟ كَيَاسَة؟- هَل تَكمُن فِيه القَضِيَّةُ القَدِيمَةُ العَادِلَة؟
أَلَم يَتَخَبَّط طَوِيلًا فِي ذَيلِ الشُّعرَاء، وَالسِّيَاسِيِّين، وَالمتَعَلِّمِين، بِأَرَاضِي الأَعدَاء؟
أَلَا يَزعُم أَن مَا مَضَى بِصُورَةٍ سَيِّئَة السُّمعَة مَا يَزَالُ قَائِمًا هُنَا؟
هَل يُلَبِّي احتيَاجَاتٍ كَونِيَّة؟ هَل يَرتَقِي بِالأَخلَاقِيَّات؟
هَل يُرَدِّدُ مَع صَوتِ البُوقِ الانتِصَارَ الفَخُورَ لِلاتِّحَاد فِي تِلكَ الحَرب الانفِصَالِيَّة؟
هَل يُمكِنُ لأَدَائِك أَن يُواجِه الحُقُولَ وَالسَّوَاحِلَ المفتُوحَة؟
هَل سَيُمتَصُّ دَاخِلِي مِثلَمَا أَمتَص الطَّعَامَ، وَالهَوَاءَ، لِيَظهَرَ مِن جَدِيدٍ فِي قُوَّتِي، وَمِشيَتِي، وَوَجهِي؟
هَل سَاهَمَت فِيه وَظَائِف حَقِيقِيَّة؟ صُنَّاعٌ أَصِيلُون، لَا مُجَرَّد كَتَبَة؟
هَل يَتَوَافَق مَع المكتَشَفَاتِ، وَالمعَايِيرِ، وَالحقَائِقِ الحدِيثَة، وَجهًا لِوَجه؟

وَمَا الذِي تَعنِيه للأمِيرِيكِيِّين التطَوُّرَاتُ، والمدُن؟ شِيكَاغُو، كَندَا، أَركَانسَاس؟
هَل يُرَى فِيمَا وَرَاءَ الحَرَّاسِ الظَّاهِرِين الحُرَّاسُ الحَقِيقِيُّون وَاقِفِين، مُتوَعِّدِين،
صَامِتِين، الحِرَفِيُّون، المَانهَاتِيُّون، الغَربِيُّون، الجَنُوبِيُّون، الملفِتُون عَلَى السَّوَاء
فِي لَامُبَالَاتِهِم، وَفِي يَقَظَةِ حُبِّهِم؟
هَل يُرَى مَا يَهوِي فِي النِّهَايَة، وَمَا يَتهَاوَى دَائِمًا فِي النِّهَايَة، كُلُّ مُتلَوِّن، وَمُفتَعَل،
وَدَخِيل، وَمُتحَيِّز، وَمُثِيرٍ لِلفَزَع، وَخَائِن، مَن كَانَ يَطلُبُ دَائِمًا شَيئًا مَا مِن
أَمِيرِيكَا؟
أَيُّ إِهمَالٍ تَهَكُّمِي وَازدِرَائِي؟
الدَّربُ مُغَطَّى بِتُرَابِ الهَيَاكِلِ العَظمِيَّة،
التِي رَمَاهَا الآخَرُون إِلَى جَانِبِ الطَّرِيق بِازدِرَاء.

[13]

القَوَافِي وَالنَّظَّامُون يَعبُرُون مُبتَعِدِين، وَالقَصَائدُ التِي تَتقَطَّر مِن القَصَائِد تَعبُر مُبتعِدَة،
حُشُودُ المتَأَمِّلِين وَالمهَذَّبِين تَعبُر، وَتَترُك رَمَادًا،
المعجَبُون، وَالمستَورِدُون، وَالأَشخَاصُ المطِيعُون، لَا يَصنَعُون سِوَى تُربَةِ الأَدَب،
أَمِيرِيكَا تُبَرِّر نَفسَهَا، تَمنَحُ نَفسَهَا الوَقتَ، لَا قِنَاعَ أَو تَموِيه عَلَيهَا يُمكِن أَن
يَخدَعَهَا، فَهِيَ رَصِينَةٌ بِمَا يَكفِي،
فَقَط تِجَاهَ أَقرَانِهَا سَوفَ تَتقَدَّم لِتَلقَاهُم،
وَإِذَا ما ظَهَر شُعَرَاؤُهَا فَستَتقَدَّم فِي الوَقت المُنَاسِبِ لِتَلقَاهُم، وَلَا خَوفَ مِن خَطَأ،
(فَالبُرهَان عَلَى شَاعِرٍ سَوفَ يُرجَأ بِصَرَامَةٍ إِلَى أَن يَتَشَرَّبَه بَلَدُه بِالشَّغَفِ الذِي تَشَرَّبَ
بَلَده بِه).

إِنَّه يُهَيمِن عَلَى مَا تُهَيمِن عَلَيه رُوحُه، يَتَذَوَّقُ الأَعذَبَ الذِي يُنتِجُ الأَعذَبَ عَلَى المدَى
البَعِيد،

وَدَمُ مَحبُوبِ الزَّمَن مَفتُولِ العَضَلَات يَسرِي بِلَا عَائِق؛
وَلَدى الحَاجَةِ إِلَى أُغنِيَاتٍ، فَلسَفَةٍ، أُوبرَا فَخِيمَةٍ مَحَلِّيَّة مُنَاسِبَةٍ، حِرفَة السُّفُنِ، أَو أَيَّةِ حِرفَة،
فَهُو أَو هِي الأعظَم الذِي يُسَاهِم فِي النُّمُوذَج العَمَلِي الأصِيلِ الأعظَم.

سُلَالَةٌ لَامُبَالِيَةٌ فِعلًا، تَظهَر فِي صَمتٍ، تَتَجَلَّى فِي الشَّوَارِع،
وَشِفَاهُ النَّاسِ لَا تُحَيِّي إِلَا الفَاعِلِين، المحِبِّين، المشبِعِين، الإِيجَابِيِّين، العَارِفِين،
وَقَرِيبًا لَن يَكُون هُنَاكَ مَزِيدٌ مِن الكَهَنَة، أَقُول إِن دَورَهُم انتَهَى،
فَالمَوتُ هُنَا بِلَا طَوَارِئ، لَكِن الحَيَاة طَوَارِئ دَائِمَةٌ هُنَا،
فَهَلَ جَسَدُك، أَيَّامُك، أَخلَاقِيَّاتُك، رَائِعَة؟ بَعدَ الموتِ سَتَكُون رَائِعًا،
وَالعَدَالَةُ، وَالصِّحَّة، وَتَقدِيرُ الذَّات، تُنَظِّف الطَّرِيق بِقُوَّةٍ قَاهِرَة؛
فَكَيفَ تَجرُؤ عَلَى وَضعِ أَيِّ شَيءٍ عَقَبَةً أَمَامَ إِنسَان؟

[14]

فَلتَسقُطِي وَرَائِي أَيَّتُهَا الوِلَايَات!
إِنسَانٌ قَبلَ كُل شَيء– أَنَا نَفسِي، تَمَامًا، قَبلَ كُل شَيء.

أَعطِينِي الأجرَ الذِي اشتَغَلتُ مِن أَجلِه،
أَعطِينِي لأُغَنِّي أُغنِيَاتِ الفِكرَةِ العَظِيمَة، وَخُذِي البَاقِي كُلَّه،
لَقَد أَحبَبتُ الأَرضَ، وَالشَّمسَ، وَالحَيَوَانَات، وَازدَرَيتُ الأَغنِيَاء،
مَنَحتُ صَدَقَةً لِكُل مَن طَلَب، وَسَاعَدتُ الغَبِيَّ وَالمخبُول، وَكَرَّستُ دَخلِي وَشُغلِي لِلآخَرِين،
كَرِهتُ الطُّغَاة، وَلَم أُجَادِل فِيمَا يَتَعَلَّق بِالرَّب، وَتَمَتَّعتُ بِالصَّبرِ وَالغُفرَانِ تِجَاه النَّاس،
وَخَلعتُ قُبَّعَتِي لِلَاشَيءٍ مَعرُوفٍ أَو مَجهُول،

مَضَيتُ حُرًّا مَع أَشخَاصٍ أُمِّيِّين مُفعَمِين بِالقُوَّة وَمَع الشُّبَّان، وَمَعَ أُمَّهَاتِ العَائِلَات،
قَرَأتُ أَورَاقَ العُشبِ هَذِه لِنَفسِي فِي الهَوَاءِ الطَّلق، جَرَّبتُهَا مَعَ الأشجَارِ، وَالنُّجُوم، وَالأنهَار،
رَفَضتُ أَيًّا مَا أَهَانَ رُوحِي أَو دَنَّس جَسَدِي،
لَم أُطَالِب بِشَيءٍ لِنَفسِي لَم أَطلُبه بِإِلحَاحٍ لِلآخَرِين عَلَى نَفسِ الأسَاس،
سَارَعتُ إِلَى المَعسكَرَات، وَوَجَدتُ وَتَقَبَّلتُ رِفَاقًا مِن جَمِيعِ الوِلَايَات،
(عَلَى هَذَا الصَّدرِ انحَنَى جُنُودٌ مُحتَضِرُون كَثِيرُون لَيَلفُظُوا النَّفَسَ الأخِير،
وَهَذِه الذِّرَاع، هَذِه اليَد، هَذَا الصَّوت، غَذَّى، وَنَمَّى وَاستَعَاد،
مُعِيدًا إِلَى الحَيَاةِ الكَثِيرَ مِن الأشكَالِ المسحُوقَة)؛
أُرِيدُ انتِظَارَ أَن أَكُونَ مَفهُومًا بِفَضلِ تَنَامِي ذَوقِي الشَّخصِي،
بِلَا إِنكَارٍ لأحَد، قَابِلًا لِلجَمِيع.

(فَلتَقُولِي أَيَّتُهَا الأُم، أَلستُ مُخلِصًا لِفِكرِك؟
أَلَم أَضَعكِ أَنتِ وَفِكرَكِ طُوَالَ حَيَاتِي نُصبَ عَينِي؟)

[15]

أُقسِم أَن أَبدَأَ فِي رُؤيَةِ مَعنَى هَذِه الأشيَاء،
إِنَّهَا لَيسَت الأرض، لَيسَت أَمِيرِيكَا هِي العَظِيمَة،
هُو أَنَا العَظِيم أَو سَأَكُون عَظِيمًا، هُو أَنت، أَو أَي وَاحِد،
هُو أَن تَمشِي سَرِيعًا عَبرَ الحَضَارَاتِ، وَالحُكُومَاتِ، وَالنَّظَرِيَّات،
عَبرَ القَصَائِد، وَالمهرَجَانَات، وَالعُرُوض، لِتَصُوغَ أَفرَادًا.

وَقَبلَ كُل شَيء، الأَفرَاد،
أُقسِم أَن لَا فَائِدَةَ لِي الآنَ فِي تَجَاهُل الأفرَاد،

وَالاندِمَاجُ الأمِيرِيكِي قَائِمٌ كُلُّه عَلَى الأفرَاد،
وَالحُكُومَةُ الوَحِيدَةُ هِي تِلكَ التِي تُدَقِّق بِشَأنِ الأفرَاد،
وَنَظَرِيَّةُ الكَونِ كُلُّهَا مُوَجَّهَةٌ بِالتَّأكِيد إِلَى فَردٍ وَاحِدٍ وَحِيدٍ– **أَنت**.

(**أَيَّتُهَا الأُم!** بِإِحسَاسٍ مُرهَفٍ صَارِم، بِالسَّيفِ المسلُولِ فِي يَدِك،
رَأَيتُكِ فِي النِّهَايَةِ تَرفُضِين إِلَّا أَن تَتَعَامَلِي بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ مَعَ الأفرَاد).

[16]

قَبلَ كُل شِيء، الفِطرَة،
أُقسِم أَنَّنِي سَأَفِي بِفِطرَتِي، وَرِعَةً كَانَت أَم غَير وَرِعَة؛
أُقسِم أَنَّنِي لَستُ مَفتُونًا إِلَّا بِالفِطرَة،
وَالرِّجَالُ، وَالنِّسَاءُ، وَالمُدُنُ، وَالأُمَمُ، لَيسوا جَمِيلِين إِلَا بِالفِطرَة.

قَبلَ كُل شَيءٍ **التَّعبِيرُ** عَن الحُب لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاء،
(أُقسِم أَنَّنِي رَأَيتُ مَا يَكفِي مِن أَنمَاطٍ مُبتَذَلَةٍ وَعَقِيمَةٍ لِلتَّعبِير عَن الحُب لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاء،
وَبَعدَ اليَوم سَأَتَّخِذُ نَمَطِي الخَاصَّ فِي التَّعبِيرِ عَن الحُب لِلرِّجَال وَالنِّسَاء).

أُقسِم أَنَّنِي سَأَمتَلِكُ فِي نَفسِي كُل سِمَةٍ لِسُلَالَتِي،
(فَلتَتَحَدَّث كَمَا تَشَاء، فَهوَ مَا يُلَائِم هَذِه الوِلَايَات التِي تُحَبِّذُ أَخلَاقِيَّاتُها الجُرأَةَ وَتَمَرُّدَ الوِلَايَاتِ السَّامِي).

قَبلَ دُرُوسِ الأشيَاءِ، وَالأروَاحِ، وَ**الطَّبِيعَةِ**، وَالحكُومَات، وَالمِلكِيَّات، أُقسِمَ أَنَّنِي أُدرِكُ دُرُوسًا أُخرَى،
قَبلَ الكُل– بِالنِّسبَةِ لِي– نَفسِي، وبِالنِّسبَةِ لَك نَفسُك (نَفسُ الأُغنِيَة الرَّتِيبَةُ القَدِيمَة).

آهِ أَرَى فِي وَمضَةٍ أَن أَمِيرِيكَا هَذِهِ لَيسَت سِوَاكَ أَنتَ وَأَنَا،
قُوَّتُهَا، وَأَسلِحَتُهَا، وَشهَادَتُهَا، هِي أَنت وَأَنَا،
جَرَائِمُهَا، وَأَكَاذِيبُهَا، وَسَرِقَاتُهَا، وَنَقَائِصُهَا، هِي أَنتَ وَأَنَا،
بَرلَمَانُهَا هُو أَنت وَأَنَا، الضُّبَّاط، وَمَقَار البَرلَمَانَات، وَالجيُوش، وَالسُّفُن، هِي أَنت وَأَنَا،
المخَاضَاتُ اللَّانِهَائِيَّةُ لِوِلَايَاتٍ جَدِيدَة هِي أَنتَ وَأَنَا،
الحَرب (تِلكَ الحَربُ الدَّمَوِيَّةُ الشَّرِسَةُ، الحَربُ الَّتِي سَأَنسَاهَا ابتِدَاءً مِن الآنَ) كَانَت أَنتَ وَأَنَا،
الطَّبِيعِيُّ وَالاصطِنَاعِي هُو أَنتَ وَأَنَا،
الحُرِيَّةُ، اللُّغَةُ، القَصَائِدُ، الوَظَائِف، هِي أَنتَ وَأَنَا،
المَاضِي، الحَاضِر، المستَقبَل، هُو أَنتَ وَأَنَا.

لَا أَجرُؤ عَلَى تَجَنُّب أَي جُزءٍ مِن نَفسِي،
وَلَا أَي جُزءٍ مِن أَمِيرِيكَا جَيِّدًا كَانَ أَو سَيِّئًا،
أَن لَا أَبنِي مِن أَجلِ ذَلِكَ الذِي يَبنِي مِن أَجلِ الجِنسِ البَشَرِي،
أَن لَا أُوَازِنَ بَينَ المَرَاتِب، وَالمظَاهِر العَامَّة، وَالعَقَائِد، وَالجِنسَين،
أَن لَا أُبَرِّرَ العِلم أَو مَسِيرَةَ المسَاوَاة،
وَأَن لَا أُشبِعَ الدَّمَ المُتَعَجرِفَ لِلمَحبُوبِ القَوِيِ لِلزَّمَن.

أَنَا مِن أَجلِ هَؤلَاء الذِين لَم يَخضَعُوا أَبَدًا لِسَيطَرَة،
مِن أَجلِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الذِين لَم تَخضَع شَجَاعَتُهُم أَبَدًا لِسَيطَرَة،
مِن أَجلِ هَؤلَاء الذِين لَا يُمكِن أَن تُسَيطِرَ علَيهِم أَبَدًا القَوَانِين، وَالنَظَرِيَّات، وَالتَّقَالِيد.

أَنَا مِن أَجلِ هَؤلَاء الذِين يَسِيرُون جَنبًا إِلَى جَنبِ الأَرضِ كُلِّهَا،

مَن يُقَلِّدُون السُّلطَةَ لأحَدٍ لِيُقَلِّدَهَا لِلجَمِيع.

لَن تَتَحَدَّانِي الأشيَاءُ غَير العَقلَانِيَّة،
سَأَختَرِق مَا يَكمُن فِيهَا مِمَّا يَتهَكَّم مِنِّي،
سَأَصنَع مُدُنًا وَحَضَارَاتٍ مُذعِنَةً لِي،
ذَلِكَ مَا تَعَلَّمتُه مِن أَمِيرِيكَا– هُو المجمُوع، وَهوَ مَا أُعَلِّمُه مِن جَدِيد.

(أَيَّتُهَا الدِّيمُوقرَاطِيَّة، فِيمَا كَانَت الأسلِحَةُ فِي كُل مَكَانٍ مُوَجَّهَةً إِلَى صَدرِك،
رَأَيتُكِ فِي سَكِينَةٍ تُنجِبِين أَطفَالًا خَالِدِين، رَأَيتُ فِي الأحلَامِ شَكلَكِ المتَعَاظِم،
رَأَيتُكِ بِعَبَاءَتَكِ المفرُودَةِ تُغَطِّين العَالَم).

[18]

سَأُوَاجِه عُرُوضَ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ هَذِه،
سَأَعرِفُ مَا إِذَا كُنتُ أَقَل مِنهُم،
سَأَرَى مَا لَو لَم أَكُن عَظِيمًا مِثلَهُم،
سَأَرَى مَا لَو لَم أَكُن مُرهَفًا وَحَقِيقِيًّا مِثلَهُم،
سَأَرَى مَا إِذَا كُنتُ أَقَل كَرَمًا مِنهُم،
سَأَرَى مَا لَو لَم أمتَلِكُ مَعنًى، فِيمَا المنَازِلُ وَالسُّفُن تَمتِلِكُ مَعنًى،
سَأَرَى مَا لَو كَانَت الأسمَاكُ وَالطُّيُورُ مُكتَفِيَةً بِذَاتِهَا، وَأَنَا لَستُ مُكتَفِيًا بِذَاتِي.

إِنَّنِي أُضَاهِي رُوحِي بِرُوحِك أَيَّتُهَا الأفلَاكُ، التَّنَامِيَاتُ، الجِبَالُ، البَهَائِم،
غَزِيرًا مِثلَكِ أَتَشَرَّبُكِ جَمِيعًا فِي ذَاتِي، وَأُصبِح سَيِّدَ ذَاتِي،
إِن أَمِيرِيكَا مَعزُولَةٌ لَكِنَّهَا تَحتَوِي الكُل، فَمَا هِي فِي النِّهَايَةِ سِوَي ذَاتِي؟
هَذِه الولَايَات، مَا هِي سِوَى ذَاتِي؟

أَعرِفُ الآن لِمَ الأَرضُ ضَخمَةٌ، مُعَذِّبَةٌ، شِرِّيرَةٌ، فَذَلِكَ مِن أَجلِي،
إِنَّنِي أَقبَلُ بِكِ لِتَكُونِي لِي، أَيَّتُهَا الأَشكَالُ المرِيعَةُ، الفَجَّة.

(أَيَّتُهَا الأُم، فَلتَنحَنِي، أَحنِي وَجهَكَ قُربِي،
لَا أَدرِي لِم هَذِه المُؤَامَرَاتُ وَالحُرُوبُ وَالصِّرَاعَات،
لَا أَدرِي نَجَاحَ التَّحقُّق، لَكِنِّي أَدرِي أَن إِنجَازَكِ يَتَوَاصَل خِلَالَ الحَربِ وَالجرِيمَة،
وَلَابُد لَه مَعَ ذَلِكَ أَن يَتَوَاصَل).

[19]

هَكَذَا عَلَى شَاطِئِ أُونتَارِيُو الأَزرَق،
فِيمَا النَّسَائِمُ تُدَاعِبُنِي وَالأَموَاجُ تَأتِي مُندَفِعَةً نَحوِي،
ارتَجَفتُ بِنَبضَاتِ القُوَّة، وَتَمَلَّكَنِي سِحرُ فِكرَتِي،
إِلَى أَن فَكَّكت الأَنسِجَةُ التِي تَشُدُّنِي عُقَدَهَا فَوقِي.

وَرَأَيتُ أَروَاحَ الشُّعَرَاءِ الحُرَّة،
أَرقَى مُنشِدِي العُصُورِ الغَابِرَةِ يَسِيرُون أَمَامِي،
رِجَالٌ ضِخَامٌ غَرِيبُون، رَاقِدُون طَوِيلًا، مُنغَلِقِين، انفَتَحُوا لي.

[20]

آهٍ يَا قَصِيدَتِي النَّشوَى، يَا نِدَائِي، لَا تَمكُرِي بِي!
لَا مِن أَجلِ مُنشِدِي الماضِي، لَا كَي أَحفِزَهُم أَطلَقتُكِ قُدُمًا،
لَا لِكَي أَدعُو حَتَّى هَؤلَاء المُنشِدِين إِلَى هُنَا عَلَى شَوَاطِئِ أُونتَارِيُو،
قَد أَنشَدتُ عَالِيًا مُتَحَرِّرًا أُغنِيَتِي الضَّارِيَة.

إِنَّنِي أَحفِز فَحَسب مُنشِدِي بَلَدِي،
(فَالحَربُ انتَهَت، وَالمِيدَانُ نَظِيف)،
إِلَى أَن يَفتَتِحُوا المَسِيرَات ابتِدَاءً مِن الآن ظَافِرَةً إِلَى الأَمَام،
لِيُبهِجُوا يَا أُمِّي رُوحَكِ اللَانِهَائِيَّةَ المنتَظِرَة.

مُنشِدُو الفِكرَةِ العَظِيمَة! مُنشِدُو ابتِكَارَاتِ السِّلم! (فَالحَربُ، الحَربُ انتَهَت!)
لَكِن مُنشِدِي الجُيُوش الأَخِيرَة، مِليُونَ جُندِي يَنتَظِرُون مُتَأَهِّبِين دَائِمًا،
مُنشِدُون بِأُغنِيَاتٍ كَأَنَّهَا مِن فَحمٍ مُشتَعِل أَو شَرَائِطَ بَرقٍ مُتَشَعِّبَة!
فَيَا مُنشِدِي أُوهيُو وَكَنَدَا الغَزِيرِين، يَا مُنشِدِي كَالِيفُورنيَا! يَا مُنشِدِي اليَابِسَة– يَا مُنشِدِي الحَرب!
إِنَّنِي أَحفِزُكُم أَنتُم بِسِحرِي.

معكُوسَـــات

فَليَمضِ إِلَى الوَرَاء مَا يَقِفُ فِي الأمَام،
فَليَتَقَدَّم إِلَى الأمَام مَا كَانَ فِي الوَرَاء،
دَعُوا المتَعَصِّبِين، وَالحمقَى، وَالقَذِرِين، يُقَدِّمُون اقترَاحَاتٍ جَدِيدَة،
وَلتُؤَجَّل الاقترَاحَاتُ القَدِيمَة،
فَليَبحَث الرَّجُلُ عَن المتعَةِ فِي كُل مَكَانٍ عَدَا نَفسِه،
وَلتَبحَث المرأَةُ عَن السَّعَادَةِ فِي كُل مَكَانٍ عَدَا نَفسِهَا.

جدَاول الخريـف

كَنتِيجَــة، إلخ.

كَنَتِيجَةٍ لِرَصِيدِ أَمطَارِ الصَّيف،
أَو الجَدَاوِل المُتَقَلِّبَةِ المنسَابَةِ فِي الخَرِيفِ،
أَو تَشَابُكَاتِ غَدِيرٍ تَحُفُّه أَعشَابٌ كَثِيرَة،
أَو قَنَواتٍ بَحرِيَّةٍ تَحتَ الأَرضِ تَصُبُّ فِي البَحر،
أُغَنِّي أُغنِيَاتٍ عَن السِّنِين المتوَاصِلَة.

اندِفَاقَاتُ الحَيَاةِ الحَدِيثَةِ أَبَدًا تَأتِي أَوَّلًا (سَرِيعًا، سَرِيعًا مَا تَندَمِج،
مَعَ تَيَّارَات المَوتِ القَدِيمَة).

وَبَعض حُقُولِ أُوهيُو الزِّرَاعِيَّةِ أَو الغَابَاتِ المُتَدَاخِلَة،
بَعضُ قَنَوَات كُولُورَادُو السُّفلِيَّة القَادِمَةِ مِن مَنَابِع دَائِمَة الثُّلُوج،
البَعضُ شِبه مَخفِي فِي أُورِيجُون، أَو بَعِيدًا نَحوَ الجَنُوبِ فِي تِكسَاس،
البَعضُ فِي الشَّمَال يَجِد طَرِيقَه إِلَى إِرِي، وَنيَاجَارَا، وَأُوتَّاوَا،
وَالبَعض إِلَى خُلجَان أَطلَانطِيكَا، وَبِالتَّالِي إِلَى البَحرِ المالِحِ العَظِيم.

كِتَابِي يَتَمَعَّنُ فِيكَ أَيًّا مَن تَكُون،
فِيَّ أَنَا نَفسِي، فِي العَالَم كُلِّه، وَهَذِهِ التَّيَّارَاتُ المنسَابَة،

جَمِيعًا، جَمِيعًا تَتَّجِه نَحو المحِيطِ السِّرِّي.

تَيَّارَاتٌ لِافتِتَاحِ قَارَّةٍ جَدِيدَة،
افتِتَاحِيَّاتٌ مُرسَلَةٌ إِلَى مَا هُو جَامِد انطِلَاقًا مما هُو سَائِل،
انصِهَار المحِيطِ وَالأرضِ، المَوجَات الرَّقِيقَة وَالمتَأمِّلَة،
(لَيسَت آمِنَةً وَسِلمِيَّةً فَحَسب، هِي مَوجَاتٌ مُهتَاجَةٌ وَمَشئُومَةٌ أَيضًا،
مِن الأعمَاقِ مَوجَاتُ العَاصِفَة الجَهَنَّمِيَّة، مَن يَدرِي مَتَى؟
تَكتَسِحُ الاتِّسَاع، مَع الكَثِيرِ مِن الصَّوَارِي المهَشَّمَة وَالأشرِعَةِ الممَزَّقَة).

أَو مِن بَحرِ الزَّمَن، مُلَملِمًا مُوَسِّعًا كُل شَيء، آتِي،
بِرُكَامٍ مَجرُوفٍ مِن الأعشَابِ وَالقَوَاقِع.

أَيَّتُهَا القَوَاقِعُ الصَّغِيرَةُ، المَلفُوفَةُ الغَرِيبَة، الشَّفَّافَة– البَارِدَةُ وَالصَّامِتَة،
أَلَن تُحمَلِي أَيَّتُهَا القَوَاقِعُ الصَّغِيرَة إِلَى وَاجِهَاتِ المعَابِد،
وَالغَمغَمَاتُ وَالأصدَاءُ مَا تَزَال تَستَنفِر، وَمُوسِيقَى الأبَدِيَّةِ وَاهِيَةٌ وَنَائِيَة،
وَاليَابِسَةُ المَجرُوفَة، المرسَلَة مِن حَافَّةِ أَطلَانطِيكَا، مَشدُودَةٌ إِلَى رُوحِ البَرَارِي،
وَالأصدَاءُ المهمُوسَة، أَوتَارٌ لأُذُنِ الغَرب تَرِن بِبَهجَة،
وَسيُولُكِ قَدِيمَةٌ، لَكِنَّهَا جَدِيدَةٌ أَبَدًا وَعَصِيَّةٌ عَلَى التَّأوِيل،
وَصَغَائِر حَيَاتِي، وَخَيَوَاتٍ كَثِيرَة،
(فَأَنَا لَا أُقَدِّم حَيَاتِي وَأَعوَامِي فَحَسب– بَل الكُل، أُقَدِّم الكُل)،
أَهَذِه اللُّقَى مِن الأعمَاق، المَطرُوحَةُ عَالِيًا وَجَافَّة،
هَل اغتَسَلَتْ عَلَى شَوَاطِئ أَمِيرِيكَا؟

عَـــودة الأبطَـــال

[1]

مِن أَجلِ الأرَاضِي وَمِن أَجلِ هَذِه الأيَّامِ المشبُوبَةِ وَمِن أَجلِ نَفسِي،
أَلجأُ إِلَيكِ الآنَ لِبُرهَةٍ يَا تُربَةَ حُقُولِ الخَرِيف،
مُتَّكِئًا عَلَى صَدرِك، مَانِحًا نَفسِي لَكِ،
مُجِيبًا عَلَى نبضَات قَلبِكِ الهَادِئ الرَّصِين،
مُدَندِنًا بِقَصِيدَةٍ لَكِ.

أَيَّتُهَا الأَرضُ التِي لَا تَملِك صَوتًا، فَلتَعهَدِي لِي بِصَوت،
يَا حَصَادَ أَرَاضِيَّ– يَا نَمَاءَات الصَّيفِ اللَّامَحدُودَة،
أَيَّتُهَا الأَرضُ السَّخِيَّةُ الدَّاكِنَةُ الحُبلَى– أَيُّهَا الرَّحِم الوَلُودُ اللَّانِهَائِي،
هَا هِيَ أُغنِيَةٌ لأَحكِي عَنك.

[2]

أَبَدًا فوقَ هَذِه المِنَصَّة،
تُمَثَّل دِرَامَا الرَّب الهَادِئَةُ السَّنَوِيَّة،
مَوَاكِبُ رَائِعَةٌ، أُغنِيَاتُ طُيُور،
شُرُوقُ الشَّمس الذِي يُتخِم وَيُنعِش الرُّوح،

البَحرُ المتَصَاعِدُ، الأموَاجُ عَلَى الشَّاطِئِ، الأَموَاجُ المُوسِيقِيَّةُ القَوِيَّة،
الغَابَاتُ، الأَشجَارُ الرَّاسِخَة، وَالأَشجَارُ النَّحِيلَةُ، مُدَبَّبَةُ الأَطرَاف،
جُيُوشُ الأَعشَابِ القِزمَةُ بِلَا حَصر،
الحَر، الأَمطَار، المَرَاعِي بِلَا حُدُود،
مَشهَدُ الثُّلُوج، أُوركِسترَا الرِّيحِ الحُرَّة،
سُقُوفُ الغُيُومِ الممدُودَةُ المُعَلَّقَةُ بِخِفَّة، الأَهدَابُ اللَّازوردِيَّة الصَّافِيَةُ وَالفِضِّيَّة،
النُّجُومُ المدِيدَةُ عَالِيًا، النُّجُومُ الهَادِئَةُ المُومِئَة،
الأَسرَابُ وَالقُطعَانُ المتنَقِّلَة، السُّهُولُ وَالمرُوجُ الزُّمُرُّدِيَّة،
مَشَاهِدُ الأَرَاضِي المُتَنَوِّعَة وَجَمِيعُ النَّمَاءَاتِ وَالمنتَجَات.

[3]

وَلُودٌ يَا أَمِيرِيكَا– اليَوم،
مَجبُولَةٌ أَنتِ كُلُّكِ عَلَى الوِلَادَاتِ وَالمبَاهِج!
تَئِنِّين بِالثَّرَوَات، تَكسُوكِ ثَروَتُكِ كَثَوبٍ يُغَطِّيك،
تُقَهقِهِين عَالِيًا بِوَجَعِ المتَلَكَاتِ العَظِيمَة،
آلافٌ مِن حَيَاةٍ مُزدَوَجَة كَكُرُومٍ مُتَشَابِكَة تَربِطُ أَرَاضِيكِ الشَّاسِعَةَ كُلَّهَا،
كَسَفِينَةٍ هَائِلَةٍ مَشحُونَةٍ حَتَّى حَافَّةِ المَاء تَرسِين فِي المِينَاء،
وَإِذ يَنهَمِرُ المطَرُ مِن السَّمَاءِ وَيَصَّاعَدُ البُخَارُ مِن الأَرض، هَكَذَا تَنهَمِرُ القِيَمُ الثَّمِينَةُ عَلَيكِ وَتَصَّاعَدُ مِنك؛
أَنتِ مَحسُودَةُ الكَون! أَنتِ مُعجِزَة!
أَنتِ، مُستَحِمَّةً، مُختَنِقَةً، تَعُومِين فِي الوَفرَة،
أَنتِ السَّيِّدَةُ المحظُوظَةُ لِمَخَازِنِ الغِلَالِ الهَادِئَة،
أَنتِ سَيِّدَةُ البَرَارِي التِي تَجلِس فِي المنتَصَفِ وَتَتَطَلَّع إِلَى العَالَم، تَتَطَلَّعُ شَرقًا وَتَتَطَلَّعُ غَربًا،

المَانِحَةُ، بِكَلِمَةٍ تَمنَحِين أَلفَ مِيل، مِليُونَ مَزرَعَة، وَلَا تَنقُصِين شَيئًا،
أَنتِ الكُل– القَابِلَة– أَنتِ الكَرِيمَة (أَنتِ وَحدَكِ كَرِيمَةٌ كَمَا الرَّب كَرِيم).

[4]

حِينَ غَنَّيتُ فِيمَا بَعد كَان صَوتِي حَزِينًا،
حَزِينَةً كَانَت المَشَاهِدُ حَولِي مَعَ صَخَبٍ يَصُم الآذَانَ مِن الكَرَاهِيَةِ وَدُخَانِ الحَرب؛
وَسطَ الصِّرَاع، وَالأَبطَالِ، وَقَفتُ،
أَو مَرَرتُ بِخُطوَةٍ بَطِيئَةٍ خِلَالَ الجَرحَى وَالمحتَضَرِين.

لَكِنِّي الآن لَا أُغَنِّي الحَرب،
وَلَا المسِيرَ المحسُوبَ لِلجُنُود، وَلَا خِيَامَ المعَسكَرَات،
وَلَا الكَتَائِبَ القَادِمَةَ مُسرِعَةً مُنتَشِرَةً عَلَى خُطِّ المعرَكَة؛
لَا مَزِيدَ مِن مَشَاهِد الحَرب الحَزِينَة، غَيرِ الطَّبِيعِيَّة.

هَل طَلَبَت مَكَانًا لَهَا تِلكَ الصُّفُوفُ الخَالِدَةُ المتَدَفِّقَة، أَوَّلُ فَيَالِقَ خَطَت إِلَى الأَمَام؟
وَا أَسَفَاه، فَالصُّفُوفُ المرَوَّعَةُ، وَالفَيَالِقُ التَّالِيَةُ المرعُوبَة تَطلُبُ مَكَانًا لَهَا.

(فَلتَمُرُّوا، مُرُّوا، أَيَّتُهَا الفَيَالِقُ الأَبِيَّة، بِأَقدَامِكُم القَوِيَّةِ المتَشَرِّدَة،
بِأَكتَافِكُم الشَّابَّةِ العَفِيَّة، وَبِحَقَائِبِ الظَّهرِ وَالبَنَادِق؛
كَم وَقَفتُ مُتَبَاهِيًا وَشَاهَدتُكُم، حَيث سِرتُم مُنطَلِقِين.

مُرُّوا– إِذَن فَلتُقرَعِي أَيَّتُهَا الطُّبُولُ مِن جَدِيد،
مِن أَجلِ جَيشٍ نَرَاه يَلهَثُ، أَيُّهَا الجَيشُ الآخَرُ المتَجَمِّع،
مُحتَشِدًا، يَتَجَرجَر فِي الوَرَاء، أَيُّهَا الجَيشُ المرعُوبُ المتَرَاكِم،

أَيَّتُهَا الكَتَائِبُ المثِيرَةُ لِلشَّفَقَة، مَعَ الإِسهَالِ القَاتِل، مَع الحُمَّى،
يَا أَحبَّاءَ وَطَنِي الشَّائِهِين، بِأَربِطَةٍ كَثِيرَةٍ دَامِيَةٍ وَالعَكَاكِيز،
انظُرُوا، فَجَيشُكُم الشَّاحِبُ يَتقَدَّم).

[5]

لَكِن فِي هَذِهِ الأَيَّامِ المشرِقَة،
فِي المشهَدِ الطَّبِيعِي الفَاتِنِ الشَّاسِع، وَالطُّرُقِ وَالدُّرُوب، وَعَرَبَاتِ المزرَعَةِ المُكَدَّسَةِ عَالِيًا، وَالثِّمَارِ وَمَخَازِنِ الحَصَاد،
هَل عَلَى المَوتَى التَّدَخُّل؟

آهِ الموتَى بِالنِّسبَةِ لِي لَا يَفسَدُون، إِنَّهُم يَزدَهِرُون فِي الطَّبِيعَة،
يَزدَهِرُون جَيِّدًا فِي المشهَدِ الطَّبِيعِي تَحتَ الأَشجَار وَالأَعشَاب،
وَعَلَى امتِدَادِ حَافَّةِ السَّمَاء فِي هَوَامِشِ الأُفُقِ البَعِيدَة.

كَمَا لَا أَنسَاكُم أَيُّهَا الرَّاحِلُون،
لَا فِي الشِّتَاءِ وَلَا الصَّيفِ يَا مَفقُودِيَّ،
لَكِن فِي الهَوَاءِ الطَّلقِ مِثلَمَا الآن حِين تَنتَشِي رُوحِي فِي سَلَام، كَأَطيَافٍ بَهِيجَة،
كَثِيرًا مَا تَنسَل ذِكرَاكُم مُتَصَاعِدَةً فِي صَمتٍ إِلَى جَانِبِي.

[6]

شَهِدتُ يَومَ عَودَةِ الأَبطَال،
(لَكِن الأَبطَالَ الذِين لَم يَتفَوَّق عَلَيهِم أَحدٌ أَبَدًا لَن يَعُودُوا أَبَدًا،
لَم أَرَهُم فِي ذَلِكَ اليَوم).

رَأَيتُ الفَيَالِقَ اللَّانِهَائِيَّة، رَأَيتُ مَوَاكِبَ الكَتَائِب،

رَأَيتُهُم يَقتَرِبُون، يَسِيرُون فَصَائِل،
يَنسَابُون نَحوَ الشَّمَال، وَمُهِمَّتُهُم مُنجَزَةٌ، مُعَسكِرِين لِبُرهَةٍ فِي مَجمُوعَاتٍ بِمُعسكَرَات شَاسِعَة.

لَيسَوا جُنُودَ عُطلَات– شُبَّانٌ، لَكِنَّهُم مُحَنَّكُون،
مُستَنزَفُون، دَاكِنُون، وَسِيمُون، أَشِدَّاء، مِن رَصِيدِ المَنزِلِ وَالوَرشَة،
صَلَّبت عُودَهُم حَمَلَاتٌ طَوِيلَةٌ كَثِيرَةٌ وَمَسِيرَاتٌ تَنِز العَرَق،
تَمَرَّسُوا عَلَى الكَثِيرِ مِن المَيَادِين الدَّامِيَةِ لِلقِتَالِ المحتَدِم.

وَقفَـة– الكَتَائِب تَنتَظِر،
يَنتَظِر مليُونُ مُنتَصِر مُدَجَّجِين مُتَوَرِّدِين،
وَالعَالَم أَيضًا يَنتَظِر، ثُم بِنُعُومَةٍ كَانشِقَاقِ اللَّيل وَيَقِينٍ كَالفَجر،
يَذُوبُون، يَتَلَاشُون.

فَتَهَلَّلِي أَيَّتُهَا الأَرَاضِي! الأَرَاضِي الظَّافِرَة!
فَلَيسَ انتِصَارُكِ هُنَاكَ عَلَى تِلكَ الأَرَاضِي الحَمرَاءِ المُرتَعِدَة،
بَل هُنَا وَالآن انتِصَارُك.

فَلتَذُوبِي، وتَلَاشَي أَيَّتُهَا الجيُوش– تَبَدَّدُوا أَيُّهَا الجُنُودُ بِالزِّي الأَزرَق،
انصَرِفُوا مَرَّةً أُخرَى، اترُكُوا أَسلِحَتَكُم القَاتِلَة،
فَأَسلِحَتُكُم وَمَيَادِينُ قِتَالِكُم ابتِدَاءً مِن الآن مُغَايِرَة، أَو جَنُوبًا أَو شَمَالًا،
مَعَ حُرُوبٍ أَكثَر عَقلَانِيَّة، حُرُوبٍ عَذبَة، حُرُوبٍ وَلَّادَة.

[7]

عَالِيًا يَا حنجرَتِي، وَصَافِيَةً يَا رُوحِي!

هُوَ مَوسِمُ الشُّكر وَصَوتُ العِرفَان الكَامِل،
أُنشُودَةُ البَهجَة وَالعُنفُوَانِ لِلخُصُوبَةِ المطلَقَة.

أَمَامِي تَمتَد الحُقُولُ المحرُوثَةُ وَغَيرُ المحرُوثَة،
أَرَى المَيَادِينَ الحَقِيقِيَّةَ لِسِبَاقِي، أَو الأوَّل أَو الأخِير،
مَيَادِينَ الإنسَانِ البَرِيئَةَ وَالقَوِيَّة.

أَرَى الأبطَالَ فِي مجَاهَدَاتٍ أُخرَى،
أَرَى الأسلِحَةَ الأفضَل مُستَخدَمَةً بِبَرَاعَة فِي أَيدِيهِم.

أَرَى أُم الجَمِيع،
بِعَينٍ تُحَدِّقُ قُدُمًا بِأَقصَى مَدَاهَا، مُتَمَعِّنَةً طَوِيلًا،
وَتُحصِي التَّجمُّعَاتِ المتَنَوِّعَةَ لِلمُنتَجَات.

مُفعَمٌ بِالنَّشَاطِ المَشهَدُ البَعِيدُ، المُشمِس،
البَرَارِي، وَالبَسَاتِينُ، وَالحبُوبُ الصَّفرَاءُ لِلشَّمَال،
قُطنُ وَأُرزُ الجَنُوبِ وَقَصَبُ لوِيزِيَانَا،
الأرَاضِي المرَاحَةُ المفتُوحَةُ غَير مَبذُورَة، وَالأَرَاضِي الخِصبَةُ بِالبَرسِيم وَالتِّيمُوثِي،
أَبقَارٌ وَأَحصِنَةٌ ترعَى، وَقُطعَانُ أَغنَامٍ وَخَنَازِير،
وَأَنهَارٌ كَثِيرَةٌ تَنسَابُ بِجَلَالٍ وَجَدَاوِلُ كَثِيرَةٌ مَرِحَة،
وَمُرتَفَعَاتٌ خِصبَةٌ بِنَسَائِم تَفُوح بِأَرِيجِ الأعشَاب،
وَالعُشبُ الأخضَر العَفِي، تِلكَ المعجِزَةُ الرَّهِيفَة لِلعُشبِ المتكَرِّرةُ أَبَدًا.

[8]

فَلتُوَاصِلُوا العَنَاء أَيُّهَا الأبطَال! احصُدُوا المنتَجَات!

فَـأُم الجَمِيع لَيسَت وَحدَهَا فِي مَيَادِين الحَربِ هَذِه،
فَقَد رَاقَبَتكُم بِقَوَامٍ مَدِيدٍ وَعَينَين لَامِعَتَين.

وَاصِلُوا العَنَاء أَيُّهَا الأبطَال! فَلتُعَانُوا بِجِد! أَمسِكُوا بِالأسلِحَةِ جَيِّدًا!
فَـأُم الجَمِيع تُرَاقِبُكُم، حَتَّى هُنَا كَمَا كَانَت أَبَدًا.

فَلتَنظُرِي يَا أَمِيرِيكَا المسرُورَة،
فَوقَ حُقُولِ الغَرب تِلكَ الوُحُوشَ الزَّاحِفَة،
الاختِرَاعَاتِ الإِنسَانِيَّةَ السَّمَاوِيَّة، وَسَائِلَ تَوفِيرِ العَمَل؛
انظُرِي أَوعِيَةَ التِّبن الدَّوَّارَةَ تَتَحَرَّك فِي كُل اتِّجَاهٍ مُصطَبِغَةً كَأَنَّمَا بِالحَيَاة،
وَآلَات الحصَادِ البُخَارِيَّةَ وَآلَاتٍ بِقُوَّةِ الأحصِنَة،
المحَرِّكَات، وَآلَات دراسِ الحبُوب وَتَنظِيفِ الحبُوب، فَاصِلَةً تَمَامًا القَش، وَالعَمَلَ الرَّشِيق لِلمِذرَاةِ المختَرَعَة،
انظُرِي المنشَارَ الآلِي الأحدَث، وَمِحلَاجَ القُطنِ الجنُوبِي، وَمُنَظِّف الأُرز.

انظُرِي تَحتَكِ أَيَّتُهَا العَاهِلَة،
مَع هَذَا وَغَيرِه وَبِأَيدِيهِم القَوِيَّة يَحصُدُ الأبطَال.

الجَمِيعُ يَجمَعُون وَالجَمِيعُ يَحصُدُون،
لَكِن مِن أَجلِكِ أَيَّتُهَا القَوِيَّة، مَا مِن مِنجَلٍ يُمكِن أَن يَتَطَوَّح مِثلَمَا الآن فِي أَمَان،
وَلَا عُودَ ذُرَةٍ يُدَلِّي مِثلَمَا الآن فِي سَلَامٍ شُرَّابَاتِه الحَرِيرِيَّة.

تَحتَكِ فَحَسب يَحصُدُون، حَتَّى وَلَو حِفنَةَ قَش تَحتَ وَجهِكِ العَظِيمِ فَحَسب،
يَحصُدُون قَمحَ أُوهيُو، إِيلِلِينُوي، وِيسكُونسِن، وَكُلَّ سُنبُلَةٍ شَائِكَةٍ تَحتَك،
يَحصُدُون أُذرَةَ مِيسُّورِي، كِينتَكِي، تِينِّيسِّي، وَكُل كُوزٍ فِي جِرَابِه الأخضَر الفَاتِح،

يَجمَعُون القَش إلَى الآلَافِ مِن مخَازِنه فِي الحظَائِر الهَادِئَةِ ذَات الرَّائِحَة،
وَالشُّوفَانَ إلَى صَوَامِعِه، وَالبَطَاطِسَ البَيضَاء، وَحِنطَةَ مِيتشِيجَان السَّودَاء إلَى مخَازِنِهَا؛
يَجمَعُون القُطنَ فِي المِيسِيسِيبِّي أَو أَلَابَامَا، يُنَقِّبُون وَيَختزِنُون بَطَاطَا جُورجِيَا وَكَارُولَينَا الذَّهَبِيَّة،
يَجِزُّون صُوفَ كَاليِفُورنيَا أَو بِنسِيلفَانيَا،
يَقطَعُون الكِتَّانَ فِي الوِلَايَاتِ الوُسطَى، أَو القِنَّبَ أَو الطِّبَاقَ فِي الحدُودِيَّة،
يَلتَقِطُون البَازِلَّاءَ وَالفُول، أَو يَنتَزِعُون التُّفَّاحَ مِن الأشجَار أَو يَجمَعُون العِنَبَ مِن الكرُوم،
أَو أَي شَيءٍ يَنضُجُ فِي جَمِيع هَذِهِ الولَايَاتِ أَو الشَّمَالِ أَو الجنُوب،
تَحتَ الشَّمسِ المشرِقَةِ وَتحتَك.

طفـلٌ يمضي إلى الأمام

كَانَ هُنَاكَ طِفلٌ يَمضِي إلَى الأمَامِ كُل يَوم،
وَالشَّيءُ الأوّل الذِي يَقَع نَظَرُه عَلَيه، يُصبِح هُو ذَلِك الشَّيء،
يُصبِح ذَلِكَ الشَّيء جُزءًا مِنه طُوَالَ اليَوم أَو جُزءًا مُعَيَّنَا مِن اليَوم،
أَو مِن أَعوَامٍ عَدِيدَةٍ أَو دَوَائِرَ مَدِيدَةٍ مِن الأعوَام.

أَصبَحَت اللَّيَالِكُ المُبَكِّرَةُ جُزءًا مِن هَذَا الطِّفل،
وَالعُشبُ وَرَوَائِعُ الصَّبَاحِ البَيضَاءُ وَالحَمرَاء، وَالبَرسِيمُ الأبيَضُ وَالأحمَر، وَأُغنِيَةُ عُصفُورِ الفُويبِي،
وَحِملَانُ الشَّهر الثَّالِث وَالمَوَالِيدُ القُرمُزِيَّةُ الفَاتِحَةُ لِلخَنزِيرَة، وَمُهرُ الفَرَس وَعِجلُ البَقَرَة،
وَالمَوَالِيدُ الصَّاخِبُون بِفِنَاءِ مَخزَن الحبُوبِ أَو بِجِوَارِ وَحلِ المستَنقَع،
وَالسَّمَكُ الذِي يُعَلِّقُ نَفسَه بِغَرَابَةٍ هُنَاكَ فِي الأسفَل، وَالسَّائِلُ الجَمِيلُ بِغَرَابَة،
وَنَبَاتَاتُ المَاء بِرُؤُوسِهَا المسَطَّحَةِ الرَّشِيقَة، كُلُّه أَصبَحَ جُزءًا مِنه.

بَرَاعِمُ الحَقل فِي الشَّهرِ الرَّابِع وَالشَّهرِ الخَامِس أَصبَحَت جُزءًا مِنه،
بَرَاعِمُ مَحَاصِيلِ الشِّتَاءِ وَبَرَاعِمُ الأُذرَةِ فَاتِحَةِ الصُّفرَة، وَجُذُورُ الحَدِيقَةِ الصَّالِحَةُ لِلأكل،
وَأَشجَارُ التُّفَّاح المغَطَّاةُ بِالأزهَارِ وَالثِّمَار فِيمَا بَعد، وَتُوتُ الغَابَة، وَالأعشَابُ

العَشوَائِيَّةُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيق،
وَالسِّكِّيرُ العَجُوزُ الذِي يَتَرَنَّح إِلَى بَيتِه مِن المبنَى الخَارِجِي لِلحَانَةِ حَيثُمَا نَهَضَ مَتَأَخِّرًا،
وَمُعَلِّمَةُ المدرَسَةِ التِي مَرَّت فِي طَرِيقِهَا إِلَى المدرَسَة،
وَالأولَادُ الوَدُودُون الذِين مَرُّوا، وَالأولَادُ المشَاكِسُون،
وَالفَتَيَاتُ المتَأَنِّقَاتُ المتَوَرِّدَات، وَالوَلَدُ وَالبِنتُ الزِّنجِيَّان الحَافِيَان،
وَكُلُّ تَغَيُّرَات المدِينَةِ وَالبَلَدِ أَينَمَا مَضَى.

أَبَوَاه، ذَلِكَ الذِي أَنجَبَه وَتِلكَ التِي حَمَلَت بِه فِي رَحِمِهَا وَوَلَدَته،
مَنَحَا هَذَا الطِّفلَ مِن نَفسَيهِمَا مَا هُو أَكثَر،
كَانَا يَمنَحَانَه فِيمَا بَعد كُل يَوم، فَأَصبَحَا جُزءًا مِنه.

الأُم فِي البَيتِ تَضَع بِهُدُوءٍ الأَطبَاقَ عَلَى مَائِدَةِ العشَاء،
الأُم بِكَلِمَاتٍ لَطِيفَةٍ، تُنَظِّف قُبَّعَتَهَا وَثَوبَهَا، وَرَائِحَةُ العَافِيَةِ تَسَّاقَطُ مِنهَا وَمِن مَلَابِسِهَا وَهِي تَمشِي،
وَالأَب، القَوِي، المكتَفِي بِذَاتِه، الرُّجُولِي، الوَضِيعُ، الغَضُوبُ، الظَّالِم،
وَالضَّربَةُ، وَالكلِمَةُ الخَاطِفَةُ العَالِيَة، وَالصَّفقَةُ البَارِعَة، وَالشَّرَك المَاكِر،
وَالاستِعمَالَاتُ الأُسَرِيَّة، وَاللُّغَة، وَالشَّرِكَة، وَالأَثَاثُ، وَالقَلبُ الملهُوف وَالمغرُور،
العَاطِفَةُ التِي لَن تُنكَر، وَالإِحسَاسُ بِمَا هُو حَقِيقِي، وفِكرَةُ أَن يَثبُت أَنَّه غَيرُ حَقِيقِي فِي النِّهَايَة،
شُكُوكُ النَّهَار وَشُكُوكُ اللَّيل، "مَا إِذَا" و"كَيف" الغَرِيبَتَان،
مَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الذِي يَبدُو هَكَذَا هُو كَذَلِك، أَم أَنَّه كُلَّه التِمَاعَاتٌ وَوَمَضَات،
وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ المتَزَاحِمُون مُتَلَاصِقِين فِي الشَّوَارِع، إِن لَم يَكُونُوا التِمَاعَاتٍ وَوَمَضَاتٍ فَمَاذَا يَكُونُون؟
وَالشَّوَارِعُ ذَاتُهَا وَوَاجِهَاتُ المنَازِل، وَالبَضَائِعُ فِي وَاجِهَاتِ العَرض،

وَالمركَبَاتُ، المجمُوعَاتُ، أَرصِفَةُ التَّحمِيل الخَشَبِيَّةُ، العُبُورُ الهَائِلُ بِالمعَدِّيَات،

وَالقَريَةُ عَلَى المُرتَفَع مَرئِيَّةً عَن بُعدٍ فِي الغُرُوب، وَالنَّهرُ فِي الوَسَط،

وَالظِّلَالُ، وَالهَالَةُ وَالشَّبُّورَة، وَالضَّوءُ يَسَّاقَطُ عَلَى الأسطُح وَالجَمَالُونَات البَيضَاءِ أَو البُنِّيَّة عَن بُعدِ مِيلَين،

وَالمركَبُ الشِّرَاعِي بِصَارِيَين ينحَدِر نَاعِسًا فِي المَد، وَالقَارِبُ الصَّغِير مَجرُورٌ بِارتِخَاءٍ فِي الوَرَاء،

الأموَاجُ الرَّاكِضَةُ المتلَاطِمَة، وَذُرَاهَا سَرِيعَةُ الانكِسَار، اللَّاطِمَة،

طَبقَاتُ الغُيُومِ الملَوَّنَة، العَمُودُ الطَّوِيلُ الأحمَر الدَّاكِن المُنعَزِلُ بَعِيدًا وَحدَه، وَانتِشَارُ الصَّفَاءِ الذِي يَرمِيه بِلَا حِرَاك،

حَافَّةُ الأُفُق، غُرَابُ البَحرِ المُحَلِّق، أَرِيجُ المُستَنقَع المِلحِي وَطِينُ الشَّاطِئ،

هَؤلَاء أَصبَحُوا جُزءًا مِن ذَلِكَ الطِّفل الذِي كَان يَمضِي كُل يَومٍ إِلَى الأمَام، وَالذِي يَمضِي الآن، وَسَيَمضِي دَائِمًا كُل يَومٍ إِلَى الأمَام.

أيرلنـــدَا القديمـــة

بَعِيدًا عَن هُنَا وَسطَ جَزِيرَةٍ ذَات جَمَالٍ رَائِع،
تَنكَفِئُ أُم عَجُوزٌ حَزِينَةٌ عَلَى قَبر،
وَإِذ كَانَت ذَاتَ يَومٍ مَلِكَةً، الآن تَجلِسُ عَلَى الأَرض مَحنِيَّةً بَالِيَة،
شَعرُهَا الأبيَضُ العَجُوز يَتَدَلَّى أَشعَثَ حَولَ كَتِفَيهَا،
وَعَلَى قَدَمَيهَا سَقَطت قِيثَارَةٌ مَلَكِيَّةٌ بِلَا استِخدَام، صَامِتَةً طَوِيلًا،
وَهِي أَيضًا صَامِتَةٌ طَوِيلًا، نَائِحَةً عَلَى أَمَلِهَا وَوَرِيثِهَا المقبُور،
وَقَلبُهَا مُفعَمٌ بِأَحزَانِ الأَرضِ كُلِّهَا لأنَّه مُفعَمٌ بِالحُب.

لَكِن كَلِمَةً أَيَّتُهَا الأُم العَجُوز،
فَلَم تَعُودِي بِحَاجَةٍ إِلَى الانكِفَاءِ هُنَاكَ عَلَى الأَرضِ البَارِدَة وَجَبِينُكِ بَينَ رُكبَتَيك،
آهِ لَستِ بِحَاجَةٍ إِلَى الجُلُوسِ هُنَا مُتَّشِحَةً بِشَعرِك العَجُوزِ الأَبيَض الأَشعَث،
لأَنَّكِ تَعلَمِين أَن مَن تَنُوحِين عَلَيه لَيسَ فِي هَذَا القَبر،
هُو وَهم، فَالإِبن الحَبِيبُ لَم يَمُت حَقًّا،
لَيسَ السَّيِّدُ بِمَيِّت، فَقَد نَهَضَ مِن جَدِيدٍ شَابًّا عَفِيًّا فِي بَلَد آخَر،
حَتَّى وَأَنتِ تَبكِين هُنَاكَ مَعَ قِيثَارَتِك السَّاقِطَةِ بِجَانِب القَبر،
فَمَا بَكَيتِ عَلَيه قَد تُرجِم، وَعَبَرَ مِن القَبر،
وَاصطَفَته الرِّيَاحُ وَأَبحَرَ بِهِ البَحر،
وَالآنَ بِدَمٍ وَردِي جَدِيد، يَنتَقِلُ اليَومَ إِلَى بَلَدٍ جَدِيد.

منزلُ موتَى المدينَــة

لَدَى بَوَّابَةِ مَنزِل مَوتَى المدِينَة[*]،
إذ أَتَسكَّعُ الهوَينَى مُتَّخِذًا طَرِيقِي المتَلَوِّي مِن الضَّجِيج الصَّاخِب،
أَتَوانَى بِفضُول، إذ انظرُوا، شَكلٌ مَنبُوذ، عَاهِرَةٌ فَقِيرَةٌ مَيِّتَةٌ جِيءَ بِهَا،
وَضَعُوا جُثمَانَهَا غيرَ المرغُوب، لِيَرتَمِي عَلَى الأرضِيَّةِ القِرمِيدِ الرَّطبَة،
المرأَة السَّمَاوِيَّة، وَجَسدهَا، أَرَى الجَسَد، أَنظُر إِلَيه وَحِيدًا،
ذَلِكَ المنزِلِ الذِي كَان ذَاتَ يَومٍ مُفعَمًا بِالشَّغَفِ وَالجَمَال، لَم أَلحَظ سِوَى ذَلِك،
لَا يُؤَثِّر فِيَّ السُّكُونُ البَارِد، وَلَا المَاءُ الجَارِي مِن الصُّنبُور، وَلَا الرَّوَائِحُ المريعَةُ،
لَكِن المنزِلَ وَحدَه– المنزِلَ العَجِيب– ذَلِكَ المنزِلَ الجَمِيلَ الرَّهِيف– ذَلِكَ الطَّلَل!
ذَلِكَ المنزِلَ المشئُومَ بِأَكثَر مِن صُفُوفِ الدُّور المبنِيَّةِ أَبَدًا!
أَو مَبنَى البَرلَمَانِ ذِي القُبَّةِ البَيضَاءِ العَالِيَةِ بِهَيئَةٍ مَهِيبَة، أَو كُل الكَاتِدرَائِيَّات القَدِيمَةِ الشَّامِخَةِ عَالِيًا،
ذَلِكَ المنزِل وَحدَه بِأَكثَر مِنهُم جَمِيعًا– مَنزِلٌ فَقِير، بَائِس!
أَنقَاضٌ مُرِيعَةٌ، فَاتِنَة– مَسكَنٌ لِرُوح– هِي بِذَاتِهَا رُوح،
أَيُّهَا المَنزِلُ المَهجُورُ، المَنبُوذ– التَقِطْ نَفَسًا مِن بَين شَفَتَيَّ المرتَعِدَتَين،

[*] منزل الموتى: مبنًى كان يُستخدم في استقبال الجثامين قبل عملية الدفن، وعادةً ما كان يقع داخل أو قُرب المقبرة، فيما قبل القرن العشرين.

خُذ دَمعَةً سَقَطَت جَانِبًا وَأَنَا أَمضِي مُفَكِّرًا فِيكِ،
يَا مَنزِلَ الحُبِّ المَيِّتَ- مَنزِلَ الجُنُون وَالخَطِيئَة، المُنهَار، المُحَطَّم،
يَا مَنزِلَ الحَيَاة، التِي كَانَت فِي السَابِق تَتَكَلَّم وَتَضحَك- لَكِنه آه، مَنزِلٌ بَائِسٌ، مَيِّتٌ الآن،
وَلِشُهُورٍ، وَأَعوَامٍ، تُرَدِّدُ الصَّدَى، أَيُّهَا المنزِلُ المبَرقَش- لَكِن الميِّت، المَيِّت، المَيِّت.

المــزيج

[1]

شَيءٌ مَا يُفزَعُنِي حَيثُمَا كُنتُ أَظُن أَنَّنِي آمِن،
أَنسَحِبُ مِن الغَابَاتِ السَّاكِنَة التِي أَحبَبتُهَا،
لَن أَمضِي الآن فِي المرَاعِي لأتَمَشَّى،
لَن أَخلَع عَن جَسَدِي الملَابِس لألتَقِي بِحَبِيبِي البَحر،
لَن أَلمَس بِجَسَدِي الأرضَ مِثلَمَا بِجَسَدٍ آخَر لأُجَدِّدَ نَفسِي.

آهِ كَيفَ يُمكِن أَلَا تَسأَمَ الأَرضُ ذَاتُهَا؟
كَيفَ يُمكِن أَن تَكُونِي حَيَّةً يَا ازدِهَارَات الرَّبِيع؟
كَيفَ يُمكِن أَن تُنعِشَ الصِّحَّةَ يَا دَمَ العُشبِ، الجُذُورِ، البَسَاتِين، الحُبُوب؟
أَلَا يَدُسُّون دَائِمًا فِيكَ أَجسَادًا فَاسِدَة؟
أَلَم تَعكُف كُل قَارَّة وَتَعكُف عَلَى مَوتَانَا المتَعَفِّنِين؟

أَينَ تَخَلَّصتُم مِن أَجسَادِهُم؟
هَؤلَاء السكَارَى وَالشَّرِهِين مِن أَجيَالٍ كَثِيرَةٍ كَثِيرَة؟

إِلَى أَينَ سَحَبتُم كُل السَّائِل وَاللَّحمِ الفَاسِد؟

لَا أَرَى أَيًّا مِنهَا عَلَيكُم اليَوم، أَو رُبَّمَا قَد خُدِعتُ،
سَأَحفُر أُخدُودًا بِمِحرَاثِي، سَأَغرِس جَارُوفِي فِي المرج وَأَقلِبُه رَأسًا عَلَى عَقِب،
فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِن أَنَّنِي سَأَستَخرِج بَعضَ اللَّحمِ الفَاسِد.

[2]

انظُرُوا إِلَى هَذَا المزِيج! انظُرُوا إِلَيه جَيِّدًا!
فَرُبَّمَا كَانَت كُلُّ كِسرَةٍ جُزءًا مِن شَخصٍ مَرِيض ذَاتَ يَوم- لَكِن انظُرُوا!
فَعُشبُ الرَّبِيع يُغَطِّي البَرَارِي،
يَنبَثِق الفُولُ بِلَا صَوتٍ خِلَالَ تُربَةِ الحَدِيقَة،
وَالبُرعُم الرَّهِيفُ لِلبَصَل يَشُق طَرِيقَه إِلَى أَعلَى،
وَبَرَاعِم التُّفَّاح تَتَجَمَّعُ مَعًا فِي أَغصَان التُّفَّاح،
وَيُطِل انبِعَاثُ القَمح مِن قَبرِه بِوَجهٍ شَاحِب،
وَمِسحَةُ اللَّون تَصحُو عَلَى شَجَرَة الصَّفصَاف وَشَجَرَةِ التُّوت،
وَذُكُورُ الطُّيُور تَتَرنَّم صُبحَ مَسَاء فِيمَا الإِنَاثُ تَرقُد فِي أَعشَاشِهَا،
وَالكَتكُوتُ يَختَرِق البَيضَة المفقُوسَة،
مَوَالِيدُ الحَيَوَانَات تَظهَر، وَالعِجلُ يَسقُط مِن البَقَرَة، وَالمهرُ مِن الفَرَس،
بِإِخلَاصٍ تَنبَثِقُ الأَورَاقُ الخَضرَاءُ الدَّاكِنَةُ لِلبَطَاطِس مِن تَلِّهَا الصَّغِير،
وَمِن تَلِّهَا تَنبَثِقُ أَعوَادُ الذُّرَةِ الصَّفرَاء، وَاللَّيَالِكُ تُزهِر فِي بَاحَةِ المنزِل،
وَازدِهَارُ الصَّيفِ بَرِيءٌ وَلَا مُبَالٍ فَوقَ هَذِه الطَّبَقَاتِ مِن الموتَى العَفِنِين.

يَا لَهَا مِن كِيمِيَاء!
أَن الرِّيَاحَ لَيسَت حَقًّا مُعدِيَة،
أَن ذَلِكَ لَيسَ خِيَانَةً، هَذَا الطِّلَاءُ الأَخضَرُ الشَّفَّافُ لِلبَحر الوَلهَانِ مِثلِي،
أَنَّه آمِنٌ أَن أَسمَحَ لَه بِلَعقِ جَسَدِي العَارِي كُلِّه بِأَلسِنَتِه،

أَنَّه لَن يَتَهَدَّدَنِي بِخَطَر الانفِعَالَاتِ الكَامِنَةِ فِيه،
أَن كُل شَيءٍ نَظِيفٌ أَبَدًا إِلَى الأَبَد،
أَن المشرُوبَ البَارِدَ مِن البِئرِ لَه مَذَاقٌ طَيِّبٌ لِلغَايَة،
أَنَّ التُّوتَ الأَسوَدَ ذُو عَصِيرٍ وَنُكهَةٍ طَيِّبَة،
أَن ثِمَارَ بُستَانِ التُّفَّاح وَبُستَانِ البُرتُقَال، وَذَلِكَ البَطِّيخ، وَالأَعنَاب، وَالخُوخ، وَالبَرقُوق،
لَن تُسَمِّمَنِي إِحدَاهَا،
أَنَّنِي حِين أَستَرخِي عَلَى العُشبِ لَن يُصِيبَنِي أَيُّ مَرَض،
رغمَ أَن كُل نَبتَةِ عُشبٍ رُبَّمَا تَنمُو مِمَّا كَانَ ذَاتَ يَوم مَرَضًا مُعدِيًا.

أَنَا الآن مَرغُوبٌ مِن **الأَرض**، تِلكَ الهَادِئَةِ الصَّبُورَة،
إِنَّهَا تُنبِتُ هَذِه الأَشيَاءَ اللَّذِيذَةَ مِن هَذِه التَّعَفُّنَات،
تَتَحَّول إِلَى مُسَالِمَةٍ بِلَا شَائِبَة عَلَى مَحَاوِرِهَا، مَعَ هَذَا الاضطِرَادِ اللَّانِهَائِي مِن الأَجسَادِ
المرِيضَة،
تَستَقطِر هَذِه الرِّيَاحَ الفَاتِنَةَ مِن هَذَا العَفَنِ المنتَشِر،
تُجَدِّد بِهَذِه النَّظرَاتِ العَميَاء مَحَاصِيلَهَا الوَافِرَة، السَّنَوِيَّة، السَّخِيَّة،
تَمنَح النَّاسَ هَذِه المَوَاد السَّمَاوِيَّة، وَتَتَلَقَّى مِنهُم هَذِه الارتِحَالَات فِي النِّهَايَة.

إلى ثوري أوروبي مُحبَـط

فَلتَتَشَجَّع مَعَ ذَلِك، يَا أَخِي أَو يَا أُختِي!
وَاصِل- فَـالحريَّةُ لَهَا أَن تَتَدعَّم أَيًّا مَا يَحدُث؛
فَلَا أهَميَّةَ لأَن تُقمَع بِفِعلِ فَشَلٍ أَو فَشَلَين، أَو أَي عَدَدٍ مِن مَرَّاتِ الفَشَل،
أَو لَا مُبَالَاةِ النَّاسِ أَو جُحُودِهِم، أَو أَيَّةِ خِيَانَة،
أَو بِمشهَدِ أَنيَابِ السُّلطَة، وَالجُنُودِ، وَالمدفَعِ، وَالعِقَابِ القَانُونِي.

فَمَا نُؤمِنُ بِه يَنتَظِر كَامِنًا إِلَى الأبَد عَبرَ جَمِيع القَارَّات،
لَا يَدعُو أَحَدًا، لَا يَعِدِ بِشَيء، يَقبَع فِي السَّكِينَةِ وَالنُّور، إِيجَابِيًّا وَرَابِطَ الجَأش، لَا يَعرِف الإِحبَاط،
يَنتَظِر فِي صَبر، يَنتَظِر أَوَانَه.

(لَيسَت هَذِه بِأُغنِيَاتِ الإِخلَاص فَحَسب،
بَل هِي أَيضًا أُغنِيَاتُ البَعث،
ذَلِكَ أَنَّنِي الشَّاعِر المُحَلَّفُ لِكُل مُتَمَرِّدٍ جَسُور فِي العَالَم أَجمَع،
وَهوَ إِذ يَمضِي مَعِي يَترُكُ خَلفَه الدَّعَةَ وَالرُّوتِين،
وَيُخَاطِر بضَيَاعِ حَيَاتِه فِي أَيَّةِ لَحَظَة).

تَحتَدِمُ المعرَكَة بِالكَثِيرِ مِن الهَجَمَاتِ الصَّاخِبَة وَالتَّقَدُّمِ وَالتَّرَاجُع المتَكَرِّر،
بِالانتِصَارَات الخَادِعَةِ، أَو مَا يُفتَرَض أَنَّهَا انتِصَارَات،
وَالسِّجنُ، وَالمشنَقَةُ، وَالإِعدَامُ بِالخَنق، وَالأصفَادُ، وَالقَيدُ الحَدِيدِيُّ وَالكُرَاتُ
الرَّصَاصِيَّةُ يَقُومُون بِدَورِهِم،
يَمُر الأَبطَالُ المَعرُوفُون وَالمجهُولُون إِلَى مَدَارَاتٍ أُخرَى،
وَالخُطَبَاءُ وَالكُتَّابُ العِظَام مَنفِيُّون، يَستَلقُون مَرضَى فِي أَرَاضٍ بَعِيدَة،
وَالقَضِيَّةُ نَائِمَةٌ، وَأَقوَى الحَنَاجِر مَخنُوقَةٌ بِدَمِهَا،
وَالشُّبَّان يُطَأطِئُون رُؤُوسَهُم نَحوَ الأرضِ حِين يَلتَقُون؛
لَكِن مِن أَجلِ هَذَا كُلِّه لَم تَرحَل الحُرِيَّة مِن المكَان، وَلَا تَوَصَّل الخَائِن إِلَى الهَيمَنَةِ
الكَامِلَة.

فَحِين تَرحَل الحُرِيَّةُ مِن مَكَانٍ مَا لَا تَكُون المرَّةَ الأُولَى لِلرَّحِيل، وَلَا الثَّانِيةَ وَلَا
الثَّالِثَة،
إِنَّهَا تَنتَظِر رَحِيلَ البَاقِين كُلِّهم، فَهِيَ آخِرُ الرَّاحِلِين.

وحِين لَا يَكُون هُنَاكَ مَزِيدٌ مِن ذِكرَيَاتٍ عَن الأبطَالِ وَالشُّهَدَاء،
وَحِين تَكُون كُل بِقَاعِ الأرضِ قَد أُخلِيَت مِن حَيَاةِ وَأَروَاحِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعًا،
آنَئِذٍ فَحَسب سَتَفرَغ هَذِه البُقعَةُ مِن الأرضِ مِنَ الحُرِيَّةِ أَو فِكرَةِ الحُرِيَّة،
وَيَتَوَصَّلُ الخَائِنُ إِلَى الهَيمَنَةِ الكَامِلَة.

إِذَن فَلتَتَشَجَّع أَيُّهَا الثَّورِي الأُورُوبِي، وَأَيَّتُهَا الثَّورِيَّة!
فَحَتَّى لَو تَوَقَّفَ كُل شَيء فَلَيسَ عَلَيكَ أَن تَتَوَقَّف.

لَا أَدرِي مَا هَدَفُك (لَا أَدرِي مَا هَدَفِي أَنَا نَفسِي، وَلَا مَا هَدَفُ أَي شَيء)،

لَكِنِّي سَأَبحَث بِدَأبٍ عَنه حَتَّى فِي الإِحبَاط،
فِي الهَزِيمَةِ، وَالفَقر، وَالفِكرَةِ الخَاطِئَة، وَالسَّجن– فَهُم أَيضًا عُظمَاء.

هَل نَظُن أَن الانتِصَارَ عَظِيم؟
هُو كَذَلِك– لَكِن يَبدُو لِي الآن، حَينَ لَا يُمكِن تَحقِيقُه، أَن الهَزِيمَةَ عَظِيمَة،
وَأَن الموتَ وَالرُّعبَ عَظِيمَان.

بُلـدانٌ بلا اسـم

أَيَّتُهَا الأُمَمُ السَّابِقَةُ عَلَى هَذِه الوِلَايَاتِ بِعَشرَةِ آلَافِ عَام، وَبِعَشَرَاتِ الآلَافِ مِن الأعوَامِ قَبلَ هَذِه الولَايَات،
أَيَّتُهَا العَنَاقِيدُ المكَدَّسَةُ مِن العُصُور التِي نَشَأ فِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِثلَنَا وقَطَعُوا مِشوَارَهُم وَرَحَلُوا،
يَا لَهَا مِن مُدُنٍ شَاسِعَة، مِن جُمهُورِيَّاتٍ مُنَظَّمَة، مِن قَبَائِل رَعَوِيَّة وَبَدو،
يَا لَهَا مِن تَوَارِيخ، وَحُكَّامٍ، وَأَبطَالٍ، قَد يَسمُون عَلَى الآخَرِين جَمِيعًا،
يَا لَهَا مِن قَوَانِين، وَعَادَاتٍ، وَثَروَاتٍ، وَفُنُونٍ، وَتُرَاث،
يَا لَه مِن نَوعٍ مِن الزَّوَاج، مِن عَادَاتٍ، مِن خَصَائِص جَسَدِيَّةٍ وفِرَاسَةٍ دِمَاغِيَّة،
يَا لَهَا مِن حُرِيَّةٍ وَعبُودِيَّةٍ لَدَيهِم، وَمَا يَعتَقِدُون عَن الموتِ وَالرُّوح،
مَن كَانُوا أَذكِيَاء وَحُكَمَاء، جَمِيلِين وَشَاعِرِيِّين، بِدَائِيِّين وَمُتَخَلِّفِين،
لَا عَلَامَة، لَا سِجِل يَبقَى– وَمَع ذَلِكَ فَالكُل يَبقَى.

آهِ أَدرِي أَن أُولَئِكَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ لَم يَكُونُوا بِلَا غَايَة، بِأَكثَر مِمَّا نَحنُ بِلَا غَايَة،
أَدرِي أَنَّهُم يَنتَمُون إِلَى مُخَطَّطِ العَالَم تَمَامًا بِقَدرِ مَا نَنتَمِي إِلَيه الآن.

عَن بُعدٍ يَقِفُون، لَكِنَّهُم يَقِفُون قُربِي،
البَعضُ بِسِيمَاءَ بَيضَوِيَّةٍ مُثَقَّفًا وَهَادِئًا،

البَعضُ عُريَانٌ وَبِدَائِي، وَالبَعضُ كَمَجمُوعَاتٍ هَائِلَة مِن الحشَرَات،
البَعضُ فِي خِيَام، رُعَاةٌ، أَبَوِيُّون، قَبَائِل، فُرسَان،
البَعضُ يَجُوسُون خِلَالَ الغَابَات، وَالبَعض يَعِيشُون فِي سَلَامٍ عَلَى المزَارِع، وَالكَد، وَالحصَادِ، وَمَلء مَخَازِن الغِلَال،
وَالبَعض يَعبُرُون الطُّرُقَ المرصُوفَة، وَسَطَ المعَابِد، وَالقُصُور، وَالمصَانِع، وَالمكتَبَات، وَالعرُوض، وَالمحَاكِم، وَالمسَارِح، وَالنُّصُبِ الرَّائِعَة.

هَل هَؤلَاء البَلَايِينُ مِن النَّاسِ قَد رَحَلُوا فِعلًا؟
هَل هَؤلَاء النِّسَاءُ بِخِبرَاتِهن القَدِيمَةِ عَن الأرض قَد رَحَلن؟
أَلَم يَبقَ لَنَا سِوَى حَيَوَاتِهِم، وَمُدُنِهِم، وَفُنُونِهِم؟
أَلَم يُحَقِّقُوا شَيئًا أَبَدًا ذَا قِيمَةٍ لأنفُسِهِم؟

إِنَّنِي أُؤمِن بِكُل هَؤلَاء الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الذِين مَلَأُوا البُلدَانَ المجهُولَة، بِكُل وَاحِدٍ يَعِيش فِي هَذِه السَّاعَةِ هُنَا أَو فِي مَكَانٍ آخَر، فِي خَفَاءٍ عَنَّا،
فِي تَنَاسُبٍ تَام مَعَ مَا نَشَأ مِنه فِي الحيَاة، ونَتِيجَةً لمَا قَامَ أَو قَامَت بِفِعلِه، والإِحسَاسِ به، وَالصَّيرُورَةِ إِلَيه، وَحُبِّه، وارتِكَابِ إِثمِه، فِي الحيَاة.

أُؤمِن بِأَن نِهَايَةَ هَذِه الأُمَمِ أَو أَي شَخصٍ فِيهَا لَيسَت بِأَكثَر مِمَّا سَتَكُون عَلَيه نِهَايَةُ أُمَّتِي، أَو نِهَايَتِي؛
وَلُغَاتُهم، وَحكُومَاتُهم، وَزَوَاجُهم، وَأَدَبُهم، وَمُنتَجَاتُهم، وَأَلعَابُهم، وَحُرُوبُهم، وَأَخلَاقُهم، وَجَرَائِمُهم، وَسُجُونُهم، وَعَبِيدُهم، وَأَبطَالُهم، وَشُعَرَاؤُهم،
أَشُك فِي أَن مُنجَزَاتِهِم مَا تَزَالُ تَنتَظِر بِغَرَابَةٍ فِي العَالَم غَير المرئِي بَعد، كَنَظَائِر لِمَا تَرَاكَم لَهُم فِي العَالَم المَرئِي،
أَشُك فِي أَنَّنِي سَأَلتَقِي بِهِم هُنَاك،
وَأَشُك فِي أَنَّنِي سَأَجِدُ هُنَاكَ كُل خُصُوصِيَّةٍ قَدِيمَةٍ لِهَذِه البُلدَانِ المجهُولَة.

أُغنيَــة الحصَــافة

تَمَشَّيتُ الهوَينَى فِي شَوَارِع مَانهَاتِن مُتأمِّلًا،
فِي الزَّمَانِ، وَالمكَانِ، وَالوَاقِعِ– فِي أَشيَاء مِن هَذَا القَبِيل، وَمَعَهُم الحصَافَة.

الإِيضَاحُ الأخِيرُ يَبقَى دَائِمًا بِحَاجَةٍ إِلَى صِيَاغَةٍ بِشَأن الحصَافَة،
سَوَاء مَا كَانَ صَغِيرًا أَم كَبِيرًا مَا يَسقُطُ بِهُدُوءٍ مِن الحَصَافَة ليُلَائِم الخُلُود.

الرُّوح مِنهَا،
وَإِلَيهَا تَرجِعُ كُلُّ الآفَاق، وَمرَجعُ الجَمِيع إِلَى مَا يَنجُمُ مِنهَا،
كُل مَا يَقُوم بِه شَخصٌ مَا، وَيَقُولُه، وَيَعتَقِدُه، هُو نَتِيجَةٌ لَهَا،
لَا حَرَكَة يُمكِن أَن يَقُومَ بِهَا رَجُلٌ أَو امرَأَة، لِتُؤثِّر فِيه أَو فِيهَا ذَاتَ يَوم، أَو شَهرٍ، أَو أَي جَانِبٍ مِن عُمرِه المبَاشِر، أَو سَاعَةَ وَفَاتِه،
إِلَا وَتَقُومُ بِنَفسِ التَّأثِير عَلَيه أَو عَلَيهَا فِيمَا بَعد فِي المستَقبَل خِلَالَ عُمرِهِ غَير المبَاشِر.

وَغَيرُ المبَاشِر شَأنُه تَمَامًا شَأن المبَاشِر،
فَالرُّوحُ تَتَلَقَّى مِن الجَسَد بِقَدرِ مَا تَمنَحُ الجَسَد، إِن لَم يَكُن أَكثَر.

مَا مِن كَلِمَةٍ أَو فِعلٍ وَاحِد، مَا مِن قَرحٍ تَنَاسُلِي، أَو تَغَيُّرٍ فِي اللَّون، أَو حَمِيمِيَّة الاستِمنَاء،

فَسَادِ الشَّرِهِين أَو مُدمِنِي الخَمر، الاختِلَاسِ، الخُبثِ، الخِيَانَةِ، القَتلِ، الإغوَاءِ، الدَّعَارَة،
إِلَا وَلَهَا عَوَاقِبُ حَقِيقِيَّة فِيمَا بَعدَ الموتِ مِثلَمَا قَبلَ الموت.

البِر وَالقُوَّةُ الشَّخصِيَّةُ هُمَا الاستِثمَارُ الوَحِيدُ الذِي يَفُوقُ كُلَّ شَيء.

لَا احتِيَاجَ لِمُوَاصَفَات، فَكُل مَا يَقُومُ بِه ذَكَرٌ أَو أُنثَى، هُو حَيَوِي، وَخَيـِّر، وَنَظِيف، هُو
بَالِغُ النَّفعِ لَه أَو لَهَا،
فِي النَّظَامِ الصَّارِمِ لِلكَون وَخِلَالَ مدَاه كُلِّه إِلَى الأَبَد.

فَمَن كَانَ رَصِينًا يَتَلَقَّى الخَير،
بِدَائِيًّا كَانَ، أو مُجرِمًا، أو رَئِيسَ دَولَة، أو قَاضِيًا، أو مُزَارِعًا، أو بَحَّارًا، أو حِرَفِيًّا، أو
أُمِّيًّا، أو شَابًّا، أو عَجُوزًا، سِيَّان،
فَالخَيرُ سَيَحِلُّ عَلَيه– كُل شَيءٍ سَيَحَل.

فَمَن يُؤَثِّرُون الآن، مَن أَثَّرُوا فِي زَمَنِهِم، بِصُورَةٍ فَردِيَّةٍ أَو جَمعِيَّة، سَيُؤَثِّرُون أَبَدًا، طُوَالَ
المَاضِي كُلِّه والحَاضِرِ كُلِّه وَالمستَقبَلِ كُلِّه،
وَكُل الأَفعَالِ الجَسُورَةِ فِي الحَربِ وَالسِّلم،
كُلُّ عَونٍ قُدِّم إِلَى الأَقَارِبِ، وَالغُرَبَاءِ، وَالفُقَرَاءِ، وَالعَجَائِز، وَالمحزُونِين، وَالأَبنَاءِ
الصِّغَار، وَالأَرَامِلِ، وَالمرضَى، وَالأَشخَاصِ الانطِوَائِيِّين،
كُلُّ إِنكَارٍ لِلذَّات يَقِفُ رَاسِخًا وَمُتَرَفِّعًا عِندَ حُطَامِ السَّفِينَة، وَقَد رَأَى الآخَرِين
يَملأُون مَقَاعِدَ القَوَارِب،
كُلُّ قُربَانٍ مِن ثَروَةٍ أَو حَيَاةٍ مِن أَجلِ القَضِيَّة العَظِيمَةِ القَدِيمَة، أَو مِن أَجلِ صَدِيق، أَو
فِكرَة،
كُلُّ عَذَابَات المتَحَمِّسِين التِي سَخَرَ مِنهَا جِيرَانُهُم،

كُلُّ الحُب العَذبِ اللَّامَحدُود وَالمُعَانَاةِ الغَالِيَةِ لِلأُمهَات،
كُلُّ الأشخَاصِ الأُمَنَاءِ الذِين أَعيَتهُم المجَاهَدَاتُ المعلُومَةُ أَو المجهُولَة،
كُلُّ العَظَمَةِ وَالخَير لَدَى الأُمَمِ القَدِيمَة مِما وَرثنَا شَذَرَاتِهَا،
كُلُّ خَيرِ عَشَرَاتِ الأُمَم القَدِيمَةِ المجهُولَةِ مِنَّا بِالإِسم، وَالزَّمَانِ، وَالمكَان،
كُلُّ ذَلِك بَدَأ دَائِمًا بِصُورَةٍ رُجُولِيَّة، سَوَاء نَجَحَ أَم لَا،
كُلُّ إيحَاءَات العَقلِ السَّمَاوِي لِلإِنسَانِ أَو سَمَاوِيَّة فَمِه، أَو تَشكِيل يَدَيه العَظِيمَتَين،
كُلُّ ذَلِك تَم التَّفكِير فِيه أَو قَولُه جَيِّدًا اليَوم فِي أَي جُزءٍ مِن الكَوكَب، أَو أَيٍّ مِن النُّجُوم الهَائِمَة، أَو أَيٍّ مِن النُّجُومِ الثَّابِتَة، مِن قِبَل مَن هُم هُنَاك مِثلَمَا نَحن هُنَا،
وَكُل مَا سَيَكُون مَوضِعَ تَفكِيرٍ أَو فِعلٍ مِنذُ الآنَ مِنكَ أَيًّا مَن تَكُون، أَو مِن أَي أَحَد، يَترَاكَم، وَقَد تَرَاكَم، وَسَيَترَاكَم، إِلَى الكَينُونَاتِ التِي انبَثَقُوا مِنهَا، أَو سِيَنبَثِقُون.

فَهَل كُنتَ تَظُن أَن أَيَّ شَيءٍ قَد عَاشَ فَحسب لَحظَتَه؟
العَالَم لَا يُوجَد هَكَذَا، لَا جُزء نَابِضًا أَو غَيرَ نَابِضٍ مَوجُودٌ هَكَذا،
ولَا وُجُودَ لاكتِمَالٍ بِدُون أَن يَكُون نَابِعًا مِن اكتمَالٍ سَابِقٍ قَدِيم، نَابِعٍ مِن آخَر،
بِدُونِ ذَلِكَ الشَّخصِ الأبعَد مِمَّا يُمكِن تَخَيُّلُه قَادِمًا أَقرَب قَلِيلًا مِن البِدَايَة مِن أَيِّ وَاحِد.

فَكُل مَا يُشبِعُ الأَروَاحَ حَقِيقِي؛
وَالحَصَافَةُ تُشبِع تَمَامًا لَهفَةَ وَشَرَاهَةَ الأَروَاح،
فَهِي ذَاتُهَا وَحدهَا مَا يُشبِعِ الرُّوحَ فِي النِّهَايَة،
وَالرُّوحُ لَدَيهَا ذَلِكَ الكِبرِيَاءُ بِلَا حُدُودِ الذِي يَتَمَرَّدُ عَلَى كُل دَرسٍ سِوَى دَرسِهَا.

الآن أَتَنَفَّس كَلِمَةَ الحصَافَة التِي تَسِير جَنبًا إِلَى جَنبِ الزَّمَان، وَالمكَان، وَالوَاقِع،

ذَلِكَ مَا يُجِيبُ عَلَى الكِبرِيَاءِ الذِي يَرفُضُ كُلَّ دَرسٍ سِوَى دَرسِه.

مَاهِيَّةُ الحصَافَة لَا تُجتَزَأ،
تَرفُضُ أَن تَفصِلَ جُزءًا مِن الحيَاةِ عَن أَيِّ جُزءٍ آخَر،
لَا تَجتَزِئُ الصَّالِحَ عَن الطَّالِح أَو الحَيَّ عَن الميِّت،
تُقَارِنُ كُلَّ فِكرَةٍ أَو فِعلٍ بِمَا يَرتَبِطُ بِه،
لَا تَعرِفُ إِمكَانِيَّةَ الغُفرَان أَو تَكفِيرًا بِالنِّيَابَة،
تَعرِفُ أَن الشَّابَّ الذِي خَاطَرَ بِحَيَاتِه بِرَبَاطَةِ جَأشٍ وَفَقَدَهَا قَد أَحسَن صُنعًا إِلَى أَبعَد حَدٍّ لِنَفسِه بِلَا شَك،
وَأن مَن لَم يُخَاطِر أَبدًا بِحَيَاتِه، بَل يَحتَفِظُ بِهَا حَتَّى الشَّيخُوخَة فِي رَفَاهِيَةٍ وَدِعَة، رُبَّمَا لَم يُحقِّق شَيئًا لِنَفسِه جَدِيرًا بالذِّكر،
تَعرِفُ أَن هَذَا الشَّخصَ فَحَسب قَد تَعَلَّم حَقًّا كَيفَ يُفَاضِل بَين النَّتَائِج،
مَن يُفَضِّل الجَسَدَ وَالرُّوحَ عَلَى السَّوَاء،
مَن يُدرِك غَيرَ المبَاشِر الذِي يَعقُبُ بِالتَّأكِيد المبَاشِر،
مَن فِي رُوحِه- تَحتَ أَيِّ ظَرفٍ أَيًّا مَا كَان- لَا يُسرِع إِلَى الموتِ وَلَا يَتَحَاشَاه.

المغـنِّية في السِّـجن

[1]

يَا مَشهَدَ الشَّفَقَة، عَارٌ وَصَدَقَة!
أَيَّتُهَا الفِكرَةُ المفزِعَة– أَنتِ رُوحٌ مُدَانَـة.

فَلتُدَوِّ بِاللَّازِمَةِ بِامتِدَادِ القَاعَة، السِّجن،
مُتَصَاعِدَةً حَتَّى السَّقفِ، وَقِبَابِ السَّمَاءِ فِي الأعَالِي،
مُنصَبَّةً فِي سُيُولٍ مِن التَّنَاغُمِ فِي ألحَانٍ عَذبَةِ الكَآبَة وَقَوِيَّةٍ بِلَا مَثِيل،
لِتَبلُغَ الحَارِسَ البَعِيدَ وَالحُرَّاسَ المسَلَّحِين، الذِين تَوَقَّفُوا عَن المسِير،
فَتَدفَعَ نَبضَاتِ المستَمِعِ إِلَى التَّوَقُّف نَشوَةً وَرَهبَة.

[2]

كَانَت الشَّمسُ خَفِيضَةً فِي الغَربِ ذَات يَومٍ شِتَائِي،
حَيثُ فِي مَمشًى ضَيِّقٍ فِي الأسفَل وَسطَ اللُّصُوصِ وَالخَارِجِين عَلَى القَانُون،
(هُنَاكَ قُربَ مِئَاتِ الجَالِسِين مِن القَتَلَةِ وَالمُزَوِّرِين المخَادِعِين، بِوُجُوهٍ مُتَحَجِّرَة،
مِمَّن تَجَمَّعُوا بِكَنِيسَةِ الأحَد دَاخِلَ جُدرَانِ السِّجن، وَحَولَهُم الحُرَّاس،
كَثِيرُون، مُسَلَّحُون جَيِّدًا، يُرَاقِبُون بِعُيُونٍ يَقِظَة)،

بِهُدُوءٍ خَطَت سَيِّدَةٌ مُمسِكَةً بِطِفلٍ صَغِيرٍ بَرِيء مِن يَدَيه،
لِتُجلِسَه عَلَى مقعدِهِ بِجِوَارِهَا عَلَى المنَصَّة،
وَهيَ، مُفتَتِحَةً فِي البِدَايَةِ بِالآلَةِ المُوسِيقِيَّةِ افتِتَاحِيَّةً مُوسِيقِيَّةً خَفِيضَة،
بِصَوتٍ يَتَجَاوَز الجَمِيع، غَنَّت تَرنِيمَة قَدِيمَةً غَرِيبَة.

رُوحٌ سِجِينَةٌ بِالقُضبَانِ وَالأحزِمَة،
تَصرُخ، النَّجدَة! آهِ النَّجدَة! وَتَعتَصِر يَدَيهَا،
عَميَاء العَينَين، دَامِيَةَ الصَّدر،
بِلَا غُفــرَانٍ، بِلَا بَلسَم رَاحَة.

تَخطُو ذِهَابًا وَإِيَابًا بِلا انتِهَاء،
أَيَّتُهَا الأيَّامُ عَلِيلَةُ القَلب–! يَا لَيَالِي الفَزَع!
لَا يَدَ صَدِيق، وَلَا وَجهًا حَبِيبًا،
لَا عَطفَ يَأتِي، وَلَا كَلِمَة رَحمَة.

لَم يَكُن أَنَا مَن ارتَكَبَ الإِثم،
فَالجَسَدُ القَاسِي هُوَ مَا جَرَّنِي إِلَيه؛
وَرَغم أَنَّنِي قَاوَمتُ طَوِيلًا بِشَجَاعَة،
كَانَ الجَسَدُ أَقوَى بِكَثِيرٍ مِنِّي.

أَيَّتُهَا الرُّوح السَّجِينَةُ العَزِيزَةُ احتَمِلِي لِبُرهَة،
فَعَاجِلًا أَو آجِلًا سَتَحَل الرَّحمَةُ الأَكِيدَة؛
لِتُطلِقَ سَرَاحَك وَتَحمِلَكِ إِلَى بَيتِك،
فَالموتُ الغَفُورُ السَّمَاوِي سَيَأتِي.

لَا إِدَانَةَ أُخرَى، وَلَا عَار، وَلَا صَدَقَة!
فَارحَلِي- رُوحًا أَعتَقَهَا الرَّب!

[3]

تَوَقَّفَت المغَنِّيَة،
أَلقَت نَظرَةً وَاحِدَةً شَامِلَةً مِن عَينَيهَا الهَادِئَتَين الصَّافِيَتَين عَلَى جَمِيع هَذِه الوُجُوهِ المقلُوبَة،
بَحرٌ غَرِيبٌ مِن وُجُوهِ السِّجن، أَلفُ وَجهٍ مُختَلِفٍ، مَاكِرٍ، وَحشِي، مُتَغَضِّنٍ وَجَمِيل،
ثُم نَاهِضَةً، عَادَت عَلَى امتِدَادِ المَمر الضَّيِّق فِيمَا بَينَهُم،
فِيمَا تُلَامِسُهُم تَنُورَتُهَا مُصدِرَةً حَفِيفًا فِي الصَّمت،
وَاختَفَت مَع أَطفَالِهَا فِي الغَسَق.

فِيمَا حَطَّ عَلَى الجَمِيع، مُدَانِين وَحُرَّاسًا مُسَلَّحِين كَانُوا مُنفَعِلِين،
حَل صَمتٌ وَسُكُونٌ للَحظَةٍ بَاهِرَة،
(فَنَسيَ المدَانُون السِّجنَ، وَنَسِيَ الحُرَّاسُ بَنَادِقَهُم المشحُونَة)
مَعَ نَشِيجٍ عَمِيقٍ شِبه مَكبُوتٍ وَصَوتِ رِجَالٍ أَشرَارٍ يُطَأطِئُون رُؤُوسَهُم وَيُوشِكُون عَلَى البُكَاء،
وَالتَّنفُّسِ المُتَشَنِّجِ لِلشُّبَّان، وَذِكرَيَاتِ البَيت،
وَصَوتِ الأم فِي الهَدهَدَةِ، وَعِنَايَةِ الأُختِ، وَالطُّفُولَةِ السَّعِيدَة.
استَيقَظَت الرُّوحُ الخَامِدَةُ طَوِيلًا عَلَى الذِّكرَيَات؛
لَحَظَةٌ بَاهِرَةٌ آنَئِذٍ- لَكِن فِيمَا بَعد، فِي اللَّيلِ المعزُول، بِالنِّسبَةِ لِلكَثِيرِين، الكَثِيرِين مِنهُم،
بَعدَ أَعوَام، حَتَّى فِي لَحظَةِ المَوت، استُعِيدَت اللَّازِمَةُ الحَزِينَة، وَاللَّحن، وَالصَّوتُ،

وَالكَلِمَات،
وَالسَّيِّدَةُ الطَّوِيلَةُ الهَادِئَةُ تَمشِي فِي المَمَر الضَّيِّق،
وَالأُغنِيَة النَّائِحَةُ مِن جَدِيد، وَالمغَنِّيَةُ فِي السِّجن تُغَنِّي :

يَا مَشهَدَ الشَّفَقَة، عَارٌ وَصَدَقَة!
أَيَّتُهَا الفِكرَةُ المفزِعَة- أَنتِ رُوحٌ مُدَانَـة.

تغريـدةٌ لزمَن الليـلَك

غَرِّد لِي الآن مِن أَجلِ بَهجَةِ زَمَن اللَّيلَك (العَائِدِ فِي الذِّكرَيَات)،
اختَر لِي أَيُّهَا اللِّسَانُ وَالشِّفَاه إِكرَامًا لِلطَّبِيعَة، ذِكرَيَاتِ الصَّيفِ الأبكَر،
لَمْلِم لِي إِشَارَات التَّرحِيبِ (مِثلَمَا يُلَملِمُ الأطفَالُ الحَصَى أَو القَوَاقِعَ المربُوطَةَ بخَيط)،
ضَع فِي أَبرِيل وَمَايُو الضَّفَادِعَ التِي تَنِق فِي المستَنقَع، فِي الأثِير الغَض،
وَالنَّحلَ، وَالفرَاشَات، وَالدُّورِيَّ بِنَغمَاتِه البَسِيطَة،
وَالعُصفُورَ الأزرَقَ وَالسُّنُونُو الجَرِيء، دُون نِسيَان "نَقَّار الخَشَب" الذِي يُومِض بِأجنِحَتِه الذَّهَبِيَّة،
وَالضَّبَابَ المُشمِسَ الهَادِئ، وَالدُّخَانَ الملتَصِق، وَالبُخَار،
وَوَمِيضَ المِيَاه بِمَا فِيهَا مِن سَمَك، وَاللَّازَوردَ فِي الأعلَى،
كُل هَذَا مَرِحٌ وَوَامِض، وَالغُدرَانَ التِي تَجرِي،
وَغَابَاتِ القَيقَب، وَهَشَاشَةِ أَيَّام فِبرَايِر وَصُنعَ السُّكَّر،
وَعُصفُورَ أَبِي الحِنَّاء حَيثُ يَحجِل، مُشرِقَ العَينَين، بُنِّي الصَّدر،
مَعَ نِدَاءٍ مُوسِيقِي صَافٍ عِندَ الشُّرُوق، وَمِن جَدِيدٍ عِندَ الغُرُوب،
أَو طَائِرًا مُنتَقِلًا بَين أَشجَارِ التُّفَّاح بِالبُستَان، بَانِيًا عُش رَفِيقَتِه،
وَالثَّلجَ الذَّائِبَ فِي مَارِس، وَالصَّفصَافَ الذِي يُنبِتُ بَرَاعِمَه الصَّفرَاءَ المخضَرَّة،
فَهوَ أَوَانُ الرَّبِيع هُنَا! وَالصَّيفُ هُنَا! وَمَا هَذَا الكَامِنُ فِيه وَالنَّابِعُ مِنه؟
أَيَّتُهَا الرُّوحُ، مُطلَقَةُ السَّرَاح– هُو القَلَقُ بَعدَ مَا لَا أَدرِي؛

فَتَعَالَي، بِلَا مَزِيدٍ مِن التَّلَكُّؤ هُنَا، فَلنَمضِ بَعِيدًا بِلَا إِبطَاء!

آهِ لَو يُمكِنُ لِلمَرءِ التَّحلِيقُ كَطَائِر!

آهِ لَو يَهرُب، لَو يُبحِر قُدُمًا مِثلَمَا فِي سَفِينَة!

لَو يَنسَل مَعَكِ أَيَّتُهَا الرُّوح، فَوقَ الكُل، فِي الكُل، كَسَفِينَةٍ عَلَى المِيَاه؛

مُلَملِمًا هَذِه الإِيمَاءَات، وَالافتِتَاحِيَّات، وَالسَّمَاءَ الزَّرقَاء، وَالعُشب، وَقَطَرَات نَدَى الصَّبَاح،

وَأَرِيجَ اللَّيلَك، وَالأَجمَات بِالأَورَاقِ الخَضرَاءِ الدَّاكِنَةِ بِشَكلِ القَلب،

وَبَنَفسَجَ الغَابَة، وَالأَزَاهِيرَ الصَّغِيرَةَ الرَّهِيفَةَ الشَّاحِبَة التِي تُدعَى البَرَاءَة،

كَعَيِّنَاتٍ وَأَنوَاعٍ لَا لِذَاتِهَا فَحَسب، بَل لِمَنَاخِهَا،

لأُزَيِّن الأَجَمَةَ التِي أُحِب– لأُغَنِّي مَعَ الطُّيُور،

تَغرِيدَةً مِن أَجلِ بَهجَةِ زَمَن اللَّيلَك، العَائِد فِي الذِّكرَيَات.

خطوطٌ خارجية لضَريـح

(دُفن ج. پ. عام 1870)[*]

[1]

مَاذَا يُمكِن أَن نُغَنِّي، يَا أَنتَ يَا مَن بِالضَّرِيح؟
أَيَّة أَلوَاح، خُطُوطٍ خَارِجِيَّة، نُعَلِّقُهَا لَك، أَيُّهَا المِليُونِير؟
لَا نَعرِفُ الحَيَاةَ التِي عِشتَهَا،
إِلَّا أَنَّك مَشَيتَ أَعوَامَك فِي المقَايَضَة، وَسطَ أَوكَارِ السَّمَاسِرَة،
بِلَا بُطُولَةٍ، بِلَا حَربٍ، بِلَا مَجد.

[2]

صَمتًا، يَا رُوحِي،
بِأَجفَانٍ مُطَأطِئَةٍ، كَأَنَّمَا فِي انتِظَار، كُنت أَتَأَمَّل،
مُشِيحًا وَجهِي عَن جَمِيعِ النَّمَاذِج، عَن نُصُبِ الأبطَال.

فِيمَا خِلَالَ المشَاهِدِ الدَّاخِلِيَّة،

[*] هو المليونير، فاعل الخير، جورج بيبُودي بنيوانجلند، الذي خصص منحة بمبلغ 2 مليون دولار (مبلغ فادح آنذاك) لدعم الجنوب الأمريكي، في أعقاب الحرب الأهلية.

انبَثَقَت فِي صَمتٍ، بِصُورَةٍ خَيَالِيَّة (كطُلُوعِ فَجرِ الشَّمَالِ فِي اللَّيل)،
لَوحَاتٌ مُبدِعَةٌ، نُبُوئِيَّةٌ، مِشَاهِدُ بِلَا تَجسِيد،
عُرُوضٌ رُوحِيَّـة.

فِي أَحدِهَا، بَدَا بَيتُ أَحَدِ الشَّغِّيلَةِ وَسطَ شَوَارِعِ المدِينَة،
بِعدَ انتِهَاءِ عَمَلِه اليَومِي، نَظِيفًا، بِسِيمَاء عَذبَة، مُشعلًا ضَوءِ الغَاز،
كُنِسَت السِّجَّادَةُ وأُشعِلَت نَارٌ فِي الموقِد البِهِيج.

فِي أَحدِهَا، مشهَدُ المخَاضِ المقَدَّس،
أَنجَبَت أُم سَعِيدَةٌ بِلَا أَلَم طِفلًا رَائِعًا.

فِي أَحدِهَا، فِي وَجبَةِ صَبَاحٍ سَخِيَّة،
كَان أَبَوَان مُسَالِمَان يَجلِسَان مَع أَبنَاءٍ رَاضِين.

فِي أَحدِهَا، فِي ثُنَائِيَّاتٍ وَثَلَاثِيَّات، شُبَّان،
مُحتَشِدِين بِالمئَات، كَانُوا يَمشُون فِي الدُّرُوبِ وَالشَّوَارِعِ وَالطُّرُق،
نَحو مَدرَسَةٍ ذَات قُبَّةٍ عَالِيَة.

فِي أَحدِهَا ثُلَاثِي جَمِيل،
الجَدَّة، وَالإِبنَةُ الحَبِيبَة، وَابنَةُ الابنَةِ الحَبِيبَة، جَالِسَات،
يَتَحَدَّثن وَيَقُمن بِالحِيَاكَة.

فِي أَحدِهَا، عَلَى امتِدَادِ مُتَتَالِيَةٍ مِن الغُرَفِ الأرستُقرَاطِيَّة،
وَسطَ كُتُبٍ وَجَرَائِدَ كَثِيرَة، وَلَوحَاتٍ عَلَى الجُدرَان، وَتَمَاثِيلَ صَغِيرَةٍ رَائِعَة،

كَانَت مَجمُوعَاتٌ مِن الرَّحَّالَة، وَالحِرَفِيِّين الشُّبَّان والكِبَار، الوَدُودِين،
يَقرَأُون، وَيَتَحَادَثُون.

جَمِيعُ عُرُوض الحَيَاةِ الكَادِحَة، جَمِيعُهَا،
حَيَاةُ المدِينَةِ وَالرِّيف، وَالنِّسَاءِ، وَالرِّجَالِ والأطفَال،
وَاحتِيَاجَاتُهم المشبَعَة، مَسفُوعِين بِالشَّمس وَمشُوبِين لِذَاتِ مَرَّةٍ بِالبَهجَة،
وَالزَّوَاجُ، وَالشَّارِعُ، وَالمصنَعُ، وَالمزرَعَةُ، وَغُرفَةُ المنزِل، وَغُرفَة المسكَن،
وَالشُّغلُ وَالكَدحُ، وَالحَمَّام، وَمَبنَى الألعَابِ، وَالملعَبُ، وَالمكتَبَةُ، وَالكُلِيَّة،
الطَّالِب، وَلَدًا أَو فَتَاةً، يَمضِي إِلَى الأَمَام لِيَتَعَلَّم،
المرِيضُ المعتَنَى بِه، وَالمُنتَعِلُ الحَافِي، يَتِيمُ الأبِ وَالأُم،
الجَائِعُ المُشبَعُ، وَالسَّاكِنُ بِلَا مَنزِل؛
(النَّوَايَا الرَّائِعَة وَالسَّمَاوِيَّة،
الأشغَالُ، وَالتَّفَاصِيلُ، وَالآدَمِي بِالمصَادَفَة).

[3]

فَيَا مَن بِهَذَا الضَّرِيح،
مِنكَ هَذِه المشَاهِد، أَيُّهَا المَانِحُ السَّخِي، بِلا انتِهَاء،
رَاصِدًا هَدَايَا الأَرضِ، الكَبِيرَةَ كَالأَرض،
اسمُكَ أَرضٌ، ذَاتِ جِبَال، وَحُقُولٍ وَمَد وَجَزر.

وَلَا بِيَنَابِيعِك وَحدَهَا، فَأَنتَ أَنهَار،
بِك، بِشَوَاطِئِك يَا نَهرَ **كُونِّيكتِيكَت**،
بِك وَبِكُل حَيَاتِكَ المُثمِرَةِ يَا نَهرَ التِّيمز العَجُوز،

بِك يَغسِل **بُوتُومَاك** الأرضَ التِي وَطَأهَا وَاشِنطُن، بِك يَا **بَاتَابسكُو**[*]،
أَنتَ الـ **هَدسُون**، أَنتَ **المِيسِيسِبِّي** بِلا نِهَايَة- وَلَستَ وَحدَك،
بَل يَنطَلِق إِلَى البِحَارِ العَالِيَة، فِكرِي، بِذِكرَاه.

[*] **بوتوماك**: نهر بشرق الولايات المتحدة، ينطلق من ڤِرجِينيَا الغربية عبر واشنطن إلى خليج شيسابيك؛ **باتابسكو**: نهر بولاية ميريلاند الوسطى. وجميع الأسماء الواردة بالمقطع هي أسماء أنهار أميريكية.

خارجًا من وراء هذَا القنـاع

(فِي مواجهة صورة شخصية)

[1]

خَارِجًا مِن وَرَاءِ هَذَا القِنَاع المَحنِي المصنُوع بِلَا بَرَاعَة،
مِن هَذِه الأضوَاءِ وَالظِّلَالِ، دِرَامَا الجَمِيع هَذِه،
هَذَا الحِجَابِ العَادِي لِلوَجه الذِي أَحتَوِيه بِدَاخِلِي مِن أَجلِي، بِدَاخِلِكَ مِن أَجلِك، بِدَاخِل كُل وَاحِدٍ مِن أَجلِه،
(ترَاجِيدِيَّاتٌ، أَحزَانٌ، ضَحِكٌ، دُمُوع- أَيَّتُهَا السَّمَاء!
المسرَحِيَّاتُ المشبُوبَةُ الوَلُود التِي أَخفَاهَا هَذَا الحِجَاب!)
مِن هَذَا السَّطحِ الصَّقِيلِ لِسَمَاءِ الرَّب الأصفَى وَالأكثَر سَكِينَة،
وَهَذِه الغِشَاوَة لِوَكرِ الشَّيطَانِ المهتَاج،
وَخَرِيطَةِ جُغرَافيَا القَلب هَذِه، هَذِه القَارَّةِ الصَّغِيرَةِ اللَانِهَائِيَّة، وَهَذَا البَحرِ الصَّامِت؛
خَارِجًا مِن تشَابُكَاتِ هَذَا الكَوكَب،
هَذَا الجرِمِ الفَلَكِي الفَرِيد بِأَكثَر مِن الشَّمسِ أَو القَمَر، بِأَكثَر مِن المشتَرَى، وَالزُّهرَة، وَالمرِّيخ،
هَذَا التَّكثِيف لِلكَون (بَل الكَون الوَحِيد هُنَا،
هُنَا الفِكرَة، الكُل فِي هَذِه القَبضَة المَخفِيَّةِ الغَامِضَة)؛

هَذِه العيُونِ المبَرقَشَةِ، الوَامِضَةِ إِلَيكَ لِتَعبُرَ إِلَى زَمَن المستَقبَل،
لِتَنطَلِقَ وَتُدَوِّم خِلَالَ الفَضَاء دَائِرَةً فِي مَدَارٍ مَائِل، لِتَنبَعِثَ مِن هَؤلَاء،
إِلَيكَ أَيًّا مَن تَكُون- نَظرَة.

[2]

يَا رَحَّالَةَ الأفكَارِ وَالسِّنِين، السِّلمِ وَالحَرب،
أَيُّهَا الشَّبَابُ الآفِلُ ذُو الخَطوِ الوَاسِع وَالعُمرِ المتوَسِّط،
(إِذ اكتَمَلَ الجُزءِ الأولِ مِن حِكَايَةٍ مَا وَأُزِيحَ جَانِبًا، وَهَا هُو الثَّانِي،
أُغنِيَاتٌ، ومُغَامَرَاتٌ، وتَأَمُّلَاتٌ، لِيَنغَلِقَ الآن)،
مُتَمَهِّلًا لِلَحظَةٍ هُنَا وَالآن، أَستَدِيرُ فِي مُوَاجَهَتِك،
مِثلَمَا فِي الطَّرِيق أَو لَدَى بَابٍ مُوَارَب بِالصُّدفَة، أَو نَافِذَةٍ مَفتُوحَة،
مُتَوَقِّفًا، مُنحَنِيًا، كَاشِفًا رَأسِي، أُحَيِّيكَ أَنتَ بِالذَّات،
لأَسحَبَ وَأُمسِكَ بِرُوحِكَ ذَاتَ مَرَّةٍ بِلَا انفِصَالٍ عَن رُوحِي،
ثُم أُسَافِر أُوَاصِل السَّفَر.

تعبيــر

[1]

تَعبِيرٌ، مِعيَارٌ، احتِشَاد، تَصمِيم، وَالقُدرَةُ السَّمَاوِيَّة عَلَى النُّطقِ بِالكَلِمَات؛
فَهَل أَنتَ مُفَوَّه وَطَلقُ اللِّسَان مِن طُولِ المحَاوَلَة؟ مِن المَمَارَسَةِ القَوِيَّة؟ وَالجَسَدِيَّة؟
هَل تَمضِي فِي هَذِه الأَرَاضِي الفَسِيحَةِ فَسِيحًا مِثلَهَا؟
أَتَوَاتِيكَ فِي الأَوَانِ القُدرَةُ السَّمَاوِيَّةُ عَلَى النُّطقِ بِالكَلِمَات؟
فَبَعدَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ فَحَسب، بَعدَ العِفَّة، وَالصَّدَاقَةِ، وَالنَّسل، وَالحَصَافَة، وَالعُري،
بَعدَ وَطءِ الأَرضِ وَمُجَاوَرَة النَّهرِ وَالبُحَيرَة،
بَعدَ حنجُرَةٍ مُتَحَرِّرَة، بَعد استِيعَابِ عُصُورٍ، وَأَمزِجَةٍ، وَأَجنَاسٍ، بَعدَ المعرِفَة، وَالحُرِّيَّةِ، وَالجرَائِم،
بَعد الإِيمَانِ الكَامِل، بَعدَ التَّطهُّرَاتِ، وَالتَّسَامِيَات، وَإِزَالَةِ العَقَبَات،
بَعد هَذَا وَأَكثَر، يُمكِن تَمَامًا أَن تُوَاتِي رَجُلًا مَا، امرَأَةً مَا، القُدرَةُ السَّمَاوِيَّةُ عَلَى النُّطقِ بِالكَلِمَات؛
آنَئِذٍ يُسرِعُ الجَمِيعُ نَحوَ ذَلِكَ الرَّجُل أَو تِلكَ المرأَة– لَا أَحَد يَرفُض، الجَمِيعُ حَاضِرُون،
الجيُوش، السُّفُنُ، الآثَارُ العَتِيقَة، المكتَبَاتُ، لَوحَاتُ الرَّسم، المَاكِينَاتُ، المدُنُ،
الكرَاهِيَةُ، اليَأسُ، الصَّدَاقَةُ، الأَلَم، اللُّصُوصِيَّة، القَتل، الطُّمُوح، فِي صُفُوفٍ مُحكَمَة،
يَندَفِقُون كَمَا يُرَادُ لَهُم أَن يَسِيرُوا طَائِعِين خِلَال فَم ذَلِكَ الرَّجُلِ أَو تِلكَ المرأَة.

[2]

آه مَا الذِي يَكمُن دَاخِلِي فَيجعَلَنِي أَرتَعِد هَكَذَا إِزَاءَ الأصوَات؟
مُؤَكَّدُ أَن أَيًّا مَن يَتَحَدَّثُ إِلَيَّ بِالصَّوتِ المنَاسِب، فَسَأَتبَعُه أَو أَتبَعُهَا،
مِثلَمَا يَتبَعُ المَاءُ القَمَرَ، صَامِتًا، بِخُطًى سَائِلَة، فِي أَيِّ مَكَانٍ بِالكَوكَب.

الجَمِيع يَنتَظِرُون الأصوَات المنَاسِبَة؛
فَأَين هُو العُضوُ البَارِعُ الرَّائِع؟
أَينَ هِي الرُّوحُ الرَّاقِيَة؟
فَأَنَا أَرَى كُلَّ كَلِمَةٍ نُطِقَت هُنَا لَهَا وَقعُ أَعمَق، أَعذَب، جَدِيد، مُستَحِيلٌ بِتَعبِيرٍ أَقَل.

أَرَى أَذهَانًا وَشِفَاهًا مُطبَقَة، طُبُولًا وَمَعَابِدَ صَامِتَة،
إِلَى أَن يَأتِي مَا يَملِكُ إِمكَانِيَّةَ أَن يَفتَحَ أَو يقرَع،
إِلَى أَن يَأتِي مَا يَملِكُ إِمكَانِيَّةَ إِخرَاجِ مَا يَكمُن نَائِمًا أَبَدًا مُتَأَهِّبًا فِي جَمِيع الكَلِمَات.

إليه ذلك الذي صُلِب

رُوحِي لرُوحِكَ يَا أَخِي العَزِيز،
فَلَا تَكتَرِث لأَنَّ كَثِيرِين يَنطِقُون بِاسمِك وَلَا يَفهَمُونَك،
فَأَنَا لَا أَنطِقُ بِاسمِك، لَكِنِّي أَفهَمُك،
أَصطَفِيكَ بِفَرَحٍ يَا رَفِيقِي لأُحَيِّيكَ، وَأُحَيِّي مَن مَعَك، فِيمَا قَبل وَفِيمَا بَعد، وَهَؤُلَاء القَادِمِين أَيضًا،
لأَنَّنَا جَمِيعًا نَكدَحُ مَعًا لِنَقلِ نَفسِ الوَصِيَّةِ وَالإِرث،
نَحنُ بِضعَةُ أَكفَاء لَا نُبَالِي بِالبُلدَان، لَا نُبَالِي بِالأَزمَان،
نَحن، أَبنَاء جَمِيع القَارَّات، جَمِيع الطَّوَائِف، المُؤمِنِين بِجَمِيعِ الأَديَان،
الرُّحَمَاء، المُدرِكِين، المتَوَاصِلِين مَعَ النَّاس،
نَمشِي صَامِتِين وَسطَ النِّزَاعَات وَالمزَاعِم، لَكِنَّنَا لَا نُنكِر المُتنَازِعِين وَلَا أَيَّ زَعم،
نَسمَع الصِّيَاحَ وَالصَّخَب، تَمتَد إِلَينَا النِّزَاعَاتُ، وَالحَسَدُ، وَالاتِّهَامَاتُ المضَادَّةُ مِن كُل جَانِب،
يُطبِقُون عَلَينَا بِصُورَةٍ مُتَعَجرِفَةٍ لِيُحِيطُوا بِنَا، يَا رَفِيقِي،
لَكِنَّنَا نَمشِي غَير عَابِئِين، أَحرَارًا، عَلَى الأَرض كُلِّهَا، مُرتَحِلِين هُنَا وَهُنَاكَ إِلَى أَن نَصنَع بَصمَتَنَا التِي لَا تُمحَى عَلَى مَر الزَّمَنِ وَالعُصُورِ المُختَلِفَة،
إِلَى أَن نُتخِمَ الزَّمَنَ وَالعُصُورَ، لَعَلَّ رِجَالَ وَنِسَاءَ الأَجنَاسِ، فِي أَزمَانٍ قَادِمَةٍ، يُصبِحُون أُخوَةً وَأَحِبَّاءَ مِثلَنَا.

أيها المجرمون عند المحاكمَةِ بالمحاكم

أَيُّهَا المجرِمُون عِندَ المحَاكَمَةِ بِالمحَاكِم،
أَيُّهَا المتَّهَمُون فِي زَنَازِين السُّجُون، أَيُّهَا القَتَلَةُ المدَانُون المُصَفَّدُون المُكَبَّلُون بِالحَدِيد،
مَن أَنَا أيضًا غَيرُ المحَاكَم أَو السَّجِين؟
أَنَا الفَظ وَالشَّيطَانِي شَأنَ أَيِّ وَاحِدٍ، دُونَ أَن يَكُونَ مِعصَمَاي مُكَبَّلَين بِالحَدِيد، أَو كَاحِلَيَّ بِالحَدِيد؟

أَيَّتُهَا العَاهِرَاتُ المزدَهِيَاتُ عَلَى الأرصِفَةِ أَو الإِبَاحِيَّاتُ فِي حُجرَاتِكُن،
مَن أَنَا لأعتَبِرَكُن أَكثَر إِبَاحِيَّةً مِنِّي؟

أَيُّهَا الملُوم! إِنَّنِي أَعتَرِف– أَنَا عريَان!
(أَيُّهَا المعجَبُون، لَا تمدَحُونِي– لَا تُجَامِلُونِي– فَأَنتُم تَجعَلُونَنِي أجفُل،
إِنَّنِي أَرَى مَا لَا تَرون– أَعرِف مَا لَا تَعرِفُون).

فَدَاخِلَ عِظَامِ الصَّدرِ هَذِه أَستَلقِي مَوضُومًا مَخنُوقًا،
تَحتَ هَذَا الوَجهِ الذِي يَبدُو بَالِغَ الجُمُود يَجرِي مَد وَجَزرُ الجَحِيم دَائِمًا،
فَالشَّهَواتُ وَالنَّذَالَةُ مَقبُولَةٌ مِنِّي،

وَمَع الجَانِحِين أَمشِي بِحُبٍّ مُتَّقِد،
أَشعُر بِأَنِّي وَاحِدٌ مِنهُم- أَنتَمِي أَنَا نَفسِي إِلَى أُولَئك المدَانِين وَالعَاهِرَات،
وَابتِدَاءً مِن الآن لَن أُنكِرَهُم- فَكَيف يُمكِنُنِي إِنكَارُ نَفسِي؟

قوانيــن للإبــداع

قَوَانِين للإبدَاع،
لِلفَنَّانِين وَالقَادَةِ الأشِدَّاء، لِسُلَالَةٍ جَدِيدَةٍ مِن مُعَلِّمِي أَمِيرِيكَا وَمُثَقَّفِيهَا الرَّائِعِين،
لِلعُلَمَاءِ النُّبَلَاء وَالمُوسِيقِيِّين القَادِمِين.

لَابُد لِلجَمِيع مِن الإحَالَةِ إِلَى مَجمُوعِ العَالَم، وَالحَقِيقَةِ المُكَثَّفَةِ لِلعَالَم،
فَلَن يَكُون هُنَاكَ مَوضُوعٌ بِهَذَا الوُضُوح- فَجَمِيعُ الأعمَال سَتُصَوِّر القَانُونَ السَّمَاوِي
لِلمُوَارَبَة.

فَمَا الإِبدَاع فِي ظَنِّك؟
مَا الذِي سَيُشبِعُ الرُّوحَ فِي ظَنِّك، عَدَا المَشي بِحُرِّيَّةٍ وَبِلَا أَيِّ تَعَالٍ؟
مَا الذِي سَأُلمِحَ إِلَيكَ بِه بِمِئةِ طَرِيقَة فِي ظَنِّك، سِوَى أَن الرَّجُلَ أَو المرأَةَ بِرَوعَةِ الإِلَه؟
وَأَنَّه لَم يَعُد هُنَاكَ وُجُودٌ لإِلَه سَمَاوِي سِوَاكَ أَنتَ نَفسك؟
وَأَن ذَلِكَ هُو مَا تَعنِيه فِي النِّهَايَةِ الأَسَاطِيرُ الأقدَمُ وَالأَحدَث؟
وَأَنَّكَ أَو أَي وَاحِدٍ عَلَيه مُقَارَبَةُ الإِبدَاعِ مِن خِلَالِ هَذِه القَوَانِين؟

إلى عاهـرة عاديَّـة

فَلتَكُونِي هَادِئَة- كُونِي عَلَى رَاحَتِكِ مَعِي- فَأَنَا وَالت وِيتمَان، لِيبرَالِي وَشَهوَانِي كَـالطَّبِيعَة،
لَن أُنكِرَكِ إِلَى أَن تُنكِرَكِ الشَّمس،
لَن تَأبَى كَلِمَاتِي أَن تَتَلألَأ وَتُصدِرَ الحَفِيفَ لَكِ إِلَى أَن تَأبَى المِيَاهُ أَن تَتَلألَأ لَكِ، وَتَأبَى الأورَاقُ أَن تُصدِرَ الحَفِيفَ لَك.

إِنَّنِي أَضرِبُ لَكِ مَوعِدًا يَا فَتَاتِي، وَأَطلُبُ مِنكِ أَن تَقُومِي بِالاستِعدَادِ لِتَكُونِي جَدِيرَةً بِمُقَابَلَتِي،
وَأَطلُبُ مِنكِ أَن تَكُونِي صَبُورَةً وَمِثَالِيَّةً إِلَى أَن أَجِيء.

حَتَّى آنَئِذٍ أُحَيِّيكِ بِنَظرَةٍ لَهَا مَغزَاهَا فَلَا تَنسِينِي.

كُنتُ أَبحثُ طَوِيلًا

كُنتُ أَبحَثُ طَوِيلًا عَن الغَايَات،

عَن مفتَاحٍ لِتَارِيخِ المَاضِي مِن أَجلِي، وَمِن أَجلِ هَذِه الأنَاشِيد– وَالآن وَجَدتُه،

لَا يَكمُن فِي تِلكَ الخُرَافَات المتَكَرِّرَةِ فِي المكتَبَات (لَا أَقبَلُهَا وَلَا أَرفُضُهَا)،

لَا يَكمُن فِي الأسَاطِير وَلَا فِي أَيِّ شَيءٍ آخَر،

إنه فِي الحَاضِر– هُو هَذِه الأرضُ اليَوم،

إنَّه فِي الدِّيمُوقرَاطِيَّة– (المخرَجُ وَالغَايَةُ لِلمَاضِي كُلِّه)،

إنَّه حَيَاةُ رَجُلٍ أَو امرَأَةٍ اليَوم– الرَّجُلِ العَادِيِّ اليَوم،

إنَّه فِي اللُّغَات، وَالعَادَاتِ الاجتِمَاعِيَّة، وَالآدَابِ، وَالفُنُون،

إنَّه فِي العَرضِ الكَبِيرِ للأشيَاءِ الاصطِنَاعِيَّة، وَالسُّفُنِ، وَالمَاكِينَات، وَالسِّيَاسَةِ، وَالعَقَائِد، وَالتَّطوُّرَات الحَدِيثَة، وَالتَّبَادُل بَين الأُمَم،

كُل شَيء مِن أَجلِ مَا هُو حَدِيث– كُل شَيءٍ مِن أَجلِ الرَّجُلِ العَادِي اليَوم.

فكـــرة

عَن الأشخَاصِ الذِين بَلَغُوا مَرَاتِبَ عَالِيَة، وَالاحتِفَالَات، وَالثَّروَة، وَالزَّمَالَات الدِّرَاسِيَّة، وَمَا شَابَه؛

(بِالنِّسبَةِ لِي فَكُل هَؤلَاء الأشخَاصِ قَد بَلَغُوا بُؤَرًا لِلفَسَادِ بَعِيدَةً عَنهُم، إلَا أَنَّهَا تُؤثِّر عَلَى أجسَادِهِم وَأَروَاحِهِم،

لِهَذَا فَكَثِيرًا مَا يَبدُون لِي كَالِحِين وَعَرَايَا،

وَكَثِيرًا– بِالنِّسبَةِ لِي– مَا يَخدَع كُل وَاحِدٍ الآخَرِين، وَيَخدَعُ نَفسَه أَو تَخدَعُ نَفسَهَا،

وَجَوهَرُ الحيَاةِ لَدَى الكُل، أَي السَّعَادَة، مُتخَمٌ بِفَضَلَاتِ النَّزوَاتِ العَفِنَة،

وَكَثِيرًا– بِالنِّسبَةِ لِي– مَا يَمُر هَؤلَاء الرِّجَال وَالنِّسَاء بِلا انتِبَاهٍ عَلَى الوَقَائِع الحَقِيقِيَّة لِلحَيَاة، وَيَذهَبُون إِلَى الوَقَائِع الزَّائِفَة،

وَكَثِيرًا– بِالنِّسبَةِ لِي– مَا يَعِيشُون حِسبَمَا تَقضِي العَادَاتُ، لَكِن لَا أَكثَر،

وَكَثِيرًا– بِالنِّسبَةِ لِي– مَا يَكُونُون مَحزُونِين، مُتَسَرِّعِين، يَمشُون نَائِمِين فِي الغَسَق).

مُعجِـزَات

عَجَبًا، مَن الذِي يَقُومُ بِالكَثِيرِ مِن المعجِزَات؟
بِالنِّسبَةِ لِي لَا أَدرِي شَيئًا إِلَا عَن المعجِزَات،
فَسَواء كُنتُ أَمشِي فِي شَوَارِع مَانهَاتِن،
أَو أَرمُقُ بِنَظرَةٍ أَسطُحَ المنَازِل فِي اتِّجَاهِ السَّمَاء،
أَو أخوض بِقَدَمَين حَافِيَتَين فِي امتِدَادِ الشَّاطِئ عَلَى حَافَّةِ المَاءِ تَمَامًا،
أَو أَقِف تَحتَ الأَشجَار فِي الغَابَة،
أَو أَتَحَدَّثُ ذَاتَ يومٍ مَع أَيِّ وَاحِدٍ أُحِبُّه، أَو أَنَام فِي السَّرِير فِي اللَّيلِ مَعَ أَيِّ وَاحِدٍ أُحِبُّه،
أَو أَجلِسُ إِلَى المَائِدَة فِي العَشَاءِ مَعَ البَاقِين،
أَو أَتطَلَّعُ إِلَى الغُرَبَاءِ فِي مُوَاجَهَتِي لدَى السَّفَر بِالعَرَبَة،
أَو أَتَفَرَّجُ عَلَى نَحلِ العَسَلِ المُنهَمِكِ حَولَ الخَلِيَّةِ ذَاتَ يَومٍ صَيفِي فِي الأَصِيل،
أَو عَلَى الحيَوَانَات تَرعَى فِي الحُقُول،
أَو عَلَى الطُّيُور، أَو رَوعَةِ الحَشَرَاتِ فِي الهَوَاء،
أَو رَوعَةِ الغُرُوب، أَو النُّجُومِ المضِيئَةِ فِي هُدُوءٍ وَإِشرَاق،
أَو الاستِدَارَةِ الرَّهِيفَة النَّحِيلَة الفَاتِنَة لِلقَمَر الجَدِيدِ فِي الرَّبِيع؛
فَهَؤلَاء مَعَ البَاقِين، الوَاحِدُ وَالكُل، مُعجِزَاتٌ بِالنِّسبَةِ لِي،
الكُل يُشِير، لَكِن كُلّ وَاحِدٍ مُستَقِل وَفِي مَوضِعِه.

بِالنِّسبَةِ لِي كُل سَاعَة مِن الضَّوءِ وَالظَّلَام مُعجِزَة،
كُل بُوصَةٍ مُكعَّبَةٍ فِي المكَانِ مُعجِزَة،
كُل يَاردَةٍ مُرَبَّعَةٍ مِن سَطحِ الأرضِ تَمتَد عَلَى نَفسِ النَّحو،
وَكُل قَدَمٍ مِن الدَّاخِل تَحتَشِدُ مَعَ مَثِيلَتِها.

البَحرُ- بِالنِّسبَةِ لِي- مُعجِزَةٌ دَائِمَة،
وَالأسمَاكُ التِي تَسبَح- الصُّخُور- حَرَكَةُ الأموَاج- السُّفُن بِمَا فِيهَا مِن نَاس،
أَيَّة مُعجِزَاتٍ غَرِيبَة فِيهَا؟

شَــرَر مِن العجَــلَة

حَيثُ يَمضِي زِحَامُ المدِينَةِ المتَوَاصِلُ طُوَالِ اليَوم،
أَنضَم مُنسَحِبًا إِلَى مَجمُوعَةِ أَطفَالٍ يَتفَرَّجُون، أَتَوَقَّفُ جَانِبًا مَعهُم.

عِندَ الإِفرِيز قُربَ حَافَّةِ الرَّصِيف،
يَعمَل سَنَّانُ سَكَاكِين عَلَى عَجَلَتِه يَسِن سِكِينًا ضَخمَة،
مُنحَنِيًا يُمسِكُ بِهَا بِعِنَايَةٍ إِلَى الحَجَر، بِقَدَمِه وَرُكبَتِه،
بِخَطوٍ مَحسُوب يَستَدِيرُ بِسُرعَةٍ، وَهوَ يَضغَط بِيدٍ خَفِيفَةٍ لَكِن صَارِمَة،
يَنطَلِقُ آنَئِذٍ إِلَى الأَمَام فِي دَفقَاتٍ ذَهَبِيَّة غَزِيرَة،
الشَّرَرُ مِن العَجَلَة.

المشهَدُ وَكُل تَفَاصِيلِه، كَيفَ تَشُدُّنِي وَتُؤثِّر فِيَّ،
العَجُوزُ بِذَقنِه الحَادَّةِ الحَزِينَة مَعَ مَلَابِسَ بَالِيَة وَشَرِيطٍ عَرِيضٍ مِن الجِلدِ لِلكَتِف،
أَنَا نَفسِي، مُتَدَفِّقًا مُنسَابًا، كَشَبَحٍ يَطفُو بِغَرَابَة، مَسلُوبًا هُنَا الآن وَمَأخُوذًا،
وَالمجمُوعَة (عُصبَةٌ لَا مُبَالِيَة وَسطَ مُحِيطٍ شَاسِع)
الأَطفَال الهَادِئُون، اليَقِظُون، مَجرَى الشَّوَارِع الصَّاخِب، الشَّامِخ، الضَّجِر،
الحَرِيرُ الخَفِيضُ المَبحُوح لِلحَجَر المدَوِّم، وَالتَّصلُ المتَلَامِسُ بِخِفَّة،
نَاشِرًا، مُسَاقِطًا إِلَى الأَجنَاب بِاندِفَاعٍ، فِي أَمطَارٍ صَغِيرَةٍ مِن ذَهَب،
شَرَر العَجَلَة.

إلى تلميـــذ

هَل الإِصلَاحُ مَطلُوب؟ أَهوَ مِن خِلَالِك؟
كُلَّمَا تَعَاظَمَت الحَاجَة إِلَى الإِصلَاح، تَعَاظَمَت حَاجَتُك إِلَى **الشَّخصِيَّة** لِتَحقِيقِه.

أَنت! أَلَا تَرَى كَم هُو مُفِيدٌ أَن تَملِكَ عَينَين، وَدَمًا، وَقَوَامًا، نَقِيًّا وَعَذبًا؟
أَلَا تَرَى كَم هُو مُفِيدٌ أَن تَملِكَ هَذَا الجَسَدَ وَالرُّوحَ بِحَيثُ حِينَ تَدخُل وَسَط الزِّحَام يَدخُل مَعَك جَو مِن الرَّغبَةِ وَالهَيمَنَة، وَيُؤخَذُ كُل وَاحِدٍ بِـ**شَخصِيَّتِـك**؟

أَيُّهَا الجَذَّاب! عَلَيكَ بِالجَسَدِ مِرَارًا وَتِكرَارًا!
وَلتَمضِ، يَا صَدِيقِي العَزِيز، لِتَتَخَلَّى عِندَ الحَاجَةِ عَن كُل شَيءٍ آخَر، وَابدَأ اليَوم فِي تَعوِيدِ نَفسِكَ عَلَى الجُرأَة، وَالوَاقِع، وَالتَّقدِير الذَّاتِي، وَالوضُوح، وَالتَّسَامِي،
لَا تَهدَأ قَبلَ أَن تَأسِرَ الانتِبَاه وَتَنشُرَ ذَاتَك الكَامِنَة فِي **شَخصِيَّتِـك**.

متجلّيًا مُنبثِقًا من الثنـايا

مُتجَلِّيًا مُنبَثِقًا مِن ثَنَايَا المرأَةِ يَأتِي الرَّجُلُ مُتَفَتِّحًا، وَدَائِمًا مَا يَأتِي مُتَفَتِّحًا،

مُتَجَلِّيًا فَحَسب مُنبَثِقًا مِن أَروَعِ النِّسَاءِ عَلَى الأرض يَأتِي أَروَعُ رَجُلٍ عَلَى الأرض،

مُتَجَلِّيًا مُنبَثِقًا مِن أَكثَر النِّسَاءِ مَوَدَّةً يَأتِي أَكثَرُ الرِّجَال مَوَدَّة،

مُتَجَلِّيًا مُنبَثِقًا فَحَسب مِن الجَسَدِ الرَّائِع لِامرَأةٍ يُمكِن لِرَجُلٍ أَن يَتَشَكَّل فِي جَسَدٍ فَاتِن،

مُتَجَلِّيَةً مُنبَثِقَةً فَحَسب مِن القَصَائِد العَصِيَّةِ عَلَى التَّقلِيدِ لامرَأةٍ يُمكِن أَن تَأتِي قَصَائِدُ الرَّجُل (مِن هُنَا فَحَسب تَأتِي قَصَائِدِي)؛

مُتَجَلِّيًا مُنبَثِقًا مِن المرأَةِ القَوِيَّةِ الشَّامِخَةِ التِي أُحِبُّهَا، مِن هُنَا فَحَسب يُمكِن أَن يَظهَرَ الرَّجُلُ القَوِيُّ الشَّامِخُ الذِي أُحِبُّه،

مُتَجَلِّيًا مِن العِنَاقِ القَوِي لِلمَرأَةِ مَفتُولَةِ العَضَلَات التِي أُحِبُّهَا، مِن هُنَا فَحَسب يَأتِي العِنَاقُ القَوِيُّ لِلرَّجُل،

مُتَجَلِّيًا مُنبَثِقًا مِن ثَنَايَا عَقلِ المَرأَةِ تَأتِي كُل ثَنَايَا عَقلِ الرَّجُل، المطِيع كَمَا يَنبَغِي،

مُتَجَلِّيَةً مُنبَثِقةً مِن عَدَالَةِ المرأَة تَتَجَلَّى كُل االعَدَالَة،

مُتَجَلِّيًا مُنبَثِقًا مِن تَعَاطُف المرأَةِ كُلُّ التَّعَاطُف؛

فَالرَّجُل شَيءٌ عَظِيم عَلَى الأرضِ وَخِلَالَ الأبَدِيَّة، لَكِن كُل ذَرَّةٍ مِن عَظَمَةِ الرَّجُلِ تَتَجَلَّى مُنبَثِقَةً مِن المرأَة؛

فِي البَدءِ يَتَشَكَّلُ الرَّجُل فِي المرأَة، وَبَعدَهَا يُمكِن أَن يَتَشَكَّلَ فِي ذَاتِه.

مَا أنا في النهايـة

مَا أَنَا فِي النِّهَايَةِ إِلَّا أن أَكُونَ طِفلًا، مَسرُورًا بِصَوتِ اسمِي؟ مُعِيدَه مرَارًا وَتِكـرَارًا؛ أَقِف مُنعَزِلًا لأسمَع- لَا أَكِل أَبَدًا.

وَاسمُكَ أَيضًا بِالنِّسبَةِ لَك؛
فَهَل ظَنَنتَ أَن لَا وُجُود هُنَاكَ سِوَى لِطَرِيقَتَين أَو ثَلَاث لِنُطقِ صَوتِ اسمِك؟

الكَــون

هُو مَا يَشمَل التَّنَوع وَمَا هُو الطَّبِيعَة،
مَا يُشَكِّل اتِّسَاعَ الأرض، وَفَظَاظَة وَجِنسَ الأرض، وَبِر الأرضِ العَظِيمَ، وَالتَّوَازُنَ أَيضًا،
مَن لَم تَنظُر عَينَاه مِنَ النَّافِذَةِ إِلَى الأمَام بِلَا غَايَةٍ، أَو مَن عَقلُه يَشُدُّ الحضُورَ إِلَيه بِرُسُلٍ بِلَا هَدَف،
مَن يَحتَوِي المؤمِنِين وَغَيرَ المؤمِنِين، العَاشِقُ الأكثَر جَلَالًا،
مَن يَحتَفِظ كَمَا يَنبَغِي بِثَالُوثِ تَوَازُنِه أَو تَوَازُنِهَا الوَاقِعِي، وَالرُّوحِي، وَالجَمَالِي أَو الفِكرِي،
مَن حِينَ يَتَأَمَّل الجَسَدَ يَجِد جَمِيعَ أَعضَائِه وَأَجزَائِه رَائِعَة،
مَن، خَارِجَ نَظرِيَّةِ الأرضِ وَجَسَدِه أَو جَسَدِهَا، يُدرِك بِتَمَاثُلَات ثَاقِبَةٍ جَمِيعَ النَّظرِيَّات الأُخرَى،
هُو نَظرِيَّةُ مَدِينَة، وَقَصِيدَة، وَالسِّيَاسَةُ العُليَا لِهَذِه الوِلَايَات،
مَن يُؤمِن لَا بِكَوكَبِنَا وَشَمسِه وَقَمَرِه فَحَسب، بَل بِكَوَاكِب أُخرَى بِشُمُوسِهَا وَأَقمَارِهَا،
مَن، إِذ يَبنِي مَنزِلًا لِنَفسِه أَو لِنَفسِهَا، لَا مِن أَجلِ يَومٍ بَل مِن أَجلِ الزَّمَن كُلِّه، يَرَى الأجنَاسَ، وَالعصُورَ، وَالأزمَانَ، وَالأجيَال،
هُو المَاضِي، وَالحَاضِر، كَائِنَين هُنَاك، كَالفَضَاء، بِلَا انفِصَالٍ بَينَهمَا.

قَد يمتدح الآخرُون مَا يحبُّون

قَد يَمتَدِحُ الآخَرُون مَا يُحِبُّون؛
أَمَّا أَنَا، مِن ضِفَافِ المِيسُّورِي الجَارِي، فَلا أمتَدِح شَيئًا فِي الفَن أَو أَيَّ شَيءٍ آخَر،
إِلَى أَن يَستَنشِقَ جَيِّدًا جَو هَذَا النَّهر، وَأَيضًا عَبَقَ البَرَارِي الغَربِيَّة،
وَيَزفرَه كُلَّه مِن جَدِيد.

مَن يعرف دَرسي الكامِل؟

مَن يَعرِفُ دَرسِي الكَامِل؟
فَيَا رَئِيسَ العُمَّال، الرَّحَّالَةَ، الصَّبِي الحِرَفِي، الكَاهِنَ وَالمُلحِد،
أَيُّهَا المفَكِّرُ الغَبِي وَالمفَكِّرُ الحَكِيم، الآبَاءُ وَالأَبنَاءُ، التَّاجِرُ، الموَظَّفُ، الحمَّالُ وَالزُّبُون،
النَّاشِرُ، المؤَلِّف، الفَنَّان، وَالتِّلمِيذ- اقتَرِبُوا وَابدَأُوا؛
ذَلِكَ لَيسَ دَرسًا- إِنَّه يُسقِطُ القُضبَان فِي دَرسٍ جَيِّد،
وَذَلِكَ الدَّرسَ فِي آخَر، وَكُلَّ دَرسٍ فِي آخَرَ دَائِمًا.

القَوانِينُ العَظِيمَةُ تَقُوم وَتَنتَشِرُ بِلَا جَدَل،
وَأَنَا بِنَفسِ الأُسلُوب، فَأَنَا صَدِيقُهَا،
أُحِب لَهَا أَن تَمضِي وَتَمضِي، فَلَا أَتَوَقَّفُ وأُحَيِّي.

أَستَلقِي شَارِدَ الذِّهنِ وَأَسمَع حكَايَاتٍ جَمِيلَةً عَن الأَشيَاءِ وَمَنطِق الأَشيَاء،
هِي بَالِغَةُ الجَمَالِ إِلَى حَد أَنَّنِي أُجبِرُ نَفسِي عَلَى سَمَاعِهَا.

لَا يُمكِنُنِي قَولُ مَا أَسمَع لأيِّ شَخصٍ- لَا يُمكِنُنِي قَولُه لِنَفسِي- إِنَّه بَالِغ الرَّوعَة.

وَهوَ لَيسَ شَيئًا صَغِيرًا، هَذَا الكَوكَبُ المستَدِيرُ وَالحَيَوِي الذِي يَتَحَرَّك بِدِقَّةٍ بَالِغَةٍ فِي

مَدَارِه إِلَى الأَبَدِ أَبَدًا، بِلَا هَفوَةٍ وَاحِدَةٍ أَو كَذِبٍ لِثَانِيَةٍ وَاحِدَة،
لَا أَظُن أَنَّه قَد صُنِع فِي سِتَّةِ أَيَّام، وَلَا عَشرَةِ آلَافِ سَنَة، وَلَا عَشرَةِ بَلَايِينِ سَنَة،
وَلا تَم التَّخطِيطُ لَه وَبُنِي شَيئًا فَشَيئًا مِثلَمَا يُخَطِّطُ مِعمَارِيٌّ وَيَبنِي مَنزِلًا.

لَا أَظُن أَن سَبعِينَ عَامًا هِي زَمَنُ رَجُل أَو امرَأَة،
وَلَا أَن سَبعِينَ مِليُون عَام هِي زَمَن رَجُل أَو امرَأَة،
وَلَا أَنَّ الأعوَام سَتُوقِفُ أَبَدًا وُجُودِي، أَو أَيَّ وُجُودٍ آخَر.

أَهوَ مُدهِشٌ أَنَّنِي لَابُد أَن أَكُون خَالِدًا؟ مِثلَمَا كُلُّ وَاحِدٍ خَالِد؛
أَعرِفُ أَنَّه مُدهِش، لَكِن بَصَرِي بِنَفسِ الدَّرَجَةِ غَرِيبٌ، وَغَرِيبَةٌ بِنَفسِ الدَّرَجَةِ كَيفِيَّةُ حَملِي فِي رَحِم أُمِّي،
وَكَيفَ مَرَرتُ مِن طِفلٍ فِي مَرحَلَةِ الحَبو لِصَيفَين وَشِتَاءَين إِلَى مَرحَلَةِ المَفَاصِل وَالمَشي- كُل هَذَا بِنَفسِ الدَّرَجَةِ غَرِيب.

وَأَن تُعَانِقَكَ رُوحِي فِي هَذِه السَّاعَةِ، وَأَن يُؤَثِّرَ كُلٌّ مِنَّا فِي الآخَر دُونَ أَن يَرَى أَحَدُنَا الآخَرَ أَبَدًا، وَقَد لَا يَرَاه أَبَدًا، لَهو غَرِيبٌ تَمَامًا.

وَأَن يُمكِنَنِي التَّفكِيرُ فِي أَفكَارٍ مِن هَذَا القَبِيلِ لَهو رَائِعٌ تَمَامًا،
وَأَن يُمكِنَنِي تَذكِيرُك، فَتُفَكِّر فِيهَا، وَتَعرِف أَنَّهَا حَقِيقِيَّة، لَهو رَائِعٌ تَمَامًا.

وَأَن يَدُور القَمَرُ حَولَ الأَرض وَمَع الأَرض، لَهو رَائِعٌ بِنَفس القَدر،
وَأَن يُوَازِنَا نَفسَيهِمَا مَعَ الشَّمس وَالنُّجُوم لَهو رَائِعٌ بِنَفسِ القَدر.

امتحَــانَات

الجَمِيعُ يَخضَعُون لَهَا حَيثُ يَقبَعُون، كَامِنِين، آمِنِين، وَأروَاحُهُم بَعِيدَةُ المنَالِ عَن التَّقَصِّي،

فَلَا التَّقَالِيد، وَلَا السُّلطَات الخَارِجِيَّة هِي القُضَاة،

فَهُم قُضَاةُ السُّلطَاتِ الخَارِجِيَّةِ وَجَمِيع التَّقَالِيد،

إِنَّهُم يُرسِّخُون فِيمَا يَمضُون مَا يُرسِّخُهُم فَحَسب، وَيَتَمَاس مَعَهُم؛

وَلِهَذَا كُلِّه، فَهِي فِي دَوَاخِلِهِم دَائِمًا لِيُرسِّخُوا مَا هُو بَعِيد وقَرِيبٌ بِلَا أَي استِثنَاء.

الشُّـعلة

عَلَى شَاطِئِي فِي الغَربِ الشَّمَالِي، فِي مُنتَصَفِ اللَّيل، تَقِفُ مَجمُوعَةُ صَيَّادِين مُتَرَقِّبَة،
بَعِيدًا فِي البُحَيرَة الممتَدَّةِ أَمَامَهُم، يَصِيدُ آخَرُون بِالحِرَابِ أَسمَاكَ السَّلمُون،
وَقَاربُ الكَانُو، وَهوَ شَيءٌ مُعتِمٌ، يَتَحَرَّكُ قَاطِعًا المِيَاهَ السَّودَاء،
حَامِلًا شُعلَةً تَتَوَهَّجُ فِي المقَدِّمَة.

يَا نجمَــة فرنسا

71-1870

يَا نَجمَةَ فرنسَا،
إِشرَاقُ أَمَلِك وَقُوَّتِك وَالتِمَاعِك،
كَسَفِينَةٍ فَخُورَةٍ تَقُود الأُسطُولَ طَوِيلًا،
يَلِيقُ اليَوم بِحُطَامٍ أَطَاحَت بِه عَاصِفَة، بِهَيكَلٍ بِلَا أشرِعَة،
وَوَسَطَ الجُمُوع شِبه الغرِيقَة المجنُونَةِ المتزَاحِمَة،
لَا دَفَّةَ وَلَا قَائِد دَفَّة.

نَجمَةٌ مُبتَلَاةٌ بالعَتمَة،
كَوكَبٌ لَا لِفرَنسَا وَحدَهَا، بَل رمزٌ شَاحِبٌ لِرُوحِي، وَآمَالِه الحَمِيمَة،
النِّضَالُ وَالجُرأة، الغَضَبُ السَّمَاوِي مِن أَجلِ الحُرِيَّة،
وَالطُّمُوحَاتُ إِلَى المثَالِ البَعِيد، وَأَحلَامُ المتَحَمِّسِين بِالأُخُوَّة،
بِالرُّعبِ مِن الطَّاغِيةِ وَالكَاهِن.

نَجمَةٌ مَصلُوبَة– بَاعَهَا الخَوَنَة،
نَجمَة لَاهِثَةٌ عَلَى أَرضِ الموتِ، أَرضِ البُطُولَة،

أَرضٍ غَرِيبَة، مَشبُوبَة، مَاكِرَة، لَعُوب.

أَيُّهَا البَائِسُون! لَن أُوَبِّخَكُم الآنَ عَلَى أَخطَائِكُم، وَتَفَاهَاتِكُم، وَآثَامِكُم،
فَوَيلَاتُكُم وآلَامُكُم التِي بِلَا مَثِيل خَفَّفَت مِنهَا جَمِيعًا،
وَجَعَلَتكُم مُقَدَّسِين.

فَوَسطَ أخطَائِكُم الكَثِيرَة أَنتُم هَدَفٌ نَبِيل،
وَفِي ذَلِك لَن تَبِيعُوا حَقًّا أنفُسَكُم مَهمَا كَانَ الثَّمَن،
فِي ذَلِك لَابُد أَنَّكُم صَحَوتُم بَاكِين مِن نَومِكُم المخدَّر،
فِي ذَلِك، وَحِيدِين وَسطَ شَقِيقَاتِكُم، العِملَاقَات، اقتَلَعتُم مَن أَصَابُوكُم بِالعَار،
فِي ذَلِك، لَم تَستَطِيعُوا، وَلَن تَستَطِيعُوا، الخُضُوعَ لِلأصفَادِ المعتَادَة،
هَذَا الصَّلِيب، وَوَجهكم الشَّاحِب، وَأيدِيكُم وأقدَامكُم المثقُوبَة،
وَالحَربَة مَغرُوسَةٌ فِي جَنبِكُم.

أَيَّتُهَا النَّجمَة! يَا سَفِينَةَ فرَنسَا! فَلتَرُدِّي الصَّاعَ وَالإِعيَاءَ الطَّوِيل!
فَلتَتَحَمَّل أَيُّهَا الكَوكَبُ المبتَلَى! وَوَاصِلِي أَيَّتُهَا السَّفِينَة!

مُؤَكَّدٌ شَأنَ سُفُن الجَمِيع، أَن الأَرضَ ذَاتهَا،
ثَمرَةَ النِّيرَان المُمِيتَةِ وَالسَّدِيمِ المُضطَرِم،
سَتَخرُج فِي النِّهَايَةِ فِي قُوَّةٍ وَجَمَالٍ مِثَالِيَّين،
قُدُمًا مِن تَشَنُّجَاتِ غَضَبِهَا وَسُمُومِهَا،
إِلَى الأَمَام تَحتَ الشَّمسِ التِي تَتبَعُ مَسَارَهَا،
هَكَذَا أَنتِ يَا سَفِينَةَ فرَنسَا!

الأَيَّامُ انقَضَت، وَالغُيُومُ انقَشَعَت،
انتَهَى الكَدحُ، وَالخَلَاصُ المنتَظَر طَوِيلًا،
حِينَمَا، يَا لَلعَجَب! وُلِدتِ مِن جَدِيدٍ، أَعلَى العَالَمِ الأُورُوبِّي،
(فِي سَعَادَةٍ مُتَجَاوِبَةٍ آنَذَاك، كَوَجهٍ لِوَجهٍ فِي البَعِيد، لِتَعكِسِي كُولُومبِيَا حَبِيبَتنَا)،
مِن جَدِيدٍ نَجمَتُك يَا فرَنسَا، نَجمَةٌ مُشرِقَةٌ فَاتِنَة،
وَفِي سَلَامٍ سَمَاوِي، أَصفَى، أَكثَر إِشرَاقًا مِن أَي وَقتٍ مَضَى،
سَتَضُيء إِلَى الأَبَد.

مُروِّض الثِّيـــران

فِي كُونتِيَّةٍ شَمَالِيَّةٍ بَعِيدَةٍ فِي إِقلِيم المرَاعِي الهَادِئ،
يَعِيش صَدِيقِي المزَارِع، مَوضُوعُ قَصِيدَتِي، مُروِّضًا شَهِيرًا لِلثِّيرَان،
هُنَاكَ يَأتُون لَه بِالثِّيرَانِ فِي عُمرِ الثَّلَاث وَالأربَع سَنَوَات لِيُروِّضَهَا،
وَيَأخُذُ العِجلَ الأكثَر وَحشِيَّةً فِي العَالَم وَيَقمَعُه وَيُروِّضُه،
وَيَمضِي بِلَا خَوفٍ بِلَا أَيِّ سَوطٍ إِلَى حَيثُ يَهتَاجُ العِجلُ هُنَا وَهُنَاكَ فِي البَاحَة،
رَأسُ العِجل تَنتَفِضُ فِي قَلَقٍ إِلَى أَعلَى فِي الهَوَاء بِعَينَين غَاضِبَتَين،
لَكِن انظُرُوا! كَم سَرِيعًا مَا يَزُولُ غَضَبُه- كَم سَرِيعًا مَا يُروِّضُه هَذَا المرَوِّض؛
انظُرُوا! فَإِلَى جِوَارِ المزَارِع مِئَةُ ثَورٍ شَاب وَعَجُوز، وَهوَ الرَّجُل الذِي قَامَ بِتَروِيضهَا،
يَعرِفُونَه جَمِيعًا، وَجَمِيعًا شَغُوفُون بِه؛
انظُرُوا! فَالبَعضُ حَيَوَانَاتٌ جَمِيلَة، ذَاتُ سِيمَاء مُتَرَفِّعَة؛
وَالبَعضُ بِلَونٍ أَصفَر بُرتُقَالِي، وَالبَعض مُبَرقَش، وَأَحدُهَا لَدَيه خَط أَبيَض يَمتَد بِطُولِ ظَهرِه، وَالبَعضُ رَمَادِيٌّ مُوَشًّى بِخُطُوطٍ دَاكِنَة،
البَعضُ لَدَيه قُرُون عَرِيضَةٌ مُنفَرِجَة (عَلَامَةٌ جَيِّدَة)- انظُرُوا! الجِلد المشرِق،
انظُرُوا، عَلَى جَبهَتَي الاثنَين نُجُوم- انظُرُوا، الأجسَادَ الدَّائِرِيَّةَ وَالظُّهُورَ العَرِيضَة،
كَيفَ يَقِفُون بِثَبَاتٍ بِزَاوِيَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى سِيقَانِهِم- يَا لَهَا مِن عُيُون ذَكِيَّة!
كَيفَ يَرقُبُون مُرَوِّضَهُم- يَأملُون فِي اقتِرَابِه مِنهُم- كَيفَ يَستَدِيرُون لِيَنظُرُوا وَرَاءَه!

يَا لَه مِن تَعبِيرٍ مَلهُوف! كَم هُم قَلِقُون حِين يَتَحَرَّك بَعِيدًا عَنهُم؛
الآنَ أَتَعَجَّبُ مِن الكَيفِيَّةِ التِي يُمكِنُ أن يَبدُو عَلَيهَا لَهُم (تتَلَاشَى الكُتُبُ،
وَالسِّيَاسَةُ، وَالقَصَائِد- كُل شَيءٍ آخَر يَتَلَاشَى)،
أَعتَرِفُ أَنَّنِي لَا أَحسِدُ سِوَى فِتنَتِه– صَدِيقِي الصَّامِت، الأُمِّي،
الذِي يُحِبُّه أَلفُ ثَور هُنَاكَ فِي حَيَاتِه بِالمزَارِع،
فِي الكُونتِيَّة الشَّمَالِيَّة البَعِيدَةِ، فِي إِقلِيم المرَاعِي الهَادِئ.

فِكرة رجل عجُوز عن المدرسة

(لافتتاح مدرسة عامة، كامدِن، نيوجيرسي، 1874)

فِكرَةُ رَجُلٍ عَجُوزٍ عَن المدرسَة،
رَجُل عَجُوز يُلَملِم ذِكريَاتٍ وَأَزَاهِيرَ شَابَّةً لَا يَقدِرُ عَلَيهَا الشَّبَابُ نَفسُه.

الآنَ فَحَسب أَعرِفُك،
أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ الفَاتِنَةُ الشَّفَقِيَّة– يَا نَدَى الصَّبَاحِ عَلَى العُشب!

وَهَذَا مَا أَرَى، هَذِه العُيُونَ الوَامِضَة،
هَذِه الذَّخَائِرَ مِن المعَانِي الغَامِضَة، هَذِه الحَيَوَات الشَّابَّة،
البِنَاءَ، وَالتَّجهِيز كَأُسطُولٍ مِن السُّفُن، السُّفُنِ الخَالِدَة،
المُبحِرَةِ لِفَورِهَا إِلَى البِحَارِ بِلا حُدُود،
فِي رِحلَةِ الرُّوح.

أَمَجمُوعَةٌ مِن الأولَادِ وَالبَنَاتِ فَحَسب؟
أَهيَ فَحَسب التَّهجِئَةُ، وَالكِتَابَةُ المُرهِقَةُ، وَفُصُولٌ تَستَعمِل الأرقَام؟
مَدرَسَةٌ عَامَّةٌ فَحَسب؟

آهِ بَل أَكثَر، أَكثَر بِلَا حُدُود؛

(إِذ رَفَع جُورج فُوكس صَرخَتَه المحَذِّرَة: "أَهَذِه الكَومَةُ مِن القِرمِيد وَالملَاط، هَذِه الأَرضِيَّاتُ، وَالنَّوَافِذُ، وَالأَسِيجَةُ المِيِّتة، تُسمُّونَهَا الكَنِيسَة؟

ذَلِك لَيسَ الكَنِيسَةَ أَبَدًا– الكَنِيسَةُ أَروَاحٌ حَيَّة، حَيَّةٌ أَبَدًا").

وَأَنتِ يَا أَمِيرِيكَا،

هَل تَقُومِين بِالحِسَابَات الحَقِيقِيَّةِ مِن أَجلِ حَاضِرِك؟

وَأَنوَارِ وَظِلَالِ مُستَقبَلِك، خَيرًا كَان أَم شَرًّا؟

وِفقًا لِسِيمَاءِ البَنَاتِ وَالأَولَادِ، المُدَرِّس وَالمَدرَسَة.

متجـوِّلًا في الصبَـاح

مُتَجَوِّلًا فِي الصَّبَاح،
خَارِجًا مِن اللَّيلِ مِن الأفكَارِ الكَئِيبَةِ، وَأَنت فِي أَفكَارِي،
مُشتَاقًا إِلَى اتِّحَادِك المُتَنَاغِم! أَنت، أَيُّهَا العُصفُورُ السَّمَاوِي المغَرِّد!
الملتَف بِأَوقَاتٍ عَصِيبَةٍ يَا بَلَدِي، مَع رُعبٍ أَسوَد وَمُخَادِع، بِكُل وَضَاعَة، تَنغَرِسُ فِيكِ الخِيَانَة،
وَأَرَى هَذِه المعجِزَةَ العَادِيَّة– رَأَيتُ طَائِرَ الدُّج يُطعِمِ صِغَارَه،
الدُّج المغَرِّدُ الذِي لَا يَنِي يُؤَكِّد وَيُبهِجُ رُوحِي
بِنَغَمَاتِ البَهجَةِ وَالإِيمَانِ المنتَشِي.

مُتَجَوِّلًا هُنَاك، أَحسَستُ،
لَو أَن الدِّيدَانَ، وَالأفَاعِي، وَاليَرَقَات المقرِفَة، قَدْ تَتَحَوَّلَ إِلَى أُغنِيَاتٍ رُوحِيَّةٍ عَذبَة،
لَو كَانَ لِلهَوَام المتَحَوِّلَةِ أَن تَكُونَ مَألُوفَةً وَمُبَارَكَة،
آنَئِذٍ يُمكِنُ لِي أَن أَثِقَ فِيكَ، بِأَقدَارِك، وَأَيَّامِك، يَا بَلَدِي؛
فَمَن يَدرِي الدُّرُوسَ الجَدِيرَةَ بِك سِوَى هَذِه؟
فَمِن هَذِه قَد تُشرِق أُغنِيَةُ مُستَقبَلِك بِارتِعَاشَاتٍ فَرِحَة،
مَحكُومَةً بِأن تَملَأَ العَالَم.

موسيقى إيطاليَّــة في داكُوتا

(الفرقة السابعة عشرة- أجمل فرقة موسيقية عسكرية استمعتُ إليها)

خِلَالَ نَسِيم المسَاءِ الرَّهِيفِ الذِي يَلُف الجَمِيع،
الصُّخُورَ، وَالغَابَات، وَالقَلعَةَ، وَالمدفَع، وَالحُرَّاس المشَاة، وَالبَرَارِي اللَّانِهَائِيَّة،
فِي دَفقَاتٍ عَذبَة، فِي نَغمَات النَّايَاتِ وَالأبوَاق،
مُثِيرَةً، تَأمُّلِيَّةً، مُضطَرِمَةً، مُفتَعَلَة،
(لَكِنَّهَا بِغَرَابَةٍ مُتَوَافِقَةٌ حَتَّى هُنَا، بِمَعَانٍ لَم تُعرَف مِن قَبل،
أَرهَف مِن ذِي قَبل، أَكثَر تَنَاغُمًا، كَأَنَّهَا وُلِدَت هُنَا، حُكِيَت هُنَا،
لَا لِغُرَفِ المدِينَةِ المزَيَّنَةِ بِالجص، لَا لِجُمهُور قَاعَاتِ الأُوبرَا،
أَصوَاتٌ، أَصدَاءٌ، نَبرَاتٌ هَائِمَة، وَاقِعِيَّةٌ هُنَا كَمَا فِي البَيت،
الحُب البَرِيءُ لِـ*سُونَامبُولَا*، وَالثُّلَاثِي مَع غَيظِ *نُورمَا*،
وَجُوقَتك المُنتَشِيَة فِي *بُولِيُوتُو*[*])؛
تُشِعُّ فِي الغُرُوبِ الشَّفَافِ الأصفَر المَائِل،
مُوسِيقَى، مُوسِيقَى إِيطَالِيَّة فِي دَاكُوتَا.

[*] **La sonnambula** السائرة في النوم: أوبرا إيطالية للموسيقار فينشينزو بلليني؛ نورما **Norma**: أوبرا إيطالية أُخرى لنفس الموسيقار؛ بوليوتو **Poliuto**: أوبرا إيطالية تراجيدية. والقصيدة- من بَعد- حافلة بالإحالات إلى أعمال وشخوص أوبرالية وغنائية.

فِيمَا الطَّبِيعَةُ، مَلِيكَةُ هَذِهِ المملَكَةِ المعَقَّدَة،
كَامِنَةٌ فِي أَعمَاقٍ خَبِيئَةٍ كَالِحَةٍ بَربَرِيَّة،
فِي إِقرَارٍ بِالعِلَاقَة التِي امَّحَت مَعَ ذَلِك،
(مِثلَ زَهرَةٍ أَو ثَمَرَةٍ أَخِيرَةٍ لجِذر قَدِيم أَو تُربَة)،
تَستَمِع فِي سُرُورٍ بَالِغ.

بكُل هبَاتِــك

بِكُل هِبَاتِك يَا أَمِيرِيكَا،
تَقِفِين آمِنَةً، تُنجِزِين سَرِيعًا، تُطِلِّين عَلَى العَالَم،
القُوَّةُ، وَالثَّروَةُ، وَالامتِدَادُ، مِنحَةٌ لَك– بِهِم وَأَمثَالِهِم مِن مِنَحٍ لَك،
فَمَاذَا لَو افتَقَرتِ إِلَى مِنحَةٍ وَاحِدَة؟ (لَن تُحَل أَبَدًا المشكِلَةُ الإِنسَانِيَّةُ القُصوَى)،
هِبَة المرأةِ المثَالِيَّةِ الملَائِمَةِ لَك– مَاذَا لَو افتَقَرتِ إِلَى هِبَةِ الهِبَاتِ هَذِه؟
هِبَةِ الشُّمُوخ الأُنثَوِي لَك؟ الجمَال، الصِّحَّة، الكَمَال، اللَائِقِين بِك؟
هِبَةِ الأُمَّهَات اللَّائِقَات بِك؟

معرضِــي

فِي مَنزِلٍ صَغِير أَحتَفِظُ بِالصُّوَر مُعَلَّقَةً، لَيسَ منزِلًا مُحَدَّدًا،
هُو مُستَدِير، بِضعُ بُوصَاتٍ فَحَسب مِن الجَانِب إِلَى الآخَر؛
لَـكِن، انظُرُوا، فَبِه غُرفَةٌ لِكُل عُرُوضِ العَالَم، كُل الذِّكرَيَات!
هُنَا لَوحَاتُ الحَيَاة، وَهُنَا مَجمُوعَاتُ الموت؛
هُنَا، هَل تَدرِي ذَلِك؟ هُو شِيشرُون نَفسُه،
بِإِصبَعٍ مَرفُوعٍ يُشِير إِلَى الصُّوَر الخِصبَة.

ولايَــات البرَارِي

حَدِيقَةُ إِبدَاعٍ أَحدَث، بِلَا عُزلَة بِدَائِيَّة،
كَثِيفَةٌ، بَهِيجَةٌ، حَدِيثَةٌ، حَافِلَةٌ بِالمَلَايِين، بِالمُدُن وَالمزَارِعِ،
بِالحَدِيدِ المضفُورِ، المرَكَّبِ، المربُوطِ، الكَثِيرِ فِي وَاحِد،
سَاهَم فِيه العَالَمُ أَجمَع– مُجتَمَعُ الحُرِيَّة وَالقَانُون وَالكَدح،
التَّاجُ وَالفِردَوسُ الخَصِيب، البَعِيدُ، لِتَرَاكُمَاتِ الزَّمَن،
لِتَبرِيرِ المَاضِي.

الموسيقى الشَّامخة للعاصفة

[1]

أَيَّتُهَا الموسِيقَى الشَّامِخَةُ لِلعَاصِفَة،
انفَجِرِي لِتتَحَرَّرَ الهُمُومُ، صَافِرَةً عَبرَ البَرَارِي،
هَمهِمِي بِقُوَّةٍ فِي أَعَالِي أَشجَارِ الغَابَة– يَا رِيحَ الجِبَال،
أَيَّتُهَا الأشكَالُ المعتِمَةُ المتَجَسِّدَة– أَيَّتُهَا الأُوركِسترَا الخَفِيَّة،
يَا سِيرِينَادَا الأطيَافِ[*] بِآلَاتٍ يَقظَة،
مَازِجَةً بِإِيقَاعَات الطَّبِيعَةِ كُلَّ أَلسِنَةِ الأُمَم؛
نَغَمَاتُكِ حُرَّةٌ كَأَنَّمَا مِن مُوسِيقِيِّين عِظَام– أَيَّتُهَا الجُوقَات،
أَيَّتُهَا الرَّقصَاتُ الدِّينِيَّةُ، الحُرَّةُ، بِلَا شَكل– القَادِمَةُ مِن المَشرِق،
أَيُّهَا الصَّوتُ الخَفِيضُ لِلأنهَار، يَا هَدِيرَ انصِبَابِ الشَّلَّالَات،
أَيَّتُهَا الأصوَاتُ مِن بَنَادِق بَعِيدَةٍ مَعَ خَيَّالَةٍ يَركُضُون،
أَيَّتُهَا الحُشُودُ المُضطَرِمَةُ، التِي تَملأُ آخِرَ مُنتَصَفِ اللَّيل، فَتجعَلنِي بِلَا حِيلَة،
مُقتَحِمَةً غُرفَةَ نَومِي المنعَزِلَة، لِمَ صَادَرتِنِي؟

[2]

هَيَّا إِلَى الأمَام يَا رُوحِي، وَدَعِي البَاقِي يَتَرَاجَع،

---

[*] السيرينادَا serenade: لحنٌ يُعزف أو يغنَّى ليلاً في الهواء الطلق، وبخاصة من عاشق تحت نافذة محبوبته.

أَنصِتِي، لَا تَفقِدِي شَيئًا، فَهُم يَتَّجِهُون إِلَيكِ،
تَارِكِين مُنتَصَفَ اللَّيل، مُقتَحِمِين غُرفَةَ نَومِي،
مِن أَجلِكِ يُغَنُّون وَيَرقُصُون يَا رُوحِي.

أُغنِيَة مهرَجَان،
ثُنَائِي العَرِيس وَالعَرُوس، مُوكِب زِفَاف،
بِشِفَاه الحُب، وَقُلُوبِ المحِبِّين المُفعَمَةِ حَتَّى الحَافَّةِ بِالحُب،
وَالخُدُودِ المضَرَّجَةِ بِالحُمرَةِ وَالعُطُور، وَالمَوكِبِ المحتَشِدِ عَن آخِرِه بِوجُوهٍ صَدِيقَةٍ شَابَّةٍ وَعَجُوز،
عَلَى نَغَمَات النَّايَاتِ الصَّافِيَة وَأَلحَانِ القِيثَارَات.

الآن الطُّبُولُ العَالِيَةُ المقتَرِبَة،
فِيكتُورِيَا! هَل تَرَين فِي دُخَانِ البَارُود الأعلَامَ البَالِيَةَ لَكِن المُحَلِّقَة؟ وَحَشدَ المنهَكِين؟
أَتَسمَعِين تِلكَ الصَّيحَاتِ لِجَيشٍ ظَافِر؟

(أَيَّتُهَا الرُّوح، يَا نَشِيجَ النِّسَاء، وَأَنَّاتِ الجَرحَى المُحتَضِرِين،
وَهَسِيسَ وَقَعقَعَةَ اللَّهِيب، وَالأنقَاضَ المُسوَدَّة، وَجَمرَات المُدُن،
أَيَّتُهَا التَّرنِيمَةُ الجَنَائِزِيَّة وَخَرَابُ الجِنس البَشَرِي).

الآنَ تُفعِمُنِي نَغمَاتٌ عَتِيقَةٌ وَمِن العُصُورِ الوُسطَى،
أَرَى وَأَسمَع عَازِفِي قَيَاثِر عَجَائِز مَع قَيَاثِرِهِم فِي مهرَجَانَاتِ وِيلز،
أَسمَع المغَنِّينَ الشُّعَرَاءَ يُغَنُّون أَنَاشِيدَهُم الغَرَامِيَّة،
أَسمَع المنشِدِين، وَالجُوقَات، وَالمغَنِّينَ الجَائِلِين، فِي العُصُور الوسطَى.

الآنَ يُدَوِّي الأُرغنُ الكَبِير،
مُرتَعِشًا، فِيمَا فِي الأسفَل (كَمَوطِئِ قَدَمٍ لِلأرض،
عَلَيه يَبقَى نَاهِضًا، مُرتَكِزًا لِيقفِزَ إِلَى الأمَام،
جَمِيعُ أَشكَالِ الجَمَال، وَالوَسَامَةِ وَالقُوَّةِ، جَمِيعُ مَا نَعرِفُ مِن أَلوَان،
أَنصَالُ خَضرَاء لِلعُشب وَالطُّيورُ المغَرِّدَة، الأطفَالُ الذِين يَقفِزُون مَرحًا وَيَلعَبُون،
وَغُيُومُ السَّمَاءِ فِي الأعَالِي)،
تَنتَصِبُ القَاعِدَةُ القَوِيَّة، وَلَا تَنقَطِع نَبضَاتُهَا،
مُتحَمِّمَةً، دَاعِمَةً، دَامِجَةً البَاقِي كُلَّه، كأُمُومَةٍ لِلبَاقِي كُلِّه،
وَمَعهَا كُل آلَةٍ مُوسِيقِيَّة فِي حُشُود،
وَالعَازِفُون يَعزِفُون، جَمِيعُ مُوسِيقِيِّي العَالَم،
التَّرَانِيمَ المهِيبَة وَابتِهَالَات الجُمُوعِ المتَصَاعِدَة،
كُل أُنشُودَةٍ قَلبِيَّةٍ مَشبُوبَة، وَنِدَاءَاتٍ حَزِينَة،
أَعذَبُ المنشِدِين بِلَا نَظِير عَبرَ العُصُور،
وَمِن أَجلِ تَحقِيقِهِم الوَافِي لتَنَاغُم الأرض،
تَنَاغُم الرِّيَاح وَالغَابَاتِ وَأَموَاجِ المُحِيطِ الجَبَّارَة،
يُؤَلِّفُون أَوركِسترَا جَدِيدَةً، مَزِيجًا مِن الأعوَام وَالمنَاخَات، مِن عَشرَةٍ مُجَدِّدِين،
مِثلَمَا يَروِي الشُّعَرَاءُ عَن الأيَّامِ الغَابِرَة، **الفِردَوس،**
وَالشُّرُود آنذَاك، وَالفِرَاق الطَّوِيل، لَكِن التَّجوَالَ تَحَقَّق الآن،
تَحَقَّقَت الرِّحلَةُ، وَالرَّحَّالَةُ يَؤُوبُ إِلَى بَيتِه،
وَانصَهَر الإِنسَان وَالفَن مَع **الطَّبِيعَة** مِن جَدِيد.
الجَمِيع! مِن أَجلِ الأرض وَالسَّمَاء؛
(القَائِدُ **الجَبَّارُ** أَومَأَ الآنَ بِصَونجَانِه).

المقطُوعَةُ الشِّعرِيَّةُ الرُّجُولِيَّةُ لأزوَاجِ العَالَم،

وَاستِجَابَةُ جَمِيع الزَّوجَات.

أَلسِنَةُ الكَمَانَات،
(أَظُن أَيَّتُهَا الألسِنَة أَنَّكِ تحكِين هَذَا القَلب، مَا لَا يَستَطِيع حَكيَه بِنَفسِه،
هَذَا القَلبُ الشَّفُوق المتَأَمِّل، مَا لَا يَستَطِيع حَكيَه بِنَفسِه).

[3]

آهِ مُنذ كُنتُ طِفلًا صَغِيرًا،
تَعرِفِين أَيَّتُهَا الرُّوح كَيفَ تَحوَّلَت كُلُّ الأصوَاتِ بِالنِّسبَةِ لِي إِلَى مُوسِيقَى،
صَوتُ أُمِّي فِي الهَدهَدَةِ أَو التَّرنِيمَة،
(الصَّوت، يَا لَهَا مِن أَصوَاتٍ حَانِيَة، أصوَاتٍ فَاتِنَةٍ لِلذَّاكِرَة،
المعجِزَةُ الأَخِيرَة، يَا أَصوَاتَ أُختِي، وَأُمِّي الحَبِيبَة)؛
المطَرُ، الذُّرَةُ النَّامِيَة، النَّسِيمُ خِلَالَ الأورَاقِ الطَّوِيلَةِ لِلذُّرَة،
مَدُّ البَحر المنتَظِمُ الذِي يَلطُم الرِّمَال،
العُصفُورُ المغَرِّد، صَرخَةُ الصَّقرِ الحَادَّة،
نَغمَاتُ الطَّائِر البَرِّي فِي اللَّيل وَهو يُحَلِّق خَفِيضًا مُهَاجِرًا إِلَى الشَّمَالِ أَو الجَنُوب،
التَّرنِيمَةُ فِي كَنِيسَةِ القَريَة أَو وَسطَ الأشجَار المُلتَفَّة، اجتِمَاعُ المعَسكَرِ فِي الهَوَاءِ الطَّلق،
عَازِفُ الكَمَان فِي الحَانَةِ، الطَّرَبُ، أُغنِيَةُ البَحَّارِ الطَّوِيلَة،
القَطِيع الذِي يَخُور، الأَغنَامُ الثَّاغِيَة، الدِّيكُ الذِي يَصِيحُ فِي الفَجر.

أُغنِيَاتُ البُلدَان الخَالِيَّة تَأتِي مُدَوِّيَةً حَولِي،
النَّغمَاتُ الأَلمَانِيَّةُ لِلصَّدَاقَة، وَالنَّبِيذُ وَالحُب،

الأُغنِيَاتُ الشَّعبِيَّةُ الأيرلَندِيَّة، الجِيجَات[*] وَالرَّقصَاتُ المرِحَة، الأغَارِيدُ الإِنجلِيزِيَّة،
أُغنِيَاتُ فرَنسَا، النَّغمَاتُ الاسكُتلَندِيَّة، وَفَوقَ كُل شَيء،
مَقطُوعَات إِيطَاليَا الموسِيقِيَّة بِلَا نَظِير.

عَبرَ خَشَبَةِ المسرَحِ بِوجهٍ يَعلُوه الشُّحُوب، لَكِن بِشَغَفٍ رَهِيب،
تُفَتِّشُ نُورمَا مُلَوِّحَةً بِالخِنجَرِ فِي يَدِهَا.

أَرَى عَينَي لُوسيَا المجنُونَةِ الفَقِيرَةِ تُومِضَان بِصُورَةٍ غَير طَبِيعِيَّة،
وَشَعرُهَا يَسقُط مُتَهَدِّلًا وَأَشعَثَ إِلَى أَسفَل ظَهرِهَا.

أَرَى أَينَ يَتَمَشَّى إِرنَانِي فِي حَدِيقَةِ الزِّفَاف،
وَسطَ أَرِيجِ وُرُودِ اللَّيل، مُشرِقًا، مُمسِكًا بِيَدِ عَرُوسِه،
وَهو يَسمَع النِّدَاءَ الجَهَنَّمِي، نَخبَ الموتِ مِن البُوق.

وَمَعَ السُّيُوفِ المتقَاطِعَةِ وَالشَّعرِ الرَّمَادِي العَارِي لِلسَّمَاء،
الصَّوتُ العَمِيقُ وَالجَهِيرُ المثِير الصَّافِي لِلعَالَم،
ثُنَائِي آلَة التُّرُومبُون، الحُرِيَّة أَبدًا!
وَمِن الظِّل الكَثِيفِ لأشجَارِ الكِستِنَاءِ الأسبَانِيَّة،
بِجِوَارِ جُدرَانِ دِيرٍ قَدِيمةٍ وَثَقِيلَة أُغنِيَةٌ مُنتَحِبَة،
أُغنِيَةُ الحُبِّ الضَّائِع، شُعلَةُ الشَّبَابِ وَالحَيَاةِ الَتِي انطَفَأت فِي يَأس،
أُغنِيَةُ البَجعَةِ المحتَضِرَة، وَقَلبُ فِرنَاندُو يَتَحَطَّم.

مُستَيقِظَةً مِن بَلَايَاهَا فِي النِّهَايَةِ تُغَنِّي أَمِينَة المستَعَادَة،

[*] الجيج: رقصة سريعة مفعمة بالحيوية.

غَزِيرَةٌ كَمَا النُّجُوم وَسَعِيدَةٌ كَمَا ضَوءِ الصَّبَاح سُيُولُ فَرحِهَا.

(تَأتِي السَّيِّدَةُ الوَلُود،
الكَوكَبُ اللَامِع، صَوتُ ڤِينُوس الرَّنَّان، الأُمّ المُزهِرَة،
شَقِيقَةِ الأربَابِ المتَسَامِين، فَأَسمَع أَلبُونِي نَفسَهَا[*]).

[4]

أَسمَع تِلكَ القَصَائِدَ الغِنَائِيَّة، وَالسِّيمفُونِيَّات، وَالأُوبرَات،
أَسمَع فِي "وليَام تِل"[**] مُوسِيقَى أُنَاسٍ غَاضِبِين ثَائِرِين،
أسمَع "الهوجُونُوت" وَ"النَّبِي" أَو "روبرت" لِمييربِير[***]،
"فَاوِست" لِجُونُو[****]، أو "دُون جوان" لمُوزَارت.
أَسمَعُ مُوسِيقَى الرَّقصِ لِكُل الأُمَم،
الڤَالس، كَرَقصَةٍ شَهِيَّةٍ مَا، عَتِيقَةٍ، تُحَمِّمُنِي فِي السَّعَادَة،
وَرَقصَة البُولِيرُو عَلَى إِيقَاعِ الجِيتَارَات وَالصُّنج الرَّنَّانَة.

أَرَى رَقصَاتٍ دِينِيَّةً قَدِيمَةً وَجَدِيدَة،
أَسمَع صَوتَ القِيثَارَةِ العبرَانِيَّة،
أَرَى الصَّلِيبِيِّين فِي مَسِيرِهِم حَامِلِين الصَّلِيبَ عَالِيًا، مَعَ الرَّنِين الحَربِي لِلصُّنج،

---

[*] ألبوني Marietta Alboni: مغنية أوبرا إيطالية، تعتبر من أعظم الأصوات "الكونترالتو" في تاريخ الأعمال الأوبرالية.

[**] وليام تل: بطل شعبي في التراث السويسري. وقد استخدم الموسيقار الإيطالي روسيني مسرحية "وليام تِل" لشيللر كأساس لأوبراه "وليام تل" [1829].

[***] جياكومو بييربير: مؤلف أوبرالي ألماني [1791-1864]. والعملان المذكوران من أهم أعماله الأوبرالية.

[****] شارل- فرانسوا جونو: موسيقار فرنسي [1818- 1893]، من أهم أعماله أوبرا "فاوست".

أسمَع الدَّرَاوِيشَ يُنشِدُون بِرَتَابَةٍ، تُوَشِّيهِم صَيحَاتٌ مَسعُورَة، فِيمَا يَدُورُون مُستَدِيرِين دَائِمًا نَحوَ مَكَّة،
أَرَى الرَّقصَات الدِّينِيَّةَ المنتَشِيَةَ لِلفُرسِ وَالعَرَب،
وَمِن جَدِيدٍ، فِي إِليُوسِيس، مَوطِن سِيرِيس[*]، أَرَى اليُونَانِيِّين المحدِثِين يَرقُصُون،
أَرَاهُم يُصَفِّقُون بِأَيدِيهِم وَهُم يُحنُون أَجسَادِهِم،
أَسمَع حَرَكَةَ أَقدَامِهِم الإِيقَاعِيَّة.

أَرَى مِن جَدِيدٍ الرَّقصَةَ الكُورِيبَانتِيَّةَ[**] الوَحشِيَّةَ الغَابِرَة، وَالرَّاقِصُون يَجرَحُونَ بَعضَهُم البَعض،
أَرَى الشُّبَّان الرُّومَان مَعَ الصَّوتِ الثَّاقِب لِلصَّافِرَات يَرمُون وَيَلتَقِطُون أَسلِحَتَهُم،
إِذ يَسقُطُون عَلَى رُكَبِهِم وَيَنهضُون مِن جَدِيد.

أَسمَع مِن المسجِدِ الإِسلَامِي أَذَانَ المؤَذِّن،
أَرَى المصَلِّين بِالدَّاخِل، بِلَا نَسَقٍ وَلَا موعِظَة، لَا جِدَالَ وَلَا كَلِمَة،
بَل صَامِتِين، غُربَاء، مُخلِصِين، بِرُؤُوس مَرفُوعَةٍ، مُحتَدِمَةٍ، وَوُجُوهٍ مُنتَشِيَة.
أَسمَع القِيثَارَةَ المصرِيَّةَ ذَات الأوتَارِ الكَثِيرَة،
الأَغَانِي البِدَائِيَّةَ لِمرَاكِبِيَّةِ النِّيل،
التَّرَاتِيلَ المقَدَّسَةَ المهِيبَةَ لِلصِّين،
إِلَى الأصوَاتِ الرَّهِيفَةِ لِلمَلِك (بِطَرق الخَشَبِ وَالحَجَر)،
أَو إِلَى النَّايَاتِ الهِندُوسِيَّةِ وَالرَّنِين المثِير لآلَةِ الفِينَا،

[*] سيريس Ceres: ربة الحبوب والزراعة، في الأساطير الإغريقية.

[**] رقصة يقوم بها راقصون بعدة السلاح والخوذات ممن يعبدون الربة "سيبيل" في فريجيا- أحد الأقاليم اليونانية القديمة- بقرع الطبول والرقص.

مَعَ فِرقَةِ رَاقِصَات البَايَادِير[*].

[5]

الآنَ تَترُكُنِي آسيَا، وَأَفرِيقيَا، وَتُفعِمُنِي أُورُوبَّا بِالزَّهوِ، مُمسِكَةً بِي،
أَسمَعُ الأَرَاغِن الكَبِيرَةَ وَالفِرَقَ مِثلَمَا مِن حُشُودِ أَصوَاتٍ شَاسِعَة،
تَرتِيلَةَ لوثَر القَويَّة "حِصنٌ جَبَّارٌ هُو إِلَهُنَا"[**]،
وَ"نَهَضَت الأُم الحَزِينَة" لِرُوسِينِي[***]،
أَو طَافِيَةً فِي إِحدَى الكَاتِدرَائِيَّاتِ العَالِيَةِ المعتِمَةِ بِنَوَافِذ مُلَوَّنَةٍ مُثِيرَة،
"حَمَل الرَّب" أَو "المجدُ لِلرَّب فِي الأَعَالِي".

أَيُّهَا الموسِيقِيُّون! الموسِيقِيُّون الجَبَابِرَة!
وَأَنتُم، أَيُّهَا المغَنُّون الرَّائِعُون فِي البُلدَانِ القَدِيمَة، السُّوبرَانُو، وَالتِّينُور، وَالبَاسُّو!
بِكُم يَتَغَنَّى شَاعِرٌ جَدِيدٌ فِي الغَرب،
وَمُمتَثِلًا يُرسِلُ لَكَم حُبَّه.
(هَذَا مَا يُفضِي إِلَيكِ أَيَّتُهَا الرُّوح،
كُلُّ الأَحَاسِيسِ، وَالعُرُوضِ وَالدَّوَافِع، تُفضِي إِلَيك،
لِكِن يَبدُو لِي الآن أَن الصَّوتَ يُفضِي أَكثَرَ مِن البَاقِين).

أَسمَع الغِنَاءَ السَّنَوِيَّ لِلأَطفَالِ فِي كَاتِدرَائِيَّةِ سَان بُول،

---

[*] مجموعة من الفتيات يقمن بأداء الرقص الطقسي، بالمعبد الهندوسي.

[**] واحدة من أشهر تراتيل مارتن لوثر، وقد كتب لوثر كلماتها وألف لحنها فيما بين عامي 1527 و1529. وتُرجمت إلى الإنجليزية نحو سبعين مرة على الأقل، فضلاً عن اللغات الأخرى.

[***] روسيني Gioachino Antonio Rossini: موسيقار إيطالي ألَّف 39 أوبرا، فضلاً عن أعمال موسيقية كنسية، وموسيقى الحجرة ومقطوعات للبيانو والآلات الأخرى. واعتبر بمثابة "موزار" الإيطالي.

أَو، تَحتَ السَّقفِ العَالِي لِقَاعَةٍ عِملَاقَةٍ، السِّيمفُونِيَّات، وَالموَشَّحَاتِ الدِّينِيَّةَ لِبِيتهُوفِن،
وَهَاندِل، أَو هَايدِن،
يَغسِلُنِي "الخَلق" فِي مَوجَاتٍ مِن الأُلُوهِيَّة[*].

فَامنَحنِي أَن أُمسِكَ بِكُل الأصوَات (أَصرُخ مُكَافِحًا بِجُنُون)،
املَأنِي بِأَصوَاتِ الكَون،
هَبنِي نَبضَاتِهَا، وَنَبضَاتِ الطَّبِيعَةِ أَيضًا،
العَوَاصِفِ، الميَاهِ، الرِّيَاحِ، الأُوبرَات وَالأَنَاشِيدِ، المسِيرَاتِ وَالرَّقصَات،
لِتَنطِق، تَنصَب، لِآخُذَهَا جَمِيعًا!

[6]

ثُم أَصحُو وَئِيدًا،
وَأَتَوَقَّف، مُسَائِلًا لِبُرهَةٍ مُوسِيقَى حُلمِي،
وَمُسَائِلًا كُل تِلكَ الذِّكرَيَات، وَالعَاصِفَةَ فِي سُعَارِهَا،
وَجَمِيعَ أُغنِيَاتِ السُّوبرَانُو وَالتِّينُور،
وَتِلكَ الرَّقصَاتِ الشَّرقِيَّةَ المنتَشِيَةَ لِلحُمَّى الدِّينِيَّة،
وَالآلَاتِ المختَلِفَةَ العَذبَة، وَتَنَاغُمَ الأَرَاغِن،
وَتَأَوُّهَاتِ الحُب العَفوِيَّةَ وَالحُزنِ وَالموت،
قُلتُ لِرُوحِي الصَّامِتَةِ الفضُولِيَّةِ خَارِجًا مِن سَرِيرِ غُرفَةِ نَومِي،
هَيَّا، فَقَد اكتَشَفتُ السِّرَّ الذِي بَحَثتُ عَنه طَوِيلًا،
فَلنَمضِ قُدُمًا مُنتَعِشِين وَسطَ النَّهَار،
مُبتَهِجِين رَاصِدِين لِلحَيَاة، سَائِرِين فِي العَالَم، الحَقِيقِي،

[*] الخلق Creation: عمل أوركسترالي يُعتبر أهم أعمال الموسيقار الألماني هايدن.

نَغتَذِي مِن الآنَ عَلَى حُلمِنَا السَّمَاوِي.

وَقُلتُ، أَيضًا،
مَا سَمِعتِه أَيَّتُهَا الرُّوحُ مُصَادَفَةً لَم يَكُنَ صَوتَ الرِّيَاح،
وَلَا حُلمَ عَاصِفَةٍ هَوجَاءَ، لَا أَجنِحَةَ صَقرِ البَحر المُصطَفِقَة وَلَا صَرخَةً ثَاقِبَة،
لَا صَوتَ إِيطَاليَا المشرِقَةِ بِالشَّمس،
لَا أرغُن المَانيَا المهِيب، وَلَا حَشدَ أَصوَاتٍ شَاسِع، وَلَا طَبَقَاتِ التَّنَاغُمَات،
لَا مَقَاطِع لِلأزوَاج وَالزَّوجَات، وَلَا صَوتَ الجُنُودِ فِي مَسِيرَة،
لَا التَّايَات، لَا القَيَاثِرَ، وَلَا نِدَاءَاتِ البُوقِ فِي المعَسكَرَات،
بَل إِيقَاعَات جَدِيدَة تَلِيق بِك،
قَصَائِد تَصِلُ الطَّرِيقَ مِن الحَيَاةِ إِلَى **الموت**، مُنطَلِقَةً بِغُمُوضٍ فِي أَثِير اللَّيل، مُنفَلِتَةً، بِلَا كِتَابَة،
تَجعَلُنَا نَمضِي قُدُمًا فِي النَّهَارِ الفَظ وَنَكتُب.

ممــر إلى الهنــد

[1]

مغنّيـا أيّامِي،
مُغَنِّيًا إنجَازَات الحَاضِر العَظِيمَة،
مُغَنِّيًا الأعمَالَ الرَّاسِخَةَ المضِيئَةَ لِلمُهَندِسِين،
أَعَاجِيبَنَا الحَدِيثَة (تجَاوزَت الأعَاجِيبَ السَّبعَ القُدِيمَة المُضجِرَة)،
قَنَاةَ السِّويسِ فِي **العَالَم القَدِيم** الشَّرقِي،
وَ**الجَدِيدَ** بِفِعل سِكتِه الحَدِيدِيَّةِ الجَبَّارَةِ الممدُودَة،
وَالبِحَارَ الموَشَّاة بِأسلَاكٍ رَقِيقَةٍ بَلِيغَة؛
لَكِن أَول مَا يُصدِرُ صَوتًا، صَائِتًا أَبَدًا، الصَّيحَةُ بِك أَيَّتُهَا الرُّوح،
المَاضِي! المَاضِي! المَاضِي!

المَاضِي- الاستِعَادَةُ المعتِمَةُ بِلَا أَغوَار!
الخَلِيجُ الوَلُود- النَّائِمُون وَالأَطيَاف!
المَاضِي- عَظَمَةُ المَاضِي المطلَقَة!
فَمَا هُو الحَاضِر فِي النِّهَايَةِ إِن لَم يَكُن التَّنَامِي انطِلَاقًا مِن المَاضِي؟

(كَمَقذُوفٍ مُتَشكِّلٍ، مَدفُوع، عَابِرًا بِخَطٍّ مُعَيَّن، وَيَظَل مُنطَلِقًا،

هَكَذَا الحَاضِر، المُتَشَكِّلُ تَمَامًا، المَدفُوعُ بِقُوَّةِ الماضِي).

[2]

تمرٌّ أَيَّتُهَا الرُّوحُ إِلَى الهِند!
فَأَضِيئِي الأَسَاطِيرَ الآسيَوِيَّة، وَالخُرَافَاتِ البِدَائِيَّة.

فَلَستِ وَحدَكِ يَا حَقَائِقَ العَالَمِ الشَّامِخَة،
لَستِ وَحدَكِ يَا حَقَائِقَ العِلم الحَدِيث،
بَل ثَمَّة أَسَاطِيرُ وَخُرَافَات القُدَمَاء، خُرَافَاتُ آسيَا وَأَفرِيقيَا،
وَمضَاتُ الرُّوح المندَفِعَةُ بَعِيدًا، الأَحلَامُ مُطلَقَةُ السَّرَاح،
الأَنَاجِيلُ وَالحكَايَا الخرَافِيَّةُ التِي تَغُوصُ عَمِيقًا،
الحبكَاتُ الجَرِيئَةُ لِلشُّعرَاء، وَالأَديَانُ الأَقدَم؛
أَيَّتُهَا المعَابِدُ الأَروَعُ مِن الزَّنَابِقِ التِي سَكَبَتهَا الشَّمسُ المشرِقَة!
أَيَّتُهَا الخُرَافَاتُ المُزدَرِيَةُ لِما هُو مَعرُوف، المُتَمَلِّصَةُ مِن قَبضَةِ المعرُوف، مُتَصَاعِدَةً إِلَى السَّمَاء!
أَيَّتُهَا الأَبرَاجُ الشَّاهِقَةُ المبهِرَةُ، بِالذُّرَى الحمرَاءِ كَالوُرُود، المبَرقَشَةِ بِالذَّهَب!
أَبرَاجُ الخُرَافَاتِ الخَالِدَة المصُوغَةِ مِن أَحلَامٍ فَانِيَة!
أَنتِ أَيضًا أَحتَفِي بِكِ وَتَمَامًا كَالبَاقِي!
أَنتِ أَيضًا بِابتِهَاجٍ أُغَنِّيكِ.

تمر إِلَى الهِند!
فَانظُرِي، أَيَّتُهَا الرُّوح، أَلَم تَرَي غَايَةَ الرَّب مِن البِدَايَة؟
أَن تَكُون الأَرض دَوَّارَةً، مَترَابِطَةً بِشَبَكَة،

بِالأجنَاس، وَالجِيرَان، لِيَتَزوَّجُوا وَيُمنَحُوا بِالزَّوَاج،
بِالمحِيطَات لِتُعبَر، وَالبَعِيدُ يُصبح قَرِيبًا،
وَالأَرَاضِي لِتَلتَحِمَ مَعًا.

أُغَنِّي عِبَادَةً جَدِيدَة،
أَيُّهَا القَبَاطِنَةُ، المسَافِرُون، المُستَكشِفُون، هِي عِبَادَتَكُم،
أَيُّهَا المهَندِسُون، أَيُّهَا المِعمَارِيُّون، المِيكَانِيكِيُّون، عِبَادَتَكُم،
لَا مِن أَجلِ التِّجَارَةِ وَالانتِقَال فَحَسب،
بَل بِاسمِ الرَّب، وَمِن أَجلِكِ أَيَّتُهَا الرُّوح.

[3]

تمر إِلَى الهِند!
عَجَبًا فَالرُّوحُ بالنِّسبَةِ لَك تَوأَمُ المَشَاهِد،
أَرَى فِي أَحَدِهَا قَنَاةَ السُّوِيس تُستَهَل، وتُفتَتَح،
أَرَى مَوكِبَ البَوَاخِر، وَالامبرَاطُورَةَ أُوچِينِي تَقُودُ الطَّلِيعَة،
أَلحَظُ مِن سَطحِ إِحدَاهَا المنظَرَ الطَّبِيعِي الغَرِيب، وَالسَّمَاءَ الصَّافِيَة، وَالرَّملَ المستَوِي عَن بُعد،
أَمُر بِخِفَّةٍ بِالمجمُوعَاتِ الفَاتِنَة، بِالعُمَّالِ الملمُومِين،
بِآلَات الحفرِ الهَائِلَة.

فِي أَحَدِهَا مِن جَدِيد، مَشهَدٌ مُختَلِف (لَكِنه يَخُصُّكِ، تَمَامًا، أَيَّتُهَا الرُّوح، عَلَى السَّوَاء)،
أَرَى عَلَى قَارَّتِي سِكَّةَ حَدِيدِ البَاسِيفِيك تَجتَاز كُل الحُدُود،
أَرَى قَوَافِلَ دَائِمَةً مِنَ السَّيَّارَات تَشُق مَدِينَةَ "بلَات" حَامِلَةً بَضَائِعَ وَمسَافِرِين،
أَسمَعُ القَاطِرَات تَندَفِع وَتَهدِر، وَالصَّافِرَةَ البُخَارِيَّةَ الثَّاقِبَة،

أَسمَعُ الأصدَاءَ المتَرَدِّدَةَ خِلَالَ أَعظَمِ المشَاهِدِ فِي العَالَم،
أَعبُرُ سُهُولَ "لَارَامِي"، أَرصُد الصُّخُورَ فِي أَشكَالٍ غَرَائِبِيَّة، وَالهِضَابَ المنحَدِرَة،
أَرَى نَبَاتَات "العَايِق" الغَزِيرَةَ وَالأبصَالَ البَرِيَّة، وَالصَّحَارَى الرَّصِينَةَ، الجَردَاءَ، بِلَا لَون،
أَرَى- فِي لَمحَاتٍ عَن بُعد أَو شَاهِقَةً فَوقِي مُبَاشَرَةً- الجِبَالَ العَظِيمَةَ، أَرَى نَهرَ "الوِند" وَجِبَالَ "وَاسَاتش"،
أَرَى جَبَل الصَّرحِ وَ"عُش النّسر"، أَمُر بـ"النُّتُوء"، وَأَرتَقِي جِبَالَ "نِيفَادَا"،
أَمسَحُ بِبَصَرِي جَبَلَ "إِلك" النَّبِيل وَأَدُور حَولَ سَفحِه،
أَرَى سِلسِلَةَ جِبَال "هَمبُولدت"، أَقَطَعُ الوَادِي وَأَعبُر النَّهر،
أَرَى المِيَاهَ الصَّافِيَةَ لِبُحَيرَةِ "تَاهُو"، أَرَى غَابَاتِ الصُّنُوبَر المهِيب،
أَو عَابِرًا الصَّحرَاءَ العَظِيمَةَ، وَالسُّهُولَ التِي تَقلِي، أَنظُر إِلَى سَرَابَاتِ المِيَاهِ وَالمرُوجِ السَّاحِرَة،
رَاصِدًا خِلَالَ ذَلِكَ وَالجَمِيع، فِي خُطُوطٍ نَحِيلَةٍ مُتَطَابِقَة،
مُوصِلًا الآلَافَ الثَّلَاثَةَ أَو الأربَعَةَ مِن أَميَالِ السَّفَرِ البَرِّي،
رَابِطًا البَحرَ الشَّرقِي بِالغَربِي،
وَالطَّرِيقَ بَينَ أُورُوبَّا وَآسيَا.

(آهٍ لِحُلمِكَ يَا ابنَ جِنوَة! يَا لَحُلمِك! [*]
فَبَعدَ قُرُونٍ مِن رُقَادِكَ فِي القَبر،
يُحَقِّقُ الشَّاطِئُ الذِي أَسَّستَه حُلمَك).

[4]

نَمر إِلَى الهِند!
نِضَالَاتُ قَبَاطِنَةٍ كَثِيرِين، حِكَايَاتُ بَحَّارَةٍ مَيِّتِين كَثِيرِين،

[*] ربما كان المقصود "كرستوفر كولومبس".

تَأْتِي مُنسَلَّةً مُنتَشِرَةً عَلَى مِزَاجِي،
كَغُيُومٍ وَغَيمَاتٍ صَغِيرَةٍ فِي السَّمَاءِ بَعِيدَةِ المنَال.

عَلَى امتِدَادِ التَّارِيخ كُلِّه، أَسفَلَ المنحَدَرَات،
كَغَدِيرٍ يَجرِي، مَغمُورًا حِينًا، وَحِينًا مُنبَثِقًا إِلَى السَّطحِ مِن جَدِيد،
ثَمَّة فِكرَةٌ دَائِبَةٌ، سِلسِلَةٌ مُتَنوعَة– عَجَبًا، أَيَّتُهَا الرُّوح، إِلَيكِ، عَلَى مَرأَى مِنكِ، يَنبَثِقُون،
الخُطَط، وَالرِّحلَاتُ مِن جَدِيدٍ، وَالحملَات؛
مِن جَدِيدٍ يُبحِرُ قُدُمًا ڤَاسكُو دي جَامَا،
مِن جَدِيدٍ تُكتَسَبُ المعرِفَة، بَوصلَةُ البَحَّار،
تُكتَشَفُ البُلدَانُ وَتُولَدُ الأُمَم، تُولَدِين يَا أَمِيرِيكَا،
مِن أَجلِ غَايَةٍ هَائِلَة، يَتِم اجتِيَاز الامتِحَانِ الطَّوِيلِ لِلإِنسَان،
تَتَحَقَّق فِي النِّهَايَةِ لَك استِدَارَةُ العَالَم.

[5]

أَيَّتُهَا المستَدِيرَةُ الشَّاسِعَة، العَائِمَةُ فِي الفَضَاء،
المغَطَّاةُ كُلُّكِ بِقُوَّةٍ وَجَمَالٍ مَرئِيَّين،
ضَوءٌ وَنَهَارٌ يَتَنَاوَبَان وَالظَّلَامُ الرُّوحِي الخِصب،
مَوَاكِب صَامِتَةٌ فِي الأَعَالِي لِلشَّمسِ وَالقَمَرِ وَمَا لَا يُحصَى مِن النُّجُومِ عَالِيًا،
فِي الأَسفَل، العُشبُ، وَالمِيَاه، وَالحيَوَانَاتُ، وَالجِبَالُ، وَالأَشجَار المتَنَوِّعَة،
بِغَايَةٍ لَا تُسبَر، بِنِيَّةٍ نَبَوِيَّةٍ خَفِيَّة،
يَبدُو لِي فِي البَدءِ أَن فِكرِي يَبدَأ فِي اجتِيَازِك الآن.

إِلَى الأَسفَل مِن حَدَائِق آسيَا هَابِطِين مُشرِقِين،

يَظهَرُ آدَمُ وَحَوَّاء، ثُم سُلَالَتُهُم بِالآلَافِ وَرَاءَهُمَا،
هَائِمِين، مَلهُوفِين، فُضُولِيِّين، بِاستِكشَافٍ لَا نِهَائِي،
بِتَسَاؤلَاتٍ مَكتُومَةٍ، عَشوَائِيَّةٍ، مَحمُومَةٍ، بِقلُوبٍ لَا تَعرِفُ السَّعَادَةَ أَبَدًا،
مَع تِلكَ اللَازِمَةِ الحَزِينَةِ الدَّائِمَة، *لِمَاذَا أَيَّتُهَا الرُّوحُ غَيرُ الرَّاضِيَة؟ وَإِلَى أَينَ أَيَّتُهَا الحَيَاةُ المَاكِرَة؟*

آهِ مَن سَيُهَدِّئُ هَؤلَاءِ الأَطفَالَ المحمُومِين؟
مَن يُبَرِّر هَذِه الاستِكشَافَات المهتَاجَة؟
مَن يَنطِق بِسِرِ الأَرضِ الجَامِدَة؟
مَن يُلزِمُهَا بِنَا؟ مَا هَذِه **الطَّبِيعَةُ** المنفَصِلَةُ غَيرُ الطَّبِيعِيَّة؟
مَا هَذِه الأَرض بِالنِّسبَةِ لِعَوَاطِفِنَا؟ (أَرضٌ غَيرُ مُحِبَّة، بِلَا نَبضٍ يَستَجِيبُ لِنَبضِنَا،
أَرضٌ بَارِدَةٌ، مَكَانٌ لِلمقَابِر).

لَكِن أَيَّتُهَا الرُّوحُ ثِقِي بِأَن الغَايَةَ الأَوَّلِيَّة تَبقَى، وَسَوفَ تَتَحقَّق،
رُبَّمَا آنَ الأَوَانُ الآن.

بَعدَ اجتِيَازِ جَمِيعِ البِحَار (حَيثُ شُوهِدَت بِالفِعلِ تُعبَر)،
بَعد أَن أَكمَلَ القَبَاطِنَةُ وَالمهَندِسُون العِظَامُ عَمَلَهُم،
بَعدَ المختَرِعِين النُّبَلَاء، بَعدَ العُلَمَاء، وَالكِيميَائِيِّين، وَالجيُولُوجِيِّين، وَعُلَمَاءِ الأَعرَاق،
سَيَأتِي فِي النِّهَايَةِ الشُّعرَاءُ الجَدِيرُون بِهَذَا الإِسم،
سَيَأتِي أَبنَاءُ الرَّبِّ الحَقِيقِيُّون يُغَنُّون أُغنِيَاتِهِم.

آنَئِذٍ لَن تُبَرَّر أَفعَالُكُم وَحدَهَا أَيُّهَا الرَّحَّالَة، أَيُّهَا العُلَمَاءُ وَالمختَرِعُون،
فَسَتَهدَأ كُلُّ هَذِه القُلُوبِ كَأَنَّهَا لأَطفَالٍ مُغتَاظِين،

وَكُلُّ عَاطِفَةٍ سَيَتِم الاستِجَابَةُ لَهَا، وَالسِّر سَيُنطَق بِهِ،
وَكُل هَذِهِ الانفِصَالَات وَالفَجوَاتِ سَتَلتَئِم وَتَنضَم وَتَتَوَاصَلُ مَعًا،
وَالأَرض كُلُّهَا، هَذِهِ الأَرضُ البَارِدَةُ، الجَامِدَةُ، الخَرسَاء، سَيتِم تَبرِيرُهَا تَمَامًا،
وَكُل ثَالُوثٍ سَمَاوِي سَيَكتَمِل بِصُورَةٍ مَجِيدَةٍ وَيَندَمِجُ بِالابِن الحَقِيقِي لِلرَّب، الشَّاعِر،
(سَيَعبُر فِعلًا المضَايِقَ وَيَقهَر الجِبَال،
سَوفَ يُبحِر حَولَ رَأس "جُود هُوب" لِغَرَضٍ مَا)،
وَلَن تَنفَصِلَ وَتَنقَسِمَ **الطَّبِيعَةُ وَالإِنسَانُ** مَرَّةً أُخرَى،
فَالابنُ الحَقِيقِي لِلرَّب سَيَصهِرهُمَا مَعًا بِصُورَةٍ مُطلَقَة.

[6]

أَيُّهَا العَامُ الذِي أُغَنِّي عَلَى بَابِهِ المُشرَع عَن آخِرِه!
يَا عَام الغَايَةِ المُكتَمِلَة!
عَامَ زَوَاجِ القَارَّات، وَالمنَاخَاتِ وَالمحِيطَات!
(لَا مُجَرَّدَ زِفَافِ القَاضِي الأَوَّل لِفِينسيَا الآن إِلَى الأدرِيَاتِيك[*])،
أَرَى أَيُّهَا العَامُ فِيكَ الكَوكَبَ البَرمَائِي يُمنَح وَيَمنَح كُل شَيء،
تَلتَحِم أُورُوبَّا بِآسيَا، وَأَفرِيقيَا، ثُم يَلتَحِمُون بِـ**العَالَم الجَدِيد،**
تَتَرَاقَصُ أَمَامَك الأَرَاضِي وَالجُغرَافِيَّات، مُمسِكَةً بِبَاقَةِ الاحتِفَال،
يَدًا بِيَدٍ كَمَا العَرِيس وَالعَرُوس.

مَمر إِلَى الهِند!
مَنَاخَاتٌ مُنعِشَةٌ مِن القُوقَاز البَعِيد، تُدَغدِغُ مَهدَ الإِنسَان،
وَنَهرُ الفُرَاتِ يَنسَاب، مُضِيئًا المَاضِي مِن جَدِيد.

---

[*] زفاف الأدرياتيك- أو بالأصح "زفاف البحر"- هو احتفال كان يرمز إلى الهيمنة البحرية لِفِينسيًا.

عَجَبًا أَيَّتُهَا الرُّوح، فَالاستِعَادَةُ جَاءَت إِلَى المقَدِّمَة،
بِالبَلَدِ القَدِيم، الأَكثَر سُكَّانًا، وَالأغنَى فِي الأَرض،
وَتَيَّارَاتِ نَهرِ الهِندُوس وَالجَانج وَرَوَافِدِهمَا الكَثِيرَة،
(أَرَى الآن وَأَنَا أَتَمَشَّى عَلَى شَوَاطِئِ الأَمِيرِيكِيَّة، مُستَخلِصًا الكُل)،
وَحِكَايَةِ الإِسكَندَر الذِي يَمُوتُ فَجأَةً فِي مَسِيرَاتِهِ الحَربِيَّة،
وَالصِّينِ عَلَى جَانِبٍ وَعَلَى الجَانِب الآخَر فَارِس وَالجَزِيرَةُ العَرَبِيَّة،
وَالبِحَارِ العَظِيمَةِ وَخَلِيجِ البِنغَال إِلَى الجنُوب،
وَالآدَابِ المُنسَابَةِ، وَالمَلَاحِم، وَالأَديَانِ، وَالطَّوَائِفِ الهَائِلَة،
البَرَاهمَا الغَامِضَةِ العَتِيقَةِ بَعِيدًا فِي الوَرَاء إِلَى مَا لَا نِهَايَة، وَبُوذَا الحَنُونِ وَالأَحدَث،
وَالامبِرَاطُورِيَّات المركَزِيَّةِ وَالجَنُوبِيَّةِ وَمُتَعَلِّقَاتِهَا، وَمُلَّاكهَا،
وَحُرُوبِ تِيمُورلَنك، وَإِقلِيم أُورُونجزِيبِي[*]،
وَالتُّجَّارِ، وَالحُكَّامِ، وَالمستَكشِفِين، وَالمُسلِمِين، وَالفِينِيسِيِّين، وَالبِيزَنطِيِّين، وَالعَرَب، وَالبُرتُغَالِيِّين،
وَالرَّحَّالَةِ الأَوَائِلِ المشهُورِين حَتَّى الآن، مَاركُو بُولُو، ابن بَطُّوطَة المغرِبِي،
وَالشُّكُوكِ المَطرُوحَةِ لِلحَل، وَالخَرِيطَةِ الخَفِيَّة، وَفَرَاغَاتٍ مَطرُوحَةٍ لِلمِلء،
وَقَدَمِ الإِنسَان غَيرِ السَّاكِنة، وَاليَدِ التِي لَا تَركِن أَبَدًا لِلرَّاحَة،
وَذَاتكِ أَيَّتُهَا الرُّوح التِي لَن تَتَحَمَّل أَيَّ تَحَد.

يَنبَثِقُ أَمَامِي قَبَاطِنَةُ العَصرِ الوَسِيط،
عَالَم 1492، بِمغَامَرَتِه المستَيقِظَة،
شَيءٌ مَا يَكبُرُ الآنَ فِي الإِنسَانِيَّةِ بِمَا يُشبِه نسغَ الأَرضِ فِي الرَّبِيع،
وَرَوعَةُ غُرُوب الفرُوسِيَّةِ التِي تَبِيد.

[*] إقليم مغولي، نسبة إلى الأمير الذي يحمل نفس الاسم.

وَمَن أَنتَ أَيُّهَا الطَّيفُ الحزين؟
الهَائِلُ، التُّبُوئِي، التُّبُوئِي فِي ذَاتِك؟
بِأَعضَاءٍ مَهِيبَةٍ وَعَينَين وَرِعَتَين مُشرِقتَين،
نَاشِرًا حَولَك بِكُل نَظرَةٍ مِنكَ عَالَمًا ذَهَبِيًّا،
فَتُلَوِّنه بِأَلوَانٍ رَائِعَة.

شَأنَ كَبِيرِ المؤَرِّخِين،
نُزُولًا إِلَى التَّمشِيَاتِ المستَضِيئَةِ فِي مَشهَدٍ طَبِيعِي عَظِيم،
مُهَيمِنًا عَلَى البَاقِين أَرَى الأدمِيرَال نَفسَه،
(النَّمَط التَّارِيخِي لِلشَّجَاعَةِ، وَالفِعل، وَالإِخلَاص)،
أَرَاه يُبحِر مِن بَالُوس قَائِدًا أُسطُولَه الصَّغِير،
أَرَى رِحلَتَه، وَعَودَتَه، وَشُهرَتَه العَظِيمَة،
مِحَنَه، وَالمفتَرَين عَلَيه، أَرَاه أَسِيرًا، مُكَبَّلًا،
أَرَى اكتِئَابَه، وَبُؤسَه، وَمَوتَه[*].

(أَقِفُ غَرِيبًا فِي الزَّمَن، وَجُهُودُ الأبطَالِ لَا شَيء،
فَهَل التَّأجِيلُ طَوِيلُ الأَمَد؟ هَل مِنَ الأَفضَل الافتِرَاءُ، وَالبُؤسُ، وَالموتُ؟
هَل تَبقَى البِذرَةُ دُون إِنبَاتٍ لِقُرُونٍ فِي التُّربَة؟ عَجَبًا، يَا لَفُرصَةِ الرَّب الملَائِمَة،
مُنبَثِقَةً فِي اللَّيل، تَتَبَرعَم، تُزهِـر،
وَتَملَأُ الأرضَ بِالفَائِدَةِ وَالجمَال).

[7]

مَمر حَقًّا أَيَّتُهَا الرُّوحُ إِلَى الفِكرِ الأوَّلِي،

[*] ربما كان المقصود معركة رأس بالوس، آخر معارك الحرب البربرية الثانية، 1815.

مَا مِن بُلدَانٍ وَبِحَارٍ وَحدَهَا، هُو انتِعَاشُكَ الصَّافِي،
النُّضجُ الفَتِي لِلذُّرِيَّةِ وَالإِزهَار،
إِلَى مَمَالِكِ الأَنَاجِيلِ المتبَرعِمَة.

أَيَّتُهَا الرُّوح، العَصِيَّةُ عَلَى القَمع، أَنَا مَعَكِ وَأَنتِ مَعِي،
طَوَافُكِ البَحرِيُّ حَولَ العَالَم يَبدَأ،
وَرِحلَةُ عَقلِ الإِنسَانِ تَعُود،
إِلَى الفِردَوسِ البَاكِرِ لِلعَقل،
وَرَاءً، وَرَاءً إِلَى مَولِدِ الحِكمَة، إِلَى الحُدُوسِ البَرِيئَة،
مِن جَدِيدٍ مَع الإِبدَاعِ الفَاتِن.

[8]

آهِ لَم نَعُد قَادِرِين عَلَى انتِظَارٍ آخَر،
نَحنُ أَيضًا نَستَقِل سَفِينَةً أَيَّتُهَا الرُّوح،
مُبتَهِجِين نَنطَلِق نَحنُ أَيضًا عَلَى بِحَارٍ بِلَا درُوب،
لِنُبحِرَ بِلَا خَوفٍ عَلَى أَموَاجِ النَّشوَةِ إِلَى شُطآنٍ مَجهُولَة،
وَسطَ الرِّيَاحِ الدَّافِعَة (وَأَنتِ تَشُدِّينَنِي إِلَيكِ، وَأَشُدُّكِ إِلَيَّ، أَيَّتُهَا الرُّوح)،
مُتَرَنِّمِين حُرِّين، نُغَنِّي أُغنِيَتَنَا عَن الرَّب،
مُنشِدِين أُنشُودَتَنَا عَن الاستِكشَافِ البَهِيج).

بِالضَّحِك وَالقُبلَاتِ الكَثِيرَة،
(فَليَمتَعِض الآخَرُون، فَليُعوِل الآخَرُون عَلَى الإِثم، وَالنَّدَم، وَالمذَلَّة)،
فَأَنَا أُمتِعُكِ أَيَّتُهَا الرُّوح، وَتُمتِعِينَنِي.

وَأَكثَر مِن أَيِّ كَاهِنٍ نَحنُ أَيضًا أَيَّتُهَا الرُّوح نُؤمِنُ بِالرَّب،
لَكِنَّنَا لَا نَجرُؤ عَلَى العَبَثِ مَعَ سِر الرَّب.

أَنَا أُمتِعُكِ أَيَّتُهَا الرُّوح، وَتُمتِعِينَنِي.
مُبحِرًا فِي هَذِه البِحَار أَو فَوقَ التِّلَال، أَو مُستَيقِظًا فِي اللَّيل،
تَنسَابُ كَالمِيَاهِ أَفكَارٌ، أَفكَارٌ صَامِتَةٌ عَن **الزَّمَانِ وَالمكَانِ وَالموت**،
تَحمِلُنِي حَقًّا كَمَا لَو خِلَالَ الأَقَالِيمِ اللَّانِهَائِيَّة،
التِي أَنشقُ هَوَاءَهَا، وَأَسمَعُ تَمَوُّجَاتِهَا، وَتَغسِلُنِي كُلِّي،
فَلتُحَمِّمنِي أَيُّهَا الرَّب فِيكَ، مُرتَقِيًا إِلَيكَ،
لِنَطُوفَ أَنَا وَرُوحِي فِي حِمَاك.

أَيُّهَا المتَسَامِي،
بِلا اسمٍ، أَيُّهَا اللُّب وَالنَّفَس،
يَا ضَوءَ الضَّوء، مُسَاقِطًا أَكوَانًا قُدُمًا، وَأَنتَ مَركَزُهَا،
أَنتَ المَركَزُ الأعظَمُ لِلحَقِيقِي، وَالخَيِّر، وَالجَمِيل،
أَنتَ النَّبعُ الأخلَاقِي، الرُّوحِي– مَصدَرُ المحَبَّة– أَنتَ الذُّخر،
(آهِ يَا رُوحِي المتَأَمِّلَة– أَيُّهَا العَطَشُ غَير المرتَوِي– أَلَا تَنتَظِرِين هُنَاك؟
أَلَا تَنتَظِرِين بِالمصَادَفَةِ مِن أَجلِنَا فِي مَكَانٍ مَا هُنَاكَ **الرَّفِيقَ** الأكمَل؟)
أَنتِ النَّبض– أَنتِ دَافِعُ النُّجُوم، وَالشُّمُوسِ، وَالأَنظِمَة،
التِي تَتَحَرَّك فِي انتِظَام، دَائِرَةً، آمِنَةً، مُتَنَاغِمَة،
عَبرَ الاتِّسَاعِ بِلَا شَكلٍ لِلفَضَاء،
فَكَيف لِي أَن أُفَكِّر، كَيفَ أَنشَقُ نَفَسًا وَاحِدًا، كَيفَ أَتَكَلَّم، لَو لَم أَستَطِع، خَارِجًا مِن ذَاتِي،
الانطِلَاقَ إِلَى تِلكَ الأكوَانِ الأسمَى؟

سرعَانَ مَا أَذوِي لَدَي التَّفكِيرِ فِي الرَّب،
فِي الطَّبِيعَةِ وَرَوَائِعِهَا، فِي الزَّمَانِ وَالمكَانِ وَالمَوت،
لَكِنَّنِي، مُستَدِيرًا، أُنَادِي عَلَيكِ أَيَّتُهَا الرُّوحُ، يَا **أَنَـا** الحَقِيقِيَّة،
وَعَجَبًا، فَأَنتِ تُهَيمِنِين بِرِقَّةٍ عَلَى الكَوَاكِب،
تُهَيمِنِين عَلَى **الزَّمَانِ**، تبتَسِمِين رَاضِيَةً إِزَاءَ **الموت**،
وَتَملَئِين، تُفعِمِين تَمَامًا رَحَابَةَ **المكَان**.

أَعظَمَ مِن النُّجُومِ وَالشُّمُوس،
مَحكُومَةٌ أَيَّتُهَا الرُّوح بِالارتِحَالِ قُدُمًا؛
فَأَي حُب سِوَى حُبِّك وَحُبِّنَا يُمكِن أَن يُوَسِّع أَكثَر؟
أَيَّةُ طُمُوحَاتٍ، رَغبَاتٍ، تُبَارِي مَا لَدَيكِ وَلَدَينَا أَيَّتُهَا الرُّوح؟
أَيَّةُ أَحلَامٍ بِالمثَالِي؟ أَيَّة نَوَايَا لِلصَّفَاء، وَالكَمَالِ، وَالقُوَّة؟
أَيَّة رَغبَةٍ بَهِيجَةٍ نَتَخَلَّى عَنهَا تَمَامًا مِن أَجلِ الآخَرِين؟
وَنُعَانِي تَمَامًا مِن أَجلِ الآخَرِين؟

تَحدِسِين مَا بِالأَمَام أَيَّتُهَا الرُّوح، حِين عَبَرتِ كُلَّ البِحَار،
إِذ تَحَقَّق الزَّمَنُ، وَأَبحَرتِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ حَولَ الرُّؤُوسِ البَحرِيَّةِ، وَاكتَمَلَت الرِّحلَة،
مُطَوَّقَةً، مُتَغَلِّبَةً عَلَى المصَاعِب، مُوَاجِهَةً لِلرَّب، مُذعِنَةً، وَقَد تَحَقَّق الهَدَف،
مُفعَمَةً بِالصَّدَاقَةِ، وَالحُب الكَامِل، عَثَرتِ عَلَى **الشَّقِيقِ الأَكبر**،
وَيَذُوبُ **الأَصغَرُ** بالشَّغَفِ بَينَ ذِرَاعَيه.

[9]

مَمر إِلَى مَا هُو أَكثَر مِن الهِند!
فَهَل نَبَت لأَجنِحَتِكِ الرِّيشُ حَقًّا مِن أَجلِ مِثلِ هَذِه الطَّيرَانَاتِ البَعِيدَة؟

هَل تَسَافِرِين حَقًّا- أَيَّتُهَا الرُّوح- فِي رِحلَاتٍ كَتِلك؟
هَل تَمرَحِين عَلَى المِيَاهِ كَهؤُلَاء؟
تَصِيحِين أَسفَل السِّنسِكرِيتِيَّةِ وَالفِيــدَا؟
إِذَن فَأَنتِ مُطلَقَةُ العنَان.

نَمر إِلَيكَ، إِلَى شُطآنِك، أَيَّهَا اللُّغزُ العَتِيقُ الضَّارِي!
نَمر إِلَيك، إِلَى هَيمَنَتِك، أَيَّتُهَا المَشَاكِلُ الخَانِقَة!
أَنت، المغَطَّاةُ بِبَقَايَا الهَيَاكِل العَظمِيَّة، التِي لَم تَتَوَصَّل إِلَيكِ أَبَدًا، وَهيَ حَيَّة.

نَمر إِلَى مَا هُو أكثَر مِن الهِند!
يَا لَسِرِّ الأرض وَالسَّمَاء!
يَا لَسِرِّكِ يَا مِيَاهَ البَحر! أَيَّتُهَا الجَدَاوِلُ وَالأنهَار المتَلَوِّيَة!
يَا لَسِرِّك أَيَّتُهَا الغَابَاتُ وَالحقُول! يَا لَسِرِّك أَيَّتُهَا الجِبَالُ العَتِيَّةُ لِبَلَدِي!
يَا لَسِرِّك أَيَّتُهَا البَرَارِي! وَأَيَّتُهَا الصُّخُورُ الرَّمَادِيَّة!
أَيُّهَا الصَّبَاحُ الأحمَر! أَيَّتُهَا الغُيُوم! أَيُّهَا المطَرُ وَالثُّلُوج!
أَيُّهَا النَّهَارُ وَاللَّيل، نَمر إِلَيك.

أَيَّتُهَا الشَّمسُ وَالقَمَر وَأَيَّتُهَا النُّجُومُ جَمِيعًا! يَا سِيرِيُوس وَجوبِيتر!
نَمر إِلَيك!

نَمر، نَمر مُبَاشِر! الدَّم يَحتَرِق فِي شَرَايِينِي!
فَإِلَى البَعِيدِ أَيَّتُهَا الرُّوح! ارفَعِي فِي الحَالِ المرسَاة!

اقطَعِي حِبَالَ المرسَاة- اسحَبِي- انشُرِي كُلَّ شِرَاع!

أَلَم نَقِف هُنَا كَالأشجَارِ عَلَى الأرضِ طَوِيلًا بِمَا يَكفِي؟
أَلَم نَخطُ هُنَا طَوِيلًا بِمَا يَكفِي، آكِلِين شَارِبِين كَمُجَرَّد حَيَوانَات؟
أَلَم نُعتِم وَنُشَوِّش أَنفُسَنَا بِالكُتُب أَكثَر مِن اللَّازِم؟

فَأَبحِرِي إِلَى الأمَام- أَدِيرِي الدَّفَّةَ نَحوَ المِيَاهِ العَمِيقَةِ فَحَسب،
مُستَكشِفَةً، أَيَّتُهَا الرُّوحُ المتَهَوِّرَةُ، وَأَنَا مَعَك، وَأَنتِ مَعِي،
فَنَحنُ مَحكُومَان بِمَا لَم يَجرُؤ بَحَّارٌ بَعد عَلَى أَن يَمضِي إِلَيه،
وَسَنُغَامِر بِالسَّفِينَة، بِأَنفُسِنَا وَبِكُل شَيء.

يَا رُوحِي الشُّجَاعَة!
أَيُّهَا الشِّرَاعُ الأبعَدُ الأبعَد!
أَيُّهَا الفَرحُ الجَرِيءُ، لَكِن الآمِن! أَلَيسَت كُلُّهَا بِحَارَ الرَّب؟
أَيُّهَا الشِّرَاعُ الأَبعَدُ، الأَبعَدُ، الأَبعَد!

صَــلاة كُولُومبس

رَجُلًا عَجُوزًا، مُهَدَّمًا، وَباليًا،
مَرمِيًّا عَلَى هَذَا الشَّاطِئِ البَرِّي، بَعِيدًا، بَعِيدًا عِن الوَطَن،
مُحنِيًّا بِفِعلِ البَحر وَالسَّيمَاءِ القَاتِمَةِ المتمَرِّدَة، وَاثني عَشرَ شَهرًا مَرِيرًا،
مُتَألِّمًا، يَابِسًا بِالكَدح الطَّويل، عَلِيلًا عَلَى حَافَّةِ الموت،
أَتَّخِذُ طَرِيقِي عَلَى امتِدَادِ حَافَّةِ الجَزِيرَة،
أُنَفِّسُ عَن قَلبٍ مُثقَل.

أَنَا أَيضًا مُفعَمٌ بِالوَيل!
بِالمُصَادَفَةِ لَم يَكُن مُقَدَّرًا لِي العَيش لِيَومٍ آخَر؛
لَا يُمكِنُنِي البَقَاءُ يَا رَب، لَا يُمكِنُنِي الأكلُ أَو الشُّربُ أَو النَّوم،
إِلَى أَن أَستَعِيدَ نَفسِي قُدُمًا، وَصَلَاتِي، مَرَّةً أُخرَى إِلَيكَ،
أَتَنَفَّسَ، أُحَمِّمَ نَفسِي مَرَّةً أُخرَى فِيكَ، أَتَوَحَّدَ بِك،
أَجِيءَ بِنَفسِي مَرَّةً أُخرَى إِلَيك.

أَنتَ تَعلَم أَعوَامِي جَمِيعًا، وَحَيَاتِي،
حَيَاتِي الطَّوِيلَةَ المُتخَمَةَ بِالعَمَل الفَعَّال، لَا العِبَادَةَ فَحَسب؛
أَنتَ تَعلَم صَلَواتِ شَبَابِي وَسَهَرَه،

أَنتَ تَعلَم التَّأمُّلَاتِ النُّبُوئِيَّةَ وَالرَّصِينَةَ لِرُجُولَتِي،
أَنتَ تَعلَم أَنَّنِي قَبلَ أَن أَبدَأ قَد كَرَّستُ كُل شَيءٍ لِلمَجِيءِ إِلَيك،
أَنتَ تَعلَم أَنَّنِي أَقرَرتُ فِي شَيخُوخَتِي بِكُل هَذِه العُهُود وَالتَزمتُ بِدِقَّةٍ بِهَا،
أَنتَ تَعلَم أَنَّنِي لَم أَفقِد ذَاتَ مَرَّةٍ الإِيمَانَ وَلَا الانتِشَاءَ بِك،
فِي الأَصفَادِ، سَجِينًا، فِي العَار، لَا أَشكُو،
قَابِلًا كُل شَيءٍ مِنكَ، إِذ يَأتِي مِنكَ فِي أَوَانِه.

كُل مُغَامَرَاتِي كَانَت مُفعَمَةً بِك،
تَأمُّلَاتِي، خُطَطِي، بَدأت وَأُنجِزَت فِي التَّفكِيرِ بِك،
مُبحِرًا فِي الأَعمَاقِ أَو مُرتَحِلًا عَلَى اليَابِسَةِ مِن أَجلِك؛
لِي النَّوَايَا، وَالفَحوَى، وَالطُّمُوحَات، تَارِكًا النَّتَائِجَ لَك.

آهِ أَنَا وَاثِقٌ أَنَّهَا جَاءَت فِعلًا مِنكَ،
الحَافِزُ، وَالعُنفُوَانُ، وَالإِرَادَةُ التِي لَا تُقهَر،
العزِيمَةُ الدَّاخِلِيَّةُ، المحسُوسَةُ، الفَعَّالَة، الأَقوَى مِن الكَلِمَات،
رِسَالَةٌ مِن السَّمَاوَات تَهمِسُ لِي حَتَّى فِي النَّوم،
كُل هَذَا دَفَعَ بِي إِلَى الأَمَام.

بِي وَبِذَلِك اكتَمَل العَمَلُ كَثِيرًا،
بِي تَحَرَّرَت وَارتَاحَت البُلدَانُ المُكتَظَّةُ الكَظِيمَةُ الأَقدَم،
بِي استَدَارَت الأَهِلَّةُ وَتَرَابَطَت، وَالمجهُولُ تَحَوَّلَ إِلَى المعرُوف.

لَا أَعرِفُ النِّهَايَة، هِي كُلُّهَا فِيك،
لَا أَدرِي أَصَغِيرَةٌ أَم كَبِيرَة– أَيَّة حُقُولٍ شَاسِعَة بِالمصَادَفَة، أَيَّة بُلدَان،

بِالمصَادَفَةِ أَعرِفُ النَّمَاءَ البَرِّي الإِنسَانِي العَشوَائِي،
مَغرُوسًا هُنَاكَ قَد يَشبُّ إِلَى قَوَام، وَمَعرِفَةٍ جَدِيرَةٍ بِك،
بَالمصَادَفَةِ قَد تَتحَوَّل السُّيُوفُ التِي أَعرِفُهَا هُنَاك حَقًّا إِلَى أَدَوَاتِ حَصَاد،
بِالمصَادَفَةِ قَد يَتبَرعَمُ الصَّلِيبُ الجَامِدُ الذِي أَعرِفُه، صَلِيبُ أُورُوبَّا الميِّت، وَيُزهِر هُنَا.

جُهدٌ وَاحِدٌ إِضَافِي، مَذبَحِي هُو هَذَا الرَّملُ العَارِي؛
فَأَنتَ يَا رَب مَن أَضَاءَ حَيَاتِي،
بِشُعَاعِ الضَّوءِ، الثَّابِت، بِلَا وَصفٍ، النَّابِع مِنك،
ضَوءٌ نَادِرٌ فَوقَ التَّعبِير، يُضِيءُ الضَّوءَ ذَاتَه،
أَبعَدَ مِن كُل الإِشَارَات، وَالأَوصَافِ، وَاللُّغَات؛
لِذَلِك يَا رَب، فَلتَكُن كَلِمَتِي الأَخِيرَة، هُنَا عَلَى رُكبَتَيْ،
عَجُوزًا، فَقِيرًا، وَمَشلُولًا، الشُّكرُ لَك.

نِهَايَتِي دَانِيَة،
وَالغُيُومُ تَنغَلِقُ حَقًّا عَلَيْ،
الرِّحلَةُ تَوَقَّفَت، وَالمشوَارُ مَشكُوكٌ فيه، ضَائِع،
وَإِلَيكَ أُسلِمُ سُفُنِي.

يَدَاي، وَأَعضَائِي تُصبِح بِلَا أَعصَاب،
ذِهنِي يُحِس بِالإِجهَاد، بِالذُّهُول،
فَلتَسقُط أَضلَاعُ السُّفُنِ القَدِيمَة، فَلَن أَرحَل،
سَأَتَشَبَّثُ بِقُوَّةٍ بِك، أَيُّهَا الرَّب، رَغمَ أَن الأَموَاجَ تَضرِبُنِي،
فَأَنتَ، أَنتَ عَلَى الأَقل مَن أَعرِف.

أَهِي فِكرَةُ التِي مَا أَنطِق بِهَا، أَم أَنَّنِي أهذِي؟
فَمَا الذِي أَعرِفُه عَن الحَيَاة؟ عَن نَفسِي؟
فَأنا لَا أعرفُ حَتَّى عَمَلِي المَاضِي أَو الحَاضِر،
وَعَنه تَنتَشِر أَمَامِي ظُنونٌ مُبهَمَةٌ وَدَائِمَةُ التَّحَوُّل،
عَن عَوَالِمَ جَدِيدَةٍ أَفضَل، وَعَن مَخَاضِهَا القَوِي،
سَاخِرَةً، مُربِكَةً لِي.

وَأَرَى هَذِه الأَشيَاءَ فَجأَةً، فَمَاذَا تَعنِي؟
كَأن مُعجِزَةً مَا، يَدًا سَمَاوِيَّةً مَا قَد فَتَحَت عَينَي،
أَشكَالٌ هَائِلَةٌ طَيفِيَّةٌ تَبتَسِمُ خِلَالَ الأَثِيرِ وَالسَّمَاء،
وَعَلَى الأَموَاجِ البَعِيدَةِ تُبحِرُ سُفُنٌ بِلَا حَصر،
وَأَسمَعُ تَرَانِيمَ بِأَلسِنَةٍ جَدِيدَةٍ تُحَيِّينِي.

النَّائمـُون

[1]

أَهِيم طُوَالَ اللَّيلِ فِي رُؤَاي،
وَأَنَا أَخطُو بِقَدَمَين خَفِيفَتَين، بِرَشَاقَةٍ وَبِلَا صَوتٍ أَخطُو وَأَخطُو،
مُلتَفِتًا بِعَينَين مَفتُوحَتَين إِلَى عُيُونِ النَّائِمِين المُغمَضَة،
هَائِمًا وَمُشَوَّشًا، ضَائِعًا فِي ذَاتِي، مُتَنَافِرًا، مُتَنَاقِضًا،
مُتَمَهِّلًا، مُحَملِقًا، مَسلُوبًا، وَمُتَوَقِّفًا.

كَم يَبدُون هُنَاكَ مهِيبِين، مُتَمَدِّدِين سَاكِنِين،
كَم يَتَنَفَّسُون بِهُدُوءٍ، كَالأَطفَالِ الصِّغَارِ فِي مهُودِهِم.

المَلَامِحُ التَّعِيسَةُ لِلضَّجِرِين، وَالمَلَامِحُ الشَّاحِبَةُ لِلجَثَامِين، وَالوُجُوهُ المُزرَقَّةُ لِلمَخمُورِين، وَالوُجُوه الرَّمَادِيَّةُ المعتَلَّةُ لِلمُستَمنِين،
الأَجسَادُ الجَرِيحَةُ فِي مَيَادِين المعرَكَة، وَالمجَانِينُ فِي غُرَفِهِم ذَاتِ الأَبوَابِ المحكَمَة،
وَالبُلَهَاءُ المقَدَّسُون، وَالرُّضَّعُ المنبَثِقُون مِن البَوَّابَات، وَالمحتَضَرُون المنبَثِقُون مِن البَوَّابَات،
يَعُمُّهُم اللَّيلُ وَيَلُفُّهُم.

الثُّنَائِي المتَزَوِّجُ يَنَامُ بِهُدُوءٍ فِي سَرِيرِه، هُو بِكَفِّه عَلَى مُؤخِّرَةِ الزَّوجَة، وَهِيَ بِكَفِّهَا عَلَى مُؤَخِّرَةِ الزَّوج،
وَالشَّقِيقَاتُ يَنَمن بِمَحَبَّةٍ جَنبًا إِلَى جَنبٍ فِي سَرِيرِهُن،
وَالرِّجَالُ يَنَامُون بِمَحَبَّةٍ جَنبًا إِلَى جَنبٍ فِي سَرِيرِهم،
وَالأُم تَنَامُ مَع طِفلِهَا الصَّغِيرِ المَلفُوفِ بِعنَايَة.

يَنَامُ الأعمَى، وَيَنَامُ الأصَم وَالأبكَم،
يَنَامُ السَّجِينُ جَيِّدًا فِي السِّجن، وَالابنُ الهَارِبُ يَنَام،
وَالقَاتِلُ الذِي تَقَرَّر أَن يُشنَق فِي الغَد، كَيفَ يَنَام؟
وَالقَتِيل، كَيفَ يَنَام؟

وَالأُنثَى التِي تُحِب مِن طَرَفٍ وَاحِدٍ تَنَام،
وَالرَّجُل الذِي يُحِب مِن طَرَفٍ وَاحِدٍ يَنَام،
وَرَأسُ جَامِعِ المَال التِي انهَمَكَت فِي التَّخطِيط طُوَالَ اليَومِ تَنَام،
وَجَمِيعُ الأمزِجَةِ المهتَاجَةِ وَالغَادِرَةِ، جَمِيعُهَا، جَمِيعُهَا تَنَام.

أَقِفُ فِي الظَّلَام بِعَينَين مُطَأطِئَتَين إِلَى جِوَارِ الأسوَأ مُعَانَاةً وَالأكثَر قَلَقًا،
أُمَرِّر يَدَيَّ مُرَبِّتًا ذِهَابًا وَجِيئَةً عَن بُعدِ بِضعِ بُوصَاتٍ عَنهُم،
فَيَغُوصَ القَلِقُون فِي أَسِرَّتِهِم، بِصُورَةٍ مُتَقَطِّعَةٍ يَنَامُون.

أَختَرِقُ الآنَ الظَّلَام، تَبدُو كَائِنَاتٌ جَدِيدَة،
الأَرض تَنسَحِبُ مِنِّي إِلَى اللَّيل،
وَرَأَيتُ أَنَّهَا كَانَت جَمِيلَةً، وَأَرَى أَن مَا لَيسَ الأرضَ جَمِيل.

أَمضِي مِن جَانِبٍ إِلَى جَانِب، أَنَامُ بِجِوَارِ كُل مِن النَّائِمِين الآخَرِين بِالدَّور،
أَحلُم فِي حُلمِي كُلَّ أَحلَام الحَالِمِين الآخَرِين،
وَأُصبِحُ الحَالِمِين الآخَرِين.

أَنَا رَقصَة– فَلتَعزِفُوا هُنَاك! فَالنَّوبَةُ تُدَوِّمُنِي بِقُوَّة!

أَنَا الضَّاحِكُ أَبَدًا– إِنَّه قَمَرٌ وَشَفَقٌ جَدِيدَان،
أَرَى اللَّطَافَاتِ الخَفِيَّة، أَرَى أَشبَاحًا رَشِيقَةً أَينَمَا أَنظُر،
تَختَفِي وَتَختَفِي مِن جَدِيدٍ عَمِيقًا فِي الأَرضِ وَالبَحر، وَأَينَمَا تَكُونُ فَلَا أَرضَ وَلَا بَحر.

عَلَى خَيرِ وَجهٍ يَقُومُون بِعَمَلِهِم هَؤلَاء الرَّحَّالَةُ السَّمَاوِيُّون،
لَكِنَّهُم لَا يَملِكُون إِخفَاءَ شَيءٍ عَنِّي، وَلَن يَفعَلُوا إِن استَطَاعُوا،
أَظُن أَنَّنِي رَئِيسُهُم وَهُم يُدَلِّلُونَنِي أَيضًا،
وَيُحِيطُون بِي وَيَقُودُونَنِي وَيَركُضُون فِي الأَمَام حِين أَمشِي،
لِيَرفَعُوا أَحجِبَتَهُم المَاكِرَةِ فَيَدُلُّوا عَلَيَّ بِأَذرُعٍ مَمدُودَة، وَيَستَكمِلُوا طَرِيقَهُم؛
نَمضِي إِلَى الأَمَام، عُصبَةً مَرِحَةً مِن حُرَّاسٍ سُود! مَع مُوسِيقَى مَرِحٍ صَاخِبَة وَبَيَارِق
ابتِهَاجٍ تَصطَفِق بِوَحشِيَّة!

أَنَا المُمَثِّلُ، المُمَثِّلَة، المُصَوِّت، السِّيَاسِي،
المُهَاجِرُ وَالمَنفَى، المجرِمُ الذِي وَقَفَ فِي القَفَص،
أَنَا مَن كَان شَهِيرًا وَمَن سَيَكُون شَهِيرًا بَعدَ اليَوم،
المتَلَعثِمُ، الشَّخصُ المهَذَّبُ، الشَّخصُ الوَاهِي أَو المهزُول.

أَنَا مَن عَشِقَت نَفسَهَا وَلَفَّت شَعرَهَا عَلَى أَمَل،

حَبِيبِي المتَهَرِّبُ سَيَجِيء، وَقَد حَل الظَّلَام.

فَلتُضَاعِف نَفسَك وَاستَقبِلنِي أَيُّهَا الظَّلَام،
استَقبِلنِي وَحَبِيبِي أَيضًا، فَلَن يَسمَح لِي بِالذّهَابِ بِدُونِه.

أَتَقَلَّبُ عَلَيكَ مِثلَمَا عَلَى سَرِير، وَأُسلِمُ نَفسِي لِلغَسَق.

مَن أُنَادِيه يَستَجِيبُ لِي وَيَتَّخِذُ مَكَانَ حَبِيبِي،
يَنهَضُ مَعِي فِي صَمتٍ مِن السَّرِير.

أَيُّهَا الظَّلَام، أَنتَ أَرهَفُ مِن حَبِيبِي، فَجَسَدُه كَانَ يَتَعَرَّق وَيَلهَث،
أُحِس بِالنَّدَاوَةِ الحَارَّةِ لَكِنَّه تَرَكَنِي.

يَدَاي مَفرُودَتَان أَمَامِي، أُمَرِّرهُمَا فِي كُل الاتِّجَاهَات،
أَحدِسُ بِالشَّاطِئ الظَّلِيلِ الذِي تَرتَحِلُ إِلَيه.

فَلتَنتَبِه أَيُّهَا الظَّلَام! فَمَا الذِي لَمَسَنِي لِلتَّو؟
ظَنَنتُ أَن حَبِيبِي قَد ذَهَب، وَإِلَا فَهوَ وَالظَّلَامُ وَاحِد،
أَسمَعُ خَفقَةَ القَلب، أَتبَعُهَا، وَأَتَلَاشَى.

[2]

أَهبِط إِلَى وِجهَتِي الغَربِيَّة، أَعصَابِي رَخوَة،
وَالأَرِيجُ وَالشَّبَابُ يَسرِيَان دَاخِلِي وَأَنَا يَقظَتُهُمَا.

إِنَّه وَجهِي المصفر المتَغَضِّنُ بَدَلًا مِن وَجهِ المرأَةِ العَجُوز،
أَجلِسُ فِي مِقعَدٍ مِن قَش وَبِعنَايَةٍ أَرفُو جَوَارِبَ حَفِيدِي.

أَنَا أَيضًا، الأرمَلَةُ السَّاهِرَةُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى الخَارِجِ فِي مُنتَصَفِ لَيلٍ شِتوِي،
أَرَى وَمضَاتِ شُرُوقِ النُّجُوم عَلَى الأَرضِ الثَّلجِيَّةِ الشَّاحِبَة.

أَرَى كَفَنًا وَأَنَا الكَفَن، أَلُف جَسَدًا وَأَستَلقِي فِي التَّابُوت،
هَا هُنَا ظَلَامٌ تَحتَ الأَرض، لَا شَر وَلَا أَلَم هُنَا، فَرَاغٌ هُنَا، إِلَى الأَبَد.

(يَبدُو لِي أَن كُلَّ شَيءٍ فِي الضَّوءِ وَالهَوَاء لَابُد أَن يَكُون سَعِيدًا،
وَمَن لَيس فِي كَفَنِه وَفِي القَبرِ المظلِمُ فَليَعرِف أَنَّ لَدَيهِ مَا يَكفِي).

[3]

أَرَى سَبَّاحًا جَمِيلًا هَائِلًا يَسبَحُ عَارِيًا خِلَالَ دَوَّامَات البَحر،
شَعرُه البُنِّي يَرقُد مُلَاصِقًا وُمستَوِيًا عَلَى رَأسِه، يَضرِبُ بِذِرَاعَين جَسُورَتَين، يَدفَعُ نَفسَه بِسَاقَيه،
أَرَى جَسَدَه الأَبيَض، أَرَى عَينَيه الشُّجَاعَتَين،
وَأَكرَه الدَّوَّامَات المتسَارِعَةَ التِي قَد تُهَشِّم رَأسَه عَلَى الصُّخُور.

مَا الذِي تَفعَلِينَه أَيَّتُهَا الأَموَاجُ المنسَابَةُ حَمرَاءَ وَحشِيَّة؟
هَل سَتَقتُلِين العِملَاقَ الجَسُور؟ هَل سَتَقتُلِينَه فِي بِدَايَةِ عُمرِه الأَوسَط؟

يُكَافِح طَوِيلًا وَبِاضطِرَاد،
مُرتَبِكًا، مُتَلَاطِمًا، مَكدُومًا، يَصمُد بِقَدرِ صُمُودِ قُوَّتِه،

الدَّوَّامَاتُ اللَّاطِمَةُ مُبَرقَشَةٌ بِدَمِه، تَحمِلُه بَعِيدًا، تُطِيحُ بِه، تعتَصِرُه، تَقلِبُه،
وَجَسَدُه الجَمِيل مَحمُولٌ فِي الدَّوَّامَاتِ الدَّائِرِيَّة، دَائِمًا مَا يَنكَدِمُ عَلَى الصُّخُور،
بِخِفَّةٍ وَبَعِيدًا عَن البَصَر مَحمُولٌ الجُثمَانُ الجَسُور.

[4]

أَستَدِير لَكِنِّي لَا أَسحَبُ نَفسِي،
قرَاءَةٌ لِلمَاضِي، أُخرَى، مُشَوَّشَة، لَكِن فِي الظَّلَام مَا تَزَال.

الشَّاطِئُ مَقطُوعٌ بِالرِّيح الثَّلجِيَّةِ كَالموسَى، وَالبَنَادِقُ الحُطَامُ صَائِتَة،
العَاصِفَةُ تُهَدهِد، وَالقَمَرُ يَأتِي مُتَعَثِّرًا خِلَال الرُّكَام.

أَنظُر إِلَى حَيث تَندَفِعُ السَّفِينَةُ بِلَا حِيلَةٍ، أَسمَع انفِجَارًا وَهِي تَرتَطِم، أَسمَع وَلوَلَات
الفَزَع تَزدَادُ وَهنًا عَلَى وَهَن.

لَا أَستَطِيعُ المسَاعَدَةَ بِأَصَابِعِي المعتَصَرَة،
لَا أَستَطِيعُ سِوَى الاندِفَاع إِلَى الأموَاجِ المتَكَسِّرَةِ لِتُغرِقَنِي وَتَتَجَمَّدَ عَلَيَّ.

أَبحَث مَع الحَشد، لَا أَحَد مِن الصُّحبَةِ قَد انجَرَفَ إِلَينَا حَيًّا،
فِي الصَّبَاح لَم أَتمَالَك نَفسِي عَن حَملِ الموتَى وَتَمدِيدِهِم فِي صُفُوفٍ فِي مَخزَن غِلَال.

[5]

الآنَ عَن أَيَّامِ الحَربِ الأَقدَم، وَالهَزِيمَةِ فِي برُوكلِين،
يَقِفُ وَاشِنطُون دَاخِلَ الخطُوط، يَقِف عَلَى التِّلَالِ الحَصِينَة وَسطَ حَشدٍ مِن الضُّبَّاط،

وَجهُه بَارِدٌ وَرَطب، لَا يَستَطِيعُ كَبحَ دُمُوعِ النَّحِيب،
يَرفَع نَظَّارَته دَائِمًا إِلَى عَينَيه، ابيَضَّ لونُ خَدَّيه،
يَرَى مَذبَحَةَ البَوَاسِلِ الجَنُوبِيِّين يَقُومُ بِهَا مِن أَجلِه آبَاؤُهُم.

نَفسُ الأمرِ فِي النِّهَايَةِ حِينَ أُعلِن السَّلَام،
يَقِفُ فِي قَاعَةِ الحَانَةِ العَتِيقَة، وَالجُنُودُ الأعِزَّاءُ يَمُرُّون جَمِيعًا خِلَالَهَا،
الضُّبَّاطُ يَقتَرِبُون صَامِتِين بِبُطءٍ فِي أَدوَارِهِم،
يُطَوِّقُ القَائِدُ أَعنَاقَهُم بِذِرَاعِه وَيُقَبِّلُهم عَلَى الخُدُود،
يُقَبِّل بِخِفَّةٍ الخُدُودَ البَلِيلَةَ وَاحِدًا بَعدَ الآخَر، يُصَافِحُهُم وَيُوَدِّع الجَيش.

[6]

الآنَ مَا قَالَته لِي أُمِّي ذَاتَ يَومٍ عَلَى العَشَاء،
عَن الوَقتِ الذِي كَانَت فِيه فَتَاةً نَاضِجَةً تَقرِيبًا تَعِيشُ فِي البَيتِ مَع وَالِدَيهَا فِي مَنزِل العَائِلَة.

جَاءت امرَأَةٌ مِن الهُنُود الحُمر ذَات إِفطَار إِلَى مَنزِل العَائِلَةِ القَدِيم،
عَلَى ظَهرِهَا كَانَت تَحمِلُ صُرَّةً مِن نَبَاتِ الأَسَل لِصُنعِ الكَرَاسِي ذَات المقعَدَةِ الأَسَل،
وَشَعرُهَا المَفرُودُ، اللَّامِعُ، الخَشِنُ، الأَسوَدُ، الغَزِيرُ، يَكَادُ يَلُف وَجهَهَا،
كَانَت خُطوَتُهَا حُرَّةً وَمَرِنَة، وَصَوتُهَا حِينَ تَكَلَّمَت كَانَ لَه وَقعٌ فَاتِن.

نَظَرَت أُمِّي فِي ابتِهَاج وَدَهشَةٍ إِلَى الغَرِيبَة،
نَظَرَت إِلَى نَدَاوَةِ وَجهِهَا الطَّوِيل وَأَطرَافِهَا المُكتَمِلَةِ وَالطَّيِّعَة،
وَكُلَّمَا ازدَاد نَظَرُهَا إِلَيهَا أَحَبَّتهَا،
فَلَم تَر مِن قَبل مِثلَ هَذَا الجَمَالِ وَالنَّقَاءِ المُدهِشَين،

أَجلَسَتهَا عَلَى دِكَّةٍ إِلَى جَانِبِ الموقِد، طَبخَت طَعَامًا لَهَا،
لَم يَكُن لَديهَا عَملٌ تُقَدِّمُه لَهَا، لَكِنَّهَا قَدَّمَت لَهَا ذِكرَاهَا وَشَغَفَهَا.

مَكَثَت الهِندِيَّةُ الحَمرَاءُ فَترَةَ مَا قَبلَ الظَّهِيرَة، وَقُرب مُنتَصَفِ الظَّهِيرَةِ رَحَلَت،
آهِ كَانَت أُمِّي مُلتَاعَةً لِرَحِيلِهَا،
ظَلَّت تُفكِّر فِيهَا طُوَالَ الأُسبُوع، وَتَرَقَّبَتهَا شُهُورًا كَثِيرَة،
تَذَكَّرَتهَا شِتَاءَاتٍ كَثِيرَةً وَأَصيَافًا كَثِيرَة،
لَكِن المَرأَة الهِندِيَّة لَم تَأتِ أَبَدًا وَلَا سُمِع عَنهَا مِن جَدِيد.

[7]

أُبَّهَةُ طَرَاوَةِ الصَّيف- تَلَامُسٌ مَعَ شَيءٍ مَا غَير مَرئِي- حُبٌّ لِلضَّوءِ وَالهَوَاء،
غَيُورٌ أَنَا وَمَغمُورٌ بِالصَّدَاقَة،
وَسَأمضِي بِنَفسِي مُتَسَكِّعًا مَع الضَّوءِ وَالهَوَاء.

أَيُّهَا الحُب وَالصَّيف، أَنتَ فِي الأحلَامِ وَفِيَّ،
الخَرِيفُ وَالشِّتَاءُ فِي الأحلَام، وَالمزَارِعُ يَمضِي مَع ازدِهَارِه،
يَتَزَايَدُ القَطِيعُ وَالمحَاصِيل، وَمَخَازِنُ الغِلَالِ امتَلَأَت عَن آخِرِهَا.

تَمتَزِجُ العَنَاصِرُ فِي اللَّيل، وَالسُّفُنُ تَتَّخِذُ وجهَتَهَا فِي الأحلَام،
يُبحِر البَحَّار، وَالمنفِي يَعُودُ إِلَى وَطَنِه،
يَرجِعُ الهَارِبُ بِلَا أَذَى، وَالمهَاجِرُ يَعُودُ بَعدَ شُهُورٍ وَأَعوَام،
يَعِيش الأيرلَندِي الفَقِيرُ فِي المنزِلِ البَسِيط لِطُفُولَتِه مَع الجِيرَانِ وَالوجُوه المَألُوفَةِ لَه،
يُرَحِّبُون بِه بِحَرَارَة، وَهوَ حَافٍ مِن جَدِيد، يَنسَى أَنَّه عَلَى مَا يُرَام،
يُسَافِر الرَّجُل الأَلمَانِي إِلَى وَطَنِه، وَالاسكُتلَندِيُّ وَالوِيلزِي يُسَافِرَان إِلَى وَطَنَيهِمَا، وَابنُ

البَحرِ المتَوَسِّطِ إِلَى وَطَنِه،
إِلَى كُل مِينَاءٍ بِانجِلترَا، وَفرَنسَا، وَأسبَانيَا، تَدخُل سُفُنٌ مُزدَحِمَة،
السِّويسرِي يَتوَجَّه نَحوَ تِلَالِه، وَالبرُوسِي يَمضِي فِي طَرِيقِه، وَالمجَرِيُّ فِي طَرِيقِه،
وَالبُولَندِي فِي طَرِيقِه،
يَعُود السِّويدِي، وَيَعُود الدَّانمَركِي وَالنُّروِيجِي.

طَرِيقُ الوَطَن مَحتُوم وَطَرِيقُ الخُرُوج مَحتُوم،
السَّبَّاحُ الجَمِيلُ الفَقِيد، الشَّخصُ الضَّجِر، المُستَمنِي، المرأَةُ التِي تُحِب مِن طَرَفٍ
وَاحِدٍ، جَامِعُ الأموَال،
المُمَثِّلُ وَالممَثِّلَة، هَؤلَاء المشغُولُون بِأدوَارِهِم وَأُولَئِك المنتَظِرُون لِلبدء،
الوَلَدُ العَاطِفِي، الزَّوجُ وَالزَّوجَة، المنتَخِب، المرَشَّحُ المنتَخَبُ وَالمرَشَّحُ الذِي فَشَل،
العَظِيمُ المعرُوف الآن وَالعَظِيمُ فِي أَيِّ وَقتٍ بَعد اليَوم،
المتَلَعثِمُ، المرِيضُ، مَمشُوقُ القَوَامِ، العَطُوف،
المجرِمُ الذِي وَقَف فِي القَفَص، القَاضِي الذِي جَلَس وَحَكَم عَلَيه، المحَامُون
المُفَوَّهُون، المُحَلَّفُون، الجُمهُور،
البَاكِي وَالضَّاحِك، الرَّاقِص، أَرمَلَة مُنتَصَفِ اللَّيل، امرَأَة الهنُودِ الحُمر،
المَسلُولُ، المرِيضُ بِالحُمرَة، الأبلَه، الخَاطِئ،
المنَاقِضُون، وَكُل وَاحِدٍ بَين هَذَا وَهُم فِي الظَّلَام،
أُقسِم أَنَّهُم أَصبَحُوا عَادِيِّين الآن– لَا أَحَد أَفضَل مِن الآخَر،
جَعَلَهُم اللَّيلُ وَالنَّوم مُتَمَاثِلِين وَأبرَأَهُم.

أُقسِم أَنَّهُم جَمِيعًا جَمِيلُون،
كُل مَن يَنَام جَمِيل، كُل شِيءٍ فِي الضَّوءِ الخَافِت جَمِيل،
انتَهَى الوَحشِي وَالدَّمَوِي، وَالجَمِيع فِي سَلَام.

السَّلَامُ دَائِمًا جَمِيل،
أُسطُورَةُ السَّمَاء تُشِيرُ إِلَى السَّلَامِ وَاللَّيل.

أُسطُورَةُ السَّمَاء تَدُل عَلَى الرُّوح،
وَالرُّوحُ دَائِمًا جَمِيلَة، تَتَجَلَّى أَكثَر أَو تَتَجَلَّى أَقَل، تَأتِي أَو تَتَوَانَى فِي الوَرَاء،
تَأتِي مِن حَدِيقَتِهَا الظَّلِيلَةِ وَتَنظُر إِلَى ذَاتِهَا بِسُرُورٍ وَتَحتَوِي العَالَم،
مِثَالِيَّةٌ وَنَظِيفَةٌ الأعضَاءُ الجِنسِيَّةُ التِي اندَفَقَت مِن قَبل، وَمِثَالِيٌّ وَنَظِيفٌ الرَّحِمُ المتَلَاحِم،
الرَّأس التِي كَبُرَت مُتَنَاسِبَةٌ وَمُكتَمِلَةٌ تَمَامًا، وَالأَحشَاءُ وَالمفَاصِلُ مُتنَاسِبَةٌ وَمُكتَمِلَة.

الرُّوحُ دَائِمًا جَمِيلَة،
الكَونُ مُنضَبِطٌ كَمَا يَنبَغِي، وَكُل شَيءٍ فِي مَكَانِه،
مَا جَرَى فِي مَكَانِه، وَمَا يَنتَظِر سَيَكُون فِي مَكَانِه،
الجُمجُمَةُ الملتَوِيَةُ تَنتَظِر، وَالدَّم المتَخَثِّرُ أَو الجَارِي يَنتَظِر،
ابنُ الشَّرِه أَو المصَابِ بِمَرَضٍ تَنَاسُلِي يَنتَظِر طَوِيلًا، وَابنُ السِّكِّيرِ يَنتَظِرُ طَوِيلًا، وَالسِّكِّيرُ نَفسُه يَنتَظِر طَوِيلًا،
الرَّاقِدُون الذِين عَاشُوا وَمَاتُوا يَنتَظِرُون، وَالمتَقَدِّمُون فِي السِّن سَيَذهَبُون فِي أَدوَارِهِم، وَمَن وَرَاءَهُم بِكَثِير سَيَحِلُّون فِي أَدوَارِهِم،
المتَنَوِّعُون لَن يَكُونُوا أَقَل تَنوعًا، بَل سَينسَابُون وَيَتَّحِدُون- إِنَّهُم يَتَّحِدُون الآن.

[8]

النَّائِمُون فَاتِنُون وَهُم يَرقُدُون عَرَايَا،
يَنسَابُون يَدًا فِي يَدٍ فَوقَ الأرض كُلِّهَا مِن الشَّرقِ إِلَى الغَرب وَهُم يَرقُدُون عَرَايَا،
الآسيَوِيُّون وَالأَفَارِقَةُ يَدًا فِي يَد، الأُورُوبِّيُّون وَالأَمِيرِيكِيُّون يَدًا فِي يَد،

المُتعَلِّمُون وَغيرُ المُتعَلِّمِين يَدًا فِي يَد، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَدًا فِي يَد،
الذِّرَاعُ العَارِيَةُ لِلفَتَاةِ تَقطَعُ الصَّدرَ العَارِي لِحَبِيبِهَا، يَتَعَانَقَان بِلَا شَهوَة، شَفَتَاه تُقَبِّلَان رَقَبَتَهَا،
الأَبُ يُمسِكُ بِابنِه النَّاضِج أَو غَيرِ النَّاضِج فِي ذِرَاعَيه بِحُب بِلَا نَظِير، وَالابنُ يُمسِك بِالأَبِ فِي ذِرَاعَيه بِحُب بِلَا نَظِير،
الشَّعرُ الأَبيَض لِلأُم يُشرِقُ عَلَى المعصَمِ الأَبيَض لِلإِبنَة،
نَفَسُ الصَّبِي يَسرِي مَعَ نَفَسِ الرَّجُل، وَالصَّدِيقُ يَحتَضِنُه صَدِيق،
الطَّالِبُ يُقَبِّل المُعَلِّمَةَ وَالمُعَلِّمَةُ تُقَبِّلُ الطَّالِب، وَالخَطَأُ أَصبَحَ صَوَابًا،
صَيحَةُ العَبدِ مُتَوَحِّدَةٌ مَع صَيحَةِ السَّيِّد، وَالسَّيِّدُ يُحَيِّي العَبد،
المُجرِمُ يَخطُو إِلَى خَارِج السِّجن، وَالمجنُون يُصبِح عَاقِلًا، وَمُعَانَاةُ المرضَى تَنتَهِي،
يَكُف التَّعَرُّقُ وَالحُمَّى، وَالحنجرَةُ التِي كَانَت خَرسَاء تَنطِق، وَرِئَاتُ المسلُولِين تَستَعِيدُ عَافِيَتَهَا، وَالذِّهنُ المغمُومُ لِلفَقِير يَتَحَرَّر،
مَفَاصِل المصَابِ بِالرُّومَاتِيزم تَتَحَرَّك بِسَلَاسَةٍ كَمَا السَّابِق، وَأَكثَر سَلَاسَةً مِن ذِي قَبل،
الاختِنَاقَاتُ وَالممَرَّاتُ مَفتُوحَة، وَالمشلُولُ يُصبِحُ طَيِّعًا،
المنتَفِخُ وَالمتَشَنِّجُ وَالمحتَقِن يَكتَشِفُون أَنفُسَهُم فِي صِحَّةٍ جَيِّدَة،
يَعبُرُون انتِعَاشَ اللَّيل وَكِيمِيَاءَ اللَّيل، وَيَستَيقِظُون.

أَنَا أَيضًا أَجتَازُ اللَّيل،
أَبقَى بُرهَةً بَعِيدًا أَيُّهَا اللَّيل، لَكِنِّي أَعُودُ إِلَيكَ مِن جَدِيدٍ وَأُحِبُّك.

فَلِمَاذَا يَنبَغِي أَن أَخَافَ الاعتِمَادَ عَلَيك؟
لَستُ خَائِفًا، فَقَد سَبَقَ أَن دَفَعتَ بِي إِلَى الأَمَام،
وَأَنَا أُحِب النَّهَارَ الرَّاكِضَ الخِصب، لَكِنِّي لَا أُنكِر اللَّيلَ الذِي أَرقُد فِيه طَوِيلًا،
لَا أَدرِي كَيفَ جِئتُ مِنكَ وَلَا أَدرِي إِلَى أَينَ أَمضِي مَعَك، لَكِنِّي أَدرِي أَنَّنِي جِئتُ عَلَى

مَا يُرَام وَسَأمضِي عَلَى مَا يُرَام.

سَأَتَوَقَّف فَحسب وَقتًا مَعَ اللَّيل، وَأَنهَض مُبَكِّرًا،
وَسَأقضِي النَّهَارَ كَمَا يَنبَغِي يَا أُمِّي، وَكَمَا يَنبَغِي أَعُودُ إِلَيك.

تَنقُّــلَات

فَليَهبِط المصلِحُون مِن المنَصَّاتِ حَيثُ يَزعَقُون دَائِمًا– وَليَصعَد شَخصٌ أَبلَه أَو مجنُون عَلَى كُل مِنَصَّة؛

فَليَتبَادَل القُضَاةُ وَالمجرِمُون أَمَاكِنَهُم– فَليُسجَن حُرَّاسُ السِّجن– وَليَأخُذ المفَاتِيح أُولَئكَ الذِين كَانُوا مَسجُونِين؛

فَليَقُد البَاقِين مَن لَا يَثِقُون فِي المِيلَادِ وَالموتِ.

أَن تفكِّــر في الزَّمن

[1]

أَن تُفَكِّرَ فِي الزَّمَن– فِي كُل هَذِه الأحدَاثِ الماضِيَة،
أَن تُفَكِّرَ فِي اليَوم، وَالعصُورِ المتَوَاصِلَةِ مِن الآنَ فَصَاعِدًا.

هَل خَمَّنتَ أَنَّك– أَنتَ نَفسك– لَن تَدُوم؟
هَل رَهبتَ هَذِه الخَنَافِسِ الأَرضِيَّة؟
هَل خِفتَ مِن أَن المستَقبَل سَيَكُون بِالنِّسبَةِ لَك لَا شَيءَ؟

فَهَل اليَوم لَا شَيء؟ هَل المَاضِي بِلَا بِدَايَةٍ لَا شَيء؟
فَلَو أَن المستَقبَلَ لَا شَيء فَهُمَا بِالتَّأكِيد لَا شَيء.

أَن تُفَكِّرَ فِي أَن الشَّمسَ أَشرَقَت مِن المشرِق– أَن الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ مَرِنُون، حَقِيقِيُّون، أَحيَاء– أَن كُل شَيءٍ حَي،
أَن تُفَكِّرَ فِي أَنَّك وَأَنَا لَم نَرَ، وَنُحِس، وَنُفَكِّر، وَلَا قُمنَا بِدَورِنَا،
أَن تُفَكِّر فِي أَنَّنَا الآن هُنَا وَنَقُوم بِدَورِنَا.

[2]

مَا مِن يَومٍ يَمُر، لَا دَقِيقَة أَو ثَانِيَة بِلَا وِلَادَة،
وَمَا مِن يَومٍ يَمُر، لَا دَقِيقَة أَو ثَانِيَة بِدُون جُثمَان.

اللَّيَالِي البَلِيدَةُ تَنتَهِي وَالنَّهَارَاتُ البَلِيدَةُ أَيضًا،
وَجَعُ الرُّقَادِ الطَّوِيلِ فِي السَّرِيرِ يَنتَهِي أَيضًا،
وَالطَّبِيبُ بَعدَ مُمَاطَلَةٍ طَوِيلَةٍ يُقَدِّم النَّظرَةَ الصَّامِتَةَ وَالمفزِعَةَ كَجَوَاب،
الأطفَالُ يَأتُون رَاكِضِين بَاكِين، وَالأُخوَةُ وَالأخوَاتُ يَذهَبُون إِلَيهِم،
الأدوِيَةُ مَرصُوصَةٌ بِلَا استِخدَامٍ عَلَى الرَّف (رَائِحَةُ الكَافُور مُنتَشِرَةٌ مُنذُ وَقتٍ طَوِيلٍ فِي الغُرَف)،
اليَدُ المخلِصَةُ لِمَن عَلَى قَيدِ الحَيَاةِ لَا تَتَخَلَّى عَن يَدِ المحتَضر،
الشِّفَاه المرتَعِشَةُ تَضغَطُ بِرِقَّةٍ عَلَى جَبِينِ المحتَضر،
النَّفَسُ يَتَوَقَّف وَخَفقَانُ القَلبِ يَتَوَقَّف،
الجُثمَان يَتَمَدَّدُ عَلَى السَّرِير وَالأحيَاءُ يُلقُون نَظرَةً عَلَيه،
إِنَّهَا نَابِضَةٌ مِثلَمَا الأَحيَاءُ نَابِضُون.

الأحيَاءُ يُلقُون نَظرَةً عَلَى الجُثمَان بِأَبصَارِهِم،
لَكِن دُون أَن يَتَوَانَى البَصَرُ عَلَى شَخصٍ آخَر حَي وَيَنظُر بِغَرَابَةٍ إِلَى الجُثمَان.

[3]

أَن تُفَكِّرَ فِي فِكرَةِ المَوتِ مُندَمِجَةً فِي فِكرَةِ المَوَاد،
أَن تُفَكِّرَ فِي عَجَائِبِ المدِينَةِ وَالبَلَد هَذِه كُلِّهَا، وَالآخَرُون يُبدُون اهتمَامًا كَبِيرًا بِهَا،
وَنَحنُ لَا نُبدِي بِهَا أَيَّ اهتِمَام.

أَن تُفَكِّرَ فِي كَم أَنَّنَا مُتَحَمِّسُون فِي بِنَاءِ مَنَازِلِنَا،
أَن تُفَكِّرَ فِي أَن الآخَرِين سَيَكُونُون مُتَحَمِّسِين هَكَذَا تَمَامًا، وَنَحْنُ لَا نُبَالِي.

(أَرَى أَحَدَهُم يَبنِي مَنزِلًا لِيُؤوِيه لِبِضعِ سَنَوَات، أَو لِسَبعِين أَو ثَمَانِينَ عَامًا عَلَى الأكثر،
وَأَرَى أَحَدَهُم يَبنِي مَنزِلًا لِيُؤوِيه لِمَا هُو أَكثَر).

حَرَكَةٌ بَطِيئَةٌ وَصُفُوفٌ سَودَاءُ تَزحَف عَلَى الأرض كُلِّهَا- لَا يَتَوَقَّفُون أَبَدًا- هِي صُفُوفُ الدَّفن،
هُو الذِي كَانَ رَئِيسًا دُفِن، وَمَن هُو رَئِيسٌ الآنَ سَوفَ يُدفَن بِالتَّأكِيد.

[4]

تَذكِيرٌ بِالمصِيرِ الفَظ،
مِثَالٌ مُتَكَرِّر لِلحَيَاةِ وَموتِ الشَّغِّيلَة،
فَكُل وَاحِد حَسبَ نَمطِه.

ارتِطَامٌ بَارِدٌ لِلأموَاج بِرَصِيفِ المعَدِّيَّة، وبَرَدٌ وَثلُوجٌ فِي النَّهر، وَوَحلٌ شِبه جَلِيدِي فِي الشَّوَارِع،
سَمَاءٌ وَاهِنَةٌ رَمَادِيَّةٌ فِي الأعلَى، وَالضَّوءُ الأخِيرُ القَصِيرُ لِنَهَارِ دِيسمِبر،
عَرَبَةُ موتَى وَمَركَبَاتٌ، جِنَازَةُ سَائِقُ مَركَبَةٍ عَجُوز مِن برُودوَاي، وَغَالِبِيَّةُ الموكِب سَائِقُون.

هَروَلَةٌ مُنتَظِمَةٌ إِلَى المقبَرَة، قَعقَعَةُ جَرَسِ الموتِ عَلَى حَالِهَا،
ثم عُبُورُ البَوَّابَة، والتَّوَقُّفُ عِندَ القَبرِ المحفُور حَدِيثًا، الأحيَاءُ يتَرَجَّلُون، عَرَبَةُ الموتَى تَنفَتِح،

أُخرِج النَّعش، أُنزِل وَوُضِع، عَلَى النَّعشِ وُضِعَ السَّوط، وَتَم إِهَالَةُ التُّرَاب عَلَيه،
سُوِّي المرتَفَعُ فَوقَه بِالجَوَارِيف– صَمت،
لِدَقِيقَةٍ– لَا أَحدَ يَتحرَّك أَو يَنطِق– مَات،
بِرِقَّةٍ رَحَل– أَهُنَاكَ مَا هُو أَكثَر؟

كَانَ رَفِيقًا طَيِّبًا، طَلقَ اللِّسَان، حَادَّ المزَاج، لَيسَ قَبِيحًا،
يَتَّخِذ الحَيَاةَ أَو الموتَ صَدِيقًا، مُغرَمًا بِالنِّسَاء، مُقَامِرًا، يَأكُل بِنَهَم، وَيَشرَبُ بِنَهَم،
عَرَفَ مَعنَى أَن تَكُونَ مُفعَمًا بِالحَيَوِيَّة، أَصبَحَ مُكتَئِبًا قُربَ النِّهَايَة، مَرِض، وَأَعَانَته المساهمات،
مَات، فِي الحَادِيَةِ وَالأَربَعِين– وَكَانَت تِلكَ جِنَازَته.

الإِبهَامُ امتَد، ارتَفَعَ الإِصبَع، مَريَلَةٌ، قُبَّعَةٌ، قُفَّازَاتٌ، حِزَامٌ، مَلَابِسُ لِلطَّقس البَلِيل،
سَوطٌ اختِير بِعِنَايَة،
رَئِيسٌ، مُرَاقِبٌ، مُطلِقُ إِشَارَة البِدء، سَائِس، شَخصٌ مَا يَتَبَطَّل عَلَيكَ، تَتَبَطَّلُ عَلَى شَخصٍ مَا، تَقَدُّم، رَجُلٌ فِي الأَمَام وَرَجُلٌ فِي الوَرَاء،
عَملُ يَومٍ جَيِّد، عَملُ يَومٍ سَيِّء، رَصِيدٌ صَغِير، رَصِيدٌ تَافِه، أَوَّل الخَارِجِين، آخِرُ الخَارِجِين، إِلَى السَّرِير فِي اللَّيل،
أَن تَظُن أَن هَذَا كَثِيرٌ وَيَسِيرٌ لِلسَّائِقِين الآخَرِين، وَأَنَّه لَا يُبَالِي بِهِم.

[5]

الأَسوَاقُ، الحكُومَةُ، أُجُورُ العَامِل، أَن تُفَكِّر فِي حَالِهِم خِلَالَ لَيَالِينَا وَنَهَارَاتِنَا،
أَن تُفَكِّر فِي أَن الشَّغِّيلَة الآخَرِين سَيُسبِغُون عَلَيهِم قِيمَةً عَظِيمَة تَمَامًا، فِيمَا لَا نُولِيهِم إِلَا قِيمَةً محَدُودَةً أَو لَا قِيمَة.

الفَظ وَالمرهَف، مَا تعتِبرُه إِثمًا وَمَا تعتِبرُه طِيبَةً، أَن تُفَكِّر فِي مَدَى شَسَاعَةِ الاختِلَاف، أَن تُفَكِّر فِي أَن الاختِلَافَ سَيَظَل قَائِمًا بِالنِّسبَةِ لِلآخَرِين، لَكِنَّنَا نَكمُن فِيمَا وَرَاءَ الاختِلَاف.

أَن تُفَكِّر فِي مَدَى المتعَةِ المَوجُودَة،
هَل تُمتِعُ نَفسَكَ فِي المدِينَة؟ أَم أَنَّكَ مَشغُولٌ بِالعَمَل؟ أَم بِالتَّخطِيطِ لِلتَّرشِيح وَالانتِخَاب؟ أَم مَع زَوجَتِك وَعَائِلَتِك؟
أَم مَع أُمِّك وَشَقِيقَاتِك؟ أَم فِي أَشغَالِ المنزِل النِّسَائِيَّة؟ أَم الاهتِمَامَاتِ الأُمُومِيَّةِ الجَمِيلَة؟
هَذِه أَيضًا تَنسَابُ قُدُمًا إِلَى الآخَرِين، أَنتَ وَأَنَا نَنسَابُ قُدُمًا،
لَكِنَّنا فِي الوَقتِ المَلَائِم سَيَخفُت اهتِمَامُنَا أَنَا وَأَنتَ بِهِم.

مَزرَعَتُك، مَكَاسِبُك، مَحَاصِيلُك- أَن تُفَكِّر كَم تَضَخَّمت،
أَن تُفَكِّر فِي أَن سَتَظَل هُنَاكَ مَزَارِع، وَمَكَاسِب، وَمَحَاصِيل، لَكِن مَا جَدوَى ذَلِك لَك؟

[6]

مَا سَيَكُون سَيَكُون عَلَى مَا يُرَام، فَمَا هُو كَائِنٌ عَلَى مَا يُرَام،
أَن تُبَالِي أَمرٌ جَيِّدٌ، وَأَلَا تُبَالِي سَيَكُونُ جَيِّدًا.

الألعَابُ المنزِلِيَّة، الأشغَالُ المنزِلِيَّةُ أَو الأَعمَالُ اليَومِيَّة، وَبِنَاءُ المَنَازِل، لَيسَت خَيَالَات،
فَلَهَا وَزنُهَا، وَشَكلُهَا، وَمَكَانُهَا،
المزَارِعُ، وَالمكَاسِبُ، وَالمحَاصِيلُ، وَالأسوَاقُ، وَالأُجُورُ، وَالحُكُومَةُ، لَا شَيءَ مِنهَا خَيَال،
وَالفَرقُ بَينَ الإِثمِ وَالطِّيبَةِ لَيسَ وَهمًا،
وَلَيسَت الأَرضُ صَدًى، وَالإِنسَانُ وَحَيَاتُه وَكُل أَشيَاءِ حَيَاتِه مَوضِعُ اعتِبَارٍ كَبِير.

فَلَستَ مَرمِيًّا فِي مَهَب الرِّيَاح، فَأنتَ تُلَملِمُ بِثِقَةٍ وَأَمَان حَولَ نَفسِك،
نَفسَك! نَفسَك! نَفسَك، أَبَدًا إِلَى الأَبَد!

[7]

لَيسَ لِلتَّشوِيشِ عَلَيكَ أَن وُلِدتَ مِن أُمِّكَ وَأَبِيك، بَل لِتَحدِيدِ هَوِيَّتِك،
لَيسَ لأَنَّكَ يَنبَغِي أَلَا تُحَدَّد، بَل لأَنَّكَ يَنبَغِي أَن تُحَدَّد،
فَشَيءٌ مَا تَجَهَّزَ طَوِيلًا وَبِلَا شَكلٍ وَصَل وَتَشَكَّل فِيك،
وَأَنتَ مِن الآن آمِن، أَيًّا كَانَ مَا يَأتِي أَو يَمضِي.

الخُيُوطُ المغزُولَةُ تَجَمَّعَت، وَاللُّحمَةُ تَتَقَاطَعُ مَعَ السُّدَاة، وَالنُّمُوذَجُ مُنتَظِم.
التَّجهِيزَاتُ بَرَّرَت كُل وَاحِد،
وَالأُوركِسترَا ضَبَطَت بِمَا يَكفِي آلَاتِهَا، وَعصَا القَائِد أَعطَت الإِشَارَة.

الضَّيفُ الذِي كَانَ قَادِمًا، انتَظَر طَوِيلًا، وَهُو الآنَ نَزِيل،
هُو أَحَد هَؤلَاء الجَمِيلِين وَالسُّعَدَاء، أَحَد هَؤلَاء الذِين يَكفِي أَن تَنظُرَ إِلَيهِم وَتَكُونَ بِصُحبَتِهِم.

قَانُونُ المَاضِي لَا يُمكِن تَفَادِيه،
قَانُونُ الحَاضِر وَالمستَقبَل لَا يُمكِن تَفَادِيه،
قَانُونُ الأَحيَاءِ لَا يُمكِن تَفَادِيه، فَهو أَبَدِي،
قَانُونُ التَّطَوُّر وَالتَّحَول لَا يُمكِن تَفَادِيه،
قَانُونُ الأَبطَالِ وَفَاعِلِي الخَير لَا يُمكِن تَفَادِيه،
قَانُونُ المَخمُورِين، وَالمُخبِرِين، وَالوَضِيعِين، لَا يُمكِن تَفَادِي ذَرَّة وَاحِدَة مِنه.

حَرَكَةٌ بَطِيئَةٌ وَصُفُوفٌ سَودَاء تَمضِي بِلَا انتِهَاءٍ عَلَى سَطحِ الأرض،
الشَّمَالِي يَمضِي مَحمُولًا وَالجَنُوبِي يَمضِي مَحمُولًا، وَمَن هُم عَلَى جَانِب الأطلَنطِي وَمَن هُم عَلَى البَاسِيفِيكِي،
وَمَن هُم بَينَ البَين، وَجَمِيعُ مَن بِبَلَدِ الِميسِيسِيبِّي، وَعَلَى الأرض كُلِّهَا.

السَّادَةُ وَالأكوَانُ العِظَامُ عَلَى مَا يُرَام وَهُم يَمضُون، وَالأبطَالُ وَفَاعِلُو الخَيرِ عَلَى مَا يُرَام،
القَادَةُ وَالمختَرِعُون المعرُوفُون وَالمُلَّاكُ الأثرِيَاءُ وَالوَرِعُونُ وَالمشهُورُون رُبَّمَا عَلَى مَا يُرَام،
لَكِن هُنَاكَ تَقدِيرًا أَكبَر مِن ذَلِك، فَهُنَاكَ تَقدِيرٌ كَامِلٌ لِلجَمِيع.

وَالقُطعَانُ اللَامُتَنَاهِيَةُ مِن الجَهلَةِ وَالأوغَاد لَيسَت لَا شَيء،
بَرَابِرَةُ أَفرِيقيَا وَآسيَا لَيسُوا لَا شَيء،
التَّوَالِيَات الدَّائِمَةُ لِلنَّاس السَّطحِيِّين لَيسَت لَا شَيء وَهُم يَمضُون.

مِن كُلِّ هَذِه الأشيَاءِ وَفِيهَا،
حَلُمتُ بِأَنَّنَا لَا نَتَغَيَّر كَثِيرًا، وَلَا تَغَيَّر قَانُونُنَا،
حَلُمتُ بِأَن الأبطَالَ وَفَاعِلِي الخَير سَيَكُونُون تَحتَ طَائِلَةِ قَانُونِ الحَاضِر وَالمَاضِي،
وَأَن القَتَلَةَ، وَالسُّكَارَى، وَالكَذَبَةَ، سَيَكُونُون تَحتَ طَائِلَةِ قَانُونِ الحَاضِر وَالمَاضِي،
ذَلِكَ أَنَّنِي حَلُمتُ بِأَن القَانُون الذِي يَحكُمُهُم الآنَ كَافٍ.

وَحَلُمتُ بِأن غَايَةَ وَجَوهَرَ الحَيَاةِ المعرُوفَة، الزَّائِلَة،
هُو تَشكِيل وَتَحدِيدُ الهوِيَّة لِلحَيَاةِ المجهُولَة، الأبَدِيَّة.
فَلو أن الجَمِيعَ تَحَوَّلُوا فَحَسب إِلَى رَمَادٍ مِن الرَّوث،

لَو قَضَى عَلَينَا الدُّودُ وَالجِرذَان، ثُم "انتِبَاه"! فَقَد تَمَّت خِيَانَتُنَا،
آنئِذٍ فَهوَ الشَّك حَقًّا فِي المَوت.

فَهَل تَشُك فِي المَوت؟ فَلَو كَان لِي أَن أَشُكَّ فِي الموتِ فَعَلَيَّ أَن أَمُوتَ الآن،
هَل تَظُن أَنَّنِي يُمكِنُنِي السَّيرُ مَسرُورًا وَرَاضِيًا تَمَامًا بِالعَدَم؟

مَسرُورًا وَرَاضِيًا تَمَامًا أَمضِي،
لَا أَستَطِيعُ تَحدِيدَ أَينَ أَمضِي، لَكِنِّي أَعرِفُ أَنَّ ذَلِكَ جَيِّد،
فَالكَونُ كُلُّه يُشِير إِلَى أَنَّه جَيِّد،
وَيُشِير المَاضِي وَالحَاضِر إِلَى أَنَّه جَيِّد.

كَم هُم جَمِيلُون وَكَامِلُون الحَيَوَانَات!
كَم هِي كَامِلَةٌ الأَرض، وَأَصغَرُ شَيءٍ عَلَيهَا!
مَا يُعتَبَرُ جَيِّدًا فَهُو كَامِل، وَمَا يُعتَبَرُ رَدِيئًا شَأنُه تَمَامًا شَأن الكَامِل،
الخُضرَوَاتُ وَالمعَادِنُ كُلُّهَا كَامِلَة، وَالسَّوَائِلُ العَصِيَّةُ عَلَى الوَزن كَامِلَة؛
بِبُطءٍ وَثِقَةٍ مَرُّوا إِلَى هَذَا، وَبِبُطءٍ وَثِقَةٍ مَا يَزَالُون يَمُرُّون.

[9]

أُقسِم أَنَّنِي أَعتَقِدُ الآن أَن كُل شَيءٍ بِلَا استِثنَاءٍ لَدَيه رُوح خَالِدَة!
لَدَى الأَشجَار، المتَجَذِّرَةِ فِي الأَرض! وَلَدَى أَعشَابِ البَحر! وَالحَيَوَانَات!

أُقسِم أَنَّنِي أَعتَقِدُ أَلَا وُجُودَ إِلَا لِلأَبَدِيَّة!
أَنَّ النِّظَامَ الرَّهِيفَ هُو مِن أَجلِهَا، وَالطَّفوَ الغَامِضَ مِن أَجلِهَا، وَالالتِحَامَ مِن أَجلِهَا!
وَكُلَّ استِعدَادٍ مِن أَجلِهَا– وَالكَينُونَةُ مِن أَجلِهَا– وَالحَيَاةَ وَالموَاد جَمِيعًا مِن أَجلِهَا.

همسَاتُ موتٍ سمَاوي

هل تجترئين الآن أيتها الرُّوح

هَل تَجتَرِئِينَ الآن أَيَّتُهَا الرُّوح،
هَل تَتَمَشِّينَ مَعِي نَحوَ الإِقلِيم المجهُول،
حَيثُ لَا أَرضَ نَطَأهَا وَلَا دَربَ نَتَّخذُه؟

لَا خَرِيطَةَ هُنَاكَ، وَلَا دَلِيل،
لَا صَوتَ يَرِن، وَلَا لَمسَة يَدٍ إِنسَانِيَّة،
لَا وَجه مُتَوَرِّدُ البَشرَةِ، وَلَا شِفَاه، وَلَا عُيُون، فِي تِلكَ الأرض.

أَنَا لَا أَعرِفُهَا أَيَّتهَا الرُّوح،
وَلَا أَنتِ تَعرِفِينَهَا، كُل شَيءٍ خَوَاءٌ أَمَامَنَا،
كُل شَيءٍ فِي ذَلِكَ الإِقلِيم لَم يَخطُر بِبَال، فِي تِلكَ الأرض عَصِيَّةِ المنَال.

إِلَى أَن تَنحَل الرَّوَابِط،
فَكُل شَيءٍ سِوَى الرَّوَابِطِ أَبَدِي، **الزَّمَانُ وَالمكَان،**
لَا الظَّلَامَ، وَالجَاذِبِيَّة، وَالإِحسَاس، وَلَا أَيَّة قُيُودٍ تُكَبِّلُنَا.

آنئِذٍ نَنطَلِقُ قُدُمًا، نَطفُو،
فِي **الزَّمَانِ وَالمكَانِ** أَيَّتُهَا الرُّوح، مُتَأَهِّبِين لَهُمَا،
مُتَسَاوِيَين، جَاهِزَين فِي النِّهَايَة (أَيُّهَا الفَرح! يَا ثَمَرَةَ الكُل!) لِنُحَقِّقَهمَا أَيَّتُهَا الرُّوح.

همساتُ موتٍ سَـماوي

أَسمَع هَمسَاتِ مَوتٍ سَمَاوِي تُغَمغِم،
ثَرثَرَةٌ شفَاهِيَّةٌ لِلَّيل، جُوقَاتٌ صَافِرَة،
خُطًى تَصَّاعَدُ بِرِقَّة، نَسَائِمُ غَامِضَةٌ انبَعَثَت رَهِيفَةً خَفِيضَة،
مَوجَاتُ نَهرٍ خَفِي، اندِفَاعَاتُ تَيَّارٍ مُنسَاب، إِلَى الأَبَد يَنسَاب،
(أَم أَنَّهَا رَذَاذُ الدُّموع؟ المَاءُ بِلَا نَظِيرٍ لِلدُّمُوعِ الإِنسَانِيَّة؟)

أَرَى، أرَى نحو السَّمَاء تَمَامًا، كُتَلَ غُيُومٍ هَائِلَة،
تَتَدحرَجُ بَطِيئَةً فِي كَآبَة، مُنتَفِخَةً فِي صَمتٍ وَمُتَدَاخِلَة،
مَع نَجمَةٍ بَعِيدَةٍ أَسيَانَةٍ شِبه مُعتِمَة،
بَينَ الحِينِ وَالحِين تَبِين وَتَختَفِي.

(مَخَاضُ مَا بِالأَحرَى، مِيلَادٌ مَا. خَالِدٌ جَلِيل؛
عَلَى الحَوَافِّ التِي لَا تَسبِرُهَا عَين،
رُوحٌ مَا تَعبُر بِلَا اكتِرَاث).

مُنشدًا الميدان السَّماوي

[1]

مُنشِدًا الميدَانَ السَّمَاوِي، مُتقَدِّمًا خَارِجًا مِن **الأحَد**، خَارجًا مِن الأَجنَاب،
خَارجًا مِن القَدِيم وَالجدِيد، خَارجًا مِن الميدَان السَّمَاوِي كُلّه،
الصَّلدِ، ذِي الأجنَابِ الأربعَة (كُل الأجنَابِ ضَرُورِيَّة)، مِن هَذَا الجَانِب **يهوَه** هُو أنَا،
براهمَا العَجُوزُ أَنَا، وَ**سَاتُورنيُوس** أَنَا[*]؛
لَا يعتَرِينِي **الزَّمَن**– أَنَا **الزَّمَن**، قَدِيمٌ، حَدِيثٌ كَأيِّ وَاحِد،
بِلَا إغوَاء لِي، بِلَا هَوَادَة، مُقِيمًا الأحكَامَ الصَّائِبَة،
مِثلَ **الأرضِ**، و**الأبِ**، وَ**كُرُونُوس**[**] القَدِيم الأسمَر، بِالقَوَانِين،
عَمَّرتُ فِيمَا وَرَاءَ الحِسَاب، لَكِنِّيَ جَدِيدٌ أَبدًا، أَبدًا مَعَ هَذِه القَوَانِين الجبَّارَة المضطَرِدَة،
بِلَا هَوَادَةٍ لَا غُفرَانَ لإنسَان– فَكُل مَن يَأثَم يَمُت– سَأستَل حيَاةَ هَذَا الشَّخص؛
لِهذَا فَلَا يَنتَظِر الرَّحمَةَ أَحَدٌ– فَهَل لَدَى الفصُولِ، وَالجَاذِبِيَّةِ الأرضِيَّةِ، وَالأَيَّامِ المقدُورَة، رحمة؟ لَيسَت عِندِي،
لَكِن مِثلَ الفُصُولِ وَالجَاذِبِيَّةِ الأرضِيَّة، وَمِثلَ الأيَّامِ المقدُورَة التِي لَا تَغفِر،

[*] **يهوه** Jehovah: إله بني إسرائيل؛ **براهما** Brahm: إله الهندوس؛ **ساتورنيوس** Saturnius: إله روماني للزراعة والخضروات.

[**] **كرونوس** Kronos: والد زيوس، وبوسايدون، وهاديس، وهستيا، وديميتر، وهيرا، في الأساطير الإغريقية.

أُصدِرُ مِن هَذَا الجَانِبِ الأحكَامَ القَاسِيَةَ بِلَا أدنَى نَدَم.

[2]

المعَزِّي الأكثَر رِقَّة، الموعُودُ الذِي يَتَقَدَّم،
بِيَدٍ رَقيقَةٍ مَمدُودَة، الرَّبُّ الأعظَم أَنَـا،
تَنَبَّأ لِي الأنبِيَاءُ وَالشُّعَرَاءُ فِي نُبُوءَاتِهِم وَقَصَائِدِهم الأكثَر نَشوَة،
مِن هَذَا الجَانِب، **انظُرُوا! السَّيِّدُ المسِيحُ يُحَدِّق– انظُرُوا! هِيرمِيس أَنَا– انظُرُوا! وَجـهِي وَجهُ هِرقَل،**
كُل حُزنٍ، وَعَنَاءٍ، وَمُعَانَاةٍ، فِيمَا أَرصُدُهَا، أَمتَصُّهَا فِي ذَاتِي،
فَمَرَّاتٍ عَدِيدَةً أَنكَرُونِي، سَخَرُوا بِي، سَجَنُونِي، وَصَلَبُونِي، وَمَرَّاتٍ عَدِيدَةً سَتَحدُثُ مِن جَدِيد،
هَجرتُ العَالَمَ كُلَّه مِن أَجلِ أُخوتِي وَأَخَوَاتِي الأعِزَّاء، مِن أَجلِ الرُّوح،
مُنعَطِفًا فِي طَرِيقِي خِلَالَ بيُوتِ النَّاس، الأثرِيَاءِ وَالفُقَرَاء، بِقُبلَة المحَبَّة،
فَأَنَا المحَبَّة، أَنَا الرَّب الآتِي بِالفَرَح، بِالأَمَل وَالبِر الذِي يَعُم الجَمِيع،
بِكَلِمَاتٍ مُتَسَامِحَةٍ مِثلَمَا مَعَ الأطفَال، بِكَلِمَاتٍ جَدِيدَةٍ وَرَصِينَة، كَلِمَاتِي وَحدِي،
فَتِيًّا وَقوِيًّا أَمُر مُدرِكًا تَمَامًا أَنَّنِي حَكَمتُ عَلَى نَفسِي بِمَوتٍ مُبَكِّر؛
لَكِن بِرِّي لَا يَعرِفُ الموت– حِكمَتِي لَا تَمُوت، لَا مُبَكِّرًا وَلَا مُتَأَخِّرًا،
وَحُبِّي العَذبُ المورُوثُ هُنَا وَفِي كُل مَكَانٍ آخَرَ لَا يَمُوتُ أَبَدًا.

[3]

مُنعَزِلًا، مُمتَعِضًا، مُنتَوِيًا التَّمَرُّد،
رَفِيقًا لِلمُجرِمِين، شَقِيقًا لِلعَبِيد،
بَارِعًا، مُحتَقَرًا، كَادِحًا، جَاهِلًا،

بِوَجهِ سُودرَا[*] وجَبِينٍ مَكدُود، أسوَد، لَكِني فِي أَعمَاقِ قَلبِي، فَخُورٌ شَأن الجَمِيع،
مُتسَامِيًا الآن وَدَائِمًا ضِد أَيِّ ازدِرَاءٍ يَزعُم الهيمَنَةَ عَلَيَّ،
كَئِيبًا، مُفعَمًا بِالدَّهَاء، مُفعَمًا بِالذِّكرَيَات، مُتَأَمِّلًا، مَع حِيَلٍ كَثِيرَة،
(وَرغمَ الظَّن بِأَنِّي حَائِرٌ مُشَوَّشٌ، وَحِيَلِي انتهَت، لَكِن ذَلِكَ لَن يَكُون أَبَدًا)،
مُتَحَدِّيًا، أَنَا، شَيطَانًا، مَا أَزَالُ عَلَى قَيدِ الحَيَاة، مَا أَزَالُ أَنطِقُ بِالكَلِمَات، مُتَجَلِّيًا كَمَا يَنبَغِي فِي أَرَاضٍ جَدِيدَة (وَأَيضًا فِي الأَرَاضِي القَدِيمَة)،
دَائِمًا هُنَا مِن جَانِبِي، مُدَجَّجًا، مُسَاوِيًا لأَيِّ وَاحِدٍ، حَقِيقِيًّا كَأَيِّ وَاحِد،
لَا الزَّمَن وَلَا التَّغَيُّر سَيُغَيِّرُ مِنِّي أَبَدًا أَو مِن كَلِمَاتِي.

[4]

الرُّوحُ القُدُس، المتَنَفِّس، الحَيَاة،
فِيمَا وَرَاءَ الضَّوء، أَضوَأ مِن الضَّوء،
فِيمَا وَرَاءَ لَهِيبِ الجَحِيم، فَرِحًا، مُتَقَافِزًا بِرَشَاقَةٍ فَوقَ الجَحِيم،
فِيمَا وَرَاءَ **الفِردَوس**، مُعَطَّرًا فَحَسب بِعِطرِي الخُصُوصِي،
مُشتَمِلًا عَلَى كُل الحَيَاةِ عَلَى الأَرض، مُلَامِسًا، مُشتَمِلًا عَلَى الرَّب، مُشتَمِلًا عَلَى **المخَلِّص وَالشَّيطَان**،
أَثِيرِيًّا، مُتَخَلِّلًا الكُل (فَبِدُونِي مَاذَا يَكُون الكُل؟ مَاذَا يَكُون الرَّب؟)
جَوهَرُ الأَشكَال، حَيَاةُ الكَينُونَاتِ الحَقِيقِيَّة، الدَّائِم، الإِيجَابِي (تَحدِيدًا الخَفِي)،
حَيَاةُ العَالَمِ الدَّائِرِي العَظِيم، وَالشَّمسِ وَالنُّجُوم، وَالإِنسَان، **أَنَا**، الرُّوحُ العَامَّة،
هُنَا إِذ يَنتَهِي الميدَانُ، الصَّلد، أَنَا الأَكثَر صَلَادَة،
أَتَنَفَّسُ نَفسِي أَيضًا خِلَالَ هَذِه الأَغنِيَات.

---

[*] سودرا Sudra أو شودرَا Shudra: الفئة الرابعة والأدنى من الطبقات الاجتماعية لدى الهندوس، ويحتلها الحرفيون والشغيلة، عمومًا.

مَن أحبه ليــلَ نهَار

مَن أُحِبُّه لَيلَ نَهَار حَلُمتُ أَنَّنِي سَمِعتُ أَنَّه مَات،
وَحَلُمتُ أَنَّنِي ذَهَبتُ إِلَى حَيثُ دَفَنُوا مَن أُحِب، لَكِنَّه لَم يَكُن بِذَلِكَ المكَان،
وَحَلُمتُ أَنَّنِي طُفتُ بَاحِثًا بَينَ المقَابِرِ لأعثُرَ عَلَيه،
وَوَجدتُ أَن كُل مَكَانٍ كَانَ مَقبَرَة؛
المنَازِلُ المُفعَمَةُ بِالحَيَاة مُفعَمَةٌ أَيضًا بِالموت (هَذَا المنزِل هُو كَذَلِك الآن)،
وَالشَّوَارِعُ، وَالنَّقلُ البَحرِي، وَأَمَاكِنُ اللَّهو، شِيكَاغُو، وَبُوسطُن، وَفِيلَادِلفِيَا،
وَمَانهَاتِن، كَانَت مُفعَمَةً بِالموتَى كَمَا بِالأَحيَاء،
وَأَكثَر، آهِ أَكثَر امتِلَاءً بِالمَوتَى عَن الأَحيَاء؛
وَمَا حَلُمتُه سَأَحكِيه مِن الآنَ إِلَى كُل شَخصٍ وَعَصر،
وَأَقِفُ مَحكُومًا مِن الآنَ بِمَا حَلُمت،
وَالآن أُرِيدُ أَن أَتَجَاهَلَ المقَابِر وأَستَغنِي عَنهَا،
وَلَو وُضِعَت النُّصُبُ التذكَارِيَّةُ لِلمَوتَى فِي كُل مَكَانٍ بِلَا مُبَالَاة، حَتَّى فِي الغُرفَةِ التِي آكُل فِيهَا أَو أَنَام، فَسَأَكُون رَاضِيًا،
وَإِذَا مَا تَحَوَّلَ جُثمَانُ أَحَدٍ مِمَّن أُحِب، أَو جُثمَانِي، فِي أَوَانِه، إِلَى تُرَابٍ وَانصَبَّ فِي البَحر، فَسَأَكُون رَاضِيًا،
أَو إِذَا مَا تَنَاثَر فِي الرِّيَاحِ فَسَأَكُونُ رَاضِيًا.

لَكن، لَكن، أيتُها السَّاعاتُ الكئيبة

لَكِن، لَكِن، أَيَّتُهَا السَّاعَاتُ الكَئِيبَةُ، أَعرِفُكِ أَيضًا،
بِثِقَلِ الرَّصَاص، كَم تَثقُلِين وَتَعلَقِين بِكَاحِلِيَّ،
وَتَستَحِيلُ الأَرضُ إِلَى قَاعَةٍ لِلعَوِيل–
أَسمَع الصَّوتَ الصَّلِفَ السَّاخِر،
الفَائِز هُو المهم– المهِم، المُنتَصِرُ فَحَسب، يُوَاصِل التَّقَدُّم.

صَرخَاتٌ يَائِسَةٌ تَطفُو بِلَا انتِهَاءٍ نَحوِي،
نِدَاءُ أَقرَبِ أَحِبَّائِي، يَنطَلِق، مَفزُوعًا، غَامِضًا،
أَيُّهَا البَحرُ الذِي سَأُبحِر فِيه لِتَوِّي، تَعَالَ أَخبِرنِي،
أَخبِرنِي إِلَى أَين أَنطَلِق، أَخبِرنِي بِوجهَتِي.

أَفهَم عَذَابَك، لَكِنِّي لَا أَستَطِيعُ مَد يَدِ العَون،
أَقتَرِب، أَسمَع، أَرَى، الفَمَ الحَزِين، وَنَظرَةَ العَينَين، وَسُؤَالَك الصَّامِت،
أَينَمَا أَمضِي مِن السَّرِير أَستَلقِي، فَتَعَالَ أَخبِرنِي؛
وَعَجُوزًا، مفزُوعًا، غَامِضًا– يَستَنجِدُ بِي صَوتُ امرَأَةٍ شَابَّة، طَلَبًا لَلرَّاحَة؛
وَصَوتُ رَجُلٍ شَاب، *أَلَن أَهرُب؟*

كأن شبحًا رَبَّت عليّ

كأَنَّ شَبَحًا رَبَّتَ عَلَيَّ،
ظَنَنتُ أَنَّنِي لَم أَكُن وَحدِي أَتَمَشَّى هُنَا عَلَى الشَّاطِئ؛
لَكِن مَن ظَنَنتُه مَعِي وَأَنَا الآنَ أَتَمَشَّى عَلَى الشَّاطِئ، مَن أَحبَبتُ تَربِيتَتَه عَلَيَّ،
فِيمَا كُنتُ أَنحَنِي وَأَنظُر خِلَالَ الضَّوءِ الوَامِض، تَلَاشَى هَذَا الوَاحِدُ تَمَامًا،
وَبَدَا أُولَئك كَارِهِين لِي وَيَسخَرُون مِنِّي.

ضَمانَــات

لَا أُرِيدُ ضَمَانَات، فَأَنَا رَجُلٌ مَشغُولُ البَالِ بِرُوحِه؛

لَا أَشُك فِي أَن أَسفَل القَدَمين وَبِجِوَارِ اليَدَين وَالوَجهِ المعرُوفِ بِهِـم، هُنَـاكَ الآنَ وُجُـوهٌ مُتَطَلِّعَةٌ لَا أَعرِفُهَا، وُجُوهٌ هَادئَةٌ فِعلِيَّة،

لَا أَشُك فِي أَن أُبَّهَةَ العَالَم وَجَمَالَه كَامِنَان فِي أَيَّةِ ذَرَّةٍ مِن العَالَم،

لَا أَشُك فِي أَنَّنِي لَا مَحدُود، وَأَن الأَكوَانَ لَا مَحدُودَة، وَسُدًى أُحَاوِلُ التَّفكِيرَ فِي كَم هُو اللَامَحدُود،

لَا أَشُك فِي أَن الأجرَامَ وَأَنظِمَةَ الأجرَامِ تَلعَبُ رِيَاضَاتِهَا الرَّشِيقَةَ خِلَالَ الهَوَاء عَن وَعي، وَفِي أَنَّنِي ذَاتَ يَومٍ سَأكُون جَدِيرًا بِالقِيَامِ بِالكَثِيرِ مِثلَهُم، وَأَكثَر مِنهُم،

لَا أَشُك فِي أَنَّ الأُمُورَ المؤَقَّتَةَ سَتَتَوَاصَل وَتَتَوَاصَل لِمَلَايِين السِّنِين،

لَا أَشُك فِي أَن كُلَّ دَاخِلِي لَه دَاخِلُه، وَكُلَّ خَارِجِي لَه خَارِجُه، وَأَن البَصَرَ لَه بَصَرٌ آخَر، وَالسَّمعَ لَه سَمعٌ آخَر، وَالصَّوتَ لَه صَوتٌ آخَر،

لَا أَشُك فِي أَن المِيتَاتِ الفَاجِعَةَ لِلشُّبَّان مَقدُورَة، وَأَن مِيتَاتِ النِّسَاءِ الشَّابَّاتِ وَمِيتَاتِ الأَطفَالِ مَقدُورَة،

(فَهَل ظَنَنتَ أَن الحَيَاةَ كَانَت مَقدُورَةً، فِيمَا **المَوتُ**، مَخرَجُ كُل حَيَاةٍ، لَـم يَكُـن بِالمِثـلِ مَقدُورًا؟)

لَا أَشُك فِي أَن الحُطَامَ فِي البَحر، بِصَرفِ النَّظَرِ عَن فَظَائِعِـه، وَعَـن الزَّوجَـةِ، وَالطِّفـلِ، وَالزَّوجِ، وَالأبِ، وَالعَاشِقِ، الذِين غَرِقُوا، مَقدُورٌ، حَتَّى أَدَق التَّفَاصِيل،

لَا أَشُك فِي أَن أَيًّا كَان مَا يُمكِن أَن يَحدُثَ فِي أَي مَكَانٍ فِي أَيِّ زَمَانٍ، هُو مَقـدُورٌ مِـن أَجلِ تَرَابُطَاتِ الأَشيَاء،

وَلَا أَظُن أَن الحَيَاةَ مَقدُورَةٌ لِلجَمِيع وَلِلزَّمَانِ وَالمكَان، لَكِنِّي مُؤمِنٌ بأَن الموتَ السَّمَاوِي مَقدُورٌ عَلَى الجَمِيع.

سَنواتُ الرِّمال المتحركَة

يَا سَنَوَات الرِّمَالِ المتحَرِّكَةِ التِي تَأخُذُنِي فِي دَوَّامَتِهَا لَا أَدرِي إِلَى أَين،
خُطَطُك، وَسِيَاسَتُك، وَفَشَلُك، وَخُطوطُكِ تَتَرَاجَع، وَالمَوَاد تَسخَرُ مِنِّي وَتُضَلِّلُنِي،
وَحدَهَا الفِكرَةُ التِي أُغَنِّيهَا، الرُّوحُ العَظِيمَةُ المشغُوفَة، لَا تُضَلِّلُنِي،
وَذَاتُ المَرءِ لَا يَنبَغِي أَبَدًا أَن تَستَسلِم- ذَلِك هُو الجَوهَرُ الأخِير- ذَلِكَ أَكِيدٌ بِصَرفِ النَّظَر عَن كُل شَيء،
فَخَارِجَ السِّيَاسَةِ، وَالانتِصَارَات، وَالمعَارِك، وَالحيَاةِ، مَا الذِي يَبقَى أَخِيرًا فِي النِّهَايَة؟
حِين تَنفَضُّ العُرُوضُ مَا المُؤَكَّدُ سِوَى ذَاتِ المَرء؟

تلكَ الموسيقَى دائمًا حَولي

تِلكَ الموسِيقَى دَائِمًا حَولِي، بِلَا انتِهَاءٍ، بِلَا ابتِدَاء، لَكِنِّي جَهلتُ طَوِيلًا أَنَّنِي لَا أَسمَع،
لَكِنِّي أَسمَعُ الجُوقَةَ الآن وَأَنَا مُبتَهِج،
أَسمَعُ صَوتَ تِينُور قَوِي يَصَّاعَد بِقُوَّةٍ وَعَافِيَةٍ، مَعَ نَغمَاتٍ سَعِيدَةٍ لِلشُّرُوق،
وَسُوبرَانُو تُبحِر عَلَى فَتَرَاتٍ بِبَهجَةٍ فَوقَ ذُرَى الأَموَاجِ الهَائِلَة،
وَخَلفِيَّةٌ شَفَّافَةٌ تَرتَعِش بِصُورَةٍ فَاتِنَةٍ تَحتَ وَخِلَالَ الكَون،
وَجَمِيع الأَصوَاتِ المتَهَلِّلَة، وعَوِيل الجِنَازَة مَع نَايَاتٍ وَكَمَانَاتٍ عَذبَة، بِكُل هَؤلَاءِ أُفعِم ذَاتِي،
لَا أَسمَع دَرَجَاتِ الصَّوتِ فَحَسب، بَل أَنفَعِل بِالمعَانِي الفَاتِنَة،
أُنصِتُ إِلَى الأَصوَاتِ المختَلِفَةِ تَدُور دَاخِلَةً وَخَارِجَةً، مُكَافِحَةً، سَاعِيَةً بِقُوةٍ نَارِيَّةٍ إِلَى تَجَاوزِ بَعضِهَا البَعضِ فِي الشُّعُور؛
لَا أَظُن أَن العَازِفِين يَعرِفُون أَنفُسَهُم– لَكِنِّي الآن أَظُن أَنَّنِي أَبدَأ فِي مَعرِفَتِهِم.

ما الذي أربَـك السفينة في البحر

مَا الذِي أربَكَ السَّفِينَةَ فِي البَحر عَن أَن تُدِيرَ دَفَّتَهَا نَحوَ الحسَابِ الصَّحِيح؟
أَو تَدخُلَ، لِتَتَفَادَى القُضبَان وَتَتبَعَ المجرَى الذِي يَحتَاجُ إلَيه قُبطَانٌ بَارِع؟
هُنَا، أَيُّهَا البَحَّار! هُنَا، أَيَّتُهَا السَّفِينَة! انطَلِق إِلَى مَتنِهَا أَيُّهَا القُبطَانُ الأبرَع،
يَا مَن– وَهو فِي قَارِبٍ صَغِير، يُغَادِر وُيجَذِّف– أُقَدِّم لَك التَّحِيَّة.

عنكبـوتٌ صبُور بلا صوت

عَنكَبُوتٌ صَبُورٌ بِلَا صَوت،
لَمَحتُه حَيثُ كَانَ يَقِفُ مَعزُولًا عَلَى نتُوءِ الجَبَلِ البَحرِي،
لَمَحتُ كَيفَ يَستَكشِفُ المحِيطَ الشَّاسِعَ الخَاوِي،
انطَلَقَ قُدُمًا خَيطًا، فَخَيطًا، فَخَيطًا، خَارِجًا مِن نَفسِه،
يَكِرُّهَا أَبَدًا، يُطلِقُهَا بِسُرعَةٍ بِلَا كَلَلٍ أَبَدًا.

وَأَنتِ يَا رُوحِي حَيثُ تَقِفِين،
مُحَاطَةً، مَعزُولَةً، فِي مُحِيطَاتٍ بِلَا نَظِيرٍ مِن فَضَاء،
مُتَأَمِّلَةً بِلَا انتِهَاءٍ، مُغَامِرَةً، مُلقِيَةً، بَاحِثَةً عَن الأفلَاكِ لِتَربِطِي بَينَهَا،
إِلَى أَن يَتَشَكَّلَ الجِسرُ الذِي تُرِيدِين، إِلَى أَن يَعلَقَ الهِلبُ اللَّدن،
إِلَى أَن يَعلَق خَيطُ لُعَابِ الشَّمسِ الذِي تُخرِجِينَه بِشَيءٍ مَا، يَا رُوحِي.

أيها الأحياء دائمًا، دائمًا تموتون

أَيُّهَا الأحيَاءُ دَائِمًا، دَائِمًا تَمُوتُون!
يَا جنَازَاتِي المَاضِيَةَ وَالرَّاهِنَة،
يَا لِي فِيمَا أَخطُو إِلَى الأمَام، مَحسُوسًا، مَرئِيًّا، مهِيبًا كَمَا دَائِمًا؛
يَا لِي، مَا كُنتُه لِسَنَوَاتٍ، الآنَ مَيِّت (لَا أَنُوح، رَاضٍ أَنَا)؛
آهِ لَو أُخَلِّصُ نَفسِي مِن جُثَثِي هَذِه، التِي أَستَدِيرُ وَأَنظُر إِلَى حَيثُ رَمَيتُ بِهَا،
لَأعبُر (أَيُّهَا الأحيَاء! الأحيَاءُ دَائِمًا!) وَأَترُكَ الجُثَثَ وَرَائِي.

إِلَى واحدٍ سيموت قريبًا

مِن كُل البَاقِينَ التَقَطتُك، وَمَعِي رِسَالَةٌ لَك،
فَأَنت سَتَمُوت- فَدَعِ الآخَرِين يُخبِرُونَك بِمَا يسُرُّهُم، لَا يُمكِنُنِي المرَاوَغَة،
فَأَنَا مُبَاشِرٌ بِلَا رَحمَة، لَكِنِّي أُحِبُّك- وَلَا مَهرَبَ لَك.

بِرِقَّةٍ أَضَع يَدِي اليُمنَى عَلَيك، فَتُحِسُّ بِهَا بِالكَاد،
لَا أُجَادِل، أُحنِي رَأسِي وَأَكَادُ أَحتَوِيهَا،
أَجلِسُ بِهُدُوءٍ بِجَانِبِك، أَظَل مُخلِصًا،
أَنَا أَكثَر مِن مُمَرِّضَة، أَكثَر مِن أَبٍ أَو جَار،
أُعفِيكَ مِن كُل شَيءٍ عَدَا ذَاتِك الرُّوحِيَّة المتَجَسِّدَة، فَهي أَبَدِيَّة، وَأَنتَ ذَاتُك سَتَهرُبُ بِالتَّأكِيد،
وَالجُثمَانُ الذِي سَتَترُكُه لَن يَكُون سِوَى بُرَاز.

الشَّمسُ تَتَفَجَّر فِي اتِّجَاهَاتٍ غَير مَنظُورَة،
وَأَفكَارٌ قَوِيَّةٌ وَثِقَةٌ تُفعِمُك، فَتَبتَسِم،
تَنسَى أَنَّكَ مَرِيض، مِثلَمَا أَنسَى أَنَّكَ مَرِيض،
فَأَنتَ لَا تَرَى الأدوِيَة، لَا تَهتَم بِالأَصدِقَاءِ المنتَحِبِين، وَأَنَا مَعَك،
أَستَبعِدُ الآخَرِين عَنك، فَلَا شَيءَ يُرثَى لَه،
لَا أَرثِيك، بَل أُهَنِّئُك.

لَيـلةٌ في البـرَاري

لَيلَةٌ فِي البَرَارِي،
العَشَاءُ انتَهَى، وَالنَّارُ عَلَى الأرض تَتَّقِد خَفِيضَة،
المَهَاجِرُون المُرهَقُون يَنَامُون، مَلفُوفِين فِي بَطَاطِينِهِم؛
أَتَمَشَّى وَحدِي- أَقِفُ وَأَنظُر إِلَى النُّجُوم، التِي أَظُن الآنَ أَنَّنِي لَم أُدرِكهَا مِن قَبل أَبَدًا.

الآن أَتَشَرَّبُ الخُلُودَ وَالسَّلَام،
أُعجَبُ بِالموتِ وَأَختَبِر الافتِرَاضَات.

كَم هِي غَزِيرَة! كَم هِي رُوحِيَّة! كَم هِي مُكَثَّفَة!
نَفسُ الرَّجُلِ العَجُوز وَالرُّوح- نَفسُ الطُّمُوحَاتِ القَدِيمَة، وَنَفسُ الرِّضَاء.

كُنتُ أَظُن أَنَّ النَّهَارَ أَكثَر رَوعَةً إِلَى أَن رَأَيتُ مَا قَدَّمَه نَفيُ النَّهَار،
كُنتُ أَظُن أَن هَذَا الكَوكَبَ كَافٍ إِلَى أَن انبَثَقَت بِلَا صَوتٍ حَولِي آلَافُ الكَوَاكِب الأُخرَى.

الآن فِيمَا تُفعِمُنِي الأفكَارُ العَظِيمَةُ عَن الفَضَاءِ وَالأَبدِيَّةِ سَأَقِيسُ نَفسِي بِهَا،
وَالآن إِذ مَسَّتنِي حَيَوَاتُ الكَوَاكِبِ الأُخرَى التِي جَاءَت بِقَدرِ حَيَوَاتِ الأرض،

أَو فِي انتِظَارِ مَجِيئِهَا، أَو مَرَّت أَبعَدَ مِن حَيَوَاتِ الأرض،
لَم أَعُد أَجهَلهَا مِن الآن بِأَكثَر مِمَّا أَجهَل حَيَاتِي،
أَو حَيَوَاتِ الأَرض التِي جَاءَت شَأن حَيَاتِي، أَو فِي انتِظَارِ مَجِيئِهَا.

آهِ إِنَّنِي أَرَى الآنَ أَن الحَيَاةَ لَا يُمكِنُهَا أَن تُقَدِّم لِي كُلَّ شَيءٍ، مِثلَمَا لَا يُمكِن لِلنَّهَار،
وَأَن عَلَيَّ انتِظَارَ مَا سَيُقَدِّمُه الموت.

فِكـــرَة

فِيمَا أَجلِس مَع آخَرِين فِي وَلِيمَةٍ عَظِيمَة،
فَجأَةً خِلَالَ عَزفِ الموسِيقَى،
بَدَا لِعَقلِي (لَا أَدرِي مَتَى يَأتِي) مَا يُشبِه شَبَحًا فِي ضَبَابِ حُطَامٍ فِي البَحر،
لِسُفُنٍ مَا، كَيفَ أَبحَروا مِن المينَاءِ بِبَوَاخِر مُسرِعَةٍ وَقُبلَاتٍ مُتَطَايِرَة، وَذَلِكَ آخَر بَقَايَاهُم،
بَقَايَا السِّر الضَّبَابِي المهيبِ عَن مَصِير الرَّئِيس،
وَزَهرَةِ عِلمِ البَحرِيَّة لِخَمسِين جِيلًا التِي غَرقَت خَارِجَ الشَّاطِئِ الشَّمَالِي وَغَاصَت- وَبَاخِرَةِ القُطبِ الشَّمَالِي الغَرِيقَة،
وَاللَّوحَةِ المحجُوبَة- لِنِسَاءٍ تَجَمَّعنَ مَعًا عَلَى السَّطح، شَاحِبَاتٍ، بُطُولِيَّات، فِي انتِظَارِ اللَّحظَةِ المقتَرِبَةِ حَثِيثًا- يَا لَلَّحظَة!
شَهقَةٌ هَائِلَة- بِضعُ فَقَاقِيع- وَالزَّبَدُ الأبيَض يَتَدَفَّقُ مُصَّاعِدًا- وَآنَئِذٍ ذَهَبَت النِّسوَة، غَرِيقَاتٍ هُنَاك فِيمَا يَنسَابُ المَاءُ بِلَا انفِعَال- وَأَنَا الآن أُفَكِّر، هَل ذَهَبت هَؤلَاءِ النِّسوَةُ حَقًّا؟
هَل غَرقَت الأروَاحُ وَتَحَطَّمَت هَكَذا؟
هَل المَادَّةُ وَحدَهَا هِي المُنتَصِرَة؟

الابتهَـال الأخيـر

فِي النِّهَايَة، بِرِقَّة،
مِن جُدرَانِ المنزِل القَوِي المحَصَّن،
مِن قَبضَةِ المغَالِيقِ المعقُودَة، مِن وَاقِي الأبوَابِ مُحكَمَةِ الإِغلَاق،
دَعنِي أَنطَلِق.

دَعنِي أَنسَل بِلَا صَوتٍ قُدُمًا؛
بِمفتَاحِ النُّعُومَةِ أَفتَح المغَالِيق- بِهَمسَة،
فَلتَفتَحِي الأبوَابَ أَيَّتُهَا الرُّوح.

بِرِقَّة- بِلَا عَجَلَة،
(قَوِيَّةٌ قَبضَتُك أَيُّهَا الجَسَدُ الفَانِي،
قَوِيَّةٌ قَبضَتُك أَيُّهَا الحُب).

حين شهدتُ الفلّاح يحرُث

حِين شَهِدتُ الفَلَاح يَحرُث،
أَو البَاذِر يَبذُرُ الحُقُول، أَو الحَاصِدَ يَحصُد،
رَأَيتُ هُنَاكَ أَيضًا، أَيَّتُهَا الحَيَاةُ وَالموت، نَظَائِرَكمَا؛
(الحَيَاةُ، الحَيَاةُ هِي الفِلَاحَة، وَالموتُ هُو الحَصَاد بِالتَّالِي).

متأمِّــلًا ومتلعثمًــا

مُتَأمِّــلًا وَمُتَلَعثِمًا،
أَكتُب كَلمَةَ المَيِّت،
فَالحَي هُو الميتَ،
(الحَي الوَحِيد بِالمصَادَفَة، الوَاقِعِي الوَحِيد،
وَأَنَا الطَّيفُ، أَنَا الشَّبَح).

أيتها الأُم بِأبنائك المتسَاوِين

[1]

أَيَّتُهَا الأُم بِأَبنَائِكِ المتَساوِين،
أَنتِ السِّلسِلَةُ المُتَنوِّعَةُ لِولَايَاتٍ مُختَلِفَة، لَكِن بِهَوِيَّةٍ وَاحِدَة،
سَأُغَنِّي أُغنِيَةً خَاصَّةً عَن البَاقِين جَمِيعًا قَبلَ أَن أَمضِي،
لَكِ، وَلِلمُستَقبَل.

سَأبذُرُ بِذرَةً لَكِ لِـقَومِيَّةٍ بِلَا نِهَايَة،
سَأصُوغُ مَجمُوعَكِ شَامِلًا الجَسَدَ وَالرُّوح،
سَأَكشِف وِحدَتَـكِ الحَقِيقِيَّةَ، وَكَيفَ أَمكَن لَهَا أَن تَتَحَقَّق.

الممَرَّات إِلَى المنزِلِ أَسعَى لِصُنعِهَا،
لَكِنِّي أَترُكُ لِهَؤُلَاءِ القَادِمِين المنزِلَ نَفسَه.

أُغَنِّي الإِيمَان، وَالاستِعدَاد؛
وَمِثلَمَا الحَيَاةُ وَالطَّبِيعَةُ لَيسَتَا عَظِيمَتَين بِعِلَاقَتِهِمَا بِالحَاضِر فَحَسب،
بَل أَعظَم بِالنِّسبَةِ لِمَا سَيَأتِي،
فَانطِلَاقًا مِن هَذِه الصِّيغَة أُغَنِّي لَك.

[2]

كَطَائِر قَوِي بِقَوَادِم حُرَّة،
فَرِحٍ، يَشُق الفَضَاءَات الأوسَع نَحوَ السَّمَاء،
هَكَذَا هِي الفِكرَةُ التِي أؤمِنُ بِهَا عَنكِ يَا أَمِيرِيكَا،
هَكَذَا هِي الأُنشُودَةُ التِي أُجِيءُ بِهَا إِلَيك.

لَن أَجِيءَ لَكِ بِأَفكَارِ شُعرَاء بُلدَانٍ أُخرَى،
وَلَا المجَامَلَاتِ التِي خَدَمَت طَوِيلًا ميُولَهُم،
وَلَا القَافِيَةَ، لَا الكلَاسِيكِيَّات، لَا رَائِحَةَ مَحكَمَةٍ أَجنَبِيَّة أَو مَكتَبَةٍ دَاخِلِيَّة؛
بَل سَأجِيء بِرَائِحَةٍ كَأَنَّمَا مِن غَابَاتِ الصُّنُوبَر فِي "مِين"، أَو أَنفَاسِ بَرَارِي "إِلِينُوي"،
مَع الهَوَاءِ الطَّلقِ لِفِرجِينيا أَو جورجيَا أَو تِينِّيسِي، أَو مِن مُرتَفَعَات تِكسَاس، أَو غَابَاتِ فلُورِيدَا،
أَو الجدوَل الأسوَد لِسَاجِيناي، أَو الرَّحَابَةِ الزَّرقَاء الشَّاسِعَة لِبُحَيرَة "هُورُون"،
مَع تَقدِيم مَشَاهِد يِلُوستُون، أَو يُوسميت،
وَالغَمغَمَةُ فِي الخَلفِيَّة، مُتَخَلِّلَةً الجمِيع، سَأجِيء بِوَشِيش صَوتِ البَحر،
الذِي يَصدُر بِلَا انتِهَاءٍ مِن **البَحرَين العَظِيمَين** لِلعَالَم.

وَمِن أَجلِ إِحسَاسِك الأرهَف سَأجِيء بِلَازمَاتٍ أَرهَف أَيَّتُهَا الأُم الرَّهِيبَة،
افتِتَاحِيَّاتٍ لِلذِّهنِ تَرصُد هَؤلَاء وَأَنت، صِيَاغَاتٍ عَقلِيَّةٍ تَلِيقُ بِك، حَقِيقِيَّةٍ وَرَصِينَةٍ وَعَظِيمَةٍ كَهَؤلَاء وَأَنت،
أَنت! الصَّاعِد للأعلَى، المتَعمِّق بِأَعمَق مِمَّا نَعرِف، أَيُّهَا **الاتِّحَادُ** المتَسَامِي!
بِك تَجِدُ الحَقِيقَةُ تَبرِيرَهَا، مُمتَزِجَةً بِالفِكر،
تَجِدُ فِكرَةُ الإِنسَانِ تَبرِيرَهَا، مُمتَزِجَةً بِالرَّب،
وَخِلَالَ فِكرَتِك، عَجَبًا، الوَاقِعُ الأَبدِي!

خِلَالَ وَاقِعِك، عَجَبًا، الفِكرَةُ الأبَدِيَّة!

[3]

يَا عَقلَ **العَالَم الجَدِيد**، أَيَّةُ مُهِمَّةٍ لَك،
لِتَصُوغَ **الحَدِيث**– انطِلَاقًا مِن العَظَمَةِ بِلَا نَظِيرٍ لِلحَدِيث،
انطِلَاقًا مِن ذَاتِك، مُحتَضِنًا العِلم، لِتُعِيدَ صِيَاغَةَ القَصَائِد، وَالكَنَائِس، وَالفَن،
(تُعِيد الصِّيَاغَة، رُبَّمَا تَنبُذُهَا، تُلغِيهَا– رُبَّمَا انتَهَى دَورُهَا، مَن يَدرِي؟)
بِالرُّؤيَةِ، وَاليَد، وَالتَّصَوُّر، عَلَى خَلفِيَّةِ المَاضِي العَظِيم، المَيِّت،
لِتَرسُمَ بِإِيمَانٍ مُطلَق الحَاضِرَ الحَيَّ العَظِيم.

وَحَتَّى الآن أَنتَ العَقلُ الحَاضِرُ الحَي، وَرِيثُ المَيِّت، عَقلِ **العَالَم القَدِيم**،
أَنتَ مَن يَرقُد مُلتَفًّا كَجَنِينٍ فِي طَيَّاتِه طَوِيلًا،
أَنتَ مَن تَهَيَّأ طَوِيلًا بِعِنَايَةٍ عَلَى يَدِه– بِالمُصَادَفَةِ لَكِنَّكَ فَضَضتَه، أَنضَجتَه فَحَسب،
لِتُفضِي بِه إِلَيك– فَجَوهَرُ الزَّمَنِ المَاضِي كَامِنٌ فِيك،
قَصَائِدُه، كَنَائِسُه، فُنُونُه، غَيرُ المَقصُودَةِ لِذَاتِهَا، التِي تَستَهدِفُك؛
وَأَنت لَستِ سِوَى التُّفَّاح، النَّامِي طَوِيلًا، طَوِيلًا، طَوِيلًا،
فَثَمرَة كُل النُّضجِ القَدِيم الآنَ فِيك.

[4]

أَبحِرِي، أَبحِرِي بِأَفضَل مَا لَدَيك، يَا سَفِينَةَ **الدِّيمُوقرَاطِيَّة**،
حُمُولَتُكِ ثَمِينَة، لَيسَت **الرَّاهِن** فَحَسب،
فَـ**المَاضِي** أَيضًا كَامِنٌ فِيك،
فَأَنتِ لَا تَحتَوِين فَحَسب مُغَامَرَتَك وَحدَهَا، وَلَا مُغَامَرَةَ القَارَّة الغَربِيَّة وَحدَهَا،

فَـخُلَاصَـة الأرض كُلهَا تَطفُو عَلَى عَارِضَتِك أَيَّتُهَا السَّفِينَة، رَاسِخَةً بِفِعلِ صَوَارِيك،
مَعَكِ يُسَافِرُ الزَّمَنُ فِي ثِقَة، وَالأُمَمُ السَّابِقَةُ تَغُوصُ أَو تَعُومُ مَعَك،
بِكُل نِضَالَاتِهَا، وَشُهَدَائِهَا، وَأَبطَالِهَا، وَمَلَاحِمِهَا، وَحُرُوبِهَا القَدِيمَة، تَحمِلِين القَارَّات الأُخرَى،
مُتَعَلِّقَاتِهَا، مُتَعَلِّقَاتِهَا شَأن مُتَعَلِّقَاتِك، وَمِينَاءُ الوِجهَة ظَافِر؛
فَلتَنطَلِق إِذَن أَيُّهَا القُبطَانُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَعَينٍ يَقِظَة، فَأَنتَ تَحمِل رِفَاقًا عُظَمَاء،
فَآسيَا الكَهنُوتِيَّةُ المهِيبَةُ تُبحِر اليَومَ مَعَك،
وَأُورُوبَّا المَلَكِيَّةُ الإِقطَاعِيَّةُ تُبحِر مَعَك.

[5]

عَالَمٌ جَمِيلٌ لِمِيلَادٍ رَائِع جَدِيد يَنبَثِق أَمَامَ عَينَي،
كَغَيمَةٍ ذَهَبِيَّةٍ بِلَا حُدُودٍ تَملأُ السَّمَاءَ الغَربِيَّة،
وَشِعَارُ أُمُومَةٍ عَامَّة ارتَفَع فَوقَ الجَمِيع،
شَكلٌ مُقَدَّس لِمُنجِبَةِ البَنَاتِ وَالأَبنَاء،
مِن رَحِمِكِ الوَلُودِ يَخرُج أَطفَالٌ عَمَالِقَةٌ فِي مَوكِبٍ لَا نِهَائِي،
مُتَوَافِدِين مِن هَذَا الحَمْل، مُستمَدِّين وَمَانِحِين قُوَّةً وَحَيَاة،
عَالَمُ الحَقِيقِي– عَالَمُ التَّوأَم فِي وَاحِد،
عَالَمُ الرُّوح، المولُودُ مِن عَالَمِ الحَقِيقِي وَحدَه، مُنتَهِيًا بِفِعلِه وَحدَه إِلَى الكَينُونَة، وَالجَسَد،
لَكِن فِي البِدَايَةِ وَحدَهَا، كِمِّيَّاتٌ بِلَا حَصر مِن المَوَاد الثَّمِينَةِ المرَكَّبَة،
بِفِعلِ دَوَائِر التَّارِيخ الأَمَامِيَّة، بِفِعلِ كُل أُمَّة، وَلُغَة، أُرسِلَت إِلَى هُنَا،
جَاهِزَةً، مُتَجَمِّعَةً هُنَا، فِي عَالَم أَكثَر حُرِّيَّة، شَاسِع، مُثِير، لِتُبنَى هُنَا،
(العَالَم الجَدِيدُ الحَقِيقِي، عَالَمُ العِلم الفَلَكِي، وَالأَخلَاقِيَّات، وَالآدَاب القَادِمَة)،
أَيُّهَا العَالَم الرَّائِع لَكِن غَير المحَدَّد، غَير المتَشَكِّل، لَن أُحَدِّدَك،

فَكَيفَ يُمكِن لِي اختِرَاقُ العَمَاءِ العَصِيِّ لِلمُستَقبَل؟
أُحِسُّ أَن عَظَمَتَكَ المشئُومَةَ شَر بِقَدرِ مَا هِي خَير،
وَأُرَاقِبُك تَتَقَدَّم، تَمتَص الحَاضِر، مُتَجَاوِزًا المَاضِي،
أَرَى نُورَكَ يُنِير، وَظِلَّكَ يُظَلِّل، كَأَنَّك المجَرَّةُ كُلهَا،
لَكِنِّي لَا أَقُومُ بِتَحدِيدِك، بِالكَادِ لأفهَمَك،
فَأَنَا لَستُ سِوَى اسمِك، نُبُوءَتِك، كَمَا الآن،
إِنَّنِي فَحَسب أَهتِفُ بِك!

أَنتِ فِي المستَقبَل،
أَنتِ فِي حَيَاتِك الدَّائِمَةِ فَحَسب، وَعَمَلِك، وعَقلِك المتَحَرِّر، وَرُوحِكَ المحَلِّقَة،
أَنتِ كَشَمسٍ أُخرَى ضَرُورِيَّة، مُشِعَّة، مُتَوَهجَة، سَرِيعَة الحَرَكَة، مُثمِرَةً لِلكُل،
أَنتِ المنبَثِقةُ فِي فَرَحٍ وَابتِهَاجٍ عَارِمَين، فِي مَرَحٍ عَظِيم بِلَا انتِهَاء،
مُبَعثِرةً إِلَى الأَبَد الغَيمَةَ المُعَلَّقَةَ طَوِيلًا، التِي أَثقلَت طَوِيلًا عَقلَ الإِنسَان،
الشَّك، الارتِيَاب، الخَوف، مِن انحِلَالٍ تَدرِيجِيٍّ مَا لِلإِنسَان؛
أَنتِ فِي نَسلِك الأَكبَر، الأعقَل من النِّسَاءِ وَالرِّجَال– أَنتِ فِي رِيَاضِيِّيك، وَأَخلَاقِك، وَرُوحِيَّتِك، وَجَنُوبِك، وَشَمَالِك، وَغَربِك، وَشَرقِك،
(إِلَى صُدُورِكِ الخَالِدَة، يَا أُمَّ الجَمِيع، كُل ابنَةٍ وابنٍ مُحَبَّبِين عَلَى السَّوَاء، أنداد أَبَدًا)،
أَنتِ فِي مُوسِيقِيِّيك، وَمُغَنِّيك، وَفَنَّانِيك، مَن لَم يُولَدُوا بَعد، لَكِنَّهُم مُؤَكَّدُون،
أَنتِ فِي حَضَارَتِكِ وَثَروَتِكِ الأَخلَاقِيَّة (التِي بِدُونِهَا تَظَل حَضَارَتُك المَادِّيَّة الشَّامِخَةُ سُدًى بِالتَّأكِيد)،
أَنتِ فِي عِبَادَةٍ مُشبِعَةٍ لِلجَمِيع، مُحتَضِنَةٍ لِلجَمِيع– فَأَنتِ خَارِج أَي إِنجِيل، وَمُخَلِّص، تَمامًا،
فَمُخَلِّصُوكِ بِلَا حَصر، كَامِنُون فِي ذَاتِك، وَأَنَاجِيلُك مُتَوَاصِلَةٌ دَاخِلَك، مُسَاوِيَةٌ لأيِّ إِنجِيل، سَمَاوِيَّة كَأَي وَاحِد،

(مَسَارُك المُحَلِّق يَصُوغُك، لَا بِحَربَيكِ العَظِيمَتَين، وَلَا بِالنُّمُو المَرئِي لِقَرنِك،
بَل أَبعَد بِكَثِير فِي أَورَاقِ العُشبِ وَالأنَاشِيد هَذِه، أَنَاشِيدِك، أَيَّتُهَا الأُم العَظِيمَة!)
أَنتِ (كَامِنَةٌ) فِي تَعلِيمٍ نَبَع مِنك، فِي مُعَلِّمِين، وَدِرَاسَات، وَطُلَاب، وُلِدُوا مِنك،
أَنتِ فِي احتِفَالَاتِك الجَمَاهِيرِيَّةِ الدِّيمُوقرَاطِيَّة، وَمهرَجَانَاتِك، وأُوبرَاتِك، وَمُحَاضَرَاتِك،
وَصَلوَاتِك الأَصِيلَة الرَّفِيعَة،
أَنتِ فِي تَحذِيرِك (الآنَ فَحَسب اكتَمَلَت الاستِعدَادَاتُ، وَالصَّرحُ مَعقُودٌ عَلَى أُسُسٍ رَاسِخَة)،
أَنت فِي ذُرَاكِ، وَذِهنِك، وَفِكرِك، وَمَبَاهِجِك الرَّصِينَةِ القُصوَى، وَحُبِّك وَطمُوحِك الإِلَهِي،
فِي أُدبَائِك الرَّائِعِين القَادِمِين، وَخُطَبَائِك المُفَوَّهِين، وَمُنشِدِيك الكَهَنَة، وَعُلَمَائِك الكَونِيِّين،
هَؤُلَاء! هَؤُلَاءِ فِيك (مُؤَكَّدٌ أَنَّهُم قَادِمُون)، اليَومَ كَمَا أَتَنَبَّأ.

[6]

الأَرضُ تَتَسَامَح مَعَ الجَمِيع، تَقبَلُ بِالجَمِيع، لَا مِن أَجلِ الخَيرِ وَحدَه، فَكُل الخَيرِ لَك،
فَالأَرضُ فِي مَملَكَةِ الرَّب لِتَكُون مَملَكَةً لَك،
تَحتَ حُكم الرَّب لِتَكُونَ تَحتَ ذَاتِك.

(عَجَبًا، حَيث تُشرِقُ ثَلَاثُ نَجَمَاتٍ بِلَا مَثِيل،
لِتَكُون نُجُومَك الوَلِيدَةَ يَا وَطَنِي، **المَجمُوع، التَّطَوُّر، الحُرِّيَّة**،
رَاسِخَةً فِي سَمَاء **القَانُون**).

أَرضُ الإِيمَانِ غَيرِ المسبُوق، إِيمَانِ الرَّب،
تُربَتُك، أَعمَاقُ تُربَتِك، حُرِثَت كُلُّهَا،

وَالأَرضُ العَامَّةُ الدَّاخِلِيَّة التِي تَغَطَّت بِاضطِرَادٍ مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد، لِمَاذَا تَستَلقِي بِجُرأةٍ عَارِيَةً هُنَا الآن،

مَفتُوحَةً بِكِ لِضَوءِ السَّمَاءِ بَحثًا عَن فَائِدَة أَو شَقَاء.

لَا مِن أَجلِ النَّجَاحِ وَحدَه،

لَا لِتُبحِرِ بِصُورَةٍ مُوَاتِيَةٍ دَائِمًا بِلَا انقِطَاع،

سَتَلطِمُ العَاصِفَةُ وَجهَك، وَظُلمَةُ الحَربِ وَالأَسوَأ مِن الحَرب سَتُغمُرُكِ كُلَّك،

(فَهَل أَنتِ قَادِرَةٌ عَلَى الحَرب، عَلَى تَحَدِّيَاتِهَا وَبَلَايَاهَا؟ فَلتَكُونِي قَادِرَةً عَلَى السَّلَام، وَبَلَايَاه،

فَالتَّحَدِّيَاتُ وَالعَنَاءُ المِمِيتُ للأُمَم يَأتِيَان فِي النِّهَايَة بِسَلَامٍ مُزدَهِر، لَا بِحَرب)؛

وَفِي كَثِيرٍ مِن الأَقنِعَةِ المُبتَسِمَة سَيَقتَرِبُ الموتُ مُخَادِعًا لَك، وَفِي مَرَضِك سَتَتَصَبَّبِين عَرَقًا،

وَيَنشُر السَّرطَانُ مَخَالِبَه البَشِعَةَ، يُنشِبُهَا فِي ثَديَيك، بَحثًا عَن ضَربِكِ فِي العُمق،

وَاستِنزَافُ الأَسوَأ، الاستِنزَافُ الرُّوحِي، سَيُضَرِّجُ وَجهَك بِالحُمَّى،

لَكِنَّك سَتُوَاجِهِين أَقدَارَك، وَأَمرَاضَك، وَتَتَجَاوَزِينَهَا جَمِيعًا،

أَيًّا مَا كَانَت اليَومَ وَأَيًّا مَا قَد تَكُون عَبرَ الزَّمَن،

فَكُلٌّ مِنهَا وَجَمِيعًا سَيَنتَهُون وَيَعبُرُون وَيَكُفُّون عَنك،

فِيمَا أَنتِ، كَلَوَالِبِ الزَّمَنِ الدَّوَّارَة، مُنطَلِقَةً مِن ذَاتِك، مَا تَزَالُ ذَاتُك تُحَرِّر، وَتصهِر،

أَنت اتِّحَادٌ مضطَرِد، طَبِيعِي، وَرُوحِي (يَمتَزِج فِيه الفَانِي وَالخَالِد)،

سَتُحَلِّقِين نَحوَ تَحقِيقِ المستقبَل، وَرُوحِ الجَسَدِ وَالعَقل،

الرُّوح، وَمصَائِرهَا.

الرُّوح، وَمَصَائِرُهَا، الحَقِيقَةُ الحَقِيقِيَّة،

(مَخرَجُ كُل تَجَلِّيَاتِ الحقِيقِي هَذِه)؛

فِيكِ يَا أَمِيرِيكَا، الرُّوحُ، وَمَصَائِرُهَا،
أَنتِ كَوكَبُ الكَوَاكِبِ! أَنتِ الأُعجُوبَةُ الغَائِمَةِ!
بِمَخَاضَاتِ الحَرَارَةِ وَالبُرُودَةِ المتَشَنِّجَة (بِهَا تَشتَدِّين)،
أَنتِ الكَوكَبُ الرُّوحِي، العَقلِي – أَنت عَالَمٌ أَخلَاقِي، جَدِيدٌ، فِعلاً جَدِيد!
الحَاضِرُ لَا يَعُوقُك – عَن نَمَاءٍ شَاسِعٍ كَنَمَائِك،
عَن تَحلِيقٍ بِلَا نَظِيرٍ كَتَحلِيقِك، وَأَبنَاءٍ كَأَبنَائِك،
فَالمستَقبَل وَحدَه يَحتَوِيكِ وَيُمكِنُه أَن يَحتَوِيك.

صُـورة من بُومَانُـوك

قَاربَان مَع الشِّبَاكِ يَستَلقُون خَارِجَ الشَّاطِئ، فِي سُكُون تَام،

وَعَشرَةُ صَيَّادِين يَنتَظِرُون- يَكتَشِفُون سِربًا كَثِيفًا مِن أَسمَاكِ المُوسبُونكَر- يَرمُون في المَاء بِأَطرَافِ الشَّبَكَةِ المتَّصِلَة،

تَنفَصِلُ القَوَارِب وَتَصطَف بَعِيدًا، كُل مِنهَا فِي مَسَارِهِ الدَّائِرِي إِلَى الشَّاطِئ، مُحكِمِين الشِّبَاك عَلَى المُوسبُونكَر،

تُسحَب الشَّبَكَة بِرَافِعَةٍ مِمَّن وَقَفُوا عَلَى الشَّاطِئ،

بَعضُ الصَّيَادِين يَستَرِيحُون فِي قَوَارِبِهِم، وَآخَرُون يَقِفُون وَكَوَاحِلُهُم فِي المَاءِ، مُحَافِظِين عَلَى تَوَازُنِهِم بِسِيقَانٍ قَوِيَّة،

سُحِبت القَوَارِب جُزئِيًّا، وَالمَاءُ يَتَلَاطَم عَلَيهَا،

مُتَنَاثِرَةً عَلَى الرِّمَال فِي كَومَاتٍ وَأَكدَاس، خَارِجَ المَاء، أَسمَاكُ المُوسبُونكَر خَضرَاءُ الظَّهر المبَرقَشَة.

من الظَّهيــرة
إلى اللَّيل المرصَّـع بالنُّجوم

أنتِ الكوكب الباهِر في الأعَالي

أَنتِ الكَوكَبُ البَاهِرُ فِي الأعَالِي! أَنتِ ظَهِيرَةُ أُكتُوبَر الحَارَّة!
تَفِيضِين بِالضَّوءِ اللَّامِع عَلَى رَملِ الشَّاطِئِ الرَّمَادِي،
وَالصَّفِيرِ قُربَ البَحرِ مَع آفَاقٍ بَعِيدَةٍ وَزَبَد،
وَأَشرِطَةٍ سَمرَاءَ مُصفَرَّة وَظِلَالٍ وَزُرقَةٍ مُنتَشِرَة؛
يَا شَمسَ الظَّهِيرَة المتَأَلِّقَة! إِلَيكِ كَلِمَتِي الحَمِيمَة.

فَاسمَعِينِي أَيَّتُهَا الشَّهِيرَة!
حَبِيبُكِ أَنَا، فَلَطَالَمَا أَحبَبتُك،
حَتَّى وَأَنَا طِفلٌ يَتَشَمَّس، ثُم صَبِيًّا سَعِيدًا وَحِيدًا عِند حَافَّةِ غَابَة، كَانَت أَشِعَّتُك المُلَامِسَةُ عَن بُعد كَافِيَة،
أَو كَرَجُلٍ نَاضِج، شَابًّا أَو عَجُوزًا، مِثلَمَا الآن أُطلِقُ إِلَيكِ ابتِهَالِي.

(لَا تَستَطِيعِين خِدَاعِي بِصَمتِك،
فَأَنَا أَعرِف كُلَّ ثِمَارِ الطَّبِيعَةِ قَبلَ الرَّجُل المنَاسِب،
فَرغمَ عَدَمِ الإِجَابَةِ بِالكَلَام، فَالسَّمَاوَاتُ، وَالأَشجَارُ، تَسمَعُ صَوتَه– وَكَذَلِكَ أَنتِ أَيَّتُهَا الشَّمس،
أَمَّا مَخَاضَاتُك، وَاضطِرَابَاتُك، الانفِجَارَاتُ وَأَلسِنَةُ النَّارِ الهَائِلَةُ المفَاجِئَة،

فَإِنَّنِي أَفهَمُهَا، أَعرِفُ هَذِهِ النِّيرَان، وَالاضطِرَابَاتِ جَيدًا.

فَأَنتِ بِالحَرَارَةِ وَالضَّوءِ المخصِبَين،
فَوقَ آلَافِ المزَارِع، فَوقَ الأَرَاضِي وَالمِيَاه شَمَالًا وَجُنُوبًا،
فَوقَ مَسَارِ الميسِيسِيبِّي اللَّانِهَائِي، فَوقَ سُهُولِ تِكسَاس المعشِبَة، وَغَابَاتِ كَنَدَا،
فَوقَ الكَوكَبِ كُلِّه الذِي يُدِيرُ وَجهَه إِلَيكِ مُشرِقَةً فِي الفَضَاء،
تَلُفِّين الكُلَّ تَمَامًا، لَا القَارَّات، وَالبِحَار فَحَسب،
مَن تَمنَحِين بِطِيبِ خَاطِرٍ الأَعنَابَ وَالأَعشَابَ وَالزُّهُورَ البَرِيَّةَ الصَّغِيرَة،
فَاسكُبِي، اسكُبِي ذَاتَك عَلَى ذَاتِي وَعَلَيَّ، بِشُعَاعٍ خَاطِفٍ فَحَسب مِن مَلَايِين مَلَايِينِك،
اختَرِقِي هَذِهِ الأَنَاشِيد.

لَا تُطلِقِي فَحَسب تَأَلُّقَكِ الرَّهِيفَ وَقُوَّتَك لِهَؤلَاء،
هَيِّئِي الأَصِيلَ اللَّاحِقَ لِي أَنَا نَفسِي– هَيِّئِي ظِلَالِي المَدِيدَة،
هَيِّئِي لَيَالِيَّ المرَصَّعَةَ بِالنُّجُوم.

وجُــوه

[1]

وَأَنَا أَذرَعُ الرَّصِيفَ الهُوَينَى، أَو أَجتَازُ- رَاكِبًا- البَلَدَ عَلَى الطَّرِيق- يَا لَلعَجَب! لِهَذِهِ الوُجُوه!

وُجُوهُ الصَّدَاقَةِ، وَالصَّرَامَةِ، وَالحَذَرِ، وَالدَّمَاثَةِ، وَالمِثَالِيَّة؛

الوَجهُ الرُّوحَانِيُّ، الصَّارِم- الوَجهُ المُرَحِّبُ دَائِمًا، العَادِيُّ، الخَيِّر،

وَجهُ غِنَاءِ المُوسِيقَى- الوُجُوهُ الكَبِيرَةُ لِلمُحَامِينَ وَالقُضَاةِ الطَّبِيعِيِّين، عَرِيضَةُ القَفَا؛

وُجُوهُ الصَّيَادِين وَصَيَّادِي الأسمَاكِ، المُنتَفِخَةُ عِندَ الحَاجِبَين- الوُجُوهُ الحَلِيقَةُ المبيَضَّةُ لِلمُوَاطِنِين الأُرثُوذُكس؛

وَجهُ الفَنَّانِ الصَّافِي، النَّابِضُ بِالحَيَاةِ، المَلهُوفُ، المُتَسَائِل؛

الوَجهُ القَبِيحُ لِرُوحٍ مَا جَمِيلَة، وَالوَجهُ الجَمِيلُ المَكرُوه أَو المُزدَرَى؛

الوُجُوهُ المُقَدَّسَةُ لِلأَطفَالِ، وَالوَجهُ المُشرِقُ لأُمِّ الأَطفَالِ الكَثِيرِين؛

وَجهُ الحَبِيبِ، وَوَجهُ الوَقَار؛

الوَجهُ الشَّبِيهُ بِوَجهِ حُلم، وَوَجهُ صَخرَةٍ سَاكِنَة؛

الوَجهُ المُنعَزِلُ عَن خَيرِهِ وَشَرِّه، وَوَجهٌ مُشَوَّه؛

صَقرٌ وَحشِيٌّ، أَمسَكَ بِجَنَاحَيهِ المِشبَك؛

حصَانٌ يُذعِنُ فِي النِّهَايَةِ لِطَوقِ وَسِكِّينِ الخَصي.

وَأَنَا أَذرَعُ الرَّصِيفَ الهُوَينَى، هَكَذَا، أَو عَابِرًا المَعَدِّيَةَ الدَّائِمَةَ، وُجوهٌ، وَوُجُوهٌ، وَوُجُوه، أَرَاهَا، وَلَا أَشكُو، وَسَعِيدٌ بِهَا جَمِيعًا.

[2]

هَل تَفتَرِضُ أَنِّي يُمكِنُ أَن أَكُونَ سَعِيدًا بِهَا جَمِيعًا، فِيمَا لَو ظَنَنتُ أَنَّهَا خَاتمَتُهُم؟

ذَلِكَ الآن وَجهٌ مُفرطُ الحُزنِ بالنِّسبَةِ لإِنسان؛
قَملَةٌ مَا دَنِيئَةٌ، تَطلُبُ الإذنَ بِالرَّحِيل- تَتَذَلَّلُ مِن أَجلِه؛
يَرَقَةٌ مَا بِأَنفِ لَبَنِي تُمَجِّدُ مَا يَسمَحُ لَهَا بِالوُصُولِ إِلَى حُفرَتِهَا.

وَهَذَا الوَجهُ خَطمُ كَلب، يَزفُرُ مِن أَجلِ النِّفَايَة؛
جُحرٌ لِلأَفَاعِي فِي هَذَا الفَم- أَسمَعُ التَّهدِيدَ الَّذِي يَصفُر.

وَهَذَا الوَجه ضَبَابٌ أَكثَرُ ثَلجِيَّةً مِن البَحرِ القُطبِي؛
بِجِبَالِه الجَلِيدِيَّةِ النَّاعِسَةِ المُتَهَادِيَةِ التِي تَسحَقُ فِي طَرِيقِهَا.

وَهَذَا وَجهٌ مِن أَعشَابٍ مَرِيرة- مُقِيئَة- بِلَا حَاجَةٍ إِلَى مُلصَقَةٍ عَلَيهَا؛
وَأَكثَرُ مَا فِي دُرجِ العَقَاقِير، لُودَانُوم[*] ، ومَطَّاط، وشَحمُ خَنزِير.

وَهَذَا الوَجهُ صَرَعٌ، لِسَانُه الأَبكَمُ يُصدِرُ صَرخَةً غَيرَ إِنسَانِيَّة،
شَرَايِينُه أَسفَلَ الرَّقَبَةِ مُنتَفِخَةٌ، وَعَينَاهُ تَتَدَحرَجَانِ إِلَى أَلَا يُرَى فِيهِمَا سِوَى البَيَاض،
أَسنَانُه تَصِر، وَكَفَّا اليَدَين مُمَزَّقَتَان بِالأَظَافِرِ المَعقُوفَة،

[*] مستحضر أفيوني.

وَيَهوِي الرَّجُلُ مُكَابِدًا وَمُزبِدًا إِلَى الأرض، فِيمَا يُمعِنُ فِي التَّأمُّل.

وَهَذَا الوَجهُ مَضرُوبٌ بِالهَوَامِّ وَالدُّود،
وَهَا هِيَ سِكِّينُ قَاتِلٍ مَا، غِمدُهَا فِي مُنتَصَفِه.

وَهَذَا الوَجهُ مَدِينٌ لِلقَندَلَفت[*] بِالأجرِ الأكثَر كَآبَة؛
بِقَرعٍ لَا يَنتَهِي لِنَاقُوسِ المَوتِ هُنَاك.

[3]

فَيَا مَلَامِحَ أَقرَانِي، هَل سَتَخدَعِينَنِي بمَسِيرَتِك المُتَغَضِّنَةِ المَهزُولَة؟
حَسَنًا، فَلَا يُمكِنُكِ خِدَاعِي.

أَرَى فَيَضَانَكِ الدَّائِرِي، الذِي لَا يُمحَى أَبدًا؛
وَأَرَى تَحتَه إِطَارَاتِ أَقنِعَتِك الجَامِحَةِ وَالدَّنِيئَة.

فَامتَدِّي وَتَلَوَّي كَمَا تَشَائِين- انحَسِي بِالمُقدِّمَات الملتفَّةِ للأسمَاكِ أَو الفِئرَان؛
فَلَن تُكبَتِي، بِالتَّأكِيدِ لَن تُكبَتِي..

رَأَيتُ وَجهَ أَكثَر البُلهَاءِ تَلطِيخًا وريَالَةً فِي المَصَحَّة؛
وَعرَفتُ- كَعَزَاءٍ لِي- مَا لَم يَعرِفُوه؛
عَرَفتُ المُوَظَّفِين الذِين أَفرَغُوا وَأَفلَسُوا أَخِي،
نَفسَ مَن يَنتَظِرُون تَنظِيفَ النِّفَايَاتِ مِن المَنزِلِ المُتَهَاوِي؛

[*] خادم كنيسة.

وَسَأَنظُرُ مِن جَدِيدٍ فِي سِجِلٍّ لِلعُصُورِ أَو اثنَين،
وَسأَلتَقِي بِالمَالِكِ الحَقِيقِي، رَائِعًا بِلَا أَذًى، وَكُلُّ بُوصَةٍ جَيدَةٌ كَمَا نَفسِي.

[4]

الرَّبُّ يَتقَدَّمُ، وَمَا يَزَالُ يَتقَدَّم؛
دَائِمًا أَمَامَه الظِّل- دَائِمًا اليَدُ المَبسُوطَةُ تُعَلِّمُ المُتكَاسِلِين.

مِن وَجهِه تَنبَثِقُ رَايَاتٌ وَأَحصِنَة- يَا لَلرَّوعَة! إِنَّنِي أَرَى مَا هُو قَادِم؛
أَرَى قُبَّعَاتِ الرُّوَّادِ المرتَفِعَة- أَرَى فِرَقَ العَدَّائِين يُنَظِّفُونَ الطَّرِيق،
وَأَسمَعُ الطُّبُولَ الظَّافِرَة.

هَذَا الوَجه قَارِبُ نَجَاة؛
وَهَذَا هُوَ الوَجه الآمِرُ المُلتَحِي، لَا يَطلُبُ مِنَ البَاقِينَ أَيَّة غَرَائِب؛
وَهَذَا الوَجهُ فَاكِهَةٌ لَهَا نُكهَة، جَاهِزَةٌ لِلأكل؛
وَهَذَا الوَجهُ لِصَبِيٍّ عَفِيٍّ أَمِينٍ هُوَ برنَامجُ كُلِّ مَا هُوَ طَيِّب.

هَذِهِ الوُجُوهُ تَحمِلُ الشَّهَادَة، نَاعِسَةً كَانَت أَم يَقِظَة؛
يَكشِفُون عَن سُلَالَتِهِم المُنتَمِيَةِ لِـ السَّيِّدِ نَفسِه.

عَن الكَلِمَةِ تَحَدَّثتُ، وَلَم أَستَثنِ أَحَدًا- الأَحمَرُ، وَالأَبيَض، وَالأَسوَدُ، جَمِيعًا مُؤَلَّهُون؛
وَفِي كُلِّ مَنزِلٍ بُوَيضَة- سَتَفقِس بَعد أَلفِ عَام.

لَا تُزعِجُنِي البُقَعُ أَو التَّصَدُّعَاتُ فِي النَّوَافِذ؛
طَوِيلًا مُكتَفِيًا يَقِفُ فِي الوَرَاء، وَيومِئُ لِي؛

أَقرَأُ الوَعد، وَفِي صَبرٍ أَنتَظِر.

هَذَا وَجهُ زَنبَقَةٍ مُكتَمِلَةِ النُّضج،
تَتَحَدَّثُ إِلَى الرَّجُلِ ذِي الفَخذَينِ الرَّشِيقَين قُربَ أَوتَادِ الحَدِيقَة،
تَعَالَ هُنَا، تَهتِفُ فِي خَجَلٍ- *تَعَالَ قُربِي، أَيُّهَا الرَّجُلُ ذُو الفَخذَينِ الرَّشِيقَين،*
قِف بِجِوَارِي إِلَى أَن أَستَنِدَ عَلَيكَ لأَعلَى مَا أَستَطِيع،
املأنِي بِالعَسَلِ الأَبيَض، وَانحَنِ لِي،
حُكَّنِي بِلِحيَتِكَ الخَشِنَة، حُكَّ صَدرِي وَكَتِفَيّ.

[5]

الوَجهُ العَجُوزُ لأُمِّ الأَطفَالِ الكَثِيرِين!
اسكُت! فَأَنَا رَاضٍ تَمَامًا.

خَامِدٌ وَمُتَأَخِّرٌ دُخَانُ صَبَاحِ اليَومِ الأَوَّل،
يَعلَقُ خَفِيضًا فَوقَ صُفُوفِ الأَشجَارِ عَلَى الشُّرفَات،
يَعلَقُ نَحِيلًا بِأَشجَارِ السَّاسَفرَاس، بِالكَرزِ البَرِّي، وَتَحتَهَا نَبَات الفُشَاغ.

رَأَيتُ النِّسَاءَ الثَّرِيَّاتِ فِي كَامِلِ ثِيَابِهِن فِي الأُمسِيَة،
سَمِعتُ مَا كَانَ المُغَنُّون يُغَنُّون آنَذَاك،
سَمِعتُ مَن انبَثَقَ فِي شَبَابٍ قُرمُزِي مِن الزَّبَدِ الأَبيَض وَزُرقَةِ المَاء.

أُلَاحِظُ امرَأَة!
تَنظُرُ خَارِجَ قُبَّعَتِهَا الكوِيكَر- وَجهُهَا أَنصَعُ وَأَجمَلُ مِنَ السَّمَاء.

تَجلِسُ فِي مِقعَدٍ وَثِير، تَحتَ الشُّرفَةِ الظَّلِيلَةِ لِلمَنزِلِ الرِّيفِي،

وَالشَّمسُ تُشرِقُ تَمَامًا عَلَى رَأسِهَا الأبيَض العَجُوز.

ثَوبُهَا البَسِيطُ مِن كِتَّانٍ مَشُوبٍ بِلَونِ القِشدَة،
حَفِيدُهَا زَرَعَ الكِتَّانَ، وحَفِيدَتُهَا غَزَلَته بِالمِغزَل وَالعَجَلَة.

هِي الشَّخصِيَّةُ المُتَنَاغِمَةُ لِلأرض،
الاكتِمَالُ الذِي لَا يُمكِنُ لِلفَلسَفَةِ أَن تَمضِي فِيمَا وَرَاءَه، وَلَا تُرِيد،
أُمُّ النَّاسِ المُبَرَّأةُ مِن كُلِّ إثم.

نافخ البُـوق الغامِض

[1]

أَنصِت، فَنَافِخُ بُوقٍ مَا جَامِحٌ، مُوسِيقِيٌّ غَرِيبٌ مَا،
يُحَلِّق خَفِيًّا فِي الهَوَاء، وَيُصدِرُ اللَّيلَةَ نَغَمَاتٍ غَرِيبَةَ الأطوَار.

أَسمَعُكَ يَا نَافِخَ البُوق، مُنصِتًا فِي انتِبَاهٍ أَلتَقِطُ نَغمَاتِك،
حِينًا مُرَاقَةً، تُدَوِّم كَعَاصِفَةٍ حَولِي،
وَحِينًا خَفِيضَةً، مَكبُوحَةً، وَحِينًا ضَائِعَةً فِي البَعِيد.

[2]

فَاقتَرِب يَا مَن بِلَا جَسَد، فَفِي أَصدَائِك بِالمصَادَفَة.
مُؤَلِّفٌ مُوسِيقِيٌّ مَا مَيِّت، وَبِالمُصَادَفَةِ كَانَت حَيَاتُك المتَأَمِّلَة
مُفعَمَةً بِالطُّمُوحَاتِ الرَّفِيعَة، وَالمثُل غَيرِ المتَبَلوِرَة،
بِأَموَاجٍ، وِمُحِيطَاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ، تَنبَثِق سَدِيمِيَّة،
فَإِذَا بِشَبَحٍ نَشوَان، يَتَلَوَّى بِجِوَارِي، يُرَدِّدُ صَدَى بُوقِك، مُدَوِّيًا،
لَا يَصِلُ إِلَى سَمعِ أَحَدٍ سِوَاي، لَكِنَّه يَبلُغ سَمعِي حُرًّا،
فَيُمكِنُنِي أَن أُترجِمَه لَك.

[3]

فَانفُخ يَا نَافِخَ البُوق حُرًّا وَصَافِيًا، فَأَنَا أُتَابِعُك،
فِيمَا فِي افتِتَاحِيَّتِك المنسَابَة، السَّعِيدَة، الهَادِئَة،
يَنسَحِب العَالَمُ المزعِجُ، وَالشَّوَارِعُ، وَسَاعَاتُ النَّهَار الصَّاخِبَة،
تَحِل سَكِينَةٌ قُدسِيَّةٌ كَالنَّدَى عَلَيَّ،
فَأَتَمَشَّى فِي لَيلٍ مُنعِشٍ بَارِدٍ فِي مَمَاشِي **الفِردَوس**،
أَتَشَمَّم العُشبَ، وَالهَوَاءَ البَلِيلَ وَالزُّهُور؛
وَأُغنِيَتُك تُوَسِّع رُوحِي الخَدِرَةَ المسَافِرَةَ فِي الدَّاخِل، وَأَنتَ تُحَرِّرُنِي، وَتُطلِقُنِي،
طَافِيًا وَمُستَدفِئًا عَلَى بُحَيرَةِ السَّمَاء.

[4]

فَلتَنفُخ مِن جَدِيدٍ يَا نَافِخَ البُوق! وَمِن أَجلِ عَينَيَّ الشَّهوَانِيَّتَين،
فَلتَأتِ بِالوَثَنِيِّين القدَامَى، قَدِّم لَنَا العَالَمَ الإِقطَاعِي.

أَيُّ سِحرٍ تُصدِره مُوسِيقَاك! فَأَنتَ تَأتِي أَمَامِي
بِسَيِّدَاتٍ وَفُرسَانٍ مَاتُوا قَدِيمًا، وَبَارُونَاتٍ فِي قَاعَاتِ قِلَاعِهِم، وَالشُّعَرَاءُ الجَوَّالُون يُغَنُّون،
وَفُرسَانٌ مُدَجَّجُون يَتَقَدَّمُون لِيَستَدرِكُوا الأَضرَار، وَالبَعضُ يَبحَثُون عَن **الطَّبَق** المقَدَّس؛
أَرَى المبَارَاة، أَرَى المتَنَافِسِين مُغَلَّفِين بِدرُوعٍ ثَقِيلَة يَمتَطُون أَحصِنَةً مَلجُومَةً بِفَخَامَة،
أَسمَع الصَّيحَات، وَأَصوَاتَ الضَّربَات وَالحَدِيدِ المتَضَارِب؛
أَرَى جُيُوشَ الصَّلِيبِيِّين المضطَرِمَة- أَنصِتُوا، كَيفَ تُقَرقِعُ الصُّنَج،
انظُرُوا، حَيثُ يَمشِي الرُّهبَانُ فِي المقَدِّمَة، حَامِلِين الصَّلِيبَ عَالِيًا.

[5]

انفُخ مِن جَدِيدٍ يَا نَافِخَ البُوق! وَمِن أَجلِ فِكرَتِك،
خُذ الآن فِكرَةَ الكُل الشَّامِلَة، الصَّاهِرَةَ وَالإِطَار،
فَالحُب، هُو نَبضُ الكُل، السَّنَد وَالوَجَع،
وَقَلبُ الرَّجُل وَالمَرأةِ كُلُّه مُكَرَّسٌ لِلحُب،
وَلَا فِكرَةَ أُخرَى سِوَى الحُب- نَسِيجُ، وَاحتِوَاءُ الكُل- الحُب العَمِيم.

آهِ كَم تَتَزَاحَم الأشبَاحُ الخَالِدَةُ حَولِي!
أَرَى الإمبِيقَ الشَّاسِعَ يَعمَلُ أَبَدًا، أَرَى وَأَعرِفُ النِّيرَانَ التِي تُدفِئ العَالَم،
الوَهَجَ، وَالتَّضَرُّجَ بِالحُمرَةِ، وَالقُلُوبَ النَّابِضَةَ لِلعُشَّاق،
البَعضُ سَعِيدٌ لِلغَايَةِ، وَالبَعضُ صَامِتٌ لِلغَايَة، قَاتِم، وَعَلَى شَفَا الموت؛
الحُب، هُو أَن تَكُونَ الأرضُ كُلُّهَا لِلمُحِبِّين- الحُب، ذَلِكَ الذِي يَسخَر مِن الزَّمَانِ وَالمكَان،
الحُب، هُو النَّهَارُ وَاللَّيل- هُو الشَّمسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُوم،
الحُب، قُرمُزِي، بَاذِخٌ، مَرِيضٌ بِالعِطر،
وَلَا كَلِمَاتٍ أُخرَى سِوَى كَلِمَاتِ الحُب، لَا فِكرَةَ سِوَى الحُب.

[6]

فَلتَنفُخ مِن جَدِيدٍ يَا نَافِخَ البُوق- استَحضِر إِنذَارَاتِ الحَرب.

سَرِيعًا إِلَى سِحرِك تُغمغِم ارتِعَادَةٌ كَقَرعِ رَعدٍ بَعِيد،
انظُرُوا، حَيثُ يُسرِعُ الرِّجَالُ المُدَجَّجُون- انظُرُوا، بَرِيق الحِرَاب وَسطَ غُيُومِ الغُبَار،
أَرَى رِجَالَ المدفَعِيَّةِ ذَوِي الوُجُوهِ الملَطَّخَةِ بِالسُّخَام، أَلحَظُ الوَمضَةَ الوَردِيَّةَ وَسطَ

الدُّخَان، أَسمَعُ قَرقَعَةَ البَنَادِق؛
وَلَا حَربَ وَحدَهَا- فَأُغنِيَتُك المُوسِيقِيَّةُ مُرعِبَة، وَالعَازِفُ الوَحشِي يَستَحضِر كُلَّ
مَشَاهِد الخَوف،
أَفعَالَ قُطَّاعِ الطُّرُقِ الأفظَاظ، وَالسَّلب، وَالقَتل- أَسمَع صَرخَاتٍ مِن أَجل النَّجدَة!
أَرَى سُفُنًا تَغرِقُ فِي البَحر، أَرَى عَلَى السَّطحِ وَتَحتَه المَشَاهِدَ المرعِبَة.

[7]

فَيَا نَافِخَ البُوق، يَبدُو لِي أَنَّنِي أَنَا نَفسِي الآلَةُ التِي تَعزِفُ عَلَيهَا،
لَقَد أَذَبتَ قَلبِي، وَعَقلِي- فَأَنتَ تَدفَعهُمَا، تَجُرهُمَا، تُغَيِّرهُمَا كَمَا تَشَاء؛
وَالآن تَبعَثُ نَغَمَاتُكَ الكَئِيبَةُ بِالظَّلَامِ خِلَالِي،
تَسلُبُنِي كُل ضَوءٍ بَهِيج، كُلَّ أَمَل،
أَرَى المُستَعبَد، وَالمَهزُومَ، وَالمَجرُوحَ، وَالمَقمُوعَ مِن الأَرض كُلِّهَا،
أُحِس بِالعَارِ وَالمَهَانَةِ بِلَا نَظِيرٍ لِجِنسِي، يُصبِح كُلُّه لِي،
لِي أَيضًا انتِقَامَاتُ الإِنسَانِيَّة، أَخطَاءُ العُصُور، العَدَاءُ وَالأَحقَادُ المكتُومَة،
وَالهَزِيمَةُ المطلَقَةُ تُثقِلُ كَاهِلِي- ضَاعَ الكُل- وَالعَدُو ظَافِر،
(لَكِن وَسطَ الأَطلَال يَنتَصِبُ الكِبرِيَاءُ شَامِخًا بِلَا اهتِزَازٍ حَتَّى النِّهَايَة،
الاحتِمَالُ، وَالتَّصمِيمُ حَتَّى النِّهَايَة).

[8]

الآنَ يَا نَافِخَ البُوقِ خِتَامُك،
فَلتَسمَح بِجُهدٍ أَعلَى مِن أَي سَابِق،
فَلتُغَنِّ لِرُوحِي، جَدِّد إِيمَانَهَا وأَمَلَهَا الوَاهِي،
أَيقِظ عَقِيدَتِي البَطِيئَة، امنَحنِي رُؤيَا لِلمُستَقبَل،

امنَحنِي لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ نُبوءَتَهَا وَفَرحَهَا.

أَيَّتُهَا الأُغنِيَةُ السَّعِيدَة، المغتَبِطَةُ، فِي الأوج!
فِي نَغمَاتِكِ مِن العُنفُوَانِ أَكثَر مِمَّا فِي الأرض،
مَسِيرَاتُ الانتِصَار- تَحَرُّر الإنسَان- الظَّافِرِ فِي النِّهَايَة،
تَرَاتِيل إِلَى الرَّب الكَونِي مِن الإِنسَانِ الكَونِي- كُل الفَرح!
جِنسٌ مَولُودٌ مِن جَدِيدٍ يَتَجلَّى- عَالَمٌ مِثَالِي، كُل الفَرَح!
رِجَالٌ وَنِسَاءٌ فِي بَرَاءَةِ الحِكمَةِ وَالعَافِيَة- كُل الفَرَح!
حَفلَاتٌ مَاجِنَة بِالضَّحِك الصَّاخِب مُفعَمَةٌ بِالفَرَح!
وَلَّت الحَربُ، وَالحُزنُ، وَالمعَانَاة- تَطَهَّرَت الأَرضُ العَفِنَة- وَلَا شَيءَ سِوَى الفَرَح!
امتَلَأ المحِيطُ بِالفَرَح- الجَو كُلُّه فَرَح!
فَرَح! فَرَح! في حُرِّيَّة، وَعِبَادَة، وَحُب! فَرَحٌ فِي نَشوَةِ الحَيَاة!
يَكفِي تَمَامًا أَن نَكُون! يَكفِي أَن نَتَنَفَّس!
فَرَح! فَرَح! كُل مَكَانٍ فَرَح!

إلى قاطــرةٍ في الشتاء

أَنتِ لِنَشِيدِي،
أَنتِ فِي العَاصِفَةِ الكَاسِحَةِ كَمَا الآن، وَالثُّلُوج، وَاليَومُ الشّتَائِي يَنقَضِي،
أَنتِ فِي أُبَّهَتِك، وَخَفقَانِك الثُّنَائِي المحسُوبِ وَطَرقَاتِك المتَشَنِّجَة،
وَجَسَدِك الاسطُوَانِي الأسوَد، ونُحَاسِك الأصفَر وَحَدِيدِك الفِضِّي،
وَقُضبَانِك الجَانِبِيَّةِ الثَّقِيلَة، وَأَعمِدَتِك المتَوَازِيَةِ الرَّابِطَة، مُدَوِّمَةً، ذِهَابًا وَإِيَابًا فِي أَجنَابِك،
وَعَدَّادُك يَلهَث مُنتَفِخًا وَهَادِرًا حِينًا، وَحِينًا يَتنَاقَص عَن بُعد،
وَكَشَّافُك الجَاحِظُ الهَائِل مُثَبَّتٌ فِي المقَدَّمَة،
وَرَايَاتُ بُخَارِك العَظِيمَةُ، الشَّاحِبَةُ، المرَفرِفَة، مَشُوبَةٌ بِقُرمِزِي رَهِيف،
وَالغُيُومُ الكَثِيفَةُ القَاتِمَةُ تَتَجَشَّأ مِن مدخَنَتِك،
وَإِطَارُك المتشَابِكُ، وَالزُّنبركَاتُ وَالصِّمَامَات، وَوَمِيضُك المرتَعِشُ لِعجَلَاتِك،
وَقِطَارُ عَرَبَاتِك فِي الوَرَاء، مُذعِنًا، يَتبَعُكِ فِي مَرَح،
خِلَالَ العَاصِفَةِ أَو السُّكُون، حِينًا سَرِيعًا، وَحِينًا مُتَثَاقِلًا، لِكِن مُنطَلِقًا بِاضطِرَاد؛
فَيَا نَمط مَا هُو حَدِيث- يَا شِعَارَ الحَرَكَةِ وَالقُوَّة- يَا نَبضَ القَارَّة،
فَلتَأتِ لِمَرَّةٍ لِتَخدِمَ رَبَّةَ الشِّعرِ وَتَمتَزِجَ فِي القَصِيدَة، مِثلَمَا أَرَاكَ هُنَا،
مَع العَاصِفَةِ وَقَصفَاتِ الرِّيَاح وَالثُّلُوجِ المتسَاقِطَة،
وَفِي النَّهَارِ يُصدِرُ جَرَسَكُ الرَّنَّانُ المُحَذِّر نَغمَاتِه،

وَفِي اللَّيل تَتَأرجَح مَصَابِيحُ إِشَارَتِك الصَّامِتَة.

أَيُّهَا الجَمَال ذُو الحنجُرَةِ الوَحشِيَّة!
فَلتَنطَلِق فِي نَشِيدِي بِكُل مُوسِيقَاكَ الفَوضَوِيَّة، وَمَصَابِيحِك المتَأَرجِحَةِ فِي اللَّيل،
وَضِحكَتُك الصَّافِرَةُ المجنُونَة تُرَدِّدُ الصَّدَى، تُرعِدُ كَزِلزَالٍ، مُستَثِيرَةً الجَمِيع،
قَانُونُ ذَاتِك مُكتَمِلٌ، مَسَارُك الخَاص مُحكَمٌ بِصَرَامَة،
(لَيسَت لَكَ العُذُوبَةُ المُبتَهِجَةُ لِقِيثَارَةٍ دَامِعَةٍ أَو بِيَانُو طَلق)،
وَأَصدَاءُ صَرخَاتِك تُرَدِّدُهَا الصُّخُورُ وَالتِّلَال،
مُنطَلِقًا فَوقَ البَرَارِي الشَّاسِعَة، عَبرَ البُحَيرَات،
إِلَى السَّمَاوَاتِ الطَّلِيقَةِ حُرًّا وَسَعِيدًا وَقَوِيًّا.

أيهَا الجنُـوب المغنَاطِيسي

أَيُّهَا الجَنُوبُ المغنَاطِيسِي! أَيُّهَا الجَنُوبُ المعَطَّرُ الوَامِض! يَا جَنُوبِي!
أَيَّتُهَا العَزِيمَةُ الخَاطِفَةُ، الدَّمُ الخِصبُ، النَّبضُ وَالحُب! الخَيرُ وَالشَّر! أَيُّهَا الكُل الأثِيرُ لَدَيْ،
آهِ يَا أَشيَاءَ مِيلَادِي الأثِيرَة- يَا كُلَّ الأشيَاءِ المتَحَرِّكَةِ وَالأشجَارِ حَيثُ وُلِدتُ- الحُبُوبُ، النَّبَاتَاتُ، الأنهَار،
أَثِيرَةٌ لَدَيَّ أَنهَارِي الكسُولَةُ البَطِيئَةُ حَيثُ تَنسَاب، بَعِيدًا، عَلَى سُهُولٍ مِن رِمَالٍ فِضِّيَّة أَو خِلَالَ المستَنقَعَات،
أَثِيرٌ لَدَيَّ رَوَانُوكِي، السَّاڤَانّه، التَامَاهُو، بِيدِيه، تُومبِيجبِي، سَانتِي، كُوسَا وسابِين[*]،
آهِ مُتَأَمِّلًا، هَائِمًا بَعِيدًا، أَعُودُ بِرُوحِي لأتَرَدَّدَ عَلَى ضِفَافِهَا مِن جَدِيد،
وَمِن جَدِيد فِي فلُورِيدَا أَطفُو فِي بُحَيرَاتٍ شَفَّافَة، أَطفُو فِي "أُوكِي-شُوبِي"، أَعبُر أَرضَ التِّلَالِ أَو خِلَالَ فرجَاتٍ بَهِيجَةٍ أَو غَابَاتٍ كَثِيفَة،
أَرَى البَبَّغَاوَاتِ فِي الغَابَات، أَرَى شَجرَةَ البَابَاو وَالتِّيتِي المُزهِرَة؛
وَمِن جَدِيدٍ، مُبحِرًا فِي سَفِينَتِي عَلَى السَّطح، أُبحِر بَعِيدًا عَن چورچيَا، وَأَرسُو فِي كَارُولَينَا،
أَرَى أَينَ يَنمُو البَلُّوطُ الحَي، أَرَى مَكَانَ الصُّنُوبَر الأصفَر، وَشَجَرَ الغَارِ الفَوَّاح،

[*] أنهارٌ، ومُدن، ومناطق، بولايات أميريكية مختلفة.

وَاللَّيمُونِ وَالبُرتُقَال، وَالسَّرو، وَنَخِيلَ البَلمِيطِ الرَّشِيق،
أَعبُر رُؤُوسًا بَحرِيَّةً شَرِسَةً وَأدخُل خَلِيج بَاملِيكُو العَمِيقَ مِن خِلَال مَضِيق، وَأَرشُقُ بَصَرِي فِي اليَابِسَة؛
يَا لَنَبَاتِ القُطن! وَحُقُولِ الأُرزِ، والسُّكَّر، وَالقِنَّب المتَنَامِيَة!
الصَّبَّارُ تَحرُسُه الأشوَاك، وَشَجَرَةُ الغَار بِأَزهَارٍ بَيضَاء كَبِيرَة،
المدَى بَعِيدٌ، وَالخصُوبَةُ وَالجَدب، وَالغَابَاتُ العَجُوزُ مُحَمَّلَةٌ بِالهَدَّال وَالطُّحلُبِ الزَّاحِف،
رَائِحَةُ الصُّنوبَر وَالكَآبَة، السُّكُونُ الطَّبِيعِي المَشئُوم، (هُنَا فِي هَذِه المستَنقَعَاتِ الكَثِيفَة يَحمِلُ القُرصَانُ بُندُقِيَّتَه، وَالهَارِبُ لَه كُوخُه المَخفِي)؛
يَا لَلسِّحرِ الغَرِيبِ لِهَذِه المستَنقَعَاتِ شِبه المعرُوفَةِ شِبه العَصِيَّةِ عَلَى العُبُور، المُبتَلَاةِ بِالزَّوَاحِف، المدَوِّيَّةِ بِصَيحَةِ التَّمَاسِيح، وَالأَصوَاتِ الحَزِينَةِ لِبُومِ اللَّيل وَالقِطَطِ البَرِّيَّة، وَفَحِيحِ الأفعَى المجَلجِلَة،
الطَّائِرُ المحَاكِي، المُقَلِّدُ الأمِيرِيكِي، يُغَنِّي طُوَالَ مَا قَبلَ الظَّهِيرَة، يُغَنِّي خِلَالَ اللَّيلِ المُقمِر،
وَالطَّائِرُ الطَّنَّان، وَالدَّجَاجُ الرُّومِي البَرِّي، وَحَيَوَانُ الرَّاكُون، وَالأُوبُوسُّوم؛
حَقلُ الذُّرَة بِكِنتَاكِي، الذُّرَةِ الطَّوِيلَةِ، الرَّشِيقَةِ، طَوِيلَةِ الأوراق، نَحِيلَةً تَتَلَاطَم، وَحُبُوبٌ خَضرَاء، ذَاتُ شُرَّابَات، بِكِيزَانٍ جَمِيلَة كُل مِنهَا مُلتَف فِي غِمدِه؛
آهِ يَا قَلبِي! أَيَّتُهَا الخَفقَاتُ الرَّقِيقَةُ وَالوَحشِيَّة، لَا أَستَطِيعُ احتِمَالَهَا، سَأَرحَل؛
آهِ أَن تَكُون مِن فِرجِينيَا حَيثُ تَرَعرَعتُ! أَن تَكُون مِن كَالِيفُورنيَا!
يَا لَهَا مِن أَشوَاقٍ لَا تُكبَت! آهِ سَأَعُود إِلَى تِينِيسِي القَدِيمَةِ وَلَن أَهِيمَ بَعدَهَا أَبَدًا.

مانهـــاتن

كُنتُ أُطَالِبُ بِشَيءٍ مَا مُحَدَّدٍ وَرَائِعٍ لِمَدِينَتِي،
عِندَئِذٍ يَا لَلعَجَب! ظَهَرَ الاسمُ الأصلي.

الآنَ أَرَى مَا يَكمُن فِي اسمٍ مَا، كَلِمَةٍ مَا، مُندَفِقَة، رَصِينَة، جَامِحَة، مُوسِيقِيَّة، مُكتَفِيَةٍ بِذَاتِهَا،
أَرَى أَن كَلِمَةَ مَدِينَتِي كَلِمَةٌ قَدِيمَة،
لأنِّي أَرَى أَن هَذِه الكَلِمَةَ قَد عَشَّشَت فِي أَعشَاشِ الخُلجَان، الرَّائِعَة،
جَزِيرَةٌ بِطُولِ سِتَّة عَشرَ مِيلًا، خَصِيبَةٌ، مَحفُوفَةٌ بِكَثَافَةٍ فِيمَا حَولَهَا بِالسُّفُن الشِّرَاعِيَّة وَالبُخَارِيَّة، رَاسِخَةُ الوُجُود،
شَوَارِعُ مُزدَحِمَةٌ بِلَا حَصر، تَنَامٍ كَبِير لِلحَدِيد، المَمشُوق، القَوِي، الخَفِيف، المتَصَاعِدِ بِرَوعَةٍ نَحوَ السَّمَاوَاتِ الصَّافِيَة،
مَد وَجَزرٌ سَرِيعَانِ غَزِيرَان، أُحِبُّهُمَا كَثِيرًا، قُربَ الغُرُوب،
وَتَيَّارَاتُ البَحرِ المنسَابَة، وَالجُزُرُ الصَّغِيرَة، وَالجُزُرُ الأكبَر المتَلَاحِمَة، وَالمُرتَفَعَات، وَالفِيلات،
الصَّوَارِي بِلَا حَصر، بَوَاخِرُ الشَّاطِئِ البَيضَاء، الزَّوَارِق، الزَّوَارِقُ العَبَّارَة، بَوَاخِرُ البَحر السَّودَاءُ جَيِّدَةُ الصُّنع،
شَوَارِعُ وَسط المدِينَة، مَكَاتِبُ السَّمَاسِرَة، مَكَاتِبُ تُجَّارِ السُّفُن وَسَمَاسِرَةِ المَال، شَوَارِعُ

النَّهر،

المهَاجِرُون يَصِلُون، خَمسَةَ عَشرَ أَو عِشرِينَ أَلفًا فِي أُسبُوعٍ،

الكَارُّو تنقِلُ البَضَائِع، الجِنسُ الرُّجُولِي لِسَائِقِي الخُيُول، البَحَّارَةُ بِوُجُوهِهِم الدَّاكِنَة،

هَوَاءُ الصَّيف، الشَّمسُ السَّاطِعَةُ تُشرِق، وَغُيُومُ الإبحَارِ عَالِيَة،

ثُلُوجُ الشِّتَاء، أَجرَاسُ زَلَاقَةِ الجَلِيد، الثَّلجُ المتَكَسِّرُ فِي النَّهر، يَمضِي إِلَى الأعلَى أَو الأسفَل بِمَد الفَيضَانِ وَجَزرِ البَحر،

حِرَفِيُّو المدِينَة، السَّادَة، البَارِعُون، بِوُجُوهِهِم الجَمِيلَة، يَنظُرُون إِلَيكَ مُبَاشَرَةً فِي العَينَين،

الأرصِفَةُ مُزدَحِمَة، مَركَبَاتٌ، برُودوَاي، النِّسَاء، المحَلَّاتُ وَالعُرُوض،

مِليُون إِنسَان– عَادَاتٌ مُتَحَرِّرَةٌ وَرَائِعَة– أَصوَاتٌ مُرتَفِعَة– كَرَمُ الضِّيَافَة– الشَّاب الأكثَر جُرأَةً وَمَوَدَّة،

مَدِينَةُ المِيَاهِ الجَارِيَةِ الوَامِضَة! مَدِينَةُ الأبرَاجِ وَالصَّوَارِي!

مَدِينَةٌ تُعَشِّشُ فِي الخُلجَان! مَدِينَتِي!

كُل شَيءٍ حَقيقـةٌ

آهِ يَا لِي، رَجُلٌ ذُو إِيمَانٍ رَخوٍ لأَمَدٍ طَوِيل،
يَقِفُ مُنعَزِلًا، مُنكِرًا الجُزئيَّات لأَمَدٍ طَوِيل،
يُدرِك الآن فَحَسب الحَقِيقَةَ الموَحَّدَةَ العُمُومِيَّة،
مُكتَشِفًا اليَوم أَن لَا وُجُودَ لِكِذبَةٍ أَو شَكلِ كِذبَةٍ، وَيُمكِن أَن لَا يَكُون ثَمَةَ شَيء،
بَل تَكبُر بِصُورَةٍ مَحتُومَةٍ فِي ذَاتِهَا مِثلَمَا تَكبُر الحَقِيقَةُ فِي ذَاتِهَا،
أَو كَأَي قَانُونٍ لِلحَقِيقَة أَو كَمَا يَفعَل أَيُّ مُنتَجٍ طَبِيعِي مِن الأَرض.

(هَذَا غَرِيبٌ وَقَد لَا يُمكِن إِدرَاكُه فِي الحَال، لَكِن لَابُد مِن إِدرَاكِه،
أُحِس دَاخِلِي أَنَّنِي أُمَثِّل الزِّيفَ شَأنِي شَأنَ البَاقِين،
وَأَن الكَونَ يَفعَل ذَلِك).

فَأَين فَشَلَ التَّرَاجُعُ الكَامِلُ بِلَا مُبَالَاةٍ بِالكَذِب أَو الحَقِيقَة؟
أَذَلِك مُوجُودٌ عَلَى الأَرض، أَم فِي المَاءِ أَو النَّار؟ أَم فِي رُوحِ الإِنسَان؟ أَم في اللَّحمِ وَالدَّم؟

مُتَأَمِّلًا وَسطَ الكَذَّابِين وَمُتَرَاجِعًا بِصَرَامَةٍ إِلَى ذَاتِي، أَرَى أَن لَا وُجُود فِي الوَاقِع
لِكَذَّابِين أَو أَكَاذِيبَ فِي نِهَايَةِ المطَاف،
وَأَن لَا شَيءَ يُحبِط العَودَةَ الكَامِلَة، وَأَن مَا تُدعَى أَكَاذِيب إِنمَا هِي تَرَاجُعَاتٌ كَامِلَة،

وَأَن كُل شَيءٍ إِنَّمَا يُمثِّلُ تَمَامًا نَفسَه وَمَا سَبَقَه،
وَأَن الحَقِيقَةَ تَنطَوِي عَلَى كُل شَيءٍ، وَمُندمِجَةٌ تَمَامًا مِثلَمَا المكَان مُدمَج،
وَلَا وُجُودَ لِصَدعٍ أَو فَرَاغٍ فِي قِيمَة الحَقِيقَة- بَل الكُل حَقِيقَةٌ بِلَا استِثنَاء؛
وَمِن الآن سَأَمضِي لأحتَفِلَ بِكُل مَا أَرَاه أَو أَكُونُه،
وَأُغَنِّي وَأَضحَكُ وَلَا أُنكِرُ شَيئًا.

أغنيــة لُغــز

ذَلِكَ الذِي يُرَاوِغُ هَذِه القَصِيدَةَ وَكُلَّ قَصِيدَة،
غَيرَ مَسمُوعٍ مِن أَرهَفِ أُذُن، هَيُولِيًّا فِي أَصفَى عَينٍ أَو أَبرَعِ عَقل،
بِلَا تَقَالِيد وَلَا شُهرَة، بِلَا سَعَادَةٍ وَلَا ثَروَة،
وَمَع ذَلِك فَهوَ نَبضُ كُل قَلبٍ وَحَيَاةٍ فِي جَمِيع أَنحَاءِ العَالَم بِلَا انقِطَاع،
ذَلِكَ الذِي نَفتَقِدُه دَائِمًا أَبَدًا أَنتَ وَأَنَا وَكُل مَسعًى وَرَاءَه،
مُتَاحٌ لَكِنَّه يَبقَى سِرًّا، حَقِيقَةَ الحَقِيقِي، وَهمًا،
بِلَا ثَمَن، مُبَاحًا لِلجَمِيع، لَكِن أَحَدًا لَا يَملِكُه أَبَدًا،
مَا يَسعَى الشُّعرَاءُ سُدًى لِيَضعُوه فِي قَصِيدَة، والمؤَرِّخُون فِي سَردِيَّة،
مَا لَم يَحفُره النَّحَّاتُون بَعد، وَلَا رَسَمَه الرَّسَّامُون،
مَا لَم يُغَنِّه أَبَدًا المغَنُّون، وَلَا نَطَق بِه الخُطَبَاءُ أَو الممَثِّلُون،
أَتوسَّلُ إِلَيهِ هُنَا وَالآن أَتَحَدَّاه مِن أَجلِ أُغنِيَتِي.

بِلَا مُبَالَاةٍ، وَسطَ هَوَاجِسَ عَلَنِيَّةٍ، أَو خُصُوصِيَّة، فِي العُزلَة،
وَرَاءَ الجَبَل وَالغَابَة،
يَنسَل رَفِيقُ شَوَارِع المدِينَةِ المزدَحِمَة، خِلَالَ الحَشد،
دَائِمًا، هُو وَإِشعَاعَاتُه.

فِي نَظَرَاتِ الأَطفَالِ الجَمِيلِين غَيرِ الوَاعِين،

أَو لِلغَرَابَةِ فِي الموتَى المُكَفَّنِين،
أَو فِي ظُهُور شُرُوقِ الفَجر أَو نُجُومِ اللَّيلِ،
كَرُؤيَا حُلمِيَّةٍ مَا رَهِيفَةٍ عَن الأحلَام يَتَلَاشَى،
مُختَبِئًا لَكِنَّه بَاقٍ.

يَتَأَلَّفُ مِن نَفَسَين صَغِيرَين مِن كَلِمَات،
مِن كَلِمَتَين، لَكِن كُل شَيءٍ مِن البِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ كَامِنٌ فِيه.

أَي تَوَهُّجٍ مِن أَجلِه!
كَم مِن السُّفُن أَبحَرَت وَغَرِقَت مِن أَجلِه!
كَم مِن المسَافِرِين انطَلَقُوا مِن بيُوتِهِم وَلَم يَعُودُوا أَبَدًا!
كَم مِن العَبَاقِرَةِ خَاطَرُوا وَضَاعُوا مِن أَجلِه!
يَا لَهَا مِن مكَامِن بِلَا حَصرٍ لِلجَمَال، وَالحُب، غَامَرَت مِن أَجلِه!
فَكَيفَ لِكُل الأفعَالِ الأروَع مُنذُ فَجرِ الزَّمَن أَن يُفضِي أَثَرُهَا إِلَيه– وَستَظَل إِلَى النِّهَايَة!
كَيفَ كَانَ كُل استِشهَادٍ بُطولِي مِن أَجلِه!
كَيف بُرِّرَت بِه الفَظَائِعُ، وَالشُّرُورُ، وَمَعَارِكُ الأرض!
كَيفَ شَدَّت أَنظَارَ النَّاس نِيرَانُه اللَّامِعَة، الفَاتِنَةُ، المشرِقَةُ، فِي كُل عَصرٍ وَأَرضٍ،
خِصبًا كَغُرُوبٍ عَلَى شَاطِئِ النُّرويج، كَالسَّمَاءِ، وَالجُزُر، وَالمنحَدَرَات،
أَو كَالأنوَار الشَّمَالِيَّةِ المتوَهِّجَةِ الصَّامِتَةِ، بَعِيدَةِ المَنَال.

بِالمصَادَفَةِ هُو لُغزُ الرَّب، بَالِغُ الغُمُوضِ لَكِنَّه بَالِغُ اليَقِين،
الرُّوحُ مِن أَجلِه، وَكُل العَالَمِ المَرئِي مِن أَجلِه،
وَالسَّمَاءُ فِي النِّهَايَةِ مِن أَجلِه.

اكسـلِسيُور

مَن الذِي مَضَى أَبعَد؟ لَسَوفَ أمضِي أَبعَد مِنه،

وَمَن الذِي كَانَ صَائِبًا؟ فَسَأَكُونُ الشَّخصَ الأصوَبَ عَلَى الأرض،

وَمَن الأكثَر حَذَرًا؟ فَسَأَكُونُ أكثَر حَذَرًا مِنه،

وَمَن كَانَ الأسعَد؟ آهٍ أَظُن أَنَّه أَنَـا– أَظُن أَنَّ أَحَدًا لَم يَكُن أَسعَدَ مِنِّي،

وَمَن الذِي سَخَا بِالكُل؟ فَأَنَا أَسخُو دَائِمًا بِأَفضَل مَا عِندِي،

وَمَن الأكثَر إِبَاءً؟ فَأَنَا أَظُن أَن لَدَيَّ مُبَرِّرًا لأكُونَ الابنَ الأكثَرَ إِبَاءً عَلَى قَيدِ الحَيَاة–
فَأَنَا ابنُ المدِينَةِ الفَتِيَّةِ ذَاتِ القِمَمِ العَالِيَة،

وَمَن كَانَ جَرِيئًا وَصَادِقًا؟ فَأَنَا أَظُن أَنَّنِي أَجرَأ وأَصدَقُ كَائِنٍ فِي الكَون،

وَمَن الخَيِّر؟ فَأَنَا سَأبدُو أَكثَر خَيرِيَّةً مِن البَاقِين جَمِيعًا،

وَمَن الذِي تَلَقَّى حُبَّ غَالِبِيَّةِ أَصدِقَائِه؟ فَأَنَا أَعرِفُ مَعنَى أَن تَتَلَقَّى الحُب المُتَّقِدَ لكَثِيرٍ
مِن الأصدِقَاء،

وَمَن يَمتَلِك جَسَدًا كَامِلاً وَمَحبُوبًا؟ فَأَنَا لَا أَعتَقِد أَن هُنَاكَ مَن يَمتَلِك جَسَدًا أَكثَرَ
كَمَالًا وَجَاذِبِيَّةً مِن جَسدِي،

وَمَن يُؤمِنُ بِالأفكَارِ الكُبرَى؟ فَلَسَوفَ أُحِيطُ بِهَذِه الأفكَار،

وَمَن قَدَّم تَرَاتِيلَ جَدِيرَةً بِالأرض؟ فَأَنَا مَجنُونٌ فِي نَشوَةٍ نَهِمَةٍ بِتَقدِيم تَرَاتِيلَ بَهِيجَة
لِلأرضِ كُلِّهَا.

أيها البُؤس، والجفُول، والتراجُع العابس

أَيُّها البُؤسُ، وَالجُفُولُ، وَالتَّرَاجُعُ العَابِس،
آهِ أَنتُم خُصُومِي الذِين هَزَمُونِي فِي الصِّرَاع،
(فَمَا حَيَاتِي أَو حَيَاةُ أَي إنسَان إِن لَم تَكُن الصِّرَاعَ مَعَ الخُصُوم، الحَربَ القَدِيمَة بِلَا انقِطَاع؟)
أَيَّتُهَا الانحِطَاطَات، تَتَصَارَعِين مَعَ الأهوَاءِ وَالشَّهوَات،
تَتَأَلَّمِين مِن الصَّدَاقَات بِلَا إِشبَاع (أَيَّتُهَا الجِرَاحُ الأَكثَر حِدَّةً مِن الكُل!)
تُعَانِين مِن التَّعبِيرَاتِ الأَلِيمَةِ المُختَنِقَة، أَنتِ الدَّنَاءَة،
تَجعَلِين كَلَامَ اللِّسَان حَولَ المَوَائِد ضَحلًا (لِسَانِي أَضحَلُ الجَميع)؛
أَيَّتُهَا العَزِيمَةُ المكسُورَة، أَيُّهَا الغَضَبُ المعَذِّب، أَيُّهَا الضَّجَرُ المختَنِق!
آهِ لَا تَظُن أَنَّك فِي النِّهَايَةِ مُنتَصِر، فَذَاتِي الحَقِيقِيَّةُ عَلَيهَا حَتَّى الآن أَن تَتَقَدَّم،
سَتَمضِي مَعَ ذَلِكَ قُدُمًا ظَافِرَةً، إِلَى أَن يَرتَمِي الجَمِيعُ تَحتِي،
وَسَتَنتَصِبُ مَعَ ذَلِكَ كَجُندِي الانتِصَارِ النِّهَائِي.

أفــكَار

عَن الرَّأيِ العَام،

عَن مَرسُومٍ هَادِئٍ وَبَارِدٍ آجِلًا أَو عَاجِلًا (كَم هُو رَصِين! كَم هُو يَقِينِي وَنِهَائِي!)

عَن **الرَّئِيسِ** ذِي الوَجهِ الشَّاحِب يَسأَلُ نَفسَه خِفيَةً، ***مَاذَا سَيقُول النَّاسُ فِي النِّهَايَة؟***

عَن **القَاضِي** الطَّائِش– عَن **البَرلَمَانِي**، وَ**الحَاكِم**، وَ**العُمدَةِ** الفَاسِدِين– وعَن مِثلِ هَؤلَاء الوَاقِفِين بِلَا حِيلَةٍ وَلَا مَأوَى،

عَن الكَاهِنِ المتَمتِمِ وَالصَّارِخ، (حَالًا، مَحرُومٌ حَالًا)،

عَن الوَقَارِ المتَنَاقِصِ عَامًا بَعدَ عَام، وَقَرَارَاتِ الضُّبَّاط، وَالتَّشرِيعَات، وَالوعَّاظِ، وَالمدَارِس،

عَن التَّزَايُدِ أَبَدًا فِي الطُّولِ وَالقُوَّةِ وَالرَّحَابَةِ لِحُدُوسِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء، وَالتَّقدِيرِ الذَّاتِي وَالشَّخصِيَّة؛

عَن **العَالَم الجَدِيدِ الحَقِيقِي**– عَن **الدِّيمُوقرَاطِيَّات** الرَّائِعَةِ الجَمَاهِيرِيَّة،

عَن امتِثَالِ السِّيَاسَةِ، وَالجيُوش، وَالبَحرِيَّات، لَهَا،

عَن الشَّمسِ المشرِقَةِ بِهَا– عَن الضَّوءِ الكَامِن، الأعظَم مِن أَي ضَوء،

عَن احتِوَائِهَا لِلجَمِيع، وَانتِشَارِ الجَمِيع انطِلَاقًا مِنهَا.

متوسِّـطات

سَيَنهَضُون فِي الولَايَات،
سَيُعِدُّون تَقَارِيرَ عَن الطَّبِيعَةِ، وَالقَوَانِين، وَعِلمِ الأحيَاء، وَالسَّعَادَة،
سَيَرسُمُون الدِّيمُوقرَاطِيَّةَ وَالكَون،
سَيَكُونُون مُعتَاشِين، مُحِبِّين، وَاعِين،
سَيَكُونُون نِسَاءً وَرِجَالًا مُكتَمِلِين، بِقَوَامٍ مَرِنٍ مَفتُولِ العَضَلَات، شَرَابُهُم المَاء،
وَدَمُهُم صَافٍ وَنَظِيف،
سَيَستَمتِعُون تَمَامًا بِالمَاديَّة وَرُؤيَةِ المُنتَجَات، سَيَستَمتِعُون بِرُؤيَةِ البَقَر، وَالأخشَابِ،
وَأَدوَاتِ الخُبز، فِي شِيكَاغُو المدِينَةِ العَظِيمَة،
سَيُدَرِّبُون أَنفُسَهُم عَلَى الذِّهَابِ جَمَاعَةً لِيُصبِحُوا خُطَبَاءَ وَخَطِيبَات،
عَذبَةً وَقَوِيَّةً سَتَكُون أَلسِنَتُهُم، وَالقَصَائِدُ وَمَوَاد القَصَائِد سَتَأتِي مِن حَيَوَاتِهِم،
سَيَكُونُون صُنَّاعًا وَمُكتَشِفِين،
مِنهُم وَمِن أَعمَالِهِم سَيَنبَثِق رُسُلٌ سَمَاوِيُّون،
لِيَنقِلُوا أَنَاجِيل،
شَخصِيَّاتٌ، وَأَحدَاثٌ، وَاستِعَادَاتٌ، سَتُنقَل فِي أنَاجِيل، وَأَشجَارٌ، وَحَيَوَانَاتٌ، وَمِيَاه،
سَوفَ تُنقَل،
الموتُ، وَالمستَقبَلُ، وَالإِيمَانُ الخَفِي، جَمِيعًا سَيُنقَل.

فلتشُقِّي طريقَك، يا حياتي الجسُورة

فَلتَشُقِّي طَرِيقَك، شُقِّي طَرِيقَكِ، يَا حَيَاتِي الجسُورَة،
شُقِّي طَرِيقَكِ لَكِن كَجُندِي قَوِيٍّ مُفعَم مِن أَجلِ حَملَاتٍ عَظِيمَةٍ قَادِمَة،
فَلتَشُق طَرِيقَك أَيُّهَا الدَّمُ الأَحمَر، أَيَّتُهَا الأَعصَابُ كَالحِبَال، الأَحَاسِيسُ، البَصَر- شُقُّوا طَرِيقَكُم،
فَلتَشُقُّوا طَرِيقَكُم دَائِمًا عَن يَقِين، فَلتَشُق اللُّحمَةُ لَيلَ نَهَار، وَالسُّدَاةُ، بِلَا انقِطَاعٍ، بِلَا كَلَل،
(لَا نَعرِفُ مَا الجدوَى أَيَّتُهَا الحَيَاة، وَلَا نَعرِفُ الغَايَة، النِّهَايَةَ، لَا نَدرِي فِي الحَقِيقَةِ أَبَدًا،
لَكِنَّنَا نَعرِفُ العَمَل، تَتَوَاصَلُ الحَاجَةُ وَسَوفَ تَتَوَاصَل، تَتَوَاصَل مَسِيرَةُ السَّلَامِ المغَلَّفَةُ بِالموتِ كَمَا تَتَوَاصَل الحَرب)،
فَحَمَلَاتُ السَّلَام العَظِيمَةُ شَأن الخُيُوطِ النَّحِيلَةِ تَشُقُّ طَرِيقَهَا،
لَا نَدرِي مَاذَا أَو لِمَاذَا، لَكِنَّنَا نَشُقُّ طَرِيقَنَا، نَشُق طَرِيقَنَا أَبَدًا.

أســبانيا

(74-1873)

خَارِجَ ظُلمَةِ أَثقَلِ الغُيُوم،
خَارِجَ الرُّكَامِ الإِقطَاعِي وَالهَيَاكِلِ العَظمِيَّةِ المكَدَّسَةِ لِلمُلُوك،
خَارِج تِلكَ الأنقَاضِ الأُورُوبِيَّةِ العَتِيقَةِ كُلِّهَا، وَالافتِعَالَاتِ المُهشَّمَة،
الكَاتِدرَائِيَّات المحَطَّمَة، وَفُتَاتِ القُصُور، وَمَقَابِر الكَهَنَة،
انظُرُوا، فَمَلَامِحُ الحُرِّيَّة تَتَطَلَّعُ إِلَى الأمَام مُنتَعِشَةً مُشرِقَة– نَفسُ الوَجهِ الخَالِد يَتَطَلَّع إِلَى الأمَام؛
(لَمَحَةٌ كَأَنَّهَا مِن وَجهِ أُمِّك يَا كُولُومبِيَا،
وَمِيضٌ بَلِيغٌ كَوَمِيضِ سَيف،
يُرسِلُ أَشِعَّته نَحوَك).

وَلَا نَظُن أَنَّنَا نَسِينَا أُمُومَتَك؛
فَهَل تَأخَّرتِ طَوِيلًا؟
هَل سَتُطبِقُ الغُيُومُ مِن جَدَيدٍ عَلَيك؟
آه، لَكِنَّكِ قَد تَكَشَّفتِ عَن ذَاتِكِ الآنَ لَنَا– نَحنُ نَعرِفُك،
لَقَد أَعطَيتِنَا بُرهَانًا أَكِيدًا، لَمَحَةً مِن ذَاتِكِ،
وَتَنتَظِرِين أَوَانَكِ هُنَاك كَمَا فِي كُل مَكَان.

عَلَى شاطئ بوتُوماك الواسع

عَلَى شَاطِئِ بُوتُومَاك الوَاسِعِ، مِن جَدِيدٍ أَيُّهَا اللِّسَانُ العَجُوز،
(أَمَا تَزَالُ تَنطِق، مَا تَزَالُ تَلفظ، وَلَا يُمكِنُك التَوَقُّفُ أَبَدًا عَن هَذِه التَّمتَمَة؟)
مِن جَدِيدٍ أَيُّهَا القَلبُ العَجُوزُ السَّعِيد، مِن جَدِيدٍ إِلَيك، فَإِحسَاسُك، وَالرَّبِيعُ الفَائِرُ
عَن آخِرِه يَعُود،
مِن جَدِيدٍ الانتِعَاشُ وَالأَرِيج، مِن جَدِيدٍ سَمَاءُ صَيفِ ڤِرچِينيَا، زَرقَاء وَرَمَادِيَّة شَفَّافَة،
مِن جَدِيدٍ أُرجُوَانُ التِّلَالِ قَبلَ الظَّهِيرَة،
مِن جَدِيدٍ العُشبُ الخَالِد، طَرِيًّا بِلَا صَوتٍ وَأَخضَر،
مِن جَدِيدٍ تَتَفَتَّح الوُرُودُ بِحُمرَةِ الدَّم.

فَلتُعَطِّرِي كِتَابِي هَذَا أَيَّتُهَا الوُرُودُ بِحُمرَةِ الدَّم!
وَاغسِلِي بِرِقَّةٍ بِمِيَاهِك يَا بُوتُومَاك كُل خَط!
وَامنَحنِي بَعضًا مِنكَ أَيُّهَا الرَّبِيع، قَبلَ أَن أَنتَهِي، لأَضَعَه بَينَ صَفحَاتِه!
وَأَنتَ يَا أُرجُوَانَ التِّلَالِ قَبلَ الظَّهِيرَة، قَبلَ أَن أَنتَهِي، امنَحنِي بَعضًا مِنك!
وَأَيُّهَا العُشبُ الخَالِد، بَعضًا مِنك!

مِن شرائع داكُوتا البعيدة

(25 يونيو 1876)

مِن شَرَائِع دَاكُوتَا البَعِيدَة،
أَرَاضِي الوَادِي البَرِّي، سيُوكس[*] الغَسَقِيَّة، وَالامتِدَادِ المعزُول، وَالصَّمت،
عَوِيلٌ جنَائِزِي اليَوم بِالمصَادفَة، وَبِالمصَادفَةِ نَغمَةُ بُوقٍ مِن أَجلِ الأبطَال.

نَشرَةُ المعرَكَة،
الكَمِينُ الهِندِي، البَرَاعَةُ، البِيئَةُ المِيتَة،
مَجمُوعَاتُ الفُرسَان تُقَاتِل حَتَّى النِّهَايَةِ فِي أَقصَى بُطُولَة،
وَسطَ دَائِرَتِهِم الصَّغِيرَة، مَع أَحصِنَتِهِم الذَّبِيحَةِ عَلَى المتَارِيس،
سُقوط كُوستَر وضُبَّاطِه وَرِجَالِه.

تَتَوَاصَلُ حَتَّى الآن أُسطُورَةُ جِنسِنَا القَدِيمَةُ، القَدِيمَة،
وَشُمُوخُ الحَيَاةِ يُثبِتُه الموت،
الرَّايَةُ القَدِيمَة مَحفُوظَةٌ تَمَامًا،
أَيُّهَا الدَّرسُ المُنَاسِب، آهِ كَم أُرَحِّبُ بِك!

---

[*] إحدى قبائل الهنود الحمر.

جَالِسًا فِي الأَيَّامِ المظلِمَة،
وَحِيدًا، عَابِسًا، خِلَالَ ظُلمَةِ الزَّمَن الكَثِيفَةِ أَهفُو سُدًى إِلَى الضَّوءِ، إِلَى الأَمَل،
إِلَى بُرهَانٍ لَحَظِيٍّ وَحشِيٍّ مِن مَصَادِرَ مَوثُوقَة،
(الشَّمسُ هُنَاكَ فِي المَركَز رَغم اختِفَائِهَا،
فَالحَيَاةُ المُثِيرَةُ أَبَدًا فِي المَركَز)،
وَتَنفَجِر فِي الأَمَام وَمضَةُ بَرق.

أَنتَ يَا صَاحِبَ الشَّعرِ المنسَابِ الأَسمَر المُصفَر فِي المعرَكَة،
مَن رَأَيتُه قَبلَ بُرهَةٍ، بِرَأسٍ مُرفُوعَةٍ، مُندَفِعًا دَائِمًا فِي المقَدِّمَة، حَامِلًا سَيفًا لَامِعًا فِي يَدِك،
وَالآن تَنتَهِي بِالموتِ الحُمَّى الرَّائِعَةُ لِمَآثِرِك،
(لَا أَجِيءُ بِتَرنِيمَةٍ مِن أَجلِهَا أَو أَجلِك، بَل أَجِيءُ بِسُونَاتًّا ظَافِرَةٍ بَهِيجَة)،
يَائِسًا وَمَجِيدًا، حَقًّا فِي الهَزِيمَةِ الأَكثَر يَأسًا، الأَكثَر مَجدًا،
بَعدَ مَعَارِكِكَ الكَثِيرَةِ الَّتِي لَم تَتَنَازَل فِيهَا عَن بُندُقِيَّةٍ أَو رَايَة،
تَارِكًا خَلفَكَ لِلجُنُودِ ذِكرَى عَذبَة،
إِذ تَنَازَلتَ عَن نَفسِك.

أحلَامُ الحربِ القديمَة

بِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ مَكرُوبَةٍ فِي نَومٍ مُنتَصَفِ اللَّيل،
بِالنَّظرَةِ الأُولَى لِلمُصَابِين إِصَابَاتٍ قَاتِلة (تِلكَ النَّظرَةِ العَصِيَّةِ عَلَى الوَصف)،
بِالمَوتَى عَلَى ظُهُورِهِم وَأَيَادِيهُم مَفرُودَةٌ عَلَى اتِّسَاعِهَا،
أَحلُم، أَحلُم، أَحلُم.

بِمَشَاهِدِ الطَّبِيعَة، وَالحقُولِ وَالجِبَال،
بِالسَّمَاوَاتِ الفَاتِنَةِ بَعدَ عَاصِفَةٍ، وَالقَمَرِ المشرِقِ فِي اللَّيل بِصُورَةٍ لَا أَرضِيَّة،
يُشِع بِعُذُوبَةٍ، يُشِع عَلَى الأسفَل، حَيث نَحفُر الخَنَادِقَ وَنُلَملِم الأكوَام،
أَحلُم، أَحلُم، أَحلُم.

طوِيلًا كَانُوا يَمُرُّون، وُجُوهٌ وَخَنَادِقُ وَحُقُول،
حَيثُ تَحَرَّكتُ خِلَالَ الأشلَاءِ برَبَاطَةِ جَأشٍ فَظَّة، أَو بَعِيدًا عَن المتَسَاقِطِين،
أَسرَعتُ إِلَى الأمَام فِي ذَلِكَ الحِين– لَكِنِّي الآن بِأَشكَالِهِم فِي اللَّيل،
أَحلُم، أَحلُم، أَحلُم.

رايةٌ كثيفـةُ البرقشَـة

رَايَـةٌ كَثِيفَةُ البَرقَشَة! عَلَم النُّجُوم!
لَكِن طَرِيقَكَ طَوِيلٌ، أَيُّهَا العَلَم المشئُوم- لَكِن طَرِيقَكَ طَوِيلٌ، وَمَحْطُوطٌ بِمَوتٍ دَمَوِي،
ذَلِكَ أَن الجَائِزَةَ التِي أَرَاهَا عِندَ بَابِ الخُرُوج فِي النِّهَايَةِ هِي العَالَم،
فَكُل سُفنِه وَشُطآنِه أَرَاهَا مَجدُولَةً بِخُيُوطِكِ أَيَّتُهَا الرَّايَةُ الشَّرِهَة؛
فَهَل حَلُمتِ مِن جَدِيدٍ بِأَعلَامِ المُلُوك، المرفُوعَةِ عَالِيًا، لِتَتَمَاوَجَ بِلا غَرِيم؟
فَلتُسرِع يَا عَلَم الإِنسَان- بِخُطوَةٍ وَاثِقَةٍ وَرَاسِخَة، عَابِرًا أَعلَامَ المُلُوكِ العَالِيَة،
انطَلِق سَامِيًا إِلَى السَّمَاوَاتِ أَيُّهَا الرَّمزُ القَوِي- ارتَفِع فَوقَهُم جَمِيعًا،
يَا عَلَمَ النُّجُوم! أَيَّتُهَا الرَّايَةُ كَثِيفَةُ البَرقَشَة!

أفضل ما أراه فيك

إلى ي. س. ج. وقد عاد من جولته العالمية[*]

أَفضَل مَا أَرَاه فِيك،
لَا أَنَّكَ مَضَيتَ عَلَى الطُّرُقِ العَامَّةِ العَظِيمَةِ لِلتَّارِيخ،
مُتَوَهِّجًا أَبَدًا بِفِعلٍ مَا يُطلِقُه الزَّمَنُ مِن إبهَارِ الانتِصَارِ الحَربِي،
أَو أَنَّكَ جَلَستِ حَيثُ جَلَسَ وَاشِنطُن، حَاكِمًا لِلبِلَادِ فِي سَلَام،
أَو أَنَّكَ الرَّجُلُ الذِي احتَفَت بِه أُورُوبَّا الإِقطَاعِيَّةُ، وَاحتَشَدَت لَه آسيَا الجَلِيلَة،
مَن سَارَ مَع الملُوكِ بِخُطوَةٍ وَاثِقَةٍ فِي جَولَةِ نُزهَةِ العَالَم؛
لَكِن فِي بُلدَانٍ أَجنَبِيَّة، فِي كُل تَمشِيَاتِك مَع الملُوك،
فَإِن تِلكَ البَرَارِي المهَيمِنَة فِي الغَرب، كَانسَاس، وَمِيسُّورِي، وَإِلينُوي،
مَلَايِينَ أُوهيُو، وَإِندِيَانَا، رِفَاقًا، وَمُزَارِعِين، وَجُنُودًا، جَمِيعًا فِي المقَدِّمَة،
لَامَرئِيِّين خِلَالَ سَيرِكِ مَع الملُوك بِخُطوَةٍ وَاثِقَةٍ فِي جَولَةِ نُزهَةِ العَالَم،
كَانُوا جَمِيعًا مُحِقِّين تَمَامًا.

[*] القصيدة موجهة إلى الرئيس الأميريكي يوليسيز س. جرانت.

الرُّوحُ التي صَاغَت هذا المشهَد

كُتبت في بلات كانون، كلورادو

أَيَّتُهَا الرُّوحُ التِي صَاغَت هَذَا المشهَد،
أَكوَامُ الحِجَارةِ المتسَاقِطَةِ هَذِه، الكَالِحَةِ الحَمرَاء،
وَهَذِه القِمَمُ الطَّائِشَةُ الطَّامِحَةُ إِلَى السَّمَاء،
هَذِه الممَرَّاتُ الضَّيِّقَة، وَاليَنَابِيعُ المضطَرِمَةُ الصَّافِيَة، والانتِعَاشُ العَارِي،
هَذِه العُرُوضُ البَرِيَّةُ بِلَا شَكل، لأسبَابٍ خَاصَّةٍ بِهَا،
أَعرِفُكِ، أَيَّتُهَا الرُّوحُ البَرِّيَّة– لَقَد تَشَارَكنَا مَعًا،
وَعُرُوضِي أَيضًا بَرِيَّةٌ، لأسبَابٍ خَاصَّةٍ بِهَا؛
أَلَم تُتَّهَم أَنَاشِيدِي بِأَنَّهَا نَسِيَت الفَن؟
لِتُدمِجَ فِي ذَاتِهَا قَوَاعِدَهَا الدَّقِيقَةَ وَالرَّهِيفَة؟
هَل نُسِيَت دَقَّاتُ الشَّاعِرِ الغِنَائِي الموزُونَة– رَشَاقَةُ المعبَدِ المنحُوتَة– العَمُودُ وَالقَوسُ الصَّقِيل؟
لَكِن أَنتِ التِي تُعَربِدِين هُنَا– الرُّوحُ التِي صَاغَت هَذَا المشهَد،
لَقَد تذَكَّرُوكِ.

وأنا أتمشّى في هذه الأيام المهيبة الرحيبة

وَأَنَا أَتَمَشَّى فِي هَذِه الأَيَّامِ المهِيبَةِ الرَّحِيبَة لِلسَّلَام،
(فَالحَربُ، وَنِضَالُ الدَّمِ انتهَيَا، فِيمَا، أَيُّهَا المَثَلُ الأعلَى الفَظِيع،
كَسبنَا بِصُورَةٍ رَائِعَةٍ الحَربَ ضِد الغَرَائِبِ الكَبِيرَةِ قَبلَ قَلِيل،
وَالآنَ تَخطُو إِلَى الأَمَام، لَكِن رُبَّمَا- عَاجِلًا أَو آجِلًا- نَحو حُرُوبٍ أَكثَر كَثَافَة،
رُبَّمَا لِلدُّخُولِ- عَاجِلًا أَو آجِلًا- فِي صِرَاعَاتٍ وَمَخَاطِر أَكثَر رُعبًا،
حَملَاتٍ وَأَزمَاتٍ أَطوَل، مَشَاق أَكثَر مِن غَيرِهَا جَمِيعًا)،
حَولِي أَسمَع ذَلِك النَّجَاحَ البَاهِرَ لِلعَالَم، وَالسِّيَاسَة، وَالإِنتَاج،
إِعلَانَات الأَشيَاءِ وَالعُلُوم التِي تَم التَّعرُّفُ عَلَيهَا،
وَالنُّمُو المستَحسَنِ لِلمُدُن وَانتِشَار المختَرَعَات.

أَرَى السُّفُن (سَتَتَوَاصَلُ لِبِضعِ سَنَوَات)،
وَالمصَانِعَ الكُبرَى بِرُؤسَاءِ العُمَّال وَالعُمَّال،
وَأَسمَع مُوَافَقَةَ الجَمِيع، وَلَا أَعتَرِضُ عَلَى ذَلِك.

لَكِنِّي أَيضًا أُعلِن الأَشيَاءَ الصَّلدَة،
فَالعِلمُ، وَالسُّفُنُ، وَالسِّيَاسَةُ، وَالمدُنُ، وَالمصَانِع، لَيسَت هُرَاءً،
كَمَوكِبٍ عَظِيمٍ عَلَى إِيقَاعِ أَبوَاقٍ بَعِيدَةٍ مُنسَابَة، تَمضِي فِي انتِصَارٍ، وَعَلَى المَرأَى

جَيَشَانٌ عَظِيم،

إِنَّهُم يَصمُدُون مِن أَجلِ الحَقَائِق– الكُل هَكَذَا كَمَا يَنبَغِي أَن يَكُون.

إِذَن حَقَائِقِي؛

فَمَا الأكثَر حَقِيقِيَّةً مِن حَقَائِقِي؟

الحُرِيَّةُ وَالسَّمَاوِي العَادِي، الحُرِيَّةُ لِكُل عَبدٍ عَلَى وَجهِ الأرض،

الوُعُودُ المنتَشِيَةُ وَنُورُ الرَّائِين، العَالَم الرُّوحَانِي، هَذِه الأُغنِيَات المتوَاصِلَةُ لِقُرُون،

وَرُؤَانَا، رُؤَى الشُّعَرَاء، هِي أَكثَر الإِعلَانَاتِ صَلَادَة.

مُنتصف ليلٍ صَافٍ

هَذِه هِي سَاعَتُكِ أَيَّتُهَا الرُّوح، طَيَرَانُكِ الحُر إِلَى الصَّمت،
بَعِيدًا عَن الكُتُب، بَعِيدًا عَن الفَن، فَالنَّهَارُ امَّحَى، وَالدَّرسُ انتَهَى،
هُو انبِثَاقُكِ الكَامِل قُدُمًا، صَامِتَةً، مُحَدِّقَةً، مُتَأَمِّلَةً لِلأفكَارِ التِي أَحبَبتِهَا،
لَيلٌ، نَومٌ، مَوتٌ وَنُجُوم.

أغنيـَـات الرَّحيـــل

إذ يدنُـو الوقت

إِذ يَدنُو الوَقتُ كَغَيمَةٍ كَئِيبَة،
يُظلِمُنِي خَوفٌ مَا فِيمَا وَرَاء مَا لا أَدرِي.

سَأَمضِي إِلَى الأَمَام،
سَأَجتَاز الولَايَاتِ لِبُرهَة، لَكِنِّي لَا يُمكِنُنِي قَولُ إِلَى أَينَ أَو إِلَى مَتَى،
رُبَّمَا ذَاتَ يَومٍ أَو لِيلَةٍ قَرِيبًا فِيمَا أُغَنِّي يَتَوَقَّفُ صَوتِي فَجأَةً.

أَيُّهَا الكِتَاب، أَيَّتُهَا الأَنَاشِيد! أَيَنبَغِي إِذَن أَلَا يَبلُغ كُلُّ شَيءٍ إِلَا ذَلِك؟
أَيَنبَغِي أَن نَصِلَ بِالكَادِ إِلَى بِدَايَتِنَا هَذِه؟- وَمَع ذَلَك فَهُو كَافٍ، أَيَّتُهَا الرُّوح؛
أَيَّتُهَا الرُّوح، لَقَد تَجَلَّينَا بِصُورَةٍ إِيجَابِيَّة- وَذَلِكَ كَافٍ.

سـنوات "الحديث"

يَا سَنَوَاتِ "الحَدِيث"! سَنَوَاتِ غَيرِ المُنجَـز!
هَا هُو أُفُقُكِ يُشرِق، أَرَاه يَنشَقُّ بَعِيدًا مِن أَجلِ دِرَامَاتٍ أَكثَرَ جَلَالًا،
لَا أَرَى أَمِيرِيكَا وَحدَهَا، لَا أُمَّةَ **الحُرِيَّةِ** وَحدَهَا، بَل أُمَمًا أُخرَى تَتَأَهَّب،
أَرَى مَدَاخِلَ وَمَخَارِجَ رَائِعَة، مَجمُوعَاتٍ جَدِيدَةً، تَضَامُن الأَجنَاس،
أَرَى القُوَّةَ تَتَقَدَّم بِقُوَّةٍ لَا تُقَاوَم عَلَى مَسرَحِ العَالَم،
(هَل أَنهَت دَورَهَا القُوَى القَدِيمَةُ، والحُرُوبُ القَدِيمَة؟ هَل انتَهَت الفُصُولُ المنَاسِبَةُ لَهُم؟)
أَرَى **الحُرِيَّة**، مُدَجَّجَةً تَمَامًا وَظَافِرَةً وَشَامِخَةً، مَع **القَانُون** إِلَى جَانِبِهَا وَ**السَّلَامِ** إِلَى الجَانِب الآخَر،
ثُلَاثِي رَائِعٌ يَتَقَدَّمُون جَمِيعًا ضِد فِكرَة التَّبذ؛
فَأَيَّةُ نَتَائِج تَارِيخِيَّة هِي تِلكَ التِي نَدنُو مِنهَا عَلَى عَجَل؟
أَرَى رِجَالًا يَسِيرُون وَيَنكُصُون بِمَلَايِين رَشِيقَة،
أَرَى الجَبهَاتِ وَالحُدُودَ لِلأَرستُقرَاطِيَّات القَدِيمَةَ تَتَكَسَّر،
أَرَى مَعَالِم المُلُوكِ الأُورُوبِيِّين تُزَال،
أَرَى ذَلِكَ اليَومَ الذِي يَضَعُ فِيه النَّاسُ مَعَالِمَهُم هُم (وَالأخرى كُلُّهَا تَتَنَحَّى)؛
أَبَدًا لَم تُطرَح مِثل هَذِه الأَسئِلَةِ الشَّائِكَةِ كَمَا اليَوم،
أَبَدًا لَم يَكُن الرَّجُل العَادِي، وَرُوحُه، أَكثَر حَيَوِيَّة، أَشبَه بِإِلَه،

يَا لَلعَجَب! كَم يَندَفِع وَيَندَفِع، بِلَا رَاحَةٍ لِلجُمُوع!
قَدَمُه الجَرِيئَة فِي كُل مَكَانٍ عَلَى الأرضِ وَالبَحر، يَحتَل البَاسِيفِيك وَالأرخَبِيلَات،
بِالبَوَاخِر، وَالتِّلِغرَافِ الكَهربَائِي، وَالجَرِيدَة، وَمُحَرِّكَاتِ الحَرب بِالجُملَة،
بِهَؤلَاء وَبِالمصَانِع المنتَشِرَةِ فِي العَالَم يَربِطُ كُل الجُغرَافِيَّات، كُلَّ البُلدَان؛
فَأَيَّةُ هَمسَاتٍ هَذِه أَيَّتُهَا البُلدَان، التِي تَجرِي أَمَامَك، عَابِرَةً تَحتَ البِحَار؟
هَل تَتَشَارَك كُل الأُمَم؟ هَل سَيُصبِحُون قَلبًا وَاحِدًا عَلَى الكَوكَب؟
هَل تَتَشَكَّل الإِنسَانِيَّةُ فِي كُتلَةٍ وَاحِدَة؟ انظُرُوا، فَالطُّغَاةُ يَرتَعِدُون، وَالتِّيجَانُ تُعتِم،
الأَرضُ الحَرُون تُوَاجِه حِقبَةً جَدِيدَةً، رُبَّمَا حَربًا سَمَاوِيَّةً عَامَّة،
لَا أَحَدَ يَدرِي مَا سَيَحدُثُ بَعدَ ذَلِك، فَهَذِه النُّذُر تَملَأُ النَّهَارَات وَاللَّيَالِي؛
سَنَواتٌ نُبُوئِيَّة! وَالفَضَاءُ أَمَامِي وَأَنَا أَمشِي، إِذ أُحَاوِل اختِرَاقَه سُدًى، مُفعَمٌ بِالأَطيَاف!
أَفعَالٌ لَم تُولَد، أَشيَاءٌ سَرعَانَ مَا تَكُون، تَعرِضُ أَشكَالَهَا حَولِي،
هَذَا الاندِفَاعُ وَالحَر الذِي لَا يُصَدَّق، هَذِه الحُمَّى النَّشوَانَةُ الغَرِيبَة مِن أَحلَامٍ أَيَّتُهَا السَّنَوَات!
أَحلَامُك أَيَّتُهَا السَّنَوَات، كَم تَتَغلَغَلُ فِيَّ! (لَا أَدرِي مَا إِن كُنتُ نَائِمًا أَم يَقِظًا)؛
تُصبِحُ أَمِيرِيكَا وَأُورُوبَّا المتَحَقِّقتَان مُظلِمَتَين، تَتَرَاجَعَان فِي الظِّل وَرَائِي،
وَمَا لَم يَتَحَقَّق، أَكثَر عَظَمَةً مِن ذِي قَبل، يَتَقَدَّم إِلَيْ.

رمَــاد الجنُــود

يَا رَمَادَ الجنُودِ فِي الجَنُوبِ أَو الشَّمَال،
إذ أَتَأَمَّل مُستَعِيدًا مَا جرَى مُغَمغِمًا بِأُنشُودَةٍ فِي بَالِي،
تُستَعَادُ الحَربُ، وَأَشكَالُك تَعُود إِلَى حَوَاسِّي مِن جَدِيد،
وَتَقَدُّمُ الجيُوشِ مِن جَدِيدٍ.

بِلَا صَوتٍ كَالضَّبَابِ وَالبُخَار،
صَاعِدِين مِن مَقَابِرِهِم بِالخَنَادِق،
مِن المَقَابِرِ فِي كُل مَكَانٍ بِفِرجِينيَا وَتِينِّيسِّي،
مِن كُل نُقطَة مِن المسَاحَةِ خَارِجَ القُبُورِ بِلَا حَصر،
فِي غُيُومٍ مُندَفِعَة، فِي آلَافٍ كَثِيرَة، أَوْ فِرَقٍ ثُنَائِيَّاتٍ أَو ثُلَاثِيَّاتٍ أَو مُنفَرِدِين يَجِيئُون،
وَفِي صَمتٍ يَلتَمُّون حَولِي.

الآن لَا تُصدِرِي صَوتًا أَيَّتُهَا الأبوَاق،
عَلَى رَأسِ فُرسَانِي المتَبَاهِين عَلَى خُيُولٍ مُفعَمَةٍ بِالحَيَوِيَّة،
بِسُيُوفٍ مَمشُوقَة وَلَامِعَة، وَبُندُقِيَّةُ القَرِبِين عَلَى أَفخَاذِهِم (آهٍ يَا فُرسَانِي الشُّجعَان!
فُرسَانِي الوَسِيمِين مَسفُوعِي الوُجُوه! فَمَا الحَيَاةُ، مَا البَهجَةُ وَالكِبرِيَاء،
مَع كُل المخَاطِرِ التِي وَاجَهتكُم).

وَلَا أَنتُم يَا قَارِعِي الطُّبُول، وَلَا حَتَّى عِند الاستِيقَاظِ فِي الفَجر،
وَلا القَرع الطَّوِيل المنَبِّه لِلمُعَسكَر، وَلَا حَتَّى القَرع المكتُوم لِلجنَازَة،
لَا شَيءَ مِنكُم هَذِه المرَّة يَا قَارِعِي الطُّبُولِ الحَامِلِين لِطُبُولِي الحَربِيَّة.

لَكِن بَعِيدًا عَن ذَلِك وَعَن أَسوَاقِ الثَّروَة وَالنُّزهَاتِ المزدَحِمَة،
مُتِيحًا لِرِفَاقِ حَمِيمِين لَا مَرئِيِّين مِن البَاقِين وَبِلَا صَوت أَن يُحِيطُوا بِي،
القَتِيلُ مُبتَهِجٌ وَحَي مِن جَدِيد، وَالغُبَارُ وَالحُطَامُ حَي،
وَأَنَا أُنشِدُ هَذِه الأُنشُودَةَ مِن رُوحِي الصَّامِتَةِ بِاسمِ جَمِيعِ الجُنُودِ القَتلَى.

الوُجُوه بَالِغَةُ الشُّحُوبِ بِعُيُونٍ مُندَهِشَة، أَثِيرَةٍ لِلغَايَة، تَتَجَمَّعُ مُتَلَاصِقَةً حَتَّى الآن،
تَزدَادُ تَلَاصُقًا، لَكِنَّهَا لَا تَنطِق.

أَطيَافٌ لِمَفقُودِين بِلَا حَصر،
يُصبِحُ رِفَاقِي لَا مَرئِيِّين مِن البَاقِين مِن الآن،
يَتبَعُونَنِي دَائِمًا– لَا يَهجُرُونَنِي أَبَدًا وَأَنَا عَلَى قَيدِ الحَيَاة.

فَاتِنَةٌ هِي خُدُودُ الأَحيَاءِ المتَوَرِّدَة–
فَاتِنَةٌ هِي الأَصوَاتُ الموسِيقِيَّةُ الصَّادِرَة،
لَكِنهُم فَاتِنُون، آهِ فَاتِنُون، الموتَى بِعيُونِهِم الصَّامِتَة.

رِفَاقِي الأَعِزَّاء، كُل شَيءٍ انتَهَى وزَالَ مُنذ أَمَدٍ بَعِيد،
لَكِن الحُب لَم يَنتَهِ– وَمَا الحُب، أَيُّهَا الرِّفَاق!
أَرِيجٌ يَتَصَاعَدُ مِن مَيَادِين المعركَة، يَصَّاعَد مِن العَفَن.

فَلتُعَطِّر لِهَذَا أُنشُودَتِي، أَيُّهَا الحُب، أَيُّهَا الحُب الخَالِد،
وَدَعنِي أَغسِل ذِكرَيَاتِي مِن كُل الجُنُودِ القَتلَى،
أُكَفِّنهُم، أُعَطِّرهُم، أُلُفُّهُم جَمِيعًا بِكِبرِيَاءٍ رَحِيم.

فَلتُعَطِّر الجَمِيع– اجعَل الجَمِيع مُعَافِين،
اجعَل هَذَا الرَّمَادَ يَتغَذَّى وَيُزهِر،
فَلتُذِب كُل شَيء، أَيُّهَا الحُب،
فَلتُخصِب كُلَّ شَيءٍ بِالكِيمِيَاءِ الأَخِيرَة.

اجعَلنِي بِلَا نَفَاد، اجعَلنِي نَبعًا،
لأَبُثَّ الحُبَّ مِنِّي أَينَمَا أَمضِي كَنَدًى رَطبٍ سَرمَدِي،
مِن أَجلِ رَمَادِ جَمِيع القَتلَى مِن الجَنُوبِ أَو الشَّمَال.

أفـــكار

[1]

لِهَذِه السَّنوَاتِ أُغَنِّي،
كَيفَ تَمُر وَكَيفَ مَرَّت خِلَالَ آلَامٍ مُتَشَنِّجَة، مِثلَمَا خِلَالَ مَخاضَاتِ الوِلَادَة،
كَيفَ تَرسُم أَمِيرِيكَا المِيلَادَ، وَالشَّبَابَ الرُّجُولِي، وَالوَعدَ، وَالتَّحقُّقَ الأكِيدَ، وَالنَّجَاحَ المطلَقَ، رغمَ النَّاس– تَرسُمُ الشَّر شَأنَ الخَير،
وَالكِفَاحَ العَنِيفَ بَالِغَ الشَّرَاسَةِ مِن أَجلِ وِحدَةٍ فِي ذَاتٍ وَاحِدَة،
كَم تَمَسَّكَ الكَثِيرُون فِي يَأسٍ مَعَ ذَلِكَ بِالنَّمَاذِجِ الماضِيَة، المنبُوذَة، وَالأسَاطِير، وَالإِذعَان، وَالإِكرَاه، وَحَتَّى الإِلحَاد،
وَكَم يَرَى القَلِيلُون النَّمَاذِجَ الجَدِيدَة، وَالرِّيَاضِيِّين، وَالوِلَايَاتِ الغَربِيَّة، أَو يَرَون الحُرِيَّة أَو الرُّوحَانِيَّة، أَو يَتَمَسَّكُون بِأَي إِيمَانٍ بِالنَّتَائِج،
(لَكِنِّي أَرَى الرِّيَاضِيِّين، وَأَرَى نَتَائِجَ الحَربِ مَجِيدَةً وَمَحتُومَة، وَتَقُود مِن جَدِيدٍ إِلَى نَتَائِج أُخرَى).

كَيفَ تَظهَر المدُن العَظِيمَة– كَيفَ هِي الجُمُوعُ الدِّيمُوقرَاطِيَّة، المُضطَرِمَة، العَنِيدَةُ، كَمَا أُحِبُّهَا،
كَيفَ تَتَوَاصَل وَتَتَوَاصَل الدوَّامَةُ، وَالمنَافَسَةُ، وَتَصَارُع الشَّر مَعَ الخَير، وَالرَّنِينُ وَالدَّوِي،

كَيفَ يَنتَظِرُ المجتَمَعُ بِلا صِيَاغَة، وَلِبُرهَةٍ فِيمَا بَين الأشيَاء المنتَهِيَةِ وَالأشيَاءِ المبتَدِئَة،
كَيفَ تَكُونُ أمِيرِيكَا قَارَةَ الأمجَاد، وَانتِصَارِ الحُرِيَّة وَالدِّيمُوقرَاطِيَّات، وَثِمَارِ المجتَمَع، وَكل شَيءٍ قَد بَدَأ،
وَكَيفَ تَكُون الوِلَايَاتُ كَامِلَةً فِي ذَاتِهَا– وَكَيفَ تَكُون جَمِيعُ الانتِصَارَاتِ وَالأمجَاد كَامِلَةً فِي ذَاتِهَا، لِتَمضِي إِلَى الأمَام،
وَكَيفَ سَيَكُون لِهَؤلَاء مِمَّن يَنتَمُون لِي وَيَنتَمُون لِلوِلَايَات أن يَنتَفِضُوا بِدَورِهِم، وَيَخدِمُوا مَخَاضَاتِ الوِلَادَةِ وَالتَّحَولَاتِ الأُخرَى،
وَكَيفَ لِجَمِيع النَّاسِ، وَالرُّؤَى، وَالمجمُوعَات، وَالجَمَاهِيرِ الدِّيمُوقرَاطِيَّة أيضًا، أن تُفِيد–
وَكَيفَ لِكُل وَاقِعَةٍ، وَالحَربِ نَفسِهَا، بِكُل فَظَائِعِهَا، أن تُفِيد،
وَكَيفَ لِكُل وَاحِدٍ– الآنَ أو فِي أيِّ وَقتٍ– أن يَخدِمَ الانتِقَالَ الرَّائِعَ لِلمَوت.

[2]

عَن البُذُورِ المتسَاقِطَةِ إِلَى التُّربَة، عَن الوِلَادَات،
عَن الاحتِشَادِ المضطَرِدِ لأمِيرِيكَا، عَلَى اليَابِسَة، فِي الأعَالِي، وصُولًا إِلَى أمَاكِن حَاشِدَةٍ وَمَنِيعَة،
عمَّا سَتؤُول إليه إِندِيَانَا، وَكِنتَاكِي، وَأركَانسَاس، وَالبَاقُون،
عَمَّا سَيَظهَر بِعدَ بِضعِ سَنَوَاتٍ هُنَاكَ فِي نِبرَاسكَا، وَكُولُورَادُو، وَنِيفَادَا، والبَاقِين،
(أو بَعِيدًا، صُعُودًا إِلَى البَاسِيفِيكِي الشَّمَالِي إِلَى سِيتكَا أو ألَيَاسكَا)،
عَمَّا تُمثِّل أورَاقُ الشَّجَر وَالنَّبَاتِ فِي أمِيرِيكَا استِعدَادًا لَه– وَعَن مَاهِيَّةِ كُلِّ المشَاهِد، وَالشَّمَال، وَالجَنُوبِ، والشَّرقِ وَالغَرب،
عَن هَذَا الاتِّحَادِ الذِي التَحَم بِالدَّم، عَن الثَّمَنِ المهِيبِ المدفُوع، عَن الخَسَارَةِ بِلا اسمٍ الحَاضِرَةِ دَائِمًا فِي بَالِي؛
عَن الاستِخدَامِ المؤَقَّتِ لِلمَوَاد مِن أجلِ الكَينُونَة،
عَن الحَاضِرِ العَابِرِ، الرَّاحِلِ– عَن تَنَامِي الرِّجَالِ المنجِزِين أكثَر مِن سِوَاهم،

عَن التدَفُّقِ لأسفَل هُنَاكَ حَيثُ الأُم المَانِحَةُ الحُرَّةُ المنتَعِشَة، المِيسِيسِيبِّي المنسَاب،
عَن المدُنِ الجَبَّارَةِ عَلَى اليَابِسَة لَكِن حَتَّى الآن بِلَا مُعَايَنَةٍ وَلَا اشتِبَاه،
عَن الأسمَاءِ الجَدِيدَةِ وَالجَيِّدَة، عَن التَّطورَاتِ الحَدِيثَة، عَن المسَاكِن التِي لَا تَتَغَيَّر مِلكِيَّتُهَا،
عَن حَيَاةٍ حُرَّةٍ وَأَصِيلَةٍ هُنَاك، عَن غِذَاءٍ بَسِيطٍ وَنَظِيفٍ وَدَمٍ عَذب،
عَن المرُونَةِ، وَالوُجُوهِ الجَلِيلَةِ، وَالعُيُونِ الصَّافِيَة، وَالجَسَدِ الكَامِلِ هُنَاك،
عَن النَّتَائِجِ الرُّوحِيَّةِ الهَائِلَةِ فِي الأعوَامِ القَادِمَة فِي الغَربِ البَعِيد، وَكُل جَانِبٍ مِن "أَنَاهوَاك"،
عَن هَذِه الأغَانِي، المفهُومَةِ جَيِّدًا هُنَاك (لأنَّهَا كُتِبَت لِتِلكَ المنطِقَة)،
عَن الازدِرَاءِ الفِطرِي لِلفَظَاظَة وَالمكَاسِب هُنَاك،
(آهِ إِنَّه كَامِنٌ دَاخِلِي لَيلَ نَهَار– فَمَا المكَاسِب فِي النِّهَايَةِ بِالنِّسبَةِ لِلبِدَائِيَّةِ وَالحُرِّيَّة؟)

أغنيـــة الغُـــروب

رَوعَةُ النَّهَارِ المنقَضِي تَطفُو وَتُفعِمُنِي،
أَيَّتُهَا السَّاعَةُ النَّبوِيَّةُ، السَّاعَةُ التِي تَستَعِيدُ المَاضِي،
تُضَخِّمِين حنجُرَتِي، أَيَّتُهَا العَادِيَّةُ السَّمَاوِيَّة،
أَنتِ الأَرضُ وَالحيَاةُ التِي أُغَنِّي إِلَى أَن يُومِضَ الشُّعَاعُ الأَخِير.

مَفغُور الفَم مِن غِبطَةِ رُوحِي النَّاطِقَة،
وَعَينَا رُوحِي تَرَيَان الكَمَال،
وَحَيَاتِي الطَّبِيعِيَّةُ تُطرِي الأَشيَاءَ بِإِخلَاص،
مُؤَكِّدَةً إِلَى الأَبَدِ انتِصَارَ الأَشيَاء.

رَائِعٌ كُل وَاحِد!
رَائِعٌ مَا نُسَمِّيه الفَضَاء، فَلَكُ الأَروَاحِ بِلَا حَصر،
رَائِعٌ سِر الحَرَكَةِ فِي كُل الكَائِنَات، حَتَى أَصغَر حَشَرَة،
رَائِعَةٌ خَاصِّيَّةُ الكَلَام، وَحَوَاس الجَسَد،
رَائِعٌ الضَّوءُ العَابِر– رَائِعٌ الانعِكَاسُ الشَّاحِبُ عَلَى القَمَر الجَدِيدِ فِي السَّمَاءِ الغَربِيَّة،
رَائِعٌ كُل مَا أَرَاه أَو أَسمَعُه أَو أَلمسُه، حَتَّى النِّهَايَة.

الخَيرُ فِي كُل شَيء،
فِي رِضَاءِ وَرَبَاطَةِ جَأشِ الحَيَوَانَات،
فِي العَودَةِ السَّنَوِيَّةِ لِلفصُول،
فِي صَخَبِ الشَّبَاب،
فِي قُوَّةِ وَفورَة الرُّجُولَة،
فِي عَظَمَةِ وَفِتنَةِ الشَّيخُوخَة،
فِي الآفَاقِ الرَّائِعَةِ لِلمَوت.

بَدِيعٌ أَن تَرحَل!
وَبَدِيعٌ أَن تَكُون هُنَا!
وَلِلقَلبِ أَن يَنفُثَ كُل شَيءٍ عَلَى السَّوَاءِ وَالدَّمَ البَرِيء!
أَن تَتَنفَّسَ الهَوَاء، كَم هُو لَذِيذ!
أَن تَتَكَلَّم- أَن تَمشِي- أَن تُمسِكَ شَيئًا مَا بِاليَد!
أَن تَتَأهَّبَ لِلنَّوم، لِلسَّرِيرِ، لِتَنظُرَ إِلَى بَشرَتِي الوَردِيَّة!
أَن تَكُونَ وَاعِيًا بِجَسَدِي، المكتَفِي، الضَّخم!
أَن تَكُون أَنَا هَذَا الرَّب الذِي لَا يُصَدَّق!
أَن تَمضِي قُدُمًا وَسطَ آلِهَةٍ أُخرَى، هَؤلَاء الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الذِين أُحِبُّهُم.

بَدِيعَةٌ كَيفِيَّةُ احتِفَالِي بِك وَبِنَفسِي!
كَيفَ تَلعَب أَفكَارِي بِبَرَاعَةٍ فِي المشَاهِدِ المحِيطَة بِي!
كَيفَ تَمُر الغُيُومُ فِي الأعَالِي بِصَمت!
كَيفَ تَنتَفِضُ الأَرض وَتَنتَفِض! وَكَيف تَنتَفِضُ الشَّمسُ، وَالقَمَرُ، وَالنُّجُومُ، وَتَنتَفِض،
كَيفَ تَتَلَاعَبُ المِيَاهُ وَتُغَنِّي! (بِالتَّأكِيدِ هِي حَيَّة!)

كَيفَ تَنبَثِقُ الأشجَارُ وَتَنتَصِب، بِجُذوعٍ قَوِيَّة، بِأَغصَانٍ وَأَورَاق!
(بِالتّأكِيدِ هُنَاكَ مَا هُو أَكثَر فِي كُل شَجَرَةٍ مِنهَا، رُوحٌ مَا حَيَّة).

يَا لَعَجَبِ الأشيَاء– حَتَّى أَدنَى جُزَيء!
يَا لَرُوحَانِيَّةِ الأَشيَاء!
يَا لَنَغمَةِ الموسِيقِي المنسَابَةِ عَبرَ العُصُورِ وَالقَارَّات، التِي تَبلُغُنِي الآن وَأَمِيرِيكَا!
آخُذُ أَوتَارَكِ القَوِيَّةَ، أُوَشِّيهَا، وَفِي ابتِهَاجٍ أُمَرِّرُهَا إِلَى الأَمَام.

أَنَا أَيضًا أَتَرَنَّمُ بِالشَّمس، فِي بَدئِهَا أَو فِي الظَّهِيرَة، أَو كَمَا الآن، فِي الغُرُوب،
أَنَا أَيضًا أَرتَجِف لَدَى بَرَاعَةِ وَجَمَالِ الأَرض وَجَمِيع ازدِهَارَاتِ الأَرض،
أَنَا أَيضًا أَحسَستُ بِنِدَاءِ ذَاتِي الذِي لَا يُقَاوَم.

وَإِذ انطَلَقتُ أَسفَلَ المِيسِيسِيبِّي،
إِذ طُفتُ بِالبَرَارِي،
إِذ عِشتُ، وَنَظَرتُ مِن خِلَالِ نَوَافِذِي، عَينَيْ،
إِذ مَضَيتُ قُدُمًا فِي الصَّبَاح، إِذ رَأَيتُ الضَّوءَ يُشرِقُ فِي الشَرق،
إِذ تَحَمَّمتُ عَلَى شَاطِئِ البَحرِ الشَّرقِي، وَمِن جَدِيدٍ عَلَى شَاطِئِ البَحرِ الغَربِي،
إِذ هِمتُ فِي شَوَارِعِ شِيكَاغُو، أَيًّا مَا كَانَت الشَّوَارِعِ هِمتُ،
أَو المدُن أَو الغَابَاتِ الصَّامِتَة، أَو حَتَّى وَسَطَ مَشَاهِدِ الحَرب،
أَينَمَا كُنتُ أَفعَمتُ نَفسِي بِالطُّمَأنِينَةِ وَالانتِصَار.

أُغَنِّي حَتَّى النِّهَايَةِ السِّمَاتِ الحَدِيثَةَ أَو القَدِيمَة،
أُغَنِّي النِّهَايَاتِ اللَانِهَائِيَّةَ لِلأشيَاء،
أَقُولُ إِن الطَّبِيعَةَ مُستَمِرَّة، وَالمجدَ مُستَمِر،

وَأَمتَدِحُ بِصَوتٍ مُثِير،
فَأَنَا لَا أَرَى نَقِيصَةً وَاحِدَةً فِي الكَون،
وَلَا أَرَى سَبَبًا أَو نَتِيجَةً وَاحِدَةً تَستَحِق البُكَاءَ فِي النِّهَايَةِ فِي الكَون.

أَيَّتُهَا الشَّمسُ الغَارِبَة! رَغمَ أَن الأَوَانَ آن،
فَمَا أَزَالُ أُغَرِّدُ تَحتَك، وَلَو لَم يُغَرِّد سِوَاي، فِي وَلَهٍ مَشبُوب.

فيما الموتُ أيضًا على بوابـاتِك

فِيمَا الموتُ أَيضًا عَلَى بَوَّابَاتِك،
دَاخِلًا أَرَاضِيكِ السِّيَادِيَّةَ، المعتِمَةَ، اللَامتنَاهِيَة،
إِلَى ذِكرَيَاتِ أُمِّي، إِلَى الأُمومَةِ السَّمَاوِيَّة، المتنَاغِمَة،
إِلَيهَا، المدفُونَةِ الرَّاحِلَةِ، لَكِن لَيسَت المدفُونَة، وَلَا الرَّاحِلَةَ عَنِّي،
(أَرَى مِن جَدِيدٍ الوَجهَ الهَادِئَ العَطُوفَ مُنتَعِشًا وَجَمِيلًا مَا يَزَال،
أَجلِس بِجِوَارِ القَوَامِ فِي النَّعش،
أُقَبِّلُ وَأُقَبِّل فِي تَشَنُّج مِن جَدِيدٍ الشَّفَتَينِ الشَّائِخَتِين العَذبَتَين، والخَدَّين، وَالعَينَين المُغمَضَتَينِ فِي النَّعش)؛
إِلَيهَا، هِي المرأَةُ المثَالِيَّةُ، العمَلِيَّةُ، الرُوحَانِيَّة، فِي الأَرض كُلِّهَا، الحَيَاةُ، الحُب، الأفضَل بِالنِّسبَةِ لِي،
أحفُر سَطرًا تذكَارِيًّا، قَبل أَن أَمضِي، وَسطَ هَذِه الأُغنِيَات،
وَأَضع شَاهِدَ قَبرٍ هُنَا.

ميـــراثي

رَجُلُ الأعمَال المتكَسِّبُ بِصُورَةٍ وَاسِعَة،
بَعدَ أَعوَامٍ شَاقَّةٍ مِن استِعرَاضِ النَّتَائِج، وَالتَّأهُّبِ لِلرَّحِيل،
يُقَسِّم المَنَازَلَ وَالأَرَاضِي عَلَى أبنَائِه، يَتَبَرَّع بِأَسـهُم، وَبَضَـائِع، وأَرصِـدَةٍ إِلَى مَدرَسَـةٍ أَو مُستَشفَى،
يَترُك أَموَالًا لِبَعضِ رِفَاقِه لِيَشتَروا تذكَارَاتٍ، وَهَدَايَا مِن الأحجَارِ الكَرِيمَةِ وَالذَّهَب.

لَكِنِّي، مُستَعرِضًا حَيَاتِي، فِي الخِتَام،
بِلَا شَيء لأُورثُه مِن أَعوَامِهَا المتَبَطِّلَة،
لَا مَنَازِلَ وَلَا أَرَاضِي، لَا تذكَارَاتٍ مِن أحجَارٍ كَرِيمَةٍ أَو ذَهَبٍ لأصدِقَائِي،
بَل ذِكرَيَاتٍ مَوثُوقَة عَن الحَربِ لَكُم، وَلِمَا بَعدَكُم،
وَتَذكَارَات صَغِيرَة مِن المَعسكَرَاتِ وَالجُنُود، مَعَ حُبِّي،
أَربِطُهَا مَعًا وَأَهبهَا فِي هَذِه الصُّرَّة مِن الأغَانِي.

متأملًا في نظرتها الميتة

مُتَأَمِّلًا فِي نَظرَتِهَا الميِّتة سَمِعتُ أُم الجَميع،
يَائِسَةً مِن الأجسَادِ الممَزَّقة، مُحَدِّقَةً فِي الأشكَالِ التِي تُغَطِّي مَيادِين المعرَكَة،
(إِذ تَوَقَّفت البُندُقِيَّةُ الأخِيرَةُ، لَكِن رَائِحَةَ دُخَانِ البَارُودِ استمَرَّت)،
إِذ دَعَت أَرضَهَا بِصَوتٍ مُنتَحِبٍ وَهِيَ تَطُوفُ خِلسَةً،
تَشَرَّبِيهِم تَمَامًا يَا أَرضِي، هَتَفَت، فَأَنَا أَعهَدُ لَكِ بِأَلَّا تفقِدِي أَبنَائِي، لَا تَفقِدِي وَلَو ذَرَّة،
وَأَنتِ أَيَّتُهَا الجَدَاوِل تَشَرَّبِيهِم جَيِّدًا، آخِذَةً دَمَهُم العَزِيز،
وَأَنتِ أَيَّتُهَا البِقَاعُ المحَلِّيَّة، أَنتَ أَيُّهَا الأثِيرُ الذِي تَستَحِم فِي الأَعَالِي بِخِفَّةٍ لَا مَحسُوسَة،
وَيَا كُلَّ جُوهَرٍ لِلتُّربَةِ وَالازدِهَار، وَيَا أَعمَاقَ أَنهَارِي،
يَا جَوَانِبَ الجَبَل، وَالغَابَات حَيثُ يَقطُر أَحمَرَ دَمُ أَبنَائِي الأعزَّاء،
وَأَيَّتُهَا الأشجَارُ فِي الأسفَل فِي جُذُورِك لِتُورِثِيه إِلَى جَمِيع أَشجَارِ المسَتقبَل،
فَلتَتَشَرَّبُوا موتَايَ أَو جَنُوبًا أَو شَمَالًا– تَشَرَّبُوا أَجسَادَ شُبَّانِي، وَدَمَهُم الغَالِي الغَالِي،
الذِي يَتَمَاسَكُ ثِقَةً بِي لِيَعُودَ بِإِخلَاصٍ مِن جَدِيدٍ فَيَمنَحنِي أَعوَامًا كَثِيرَةً مِن الآن،
فِي خُلَاصَةٍ وَرَائِحَةٍ خَفِيَّتَين لِلسَّطحِ وَالعُشب، بِعدَ قُرُونٍ مِن الآن،
وَفِي النَّسَائِم التِي تَهُب مِن الحقُولِ أَعِيدُوا لِي أَحِبَّائِي، أَبطَالِي الخَالِدِين،
تَنفُثُنِي عَلَيهِم بَعدَ قُرُونٍ، تَتَنَفَّسنِي أَنفاسُهُم، لَا تَدَع ذَرَّةً وَاحِدَةً تَضِيع،
أَيَّتُهَا الأعوَام وَالقُبُور! أَيُّهَا الأثِيرُ وَالتُّراب! يَا مَوتَاي، يَا أَرِيجًا عَذبًا!
فَلتَنفُثهُم أَبَدًا أَيُّهَا الموتُ العَذب، بَعدَ قُرُون.

معســكراتٌ خضــراء

لَيسَت وَحِيدَةً تِلكَ المُعَسكَرَاتُ البَيضَاءُ، يَا رِفَاقَ الحُرُوبِ القدَامَى،
حَين نَتَلَقَّى الأمرَ بِالتَّقدُّم، بَعدَ مَسِيرَةٍ طَوِيلَة،
مُتَقَرِّحِي الأقدَام مُنهَكِين، مَا إِن يَخفُت الضَّوءُ حَتَّى نَتَوَقَّف فِي اللَّيل،
بَعضُنَا بَالِغِي الإِرهَاقِ يَحمِلُون البُندُقِيَّةَ وَالمخلَاة، يَسقُطُون فِي النَّومِ فِي مَسَارَاتِنَا،
وَآخَرُون يَنصبُون الخِيَامَ الصَّغِيرَة، وَالنِّيرَانُ المشتَعِلَةُ تَبدَأ فِي إِطلَاقِ الشَّرَر،
الموَاقِعُ الأَمَامِيَّةُ لِلمُرَابِطِين شَكَّلت نِقَاطَ إِنذَارٍ خِلَالَ الظَّلَام،
وَأُعطِيَت كَلمَةُ سِر، مِن أَجلِ التَّأمِين،
حتَّى وَقتِ نِدَاءِ قَارِعِي الطُّبُولِ فِي الفَجرِ فِي قَرعِهِم العَالِي لِلطُّبُول،
نَنهَض مُنتَعِشِين، انتَهَى اللَّيلُ وَالنَّوم، وَنُوَاصِل رِحلَتَنَا،
أَو نَتَقَدَّم إِلَى المعرَكَة.

انظُرُوا إِلَى مُعَسكَرَاتِ الخِيَامِ الخَضرَاء،
التِي تَظَل تَملأُهَا نَهارَاتُ السَّلَام، وَتَظَل تَملأُهَا نَهارَاتُ الحَرب،
بِجَيشٍ غَامِض (هَل تَلَقَّى الأَمرَ أَيضًا بِالتَّقَدُّم؟ هَل التَّوقُّف لِبُرهَةٍ فَحَسب أَيضًا،
إِلَى أَن يَنتَهِي اللَّيلُ وَالنَّوم؟)

الآنَ فِي هَذِه المَعَسكَرَاتِ الخَضرَاء، فِي خِيَامِهَا التِي تُبَرقِشُ العَالَم،

فِي الآبَاءِ، الأبنَاءِ، الأزوَاجِ، الزَّوجَات، فِيهِم، فِي العَجَائِزِ وَالشُّبَّان،
نَائِمِين تَحتَ ضَوءِ الشَّمس، نَائِمِين تَحتَ ضَوءِ القَمَر، رَاضِين صَامِتِين هُنَاكَ فِي النِّهَايَة،
يَرَون ميدَانَ الإِقَامَةِ المؤَقَّتَة الهَائِلَ وَمُخَيَّمَ الإقَامَةِ المؤقَّتةِ لِلجَمِيع،
لِلوِحدَاتِ وَالقَادَةِ جَمِيعًا، وَالرَّئِيسُ عَلَى رَأسِ الوِحدَاتِ وَالقَادَةِ جَمِيعًا،
وَكُل وَاحِدٍ مِنَّا أَيُّهَا الجُنُود، وَكُل وَاحِدٍ وَجَمِيعُ مَن بِالصُّفُوف قَاتَلنَا،
(هُنَاكَ بِلَا ضَغِينَةٍ نَحنُ جَمِيعًا، جَمِيعًا نَلتَقِي).

الآنَ أَيُّهَا الجُنُود، نَحنُ أَيضًا مُعَسكَرٌ فِي مَكَانِنَا فِي مُخَيَّمَاتِ الإِقَامَةِ المؤَقَّتَة الخَضرَاء،
لَكِنَّنَا لَا نَحتَاجُ إِلَى زَادٍ لِمَوَاقِعِنَا الأَمَامِيَّة، وَلَا كَلِمَة سِر،
وَلَا قَارِعَ طَبلٍ لِيَقرَعَ طَبلَةَ الصَّبَاح.

نشـــيج الأجـــراس

(منتصف الليل، 19-20 سبتمبر 1881)

نشِيجُ الأجرَاس، أَخبَارُ الموتِ المفَاجِئَةُ فِي كُل مَكَان،
النَّاعسُون يَنهَضُون، وَشَائِجُ الشَّعب،
(يَعرفُون تمَامًا هَذِه الرسَالَةَ في الظَّلَام،
يَعُودُون تَمَامًا، يَستَجِيبُون فِي صُدُورِهِم، وَعُقُولِهِم، وَالأصدَاءِ الحَزِينَة)،
الدَّق وَالقَرعُ المشبُوبُ– مِن مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَة، يَتَجَمَّعُون، يَصِيحُون، يَمرُّون،
تِلكَ ضَربَاتُ القُلُوبِ لـأُمَّةٍ فِي اللَّيل.

إذ يقتربون من خاتمـةٍ ما

إِذ يَقتَرِبُون مِن خَاتمَةٍ مَا،
لِمَا يَكمُن وَرَاء الأَغَانِي السَّابِقَة– لِغَايَاتِي فِيهَا،
لِلبِذرَةِ التِي سَعَيتُ لِغَرسِهَا فِيهَا،
لِلفَرح، الفَرَحِ العَذبِ، طُوَالَ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، فِيهَا،
(مِن أَجلِهَا، مِن أَجلِهَا عِشتُ، وَفِيهَا اكتَمَل عَمَلِي)،
لِلكَثِيرِ مِن الطُّمُوحَاتِ الأَثِيرَة، لِلكَثِيرِ مِن الأَحلَام وَالمشرُوعَات؛
خِلَال المكَانِ وَالزَّمَانِ المنصَهِرَين فِي أُنشُودَة، وَالهوِيَّةِ الأَبَدِيَّةِ المنسَابَة،
فِي الطَّبِيعَةِ الشَّامِلَةِ لِهَؤلَاء، الشَّامِلَةِ لِلرَّب– مِن الكُل المرِحِ، المثِير،
مِن الإِحسَاسِ بِـالموتِ، وَالقَبُولِ المنتَشِي بِـالموتِ بِدَورِهِ شَأنه شَأنَ الحَيَاة،
هُو مَدخَلُ المرءِ لِلغنِاء؛
لِأَحتَوِيكُم، أَيُّهَا الرَّاحِلُون، أَيَّتُهَا الحَيَوَاتُ المتنَوّعَة،
لِأَربِطَ الجِبَالَ وَالصُّخُورَ وَاليَنَابِيع،
وَرِيَاحَ الشَّمَالِ، وَغَابَاتِ البَلُّوطِ وَالصُّنُوبَر،
بِكِ أَيَّتُهَا الرُّوح.

الفَـرح، يا رفيقَ البَحر، الفَـرح!

الفَرَح، يَا رَفِيقَ البَحرِ، الفَرَح!
(مَسرُورًا حَتَّى أعمَاقِ رُوحِي بِالموتِ أَصِيح)،
حَيَاتُنَا اكتَمَلَت، حَيَاتُنَا تَبدَأ،
نُغَادِر المرسَى الطَّوِيلَ، الطَّوِيل،
فَالسَّفِينَةُ بِلَا شَائِبَةٍ فِي النِّهَايَة، تَقفِـز!
تَنطَلِقُ سَرِيعَةً مِن الشَّاطِئ،
فَالفَرَح، يَا رَفِيقَ البَحرِ، الفَرَح.

الحاجــة غير المعلَنــة

الحَاجَةُ غَيرُ المعلَنَةِ مِن الحَيَاةِ وَالأرضِ لَم تَتَحَقَّق أَبَدًا،
فَأَقلِع الآنَ أَيُّهَا المسَافِرُ إِلَى الأَمَام لِتَبحَثَ وَتَعثُرَ عَلَيهَا.

بوّابـــات

مَن هُم هَؤَلَاءِ المعرُوفُون لِيَصعَدُوا وَيَدخُلُوا **المجهُول**؟

وَمَن هُم هَؤلَاء الأحيَاءُ المنذُورُون لِلمَوت؟

هذِه الترانيـــم

هَذِه التَّرَانِيمُ صَدَحَت لِتُبهِج طَرِيقِي خِلَال العَالَم الذِي أَرَاه،
أَمَّا الاستِكمَالُ فَأُهدِيه إِلَى العَالَم غَيرِ المرئِي.

الخاتمة الآن على الشَّاطئ

الخَاتِمَةُ الآنَ عَلَى الشَّاطِئ،
الآن خَاتِمَةُ وَوَدَاعُ الأرض وَالحَيَاة،
الآن فَلترحَل أَيُّهَا المسَافِر (فَلَدَيكَ الكَثِيرُ الكَثِير، حَتَّى الآن فِي الرَّصِيد)،
لَقَد غَامَرتَ بِمَا يَكفِي كَثِيرًا فَوقَ البِحَار،
مُبحِرًا بِحَذَرٍ، دَارِسًا الخَرَائِط،
عَائِدًا فِي المَوعِدِ مِن جَدِيدٍ إِلَى المينَاءِ مُعِيدًا رَبطَ الحِبَال؛
لَكِن فَلتُطِع الآن رَغبَتَك السِّرِّيَّةَ الأَثِيرَة،
عَانِق أَصدِقَاءَك، اترُك كُلَّ شَيءٍ فِي نِظَام،
بِلَا عَودَةٍ إِلَى المِينَاء وَرَبطَةِ الحَبل،
فَلتُبحِر فِي رِحلَتِك اللَانِهَائِيَّة أَيُّهَا البَحَّارُ العَجُوز.

وداعًـــا!

فِي الخِتَام، أُعلِن مَا سَيَأتِي مِن بَعدِي.

أَذكُر أَنَّنِي قُلتُ قَبل أَن تَنبَثِق أَورَاقُ عُشبِي أَصلًا،
إِنَّنِي سَأرفَع صَوتِي مُبتَهِجًا وَقَوِيًّا فِيمَا يَتعَلَّق بِالتَّحقُّقَات.

حِين تُحَقِّق أَمِيرِيكَا الوُعُود،
حِين يَسِير خِلَالَ هَذِه الوِلَايَاتِ مِئةُ مِليُون شَخصٍ رَائِع،
حِين يَرحَلُ البَاقُون بَعِيدًا مِن أَجلِ أَشخَاصٍ رَائِعِين وَيُسَاهِمُوا فِيهِم،
حِين يَدُلُّ أَبنَاءُ الأُمَّهَاتِ الأَروَع عَلَى أَمِيرِيكَا،
آنَئِذٍ- بِالنِّسبَةِ لِي وَلِمَا يَخُصُّنِي- فَهوَ إِنجَازُنَا المستَحَق.

لَقَد شَقَقتُ طَرِيقِي بِنَفسِي،
غَنَّيتُ الجَسَدَ وَالرُّوحَ، غَنَّيتُ الحَربَ وَالسَّلَام، وَأُغنِيَاتِ الحَيَاةِ وَالموت،
وَأُغنِيَاتِ المِيلَاد، وَكَشَفتُ أَن هُنَاكَ أَكثَر مِن مِيلَاد.

قَدَّمتُ أُسلُوبِي إِلَى كُل وَاحِد، وَارتَحَلتُ بِخُطوَةٍ وَاثِقَة؛
وَفِيمَا مَا تَزَالُ مُتعَتِي فِي أَوجِهَا أَهمِس *وَدَاعًـا* !

وَأُصَافِحُ يَدَ الشَّابَّةِ وَيَدَ الشَّاب لِلمَرَّةِ الأخِيرَة.

أُعلِن الأشخَاصَ الطَّبِيعِيِّين أَن يَنهَضُوا،
أُعلِن انتِصَارَ العدَالَة،
أُعلِن الحُرِيَّةَ وَالمسَاوَاةَ بِلَا مُسَاوَمَة،
أُعلِن تبرِيرَ البَرَاءَةِ وَتبرِيرَ الكِبرِيَاء.

أُعلِن أَن كَينُونَةَ هَذِه **الوِلَايَاتِ** هِي كَينُونَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسب،
أُعلِن أَن **الاتِّحَاد** أَكثَر فَأَكثَر اندِمَاجًا، بِلَا فِكَاك،
أُعلِن رَوعَةَ وَعَظَمَةَ أَن تجعَل مِن كُل السِّيَاسَات السَّابِقَةِ للأرضِ بِلَا أَهمِّيَّة.

أُعلِن الانضِمَامَ، أَقُولُ إِنَّه سَيَكُون بِلَا حُدُود، بِلا انفِصَال،
أَقُولُ إِنَّكَ سَتَجِدُ مَعَ ذَلِكَ الصَّدِيقَ الذِي كُنتَ تَبحَثُ عَنه.

أُعلِن عَن مَجِيء رَجُلٍ أَو امرَأَة، رُبَّمَا أَنتَ (*وَدَاعًا!*)
أُعلِن الفَردَ العَظِيمَ، مُتَدَفِّقًا كَالطَّبِيعَة، طَاهِرًا، مَشبُوبًا، عَطُوفًا، مُدَجَّجًا عَن آخِرِه.

أُعلِن عَن حَيَاةٍ سَتُصبِحُ خِصبَةً، مَشبُوبَةً، رُوحَانِيَّةً، جَرِيئَة،
أُعلِن عَن نِهَايَةٍ سَوفَ تَلقَى بنعُومَةٍ وَبَهجَةٍ تَرجَمَتَهَا.

أُعلِن عَن آلَافِ الآلافِ مِن الشُّبَّان، الجَمِيلِين، العِظَام، خَفِيفِي الظِّل،
أُعلِن عَن جِنسٍ مِن العَجَائِز الرَّائِعِين الشَّرِسِين.

آهِ أَكثَف وَأَسرَع– (*وَدَاعًا!*)

أَيُّهَا الزِّحَامُ الكَثِيفُ فَوقِي،
إِنَّنِي أَحدِسُ كَثِيرًا، بِمَا يَعنِي أَكثَرَ مِمَّا كُنتُ أَظُن،
وَيَبدُو لِي أَنَّنِي أَحتَضِر.

فَأَسرِعِي أَيَّتُهَا الحنجَرَة وَأَطلِقِي صَوتَكِ الأَخِير،
قُومِي بِتَحِيَّتِي– حَيِّي الأَيَّامَ مَرَّةً أُخرَى. جَلجِلِي بِالصَّرخَةِ القَدِيمَةِ مَرَّةً أُخرَى.

صُرَاخٌ مُثِير، يَستَنفِد الجَو،
عَشوَائِيًّا أَنظُر، مُتَسَرِّبًا كُل مَا أَلحَظ،
سَرِيعًا، لَكِن مُضطَرِمًا لِبُرهَة،
مُسلِمًا رَسَائِلَ غَرِيبَةً مُغَلَّفَة،
وَيَسَّاقَطُ شَرَرٌ حَار، وَبِذرَةٌ أَثِيرِيَّةٌ فِي القَاذُورَات،
بِلَا إِدرَاكٍ لِنَفسِي، مُطِيعًا لِمُهِمَّتِي، بِلَا جُرأَةٍ عَلَى مُسَاءَلَتِهَا،
إِلَى عُصُورٍ وَعُصُورٍ لَا أَترُكُ سِوَى ازدِهَارِ البِذرَة،
إِلَى جُيُوشٍ تَنبَثِقُ خَارِجَةً مِن الحَرب، نَاشِرَةً المَهمَّةَ التِي حَدَّدتُهَا،
إِلَى نِسَاءٍ يَتَوَارَثن هَمسَاتٍ مُعَيَّنَةً عَنِّي، يَشرَحن بِوضُوحٍ أَكبَر مَحَبَّتَهُن لِي،
إِلَى شُبَّانٍ يَعرِضُون مَشَاكِلِي– لَستُ مُتَكَاسِلًا– مُختَبِرًا عَضَلَاتِ أَذهَانِهِم،
هَكَذَا أَمُر، شَفَاهِيًّا لِبُرهَة، مَرئِيًّا، نَقِيضًا،
فِيمَا بَعد صَدًى رَخِيمًا، أَتَشَبَّثُ بِهِ بِشَغَف (فَيَجعَلَنِي المَوتُ أَبَدِيًّا حَقًّا)،
وَأَفضَلُ مَا فِيَّ آنَئِذٍ لَم يَعُد مَرئِيًّا، فَنَحوَ ذَلِك كُنتُ أَتَأَهَّبُ بِلَا انقِطَاع.

فَمَاذَا هُنَاكَ أَكثَر، كَي أَتَوَانَى وَأَتَمَهَّل وَأُقعِي مَمدُودًا بِفَم مَفغُور؟
أَهُنَاكَ وَدَاعٌ أَخِير؟

أُغنِيَاتِي تَتَوَقَّف، أَهجُرُهَا،
مِن وَرَاءِ الشَّاشَةِ حَيثُ أَختَبِئُ أَتَقَدَّمُ بِشَخصِي وَحِيدًا إِلَيكُم.

أَيُّهَا الرِّفَاق، هَذَا لَيسَ بِكِتَاب،
فَمَن يَلمَس هَذَا يَلمَس إِنسَانًا،
(أَهوَ اللَّيل؟ أَنحنُ هُنَا مَعًا وَحدَنَا؟)
هُو أَنَا مَن تُمسِكُ بِه وَيُمسِكُ بِك،
وَأَنبَثِقُ مِن الصَّفحَاتِ إِلَى ذِرَاعَيك– فَالموتُ يَدعُونِي إِلَى الأَمَام.

آهِ كَم تُنعِسُنِي أَصَابِعُك،
نَفَسُك يَتسَاقَط حَولِي كَنَدًى، وَنَبضُك يُهَدهِدُ طَبلَةَ أُذُنِي،
أَشعُر بِنَفسِي مَغمُورًا مِن الرَّأسِ إِلَى القَدَم،
صَافِيًا، تَمَامًا.

كَفَى أَيُّهَا الفِعلُ المرتَجَلُ السِّري،
كَفَى أَيُّهَا الحَاضِرُ المنسَل– كَفَى أَيُّهَا المَاضِي المكَثَّف.

فَيَا صَدِيقِي العَزِيز أَيًّا مَن تَكُون خُذ هَذِه القُبلَة،
إِنَّنِي أَمنَحُهَا إِلَيكَ خصُوصًا، فَلَا تَنسَنِي،
إِنَّنِي أَشعُر كَمَن أَنهَى عَمَل اليَومِ لِيَعتَزِلَ قَلِيلًا،
إِنَّنِي أَتَلَقَّى الآن مِن جَدِيدٍ مِن تَرجَمَاتِي، مِن آلِهَتِي المتصَاعِدَة، فِيمَا يَنتَظِرُنِي بِلَا شَكٍّ آخَرُون،
فَلَكَ مَجهُولٌ أَكثَر وَاقِعِيَّةً مِمَّا حَلُمت، أَكثَر مُبَاشَرَةً، وَالقَفزَاتُ تُوقِظُ الأَشِعَّةَ حَولِي،
فَوَدَاعًا!

فَتَذكَّرُوا كَلِمَاتِي، فَقَد أَعُودُ مِن جَدِيد،
أُحِبُّكُم، وَأَنَا رَاحِلٌ عَن المَادِّيَّات،
فَأَنَا كَمَن تَحَرَّرَ مِن الجَسَد، ظَافِرًا، مَيِّتًا.

الملحــق الأوَّل

رِمَــالٌ فِي السَّــبعين

مانهَــاتن

اسمُ مَدِينَتِي النَّبِيلُ وَاللَّائِقُ عَاد،

اختِيَارُ اسمٍ أَصلِي، بِجَمَالٍ رَائِعٍ، وَمَعنًى،

جَزِيرَةٌ صَخرِيَّةٌ مُكتَشَفَة- شَوَاطِئ دَائِمًا مَا تَرتَطِمُ بِهَا بِبَهجَةٍ أَموَاجُ البَحرِ الآتِيَةُ، الذَّاهِبَة، المُسرِعَة.

بومَــانُوك

يَا جَمَالَ البَحرِ! مَمدُودًا تَتَشَمَّس!

فِي جَانِبٍ يُحَمِّمُ المحِيطُ يَابِسَتَك، الوَاسِعَةَ، بِتِجَارَةٍ ثَرِيَّة، وَبَوَاخِر، وَأَشرِعَة،

وَجَانِبٍ تُرَبِّتُ عَلَيهِ رِيحُ الأطلَنطِي، شَرِسَةً أَو رَقِيقَة– وَهَيَاكِلُ سُـفُنٍ عِملَاقَـة تَنسَـل دَاكِنَةً فِي البَعِيد.

جَزِيرَةٌ مِن غُدرَانٍ عَذبَةٍ لِلمَاءِ العَذبِ– هَوَاءٌ وَتُربَةٌ مُنعِشَان!

جَزِيرَةٌ مِن شَاطِئٍ مِلحِي وَنَسِيمٍ وَبَحر!

من نقطـة مُونتُــوك

أَنتَصِبُ مِثلَمَا عَلَى قِمَّةِ نِسرٍ جَبَّارَة،
أَحتَوِي البَحرَ مِن الشَّرق، مُشَاهِدًا (لَا شَيءَ سِوَى بَحرٍ وَسَمَاء)،
الأموَاجَ المتَلَاطِمَةَ، وَالزَّبَدَ، وَالسُّفُنَ فِي البَعِيد،
وَالاضطِرَابَ الوَحشِي، الثَّلجِي، وَالرُّؤُوسَ البَحرِيَّةَ الملتَوِيَة– ذَلِك الحَافِزُ وَالحَافِزُ الدَّافِعُ لِلأموَاج،
بَحثًا عَن الشُّطآنِ أَبَدًا.

إلى أولئك الذين فشـلُوا

إِلَى أُولَئِكَ الذِين فَشَلُوا، فِي طُمُوحٍ شَاسِعِ،
إِلَى جُنُودٍ بِلَا اسمٍ سَقَطُوا فِي مُقَدِّمَةِ الجَبهَة،
إِلَى المهَندِسِين الهَادِئِين، المخلِصِين– إِلَى الرَّحَّالَةِ المشبُوبِين– إِلَى القَبَاطِنَةِ عَلَى سُفُنِهِم،
إِلَى كَثِيرٍ مِن الأغَانِي وَالصُّورِ الرَّفِيعَةِ بِلَا عِرفَان– سَأَنصِبُ عَالِيًا نُصُبًا تذكَارِيًّا مُغَطًّى بِالغَار،
عَالِيًا، أَعلَى مِن البَاقِين– إِلَى جَمِيع مَن انقَطعُوا قَبلَ الأوَان،
وَقَد تَمَلَّكَتهُم رُوحٌ نَارِيَّةٌ غَرِيبَة،
أَطفَأَهَا مَوتٌ مُبَكِّر.

ترتيـلة قُرب التاسعة والسـتِّين

تَرتِيلَةٌ قُربَ التَّاسِعَةِ وَالسِّتِّين- ***خُلَاصَة***- إِعَادَة،
تَتَوَاصَلُ سُطُورِي فِي بَهجَةٍ وَأَمَل عَلَى نَفسِ النَّحو،
عَنك، **أَيُّهَا الرَّب، الحَيَاةُ، الطَّبِيعَةُ، الحُرِيَّةُ، الشِّعر؛**
عَنكِ، يَا أَرضِي- بِأَنهَارِك، وَبَرَارِيكِ، وَوِلَايَاتِك- وَأَنتَ، أَيُّهَا العَلَمُ المبَرقَش الذِي أُحِب،
أَيُّهَا الكُل الإِجمَالِي البَاقِي- لِلشَّمَال، وَالجَنُوبِ، لِلشَّرقِ وَالغَرب، بِعَنَاصِرِك كُلِّهَا؛
عَنِّي أَنَا نَفسِي- بِالقَلبِ المرِح لَكِن الخَفَّاق فِي صَدرِي،
وَالجَسَدِ المهدَّمِ، العَجُوز، البَائِسِ وَالمشلُول- بِالهمُودِ الغَرِيب المتسَاقِط كَالبُرَاز حَولِي،
بِالنِّيرَانِ المشتَعِلَةِ فِي دَمِي الرَّاكِد لَم تَنطَفِئ بَعد،
وَبِالإِخلَاصِ غَير المنقُوص- مِن مَجمُوعَات الأَصدِقَاءِ المحِبِّين.

أشـــجع الجنُـــود

شُجعَانًا، شُجعَانًا كَان الجُنُود (أسمَاؤُهُم الآنَ رَفِيعَةٌ) الذِين عَاشُوا خِلَالَ القِتَال؛ لَكِن الأشجَع قَفَزُوا إِلَى المقدِّمَةِ وَسَقَطُوا، بِلَا اسمٍ، مَجهُولِين.

خَــط طبَاعــة

هَذَا الكَامِنُ لِي– تِلكَ الأصوَاتُ المكبُوتَة– القُوَى المشبُوبَة،
الغَضَبُ، الجِدَالُ، أَو المدِيح، أَو النَّظرَةُ الكُومِيدِيَّةُ، أَو الصَّلَاةُ المخلِصَة،
(لَيسَ بِلَا مَثِيل، الخَط البرِيڤِييه، وَالبُرجُوَازِي، وَالتَّمهِيدِي الطَّوِيل فَحَسب[*])،
أَموَاجُ المحِيطِ هَذِه التِي تَهتَاجُ حَتَّى الغَضَب وَالموت،
أَو تَهدَأ حَتَّى السَّكِينَةِ وَالشَّمسُ اللَامِعَةُ وَالنَّوم،
خِلَال الرُّقَادِ الرَّمَادِي الشَّاحِب.

[*] أنواع لخطوط الطباعة.

إذ أجلس وأكتب هنا

إذ أَجلِسُ وَأَكتُب هُنَا، عَلِيلًا عَجُوزًا،
لَيسَ أَدنَى أَعبَائِي بَلَادَةُ الأعوَامِ تِلك، والشَّكَاوَى،
وَالكَآبَاتُ الحقِيرَةُ، وَالمتَاعِبُ، وَالخُمُولُ، وَالإمسَاكُ، *وَالضَّجَر* المتَذَمِّر،
فَلَعَلَّهَا تَصفُو فِي أُغنِيَاتِي اليَومِيَّة.

طَـائِرِي الكنَاريَــا

هَل نَعتَبَر أَمرًا عَظِيمًا، أَيَّتُهَا الرُّوح، أَن نَلِج إِلَى أَفكَار أُمَّهَاتِ الكُتُب،
مُتَشَرِّبِين بِعُمقٍ وَتَمَامًا مِن الأفكَار، وَالمسرَحِيَّات، وَالتَّأمُّلات؟
لَكِن الآن، أَيُّهَا الطَّائِرُ فِي القَفَص، أَن أَشعُرَ بِتَغرِيدِكَ البَهِيج مِنكَ إِلَيَّ،
يَملأ الهَوَاء، وَالغُرفَةَ المنعَزِلَةَ، فِي الضُّحَى الطَّوِيل،
أَلَيسَ ذَلِك عَظِيمًا تَمَامًا، أَيَّتُهَا الرُّوح؟

تساؤلَات إلى عامي السبعين

مُقتَرِبًا، دَانِيًا، غَرِيبًا،

أَيُّهَا الشَّبَح الدَّاكِن، الغَامِض– أَتَأتِي بِالحَيَاةِ أَم الموت؟

بِالقُوَّة، بِالضَّعف، بِالعمَى، بِالمَزِيد مِن الشَّلَلِ وَمَا هُو أَشَد وَطأَة؟

أَم بِسمَاوَاتٍ صَافِيَةٍ وَشَمس؟ أَلَم تُهَيِّج الميَاهَ بَعد؟

أَم بِالمُصَادَفَةِ تُنهِي حَيَاتِي تَمَامًا؟ أَم تَترُكنِي هُنَا كَمَا الآن؟

بَلِيدًا، كَالبَبَّغَاءِ وَعَجُوزًا، بِصَوتٍ مَشرُوخ يَعزِفُ، وَيَصرُخ؟

شـــهداء وُول أباوت

(في بروكلين، في سرداب قديم، بلا علامة خاصة لإدراكه، تتراكم- في هذه اللحظة- البقايا الأصلية بلا شك للمخلصين والوطنيين الثوريين الأوائل من سفن السجن البريطاني وسجون فترة 1776-83، في نيويورك وحولها، ومن جميع أنحاء لونج ايلاند؛ الذين دفنوا في الأصل- آلافٌ منهم- في خنادق في رمال وول أباوت).

أَعظَم مِن ذِكرَى أَخِيل أَو عُولِيس،
أَكثَر، بَل أَكثَر بِكَثِيرٍ بِالنِّسبَةِ لَك مِن مَقبَرَةِ الإِسكَندَر،
تِلكَ العَرَبَاتُ الكَارُو تَحمِل بَقَايَا جَسَدِيَّةٍ قَدِيمَة، أَشلَاءً وَشَرَائِحَ مِن عِظَامٍ مُتَعَفِّنَة،
كَانَت ذَاتَ يَومٍ رِجَالًا أَحيَاء- ذَاتَ يَوم شَجَاعَةً، وَطُمُوحًا، وَقُوَّةً ذَات عَزِيمَة،
هِي المنطَلَقَاتُ إِلَيكِ اليَوم وَهُنَا، يَا أَمِيرِيكَا.

الهندبَــاء الأولَى

بَسِيطَةٌ وَمُنتَعِشَةٌ وَجَمِيلَةٌ تَنبَثِقُ مِن الشِّتَاءِ الوَشِيك،
كَأَنَّمَا لَم تَكُن أَبَدًا هُنَاكَ بَرَاعَةٌ فِي الشَّكلِ، وَالأعمَالِ، وَالسِّيَاسَة،
قُدُمًا مِن مَكمَنِهَا الشَّمسِي لِلعُشبِ المخفِي- بَرِيئَةٌ، ذَهَبِيَّةٌ، هَادِئَةٌ كَالفَجر،
تُبدِي الهندَبَاءُ الأُولَى لِلرَّبِيع وَجهَهَا الوَاثِق.

أميريـــكا

مَركَز الابنَاتِ المتَساوِيَات، وَالأبنَاءِ المتَساوِين،
جَمِيعًا، جَمِيعًا عَلَى السَّوَاء مَحبُوبُون، نَاضِجُون، وغَير نَاضِجِين، شُبَّان أَو عَجَائِز،
أَقوِيَاء، مُخصِبُون، جَمِيلُون، أَشِدَّاء، قَادِرُون، أَثرِيَاء،
خَالِدُون مَع الأَرض، مَعَ الحُرِيَّة، مَعَ القَانُون وَالحُب،
وَأُم عَظِيمَةٌ، رَصِينَة، شَامِخَةٌ، رَاسِخَة،
مُتَرَفِّعَةٌ فِي عِنَادِ الزَّمَن.

ذكريَــات

كَم هُو عَذبٌ اقتِفَاءُ آثَارِ المَاضِي الصَّامِتَة!

التَّجوَالُ كَمَا فِي الأحلَام- تَأمُّلُ الأزمَانِ المَاضِيَةِ المستَعَادَة- غَرَامِيَّاتُهَا، وَمَبَاهِجُهَا، وَأَشخَاصُهَا، وَرَحلَاتُهَا.

اليَـوم وأنت

الفَائِزُون المحَدَّدُون فِي مُبَارَاةٍ طَوِيلَةِ الأَمَد؛
مَسَارُ **الزَّمَن** وَالأُمَم– مِصر، الهِند، اليُونَان وَرُومَا؛
الكُل المَاضِي، بِأَبطَالِه، وَتَوَارِيخِه، وَفُنُونِه، وَتَجَارِبِه،
وَرَصِيدِه مِن الأَغَانِي، وَالاختِرَاعَات، وَالرَّحلَات، وَالمعَلِّمِين، وَالكُتُب،
مُدَّخَرُون للآن وَلَك– لِلتَّفكِيرِ فِيه!
فَكُل الوَرَثَةِ التقَوا فِيك!

بعد انبهـار النهَـار

بَعدَ أَن انتَهَى انبِهَارُ النَّهَار،

يَكشِفُ لِعَينَيَّ اللَّيلُ المظلِمُ، المظلِمُ وَحدَه، عَن النُّجُوم؛

وَبَعدَ القَعقَعَةِ الصَّاخِبَةِ لِلأرغُن المهِيب، أَو الجُوقَة، أَو الفِرقَةِ المثَالِيَّة،

صَامِتَةٌ، غَافِلَةٌ رُوحِي، تَعزِفُ السِّيمفُونِيَّةَ الحقِيقِيَّة.

أبراهام لنكولن، وُلد في 12 فبراير 1809

اليَوم، مِن كُل وَاحِدٍ وَمِن الجَمِيع، نَفَسُ الصَّلَاة– نَبضُ فِكرَة،
إلَى ذِكرَاه– إِلَى مَولِدِه.

كُتبت في 12 فبراير 1888

مِنْ التجليات المختارة لشهر مايو

بَسَاتِين تُفَّاح، الأَشجَارُ جَمِيعًا مُغَطَّاةٌ بِالزُّهُور؛
حُقُولُ قَمحٍ مَفرُوشَةٌ فِي البَعِيدِ وَالقَرِيبِ بِخُضرَةِ الزُّمرُّدِ الحَيَوِيَّة؛
النَّدَاوَة الأَبدِيَّةُ، بِلَا نَفَاد، لِكُل صَبَاحٍ بَاكِر؛
وَالضَّبَابُ الأَصفَر، الذَهَبِيُّ، الشَّفَّاف، لِشَمسِ الأَصِيلِ الدَّافِئَة؛
وَشُجَيرَاتُ الزَّنبَق الصَّاعِدَةُ بِوُرُودٍ أُرجُوَانِيَّةٍ أَو بَيضَاءَ غَزِيرَة.

أيام طائـر القاوند[*]

لَا بِفِعل الحُب النَّاجِح وَحدَه،
وَلَا الثَّروَة، وَلَا سِن الرُّجُولَةِ المحتَرَم، وَلَا انتِصَارَات السِّيَاسَة أَو الحَرب؛
لَكِن إِذ تَذوِي الحَيَاة، وَتَسكُن كُل العَوَاطِف المُضطَرِمَة،
كَمِسحَةٍ رَائِعَةٍ، صَامِتَةٍ، مِن بُخَارٍ تُغطِّي سَمَاءَ المسَاء،
كنعُومَةٍ، وَاكتِمَالٍ، وَرَاحَةٍ، تُخَضِّبُ الإِطَار، كَالأَثِير الأَكثَر إِنعَاشًا، وَأَرِيجًا،
إِذ تَتَّخِذُ الأَيَّامُ ضَوءًا مُنتَشِيًا، وَتَتَدَلَّى التُّفَّاحَةُ فِي النِّهَايَةِ مُكتَمِلَةً حَقًّا وَنَاضِجَةً مُرتَخِيَةً مِن الشَّجَرَة،
آنَئِذٍ مِن أَجلِ الأَيَّام الزَّاخِرَة، الأَكثَر هُدُوءًا وَسَعَادَةً مِن سِوَاهَا!
أَيَّام طَائِر القَاوِندِ الكَئِيبَة وَالهَانِئَة!

[*] فترة من الهدوء خلال فصل الشتاء، لا تقع فيها العواصف.

خيَـالاتٌ في ناڤيسِينك

القبطــان في الضبَــاب

مُنطَلِقِين فِي مُنحَدَرَات النَّهرِ الشَّمَالِيَّة– (ذِكرَى قَدِيمَة لِسانت لُورَنس،
ذِكرَى مُفَاجِئَة– تَعُودُ الوَمضَة، لَا أَدرِي السَّبَب،
وَأَنَا أَنتَظِرُ هُنَا الشُّرُوق، مُحَدِّقًا مِن هَذَا التَّل[*])؛
فِي الصَّبَاحِ تَمَامًا مِن جَدِيد– ضَبَابٌ ثَقِيلٌ يُصَارِع الشُّرُوق،
وَمِن جَدِيد يَجرِفُنِي الزَّورَقُ المرتَعِشُ، المرهَق– أَندَفِعُ نَحوَ الصُّخُورِ المتلَاطِمَةِ بِالزَّبَد
التِي تَكَادُ تُلَامِسُنِي،
وَمِن جَدِيدٍ أَلحَظُ قُربِي مُوَجِّهَ الدَّفَّةِ الهِندِي النَّحِيل،
يَرتَسِمُ فِي الضَّبَاب، بِسِيمَاء مُبتَهِجَةٍ وَيَدٍ مُهيمِنَة.

[*] ناڤيسِينك: جبل بجوار البحر، المدخل الأدنى من خليج نيويورك.

هل كان لدَيَّ الاختيــار

هَل كَانَ لَدَيَّ الاختِيَارُ لأرصُدَ أعظَمَ المنشِدِين،
لأرسُمَ صُورَهُم، فَخِيمَةً، جَمِيلَةً، وَأُبَارِيهِم فِي الإِرَادَة،
هُومَر بِكُل حُرُوبِه وَمُحَارِبِيه- هِكتُور، أَخِيل، أَجاكس،
أَو شِيكسبِير بِهَامِلت، وَلِير، وَعُطِيل المنكُوبِين بِالمِحَن- وَسَيِّدَات تِينِيسُون الجَمِيلَات،
الوَزنُ أَم الفِطنَةُ الأفضَل، أَم بَرَاعَةُ الاختِيَارِ فِي توظيف القَافِيَةِ المثَالِيَّة، وَبهجَةُ المغَنِّين؛
هَؤلَاء، هَؤلَاء، أَيُّهَا البَحر، كُل هَؤلَاء سَوفَ أُقَايِضُهُم بِسُرُور،
أَلَا تَنقِلُون إِلَيَّ حِيلَةَ تَمَاوُج مَوجَةٍ وَاحِدَة،
أَو تَنفُثُوا نَفَسًا وَاحِدًا مِنكُم عَلَى شِعرِي،
وَتَترُكُوا أَرِيجَه فِيه.

أيها المد والجَزر في تماوج بلا انقطاع

أَيُّهَا المَدُّ وَالجَزرُ فِي تَمَاوُجٍ بِلَا انقِطَاع! أَيَّتُهَا القُوَّةُ التِي تَقُومُ بِهَذَا العَمَل!

أَيَّتُهَا القُوَّةُ الخَفِيَّةُ، الجَاذِبَةُ، الطَّارِدَةُ، خِلَالَ امتِدَادِ الفَضَاء،
يَا عِلَاقَةَ الشَّمسِ، وَالقَمَر، وَالأرضِ، وَجَمِيعِ المجَرَّات،
مَا الرَّسَائِلُ التِي تُرسِلِينَهَا إِلَينَا مِن النُّجُومِ البَعِيدَة؟ مَا رَسَائِلُ سِيرِيُوس؟ وَرَسَائِل كَابِيلَّلا[*]؟
أَيُّ قَلبٍ مَركَزِي– وَأَنت النَّبض– يُحيِي الجَمِيع؟ أَيُّ مَجمُوعٍ بِلَا حُدُودٍ لِلكُل؟
أَيَّةُ مُرَاوَغَةٍ وَدَلَالَةٍ مُرهَفَةٍ فِيك؟ أَيُّ مفتَاحٍ فِيكَ لِلجَمِيع؟ أَيَّةُ هَوِيَّةٍ سَيَّالَةٍ، شَاسِعَة،
تُمسِكُ بِالكَونِ بِكُل أَجزَائِه فِي وَاحِد– كَالإِبحَارِ فِي سَفِينَة؟

الجَزر الأخير، وضوء النهار يذوي

الجَزرُ الأَخِير، وَضَوءُ النَّهَارِ يَذوِي،
يَدفَعُ بِبُرُودَةٍ بَحرِيَّةٍ عَطِرَةٍ إِلَى اليَابِسَة، فَتَهُب رَوَائِحُ البَردِي وَالملح،
مَعَ أَصوَاتٍ كَثِيرَةٍ شِبه مَسمُوعَة تَرِدُ مِن الجَزر،
بَوحٌ كَثِيرٌ مَكتُوم– كَثِيرٌ مِن النَّشِيج وَالكَلِمَاتِ المهمُوسَة،
كَأَنَّمَا مِن مُتَكَلِّمِين بَعِيدِين أَو مُختَبِئِين.

كَم انجَرَفُوا إِلَى هُنَاك! كَم يُتَمتِمُون!
شُعَرَاء بِلَا اسم– أَعظَمُ الفَنَّانِين، مَعَ رُسُومٍ أَثِيرَةٍ ضَائِعَة،

---

[*] سيريوس Sirius: نجم أزرق مشوب بالبياض، وهو أكثر النجوم إشراقًا في سماء الليل. كابيلّلا Capella: نجم مزدوج مشرق.

تجَاهُل الحُب- جَوقَةٌ مِن النَّائِحِين العجَائِز-كَلِمَاتُ الحُب الأخِيرَة،
صَرخَةٌ يَائِسَة لِمُنتَحِرٍ مَا، ***إِلَى الخَرَابِ اللَانِهَائِي، بِلَا عَودَةٍ مِن جَدِيد أَبَدًا.***

فَهَيَّا إِلَى النِّسيَانِ إِذَن،
هَيَّا، هَيَّا، وَلتَقُم بِدَورِكَ، أَيُّهَا المَدُّ الغَامِرُ، المُنحَسِر!
هَيَّا إِلَى أَوَانِك، أَيُّهَا الخُرُوجُ الرَّهِيب!

وحتى الآن فلستَ وحدك

وَحَتَّى الآن فَلَستَ وَحدَك، أَيُّهَا الغَسَقُ وَالمَد الغَامِر،
وَلَا أَنتِ، أَيَّتُهَا الرُّسُومُ الضَّائِعَةُ وَحِيدَةً- وَلَا مَرَّاتِ الفَشَل، وَالطُّمُوحَات؛
أَعرِف، أَيَّتُهَا المرَّاتُ السَّمَاوِيَّةُ المخَادِعَة، سِيمَاءَ سِحرِك؛
كَمَا يَنبَغِي بِك، وَمِنكِ، المَدُّ وَالضَّوءُ مِن جَدِيد- كَمَا يَنبَغِي انعِطَافُ المَفَاصِل،
كَمَا يَنبَغِي التَّعوِيضُ الضَّرُورِي لِلأَجزَاءِ المعطُوبَة، وَالمزج،
الانطِلَاقُ مِنك، مِن النَّومِ، اللَّيلِ، الموتِ نَفسِه،
إِيقَاع الوِلَادَةِ الأَبدِي.

شامخًا يأتي الفيضَـان

شَامِخًا يَأْتِي الفَيضَان، صَاخِبًا، مُزبِدًا، مُتَقَدِّمًا،
يَتَمَالَكُ نَفسَه طَوِيلًا فِي الذّروَة، بِصَدرٍ عَرِيضٍ يَنتَفِخ،
وَكُل شَيءٍ يَنبِض، يَتَمَدَّد– المزَارِعُ، الغَابَاتُ، شَوَارِعُ المدُن– العُمَّالُ فِي العَمَل،
الأشرِعَةُ الرَّئِيسِيَّة، الأشرِعَةُ الثَّانَوِيَّةُ، الأشرِعَةُ الأمَامِيَّة فِي عَرضِ البَحر– أَعلَامُ
البَوَاخِرِ مِن دُخَان– وَتَحتَ شَمسِ الضُّحَى،
مُحَمَّلًا بِحَيَوَاتٍ إِنسَانِيَّة، مُتَّجِهًا بِسُرُورٍ إِلَى الخَارِج، مُتَّجِهًا بِسُرُورٍ إِلَى الدَّاخِل،
يُرفرِفُ فِي صَوَارٍ كَثِيرَةٍ العَلَمُ الذِي أُحِبُّه.

بذلك التمعُّن الطويل في الأمواج

بِذَلِكَ التَّمَعُّنِ الطَّوِيلِ فِي الأموَاج، استَعَدتُ نَفسِي، عُدتُ إِلَى نَفسِي،
فِي كُلِّ ذروَةٍ ضَوءُ أَو ظِلُّ مَا يَتَمَاوَج– استِعَادَةُ مَا،
أَفرَاحُ، رَحلَاتُ، دِرَاسَاتُ، بَانُورَامَات صَامِتَة– مَشَاهِدُ هَارِبَة،
الحربُ الماضِيَةُ الطَّوِيلَة، المعَارِكُ، مَشَاهِدُ المُستَشفَى، الجرحَى وَالقَتلَى،
وَنَفسِي خِلَال كُل حِقبَةٍ مَاضِيَة– شَبَابِي المتَبَطِّل– الشَّيخُوخَة القَرِيبَة،

سَنَوَاتُ حَيَاتِي السِّتُّون مُلَخَّصَة، وَأَكثَر، وَالمَاضِي،
وِفقَ أَيِّ مِثَالٍ عَظِيم مُجَرَّب، بِلَا قَصد، فَالكُل لَا شَيء،
وَبِالمصَادَفَة مَعَ ذَلِك فَقَطرَةٌ مَا فِي مَجمُوع مُخَطَّطِ الرَّب– مَوجَةٌ مَا، أَو جُزءٌ مِن مَوجَة،
تُشبِه إِحدَى مَوجَاتِك، أَيُّهَا المحِيطُ الغَزِير.

آخـــرُ شيءٍ آنئـذٍ

آخِرُ شَيءٍ آنَئِذٍ، تَم التِقَاطُه مِن هَذِه الشُّطآن، مِن هَذَا التَّل،
فَمِنكَ أَيُّهَا المدُّ وَالجزر، المَعنَى الإِنسَانِي الكَامِن،
فَبِقَانُونِك فَحَسب، بِفَيضِك وَجَزرِك، تَحتَوِينِي أَنَا أَيضًا،
فَأَنتَ العَقلُ الذِي يَقُومُ بِالتَّشكِيل، وَالصَّوتُ الذِي يُنشِدُ هَذِه الأُغنِيَة.

يوم الانتخاب، نوفمبر 1884

لَو كَانَ عَلَيَّ أَن أُسَمِّي، أَيُّهَا العَالَم الغَرِبِي، مَشهَدَكَ وَعَرضَكَ الأَقوَى،
فَلَن يَكُون أَنتَ، يَا نيَاجَارَا- وَلَا أَنتِ، أَيَّتُهَا البَرَارِي اللَّانِهَائِيَّة- وَلَا شُقُوق أَخَادِيدِك، يَا كلُورَادُو،
وَلَا أَنت، يَا يُوسمَايت- وَلَا يِلُوستُون، بِكُل لَوَالِب اليَنَابِيع الحَارَّةِ المتَصَاعِدَةِ إِلَى السَّمَاوَات، ظَاهِرَةً وَمخفِيَّة،
وَلَا مخرُوطَاتِ أُورِيجُون البَيضَاء- وَلَا حِزَام البُحَيرَاتِ الهَائِلَةِ بِهُورُون- وَلَا نَهر المِيسِيسِبِّي؛
- هَذَا الذِي يُهَدِّئ إِنسَانِيَّةَ نِصف الكُرَةِ الأَرضِيَّة، كَمَا الآن، هُو مَا أُسَمِّيه- ***الصَّوتُ السَّاكِن الصَّغِيرُ*** الذِي يَرتَعِش- يَوم اختِيَارِ أَمِيرِيكَا،
(فَقَلبُهَا لَيسَ مَوضِعَ اختِيَار- الفِعلُ نَفسُه هُو الأَسَاس، الاختِيَارُ كُل أَربَع سَنَوَات)،
نَهضَ امتِدَادُ الشَّمَالِ وَالجَنُوب- فِي البَحرِ وَاليَابِسَة- مِن تِكسَاس إِلَى مِين- وِلَايَاتُ البَرَارِي- فِيرمُونت، فِرجِينيَا، كَالِيفُورنيَا،
وَابِلُ التَّصوِيتِ النِّهَائِي مِن الشَّرقِ إِلَى الغَرب- المفَارَقَةُ وَالصِّرَاع،
انهِمَارُ بَرَدِ الثَّلج بِلَا حَصر- (صِرَاعٌ بِلَا سُيُوف،
لَكِن أَكثَر مِن جَمِيع حُرُوبِ رُومَا القَدِيمَة، أَو حُرُوب نَابليُون الحَدِيثَة)؛ فَهوَ الاختِيَار السِّلمِي،
أَو الإِنسَانِيَّة الخَيِّرَة أَو الشِّرِّيرَة- مُرَحِّبِين بِالغَرَائِب الظَّلَامِيَّة، بِالتِّفَايَات:

- زَبَدُ وخَمِيرَةُ النَّبِيذ؟ إِنَّهَا تَقُوم بِالتَّطهِير– فِيمَا القَلبُ يَلهَث، وَالحَيَاةُ تَتَوَهَّج :
فَهَذِه الزَّوَابِعُ وَالرِّيَاحُ العَاصِفَةُ الَّتِي تَدفَع بِالسُّفُنِ الغَالِيَة،
دَفَعَت بِأَشرِعَة وَاشِنطُن، وَجِيفِرسُون، وَلِينكُولن.

بشفاهٍ مبحُوحة متجبرة، أيها البحر!

بِشِفَاهٍ مَبحُوحَةٍ متَجَبِّرَةٍ، أَيُّهَا البَحر!
حَيثُ لَيلَ نَهَار أَطُوفُ بِشَاطِئِك ذِي الأموَاجِ المتَكَسِّرَة،
مُصَوِّرًا لِإحسَاسِي إِيحَاءَاتِكَ المُختَلِفَةَ الغَرِيبَة،
(أَرَى وأَرصُد صَرَاحَةً كَلَامَك وَمُحَادَثَاتِكَ هُنَا)،
وَحُشُودَكَ مِن العَدَّائِين ذَوِي الأعرَافِ البَيضَاءِ المتَسَابِقِين إِلَى الهَدَف،
وَوَجهَك الشَّاسِعَ، المبتَسِم، المرتَطِم بِحُفَر الشَّمسِ الوَامِضَة،
وَعُبُوسَك وَظُلمَتك المكتَئِبَة- أَعَاصِيرَك المنفَلِتَة،
تَمَرُّدَك، نَزوَاتِك، عِنَادَك؛
عَظِيمَةٌ إِذ تَعلُو عَلَى سِوَاك، دُمُوعُك الغَزِيرَة- افتِقَارٌ إِلَى أَيَّةِ أَبَدِيَّةٍ فِي مُحتَوَاك،
(لَا شَيءَ سِوَى نِضَالَات، وَأخطَاء، وَهَزَائِم عُظمَى، يُمكِن أَن تَجعَلَك الأعظَم- لَا أَقَل مِنهَا يُمكِن أَن تَجعَلك)،
وَحَالَتُك المنعَزِلَة- شَيءٌ سَعَيتَ وَسَعَيتَ إِلَيهِ أَبَدًا، لَكِنَّك لَم تَنَله أَبَدًا،
مُؤَكَّدٌ أَن هُنَاكَ حَقًّا مَا مَكبُوتًا- صَوتًا مَا، فِي الغَضَبِ الهَائِلِ الرَّتِيب، لِعَاشِقِ الحُرِّيَةِ الحَبِيس،
قَلبًا مَا شَاسِعًا، كَقَلبِ كَوكَب، مُكَبَّلاً وَمُغتَاظًا فِي تِلكَ الأموَاجِ المتَكَسِّرَة،
بِفِعلِ الموجَاتِ المتطَاوِلَة، وَالتَّشَنُّج، وَالنَّفَس اللَّاهِث،
وَالصَّرِيرِ الإِيقَاعِي لِرِمَالِك وَأَموَاجِك،

وَفَحِيح الأفعَى، وَالجلجَلَات الوَحشِيَّة لِلضَّحِك،
وَالنَّغمَاتِ الخَفِيضَةِ لِزَئِيرِ أَسَدٍ بَعِيد،
(يُدَوِّي، يُنَاشِدُ أُذُنَ السَّمَاءِ الصَّمَّاء– لَكِن الآن، ثَمَّةَ استِجَابَةٌ لِمَرَّةٍ وَاحِدَة،
ثَمَّة شَبَحٌ فِي اللَّيلِ صَدِيقكَ الحَمِيم لِمَرَّةٍ وَاحِدَة)،
الاعتِرَافُ الأوَّل وَالأخِيرُ فِي الكَوكَب،
مُندَفِقًا، مُدَمدِمًا مِن مَهَاوِي رُوحِك،
بِحِكَايَةِ الهَوَى الكَونِي الجَوهَرِي،
تَحكِيهَا إِلَى رُوحٍ طَيِّبَة.

موت الجنرال جرانت

وَاحِدًا وَاحِدًا يَنسَحِبُ الممَثِّلُون النُّبَلَاء،
مِن تِلكَ المسرَحِيَّةِ العظِيمَةِ عَلَى مَسرَحِ التَّارِيخِ الأبَدِي،
ذَلِكَ الفَصلِ الرَّهِيبِ، الجُزئِي لِلحَربِ وَالسَّلَام- لِتَنَافُسِ القَدِيمِ وَالجَدِيد،
الذِي نَشَب عَبرَ الغَضَب، وَالمخَاوِف، وَالفَزَعِ الأسوَد، وَالتَّرقُّبِ الطَّوِيلِ الطَّوِيل؛
الكُل مَاضٍ- وَمُنذُئِذٍ، فِي قُبُورٍ بِلَا حَصرٍ تَنحَسِر، وَتَزدَهِر،
قُبُورِ المنتَصِرِين وَالمهزُومِين- قَبر لِنكُولن وَقَبرِ "لِي"[*]- الآن أَنتَ مَعَهُم،
رَجُل الأَيَّامِ الجَبَّارَة- وَالنِّد لِلأيَّام!
أَنتَ مِن البَرَارِي!- كَانَ دَورُك أَن تَكُونَ مُشتَبِكًا وَمُتَصَبِّبَ العَرَقِ وَصُلبًا،
وَلَقَد تَم اعتِمَادُك لِلإعجَاب!

[*] لنكولن: أبراهام لنكولن، الرئيس الأميركي الذي شن الحرب على الجنوبيين الانفصاليين، بقيادة الجنرال "لي".

السترة الحمراء (من أعلى)

(قصيدة مرتجلة على النصب التذكاري لمدينة بافالو، لدى إعادة دفن الخطيب القديم لقبيلة الإيروكوا، 9 أكتوبر 1884)

فَوقَ هَذَا المشهَد، هَذَا العَرض،
مُستَسلِمًا اليَومَ بِفِعلِ المُوضَة، وَالتَّعلِيم، وَالثَّروَة،
(لَا بِفِعلِ نَزوَةٍ فَحَسب– بَل كَبُذُورٍ لمعنًى أعمَق)،
بِالمصَادَفَةِ، عَالِيًا (مَن يَدرِي؟) مِن أشكَالٍ مُمتَزِجَةٍ لِغُيُومِ السَّمَاءِ البَعِيدَة،
كَشَجَرَةٍ عَجُوز، أَو صَخرَةٍ أَو جرف، مُرتَعِدًا مَع رُوحِه،
كَنِتَاجٍ لِشَمسٍ وَنُجُومِ الطَّبِيعَة، وَالأرضِ المبَاشِرَة– كَشَكلٍ إِنسَانِي شَامِخ،
فِي قَمِيصِ صَيدٍ مِن ضَبَابٍ، مُسَلَّحًا بِبُندُقِيَّة، وَابتِسَامَةٌ شِبه مُتَهَكِّمَة تَلوِي شَفَتَيه الشَّبَحِيَّتَين،
كَوَاحِدٍ مِن أَشبَاحِ أُوسيَان[*] يَنظُر لأسفَل.

---

[*] أوسيان Ossian: هو الراوي والمؤلف الافتراضي لمجموعة من القصائد الملحمية التي نشرها الشاعر الاسكتلندي جيمس مَكفرسون ابتداءً من 1760.

النُّصُب التذكاري لواشنطن، فبراير 1885

آه، لَيسَ هَذَا الرُّخَام، المَيِّت البَارِد :

بَعِيدًا عَن قَاعِدَتِه وَقَامَتِه المدِيدَة- تِلكَ المَنَاطِق الدَّائِرِيَّة المحِيطَة، الشَّامِلَة،

فَأَنتَ، يَا وَاشِنطُن، مِلكٌ لِلعَالَم كُلِّه، لِلقَارَّاتِ جَمعَاء- لَا مِلكَكِ وَحدَكِ، يَا أَمِيرِيكَا،

مِلكٌ لأُورُوبَّا أَيضًا، فِي كُل مَكَانٍ، فِي قَلعَةِ السَّيِّد أَو كُوخِ الشَّغِّيل،

أَو الشَّمَالِ المتَجَمِّد، أَو الجَنُوبِ المِلحِي- مِلكُ الأفرِيقِي- مِلكُ العَرَبِي فِي خَيمَتِه،

مِلكُ آسيَا القَدِيمَة هُنَاكَ مَع البَسمَةِ الوقُور، جَالِسًا وَسط أَنقَاضِهَا؛

(فَهَل يُرَحِّبُ القَدِيمُ بِالبَطَلِ الجدِيد؟ فَهوَ لَيسَ إِلَّا نفسَ الشَيء- الوَرِيثَ الشَّرعِي،
المتَوَاصِلَ أَبَدًا،

هُو الذِّرَاعُ وَالقَلبُ الذِي لَا يَخضَع- بَرَاهِينُ عَلَى الخَط الذِي لَم يَنكَسِر أَبَدًا،

الشَّجَاعَةُ، وَالتَّأَهُّبُ، وَالإِيمَانُ، هُو نَفسُه- حَتَّى فِي الهَزِيمَةِ لَا انهِزَام، عَلَى السَّوَاء)؛

فَأَينَمَا تُبحِرُ سَفِينَةٌ، أَو يُبنَى مَنزِلٌ عَلَى الأَرض، أَو نَهَارٌ أَو لَيل،

خِلَالَ شَوَارِعِ المُدُن المحتَشِدَة، فِي الدَّاخِل أَو الخَارِج، فِي المَصَانِع أَو المزَارِع،

الآنَ، أَو فِي المستَقبَل، أَو المَاضِي- حَيثُ وُجِدَت أُو تُوجَد إِرَادَاتُ الوَطَنِيِّين،

تَنتَصِبُ أُو تُقِيم نُصُبَكَ الحَقِيقِي

الحُرِيَّة، يُوَازِنُهَا التَّسَامُح، وَيُهَيمِنُ عَلَيهَا القَانُون.

عن حنجرتك تلك السعيدة

(لأكثر من ثلاث وثمانين درجة شمالًا- على بُعد سفر يوم بالباخرة إلى "بول" بواحدة من أسرع مياهنا- سمع "جريلي" المستكشف أغنية طائر جليد وحيد ترن بابتهاج فوقَ الخراب).

مَن حنجرَتِكَ تِلكَ السَّعِيدَةِ بِكآبَةِ وَفرَاغِ القُطبِ الشَّمَالي،
سَأَعِي الدَّرسَ، أَيُّهَا العُصفُورُ الوَحِيد- فَاسمَح لِي أَيضًا بِالتَّرحِيبِ بِالرُّكَامِ الثَّلجِي،
حَتَّى بِالقُشَعرِيرَةِ الأعمَق، مِثلَمَا الآن- نَبضٌ بَلِيد، وَذِهنٌ خَامِل،
أَرضٌ عَجُوزٌ بِلَا سَاحِلٍ فِي خَلِيجِ شِتَائِهَا- (بَرد، بَرد، أَيُّهَا البَرد!)
هَذَا الشَّعرُ الثَّلجِي، وَذِرَاعِي الوَاهِنَة، وَقَدَمَاي الثَّلجِيَّتَان،
مِن أَجلِهِم أَتَلَقَّى إِيمَانَك، وَحُكمَك، وَأَغرِسُه حَتَّى النِّهَايَة؛
لَا فِي مَنَاطِقِ الصَّيفِ وَحدَهَا- لَا أَنَاشِيد الشَّبَاب، أَو المد وَالجَزر الدَّافِئ فِي الجَنُوب،
بَل تَحتَوِينِي الأطوَافُ الجَلِيدِيَّةُ الكَسُولُ، وَيَلُفُّنِي الثَّلجُ الشَّمَالِي، وَرُكَامُ السِّنِين،
كُل هَذَا أُغَنِّيه أَيضًا بِقَلبٍ بَهِيج.

بـــرُودواي

أيُّ مَد إنسَانِي عَجُول، أَو نَهَارٍ أَو لَيل،
أَيَّةُ عَوَاطِف، مَكَاسِب، خَسَائِر، عُطُور، تَسبَحُ فِي مِيَاهِك!
أَيَّة دَوَّامَاتٍ لِلشَّر، لِلرَّحمَةِ وَالحُزن، تَعُوقُك!
أَيَّةُ نَظرَاتٍ مُسَائِلَةٍ غَرِيبَة- أَيَّةُ وَمَضَاتُ حُب!
الغَمز، الحَسَدُ، الازدِرَاءُ، الحِقدُ، الأمَلُ، الطُّمُوح!
أَنتِ بَوَّابَة- أَنتِ سَاحَةٌ- لَكِ آلَافُ الخُطُوطِ وَالمجمُوعَاتِ المرسُومَةِ مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد!
(أَلَا يُمكِن لأَلوَاحِكِ الحَجَرِيَّةِ، وَحَوَاجِزِك، وَوَاجِهَاتِك، أَن تروِي حِكَايَاتِهَا الفَرِيدة؛
وَنَوَافِذك الغَنِيَّة، وَفَنَادِقِك الهَائِلَة- وَمَمَاشِيكِ الوَاسِعَة)؛
أَنتِ لِلأَقدَامِ المنزَلِقَة، المتَدَلِّلَةِ، المتَثَاقِلَة أَبَدًا!
أَنتِ، كَالعَالَمِ مُتَعَدِّدِ الأَلوَانِ ذَاتِه- كَالحَيَاةِ اللَّانِهَائِيَّةِ، الزَّاخِرَة، السَّاخِرَة!
أَنتِ عَرضٌ وَدَرسٌ مُقَنَّعٌ، شَاسِعٌ، لَا يُوصَف.

الإيقاع الأخير للأغاني

أَن تَعثُر عَلَى الإِيقَاعَ الأَخِير لِلأغَانِي،
أَن تَختَرِقَ التَّقلِيدَ الأعمَقَ لِلشُّعَرَاء– أَن تَعرِفَ أَعظَمَهُم،
أَيُّوب، هُومِير، إِسخِيلُوس، دَانتِي، شِيكسِبِير، تِينِّيسُون، إِمِرسُون؛
أَن تُحَدِّدَ لَمَسَات التَّغَيُّر الرَّهِيفَة لِلحُب وَالكِبرِيَاءِ وَالشَّك– لِتَفهَمَ عَن حَق،
أَن تَحتَوِي كُل هَذَا، تِلكَ المقدِرَةَ الثَّاقِبَةَ الأَخِيرَة وَثَمَنَ الدُّخُول،
الشَّيخُوخَةَ، وَمَا تَأتِي بِهِ مِن جَمِيع خِبرَاتِهَا الماضِيَة.

المَلّاح العجوز كوسّابُون

بَعِيدًا فِي الوَرَاء، قَرِيبًا لَنَا مِن جِهَةِ أُمِّي،
سَأَحكِي لَكُم كَيفَ مَاتَ المَلَّاحُ العَجُوزُ كُوسَّابُون :
(كَانَ بَحَّارًا طُوَالَ حَيَاتِه– فِي التِّسعِين تَقرِيبًا– يَعِيشُ مَع حَفِيدِه المتَزَوِّج، چِينِي؛
مَنزِلٌ عَلَى تَل، يُطِل عَلَى خَلِيجٍ فِي مُتَنَاوَل اليَد، وَرَأسٍ بَحرِيَّةٍ بَعِيدَة، وَمُمتَدةٍ عَلَى عرضِ البَحر)؛
أَوَاخِر مَا بَعدَ الظَّهِيرَة، وَسَاعَات المسَاء، لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ كَانَت عَادَتُه المنتَظِمَة،
أَن يَجلِسَ فِي مِقعَدِه الضَّخمِ ذِي المسنَد إِلَى جِوَارِ النَّافِذَة،
(وَأَحيَانًا، حَقًّا، خِلَالَ نِصفِ النَّهَار)،
مُرَاقِبًا السُّفُنَ القَادِمَة، وَالرَّاحِلَة، مُغَمغِمًا لِنَفسِه– وَالآن خِتَامُ كُل شَيء:
ذَات يَوم، عَلِقَ طَوِيلًا أَحَدُ القَوَارِب الشِّرَاعِيَّةِ المكَافِحَة– مَد وَجَزرٌ مُتَقَاطِع وَالكَثِير مِن التَّعَثُّر،
وَفِي النِّهَايَة عِندَ حُلُولِ اللَّيل يَهُب النَّسِيم عَلَى مَا يُرَام، وَيَتَغَيَّر اتِّجَاهُ حَظِّه كُلِّه،
وَسرعَانَ مَا يَدُورُ حَولَ الرَّأسِ البَحرِيَّة، لِيَدخُلَ الظَّلَامَ بِكِبرِيَاء، وَهو يَشُقُّ طَرِيقَه، وَهوَ يَتَفَرَّج،
"هُو حُر– هُو فِي مَسَارِه"– هَذِه هِي الكَلِمَاتُ الأَخِيرَة– حِينَ عَادَ چِينِي، جَلَسَ هُنَاكَ مَيِّتًا،
كُوسَّابُون الأَلمَانِي، المَلَّاحُ العَجُوز، القَرِيبُ مِن جِهَةِ أُمِّي، بَعِيدًا فِي الوَرَاء.

التِّينُــور الميِّت[*]

إِذ نَزَلَ مِن المَسرَح مِن جَدِيد،
بِقُبَّعَةٍ وَرِيش أَسبَانِيٍّ، وَبَهجَةٍ لَا تُوصَف،
عَائِدًا مِن دُرُوسِ المَاضِي الذَّاوِيَة، أَتذَكَّر، سَأَحكِي وَأَعتَرِف،
كَم مِنك! إِلهَام الصَّوتِ المغَنِّي مِنك!
[رَاسِخًا- لَيِّنًا رَقرَاقًا- وَمِن جَدِيدٍ تِلكَ النَّبرَة الرُّجُولِيَّة، المضطَرِمَة!
الصَّوتُ المَغَنِّي الرَّائِع- وَالدَّرسُ الأَعمَق لِي مِن كُلِّ شَيء- تَجرِيبُ وَاختِبَارُ كُل شَيء)؛
كَيفَ خِلَال تِلكَ القُوَى المستَخلَصَة- كَيفَ لآذَانِي المنتَشِيَةِ، وَرُوحِي، أن تَتَشَرَّب
قَلبَ "فِرنَاندُو"، وَالنِّدَاءَ المشبُوبَ لِـ"مَانرِيكُو"، وَ"إِرنَانِي"، وَالنِّدَاءَ العَذبَ لِـ"جِينَّارُو"،
أَنطَوِي مِن ذَلِكَ الحِين، أَو أَسعَى لأنطَوِي، دَاخِلَ أَنَاشِيدِي المتحَوِّلَة،
أَنَاشِيدِ الحُرِيَّة وَالحُب وَالإِيمَان الغِنَائِيَّةِ الحُرَّة،
(كَتَدَاعيَاتِ العِطر، وَاللَّونِ، وَضَوء الشَّمس):
مِن هَؤلَاء، لِهَؤلَاء، مَعَ هَؤلَاء، كَخَطٍّ عَجُول، أَيُّهَا التِّينُور الميِّت،
كَورَقَة خَرِيف تَفُوح، هَوَت فِي القَبر الذِي يَنغَلِق، وَالتُّرَابِ المنهَال،
لِذِكرَاك.

[*] التينور Tenor: نمط من الأصوات الغنائية الرجالية في الأعمال الأوبرالية الكلاسيكية، ومداه الصوتي من أعلى الأنماط الصوتية الرجالية.

تواصـــلَات

(من حديث مؤخرًا مع روحاني ألماني)

لَا شَيء يَضِيعُ حَقًّا، أَو يُمكِن أَن يَضِيع،
لَا الميلَاد، وَالهَوِيَّة، وَالشَّكل– لَا شَيءَ مِن العَالَم.
وَلَا الحَيَاة، وَلَا القُوَّة، وَلَا أَي شَيء مَرئِي؛
لَا يَنبَغِي لِلمَظهَر أَن يُحبِطَك، وَلَا أَن يُشَوِّش الفَلَكُ المتحَوِّلُ عقلَك.
فَسِيحٌ هُو الزَّمَانُ وَالمكَان– فَسِيحَةٌ حُقُولُ الطَّبِيعَة.
الجَسَدُ، الكَسُولُ، العَجُوزُ، البَارِد– الجمرَاتُ البَاقِيَةُ مِن نِيرَانٍ سَابِقَة،
وَالضَّوءُ فِي عَينٍ أَعتَمَت، سَيَتَوَهَّجُون مِن جَدِيدٍ فِي أَوَانِهِم؛
الشَّمسُ الخَفِيضَةُ الآن فِي الغَرب تَصَّاعَدُ لِلصَّبَاحَاتِ وَالظَّهِيرَاتِ المتَوَاصِلَة؛
يَعُودُ القَانُونُ الخَفِي لِلرَّبِيعِ دَائِمًا إِلَى كُتلِ التُّرَابِ المُجَمَّدَة،
مَع العُشبِ وَالزُّهُور وَفَاكِهَةِ الصَّيفِ وَالأَذرَة.

يُونُّونديُو

(معني الكلمة هو النواح بالنسبة للسكان الأصليين. وهي كلمة من قبيلة الإيروكوا؛ وقد استخدمت كاسم علَم).

أغنيةٌ، قَصِيدَةٌ فِي ذَاتِهَا– الكَلِمَةُ ذَاتُهَا تَرنِيمَةٌ جنَائِزيَّة،
وَسَطَ القِفَار، وَالصُّخُور، وَالعَاصِفَةِ وَاللَّيلِ الشِّتَائِي،
بِالنِّسبَةِ لِي فَهَذِه المشَاهِدُ الضَّبَابِيَّةُ، الغَرِيبَةُ، هِي مَقَاطِعُ لَفظِيَّةٌ مُوقِظَة؛
يُونُّونديُو– أَرَى، بَعِيدًا فِي الغَرب أَو الشَّمَال، وَادِيًا بِلَا حُدُود، مَعَ سُهُولٍ وَجِبَالٍ مُظلِمَة،
أَرَى حُشُودًا مِن رُؤسَاءِ قَبَائِل شُجعَان، وَمُدَاوِين، وَمُحَارِبِين،
إذ يَمرُقُون كَغيُومٍ مِن أَشبَاح، يَمُرُّون وَيَذهبُون فِي الغَسَق،
(جِنسٌ مِن الغَابَاتِ، وَالمنَاظِر الطَّبِيعِيَّةِ الحُرَّة، وَالشَّلَالَات!
لَا صُورَة، أَو قَصِيدَة، أَو بَيَان، يَعبُر بِهِم إِلَى المستَقبَل):
يُونُّونديُو! يُونُّونديُو!– يَتَلَاشُون بِلَا تَسجِيل؛
وَاليَومُ يُخلِي مَكَانَه، وَيَتَلَاشَى– المدُن، وَالمزَارِعُ، وَالمصَانِعُ تَتَلَاشَى؛
وَصَوتٌ رَنَّانٌ مَخنُوقٌ، كَلِمَةٌ مُنتَحِبَةٌ عَابِرَةٌ خِلَالَ الأَثِيرِ لِلَحظَة،
ثُم فَرَاغٌ وَفُقدَانٌ وَسُكُون، وَضَاعَت تَمَامًا.

حيَــاة

أَبَدًا هِي رُوحُ الإِنسَانِ المنَاضِلَةُ، المصَمّمَةُ، بِلَا إِحبَاط؛
(فَهَل فَشَلَت الجيُوشُ السَّابِقَة؟ إِذَن فَلنُرسِل جيُوشًا جَدِيدَة– ومُنتَعِشَةً مِن جَدِيد)؛
أَبَدًا هُو السِّر المصُونُ لعُصُور الأرضِ القَدِيمَةِ وَالجَدِيدَة؛
أَبَدًا العَينَانِ الملهُوفتَان، صَيحَاتُ الحَمَاس، الأيدِي المصَافِحَةُ مُرَحِّبَةً، وَالتَّصفِيقُ العَالِي؛
أَبَدًا هِي الرُّوحُ المتَعِضَةُ، القَلِقَةُ، بِلَا اقتِنَاعٍ فِي النّهَايَة؛
تُنَاضِلُ اليَومَ نَفسَ الشَّيء– تُعَارِكُ نَفسَ الشَّيء.

"يمضي إلى مكانٍ ما"

صَدِيقَتِي المعَلِّمَة، أَنبَلُ صَدِيقَاتِي،
(مَدفُونَةٌ الآن فِي مَقبَرَةٍ انجلِيزِيَّة– وَهَذِه وَرَقَةُ عُشبٍ ذِكرَى لِخَاطِرِهَا العَزِيز)،
أَنهَت حَدِيثَنَا– "الخُلَاصَة، بِاستِنتَاج كُل مَا نَعرِف مِن التَّعلِيم القَدِيم وَالحَدِيث،
وَالحدُوسِ العَمِيقَة،
"مِن كُل الجيُولُوجِيَّات– وَالتَّآرِيخ– وَكُل الفَلَك– والتَّطَوُّر، وَجَمِيع المِيتَافِيزِيقِيَّات،
"هُو، أَنَّنَا جَمِيعًا إِلَى الأَمَام، إِلَى الأَمَام، نَتَقَدَّم بِبُطءٍ، نَتحَسَّن بِالتَّأكِيد،
"فَالحَيَاة، الحَيَاةُ مَسِيرَةٌ لَا نِهَائِيَّة، جَيشٌ لَا نِهَائِي (لَا تَوَقُّف، لَكِنَّه أَفضَل بِمَا يَكفِي)،
"وَالعَالَم، وَالجِنسُ البَشَرِي، وَالرُّوح– وَالأَكوَانُ فِي المَكَانِ وَالزَّمَان،
"الكُل مَربُوطٌ كَمَا يُلَائِمُ كُلًّا مِنهَا– الكُل يَمضِي إِلَى مَكَانٍ مَا".

من طبعة 1867 لـ"**أوراق العُشب**".

صغيرةٌ، فكرة أنشـودتي

صَغِيرَةٌ فِكرَةُ أُنشُودَتِي، لَكِنَّهَا الأعظَم– تَحدِيدًا، ذَاتُ المـرء– كَشَخصٍ بَسِيطٍ، مُستَقِل.
ذَلِك مَا أُغَنِّي، مِن أَجلِ العَالَم الجَدِيد.
أُغَنِّي جَسَدَ الإِنسَانِ الكَامِل، مِن الرَّأسِ إِلَى إِصبَعِ القَدَم. لَا الوَجهَ وَحدَه، لَا العَقلَ وَحدَه، هُو الجَدِير بِرَبَّةِ الشِّعر؛– أَقُولُ إِن القَوَامَ الكَامِلَ أَجدَرُ بِكَثِير. أُغَنِّي الأُنثَى كَمَا الذَّكَر.
وَلَا أَتوَقَّف عِندَ فِكرَةِ ذَاتِ المرء. إِنِّني أَنطِقُ بِكَلِمَةِ الحَدِيث، الكَلِمَة الجمعِيَّة.
أُغَنِّي أَيَّامِي، وَالبُلدَان– بَعدَ أَن عَرَفتُ بِالحَرب التَّعِيسَة بِبُرهَة.
(فَأَيُّهَا الصَّدِيق، أَيًّا مَن تَكُون، لَدَى وصُولِكَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى هُنَا لَتَبدَأ، أُحِسُّ مِن خِلَالِ كُلِّ وَرَقَةِ شَجَرٍ بِضَغطَةِ يَدِك، التِي أُعِيدُهَا.
وَهَكَذَا فِي رِحلَتِنَا، سَائِرَين عَلَى الطَّرِيق، وَأَكثَر مِن مَرَّة، وَمُرتَبِطَين مَعًا، فَلنَمضِ).

منتصرون حقيقيُّــون

قدَامَى مزَارِعِين، وَرحَّالَة، وَعُمَّال (لَا يَهم كَم هُم مُقعَدُون أَو مَحنِيُّون)،
قدَامَى بَحَّارَة، خَارِجِين مِن رحلَاتٍ خَطِرَةٍ كَثِيرَة، وَعَوَاصِف وَحُطَام،
قدَامَى جُنُودٍ مِن الحَملَات، بِكُل جِرَاحِهِم، وَهَزَائِمِهِم وَندُوبِهِم؛
يَكفِي أَنَّهُم نَجَوا أَصلًا– حَيَاةً مَدِيدَةً أَيُّهَا الرَّاسِخُون!
لِيَنبَثِقُوا قُدُمًا مِن نِضَالَاتِهِم، وَمحَاوَلَاتِهِم، وَمَعَارِكِهِم– فِي ذَلِكَ وَحدَه،
مُنتَصِرِين حَقِيقِيِّين عَلَى جَمِيع البَاقِين.

من الولايات المتحدة إلى نُقاد العالم القديم

هَا هِي أَوَّلًا وَاجِبَاتُ اليَوم، دُرُوسُ الوَاقِعِي،
الثَّروَة، النِّظَام، السَّفَر، المأوَى، المنتَجَات، الوَفرَة؛
مِثلَمَا فِي بِنَاءٍ بَعضِ الصُّرُوحِ الدَّائِمَةِ، الشَّاسِعَةِ، المتَنَوعَة،
مِن حَيثُ تَرتَفِع مَحتُومَةً فِي الموعِد، السُّقُوفُ الشَّاهِقَة، وَالمصَابِيح،
تَنطَلِقُ الأبرَاجُ العَالِيَةُ المغرُوسَة بِإحكَامٍ نَحوَ النُّجُوم.

الفكرة المهدِّئـة

تِلكَ المنطَلِقَة، أَيًّا مَا كَانَت تَأمُّلَاتُ النَّاس،
وَسطَ المدَارِس، وَاللَّاهُوتِيَّات، وَالفَلسَفَاتِ المتَغَيِّرَة،
وَسطَ التَّقَارِيرِ المجَعجِعَةِ الجَدِيدَةِ وَالقَدِيمَة،
تَتَوَاصَلُ القَوَانِينُ، وَالحَقَائِقُ، وَالأَنمَاطُ الحَيَوِيَّةُ الصَّامِتَةُ لِلأَرض المستَدِيرَة.

شُــكرًا في الشَّــيخوخة

شُكرًا فِي الشَّيخُوخَة– شُكرًا قَبلَ أن أَمضِي،
عَلَى الصِّحَّةِ، وَشَمسِ الظَّهِيرَة، وَالهَوَاءِ غَيرِ المحسُوس– عَلَى الحَيَاةِ، مُجَرَّدِ الحَيَاة،
عَلَى الذِّكرَيَاتِ الثَّمِينَةِ البَاقِيَةِ أَبَدًا، (ذِكرِيَاتِك يَا أُمِّي العَزِيزَة– وَأَنتَ، يَا أَبِي– وَأَنتُم، يَا أُخوَتِي، وَأَخوَاتِي، وَأَصدِقَائِي)،
عَلَى كُل أَيَّامِي– لَا أَيَّامَ السَّلَام تِلكَ وَحدَهَا– بَل أَيضًا أَيَّام الحَرب عَلَى السَّوَاء،
عَلَى الكَلِمَاتِ، وَالتَّربِيتَاتِ، وَالهَدَايَا الرَّقِيقَة، مِن بُلدَانٍ أَجنَبِيَّة،
عَلَى المأوَى، وَالخَمرِ وَاللَّحم– عَلَى التَّقدِيرِ الجَمِيل،
(وَأَنتُم، أَيُّهَا القُرَّاءُ الأحِبَّاء، البَعِيدُون، المجهُولُون فِي العَتمَة– أَو الشُّبَّانُ أَو الكِبَار– بِلَا حَصرٍ، بِلَا تَحدِيد،
لَم نَلتَقِ أَبَدًا، وَلَن نَلتَقِي أَبَدًا– وَمَعَ ذَلِكَ تَتَعَانَق أَروَاحُنَا، طَوِيلًا، حَمِيمًا وَطَوِيلًا)؛
عَلَى الكَائِنَات وَالجَمَاعَات وَالحُب وَالأفعَال وَالكَلِمَات وَالكُتُب– عَلَى الألوَانِ وَالأشكَال،
عَلَى جَمِيعِ الرِّجَالِ الأشِدَّاءِ الشُّجعَان– الرِّجَالِ الأقوِيَاءِ، المخلِصِين– الذِين انطَلَقُوا إِلَى الأمَام لِمُسَاعَدَةِ الحُرِيَّة، طُوَالَ السِّنِين، فِي كُل البُلدَان،
عَلَى الرِّجَالِ الأكثَر شَجَاعَةً، وَقُوَّةً، وَإِخلَاصًا– (لَهُم إِكلِيلُ غَارٍ خُصُوصِي قَبلَ أَن أَمضِي، لِمَن اختَارَتهُم حَربُ الحَيَاة،
مَدفَعجِيَّةُ الغِنَاءِ وَالفِكر– جنُودُ المدفَعِيَّةِ العِظَام– القَادَة البَارِزُون، قَبَاطِنَةُ الرُّوح):
إِذ عَادَ الجُندِي مِن حَربٍ انتَهَت– وَمُسَافِر مِن بَين آلَاف، إِلَى الذِّكرَيَاتِ البَعِيدَة،
فَشُكرًا– شُكرًا بَهِيجًا!– شُكرَ جُندِي، شُكرَ مُسَافِر.

الحيـــاة والمـــوت

المشكِلَتَان القَدِيمَتَان، البَسِيطَتَان، متَشَابِكَتَان أَبَدًا،
قُربَ المآب، مرَاوِغَتَان، حَاضِرَتَان، عَالِقَتَان، مُحكَمَتَا الوِثَاق.
بِلا حَل فِي كُل عَصر تَالٍ، مرَّتَا،
إِلَى عَصرِنَا اليَوم– وَنَمُر بِهَا عَلَى نَفسِ الشَّاكِلَة.

صَـوت المطَـر

وَمَن أَنت؟ قُلتُ لِلهُطُولِ الرَّقِيق،
الذِي قَدَّمَ لِلغَرَابَةِ لِي إِجَابَةً، هَا هِي تَرجَمَتُهَا :
أَنَا قَصِيدَةُ الأَرض، قَالَ صَوتُ المطَر،
أَبَدِيًّا أَنبَثِقُ غَيرَ مَحسُوسٍ مِن الأرض وَالبَحرِ بِلَا قَرَار،
نَحوَ السَّمَاءِ فِي الأَعَالِي، حَيثُ أَنزِلُ، بَعدَ تَشَكُّلِي بِغُمُوضٍ، مُتَغَيِّرًا تَمَامًا، وَمَع ذَلِكَ فَأَنَا نَفسِي،
لأغسِلَ الجَفَافَ، وَالذَّرَّات، وَطَبقَات تُرَابِ الكَوكَب،
وَكُلُّ مَا يَنطِوِي فِيهَا بِدُونِي لَيسَ سِوَى بُذُور، كَامِنَةٍ، لَم تُولَد؛
وَأَبَدًا، بِالنَّهَارِ وَاللَّيل، أُعِيدُ الحَيَاةَ إِلَى أَصلِي، وَأَجعَلهَا صَافِيَةً وَأُجَمِّلُهَا؛
(فَالأَغنِيَةُ، الصَّادِرَةُ مِن مَسقَطِ رَأسِهَا، بَعدَ الإِنجَاز، هَائمَةً،
بِمُبَالَاةٍ أَو لَا مُبَالَاةٍ، تَعُودُ فِي أَوَانِهَا مَعَ الحُب).

سرعان ما سيحل هنا إحباطُ الشتاء

سرعَانَ مَا سَيَحِل هُنَا إحبَاطُ الشّتَاء؛
سرعَان مَا ستذُوبُ وَتَفُك قيدَهَا الأربِطَةُ الثّلجِيَّة- لِبُرهَة،
وَالهَوَاءُ، وَالتُّربَةُ، وَالموجُ، الغَامِرُون سَيَئُولُون إِلَى الرِّقَّة، وَالإِزهَار وَالنَّمَاء- وَأَلفُ شَكلٍ سَيَظهَر
مِن هَذِه الأكوَامِ وَالبُرُودَةِ المَيِّتَة كَمَا مِن مَقَابِر دَفنٍ خَفِيضَة.
وَعيُونُكُم وَآذَانُكُم- كُل حَوَاسِّكُم الأفضَل- كُل مَا يُدرِكُ الجَمَالَ الطَّبِيعِي،
سَيَصحُو وَيَمتَلِئ. لَسَوفَ تُدرِكُون التَّجلِيَات البَسِيطَة، وَالمعجِزَاتِ الرَّهِيفَةَ لِلأرض،
الهندِبَاءَ، البَرسِيمَ، العُشبَ الزُّمُرُّدِي،
الأرِيجَ وَالزُّهُورَ المبَكِّرَة،
شُجَيرَاتِ القَطلب تَحتَ الأقدَام، وَخُضرَةَ الصَّفصَافِ المصفَرَّة، وَالبَرقُوقَ وَالكَرزَ المزهِرَين؛
وَمَعَ هَؤلَاء أَبُو الحِنَّاء، وَالقُبَّرَةُ وَطَائِرُ الدُّج، يُغَنُّون أُغنِيَاتِهِم- وَالعُصفُورُ الأزرَق المرَفرِف؛
لِمثلِ هَذِه المشَاهِد تَتَوَاصَل المسرَحِيَّةُ السَّنَوِيَة.

فيما لا ننسى الماضي

فِيمَا لَا نَنسَى المَاضِي،
اليَوم، عَلَى الأقَل، يَختَفِي الخِلَافُ تَمَامًا– يَبرُزُ السَّلَامُ، وَالأُخُوَّة؛
بِعَلَامَةٍ مُتَبَادَلَةٍ، تَحُط أَيدِينَا الشَّمَالِيَّةُ، وَالجَنُوبِيَّة،
عَلَى قُبُورِ جَمِيعِ الجُنُودِ القَتلَى، شَمَالًا وَجَنُوبًا،
(لَا مِن أَجلِ المَاضِي وَحدَه– بَل مِن أَجلِ مَعَانِي المستَقبَل)،
أَكَالِيلَ وُرُودٍ وَسَعَف نَخِيل.

نُشرت في 30 مايو 1888

المحارب القديم المحتضر

(واقعة بلونج آيلاند- أوائل القرن الحالي (التاسع عشر))

وَسطَ أَيَّامِ النِّظَامِ، وَالرَّاحَة، وَالأُبَّهَةِ هَذِه،
وَسطَ الأغَانِي الشَّائِعَةِ عَن الجَمَالِ، وَالسَّلَام، وَاللَّيَاقَة،
أُقَدِّمُ إِحدَى الذِّكرَيَات- (غَالِبًا سَتُغضِبُكُم،
سَمِعتُهَا فِي صِبَاي)؛- مُنذ أَكثَر مِن جِيل،
كَانَ رَجُلٌ عَجُوزٌ بِدَائِي، مُقَاتِلٌ تَحتَ قِيَادَةِ وَاشنطُن نَفسِه،
(ضَخمٌ، شُجَاعٌ، حَرِيصٌ عَلَى النَّظَافَة، حَار الدِّمَاء، غَير مُفَوَّه، بَل رُوحَانِي،
كَانَ قَد قَاتَلَ فِي الصُّفُوف- قَاتَلَ جَيِّدًا- طُوَالَ الحَربِ الثَّورِيَّة)،
يَرقُدُ مُحتَضِرًا- يَرعَاه بِحُبٍّ الأَبنَاءُ، وَالبنَاتُ، وَشَمَّاسُو الكَنِيسَة،
مُرهِفِين حَوَاسَّهُم، وَآذَانَهُم، لِلكَلِمَاتِ المَغمغِمَةِ، شِبه المسمُوعَة :
"فَلأعُد مِن جَدِيدٍ إِلَى أَيَّامِي بِالحَرب، إِلَى الرُّؤَى وَالمشَاهِد- إِلَى تَشكِيلِ خَط المعرَكَة،
إِلَى الكَشَّافَةِ المستَطلِعِين فِي الأَمَام،
إِلَى المَدَافِع، وَالمدفَعِيَّةِ الشَّرِسَة،
إِلَى المسَاعَدَات العَاجِلَة، الحَامِلَةِ لِلتَّعلِيمَات،
إِلَى الجرحَى، السَّاقِطِين، وَالحر، وَالتَّرَقُّب،
وَالرَّائِحَةِ القَوِيَّة، وَالدُّخَان، وَالصَّخَبِ الذِي يصُم الآذَان؛
فَإِلَى الجَحِيم بِحَيَاتِكُم المسَالِمَة!- وَأَفرَاحِكُم بِالسَّلَام!
فَامنَحُونِي مِن جَدِيدٍ حَيَاتِي فِي المعرَكَةِ الوَحشِيَّةِ القَدِيمَة!"

دُرُوسٌ أقــوَى

هَل تَعلَّمتَ درُوسًا مِن المعجَبِين بِك فَحَسب، وَكَانُوا مُحِبِّين لَك، وَأَفسَحُوا لك؟ أَلَم تَتَعَلَّم درُوسًا أَقوَى مِن هَؤلَاء الذِين أَنكَرُوك، وَوَضعُوا أَنفُسَهُم فِي مُوَاجَهَتِك؟ أَو هَؤلَاء الذِين تَعَامَلُوا مَعَك بِازدِرَاء، أَو تَنَازَعُوا مَعَكَ عَلَى المرُور؟

غـــرُوب على مَـــرج

صُورَةٌ ذَهَبِيَّة، كِستِنَائِيَّةٌ وَبَنَفسجِيَّة، فِضِّيَّةٌ بَاهِرَة، زُمُرُّدِيَّة، فَاتِحَةُ الاصفِرَار،
الوَفرَةُ الكَامِلَةُ لِلأرض وَالقُوَّةُ مُتَعَدِّدَةُ الأشكَالِ لِلطَّبِيعَة وَقَد استَحَالَت مرَّةً وَاحِدَةً إِلَى
أَلوَان؛
الضَّوءُ، وَالهَوَاءُ العَمِيمُ المفعَم بِهَا- أَلوَانٌ غَيرُ مَعرُوفَةٍ حَتَّى الآن،
لَا حُدُود، أَو تُخُوم- لَا السَّمَاء الغَربِيَّةَ وَحدَهَا- خَط الزَّوَالِ العَالِي- شَمَالًا، جَنُوبًا،
جَمِيعًا،
بَل ضَوءٌ صَافٍ مُشرِق يُصَارِعُ الظِّلَالَ الصَّامِتَةَ حَتَّى النِّهَايَة.

عشـرون عامًـــا

عَلَى رَصِيفِ المِينَاءِ القَدِيمِ فِي الأسفَل، الرِّمَالُ، حَيثُ أَجلِس، مَع قَادِمٍ جَدِيدٍ أتحَدَّث:
رَكِبَ السَّفِينَةَ كَصَبِي أَخضَر اليَدَين[*]، وَأَبحَرَ بَعِيدًا (تلَقَّى فِكرَةً مُفَاجِئَةً، عَنِيفَة)؛
مُذ ذَاك، دَارَت عِشرُون عَامًا وَأَكثَر دَورَةً فَدَورَة،
فِيمَا كَانَ يَدُورُ فِي الكَوكَب دَورَةً فَدَورَة،- وَالآنَ يَعُود :
كَم تَغَيَّر المكَان- كُل المعَالِم الرَّئِيسِيَّة اختَفَت،- الأبوَان مُتوَفَّيَان؛
(نَعَم، يَعُود *لِأَستَلقِي فِي المِينَاء فِي النِّهَايَة- لِأَستَقِر*- كَانَت مِحفَظَتُه مُتخَمَة- وَلَا مَكَان يَصلُح سِوَى هَذَا)؛
القَارِبُ الصَّغِير الذِي أَقَلَّه مِن المركَبِ الشِّرَاعِي، أَرَاه الآنَ مَربُوطًا فِي سِلسِلَة،
أَسمَعُ الأموَاجَ المتَلَاطِمَة، والسَّفِينَةَ المتَخَبِّطَة، وَالاهتِزَازَ فِي الرِّمَال،
أَرَى مُعِدَّاتِ البَحَّار، وَالحَقِيبَةَ القمَاش، وَالصُّندُوقَ الضَّخمَ مُوثَقًا بِالنُّحَاس،
أَتَفَحَّص الوَجهَ البُنِّي بِلَونِ التُّوت وَالملتَحِي- وَالقَوَامَ القَوِي النَّشِيط،
مُرتَدِيًا بَذلَةً خَمرِيَّةً مِن قُمَاشٍ سكُوتلَندِي جَيِّد :
(إِذَن فَمَا القِصَّةُ المحكِيَّةُ عَن تِلك الأعوَام العِشرِين؟ مَاذَا عَن المستَقبَل؟)

---

[*] صفة تطلق على حديث العمل، قليل الخبرة، من بين طاقم الملاحين.

براعم برتقال بالبريد من فلوريد

(أنهى فولتير جدالاً شهيرًا بادعاء أن السفينة الحربية والأوبرا العظيمة برهانان كافيان على تقدم فرنسا والحضارة، في زمنه)

هُنَاكَ بُرهَانٌ أَقَل مِن بُرهَانِ فُولتِير القَدِيم، لَكِنَّه أَعظَم،
بُرهَانُ هَذَا الوَقتِ الحَاضِر، وأَنتِ، بِاتِّسَاعِكِ الشَّاسِع، يَا أَمِيرِيكَا،
فَإِلَى كُوخِي الشَّمَالِي البَسِيط، وَفِي الخَارِجِ الغُيُومُ وَالثُّلُوج،
أَتَيتِ بِأَمَانٍ لألفِ مِيلٍ فَوق اليَابِسَةِ وَالمدِّ وَالجزر،
لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُنذُ تَبَرعَمَت فِي تُربَتِهَا،
وَتَنشُر هُنَا الآن عُذُوبَتَهَا فِي غُرفَتِي،
بِبَاقَةٍ مِن بَرَاعِمِ البُرتُقالِ مِن فُلورِيدَا بِالبَرِيد.

غَســق

الظِّلَالُ النَّاعِمَةُ الشَّهوَانِيَّةُ المخَدِّرَة،
لِتوِّهَا رَحَلَت الشَّمس، زَالَ الضَّوءُ الملهُوفُ– (أَنَا أَيضًا سَرعَانَ مَا أَرحَل، وَأَزُول)،
سَدِيم– نِرقَانَا– رَاحَةٌ وَلَيل– نسيَان.

يا أوراق عُشبي الباقية متناثرة

يَا أَورَاقَ عُشبِي البَاقِيَةَ مُتَنَاثِرَةً عَلَى شُجَيرَاتِ الشِّتَاءِ المقتَرِب،
وَأَنَا شَجَرَةُ حَقلٍ مُشَذَّبَةٌ جَيِّدًا أَو صَفٌّ فِي بُستَان؛
أَنتِ رُمُوزٌ بَالغَةُ الصِّغر وَمَهجُورَة– (لَيسَ الآن أَوَانَ تَوَرُّد مَايُو، أَو ازدِهَارِ بَرسِيم
يُوليُو– وَلَا محَاصِيل أَغسطُس الآن)؛
يَا صَوَارِي الرَّايَاتِ الشَّاحِبة– أَيَّتُهَا الأعلَامُ التَّافِهَة– البَاقِيَةُ طَوِيلًا فِي الزَّمَن،
لَكِن أَورَاقَ عُشبِي الأكثَر إعزَازًا عَلَى رُوحِي تُؤَكِّدُ البَاقِي كُلَّه،
فَالأكثَر إخلَاصًا– الأَشَد– هُو مَا يَدُوم.

ليست الشجيرات النحيلة، الكامنة وحدها

لَيسَت الشُّجَيرَات النَّحِيلَة، الكَامِنَة، وَحدَهَا، (المَلِيئَة بِالقُشُور وَالعَارِيَة، كَمخَالِب النُّسُور)، أَيَّتُهَا الأغَانِي!

بَل قَد يَنفَجِرُ بِالمصَادَفَةِ يَومٌ مُشمِسٌ ما (مَن يَدرِي؟) ذَات رَبِيعٍ قَادِم، ذَاتَ صَيفٍ مَا– يَنفَجِر قُدُمًا،

إِلَى أَورَاقِ شَجَر خَضرَاء، أَو ظِل يُؤوي– إِلَى ثَمرَةٍ مُغَذِّيَة،

تُفَّاح وَأَعنَاب– وَتَنبَثِقُ الأغصَانُ القَوِّيَة لِلأشجَار– وَالهَوَاء الطَّلق، الحُر، المنعِش،

وَالحُب وَالإِيمَان، كزُهُورٍ مُتَفَتِّحَةٍ تَفُوح بِالأَرِيج.

الامبراطــور الميت[*]

اليَوم، بِرَأسٍ وَعَينَين مُطَأطِئَتَين، أَنتِ، أَيضًا، يَا كُولُومبيَا،
تَنكَفِئِين لأسفَل فِي حُزنٍ عَلَى التَّاج العظِيم- عَلَى الامبِرَاطُور،
وَمُوَاسَاتُك الحَقِيقِيَّة نَشَرت، وبَعَثَت فَوقَ أَميَالِ البَحرِ المِلحِي،
بِرِثَاءِ رَجُلٍ عَجُوزٍ طَيِّب- رَاعٍ مُخلِص، وَطَنِي.

نُشرت في 10 مارس 1888

[*] الامبراطور المقصود هو الألماني ويلهلم الأول، الذي توفي في برلين في 9 مارس 1888؛ الذي كان أول حاكم لألمانيا الموحدة بعد بسمارك.

مثل لهب إشارة اليونانيين

(إلى عيد ميلاد هوايتير الثمانين، 17 ديسمبر 1887[*])

مِثلَ لَهَب إِشَارَةِ اليُونَانِيِّين، الذي أَخبَرتنَا بِه المحفُوظَاتُ القَدِيمَة،
وَقَد أَشرَقَ مِن قِمَّةِ التَّل، كَهتَافٍ وَمَجد،
مُرَحِّبًا فِي الشُّهرَةِ بِبَطَلٍ، مُخَضرَمٍ خَاص،
بِمِسحَةٍ وَردِيَّةٍ تُخَضِّبُ الأَرضَ التِي خَدمَهَا،
لِهَذَا فَعَالِيًا مِن شَاطِئِ مَانهَاتِن المحفُوفِ بِالسُّفُن،
أَرفَعُ عَالِيًا شَارَةً مُشتَعِلَةً مِن أَجلِك، أَيُّهَا الشَّاعِرُ العَجُوز.

---

[*] جون جرينليف هوايتير John Greenleaf Whittier: شاعر أميريكي كبير [1807-1892]، ومدافع متحمس عن إلغاء العبودية.

السفينة الموصُـــومة

فِي بُحَيرَةٍ مَهجُورةٍ، فِي خَلِيجٍ بِلَا اسم،
عَلَى مِيَاهٍ كَسُولَةٍ، مُنعَزِلَةٍ، تَرسُو قُربَ الشَّاطِئ
سَفِينَةٌ عَجُوز، بِلَا صَوَارٍ، رَمَادِيَّةٌ مُهتَرِئَه، عَاجِزَةٌ، مُنتَهِيَة،
بَعدَ رِحلَاتٍ حُرَّة إِلَى كُل بِحَارِ الأرض، سُحِبَت فِي النِّهَايَة وَشُدَّت بِحَبلٍ ضَخمٍ مُحكَم،
مَرمِيَّةً تَصدَأ، وَتَبلَى.

أيتها الأغاني السابقة، الآن وداعًا

أَيَّتُهَا الأَغَانِي السَّابِقَةُ، الآنَ وَدَاعًا– وَدَاعًا بِكُل مَعنَى،
(قَوَافِل سُطُورٍ مُتَرَنِّحَة فِي مَوَاكِبَ كَثِيرَةٍ غَرِيبَة، وَعَرَبَات،
جِيئَةً وَذِهَابًا– مَعَ فَوَاصِل– مِن أَعوَامِ الشَّيخُوخَة، وَوَسَطِ العُمرِ، أَو الشَّبَاب)،
"**فِي سُفُنٍ ذَات كَبَائِن**"، أَو "**أَيَّتُهَا القَضِيَّةُ القَدِيمَة**" أَو "**شُعَرَاءُ المستَقبَل**"،
أَو "**بُومَانُوك**"، "**أُغنِيَةُ نَفسِي**"، "**كَالَامُوس**"، أَو "**آدَم**"،
أَو "**اقرَعِي! اقرَعِي! يَا طُبُول!**"، أَو "**إِلَى الأَرضِ الخِصبَةِ التِي سَارُوا علَيهَا**"،
أَو "**أَيُّهَا القَائِد! يَا قَائِدِي!**"، "**كوزمُوس**"، "**سَنَوَات الرِّمَال المتَحَرِّكَة**"، أَو "**أَفكَار**"،
"**أَيَّتُهَا الأُم بِأَبنَائِكِ المتسَاوِين**"، وَالكَثِير، وَالأَكثَر بِلَا تَحدِيد،
مِن قَلبِي اللِّيفِي– مِن الحنجُرَةِ وَاللِّسَان– (دَمُ حَيَاتِي السَّاخِن النَّابِض،
الحَافِزُ وَالشَّكلُ الشَّخصِي لِي– لَا الوَرَق فَحَسب، بَل النَّمَط وَالحِبر الأُوتُومَاتِيكِي)،
فَكُل أُغنِيَةٍ لِي– كُل لَفظٍ فِي المَاضِي– لَه تَارِيخُه الطَّوِيل، الطَّوِيل،
عَن الحَيَاةِ أَو الموتِ، أَو جُرحِ جُندِي، عَن خَسَارَةِ البَلَدِ أَو أَمَانِه،
(أَيَّتُهَا السَّمَاء! أَيَّةُ وَمضَةٍ وَقَافِلَةٍ بَدَأَت بِلَا انتِهَاء! تُقَارَن حَقًّا بِذَلِك!
يَا لَهَا مِن كِسرَةٍ ضَئِيلَةٍ حَتَّى فِي أَفضَل الحَالَات!)

هدهَـدة مســائية

بَعدَ أُسبُوعٍ مِن الوَجَع الجَسَدِي،
مِن القَلَقِ وَالألَم، وَحَرَارَةِ الحُمَّى،
قُربَ نِهَايَةِ النَّهَارِ تُوَاتِينِي هَدهَدَةٌ وَسَكِينَة،
ثَلَاثُ سَاعَاتٍ مِن السَّلَام وَرَاحَةِ العَقلِ المُهَدِّئَة[*].

[*] هذه الأغنية والسابقة عليها اكتملتا خلال ما بعد ظهيرة في يونيو 1888، في عامي السبعين، أثناء نوبة مرض حرجة. وبالطبع، فما من قارئ، وربما ما من كائن إنساني، في ذلك الحين، سيمتلك مثل هذه الجوانب من الفعل العاطفي والرصين كتلك التي تخصني. إنني أحس بهما كنهاية وخاتمة لكل شيء؛ [ويتمان].

الذُّرَى اللامعة للعصور القديمة

لَمَسَةُ اللَّهَب- النَّارُ المضِيئَة- النَّظرَةُ الأعلَى فِي النِّهَايَة،
عَلَى المدِينَة، وَالهوَى، وَالبَحر- عَلَى البَرَارِي، وَالجَبَل، وَالغَابَة- وَالأرضِ ذَاتِهَا؛
اللَّمسَاتُ المتَغَيِّرَةُ، المختَلِفَةُ، الأثِيرِيَّةُ، مِن كُل شَيء، فِي الغَسَق الهَابِط،
الأشيَاءُ وَالمجمُوعَات، المعَانِي، الوُجُوه، الذِّكرَيَات؛
المشهَدُ الهَادِئ- الخَلفِيَّةُ الذَّهَبِيَّة، الصَّافِيَةُ وَالوَاسِعَة:
كَثِيرًا مَا جَاءَت مِن تِلقَاءِ ذَاتِهَا إِلَى الجو، ونِقَاطِ الرُّؤيَة، وَالموَاضِع
التِي نَتَأمَّل مِنهَا- مُهمَلَةً كَثِيرًا مِن قَبل (وَهوَ رُبَّمَا أفضَل)؛
مِنهَا الأضوَاءُ حَقًّا- مِنَ الذُّرَى اللَامِعَة لِلعُصُورِ القَدِيمَة.

بعد العشَـاء والحديث

بَعدَ العَشَاءِ وَالحَدِيث– بَعدَ انتِهَاءِ اليَوم،
إذ أَطَالَ أَحَدُ الأصدِقَاءِ انسِحَابَه الأخِيرَ عَن أَصدِقَائِه،
مُكَرِّرًا وَدَاعًا وَوَدَاعًا بِشِفَاهٍ عَاطِفِيَّة،
(صَعبٌ لِلغَايَةِ عَلَى يَدِه أَن تُفلِتَ أَيدِيهُم– فَلَن يَلتَقُوا مِن جَدِيد،
لَا مَزِيدَ مِن مُشَارَكَةِ الحُزنِ وَالفَرح، لِلعَجَائِزِ وَالشُّبَّان،
فَرِحلَةٌ طَوِيلَةٌ مَدِيدَةٌ فِي انتِظَارِه، بِلَا عَودَة)،
انقِطَاعٌ مُؤَجَّلٌ، يَتَنَاءَى بِنَفسِه– سَعيًا لِتَفَادِي الكَلِمَةِ الأَخِيرَةِ قَلِيلًا دَائِمًا،
حَتَّى لَدَى انعِطَافَةِ بَابِ الخُرُوج– تَستَدعِيه وَاجِبَاتٌ مُفتَعَلَة– حَتَّى وَهوَ يَهبِطُ السَّلَالِم،
شَيءٌ مَا يُزِيد دَقِيقَةً إِضَافِيَّة– تَتَعَمَّقُ ظِلَالُ اللَّيل،
وَدَاعَات، وَرَسَائِلُ تَتَنَاقَص– وَجهُ وَشَكلُ الرَّاحِلِ يَزدَادُ عَتمَة،
وَسرعَانَ مَا يَضِيعُ فِي الظَّلَام– آهٍ كَم كَرِيهٌ هُوَ الرَّحِيل!
مِهذَارًا إِلَى النِّهَايَةِ الأَخِيرَة.

الملحـق الثَّـاني

وداعًــا يا خيَــالي

ملاحظة تمهيدية للملحق الثاني

في ختام "أوراق العشب"– 1891

أَلم يكن من الأفضل أن أكبح- (في شيخوختي وشلَلي هذين) هذه المزَق وَالحَوَاشِي (ربما البُقع واللطخات)، التي تلي رحلة طويلة متربة، وأراها فيما بعد؟ ربما لم أكن خائفًا بما يكفي، في البداية- ولست كذلك الآن- من لمسات الإهمال ولا التكرارات الببغائية – ولا التفاهة والابتذال. ربما كنتُ مفرط الديموقراطية إزاء مثل هذه التزيدات. فضلًا عن ذلك، أليس مجال الشعر، كما خططت له في الأصل نظريتي، مرتسمًا الآن بشكل كاف- وثمة وقت كامل لي للركون إلى الصمت؟- (دون أن أكون حقًّا في متناول نداء أو سوق صاخب يستدعي خروج كلامي الشعري).

وكإجابة، أو بالأحرى كتحدٍّ، لهذا النمط من المساءلات جيدة الصياغة، تأتي هنا هذه المجموعة الصغيرة، والختامية لمجموعاتي السابقة. وبالرغم من أنه ليس واضحًا تمامًا، مثلما تتم المقارنة هنا، أنها جديرة بالطباعة (بالتأكيد ليس لديَّ جديد لأكتبه)- فإنني خلال انعزالي لساعات في عامي الثاني والسبعين- ساعات من الكمون الإجباري في وكري- كنت أصوغ هذه المقارنة الصغيرة العجوز:

القَطَرَاتُ الأَخِيرةُ لِمَطَرٍ وَمَا بَعدَ مَطَرٍ عَفوِي،
مِن كِثِيرٍ مِن التَّقطِير الشفَّافِ وَالهُطُولِ المَاضِي؛
(هَل سَتُنبِتُ أَيَّ شَيء؟ مُجَرَّد زَفرَاتٍ كَمَا هِي جَمِيعًا- كَزفَرَات الأرض وَالبَحر- وَزَفـرَات أَمِيرِيكَا؛
هَل سَيَتقطَّر مِنهَا أَي شُعُورٍ عَمِيق؟ أَي عَقلٍ وَقَلب؟)

وَأَيًّا مَا قَد يَكُون ذَلك، فإنني أشعر بما يشبه تحسين فرصة اليوم والتصفية. فخلال العامين الأخيرين، أخرجتُ، في لحظات خدر المرض والاستنزاف، بعض التغريدات- ربما تغريدات احتضار طويل (بلا شك)- أجمعها الآن أيضًا وأضعها في نمط سائغ، حيث يمكنني أن أرى بصواب- (فعيناي تحذراني بوضوح من أنهما تُعتمان، وعقلي يهمل أو يرفض بصورة محسوسة أكثر فأكثر، وشهرًا بعد شهر، حتى أصغر المهام والمراجعات).

وفي الحقيقة، فأنا في هذين العامين الأخيرين 1890 و1891 (كل أسبوعين متتالين أزداد تيبسًا وتخشبًا) أشبه بحيوان صَدفِي عتيق كالح مهلهل أو محارة ضربها الزمن (بلا أرجل، بلا حركة) مرميًّا جافًّا على رمال الشاطئ، بلا قدرة على الحركة إلى أي مكان- ولم يبق سوى أن أتصرف بنفسي في هدوء، وفيما الأيام المحددة ما تزال بعيدة، وأكتشف ما إذا كان بالمحارة الكالحة التي ضربها الزمن ما يمكن استخراجه في النهاية من الأرواح الطيبة والنبضات الأولية البهيجة الموروثة هناك في الأعماق في مكانٍ ما داخل قوقعتها العجوز الرمادية المضببة... (فأيها القارئ، عليك أن تسمح

بالقليل من المرح هنا- لسبب أول، هو أن هناك أيضًا الكثير من القصائد الصغيرة التالية عن الموت، إلخ، ولسبب آخر هو أن الساعات المنقضية (5 يوليو 1890) جميلة مشمسة للغاية. وبالنسبة لعجوز مثلي، فإنني أحس اليوم أنني في الأغلب جزءٌ من موجة عابثة، أو قادر على اللعب لكن كصبي أو قطة صغيرة- وربما شريحة لحم من التوافق والكمال الجسدي هنا والآن. إنني أؤمن أنها بداخلي بصورة خالدة على أية حال).

إذن، فوراء كل شيء يكمن العزاء العميق (عزاء كئيب، لكني لا أجرؤ على الأسف على حقيقته في الماضي، ولا الإحجام عن إمعان النظر، بل التبجح هنا في النهاية) في أن هذه الأعوام الأخيرة التي شلَّت وضعي الشبيه بمحارة عجوز عارية هي النتاج والتنامي الثابت لما يقارب الآن عشرين عامًا، للحماس الزائد، والفعل والإثارة المتواصلة جسديًّا وشعوريًّا خلال أوقات 1862 حتى 65، زائرًا وراعيًا لمتطوعي الجيش المرضى والمصابين، من الجانبين، في حملات أو صراعات، أو ما بعدها، أو في المستشفيات أو الحقول جنوبًا في مدينة واشنطن، أو في ذلك المكان أو سواه- تلك الأوقات العصيبة، الحزينة، الساخنة- متطوعي الجيش، من جميع الولايات- أو شمالًا أو جنوبًا- الجرحي، والمتألمين، والمحتضرين- والأصياف المستنزفة، مع العرق، والمسيرات، والمعارك، والمجزرة- وتلك الخنادق التي رُدمت على عجل بآلاف الجثث، المجهولة غالبًا- فهل لأميريكا المستقبل- هل لهذا الاتحاد الثري الشاسع أن يحقق ذات يوم ثمنه، هناك في النهاية؟- تلك القرابين بالآلاف من قتلى المعارك- وتلك الأوقات التي لا يمثل هذا الكتاب كله في النهاية حقًّا، أيها القارئ البعيد، سوى ذكرى تذكارية من ذلك الحين مني إليك؟

أبحِـر بنفسك، أيها الزورق الشبح!

ارفَع المرسَاةَ قَلِيلًا!
ارفَع الشِّرَاعَ الكَبِيرَ وَالأَمَامِي- انطَلِق،
أَيُّهَا القَارِبُ الصَّغِيرُ الأبيَض المتَقَشِّر،أَسرِع الآن عَلَى الميَاهِ العمِيقَةِ حَقًّا،
(لَن أُسَمِّيهَا رِحلَتَنَا الختَامِيَّة،
بَل بِدَايَةً وَمَدخَلًا أَكِيدًا إِلَى الأفضَل، الأنضَج، الأكثَر حَقِيقِيَّة)؛
فَارحَل، ارحَل مِن الأَرض الصَّلدَة- لَا عَودَةَ أُخرَى إِلَى هَذِه الشُّطآن،
الآن هَيَّا إِلَى الأَبَد مُنطَلِقِين فِي مُغَامَرَتِنَا الحُرَّةِ اللَّانِهَائِيَّة،
مُزدَرِين حَتَّى الموَانِئ، وَالبَحَارِ، وَحِبَالِ المرسَى، وَالكثَافَات، وَالجَاذِبِيَّة،
فَلتُبحِر إِلَى الأَبَد، يَا زَورَقِي الشَّبَح!

القطراتُ الأخيـــرةُ الباقية

وَمَتَى وَلمَاذَا تَأتِي؟

لَا نَدرِي مَتَى (كَانَت الإِجَابَة)؛
لَا نَدرِي سِوَى أَنَّنَا مُنسَاقُون هُنَا مَعَ البَاقِين،
أَننَا تَخَلَّفنَا وَتَوَانَينَا- لَكِنَّنَا انجَرَفنَا فِي النِّهَايَة، وَهَا نَحنُ الآنَ هُنَا،
لِنَصنَعَ القَطَرَاتِ الخِتَامِيَّةَ مِن وَابِل المطَرِ العَابِر.

وداعًـــا يا خيَـــالي

وَدَاعًا يَا خَيَالِي[*]– (لَدَيَّ كَلِمَةٌ أَقُولُهَا،
لكِنَّه لَيسَ الوَقتَ المَلَائِم– فَأَفضَل كَلِمَةٍ أَو قَولٍ لَدَى أَيِّ إِنسَان،
تَأتِي حِين يَحِل مَكَانه الخَاص– وَحِرصًا علَى مَعنَاهَا،
فإِنَّنِي أحتَفِظُ بِكَلِمَتِي حَتَّى النِّهَايَة).

[*] فيما وراء كل وداع يكمن الكثير من الحدس ببداية جديدة- بالنسبة لي، **التطور**، **الاستمرارية**، **الأبدية**، **والتحول**، هي المعاني الأساسية للحياة للطبيعة والإنسانية، وهي ***الشرط الضروري*** لجميع الحقائق، ولكل حقيقة. لماذا يُعوِّل الناس كثيرًا على الكلمات، والنصيحة، والمظهر الأخير لمن يرحل؟ فتلك الكَلمات الأخيرة ليست نماذج للأفضل، الذي ينطوي على الحيوية في اكتمالها، والتوازن، والانضباط الكامل، والمدى. لكنها ذات قيمة بالغة للتأكيد والتصديق على السلسلة المتنوعة، والحقائق، والنظريات، والإيمان بالحياة السابقة كلها. [والت ويتمان].

هيَّا، هيَّا على نفس النحو، أيها الزوج المرح!

هَيَّا، هَيَّا عَلَى نفسِ النَّحو، أَيُّهَا الزَّوجُ المرِح!
يَا حَيَاتِي وَكتَابَتِي، شَامِلَةً الميلَادَ، وَالشَّبَاب، وَسَنَواتِ مُنتَصَفِ العُمر،
مُتَقَطِّعَةً كَألسنَةِ لَهَبٍ مُتعَدِّدَةِ الألوَان، مُتَدَاخِلَةٍ وَمُمتَزِجَةٍ فِي وَاحِد- يَشمَل الكُل،
وَرُوحِي الفَرِيدَة- غَايَاتِي، توكِيدَاتِي، فَشَلِي، مَبَاهِجِي- وَلَا رُوح فَرِيدَة وَحدَهَا،
أُنشِدُ المرحَلَةَ الحَرِجَةَ لأُمَّتِي (مَرحَلَةَ أَمِيرِيكَا، وَبِالمصَادَفَةِ مَرحَلَةَ الإِنسَانِيَّة)- المحنَةَ العَظِيمَة، وَالانتِصَارَ العَظِيم،
إِيضَاحٌ غَرِيبٌ لِكُل الجُمُوع المَاضِيَة، وَالعَالَمِ الشَّرقِي، القَدِيم، وَالوَسِيط،
فَهُنَا، هُنَا مِن التِّجوَالَات، وَالتشَرُّدَات، وَالدُّرُوس، وَالحرُوب، وَالهزَائِم- هُنَا فِي الغَرب صَوتٌ مُنتَصِر- يُبَرِّر كُل شَيء،
صَيحَةٌ فَرِحَةٌ رَنَّانَة- أُغنِيَةٌ لِلكِبرِيَاءِ وَالرِّضَاءِ الأَقصَى؛
أُنشِد مِنهَا الكُتلَةَ العَامَّة، القَبِيلَةَ العَادِيَّةَ العَامَّة (الأفضَل لَيسَ بِأَسرَعَ مِن الَاسوَأ)- والآن أُنشِد الشَّيخُوخَة،
(قَصَائِدِي، المكتُوبَةُ فِي البدءِ لِحَيَاةِ مَا قَبلَ الظَّهِيرَة، ولِحَيَاةِ الصَّيفِ، وَانتِشَارِ الخَرِيف،
أُقَدِّم نَفسَ القَصَائِد إِلَى الشَّعرِ الأبيَض كَالثَّلج، وَأمنَح لِنَبضَاتِ الشِّتَاءِ البَارِدَةِ نَفسَ القَصَائِد)؛
مُنسَاقِين هُنَا فِي رِعشَةٍ لَامُبَالِيَة، أَنَا وَكتَابَاتِي، بِإِيمَانٍ وَحُب،
إِلَى عَمَلٍ آخَر، إِلَى أُغنِيَاتٍ، وَظُرُوفٍ مجهُولَة،
فَهَيَّا، هَيَّا، أَيُّهَا الزَّوجُ المرِح! وَاصِل عَلَى نَفسِ النَّحو.

عامي الحادي والسبعون

بَعد تجَاوُز ثَلَاث عِشرِينَاتٍ وَعَشر،

بِكُل احتِمَالَاتِهَا، وَتَغَيُّرَاتِهَا، وَخَسَائِرِهَا، وَأَحزَانِهَا،

وَفَاةِ وَالِدَيَّ، نَزَوَاتِ حَيَاتِي، مَشَاعِرِي الكَثِيرَةِ الدَّامِعَة، حَرب 63 و64،

كَجُندِيٍّ عَجُوزٍ مُهَدَّم، بَعدَ مَسِيرَةٍ طَوِيلَةٍ، حَارَّةٍ، مُنهِكَة، أَو بِالمصَادَفَةِ بَعدَ مَعرَكَة،

فِي الغَسَق اليَوم، فِيمَا أَعرُج، مُستَجِيبًا لِدَعوَةِ الصُّحبَة، *هَيَّا*، بِصَوتٍ حَيَوِي،

أُقدِّم تَقرِيرًا مَعَ ذَلِك، أَقُوم مَعَ ذَلِكَ بِتَحِيَّةِ القَائِد الأَعلَى.

صُور شـبحية

ضَبَابٌ غَامِضٌ مُعَلَّقٌ حَولَ نِصفِ الصَّفحَات :

(كَم هُو غَرِيبٌ أَحيَانًا وَصَافٍ بِالنِّسبَةِ لِلرُّوح،

أَن كُل هَذِه الأشيَاء الصَّلدَةِ لَيسَت حَقًّا سِوَى صُوَرٍ شَبَحِيَّة، تَصَوُّرَات، لَيسَت حَقِيقِيَّة).

الإكليـل الشَّـاحب

عَلَى نَحوٍ مَا لَا يُمكِنُنِي أَن أَترُكُه هَكَذَا بَعدَ الآن، جنَائِزِيًّا رَغمُ أَنَّه كَذَلِك،
أَترُكه يَبقَى هُنَاكَ فِي الوَرَاءِ مُعَلَّقًا فِي مِسمَارِه،
بِالقُرمُزِي، والأزرَق، وَالأصفَر، وَالكُل شَاحِب، وَالأبيضُ الآن أَشيَبُ وَرَمَادِي،
وَردَةٌ وَاحِدَةٌ ذَابِلَةٌ مَوضُوعَةٌ مُنذُ أعوَامٍ مِن أَجلِك، أَيُّهَا الصَّدِيقُ العَزِيز؛
لَكِنِّي لَا أَنسَاك. فَهَل ذَوَيتَ إِذَن؟
هَل انبَعَثَ الأَرِيج؟ هَل مَاتَت الأَلوَانُ، وَالحَيَوِيَّة؟
لَا، فَفِيمَا تَتَلَاعَبُ الذِّكرَيَاتُ بِرَهَافَة- فَالمَاضِي حَي كَمَا دَائِمًا؛
فَقَد صَحَوتُ اللَّيلَةَ المَاضِيَةَ، وَفِي تِلكَ الحَلَقَةِ الشَّبحِيَّةِ رَأَيتُك،
وَابتِسَامَتُك، وَعَينَاكَ، وَوَجهُك، هَادِئ، صَامِتٌ، مُحِب كَمَا دَائِمًا:
فَدَع الإِكلِيلَ مُعَلَّقًا سَاكِنًا لِبُرهَةٍ فِي مَنَالِ بَصَرِي،
فَلَم يَمُت بَعدُ بِالنِّسبَةِ لِي، وَلَا حَتَّى شَحُب.

يَــومٌ انقضَـــى

عَقلَانِيَّةُ وَبهجَةُ الاكتِمَال المهَدِّئَتَان،
الأَبَّهَةُ ووَهَجُ المنَافَسَةِ العَجُول وَالاندِفَاعُ انتَهُوا؛
الآن الانتِصَار! التَّحَوُّل! فَتَهَلَّلُوا[*]!

---

[*] ملاحظة: *حياة الريف الصيفية- منذ أعوام عديدة*- في نزهاتي واستكشافاتي عثرت على مكان بالغابة قرب الجدول، حيث- لأسبابٍ ما- كان يبدو أن العصافير في مزاجها السعيد تأوي إليه بأعداد غير معتادة. وكنت حريصًا على أن أحضر هناك كونشيرتوهات الطيور الأكثر غزارة، وخاصةً في بداية النهار، ومرةً ثانيةً في نهايته. ذهبت إلى هناك كثيرًا في شروق الشمس- وأيضًا في الغروب، أو قبله مباشرة... وذات مرة راودني السؤال: ما الغناء الأفضل، الأول أم الأخير؟ كان الأول دائمًا متهيجًا، وربما بدا أكثر بهجة وقوة؛ لكنني كنت أحس دائمًا أن أصوات الغروب أو الأصيل أكثر نفاذًا وأعذب- كان يبدو أنها تلمس الروح- غالبًا هي طيور الدج المسائية، اثنان أو ثلاثة منهم، متجاوبين وربما مشتركين. ورغم أنني افتقدت بعض الصباحات، فقد وجدتُ نفسي ألتزم تمامًا بالجوقات المسائية.

ملاحظة أخرى: "لقد مضى مع المد والجزر والغروب"، هي جملة سمعتها من جرَّاح يصف وفاة بحَّار عجوز في ظروف بالغة الرهافة.

خلال **الحرب الانفصالية**، 1863-64، فيما كنت أزور المستشفيات العسكرية المحيطة بواشنطن، كونتُ عادةً، وواصلتها حتى النهاية، كلما بدأ الجزر أو مد الفيضان في أواخر النهار، بأن أزور بالضبط ما كان- في ذلك الحين- عنابر مزدحمة بمَن يعانون. وعلى نحوٍ ما [أو ظننتُ أنه كذلك]. كان تأثير التوقيت محسوسًا. كان ذوو الجراح الخطرة يحسون ببعض الراحة، ويحبون الحديث قليلًا، أو الحديث إليهم. فالطبائع الذهنية والعاطفية تكون في أفضل حالاتها: كان **الموت** دائمًا أسهل؛ وكان يبدو للأدوية مفعولٌ أفضل حين يتم تناولها آنئذٍ، ويسود جو من البهجة في العنابر.

وثمة تأثيرات مشابهة، وظروف وتوقيتات مشابهة، في نهاية النهار، بعد معارك كبرى، حتى مع كل فظائعها. وأكثر من مرة تكونت لديَّ نفس التجربة في الميادين المغطاة بالمتساقطين أو القتلى؛ [والت ويتمان].

سفينة الشيخوخة & سفينة الموت الماكر

مِن الشَّرقِ وَالغَربِ عَبر حَافَّةِ الأُفُق،
انقَضَّ عَلَينَا بَحَّارَةُ سَفِينَتَين عَظِيمَتَين قَوِيَّتَين،
لَكِنَّنَا سَنقُومُ بِسبَاقٍ مَعَ الزَّمَن عَلَى البِحَار- اختِبَار مَعرَكَةٍ مَع ذَلِك! وَالتَّحمُّل بِعُنفُوَانٍ مَعَ ذَلِك!
(فَمَبَاهِجُ كِفَاحِنَا وَأَفعَالُنَا الجَرِيئَةُ فِي مُنتَهَاهَا!)
نَستَخدِمُ اليَومَ كُلَّ قُوَى السَّفِينَةِ القَدِيمَة!
الشِّرَاعُ الثَّانِي مُمتَلِئ، والشِّرَاعُ الأعلَى وَالشِّرَاعُ المَلَكِيُّ المرَصَّع،
صِرَاعُنَا وَتَحَدِّينَا- الأعلَامُ وَالبَيَارِقُ الخَفَّاقَة أُضِيفَت،
وَنَمضِي إِلَى عرضِ البَحر- نَمضِي إِلَى المِيَاهِ الأعمَق، الأكثَر حُرِيَّة.

إلى العام المنتظَــر

أَلَا أملِكُ كَلِمَةً- سِلَاحًا مِن أَجلِك- رِسَالَةً مَا مُوجَزَةً وَوَحشِيَّة؟
(هَل حَارَبتُ وَأنهَيتُ حَقًّا المعرَكَة؟) أَلَيسَت هُنَاك طَلقَةٌ بَاقِيَة،
مِن أَجلِ جَمِيعِ تَصَنُّعَاتِك، وَلَدغَاتِك، وَاحتِقَارَاتِك، وَسَخَافَتِك المتَنَوِّعَة؟
وَلَا مِن أَجلِ نَفسِي- ذَاتِي المتَمَرِّدَةِ فِيك؟

فَلتَسقُطِي، فَلتَسقُطِي، أَيَّتُهَا الحنجَرَةُ المتَفَاخِرَة!- رغمَ اختِنَاقِك؛
إِلَى البَالُوعَةِ بحَلقِكِ الملتَحِي وَجَبِينِكِ ذِي الأَصلِ الرَّفِيع؛
فَلتُحنِي رَأسَك لمِوَاهِبِكِ الخَيِّرَة.

شفرة شيكسبير

لَا أَشُك فِيهَا- بَل أكثَر آنَئِذٍ، أكثَر بِكَثِير؛
فَفِي كُل أُغنِيَةٍ قَدِيمَةٍ مَورُوثَة- فِي كُل صَفحَةٍ أَو نَص نَبِيل،
(شَيءٌ مَا مُختَلِف- شَيءٌ لَم يَنتَبِه إِلَيه أَحَدٌ مِن قَبل- مُؤَلّفٌ مَا مَجهُول)،
فِي كُل شَيءٍ، جَبَلٍ، شَجَرَةٍ، وَنَجمَة- فِي كُل مِيلَادٍ وَحَيَاة،
كَجُزءٍ مِنهَا- كَطَورٍ مِنهَا- مَعنًى، فِيمَا وَرَاء المظهَر،
شَفرَةٌ سِرِّيَّةٌ تَنتَظِر بِلا حَل.

طويلًا من الآن، طويلًا

بَعدَ مشوَارٍ طَوِيل، طَوِيلٍ، لِمِئَاتِ الأعوَام، وَالإنكَارَات،
وَالتَّرَاكُمَاتِ، وَالحُب وَالبَهجَةِ وَالفِكر اليَقِظ،
وَالآمَالِ، وَالتَّمنيَّات، وَالطُّمُوحَات، وَالتَّأمُّلَات، وَالانتِصَارَات، وَآلَافِ القُرَّاء،
وَالطِّلَاءَات، وَالالتِفَافَات، والتَّغطِيَة- بَعدَ عُصُورٍ وَعُصُورٍ مِن القُشُور،
آنئِذٍ فَحَسب قَد تَصِل هَذِه الأغَانِي إلَى الإثمَار.

برافــو، يا مَعرض باريس!

أَضِيفِي إِلَى عَرضِكِ، قَبلَ أَن تُغلِقِيه، يَا فرنسَا،
مَعَ كُل البَاقِي، المرئِي، الملمُوس، المعَابِدِ، الأبرَاج، المنتَجَات، الآلَاتِ وَالخَامَات،
شُعُورَنَا المنطَلِق مِن مَلَايِينِ خَفقَاتِ القُلُوب، أَثِيرِيًّا لَكِن صَلدًا،
(نَحنُ الأحفَادَ وَأَحفَادَ الأحفَاد لَا نَنسَى أجدَادَك)،
مِن خَمسِين أُمَّةٍ وَأُمَم ضَبَابِيَّةٍ، مُندَمِجَة، نُرسِلُ عَبرَ البِحَارِ اليَوم،
تَحِيَّةَ أَمِيرِيكَا، وَحُبَّهَا، وَذِكرَيَاتِهَا وَإِرَادَتَهَا الخَيِّرَة.

أصـــواتٌ متوالــدة

(كان الجنرال فيليب شيريدان قد دفن في الكاتدرائية، بواشنطن د. سي.، في أغسطس 1888، بكل الأبهة، والموسيقى واحتفالات الدفن الكاثوليكية الرومانية)[*]

طُوَالَ وَأَثنَاء أُنشُودَةِ الدَّفن،
مَعَ الأرغُن والطُّقُوسِ المهيبَةِ، وَالموعِظَةِ، وَالكهَنَةِ مُطَأطِئِي الرُّؤُوس،
لَا تَأتِينِي الأصوَاتُ المتَوَالِدَةُ مِن العَرض- بَل تَأتِي وَاضِحَةً لِي، تَزحَم الممَر وَمِن النَّافِذَة،
مِن هَروَلَةِ مَعرَكَةٍ مُفَاجِئَة وَأَصوَاتٍ فَظَّة- فِي مُنَافَسَةِ حَربٍ عَلَى البَصَرِ وَالأُذُن بِإخلَاص؛
الكَشَّافُ دَعَا إِلَى التَّعبِئَةِ وَإِلَى الأمَام- رَكِبَ الجِنرَالُ وَحولَه مُسَاعِدُوه- الكَلِمَةُ الـوَارِدَةُ الجَدِيدَة- صَدَر الأمرُ الفَورِي؛

[*] ملاحظة- كامدِن، ن. ج، 7 أغسطس 1888- طلب والت ويتمان من "نيويورك هيرالد" "إضافة تأبينه لشيريدان":

"في الكوكبة العظيمة لخمسة أو ستة أسماء، تحت رئاسة لنكولن، ممن سيحملها ذلك التاريخ لعصور في قبته الزرقاء كإشارة على نبضات الحياة الأخيرة للانفصال، ومضيئة شهقات احتضارها، سيكون شيريدان ساطعًا. وثمة اعتبار واحد يخطر بالبال عن مثال الجندي المتوفَّى الآن، جدير بالملاحظة. فلو أن الحرب قد استمرت لأي وقتٍ طويل، لكانت هذه الولايات قد أظهرت- في رأيي- وبرهنت على المواهب العسكرية الأكثر حسمًا التي لم تظهر في أية أمة على وجه الأرض. فقد تم الإقرار بسهولة أن لديهم جنودَ صَف في طليعة الآخرين المعروفين جميعًا فيما يتعلق بالقيمة ولامحدودية العدد. لكن لدينا، أيضًا، جدارة التنظيم، والمناورة والقيادة المساوية للآخرين. وهذان الأمران، مع الجيوش الحديثة، والنقل، والعبقرية الأميريكية المبدعة، سيجعلون من الولايات المتحدة، مع الإخلاص، لا قادرةً فحسب على إيقاف العالم أجمع، بل على هزيمة ذلك العالم المتحد ضدنا".

البُندُقِيَّةُ تُقَرقِع- المدفَعُ يُجلجِل- اندِفَاعُ الرِّجَالِ مِن خِيَامِهِم إِلَى الأَمَام؛
صَلصَلَةُ الفُرسَان- السُّرعَةُ الغَرِيبَةُ فِي تَشكِيلِ الصُّفُوف- نَغمَةُ البُوقِ النَّحِيلَة؛
صَوتُ حَوَافِرِ الأحصِنَةِ وَهيَ تَرحَل- السُّرُوج، الأسلِحَة، التَّجهِيزَات.

إلى نســيم الغرُوب

آهِ، هَامِسًا، بِشَيءٍ مَا مِن جَدِيد، غَير مَرئِي،
حَيثُ هَذَا النَّهَار السَّاخِن الذِي أَدخَلتَه مُتَأَخِّرًا إِلَى نَافِذَتِي، وَبَابِي،
أَنت، الذِي تُحَمِّم، وَتُلَطِّف كُل شَيء، تُنعِشُ بِالبُرُودَة، وتَبُث الحَيَوِيَّة بِرِقَّة
فِيّ، أَنَا العَجُوز، الوَحِيد، المرِيض، المتَهَالِك، الذَّائِب بَالِيًا بِالعَرَق؛
وَأَنت، الكَامِنُ، الذِي تَحتَوِي بِقُوَّةٍ وَصَرَامَةٍ لَكِن بِنُعُومَة، كَرَفِيقٍ أَفضَل مِن الكَلَامِ وَالكِتَابِ، وَالفَن،
(فَأَنتِ، أَيَّتُهَا الطَّبِيعَة! لَديكِ عَنَاصِر! وَكَلَامٌ إِلَى قَلبِي فِيمَا وَرَاءَ البَاقِين- وَهَذَا بَعضٌ مِنه)،
بَالِغُ العُذُوبَةِ مَذَاقُكِ البِدَائِي لِتَنفُّسِي فِيه- وَأَصَابِعُكِ المهَدِّئَةُ عَلَى وَجهِي وَيَدَيْ،
أَنتِ، المبعُوثُ السِّحرِيُّ الغَرِيبُ إِلَى جَسَدِي وَرُوحِي،
(المسَافَاتُ مُعَطَّلَةٌ- وَأَدوِيَةٌ غَامِضَةٌ تَلِجُنِي مِن الرَّأسِ إِلَى القَدَم)،
أُحِس بالسَّمَاءِ، بِالبَرَارِي الشَّاسِعَة-
أُحِس بِالبُحَيرَاتِ الشَّمَالِيَّةِ العَظِيمَة،
أُحِس بِالمحِيطِ وَالغَابَة- إِلَى حَدٍّ مَا أُحِس بِالكَوكَبِ ذَاتِه سَابِحًا بِسُرعَةٍ فِي الفَضَاء؛
لَقَد انطَلَقتِ مِن شِفَاهٍ حَبِيبَةٍ، رَحَلَتِ الآن- بِالمصَادَفَةِ مِن رَصِيدٍ بِلَا انتِهَاءٍ، هِبَةَ الرَّب،
(ذَلِكَ أَنَّكِ رُوحَانِيَّة، رَبَّانِيَّة، أَقصَى مَا يَعرِفُه إِحسَاسِي)،

كَفِيلَةٌ بِالكَلَامِ إِلَيّ، هُنَا وَالآن، بِمَا لَم تَقُله الكَلِمَات، وَلَا يُمكِن أَن تَقُولَه،

أَلَستِ أَنتِ خُلَاصَةَ المَحسُوسِ الكَونِي؟ خُلَاصَةَ القَانُون، وَالتَّشذِيبَ الأُخِيرَ لِعِلم الفَلَكِ كُلِّه؟

أَلَا رُوحَ لَك؟ أَلَا يُمكِنُنِي أَن أَعرِفك، أُمَيِّزَك؟

أناشـيد قديمـة

أُغنيَةٌ، تِلَاوَةٌ، قَدِيمَة، خِتَامِيَّة،
مَا إِن حَدَّقتُ نَاحِيَتِك، يَا أُم الجَمِيع،
مُتَأمِّلًا، بَحثًا عَن أفكَارٍ تَلِيقُ بِك،
فَلتَقبَلِي مِن أجلِي، قُلتُ لَك، الأَنَاشِيدَ الغِنَائِيَّةَ القَدِيمَة،
وَاسمًا لِي قَبلَ أَن تَذهَبِي إِلَى كُل شَاعِرٍ قَدِيم.

(مِن ديُونٍ كَثِيرَةٍ لَا تُحصَى،
فَإِن الدَّينَ الرَّئِيسِي لِعَالَمِنَا الجَدِيد هُو بِالمصَادَفَةِ لِلقَصَائِدِ القَدِيمَة).

بَعِيدًا بَعِيدًا فِي الوَرَاءِ دَائِمًا، مُقَدِّمًا إِلَيكِ، يَا أَمِيرِيكَا،
الأَنَاشِيدَ القَدِيمَةَ، الكَهَنَةَ المصرِيِّين، وَكَهَنَةَ إِثيُوبيَا،
الملَاحِمَ الهِندُوسِيَّة، وَاليُونَانِيَّةَ، وَالصِّينِيَّةَ، وَالفَارِسِيَّة،
كُتُبَ وَأَنبِيَاءَ الأَنَاجِيل، وَالرَّعوِيَّاتِ العَمِيقَةَ لِلنَّاصِرِي،
الإِلِيَاذَة، الأُودِيسَّه، خُطَط وَأَفعَالَ وَجَولَات إِنيَاس،
هِيزِيُود، إِسخِيلُوس، سُوفُوكلِيس، مِيرلِين، آرثَر،
السِيد، رُولَاند فِي رُونكِيسفاليس، النِيبلُونجِين،
شُعرَاءَ التُّرُوبَادُور، الاحتِفَالَاتِ الغِنَائِيَّةَ، والموسِيقِيِّين الشُّعَرَاء، وَالشُّعَرَاء،

تشُوسَر، دَانتِي، أَسرَابَ الطُّيُورِ المغَرِّدَة،
الأَنَاشِيدَ الغنَائِيَّةَ لِلحُدُود، الأَنَاشِيدَ الغِنَائِيَّةَ الغَابِرَة، الحكَايَاتِ الإِقطَاعِيَّة، المقَالَات،
المسرَحِيَّات،
شِيكسبِير، شِيلَلر، وَالتَر سكُوت، تِينِّيسُون،
شَأنَ بَعضِ تَحَقُّقَاتِ الأَحلَام السِّحرِيَّةِ العَجِيبَة،
وَالمجمُوعَاتِ العَظِيمَةَ فِي الظِّل التِي تَتَجَمَّعُ حَولَنَا،
يَرشُقُون عُيُونَهُم النَّافِذَةَ القَوِيَّةَ إِلَى الأَمَام نَحوَك،
وَأَنت! بِرَقَبَتِكِ وَرَأسِكِ المطَأطِئَتَين كَمَا الآن، بِيَدٍ وَكَلِمَةٍ لَطِيفَتَين، تَصعَدِين،
أَنتِ! مُتَمَهِّلَةٌ لِبُرهَةٍ، هَابِطَةٌ بِعَينَيكِ عَلَيهِم، مُندَمِجَةٌ فِي مُوسِيقَاهُم،
مَسرُورَةٌ تَمَامًا، قَابِلَةٌ بِالكُل، جَاهِزَةٌ بِصُورَةٍ غَرِيبَةٍ عَلَى أَيدِيهِم،
تَدخُلِين رُوَاقَ مَدخَلِك[*].

---

[*] إينياس Eneas: أحد أبطال طروادة، في "الإلياذة" لهوميروس، و"الإنيادة" لفرجيل. **هيزيود** Hesiod: شاعر يوناني، عاش في فترة هوميروس [750-650 ق.م]. **إسخيلوس وسوفوكليس** Eschylus, Sophocles: اثنان من عظماء التأليف الدرامي في اليونان القديمة. **ميرلين** Merlin: شخصية أسطورية ذات حضور قوي في "أسطورة آرثر". **آرثر** Arthur: الملك آرثر، قائد بريطاني أسطوري في أواخر القرن الخامس وبدايات السادس، قاد الدفاع عن بريطانيا ضد الغزاة الساكسون في بدايات القرن السادس. **السِيد** The Cid: قصيدة ملحمية باللغة الأسبانية القديمة مجهولة المؤلف [1195-1207 تقريبًا]. **رولان** Roland: قصيدة بطولية فرنسية، يرجع تاريخ تأليفها إلى الفترة من 1040 إلى 1115. **النِيبلُونجِين** Nibelungen: أسطورة ألمانية عن الأسرة الملكية في أوائل القرن الخامس. **شُعَرَاءَ التُّرُوبَادُور** troubadours: مدرسة وتقليد إبداعي ظهر في القرن الثاني عشر، وانتشر بإيطاليا وأسبانيا. ونصوصهم تركز على موضوعات الفروسية والغزل. **الموسيقيون الشعراء** minnesinger: موسيقيون شعراء ألمان في القرن 12 و13، موضوعهم الأساسي هو الحب القروي. **الأناشيد الغنائية للحدود** Border Minstrelsy : مجموعة من الأناشيد الغنائية الاسكتلندية، جمعها والتر سكوت، ونُشرت لأول مرة في ثلاثة أجزاء عامي 1802 و1803.

تحيــة عيد الميـلاد

من مجموعة نجمية شمالية إلى جنوبية (1889-90)

مَرحَبًا، أَيُّهَا الشَّقِيقُ البرَازِيلِي- المكَانُ العَامِر جَاهِز؛
يَدٌ مُحِبَّة- ابتِسَامَةٌ مِن الشَّمَال- بَردٌ لَحَظِي مُشمِس!
(فَليَهتَم المستَقبَلُ بِنَفسِه، حَيثُ يَكشِفُ عَن مَتَاعِبِه، وَعَقَبَاتِه،
فَمَتَاعِبُنَا، مَتَاعِبُنَا هِي المخَاضُ الحَالِي، الغَايَةُ الدِّيمُوقرَاطِيَّة، القَبُولُ وَالإِخلَاص)؛
فَإِلَيك اليَوم يَدَنَا الممدُودَة، وَرَقَبتَنَا الملتَفِتَة- إِلَيكَ مِنَّا النَّظرَةَ المنتَظِرَة،
فَأَنتَ مَجمُوعَةٌ حُرَّة، أَنتَ وَاحِدٌ رَائِعٌ لَامِع! أَنتَ، المتَعَلِّمُ جَيِّدًا،
الدَّرسُ الحَقِيقِي لِضِيَاءِ أُمَّةٍ فِي السَّمَاء،
(أَكثَر إِشعَاعًا مِن الصَّلِيب، مِن التَّاج)،
وَلِلذُّروَةِ أَن تَكُونَ إِنسَانِيَّةً رَائِعَة.

أصــوات الشّــتاء

أَصوَاتُ الشِّتَاءِ أَيضًا،
شُرُوقُ الشَّمسِ عَلَى الجِبَال- انحِنَاءَاتٌ بَعِيدَةٌ كَثِيرَة
مِن قِطَارِ السِّكَّةِ الحَدِيدِ المبتَهج- مِن حُقُولٍ، وَمَخَازِنَ غِلَالٍ، وَمَنزِلٍ قَرِيب،
الأَثِيرُ الهَامِس- حَتَّى المحَاصِيل الصَّامِتَة، وَالتُّفَّاح المخزُون، والأذرَة،
نَبرَاتُ الأَطفَالِ وَالنِّسَاء- إِيقَاعُ فَلَاحِين كَثِيرِين ودرَاسِ القَمح،
شِفَاهٌ ثَرثَارَةٌ لِرَجُلٍ عَجُوزٍ وَسطَ البَاقِين، *لَا تَظُن أَنَّنَا قَد انتَهينَا حَتَّى الآن،*
فَانطِلَاقًا مِن هَذَا الشَّعرِ الثَّلجِي مَا نَزَالُ نُحَافِظُ عَلَى الإِيقَاع.

أغنيــةٌ غســقيَّة

إِذ أَجلِس وَحِيدًا فِي وَقتٍ مُتَأخِّرٍ بِجِوَارِ نَارِ البَلُّوطِ ذَاتِ الشَّرَر،
مُستَعِيدًا مَشَاهِدَ الحَربِ الماضِيَةِ في القَدِيم- وَالجُنودَ المجهُولِين المدفُونِين بِلَا حَصر،
وَالأسمَاءَ الخَاوِيَة، كَأَسمَاءِ بَحرٍ وَهَوَاءٍ مَنسِيَّة- والمفقُودِين،
وَالهُدنَةَ القَصِيرَةَ بَعدَ المعرَكَة، مَعَ فِرَقِ الدَّفنِ الكَئِيبَة، وَالحُفَرَ العَمِيقَةَ المَلِيئَة
بِقَتلَى مُتَجَمِّعِين مِن كُل أَمِيرِيكَا، الشَّمَالِ، الجَنُوبِ، الشَّرقِ، الغَرب، مِن حَيثُمَا جَاءُوا،
مِن "مِين" الغَابِيَّة، وَمَزَارِع "نيو انجلند"، مِن "بِنسِلفَانيَا" الخَصبَة، و"إِلِينُوي"، و"أُوهيُو"،
مِن الغَربِ اللَامَحدُود، فِرجِينيَا، وَالجَنُوب، أَهلِ كَارُولَينَا، وَتِكسَاس،
(حَتَّى هُنَا فِي ظِلَالِ غُرفَتِي وَالأَضوَاءِ الخَافِتَةِ فِي النِّيرَانِ الصَّامِتَةِ ذَاتِ الشَّرَر،
أَرَى مِن جَدِيد صُفُوفَ الأَشِدَّاء تَتَتَالَى، مُتَصَاعِدَةً- أَسمَع وَقعَ الأَقدَامِ المنتَظِم
لِلجيُوش)؛
فَيَا مِليُونَ اسمٍ غَيرِ مكتُوبٍ جَمِيعًا، جَمِيعًا- أَنتُم المِيرَاثُ المظلِمُ لِلحرُوبِ جَمِيعًا،
فَإِلَيكُم قَصِيدَةً خَاصَّة- وَمضَةَ وَاجِبٍ أُهمِلَ طَوِيلًا- وَقَائِمَةُ شَرَفِكُم السرِّيَّة
تَجَمَّعَت بِغَرَابَةٍ هُنَا،
وَكُل اسمٍ استَعَدتُه مِن رَمَادِ الموتِ وَالظَّلَام،
سَيَبقَى مِن الآن عَمِيقًا، مُسَجَّلاً عَمِيقًا فِي قَلبِي، لِسَنَوَاتٍ كَثِيرَةٍ قَادِمَة،
وَقَائِمَةُ شَرَفِكُم السِّرِيَّةُ كُلُّهَا لِلأَسمَاءِ المجهُولَة، أَو لِلشَّمَالِ أَو الجَنُوب،
تَعَطَّرَت بِالحُب فِي الأُغنِيَةِ الغَسَقِيَّةِ هَذِه.

حين أتى الشَّـاعر النَّاضِج

حِينَ أَتَى الشَّاعِرُ النَّاضِج،
تَكَلَّمَ فَابتَهَجَت الطَّبِيعَة (الكَوكَبُ المستَدِيرُ السَّاكِن، بِكُل عُرُوضِهِ لَيـلَ نَهَـار)،
قَائِلَةً، *هُو مِلكِي*؛
لَكِن رُوحَ الإِنسَانِ نَطَقَت أَيضًا، فَخُورَةً، غَيُورَةً، بِلَا مُوَافَقَة: *كَلَا، هُوَ مِلكِي وَحدِي*؛
- آنَئِذٍ وَقَفَ الشَّاعِرُ النَّاضِجُ بَينَهُمَا، وَأَمسَكَ بِكُلٍّ مِنهُمَا مِن يَدِهَا؛
وَحَتَّى اليَوم وَدَائِمًا يَقِفُ هَكَذَا، مُؤَلِّفًا بَينَهُمَا، مُوَحِّدًا، مُمسِكًا بِقُوَّةٍ بِالأَيدِي،
التِي لَن يُفلِتَهَا إِلَى أَن يُصَالِحَ بَينَ الاثنَتَين،
وَبِبَهجَةٍ وَتَمَامًا يَمزِجَ بَينَهُمَا.

أُوســـكيُولَا

(عندما كبرتُ إلى حد الرجولة في بروكلين، بنيويورك (منتصف 1838)، التقيت بأحد رجال البحرية العائدين من فورت مولتري، وكانت لي أحاديث طويلة معه- وعلمت بالحدث الموصوف فيما بعد- موت أوسكيولَا. كان أوسكيولا قائدًا من الهنود الحمر، شجاعًا، وشابًّا في حرب فلوريد في ذلك الحين- وقد استسلم لقواتنا، وسُجن ومات بفعل انكسار قلبه- حرفيًّا- في فورت مولتري. مرض من سجنه- وقد أولاه الأطباء والضباط كل تسامح وطيبة ممكنة؛ ثم الخاتمة:)

حِين حَانَت سَاعَةُ وَفَاتِه،
رَفَعَ نَفسَه بِبُطءٍ عَن السَّرِيرِ إِلَى الأرض،
ارتَدَى مَلَابِسَه الحَربِيَّة، وَقَمِيصَه، وَوَاقِي السَّاق، وَلَفَّ الحِزَامَ حَولَ خَصرِهِ،
طَلَب طِلَاءً قُرمُزِيَّ اللَّون (كَانَت مِرآتُه مُعَلَّقَةً أَمَامَه)،
لَوَّن نِصفَ وَجهِه وَرَقَبَتِه، وَمِعصَمَيه، وَظَهرَ يَدَيه.
وَضَع سِكِّين السَّلخِ بِعِنَايَةٍ فِي حِزَامِه- ثُم إِذ استَلقَى، مُستَرِيحًا لِبُرهَة،
نَهَضَ مِن جَدِيد، نِصفَ جَالِس، وَابتَسَم، قَدَّمَ يَدَه المَمدُودَةَ فِي صَمتٍ إِلَى كُل وَاحِدٍ وَإِلَى الجَمِيع،
غَاصَ بِوَهَنٍ إِلَى الأرض (مُتَشَبِّثًا بِقُوَّةٍ بِمِقبَضِ فَأس التُومَاهُوك[*])،
ثَبَّتَ نَظرَتَه عَلَى الزَّوجَةِ وَالأطفَالِ الصِّغَار- النَّظرَةَ الأَخِيرَة:
[وَهَا هُو سَطرٌ فِي ذِكرَى اسمِه وَمَوتِه).

[*] هي فأس الحرب، لدى الهنود الحمر.

صَـوتٌ من الموت

(جونزتاون، بنسِلفانيا، طوفان 31 مايو 1889)

صَوتٌ مِن الموتِ، مهِيبٌ وَغَرِيب، بِكُل اجتِيَاحِه وَقُوَّتِه،
بِضَربَةٍ مُفَاجِئَةٍ، لَا تُوصَف- غَرِقَت المدُن- اغتِيلَت الإِنسَانِيَّةُ بِالآلَاف،
الأعمَالُ المتَبَجِّحَة لِلنُّمو، وَالسِّلَع، وَالمسَاكِن، وَأَشغَالِ الحَدِيد، وَالشَّارِع، وَالجِسر الحَدِيدِي،
انهَارَت بِلَا نِظَام بِالضَّربَة- لَكِن الحيَاةَ الجَارِيَةَ مُتوَاصِلَة،
(وَسطَ البَاقِي، وَسطَ الاندِفَاع، وَالدَّوَّامَة، والرُّكَامِ الوَحشِي،
أُنقِذَت سَيِّدَةٌ تُعَانِي- وَوُلِد طِفلٌ بأَمَان!)

وَبِالرغمِ مِن أَنَّنِي أَجِيءُ وَبِلَا إِعلَان، فِي الذُّعرِ وَفِي الضَّربَة،
فِي النَّارِ وَالفَيضَانِ المنهَالَين، وَحُطَامِ سِلَعِ الغِذَاءِ بِالجُملَة (فَهَذَا الصَّوتُ مهِيبٌ، وَغَرِيبٌ لِلغَايَة)،
فَأَنَا أَيضًا مَبعُوثُ الأُلُوهِيَّة.

حَقًّا، أَيُّهَا الموتُ، نُحنِي وُجُوهَنَا، وَنَحجُب عيُونَنَا عَنك،
نَنُوح عَلَى العَجُوز، وَعَلَى الشَّاب الذِي جُرجِرَ إِلَيكَ فِي النِّهَايَة،

أَيُّهَا العَادِلُ، القَوِيُّ، الخَيِّر، القَادِر،
تَحَطَّمَ المنزِل، وَالزَّوجُ وَالزَّوجَة، وَالحَدَّادُ الذِي ابتَلَعَه الكُور،
وَالجُثَثُ فِي المِيَاهِ الكَاسِحَةِ وَالطِّين،
وَالآلَافُ المجَمَّعُون لِجِنَازَاتِهِم يَتَرَاكَمُون، وَآلَافٌ مَفقُودُون أَبَدًا أَو لَم يُنتَشَلُوا.

ثُم بَعدَ الدَّفن، وَالنُّوَاحِ عَلَى الميِّت،
(مُخلِصِين لَهُم سَوَاء عُثِرَ عَلَيهِم أَم لَا، بِلَا نِسيَانٍ، حَامِلِين المَاضِي، وَهُنَا استِعَادَةٌ جَدِيدَةٌ لَه)،
ذَاتَ يَوم- لدَقِيقَةٍ أَو سَاعَةٍ عَابِرَة- تُطَأطِئُ أَمِيرِيكَا نَفسُهَا رَأسَهَا،
صَامِتَةً، مُستَسلِمَةً، خَاضِعَة.

فَلتَتَلَقَّي عَمِيقًا حَتَّى أعمَاقِ قَلبَكِ المزدَهِرِ المتبَاهِي
الحربَ، الموتَ، وَطُوفَانًا كَهَذَا، يَا أَمِيرِيكَا.

حَتَّى وَأَنَا أُنشِد، يَا لَلعَجَب! خَارِجَ الموتِ، وَخَارِجَ الوَحلِ وَالطِّين،
سرعَانَ مَا تُزهِرُ البَرَاعِم، وَالتَّعَاطُف، وَالمسَانَدَة، وَالحُب،
مِن الغَربِ وَالشَّرق، مِن الجَنُوبِ وَالشَّمَال وَعبرَ البَحر،
تَنطَلِقُ قُلُوبُهَا الحَارَّةُ المندَفِعَةُ وَأَيدِي الإِنسَانِيَّةِ إِلَى المسَاعَدَةِ الإِنسَانِيَّة؛
وَمِن دَاخِلِهَا فِكرَةٌ وَدَرسٌ مَعَ ذَلِك.

أَيُّهَا الكَوكَبُ المتَقَافِزُ أَبَدًا! عَبرَ الفَضَاءِ وَالهَوَاء!
أَيَّتُهَا المِيَاه التِي تَحتَوِينَا!
يَا ذَلِكَ الكَامِنُ فِي جَمِيعِ حَيَوَاتِنَا وَمِيتَاتِنَا، فِي الفِعلِ أَو فِي النَّوم!
أَيَّتُهَا القَوَانِينُ الخَفِيَّةُ المتَغَلغِلَةُ فِيهِم جَمِيعًا،

أَنتِ فِي الكُل، وَفوقَ الكُل، وَخِلَالَ وَأَسفَل الكُل، بِلَا انقِطَاع!

أَنتِ! أَنتِ! القُوَّةُ الحَيَوِيَّةُ، الكَونِيَّةُ، العِملَاقَةُ بِلَا مُقَاوَمَة، بِلَا نَوم، سَاكِنَةً،

تُمسِكِين بِـالإِنسَانِيَّة مِثلَمَا فِي يَدِكِ المفتُوحَة، كَلُعبَةٍ زَائِلَة،

فَكَم هُو سَيِّءٌ أَن نَنسَاكِ أَبَدًا!

فَأَنَا أَيضًا قَد نَسَيت،

(مَلفُوفًا فِي هَذِه القُوَى الضَّئِيلَةِ لِلتَّقَدُّم، وَالسِّيَاسَةِ، وَالثَّقَافَةِ، وَالثَّروَة، وَالاختِرَاعَات، وَالحَضَارَة)،

فَقَدتُ اعتِرَافِي بِقُوَّتِك الصَّامِتَةِ المتَأَرجِحَةِ أَبَدًا، وَمَخَاضَاتِك الهَائِلَةِ، الجوهَرِيَّة،

التِي نَطفُو فِيهَا وَفَوقَهَا، وَكُل وَاحِدٍ مِنَّا طَافٍ.

دَرسُ فَارسِــي

فِي دَرسِه الشَّامِلِ الأخِير تَحَكَلَّم الصُّوفِيُّ ذُو اللِّحيَةِ الرَّمَادِيَّة،
فِي الأَرِيجِ المنعِشِ لِلصَّبَاحِ فِي الهوَاءِ الطَّلق،
عَلَى مُنحَدَرِ حَدِيقَةِ وَردٍ فَارِسِيَّةٍ زَاخِرَة،
تَحتَ شَجَرَةِ كِستِنَاء عَتِيقَةٍ تَمُد غُصُونَهَا بَعِيدًا،
تَكَلَّم إِلَى الحَوَارِيِّين وَالطُّلَابِ الشُّبَّان.

"فِي النِّهَايَةِ يَا أَبنَائِي، لِنَحتَوِي كُلَّ كَلِمَة، كُلَّ جُزءٍ مِن البَاقِي،
فَالله هُو الكُل، الكُل، الكُل- حَاضِرٌ فِي كُل حَيَاةٍ وَشَيء،
رُبَّمَا فِي الكَثِيرِ وَأَكثَر مِن الكَثِيرِ مِن الارتحَالَات-
لَكِن الله، الله، الله مَوجُودٌ فِيهَا[*].

"فَهَل هَامَ الضَّال بَعِيدًا؟ هَل السَّبَبُ العَقلِي خَفِيٌّ بِغَرَابَة؟
هَل تَسبِرُون مَا تَحتَ المُحِيطِ القَلِقِ لِلعَالَمِ أَجمَع؟
هَل تَعرِفُون الاستِيَاء؟ الحَافِزَ وَالبَاعِثَ عَلَى كُل حَيَاة؛
ذَلِكَ الشَّيءَ الذِي لَم يَسكُن أَبَدًا- لَم يَختَفِ أَبَدًا؟ الحَاجَةَ الخَفِيَّةَ لِكُل بِذرَة؟"

[*] كلمة "الله" مكتوبة- في الأصل- كما ننطقها، هكذا: Allah.

"إِنَّه الحافِزُ المركَزِي فِي كُل ذَرَّة،
(غَالِبًا لَا شُعُورِي، غَالِبًا شِرِّير، مُنهَار)،
لِلرُّجُوعِ إِلَى مَصدَرِهِ وَأَصلِه السَّمَاوِي، وَإِن يَكُن بَعِيدًا،
فَهوَ كَامِن أَيضًا فِي الموضُوعِ وَالذَّات، بِلا أَي استِثنَاء".

العَـــادي

أُغَنِّي العَادِي؛
كَم هِيَ رَخِيصَةٌ الصِّحَّة! كَم هِي رَخِيصَةٌ النَّبَالَة!
وَالزُّهدَ، بِلَا زَيف، وَلَا شَرَاهَة، أَو شَهوَة؛
أُغَنِّي الهَوَاءَ الطَّلق، وَالحرِّيَّةَ، وَالتَّسَامُح،
(فَلتَتَلَقَّ هُنَا الدَّرسَ الرَّئِيسِي- لَا مِن الكُتُب- لَا مِن المدَارِس)،
مِن النَّهَارِ وَاللَّيلِ العَادِيَّين- مِن الأَرضِ وَالمِيَاهِ العَادِيَّة،
مِن مَزرَعَتِك- عَمَلِك، تِجَارَتِك، وَظِيفَتِك،
فَالحِكمَةُ الدِّيمُوقرَاطِيَّةُ تَحتَهَا، كَأَرضِيَّةٍ صُلبَةٍ لِكُل شَيء.

"القائمة الدَّائرية السماوية اكتملت"

(الأحد،... ذَهَبتُ مَا قَبلَ الظَّهِيرَةِ هَذِه إِلَى كَنِيسِة. أعطانا أستاذ جامعي، الدكتور المحترم... موعظةً رائعة، خلالها التقطتُ الكلمات السابقة؛ لكن القس ضمَّن في "قائمته الدائرية" نصًّا وروحًا، الأشياء الجمالية فحسب، وتجاهل تمامًا ما أرصده فيما يلي:)

الشَّيطَانِي وَالكَئِيب، المحتَضرُ وَالمرِيض،
مَا لَا حَصرَ لَه (تِسع عَشرَة- عِشرِينَات) مِن الحُقَرَاء وَالأشرَار، الأفظَاظِ وَالوَحشِيِّين،
المجَانِين، وَالمحبُوسُون فِي السِّجن، وَالمفزِعُون، وَالدَّنِيئُون، وَالخُبثَاء،
السُّم وَالقَذَارَة، وَالأفَاعِي، وَأَسمَاكُ القِرشِ المفتَرِسَة، وَالكَذَّابِون، وَالماجِنُون؛
(مَا الجَانِبُ الذِي يَتحَمَّلُه الأوغَادُ وَالمقرِفُون فِي مُخَطَّطِ الأرض الفَلَكِي؟)
سَمَندَلَاتٌ، وَأَشيَاءٌ زَاحِفَةٌ فِي الوَحلِ وَالطِّين، وَسُمُوم،
الأَرضُ الجَردَاء، وَالأشرَارُ، وَالخَبَثُ وَالعَفَن البَشِع.

أشـــبَاح

(ملاحظة مكتوبة حرفيًّا بعد حديث على العشاء بالخارج في نيفادا مع اثنين
من رجال المناجم العجائز)

خِبرَاتٌ وَمَشَاهِدُ أَكثَر، أَغرَب، مِمَّا يُمكِن أَن تَظُن؛
أَوقَاتٌ مِن جَدِيدٍ، أَغلَبُهَا فَورَ الشُّرُوقِ أَو قَبلَ الغُرُوب،
أَحيَانًا فِي الرَّبِيعِ، الأَغلَبُ فِي الخَرِيف، جَو صَافٍ تَمَامًا، فِي مَشهَدٍ رَائِق،
مُخَيَّمَاتٌ بَعِيدَةٌ أَو قَرِيبَة، الشَّوَارِعُ المزدَحِمَةُ بِالمدُن وَوَاجِهَاتُ المحَلَات،
(ثَمَّةَ حِسَابَاتٌ لَهَا أَو لَا- ائتِمَانٌ أَو لَا- ذَلِكَ كُلُّه حَقِيقِي،
وَرَفِيقِي هُنَاكَ يُمكِن أَن يُخبِرَكَ بِالأَفضَل- تَحَدَّثنَا كَثِيرًا عِن ذَلِك).
نَاسٌ وَمَشَاهِد، حَيَوَانَاتٌ، أَشجَارٌ، أَلوَانٌ وَخُطُوط، وَاضِحَةٌ كَمَا يُمكِن أَن تَكُون،
مَزَارِعُ وأَفنِيَةٌ لِلبيُوت، مَمَرَّاتٌ مَحفُوفَةٌ بِأَشجَارِ البَقس، وَاللَّيلَك فِي الزَّوَايَا،
حَفلَاتُ زِفَافٍ فِي الكَنَائِس، عَشَاءَاتُ الشُّكر، عَودَة الأَبنَاءِ الغَائِبِين طَوِيلًا؛
جنَازَاتٌ كَئِيبَةٌ، الأُم وَالفَتَيَاتُ المنقَّبَاتُ بِقمَاشِ الكرِيب،
مُحَاكَمَاتٌ فِي المحَاكِم، مُحَلَّفُون وَقَاضٍ، وَالمتَّهَمُ فِي القَفَص،
مُتَنَافِسُون، مَعَارِك، حُشُود، جسُور، أَرصِفَةُ شَحن،
بَينَ الحِينِ وَالحِين وُجُوهٌ وَاضِحَةٌ لِلحُزنِ أَو الفَرح،
(يُمكِنُنِي التِقَاطُهَا فِي هَذِه اللَّحظَة لَو رَأَيتُهَا مِن جَدِيد)،
تَجَلَّت لِي فِي الأَعَالِي إِلَى اليَمِينِ تَمَامًا عَلَى حَافَّةِ السَّمَاء،
أَو وَاضِحَةً هُنَاك إِلَى اليَسَارِ عَلَى ذُرَى التِّلَال.

مغـــزى أ. ع.

لَا لِلاستبعَادِ أَو تَحدِيدِ الحُدُود، أَو لالتقَاطِ الشُرُورِ مِن جمُوعِهَا الرَّائِعَة (وَلَو لِعَرضِهَا)،
بَل لِلإِضَافَةِ، وَالصَّهرِ، وَالإِكمَال، وَالامتِدَاد- وَالاحتِفَالِ بِالخَالِدِ وَالخَيّر.

فَخُورَةٌ هَذِه الأُغنِيَة، كَلِمَاتُهَا وَمَجَالُهَا،
بِأَن تعبُرَ مَمَالِكَ شَاسِعَةً مِن الفَضَاءِ وَالزَّمَن،
التَّطور- التَّرَاكُمِي- النَّمَاء وَالأجيَال.

وَإِذ بَدَأتُ فِي الشَّبَابِ النَّاضِج وَتَوَاصَلَ بِانتِظَام،
مُتَجَوِّلًا، مُمعِنًا النَّظَر، مُتَوَانِيًا مَعَ الجَمِيع- مُستَوعِبًا الحَربَ، وَالسَّلَام، وَالنَّهَارَ وَاللَّيل،
لَم أَتَخَل عَن مُهِمَّتِي وَلَا حَتَّى لِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ قَصِيرَةٍ،
وَأُنهِيهَا هُنَا فِي المَرَض، وَالفَقرِ، وَالشَّيخُوخَة.

أُغَنِّي الحَيَاة، لَكِنِّي مَعنِيٌّ تَمَامًا بِالموت:
فَاليَوم يُلَازِمُ خُطوَاتِي الموتُ الشَّبَحِي، طَيفِي الجَالِس، ومُنذُ سَنَوَات-
وَيَقتَرِبُ أَحيَانًا مُلَاصِقًا لِي، كَوَجهٍ لِوَجه.

ما لا يُوصـف

كَيف يَجرُؤُ أَحَدٌ عَلَى قولِ ذَلِك؟

بَعدَ الأشوَاطِ، وَالقَصَائِد، وَالمغَنِّين، وَالمسرَحِيَّات،

لِـ إيونيَا وَالهِند المتبَاهِيَة- هومير، شيكسبير- بَعدَ الطُّرُقِ والمنَاطِق كَثِيفة التَّشكِيل بِالأزمَان الطَّوِيلَةِ، الطَّوِيلَة،

وَالمجمُوعَاتِ المشرِقَة وَمجَرَّات النُّجُوم- نَبضَات الطَّبِيعَةِ النَّاضِجَة،

وَكُل الأهوَاءِ، وَالأبطَالِ، وَالحَرب، وَالحُب، وَالعِشق المستَعَاد،

كُل انهِيَارَاتِ العُصُورِ المتَهَاوِيَةِ إِلَى أَعمَاقِهَا السَّحِيقَة،

كُل الحَيَوَات، وَالخَنَاجِر، وَالأُمنِيَات، وَالعُقُولِ الإِنسَانِيَّة- كُل كَلَامِ الخِبرَات؛

بَعدَ مَا لَا يُحصَى مِن الأغَانِي، الطَّوِيلَةِ أَو القَصِيرَة، وَكُل الألسِنَة، وَكُل البُلدَان،

يَظَل ثَمَّةَ مَا لَم يُقَل بَعَد فِي صَوتِ الشِّعرِ أَو طِبَاعَتِه- شَيءٌ مَا غَائِب،

(مَن يَدرِي؟ فَالأفضَلُ لَم يُوصَف بَعد وَغَائِب).

عظيــمٌ هو المرئـي

عَظِيمٌ هُو المرئِي، الضَّوءُ، بِالنِّسبَةِ لِي- عَظِيمَةٌ هِي السَّمَاءُ وَالنُّجُوم،
عَظِيمَةٌ هِي الأرض، وَعَظِيمٌ هُو الوَقتُ المتَوَاصِلُ وَالفَضَاء،
وَعَظِيمَةٌ قَوَانِينُهُم، مُتَعَدِّدَةُ الأشكَال، المحَيِّرَة، التَّطورِيَّة؛
لَكِن أَعظَم بِكَثِير رُوحِي اللَامَرئِيَّةَ، الشَّامِلَةَ، المؤَسِّسَةَ لِكُل هَؤلَاء،
إِنَارَةَ النُّور، السَّمَاءَ وَالنُّجُوم، سَبرَ أَغوَارِ الأرض، الإبحَارَ فِي البَحر،
(مَا كُل هَذَا، حَقًّا، بِدُونِك، أَيَّتُهَا الرُّوحُ اللَّامَرئِيَّة؟ مَا قِيمَتُهَا بِدُونِك؟)
فَمَزِيدًا مِن التَّطَوُّر، الشَّاسِع، المحَيِّر، يَا رُوحِي!
مَزِيدًا مِن تَعَدُّدِ الأشكَالِ البَعِيد- مَزِيدًا مِن الدَّيمُومَةِ لَكِ بِأَكثَر مِنهُم.

براعـــم لَا مَرئيـة

بَرَاعِمُ لَا مَرئِيَّة، لَا نِهَائِيَّة، خَفِيَّةٌ تَمَامًا،
تَحتَ الجَلِيدِ وَالثُّلُوج، تَحتَ الظَّلَام، فِي كُل بُوصَةٍ مُرَبَّعَةٍ أَو مُكَعَّبَة،
جُرثُومِيَّةٌ، رَائِعَةٌ، فِي دَانتِيلَّا رَهِيفَةٍ، مِجهَرِيَّة، لَم تُولَد،
كَالأَجِنَّةِ فِي الأَرحَام، كَامِنَةٌ، مَلفُوفَةٌ، مُندَمِجَة، نَائِمَة؛
بَلَايِينُ البَلَايِين، وَترِليُونَاتِ التِّرِليُونَات مِنهَا تَنتَظِر،
(عَلَى الأَرض وَفِي البَحر- الكَون- وَالنُّجُومِ هُنَاكَ فِي السَّمَاوَات)،
مُلِحَّةً بِبُطءٍ، إِلَى الأَمَام بِالتَّأكِيد، مُتَشَكِّلَةً بِلَا انتِهَاء،
وَمُنتَظِرَةً أَكثَرَ أَبَدًا، إِلَى الأَبَدِ أَكثَر خَفَاءً.

وداعًــا يا خيَــالي!

وَدَاعًــــا يَا خَيَالِي!

وَدَاعًا يَا رَفِيقِي العَزِيز، وَحُبِّي العَزِيز!
أَنَا ذَاهِبٌ بَعِيدًا، لَا أَدرِي إِلَى أَين،
أَو إِلَى أَيِّ مَصِير، أَو مَا إِذَا كُنتُ سَأَرَاكَ مِن جَدِيد،
لِهَذَا فَوَدَاعًا يَا خَيَالِي.

الآنَ لِمَرَّتِي الأخِيرَة- فَلأُلقِ نَظرَةً عَلَى الوَرَاءِ لِبُرهَة؛
دَقَّاتُ السَّاعَةِ الوَاهِيَةُ البَطِيئَةُ دَاخِلِي،
خُرُوج، حُلُولُ اللَّيل، وسَرعَانَ مَا يَتَوَقَّفُ خَفَقَانُ القَلب.

طَوِيلًا عِشنَا، ابتَهَجنَا، رَبَّتنَا عَلَى بَعضِنَا البَعض؛
فَرِحَين!- الآنَ الفِرَاق- فَوَدَاعًا يَا خَيَالِي.

لَكِن لَا تَسمَح لِي بِالتَّسَرُّع،
فَطَوِيلًا حَقًّا عِشنَا، نِمنَا، صَفَونَا، أَصبَحنَا فَعلًا مُمتَزِجَين فِي وَاحِد؛
إِذَن فَإِن نَمُت نَمُت مَعًا (نَعَم، سَنَظَل وَاحِدًا)،

وَلَو ذَهَبنَا إِلَى أَيٍّ مَكَانٍ فَسَنَذهَب مَعًا لِنَلقَى مَا يَجرِي،
رُبَّمَا نَكُون أَفضَل هُنَاكَ وَأَسعَد، وَنَتَعَلَّم شَيئًا مَا،
رُبَّمَا هِي ذَاتُك الآن هِي مَا تَقُودُنِي بِالفِعلِ إِلَى الأَغَانِي الحَقِيقِيَّة (مَن يَدرِي؟)
رُبَّمَا هُو أَنتَ مِقبَضُ البَابِ المُمِيتُ الذِي يُدَمِّر، وَهوَ يَدُور- لِهَذَا الآنَ أَخِيرًا،
فَوَدَاعًا- وَالتَّحِيَّةُ لَك! يَا خَيَالِي.

للمترجم: رفعت سلاَم

1ـ أعمال شعرية

وردة الفوضى الجميلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987.

إشراقات رفعت سلأم (طبعة غير كاملة)، القاهرة 1987؛ الطبعة الكاملة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992.

إنها تُومئ لي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1993؛ سلسلة "نوافذ"، القاهرة 1996؛ الهيئة العامة للكتاب 2005.

هكذا قُلتُ للهاوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993.

إلى النَّهار الماضي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998.

كأنَّها نهاية الأرض، مركز الحضارة العربية، القاهرة 1999.

حجرٌ يطفُو على الماء، "الدار" للنشر والتوزيع، القاهرة 2007.

هكذا تكلَّم الكركدن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2012.

ديوان رفعت سلاَّم (2 جزء)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2013ـ2014

2ـ دراسات

المسرح الشعري العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986.

بحثًا عن التراث العربي: نظرة نقدية منهجية، دار الفارابي، بيروت 1990؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1990؛ 2006.

بحثًا عن الشِّعر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2010.

3ـ ترجمات

بوشكين: **الغجر.. وقصائد أخرى**، دار ابن خلدون، بيروت 1982؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة 2010.

ماياكوفسكي: **غيمة في بنطلون.. وقصائد أخرى**، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1985؛ طبعة مزيدة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998.

كربرشويك: **الإبداع القصصي عند يوسف إدريس**، دار شهدي، القاهرة 1987؛ طبعة كاملة: دار سعاد الصباح القاهرة والكويت 1993.

ليرمونتوف: **الشيطان.. وقصائد أخرى**، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة 1991؛ دار "نفرو"، القاهرة 2007.

يانيس ريتسوس: **اللذة الأولى (مختارات شعرية)**، الملحقية الثقافية اليونانية، القاهرة 1992؛ دار الينابيع، دمشق 1997.

هذه اللحظة الرهيبة (قصائد من كرواتيا)، المركز المصري العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1997.

يانيس ريتسوس: **البعيد (مختارات شعرية شاملة)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997.

جريجوري جوزدانيس: **شعرية كفافي**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1999.

دراجُو شتَامبُوك: **نُجومٌ منطفئةٌ علَى المنضَدة**، (طبعة مشوهة بعنوان "لغة التمزق")، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2001؛ دار "نفرو"، القاهرة 2007.

شارل بودلير: **الأعمال الشعريَّة الكاملَة**، دار الشروق، القاهرة 2010؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة 2015.

أنــا-الآخَـر: مختارات شعرية عالمية، مؤسسة البابطين، الكويت 2011.

قُسطَنطِين كفَافِيس: **الأعمَال الشّعريَّة الكَاملَة**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2011.

آرثَر رَامبُو: **الأعمَال الشّعريَّة الكَاملَة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2012.

اكسينيا ميهايلوڤا: **في انتظار الريح**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2013.

4ـ مراجعة:

سُوزَان برنَار، **قَصيدَة النَّثر من بُودلِير حتَّى الآن**، ترجمة راوية صادق، دار شرقيات، القاهرة 1998.

برنَار نُويل، **مَاجرِيت**، ترجمة راوية صادق، دار شرقيات، القاهرة 2001.

جَان-ديڤَاسا نيَامَا، **ثلاثية "الكَالبَاس" الروائية**، ترجمة عاطف عبد المجيد، د. نسرين

شكري، إيمان رياح، سلسلة "الجوائز"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2010.

فيليب كلوديل، **تقرير بروديك**، ترجمة لطفي السيد، سلسلة "الجوائز"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2015.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

أوراق العُشب

أول ترجمة عربية لـ «أوراق العُشب»، الأعمال الشعرية الكاملة لوالت ويتمان، مؤسس الحداثة الشعرية الأمريكية والإنجليزية.. وصاحب الصوت الفريد في شِعر العالم الحديث، الذي رمَى بظله على شعراء كثيرين- في القرن العشرين- ينتمون إلى ثقافات مختلفة..

صوتٌ شعري فادح، وفريد، يُنزل القصيدة من علياء التأمل الذهني في القضايا المجردة إلى هموم الإنسان اليومي، العابر في طرقات العالم، ليحتل هذا الإنسان قلب القصيدة، بلا منازع؛ بأوجاعه، وأحلامه، وهمومه، وردود فعله المباشرة، وطموحاته الصغيرة، وتأوهاته في اللحظات الأليمة، وصراخه في وجه المصير القاهر.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تصميم الغلاف : أحمد اللباد

ISBN# 9789779111490

6 221149 044333

٧٥ جنيهًا